

*(فهرست الجزء الاول من كتاب مطالع البدور في منازل السرور
تأليف الشيخ الاديب والفاضل الاربى علاء الدين على
ابن عبد الله الهبائي الغزولي)*

مصحفة

الباب الاول في تخير المسكن المتخذ للبنیان	٨
الباب الثاني في احكام وضعه وسعة بنائه وبقائه الشرف والذكر ببقائه	١٠
الباب الثالث في اختيار ابحار والصير على اداء وحسن الجوار	١٢
الباب الرابع في الباب	١٦
الباب الخامس في ذم المحجب	٢٢
الباب السادس في الخدم والدمائر	٢٤
الباب السابع في البركة والقوارة والدوا	٣٠
الباب الثامن في الباذنج وترتيبه	٤٠
الباب التاسع في التسميم ولطائفه	٤٠
الباب العاشر في الفرش	٥١
الباب الحادي عشر في الارا	٦١
الباب الثاني عشر في الطيه	٦٠
الباب الثالث عشر في	٧٠
الباب الرابع عشر في	٨١
الباب الخامس عشر	٩٢
الباب السادس عشر	١١١
الباب السابع عشر	١٢١
الباب الثامن عشر	١٣١
الفصل الاول	١٣٨
الفصل الثاني	١٤٠
الفصل الثالث	١٤١

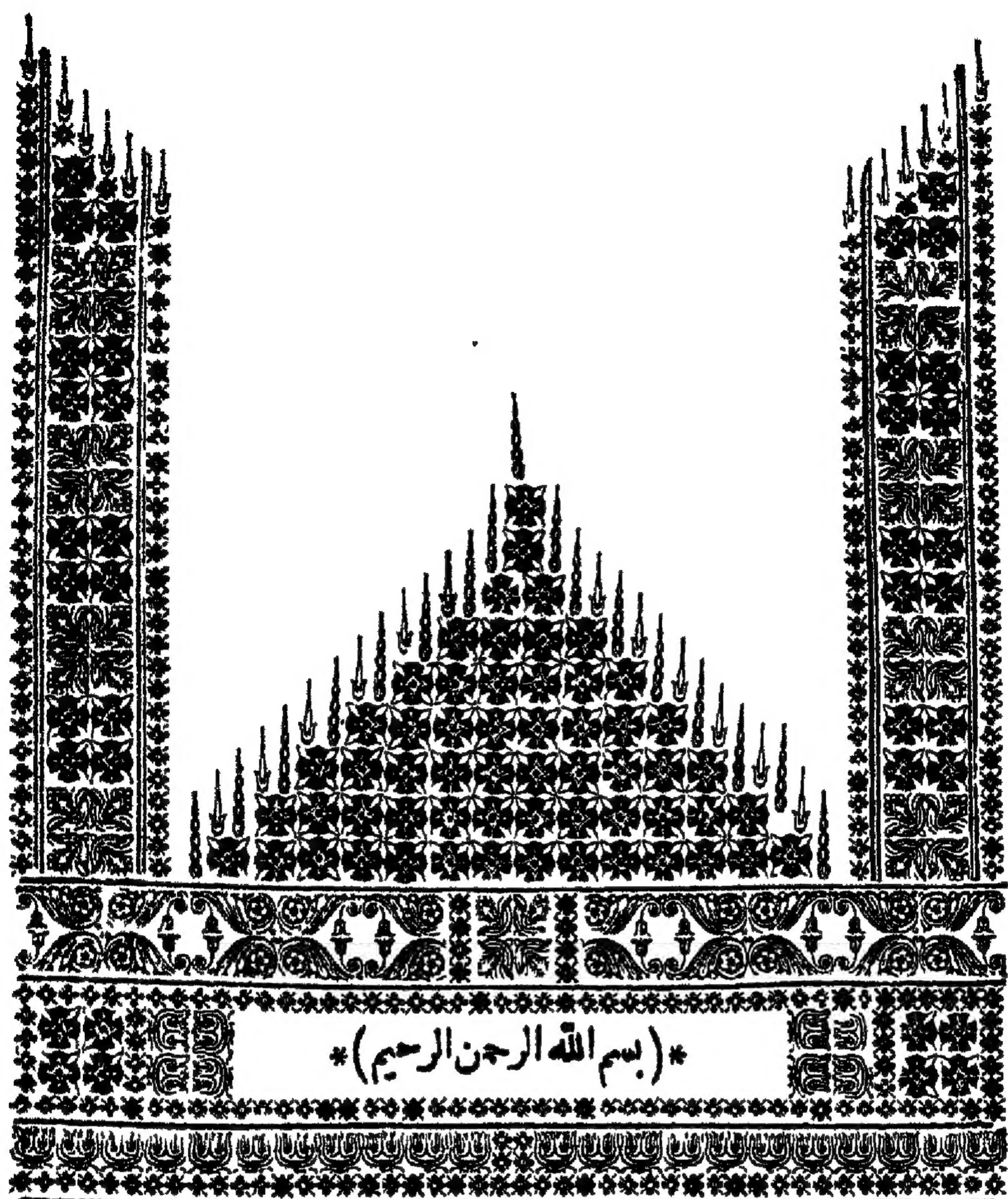
- ١٥٠ الفصل الرابع في استحداثها واستنساخ الاخوان
 ١٥٦ الفصل الخامس في من وصفها من الشعراء الاعيان
 ١٧٥ الباب التاسع عشر في الصاحب والنديم
 ١٨٧ الباب العشرون في مسامرة أهل النعيم
 ٢١٤ الباب الحادي والعشرون في الشعراء المجيدين وهو مقدمة وتكملة
 ٢٢٩ الباب الثاني والعشرون في الخذاق المطربين
 ٢٣٢ فصل في ينبغي أن يكون المغني جميل الخلق صافي الخلق الخ
 ٢٣٣ فصل في ما ورد للفضلاء في مدحهم
 ٢٣٦ فصل في ما ورد في ذم الغناء
 ٢٤٠ الباب الثالث والعشرون في الغلمان
 الرابع والعشرون في الجوارى ذوات الالحان
 في كتابة المتطرفات منهن على آلاتهن
 الجوارى وغيرهن
 في الباء
 حسن تناسب أعضائها والداعي الرجل

*** (الجزء الاول) ***

من مطالع البسودور في منازل السرور
تأليف الشيخ الاديب والفاضل
الاريب علاء الدين على
ابن عبد الله البهائي
الغروي عفي
الله عنه
آمين

*** (طبع بمطبعة ادارة الوطن) ***

*** (الطبعة الاولى سنة ١٢٩٩) ***



* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الحمد لله) الذي جعل قلوب البلغاء أفلا كالمطالع البدور * وأسكنها من فسج
صدورهم في منازل السرور * وأطاعها من درج الفصاحة إلى بديع الطباق
وأحلاها منازل سعد سنية الاشراف * يظل تحت جناح شرفها كل منشد
وقائل * لا يامنازل في القلوب منازل * (أجده) جدم من تخير لعله الصالح
دارا أسس بنيانها على تقوى * وجعل بابها مدخل إلى جنة المأوى * فأضحت
مباركة العتبة لمن أمها بعد سير حديث * وروى حديث فضله المسند فأكرم
بدار الحديث * (وأشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة هي عدتنا
في هذه الدار * وعمدتنا في دار المقام * (وأشهد) أن محمدا عبده ورسوله قائدنا إلى
دار السلام * الكافي لمن يخافه ويرجوه * أفادى إلى طباق السعادة يوم تبيض
وجوه ونسود وجوه * صلى الله عليه وعلى آله ما رفعت أركان * وشيد بنيان

(أما بعد) فهذا كتاب مجموعته لغريق أهل الأدب مفيد * وتذكروا فيها ذكرى لمن
 كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * جاء في تأليفه الشريف علوى الذنب
 وتاريخه أديبالوصف * الذهبي لكتبه بماء الذهب * ما وصل إلى حلاوة تأليفه
 ابن خلدون * ولا يتظر مع وجوده بوجه في مرآة الزمان * فيأله من مجموع أقدم
 بشان اثنين أنه تفرد * وهامت به كتب الأدب وأمست طارية من الجلدوماعسى
 أن تتجدد * لقد أصبح من حسان المعاني بحور مقصورات في خيام الطروس مدودا
 وأوفى من كنوز الأدب وأنبائه ملاء * دودا * وبين شهودا * صرفت الذهن
 إلى ترصيفه واستعنت بالناقد البصير عند الصرف * وبالصانع القدير عند
 الرصف * وأعر بت بناء عن وصف دار ملك فجاء في حسنه زائد الوصف * فأقم
 من وصف هذه الدار بابيت المعمور انتهت زهرة الناظر والسماع * واتلوعلى
 بيت حاسدها أن عذاب ربك لواقع * ما من الأدباء على أبوابها إلا سلام
 الخاشعين عسى أن يقال لهم ادخلوها بسلام آمين

وإني وإن لم أستطع ندوة بكم * أمر على أبوابكم فأسلم
 فتح على من وصفها بنحس * بين بابا فسبحان الفتاح * ولكن جعلت سوادة نفسها
 وبياض ماربها نزهة في الليل والصبح * وجاورتها بأوصاف علت بحسن طباقها
 البديعة على بيوت الأشعار * فاستحقيت التمتع بهادون الفيرلان جار الدار
 أحق بدار البحار * وتالله لقد أحجم الفضلاء عن وصف هذه الدار المباركة أعتابها
 فكيف إذا جاؤوها وفتحت أبوابها * وأمست قلوب معانيها المختلفة بأنواع
 البدائع تتألف * وهي تتلوعلى بيت حاسدها لو أنفتحت ما في الأرض جميعا
 ما ألقت بين قلوبهم * ولكن الله ألف * كم طرق بابها بوصف فأنيت بالدقة
 الأدبية من الافتتاح * وأبدت ما لو ناظره ابن سكرة لعسر ذلك عليه ولو أنى بالافتتاح
 وإن دخلت إلى وصف الدهليز من بابها فماتركت لأحد فيه مدخل * أو إلى
 البادع نقلت حديث الهوى صحبها وإن كان مجهل * أو إلى وصف الخدام
 استعبدت حر الكلام * وأظهرت قوة العزائم في الاستخدام * وإن ترويت في
 البركة رفعت لها من الوصف راية فوق قناتها * أوفى النوفرة الغضة حقتها
 من زهور البديع بخضراتها * كم سهرت في الفرش لوصف المساند وهم على
 الأرائك ينظرون * ودرت إلى وصف الدواليب وهالات بدورها ونجوم نثرتها

وكل في ذلك يسبحون * وكم سمعت في وصف الطيور المسوعة بما يغني عن جميع
المطوق وألحان السواجع * وهذبت النفس في وصف الشطرنج فعقدني
الدست من حسن فرزنتي من غير مانع * وروحت الخاطر لوصف المروحة فهب لي
نسيم القبول من غير تعب * واقتبست من شعل الدهر ووصف الشعلة والفاطوس
ولم أقل لأهيب الف - كرتبت يداي لأهيب * وأطلقت عنان الزهن القادح في
وصف السراج * فكنت فارس القييلة * وأتيت بما يفهم السراج * ولو طول
لسانه لقبل له لا تكن طويل الفتيلة * وحدقت في البساتين ووصف غصونها
وزرد خاتلها * فهمت إلى بان المحي وزرود * وتغزات في رباحيتها وورودها
بما أخل زهر الآداب وشوق إلى العوارض والنخود * وتمسكت بالغوالي
من المعاني المعشوقة في وصف الطيب فاطربت حتى قال أهل العود طيب
وملت إلى صرف الذهن في وصف الراح فجازجته من الشعر الذي يقطر ماء
الحسن منه بصيب * ووصفت الألوان حتى قالت الكاسات جنادورو فهتت
فرحة تغور القناني * وحليت سادجها بذهب الوصف حتى قالت أنا ذهبية
عصري وأواني * وجرعت العذوق في وصف النديم * والصديق النجم * وألفت
في وصف الشعراء قصصا تركت المحسود لماعبس وتولى عنها في ألف لام ميم *
وأتيت في وصف الفضلاء بنظام ونثر يحير الفاضل * وأرقصت طربا في وصف
المطربين وما خرجت عما هو في السمع داخل * واسترقيت في وصف البحاري
والغلمان كل حرم المعاني دقيق * وجئت بما لو سمعه ابن نباتة لصار له عبدا
بسوق الرقيق * ووصفت البهاء بما يحرك الشهوات * وأتيت بما هو أوضح
من الصبح ولا كن لم يكن قاطع الذات * ودخلت إلى الحمام بقلب وانسراح
صدر فأبديت ما لو شاهدته المحامي لقال ما أنا قبالة هذا التشبيه * ومن هنا
عرفت حر الأشياء وباردها وأخذت المأمن بحاربه * وأضربت الف - كرتني
وصف النار فأتيت من الأدب بحشمة قطعت عندها اللسان المجربة * وأخفت
كل ذهن وقاد وأخذت الأفكار الالهية * وقعدت في الطباخ فأتيت
في وصف القدر بما طاب وعلى سوقه استوى * وقلت للأفكار الالهية
بصنك فأنت بما ترك قلوب الأعداء خوافقاعا غير الاسترا * وتصيبت
من وصف الأسماك ما غصت خلفه من الشعر إلى أقصى البحر * وأتيت بما حير

الثوراني والجزاري وصف الجزور * ولم أدخل الى السفرة يجنب بل مددتها بما
 يليق بمنى * وتركت البقول تقول لمن لا عنده رشاد وهو غير حاذق ما أنت من
 نخل بقل * ومددت النخوان بمائدة من المعاني صيرت الشعراء عند وصفها فرقان
 وتنوعت في الاطعمة الشهية بألوان وتفقهت في الوصف لما دخلت الى باب المياه
 وقات وقد جرى جواد الفكر في وصف الماء سبحان من أجراه * وأتيت في وصف
 الخلوى بما لوزاقه ابن الخلاوي لشبك عليه وعقد المختصر * وفي وصف
 المشروب بما أصبح كل ظام من أهل الذوق الى مورد العذب صادر * وتركت
 الضد في بيت الخلائق يبحث في باب الطهارة * وكم طلب ان يستعير له وصفها
 فلم يطق وشابت ذقنه في باب الاستعارة * وعالجت وصف الاطباء وأعطيت
 الذهن دستورا فاني بما هو من القانون أطرب * وان جحد ذلك جارس عفيف
 الذهن ففردت ابن البيطار له أوجب * وأتيت في وصف الوزراء بما لوناظره
 الغير لقالوا عنه كلا لا وزر وبشرت وصف الحساب فأتيت بما لو شاهده
 ابن الصاحب رجوع عن ديوانه وعلم اني صاحب النظر واصطبحت بنجمة
 الانشاء في رياض الوصف فأتيت بما أشار اليه بأصبعه زهر المنثور * وطرقت
 بابه ففتح علي ودخلت من غير دستور * وأتخفت الاسماع من الهدايا بكل هدية
 صالحة لطيفة * وجلبت من معادن الأدب في وصف الجواهر ما لو * صاحب
 العقديسي نظامه وتأليفه * وسننت الفكر في وصف السلاح فجرت الحمد وكنت
 فارس الكلام * وتغزلات في حواجب القسي واصداغ السيوف وقامات
 الخطى واهـ داب المهام * ووصفت الكتب وأبوابها بكل قرينة صالحة
 وأسكنتها في أجل بيت * وأتيت في وصفها بما لوناظره الغير لغلقت الابواب وقالت
 هيت * وركضت بشدة الحزم الى وصف الخيل فلم ألحق في ذلك المضمار * وأتيت
 في وصف الدواب بما لم يقع عليه حافر ولا يلحق له غبار * وقنصت في وصف
 المصائد طياء البديع فانفرت * وحشرت وصف الوحوش في حضائرها وناهيك
 اذا الوحوش حشرت * وصدحت في وصف الجمائم بما هيحج البابل حين علا
 أوراقه * وأصبح طائر قلب الضد واقعا دونه ولو طار نحوه بطاقه * وأطالت في وصف
 القصور فأتيت بكل بيت لم يكن له في علو طباقه مطابق * وأتيت في وصف
 الحصون المنيعه بما عوذته بالهـ ما ذات البروج من الطارق * وشرفت الى الاوطان

فأتيت في وصف علام الممازل بأبيات * اذ آراها الشيق الى أوطانه قال هي المنازل
 لي فيها علامات * ودخلت الى الجنة ففرت بأوصاف تركت الاعداء في نار الحسد
 يتقلبون * وتلى عليهم لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم
 الفائزون * واستوعبت هذه الأوصاف التي بعد مرادها وأمت عينا شرب بها
 المقربون وهنا يحسن الالتفات فنقول والله المستعان على ما تصفون * وهذا أوان
 ايراد الابواب المذكورة * وشرح المحاسن الماثورة * وبالله التوفيق والاعانة * في
 لطب الانابة وحسن الابانة * لارب غيره ولا خير الا خيره وهو حسبه وانعم الوكيل
 (الباب الاول) في تخير المكان المتخذ للبناء (الثاني) في أحكام وضعه وسعة
 بنائه وبقاء الشرف والذكر ببقائه (الثالث) في اختيار الجار والصبر على
 أذاه وحسن الجوار (الرابع) في الباب (الخامس) في ذم المحباب (السادس)
 في الخدم والدهايز (السابع) في البركة والفؤارة والدواليب وما فيهن من كلام
 وجيز (الثامن) في الابداهنج وترتيبه (التاسع) في النسيم واطافة هبوبه
 (العاشر) في الفرش والمساند والأرائك (الحادي عشر) في الاراييح
 اللذيذة والمروحة وما شا كل ذلك (الثاني عشر) في الطيور المسموعة (الثالث
 عشر) في الشطرنج والورد وما فيهما من محاسن مجموعته (الرابع عشر) في السمعة
 والقانوس (الخامس عشر) في الخضرات والرياحين (السادس عشر) في
 الروضات والدياراتين (السابع عشر) في آنية الراح (الثامن عشر) فيما يستجلب
 بهامن الافراح (التاسع عشر) في الصاحب والنديم (العشرون) في مسامرة
 أهل النعيم (الحادي والعشرون) في الشعراء المجيدين (الثاني والعشرون) في
 المحذاق المطربين (الثالث والعشرون) في الغلمان الحسان (الرابع والعشرون)
 في الجوارى ذوات الانحان (الخامس والعشرون) في البهاء (السادس والعشرون)
 في النجم وما غرام فزاه (السابع والعشرون) في النار والطباخ والقدر
 (الثامن والعشرون) في الاسماك واللحوم والمجزور (التاسع والعشرون)
 في السفرة والبقول (الثلاثون) في الخوان والمائدة وما فيهما من كلام مقبول
 (الحادي والثلاثون) في الوكيرة والاطعمة المشتهاه (الثاني والثلاثون) في الماء
 وما جرب جراه (الثالث والثلاثون) في الحلوى والمشروب (الرابع والثلاثون) في
 بيت الخلا المطلوب (الخامس والثلاثون) في نبلاء الاطباء (السادس والثلاثون)

في الحساب والوزراء (السابع والثلاثون) في كتاب الانشاء وهو فصلان
 (الثامن والثلاثون) في الهدايا والتحف النفيسة الاثمان (التاسع والثلاثون)
 في خواص الاحجار وكذا في المعادن (الاربعون) في خزائن السلاح والسكائن
 (الحادي والاربعون) في السكتب وجمعها (الثاني والاربعون) في الخيل
 والدواب ونفعها (الثالث والاربعون) في مصائد الملوك المجايلة المقدار
 (الرابع والاربعون) في حضائر الوحوش المتخذة لنزهة الابصار (الخامس
 والاربعون) في الاسد والزرافة والفيل (السادس والاربعون) في الحمام
 وما فيه من قيل (السابع والاربعون) في المحصرن والقصور والآثار
 (الثامن والاربعون) في الحنن الى الاوطان وما فيه من رائق الاشعار
 (التاسع والاربعون) في دار سكنت بها كثيرة الحشرات (الخمسون) في جنات
 النعيم وما فيها من غرفات وبتماه تمت الابواب

(والمقصود) من الواقف على كتابنا هذا الاقصار من تتبع خطائنا والصفع
 عما يقف عليه عن اغفالنا والتجاوز عما ينتهي اليه من اهمالنا وان اذاه
 التصفع الى صواب نشره والى خطاء ستره فقد كان يقال من ألف كتابا فقد
 استشرف فان اصاب فقد استهدف وان اخطأ فقد استعذف وكان يقال
 لا يزال الرجل في فسحة من عقله ما لم يقل شعرا او يضع كتابا وكان يقال اختيار
 الرجل وافد عقله ويقال دل على طاقل اختياره وقبل له بعض العلماء اختيار
 الرجل قطعة من عقله قال بل مبلغ عقله وقال الخليل بن أحمد لا يحسن الاختيار
 الا من يعلم ما يحتاج اليه من الكلام وقال الشعبي العلم كثير والعمر قليل
 فخذوا من العلم ارواحه يعني عيونه ودعوا ظروفه وقال ابن عباس رضي
 الله عنه العلم اكثر من ان يحصر فخذوا من كل شيء احسنه ونحن نستعين الله
 على كل حاسد والله در القائل

لمن ابوح بشعري حين انظمه * أم من اخص بمن فيه من الزبد
 اما جهول فلا يدري موافقه * أو فاضل فهو ولا يخلو من الحسد
 على ان الانصاف من شيم الاشراف وهذا أو ان الشروع في ايراد ما قصدناه
 والامر الذي نخوناه وبالله المستعان

* (الباب الاول في تخير المـكان المتخذ للبناء) *

قال ارسطا ليس اول الصناعات الضرورية الصيد ثم البناء ثم الفلاحة وذلك لو ان رجلا سقط في فلاة لا أنيس بها ولا زرع لم يكن همه الا حفظ قوام نفسه بالغذاء فليس يفكر الا فيما يصيده فاذا صادوا غنثا فليس يفكر بعد ذلك الا فيما يسكن فيه وهو البناء فاذا تم له ذلك فكر حينئذ فيما يزرعه ويغرسه وقال ابراهيم بن اسحق المصمعي عبياء الملوك العمارة ولا يحسن بهم التجارة وقال ابن كادة جميع خصال الدار المستحسنة ان تكون على طريق نافذ وماؤها يخرج منها وليس عليها مشترف وحدودها لها وتكون بين الماء والسوق ويصلح فناءؤها لمخاطبة الرجال وبل الطين ووقوف الدواب وان كان لها بابان فذاك أمثل وينبغي ان يكون أيضا في طرف البلد لان الاطراف منازل الاشراف وقال البخترى توفي سنة أربع وثمانين ومائتين

عجب الناس لا عزالي وفي الاطراف تلقى منازل الاشراف
وقعودى عن التلفت والار * ضللى رحيمة الاكاف
ليس عن ثروة بلغت مداها * غير انى امرء كفانى كفاى

(قيل) وانما كانت الاطراف منازل الاشراف لانهم يتناولون ما يريدونه بالقدرة ويصل اليهم من يريدهم بالحاجة اليهم وقيل لرجل في اى موضع من القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فهنا أشرفهم وكان ينزل أقصى المدينة وقيل ليس في الارض بخيل ولا جواد اذا ابتاع دارا الابن فيها شيئا وهدم شيئا وان قل لان حاجته ومنافعه وموافق المالك الاول لا يستويان قال الجاحظ رأيت بخلاء في نهاية البخل يسرفون في الاتفاق على البنيان وقال الحكماء لذة الطعام والشراب ساعة ولذة النوم يوم ولذة المرأة شهر ولذة البنيان دهر كلما نظرت اليه تجددت لذته في قلبك وحسنه في عينك وقال ناصر بن أمية في مبيانه العظيمة بمدينة الزهراء بالاندلس

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبالسن البنيان
ان البناء اذا تعاضم شأنه * أخفى يدل على عظيم الشأن

ولما دخل الرشيد الى منبج قال لعبد الملك بن صالح الهاشمي وكان لسان بني
العباس هذا البلد مقر لك فقال يا امير المؤمنين هو لك ولي بك قال كيف
تمنالك به قال دون منازل اهل وفوق منازل غيرهم قال كيف صفة مدينتك
قال عذبة المساء طيبة الهواء قليلة الادواء قال كيف اهلها قال محركة وهي
تربة جراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء وفيافي فيج بين قيصوم وشج فقال
الرشيد والله هذا الكلام احسن منها ولما بنى عيسى بن جعفر قصره
بالرصافة دخل اليه عبد الصمد فقال بنيت اجل بناء باطيب فناء وأوسع فضاء
على احسن بهاء بين صغار وحيثان وضياء فقال كلامك احسن من بنائها
وكان ابن جعفر بن سليمان الهاشمي يقول العراق عين الدنيا والبصرة عين
العراق والمريد عين البصرة وداري عين المريد وقال بعض اهل التجربة
اذا ابنتي احدكم دارا فليترك في واجهتها ثلثة تقيها شرعين الكمال (قلت)
ولا بأس بايراد نبذة مما يتعلق بكري الدار فمن ذلك ما حكى ان رجلا دخل حجرة
يكثريها فقال أين المطبخ فقيل له في الجيران من يطبخ لك ويكفيك المؤنة
قال فأين المخبز فقيل اذا اختار الجيران خبز والاك ايضا قال فميت الخلاء
فقيل بالقرب خربة تقضي فيها الحاجة قال فالسطح فقيل على الباب ساحة
يطيب فيها النوم في الصيف قال فأنا في دار وما أعلم بروحي فأستمر على ما أنا
فيه وأرجع الاجرة وقال الحكيم بن سعد قال لي ملك بمرنديب صنف لي معاش
أهل البصرة فقلت قوم منهم لهم فضول منازل يكرونها وقوم لهم ارقاء
يستعملونها وقوم لهم رؤوس أموال يغدون الى أسواقهم فبأ كاون فضولها
وقوم لهم نخيل يأ كاون ثمارها فقال من كان معاشه من كرى فلتأام الناس ومن
استعمل الارقاء فكلا ب الناس والذين يغدون الى أسواقهم فذئاب الناس
ولكن أصحاب النخل وقال بعضهم

قد رضىنا من الزمان بقوت وثبوت وه سكن لا زيادة

ورضىنا من الاله بما ير * ضى ومن غيره تركنا الارادة

غير اناتروم خاتمة الخيبة رفا ن يمرت فتلك السعادة

(لطيفة) ذكرها الحريري في كتابه الموسوم بتوشيح البيان ان احمد بن محمد

كان يحب باخيه عبد الصمد وجدا شديدا على تباين طريقةتهما لان احمد كان

صواما قواما وكان عبد الصمد سكران خيرا وكان يسكن دارا واحدة ينزل
أحد في غرفة أعلاها وعبد الصمد أسفلها فدعا عبد الصمد ذات ليلة جماعة
من ندمائه وأخذ في القصف واللذات والعزف حتى منعوا أحد الورد ونقصوا
عليه التمجيد فاطلع عليهم وقال أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم
الارض فرفع عبد الصمد رأسه وقال وما كان الله لي عبد منهم وأنت فيهم
(قلت) وعلى ذكر الغرفة فالألف ماذكره علماء الدين الوداعي في تذكرته قال
رأيت مكتوبا على غرفة يصعد منها إلى سطح قبلة الخيرة المقدسة قوله تعالى
أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما فحببت من اتفاقها
وكأنني لم أسمعها ورأيت أيضا في طاقة زجاج يقرب طالوت عليه السلام
يسبح قاسيون قوله تعالى الله نور السموات والارض وهذا من عجيب ما يكتب
على طاقة زجاج (نادرة) كان بعضهم في دار بكرى فقال لصاحبها اعمري
السقف فانه يفرقع اذا مشينا عليه فقال لا بأس عليك فانه يسبح الله فقال أخشى
ان تدركه الرقة فيسجد وطالب بعضهم دار لا بكرى فدلوه على دار فدخل
غيرها فوجدوا أحدا يذبح أمر فاستحي وقال هل عندكم دار لا بكرى فقال له
ما أحقك نحن من الضيق بعضنا على بعض (كان) بعض الخويين له مال كثير
وليس له سكن يأوي اليه فقيل له ابن ييتاف قال والله لا بنيت ما اتفق الخويون
على اعرابه ومما قاله (المرحوم القاضي) فتح الدين بن الشهيد الذي كان
مولده بالرملة سنة ثمان وعشرين وسبع مائة وقد توفي مقتولا بالقاهرة سنة ثلاث
وتسعين وسبع مائة وكتبه على عمارة له

بنيت على وقف المكارم والعلی * فلان فتح أبوابی ... دری للضم
سنا الملك يبدو في موشح زينتی * ومن أجل ذا دارا طراز على كى
ومما كتبه على الرفرف قوله

رفعت كما شا الترفه رفرفا * أزين سمائي بل أزين سماحي
فلا بدع ان الناس يهرون بهجتي * ويمشون في ظلي وتحت جناحي

(الباب الثاني في أحكام وضعه وسنة بنائه وبقاءه
الشرف والذكر ببقائه) *

وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما بلغه ان سعدا وأصحابه بنوا بالمدر
كتب أكره لكم البنين بالمدر فاما اذا فعلتم فعدت رضوا الميطان وأطيسوا
السمك وقاربوا بين الخشب ولما بنى معاوية داره بدمشق بالبن دخلها
وقد الروم فقالوا ما أحسن ما بناه الله صافير فهدمها وبنها بالمحجر ورأى بعضهم
رجلا قد بنى حائطاً بالمحجر وهو يبيضه فقال هذا يسترا الذهب بالفضة (وحكى) ان
يحيى بن خالد كان جالساً للقصص فرفعت اليه قصة متظلم من بعض عماله
فقربه وسأله عن ظلامته فقال له ان عاملاًك فلاناً ظلمنى وأخذ مالى واعتصب
ضيعتى وهدم شرفى فقال له فهدمت جميع ما ذكرته الا قولك هدم شرفى فما
معناه فقال له أنا من ابنة فارس كانت لى ضيعة وبالقرب منها قصر على الطريق
فيه سقاية ينزاه الناس ويسقون منها ويذكرون بانها ويرجون عليه
فغصبنى الضيعة وهدم القصر فأمر يحيى بالكتب الى العامل ان ترد عليه
ضيعة وجيع ما أخذته منه وتبنى القصر حتى ترده على هيئته كما كان وقال
لبنيه ابنه وافان الذكر والشرف باقيان ببقاء البنين وقيل لابي الدهمان
أين دارك فقال اذا دخلت سكة بنى العنبر فالدار التى تدل على شرف أهلها دارى
وعلى ذكر السؤال ما أحسن ما ذكره ابن رشيق فى الاخذ ورجع ان عبد الرحمن بن
محمد الفراسى جلس مع بعض شيوخ يونس وكان الشيخ نهاية فى المجون فاجتاز
بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدون فأقبل الشيخ عليه فقال هى فى تلك الرابعة
حيث يقوم ايرك فقال الفراسى لا تظننه فخاراً رأيت مثل هذا المعنى وأنشد
من وقته

ان شئت ان تعرف عن صحة * دارى التى تعزى لعبدونه
فامش فان أيرك أبمرته * قام فان الباب من دونه
وقد عكس الشيخ صلاح الدين الصفدى (ومولده سنة أربع وتسعين وستمائة
وفاته سنة أربع وستين وسبعمائة) هذا المعنى فقال

أقول لمن يسأل عن محلى * تقدم وامش من خلف السوارى
ومر فحيثما اتقى حكاك * بسررك لا تعد فثم دارى
(رجع) خرج الخطيب الحافظ أبو بكر فى تاريخه قال لما بنى المهدي قصره
بالرصافة دخل بطوف فيه ومعه أبو البحترى وهب بن وهب وهب فقال له

هل تروى في هذا شيئا قال نعم حدثني جعفر بن محمد عن ابنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير محبونيكم ما سافرت فيه ابصاركم وقال المؤمن يوم الجلسات ان تدرون من اهنى الناس عيشا فقالوا ابر المؤمنين فقال لا قالوا فامير المؤمنين اعلم فقال اهنى الناس عيشا رجل له دار قوراء وامرأة حسناء وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه قال سلمة الاحمر دخلت على الرشيد في قصر الذي بنى فقلت

أما بيوتك في الدنيا فواسعة * فليت قبرك بعد الموت يتسع
فجعل بيكي وقيل ان خالد بن الوليد رضى الله عنه شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم ضيق مسكنه فقال ارفع البناء وصل الله السعة وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر وقد هم ببناء دار استوسع فان الهمة في السعة مثل بعضهم ما الغنى فقال سعة البيوت ودوام القوت وقال بعضهم طيب المساكن بثلاثة سعة الصحن وخبر الماء وشئ من الخضرة (يحيى بن خالد) الدنيا ثمانية الطعام الطيب والماء البارد والثوب اللين والفرش الوطى والدار الواسعة والمرأة الموافقة والمخادم الفاره والقدرة على الاخوان بالاحسان وكان يقال جنة الرجل داره وذكر الاحنف الدور فقال ليكن اول ما يشتري وآخر ما يبيع وقال يحيى ابن خالد لابنه جعفر دارك في صلك فوسعه كيف شئت وقيل لبعضهم ما المرور فقال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالقناء وينشد

ومن المروة للفتى * ما عاش دار فآخوه

فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخوه

(وكان يقال) دار الرجل عيشه قال السلامي في كتابه تنف الطرف الدور للناس كالأعشة للطير والأوجرة للوحش والمجرة للعشرات فدار الرجل جمال نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه وجمع أهله ومحرز ماله ومأنس ضيقه وملاقي صديقه وعدوه ولا شئ أصعب على الناس من الخروج من ديارهم وقد قرن الله سبحانه وتعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو انا كنا عليم -م أن اقلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فقه لوه الا قليل منهم وقال بعض الاشراف لابنه يا بني احسن امرك في هذه الدنيا يا ابن ساء الحسن واسمع قول الشاعر

ليس الفتى بالذى لا يستضافه * ولا يكون له فى الارض آثار
ولا تنس قول الآخر

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار
ومن أحسن ما قيل فى بناء الملوك قول على بن الجهم المتوفى سنة تسع وأربعين
ومائتين

وما زلت أسمع ان الملو * لك تبنى على قدر اخطارها
فلما رأيت بناء الاما * مرأيت الخلافة فى دارها
حكى ان أبا العيناء دخل على المتوكل فى قصره فقال له كيف ترى دارنا هذه
فقال الناس بنوادورهم فى الدنيا وانت بنيت الدنيا فى دارك أخذه يزيدى
فقال

لما بنا الناس فى دنياك دورهم * بنيت فى دارك الغراء دنياها
فلورضيت مكان البسط أعيننا * لم يبق عين لنا الا فرشها

* (الباب الثالث فى اختيار الجار والصبر على أذى وحسن الجوار) *

وقيل الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق وقيل لبعضهم أين معك فى القرآن
الجار قبل الدار فقال قوله تعالى رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة وقال صلى الله
عليه وسلم من اشراط الساعة سوء الجار نعمو بالله من ثلاث هن القوافر امام
السوء ان أحسنت لم يشكر وان أسأت لم يغفر ومن جار سوء ان رأى حسناته
وان رأى قبيحا أذاعه ومن سوء امرأة ان غبت عنها خاتمتك وان دخلت عليها
لسنتك (حكى) أبو السعادات بن الشجرى (مولده سنة خمس مائة وأربعمائة
وفاته سنة اثنين وأربعين وخمسمائة) فى شرح الحماسة ان العباس بن الفرج
الرياشى قال وفد زياد الأعجم على حبيب بن المهلب وهو بخراسان فبينما هما
يشربان ذات عشية اذ سمع زياد صوت جماعة تغنى على شجرة فى دار حبيب
فقال

تغنى أنت فى ذمى وعهدى * بأن لا يدعوك ولا تهادى
اذا غنيتنى وشربت كأسا * ذكرت أجيتى وذكرت دارى
فما بقتة لوك طليت نارا * لانك فى جمالى وفى جوارى

فأخذ حبيب سهما فرماها فأغذاها فقال زياد قتلت جاري بيني وبينك المهلب
فأختصمنا إليه فقال المهلب أبو امامة لا يروع جاره وقد أزمته لك العقل ألف
دينار فدفعتها إليه من يومه ولما بنى كسرى إيوانه كانت بجواره دويبة لجهوز
لا يكمل تر بيع الإيوان إلا بها فدفع لها جلة من المال فقالت لا أبيع جوار
الملك بملته أذهبها ولا أنرح عن جراره طائعة فإن غصبني أياها فهو قادر على ذلك
فأعلم كسرى بذلك فقال تترك ويبنى الإيوان فقبل لا يجيئ مستحكما الترييع
فقال يبنى على ما اتفق وكان فيه عوج فكان بعد ذلك يقال له ما أحسن بناء
هذا الإيوان لولا هذا العوج فيقول بهذا العوج تم حسنه (قلت) وعلى
ذكر الإيوان ما أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه أجازها الشيخ عز الدين على
ابن الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلي رحمه الله تعالى أجيبة كتب بها إلى
القاضي صلاح الدين الصفدي تغمدته الله بالرحمة

يا من له الطول في المعالي * وبالمعالي لنا يصير

اني كما قات في سؤالي * ما مثل قولي نعم مقصر

(رجيع) وكان لابن المعقع بجانب داره دار وكان يستأجرها من صاحبها وهو يمتنع
من بيعها فاتفق أنه ركب به دين فاحتاج إلى بيعها فعرضت عليه فسأل عن سبب
بيعها ياها بعد دغبطة بها فأخبره بقصته فقال ماقت اذا بحرمة البماران اشتريتها
وقد باعها معدا فحمل اليه ثمن الدار وقال بقى دارك عليك بارك الله لك فيها
ورد هذا في دينك وقال الامعي رأى بعضهم عدي بن حاتم الطائي يفت للنمل
خبزاً بفناء داره فقال له يا أبا طريف ما تصنع فقال جارات ولهن حرمة قلت وعلى
ذكر حاتم الطائي ذكرت ما أنشدني به يدي الجنب المجدى فضل الله بن المرحوم
الصاحب الفاضل نضر الدين عبد الرحمن بن مكائس سلمه الله تعالى قال أنشدني
والدي من لفظه قال أنشدني صاحبنا الشيخ شمس الدين الواسطي (توفي المذكور
قريباً من سنة ثمانين وسبع مائة) لنفسه موالياً

مات حتى جفاني كل من في الحى * وماتى وقلاني كل من لوشى

وأنت ما في الجهم والعرب مثلك حتى * يا من طرى بالمدكارم ذكر حاتم طي

(قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه صاحب المرحوم نضر الدين بن مكائس من

قصيدة (وتوفي تغمدته الله بالرحمة سنة أربع وتسعين وسبع مائة) وذلك

بمنزله بقنطرة قدادار بتاريخ عاشر صفر من شهر رعام ثلاث وتسعين وسبعمائة

وكم طربت لمساأبدته من ملح * يصيبوله كل ذي عقل وآراء

وجدت بالتبر من مالي ومن أدبي * فسكنت في كل حال منهما الطائي

(رجع) الى ما كنا بصددده وقال محمد بن عبد الرحمن الزهري كانت بيني وبين

أبي العباس ثعلب مودة أكيدة وكنت أستشير في أموري فجتت يوما مشاورة

في الانتقال من دار الى أخرى لتأذي بهابا بجوار فقال يا أبا محمد العرب تقول

صبرك على أذى من تعرفه خير لك من استحداث ما لا تعرفه (من غريب

الاتفاق) ان بشار بن برد كان قد حلف انه لا يجاور جناد عجر ولا يظله وایاه

سقف بيت ولا مسجد وانه يهيجوه بألف قصيدة فاتفق ان مات جاد في قرية من

سواد البصرة وعرضت لبشار هناك حاجة فأت فيها ودفن الى جانب جاد

عجود (وقريب) من هذه الحكاية ما حكى ان روحا بن حاتم بن قبيصة بن المهلب

كان واليساعلى السند وأخوه يزيد واليساعلى أفریقیة فتوفي بها في سنة سبعين

ومائة بالقيروان فقال أهل المدينة أدنى أفریقیة ما أبعد ما يكون بين قبري

هذين الاخوين فان أخاه بالسند وهذا هنا فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند

وسيره الى موضع أخيه يزيد فدخل الى أفریقیة فلم يزل واليسابها الى ان مات

ودفن مع أخيه في قبر واحد ففجب الناس من غريب هذا الاتفاق (عود)

وكان لابی حنیفة جارا سكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جن الليل رجع

الى منزله بلحم أو سمك فيطبخ اللحم أو يشوى السمك فاذا دب فيه السكر أنشد

أضاعوني وأی فتی أضاعوا * لیوم کریمه وسداد نغر

فلا يزال يشرب ويردد البيت الى ان يغلبه السكر وينام وكان أبو حنیفة يصلي

الليل كله ويسمي جلبيته وأنشاده ففقد صوته ایاال فسأل عنه فقبل أخذه

العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فصلى صلاة الفجر وركب بغلته ومشى

واستأذن على الأمير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط ففعل ذلك

به فوسع له الأمير في مجلسه وقال له ما حاجتك فقال لي جارا سكاف أخذه

العسس منذ ثلاث ليال فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا

هذا ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب أبو حنیفة رجه الله تعالى وتبعه جاره

الاسكاف فلما وصل الى داره قال له أبو حنیفة أترانا أضاعنا قال لا لا حفظت

ورعيت بذاك الله غيرا عن محبة البحار ورعاية الحق والله على ان لا أشرب خرا
أبدا فتاب ولم يعد الى ما كان عليه (قلت) وقد ضمن هذا البيت الشيخ
برهان الدين القيراطي تلميذا حسنا (ومولده سنة ست وعشرين وسبعمائة
وفاته سنة احدى وثمانين وسبعمائة)

فقال دعاني منيتي لكريه راح * ورشف الثغر منه عقيب سكر
فقلت له دعوت فني يرجى * ليوم كريمة وسداد ثغر
(ونقلت) من المستجاد في فملات الاجواد عرض محمد بن الجهم دارا بخمسين ألف
درهم فلما حضر واليشتروا قال بكم تشتروا مني جوار سعيد بن العاص وكان
بجواره فقالوا وان البحار ليبيع فقال وكيف لا يبيع ويفرد بشئ وهو جوار من
اذا سأله أعطاك وان سكت ابتداك وان أسأت أحسن فبلغ ذلك سعيدا
فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال امسك عليك دارك وعلى ذكر البحار فسا أحسن
قول الشيخ جمال الدين بن نباتة (ومولده سنة ست وثمانين وسبعمائة ووفاته سنة
ثمان وستين وسبعمائة)

بروحى جيرة أبقوا دموى * وقد رحلوا بقاى واصطبارى
كأنا للمساورة اقتمنا * فقلبي جارهم والدمع جارى
وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب (ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ووفاته سنة
ثمان وثمانين وسبعمائة) وقد انتقل النيل السعيد عن بر مصر الى ابر الغربى
سط البحيرة

يا أيها السلطان ان النيل عن * مصر تنقل بعد طول جوار
فاحفظ لنا جريانه وجواره * فالله قد أوصى بحفظ البحار
وانشدني سيدى وأنحى الجنباب المجدى فضل الله بن مكناس أبقاه الله تعالى
من موشحة لنفسه

أجريت ما بين دموى الغزار * مثل البحار * ولم يدع على طول دهرى قرار
هجر حبيبي وهرمنى قريب * مع الرقيب * قد صيراني بين قومي غريب
دأبى النقيب * فأآه من جورك يا ذا الحبيب * على الكتيب
وما احتباني في قريب الديار * ونائى الزار * هو على الخالين باقلب جار
(رجع) الى ما كان فيه كان يوسف بن ادا نزل به جار قال له يا هذا انك قد اخترتني

جارا واخترت داري دارا فجناية يدك على دونك وان جنيت عليك يد فاحتكم
 حكم الصبي على أهله (وذكر ابن الجوزي) في كتاب الاذكار قال رجل يا رسول
 الله ان لي جاريا يؤذيني قال انطلق وانخرج متاعك الى الطريق فانطلق فأنخرج
 متاعه فاجتمع الناس اليه فقالوا ما شأنك قال لي جاري يؤذيني فجعوا ويقولون اللهم
 العنه اللهم انزه اللهم اخرجه قبله ذلك فأتاه فقال ارجع الى بيتك فوالله
 لا أؤذيك بعدها وهذه من الخيل التي أباحها الشرع الحديث وواه الامام أحمد
 في مسنده (ورود) ان أبا مسلم الخراساني صاحب الدعوة عرض عليه فرس سابق
 فقال لأصحابه لما يصلح هذا الفرس فقالوا اليوم الحرب فقال كلا ولكن ليهرب
 عليه من جار السوء وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث كن في
 الجاهلية الاسلام أولى بها كان الرجل منهم اذا نزل به ضيف سعى له أهل البيت
 كبيرهم وصغيرهم حتى ينقلب وهو راض وكان الرجل منهم اذا طال ثواء امرأته
 معه كره طلاقها الثلاث نزل بعده وكان الرجل اذا جنى جاره جرمة باع فيها ولولده
 حتى ينقذ جاره

* (الباب الرابع في الباب) *

الباب يجمع على أبواب وقد قالوا فيه أبوابه للازدواج وقيل أبواب مبنية كما
 قيل أصناف مصنعة ولبعضهم فيما يكتب عليه

لذ بذ الباب كلها * خفت ضيق المناهج

فهو باب محرب * لقضاء الحوائج

وأنشد الأصمعي في أبيات المعاني قول بعض العرب

وذي رجلين لا يعيش عليهما * ولكن في القيام له صلاح

فندفعه اذا احتجنا اليه * ونجذبه اذا حان الروح

(وقال الحماني) في باب بمصر عيين (توفي المذكور سنة ثمان وثمانين
 وثلاثمائة)

عجبت لمحرومين من كل لذة * يبيتان طول الليل يعتنقان

اذا أمسيا كانوا على الناس مرصدا * وعند طلوع الفجر يفترقان

وقال الشيخ شمس الدين بن دانيال (توفي سنة عشر وسبعمائة)

قل للوزير محمد بن محمد * يا من هو الملك الذي لمن درج
 أنت الذي دار السعادة داره * طول الزمان وبابه باب العرج
 وقال الشيخ (جال الدين) بن نباتة
 بشر أمير المعالي باتصال هنا * يحفه السعد من أقصى جوانبه
 واكتب على بابه الغربي معتمدا * عزيزوم واقبال لصاحبه
 وقال

أياد دار اليمين من كل وجهة * عليك ولا زال الهناك يجلب
 ولا عدم القصاد بابك انه * لنجج الرجا باب صحيح مجرب
 (قلت) قوله صحيح على غير طائل وصاحب الذوق السليم يشهد والمعنى
 (وقال)

يا زائري قاضي القضاة ليهنكم * ما صحح التجريب من أبوابه
 أقسمت ما النجر المكرم للغي * الا الذي تغشون من أعتابه
 وقال يا مالكا تقصر عن وصفه * بدائع الشاعر والكاتب
 في بابك العلم وفيض الندى * فلا خلا بابك من طالب
 وقال (ناصر الدين) ابن النقيب في المجون (توفي سنة سبع وثمانين وستمائة)
 قال لي الخارج صفي لي * مثل ما أعرف وصفك
 أين باب الخرق قل لي * قلت باب الخرق خلفك
 وعلى ذكر باب الخرق فلا بأس بإيراد نبذة مما قيل في باب زويلة فن ذلك هو
 ابراهيم الممار (توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة)
 زويلة بابك هذا سفيه * يشرب ماء النرجهر رابقيه
 ولم يزل يألف سفك الدما * وكل ما يقطع الشرع فيه
 وله فيه

حاذر زويلة ان مرت ببابها * وطعامها كن آيسا من خيره
 فوسط القتلا يقول به انظروا * من لم يمت بالسيف مات بغيره
 وقال شهاب الدين بن أبي حجة (مولده سنة خمس وعشرين وسبعمائة ووفاته
 سنة ست وسبعين وسبعمائة)
 يرت زويلة اذا مسى يقول لنا * باب لها قول صدق غير مكذوب

إذا وعدت حراميا بسفك دما * في الحال علق من وعدى بعرقوب
وقال الشيخ شمس الدين الصفدع فيما يكتب على الباب (مولده سنة ثلاث
وتسعين وستمائة ووفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة)

من ذا الذي ينكر فضلى وقد * فزت من المحسن بمعنى غريب
هندي لمن يخذله دهره * نصر من الله وفتح قريب
وقال ابراهيم المعمار

يا من يباب علاه * العيش للناس طابا
أرسلت مدحى غلاما * اليك يخدم بابا

وما أطرف قول من قال وان كان غير ما نحن فيه لانهسبه لك وحدك ان كنت
راقدا تبه كما فتحت الطاقة غيرك يسد الباب وقال القاضى محيى الدين بن
عبد الظاهر المغزافيه (مولده سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنين وتسعين
وستمائة)

أى شئ تراه فى الدور والكتب مجازا هذا وذاك محقق
يحفظ المال والمحريم ولولاه حفيظا لكان ذلك يسرق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو فى أكثر الاحيان يطرق
وطليق فى نشأته ولكنه * بحديد من بعد ذلك يوثق
وثلاثا تراه فى الخط لکن * هو اثنان كله ان يفرق
وتراه للحشو ينسب حيننا * وهو مع ذلك لا يرى يتزندق
وهو فى القلب يستوى وتراه * بان تصيفه لمن يترقى
فأجبنى عنه بقيت مطاعا * لست فى حابة الفضائل تسبق
(كتب) الشيخ شرف الدين عبد العزيز الجوى المعروف بشيخ الشيوخ الى والده
ملاعا (مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة)

ما واقف فى المخرج * يذهب طور او يجي
لست تخاف سره * ما لم يكن بمرج

فكتب اليه والده الجواب ذهاب ومجي وخوف وهذا باب خصومة والسلام
(وكتب) الاديب نصر الدين الحماي الى السراج الوراق وكان السراج يسكن

(٢٠)

بالروضة (مولده سنة خمس وعشرة وستمائة وتوفي سنة خمس وتسعين وستمائة)
كم قد أورد للباب الكريم لكي * أبل شوقي وأحي ميت أشعاري
وانتني خائباً فيما أوامله * وانت في روضة والقلب في نار
فكتب الجواب إليه

الآن نزهتني في روضة عبقت * أنفاسها بين أزهار وأثمار
أسكرتني بشذاهان ثنيت بها * وكل بيت أراه بيت خمار
ولا تغالط فن فينا المراج ومن * أولى بأن قال ان القلب في نار
(وقال) صاحب جبال الدين بن مطروح من قصيدة يمدح بها الملك الأشرف
مظفر الدين موسى (ولد ابن مطروح سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وتوفي سنة
تسع وأربعين وستمائة)

ما كان أشوقي للثمن بانه * ولقد ظفرت بلثها فلامتني
ودخلت من أبوابه في جنة * يا ليت قومي يعلمون بأنني
(وقال) علاء الدين الوداعي (مولده سنة أربعين وستمائة وتوفي سنة ست عشرة
وسبعمائة)

من أم بابك لم تبرح جوارحه * تروي أحاديث ما أوليت من من
فالعين عن قرّة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن
(قلت) أما قرّة فهو قرّة بن خالد السدوسي وهو ثقة روى عن الحسن وابن سيرين
وليس بتابعي وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوي كان من عباد التابعين وهو
زوج معاذة العدوية وهي تروي عن عائشة رضي الله عنها وأما جابر فهو جابر بن
عبد الله كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو جابر الجعفي
لأن جابر الجعفي ضعيف وهو تابعي وإنما ضعفوه لأنه كان يؤمن بالرجعة وأما
حسن فهو حسن البصري كان تابعياً كبيراً رأى من أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم نحو ثمانمائة رجلاً ولا يحد أجادعلاء الدين في استعمال هؤلاء الرجال في
أوصاف الممدوح ودل على جودة اطلاعه على أسماء رجال الحديث رحمه الله
تعالى وأنشدني سميدي وأخي تقي الدين أبو بكر بن حجة الجعفي سلمه الله تعالى
لنعمه الكريم إجازة من قصيدة

قصدت باب الحبيب والرقبا * على من خيفة القاحنة

قالوا فما تبغى فقلت لهم * حتى تخلصت أبغى صدقه
والشيء يذكر بلوازمه ما أطف وأبلغ ما ذكره ذو الوزارتين لسان الدين بن
الخطيب الاندلسي في ترجمة شهاب الدين بن رضوان الغرناطي أبو جعفر في تاريخه
بالاحاطة (وذكر ان وفاته سنة ثلاث وستين وسبعمائة)

يامن اختار فؤادي مسكنا * يابيه العين التي ترمقه
فتح الباب سهادي بعدكم * فابعثوا طيفكم بغلقه
(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة نثرا أي والله تخلى الشباب وخذآب الذهن
اللاهأب وخللا الفكر الخائث من صوب والفهم الخادم من صواب واقصر عن
نظمه ونثره من كانت له في الانشاء نشأة وكانت له في الشعر أسباب وغض بصر
القريحه وتقص ذيلها فما يرفع لها ولا تجرأ هدايا واختبى لسان المنشئ المنشد
عجزا وانغلق عليه من شغتيه مصراعى الباب وقال القاضي الفاضل نثرا (مولده
سنة أربع وعشرين وخمسمائة ووفاته سنة ست وتسعين وخمسمائة) لازالت
الملوك يبابه وقوفا والاقدار له سيوفا والخلق له في دار الدنيا ضيوفا ودين
دين الحق تعلمه الناس انه اذا بردت تقاضيه سيوفا سيوفي ومن نثره كل لفظة
موصولة بأنه وفي كل قلب من حزه نار وفي كل دار من فضله جنة فروح الله
تلك الروح وفتح لها أبواب الجنة فهي آخر ما ترجوه من الفتوح من رسالة كتبها
المرحوم العلامة فتح الدين بن الشهيد الى بعض أصحابه وقد طرق عليه الباب
فوجدته مقفلا فها هو الا ان قبلت العتبة فأعيت وتأدت فريضة الخدمة لما
وقفت وتأدت وأطلت قرع حلقة الباب فقال الصدى ضربت في حديد بارد
وجئت وقد استقل ركاب المسود والسائد فازكر حاجتك أبلغ عنك ما تقول
وأسبق برجع الجواب اليك الرسول قلت محب يراهم بالقلب ان طاقب الخواص
والخواص ورحت وقلت ان جئت بجواب فسل عن سايح بن رايح وعدت أمشي
بغنى حنين

وأصغى الى صوت الصدى عند ذكركم * فأطرب للغمي وأهتف بالدار
وأسمى بهاداراء لي مروة الصفا * أطوف بها سبعا ولم أقض أوطاري
وما نفعي التطواف في داره المحي * اذالم يكن في داره المحي أقماري
وترددت حتى كالدمي للطريق بالعقيق ورمت أنفاسي النار في الدار

وصاحت المحريق (وللقاضى الفاضل) بصف السائر من قصيدة أولها
 يا طالب الجود عيم كعبة الكرم * وقل سلام لها عن كعبة الحرم
 كأن استاره روض سمحت له * بماء يشرك هذا المخرق الشيم
 غيم يزر على شمس وفي يده * غمامة لقبته كاشف الغمم
 محب تعود منه فيض انمله * والسحب ان سبرت دلت على الديم
 لو لم تكن محباما كان ذيلها * برق يشام اذا ما البرق لم يشم
 بيض كعرضك في طول كطولك في * لمع كنشرك في سلك حكي كالم
 فكنت كالشمس في ثوب النهار بها * لا كالبدور بأثواب من الظلم
 أظهرت عدلك فيها فهي مجزة * فالاسد ما وثبت والريم لم يرم
 قرب سائحة فيه وسارحة * فاعجب اضدين في بحر من الكرم
 تهيم بالصيد آمالي اذا نظرت * فيها فاذ كرمع الصيد في الحرم
 كأن أحدا قناتر عي المحداثق من * جنات عدن وعدل دائم قدم
 أقاح روض كأن الورد فروزه * فيا لجرية ماء كف بالضم
 والطير في شجرات الرقما كفة * ونبت عنق في التغريد بالنغم
 ان لم يكن ثمرها ففي يده * ثمار جود زهت في روضة الشيم
 يود ما مثله فيه من صور * لو انها استخدمت في جالة الخدم
 تلك الستور عجاج والنجوم لها * عرى وايدى الظبا فروزها بدم
 أظن بابك خد أغرت من قبل * عليه حتى منعت اللثم باللثم
 اذا رأيت بها الاعلام مشرقة * رأيت أشهر من نار على علم
 مثل السراب ووقت القيظ ييضها * لكن وردت بعيني حين هم في
 (وللولى السيد) شمس الدين القاسم ابن الصاحب موفق الدين على بن الأمدى
 ونقلته من خط الوداعي

ومشعل قام في خشوع * كراهب شق عنه جيبا
 قد فنى الجسم منه سقما * واشتعل الرأس منه شيبا
 (ورود) على سيدنا ومولانا المرحوم القاضى أمين الدين محمد الانصارى (المتوفى
 أواخر سنة ثمان مائة وأخبرني ان مولده سنة احدى وخمسين وسبعمائة) صاحب
 ديوان الانشاء الشريفة بالشام المحروسة كتاب من سيدنا ومولانا أوحدا العصر

فأنت قلبي ولا عجيب * إذا غدا القلب في حجاب
(وقال) زين الدين بن الوردى (توفي سنة خمسين وسبعمائة) يلوم نفسه على زيارة
أقوام

مذررتهم محبة وودا * ألفتهم مغلقين بابا
سعي إلى بابهم جنون * منى فاستأهل الحجابا

(وقال بعض الحكماء) لبعض الملوك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان
اجرا الناس على الاسدا أكثرهم له رؤية وقال آخر كثرة الاذن مجلبة الابتذال
وهيبة الملوك في الاحتجاب وكان يقال المبتذل ملوك والممنوع متبوع
ولله درابن المعتز وما أحسن قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله * كذا تخلق المرء العيون اللوافع
(وقيل) لبعض الحجاب متى تفرغ ولايتك فقال متى حضر طعام مخدومي وأين هذا
من قول القائل

جئت على باب صديق لنا * وبابه من دونه مقفل
وحول تلك الدار غلمانة * قد أحرقوا بابا الباب واستكملوا
فقلت ما يصنع مولاكم * قالوا سمعنا انه بأكل
قلت فما يفتح مولاكم * قالوا بلى رأس الذي يدخل
(وقيل لبعضهم) هل تغديت عند فلان قال لا ولاكنى مررت ببابه وهو يتغدى
قال فكيف علمت قال رأيت غلمانة بأيديهم قسي البندق يرمون الطير في الهوى
وقال بعضهم

رأيت أبا زرارة قال يوما * محتاج به وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لا تخطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ * بغض ليس يردعه الكلام
فقال وقام من حق اليه * بتقديم يزد فيه القيام
أبي وأبوابي والكلب عندي * بمنزلة إذا حضر الطعام
إذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدي ولا ذمام
فأفي الأرض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزمام
وما أحسن قول المعاضى الفاضل

(٢٥)

بتنا على حال بسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بواننا الليل فغنا له * ان غبت عنا هجم الصبح
وله في بواب يلقب بالبحرى
وهب ان هذا الباب للرزق قبله * فها أنا وقد وليته دونكم ظهري
وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خافي الشط في تحية البحرى
وقال كمال الدين بن النبیه (توفي سنة تسع عشرة وستمائة) لما سمع قول
الفاضل

قامت ليل اذ حباى حبيبا * بغناء رسي النهى وعقارا
انت يا ليل حاجي فامنع الصبح وكن أنت يادجي بردارا
وقال ناصر الدين بن النقيب
ماذا على بواب داركم الذي * لا اذن يعطينا ولا يستأذن
لوردنا رداجي لا عنكم * او كان يدفع بالتي هي أحسن
(ولاشيخ) شهاب الدين بن أبي حجلة في غير المعنى
يارب ان النيل زاد زيادة * أدت الى هدم وفرط تشقت
ماضره لوجا على عادته * في دفعة أو كان يدفع بالتي
(وأنشدني) الشيخ العلامة عز الدين الموصلي لنفسه (المتوفى سنة تسع وثمانين
وسبعمائة وأخبرني ان مولده سنة أربع وعشرين وسبعمائة)
قد سلوا عن الحبيب بخود * ذات وجه به الجمال تقن
ورجعنا عن التهلك فيه * ودفعنا بالتي هي أحسن
(رجع) الى ما كفا فيه قال الناشئ الأصغر (المتوفى سنة ست وستين وثمانمائة)
ليس المحباب لآلة الاشراف * ان المحباب بجانب الانصاف
ولقل ما يأتي فيحجب مرة * فتعود ثانية بقلب صاف
(وقال) أبو المحسن بن الجزار (ومولده سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنين
وسبعين وستمائة)

أمولاي مامر طباعى الخروج * وان كان تعلمته من نخولي
وصرت لدبك أروم الغنى * فيخرجني الضرب عند الدخول
(والم بهذا) الاديب شمس الدين الصفدع فقال

وأما إلى خدمته العبدى * يحظى بتقبيل يد أوقبول
 واستأذن الخادم في قربه * منكم لأن العبد ستر يحول
 فكاد أن يخرج الضرب عن * غناك بالإقاع قبل الدخول
 أوحى إليه منه قولاً * بلغ عنه ما يقول الرسول
 (ونقلت) من خط المرحوم نفع الدين بن مكانس للجمال ابن عبد الغنى
 أتيت إلى بابك يا سيدي * أهنيك بالعبد مع من يهني
 فأخرجت من بعد ذلك الدخول * وقد جئت بعني مدلاً بأنى
 ممن ويخرج بعد الدخول * وتأتى الطباع خروج المغنى
 (حكى) عن أبي الحسن بن الجزارة أنه جاء إلى باب صاحب زين الدين بن الزبير
 فأذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب في ورقة
 الناس قد دخلوا كالأبراجهم * والعبد مثل النخسى ملقى على الباب
 فلما قرأها ابن الزبير قال تحاجبه اخرج إلى الباب وناد يا نخسى ادخل فلما
 سمع أبو الحسن قول الحاجب يا نخسى ادخل فقال هذا دليل على السعة وهذا
 جبهه أخذ من قول الآخر

أيدخل من يشاء بغير إذن * وكاهم كسيراً وعوير
 وأبقى من وراء الباب حتى * كافي نخسبه وسواى ير
 (وقال بعض الشعراء) وقد منه بواب اسمه بصافة من الدخول
 يامن سما فى المكرما * ت وفاق أرباب الممالك
 أنجب لأمر بصافة * منع الدخول لباب خالك
 وهو المعين على الدخول * ل إذا تعسرت المسالك
 (وقال جفظة)

ولى صاحب زرتة للسلام * فقا بلى بالحجاب الصراح
 وقالوا تغيب عن داره * مخوف غريم ملح وقاح
 ولو كان عن داره غائباً * لا دخلنى أهله للنكاح

(وقال آخر)

وكل خفيف الشأن يسعى مشمراً * إذا فتح البواب بابك أصبحا
 ونحن المجلوس الماكثون توقراً * حياء إلى أن يفتح الباب أجوا

(وأنشدني) صاحب الامالي

كم من فتي تحمد أخلاقه * ويسكن العارفون في ذمته
قد أكثر الحاجب أعداؤه * وأحقد الناس على نعمته

(حكى) أبو السعادات بن الشجري في شرح الحماسة أن أنس بن زعيم الهدلي وفد
على عمرو بن عبد الله بن التميمي في جماعة من الشعراء فقصده الحاجب عن
الدخول وأذن لغيره من الشعراء فلما طال حجاب كذب إليه أبياتا منها

لقد كنت أسعى في هواك وأبتغي * رضاك وأعصى أمرتي والادانيا

حفاظا واما كالمسا كان بيننا * لتجزيني يوما فما كنت جازيا

أراني اذا ما شمت منك سخابة * لتطرنى عادت عجاجة وسافيا

أأقصى ويدني من يقصر رأيه * ومن ليس يغني عنك مثل غنائنا

فلما قرأ الابيات عنف حاجبه ثم أذن له وقال له ويحك ما هذا قال فعل حاجبك

وطول مقامى وانت تعطى من اقبل وأدبر فقال يا هذا أشهدت معي موذاة هجر

قال لا قال ألك من يد تضربني بها أو تستحق بها على ما طابت قال نعم كنت اجلس

بين يديك وأسمع حديثك فانشر محاسنه واطوى مساويه فقال وأبيك ان في

هذا ما يشكر كم أقت بالباب قال أربعين يوما فأمر له بأربعين ألف درهم

(ولشهاب الدين) ابن أبي حجلة

الاقبل لشمس الدين صاحب العيسى * أتينا مرارا نحو بابك بالامس

فان حجبك المجدر عنا فربما * رأينا جلايب السحاب على الشمس

وقال شرف الدين بن عنين (وولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة ووفاته سنة

ثلاثين وستمائة)

أين علمائك المطيفون بالبغلة والرافعون للاثواب

ردك الدهر كالنداء على النبيـل بلا حاجب ولا بواب

وعلى دكر الحاجب فما أحسن قول القائل في ملج قلندري

بدالى في خلق الحواجب فتنه * فقلت لعقل ذاهل فيه ذاهب

حببي بحق الله قرلى ما الذى * دعاك الى هذا فقال مجاوبى

وعدت بوصل العاشقين تعظما * فلم شقوا فاسترهنوا قوس حاجبي

(وقال) المراج الوراق فيه

(٢٨)

عشت من ريقته قرقف * وماله اذذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنوز الخط من كاتب
سلطان حسن زاد في عدله * فاختار ان يبقى بلا حاجب
(وقف) بعض المطاييع على باب بعض الامراء والطعام قد حضر فخرج حاجب
الامير الى الباب فقال ايم المطبوع الك حاجة قال نعم قال ما هي فقال له اذا
دخلت فاقرئي خذ من الامير السلام وما اطرف في ذم الحاجب قول السراج الوراق
لاذقت ذل حجاب * ولا وقوفا بياب
فقد حنقت وقدقا * م شارب ابواب
ورحت اجري وصحفي -- ت موضعين لماسي

(وقال زين بن الوردى)

يقول لي بوابه اذراى * بالباب منى وقفة الحائر
له محاريم بها شغله * قلت محاريم بلا آخر

(وقال السراج الوراق) مضمنا

وقطب عند دخولي اليه * فتم له القبح معنى وصوره
ولولا الضرورة مازرته * على الرغم منى وعند الضرورة

(وقال جمال الدين) ابن نباتة

حجبتني فازددت عندي علا * برغم من أقبل كالعائب
وقلت لا أعدم من سیدی * من كان عيني فعدا حاجي
(وقال) محمد بن العفيف (ومولده سنة اثنين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع
وثمانين وستمائة)

ولقد وقفت ضحى ببابك أرتجى * باللثم للعتبات حق الواجب
وأنيث أطلب زورفا حظى بها * فرددت يا عيني هماك بحاجي
(وقال الشهاب) فتيان الشاغوري (ومولده سنة ثلاث وخمسمائة ووفاته سنة خمس
عشرة وستمائة)

وافيت تهنية الوزير فلم أجد * لي في الدخول ببابه من مسعد
لم أحظ الا بالقيام من أنى * فخصات منك على المقيم المقعد
(قصيدة جماعة) من الطفيلية واية فقال رئيسهم اللهم لا تجعل البواب لكازاني

الصدور دفاعا في الظهور طراحا للقلانس هب لنار أفتته ورجته وبشره
وسهل علينا ذته فلما دخلوا تلقاهم المضيف فقال الرئيس عزة مباركة
موصول بها الخصب معدوم بها الجذب فلما جلسوا على الخوان قال جعلك الله
كعصى موسى ونحوان ابراهيم ومائدة عيسى في البركة ثم قال لاصحابه افتحوا
أفواهكم واقموا أعناقكم وابسطوا الألف وأجيدوا اللقم ولا تمضغوا
مضغ المتعاليين الشباع المتخمين واذكروا سوء المنقلب وخيبة المضطرب خذوا
على اسم الله تعالى (وقال زين الدين) بن الوردي

ماذا تقولون في محب * عن غير أبوابكم تخلا

وجاءكم زائرا عفيقا * عن مالكم هل يجوز أم لا

(وقال جمال الدين) بن نباتة

ما يقول المقام أيده الله ولا زال للهود يحوز

في ولي تبا بكم ترك الخلق ووافي يحوز أم لا يحوز

(كان) الشيخ عز الدين بن عبد السلام اذا قرأ عليه الطالب وانتهى يقول اقرأ
من الباب الذي تليه ولوسطرا فاني لأحب الوقوف على الابواب
ولانصير (الحجاسي) بيتان كتبهما الى السراج الوراق على يد غلام يدعى ابراهيم
وهما

عبدك ابراهيم وافي بها * وفيها معنى لمن يعقل

وهو على الباب ومقصوده * وفيك فهم انه يدخل

(الباب السادس في الخدم والذهليز) *

كان يقال ان الخصبان ملايكة بنى آدم وقيل لابي العيناء لم اتخذت غلامين اسودين
خصيين قال لثلاثتهم هم ما ولايتهم حابي وعرض على بعض الملوك غلام صبي
خصي فقال هذا يصلح للفراش وللهراس وكان بعضهم يتخذ الخدام الخصيين
ويختار منهم البيض الحسان فقبل له في ذلك فقال لانهم بانهار فوارس وبالليل
عرانس (وفيهم يقول)

ونساء استريح مقيم * ورجال ان كانت الاسفار

(وفيهم) يقول محمد الخلو ع القاهر

(٣٠)

مبرؤن من الشهـر الكريهـون * جل الايور وانـراج المـناتين
وهم نساء اذا حاولت خلوتهم * وهم رجال لدى الهيباء يحموني
(وما أحسن) قول الصابي في غلام اسرد (مولده سنة عشرين وثلاثمائة ووفاته سنة
ثمانين وثلاثمائة)

لك وجه كـأن يـمـاي خطـبـهـ بلفظ يـمـله آمالـي
فيه معنى من البدور ولكن * نفقت صبغها عـليه الـيـالي
وقال (الزين بن جبريل) المصري

وخادم قد حباه القلب حبه * حباله وكـتـه صبغها المقل
كان ما هو في خد الجمال لمن * براه خال وفي أجفانه كحل
(وقال ابن الجوزي) في كتاب الاذكار قال أبو أحمد عبد الله بن عمر البخاري اجتزت
ببغداد وأنا أحدث مع جماعة من مجان اصحاب الحديث واذ بخادم نحى جالس
على الطريق بين أيديه أدوية ومكاحل ومباصع وعلى رأسه مظلة تحرق
فسألت عنه فقبل طيب حاذق وهو من عجائب بغداد فتقدم اليه شخص من
الجماعة وتغاشى وتماوت وتمارض وقال يا أستاذنا أستاذنا فقلت فقال أي شيء
يكـيـ ايش أصابكـ قولي لا شـفـاك الله فقال أجد ظلمة في أحشائي ومغصا في
أطراف شعري وما آكله اليوم يصح غدا مثل الجيفة فصف لي دواء فقال وكأنته
أعد الجواب أما ما تجد من المغص في أطراف شعرك فأحلق لحمتك وراك
جميعا وأما ظلمة أحشائك فملق على باب جبرك قنديلا وأما الثالث فكلى خراكي
(ولأبراهيم) الممار في خادم هندي

تملك قلبي خادم قد هويته * من الهند معسول اللسا أهيف القـد
أقول لعـبي حين يـرنوا بلـظهـ * نخذوا حذركم قد سـل صارمه المـذري
(وقال)

وخادم بعـاو على عشاقه * برتبة من الجمال نالهـا
واسمه وهو العجيب محسن * وكـم دمـوع في الهوى أسـالهـا
(ولقد) أجاد من قال

إن امت ليـلـا نجوم السـما * يـضـاعـلـي أدهم مرخي الازار
وأوجب العكس مثـالـها * في الأرض فالسود نجوم النهار

(نادرة) قيل ان بعض أولاد الملوك كان يعشق خادما يسمى ديتارا وكان من
أوحش ما يكون فاتفق ان أجرى عنده ذكر مفن جميل فقال بلغنى ان فلسه أسود
فقال له بعض المحاضرين والله يا مولانا فلسه خير من ديتارك فانجمله
(ومن ظريف) الغاب الخدام ما لقبه سيدي المقر المجدي فضيل الله بن مكاس
أحسن الله له العاقبة لخدمه وهم اشراق الدين هلال ونظام الدين لؤلؤ وسيف
الدين فولاذ (وأنشدنى) من لفظه لنفسه اجازة سيدي دنا مولانا قضي القضاة
بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر الخزومي المالكي أدام الله أيامه ونقلتها من
خطه

علقته خادما لطيفا * لم اصغ فيه الى الملامه

اليه قلبي انثنى وطرفى * مذلاح بين الانام شامه

(وللشيخ) جمال الدين بن نباتة في خادم اسمه كافور

بالاثني في خادم لي سيد * تسما القـد زدت السلوة تقورا

ولقد أدت على المسامع قهوة * في الحب كان مزاجها كافورا

(ابراهيم) المعمار

وخادم قبلت مشروطه * في خده لكن رأيت العجب

من ناعم حلو فناديتـه * ما انت يا مشروط الارطب

(وقال) ابن نباتة أيضا

بروحى مشروط على الخد أسمر * دنا وفابعد التجنب والسخط

وقال على اللثم اشترطنا فلا ترد * فقبلته ألفاء على ذلك الشرط

(وقال)

أرى لصواب يا ابرى صفات * تحت على الخلاعة والتصابي

فبإدركه فانت به خبير * ومثلك لا يدل على صواب

وقال (صلاح الدين) الصفدى فيه

اذا ما قام ابرك في الدباجي * وعندك من تحب فلا تحابي

وقم نحو الطواشى واعتقه * ومثلك لا يدل على صواب

وقال (الشيخ زين الدين) بن الوردي

أنحش من الاعداء والله ناصرى * بخدام حظ ان دعوت أجابوا

فقلبي ممرور وسعدى مقبل * وخزني نصر والمقال صواب
 (قات) واذا ذكرنا ما ورد في مدحهم فلا بأس بإيراد نبذة من غيره (قال) الجاحظ
 (توفي سنة خمس وخمسين ومائتين وقد نيف على التسعين سنة) ضيق الصدور
 وشدة النفور وطول الاعمار وقلة الاصطبار وكبر الاقدام واضطراب
 الاجسام وانكار الحرمه وقلة الرجح وسرعة الدمعه وابتناء السمعه
 وطحن المعدة واطف القياده واسترخاء السرح وقلة المجروح وسوء الخلق
 وكثرة الحرق وشدة الحمس وانقطاع الولد والمشي بالتمائم والنظر الى
 المحارم وتربية البغول والبغض للفقول خلاف النساء والرجال لا يجوز
 به الاستحلال مهلوس عبوس غايته طرسوس مؤاجر في صغره قواد في كبره
 ان ركب ركض وان مشى مرض مختلف الرأي والعقل متخلق باخلاق البغل
 ان لا يذته جمع وان خاشته ربح وان أجمته طمع وان أشبعته سلخ يقول في
 فراشه اذا عمل النيد في مشاشه ان حرد كفر وان قدر قهر محتون على غير
 ملة حادق بالهريسه والاخله ان غضب بكى وان رضى شكى وان هزل
 انطوى وان سمع التوى معدن للطائر ألوف للجائر ان انتمته خاتك
 وان أكرمه هاتك وان أهنته أكرمك وان أغضبتك شتمك صاحب صوارات
 وجلاهق وجمام وبنادق حاص دجاج وفراريح وطير ماورد اريج ان
 أمسكتنه خسرت وان بعته ربحت وان طردته وقفت وان قتلتنه أجرت
 صاحبهم مأبون وطالحهم ملعون شره عتيد وخيره بعيد معروف موصوف
 بالجلف مسترخي البدن طويل الحزن بين الموق يادى العروق يأتي
 العرقوب كثير العيوب طويل الذراع كثير النخاع مسلوب زينة اللهى
 محروم لذة النساء يتزوج بالابكار ويهتك الأستار يابس المصانع عارى
 الاشاجع شديد النفاق قليل الانصاف بين الفاق كثير البقياق
 شره عند الطعام سفيه على الاقوام فقير ذومال وحيد ذو عيال شرس حسود
 حرون جحود بعيد من الحياء بارد اللقاء يتلقاك بالبكاء ان قلت نعم قال لا
 أو قلت لا قال بلى ان منع فن جنى وان أعطى فن حرق جرى عجايب طويل
 الاحزان مظلوم القلاه خالى المعرفة أقلق محتون خائن مأبون ترضيه
 اللقمه ويحذع بالطعمه أكثر الناس علمه وأفوده في الظلمه واحذفه

بالاجازة واعرفه بجاره واعمله لمزماره وانجته لمصايد الفار وأبيعه للتسكك
وأصيده للسك اذا أمن مائة غره في مطقته مأواه الدهليز ونحوه على
الافزيز لهج بالقمار عليه سوء الدمار من قلة مرواته يدخل الفحل على
امراته ويجمع لها بكده وينفق على ضده لا يبدله فيها من شريك فهو مغرم
وغـيره يذكى بستر عورته عن الانام ويبدى سواته للطعام يقطع الصلاة
ويمنع الزكاة يبيع الزمارات ونعتة في الصورات يأكل بشدين وينفق
بيدين فضله محبوس ودعاؤه منكوس (وقال) الجاحظ أيضا كان من ظريف
ما يقص الغاضى عبد الا على قرله في الخصى اذا قطعت خصيته قويت شهوته
وسخت مقعدته ولانت جانتة وانجرت شعرة وكثرت غلته واتسعت
فمقته وغرزن دمهته (وقال) غـيره من جب زبه ذهب لـبه وفي ذلك قول
أبي الطيب المتنبي (ومولده سنة ثلاث وثلاثمائة ووفاته سنة أربع وخمسين
وثلاثمائة)

وقد كنت أحسب قطع الخصى * بأن الرأس مقر النـهى
فلما نظرت الى عـله * وجدت النـهى كلها فى الخصى
ونقلت من خط الوزير العلامة المـفن نـفر الدين بن مـكانس سـامحه الله تعالى أنه قال
سافرت مرة سنة احدى وستين وسبع مائة مع الصاحب نـفر الدين بن قـروينة
رجه الله تعالى الى دمشق المحروسة عند ما تولى نظـر عـلمـكها ووالدى رجه الله
استيفاء بها وكان له دوا دار يسمى صبيح وبلق جودر من عتقاء جده الوزير
أمين الدين بن الغنائم وكان كثير النوادر لطيف الدقات فاتفق ان جال الدين
ابن الرهاوى موقع الوزارة ركب يوما فتقنطربه الفرس وداسه على رأس أحليه
فحمل الى داره وأقام أياما الى ان عرفى وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس
فقال له الصاحب نـفر الدين ما سبب تأخيرك قال له تقنطرى الفرس وداس
رأس أحلي فـكـدت أموت والآن فقد أطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء
فقال له صبيح جودر الحمد لله على سلامة الخصى فانقلب الجاس ضحكا ونـخل
ابن الرهاوى وانصرف (عود) الى ما كافيه وصف الحجاز رحلا بالرعونة فعال
هو كـالـخـصى يفتخر بزبه مـولاه (قال) كشاحم فى خادم اسود جائر
يامشـبها فى فـعـله لـوبه ، لم يـمـا أوجبت للقـسمه

فعلك من لوزك مستخرج * والظلم مشتق من الظلم

(وقال) آخروأجاد

جزوا هذا كره بحق واجب * اذ عندهم علم بخساسة أصله
لو أنهم تركوه يبقى سالما * ملأ البلاد أراذلا من نسله

(وقال) بعضهم وأصاب

ان عابذت عينك ظيما سانحا * مع خادم يرعاه وهو شرود
فأقنصه لطفًا بالزمام ولا تخف * منه نهورا فالزمام يعود

(نادرة) قيل ان بعض أولاد الملوك كان يعشق خادما يسمى دينارا وكان أوحش
ما يكون فاتفق ان أجرى عنده ذكرا مغن جميل فقال بلغني ان فلسه أسود فقال
بعض الحاضرين والله يا مولانا ان فلسه خير من دينارك فأخجله (نادرة) قيل ان
بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما وجد العبد فوق الخادم فضربه ونجس
فراى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد النجس فعل بالخويدم
الصغير فقال له مولانا السيد الكبير ففعل منه وأنوجه في مجانه (وما أظرف)
من قال مواليا

سقى الكبير له الخدام والخشعة * تخلف على النيك بالمهوف وبالحشمة
جاها الطواشي أخفشت لونا ل من كلفه * راحت بين القواقية على قرمه
(وقال) ابراهيم المعمار

وان من الخدام من ليس ترتجي * مكارمه فالبعد منهم غنائم
فلانك ممن يتههم كخشعة * فليس لهم بين الرجال محاشم
(أهدى) بعض عمال مروان بن محمد الجعدي الاموي لمروان عبدا أسود فقال
لـ كاتبه عبدا جميلا كتب الى هذا العامل كتابا مختصرا وذمه على ما فعل
فـ كتب اليه لو وجدت لونا أشرم من السواد وـ ددا أقل من الواحد لا هديته
والسلام (ومن أحسن) ما ورد في ذم السواد لا يحرم فيه محرم ولا يكفن فيه
ولا تحبني فيه عروس (وما أظرف) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

كان لي عبد يسمى فرجا * نصب الغير عليه الشبكا

فأنا الآن كما تبصرني * ليس عندي فرج الا البكا

(القول) في الدهليز بكسر الدال فارسي معرب والجمع الدهاليز وهو بين الباب

والدار وأحسن ما فيه

ودهليزدار فيه للعين بهجة * ولتنفس فيه للذاذة أوطار

إذا دخل لم يعتبر ما وراءه * توهجه من حسنه انه الدار

(وقال) يحيى بن خالد يذبحى للانسان ان يتألق فى دهليزه لانه وجه الدار ومنزل

الضيف وتجناس الصديق حتى يؤذن له وموضع المعلم ومقيل الخدم ومنتهى حد

المستأذن (وقال) بعضهم اذا كمل للانسان فى داره حسن ثلاثة مواضع لم يبال

بمسا فاته منها وذكروا من جملة الدهليز (والشيخ) برهان الدين القبراطى فيه

أكرم بدهليز سما * فاذا الكواكب من رفاقه

دهليز مولى سعدة * مازال يخدم فى وطاقه

(قات) من كان له عبد واسمه سعد فى غاية الحسن (وقال) الشيخ شهاب الدين

ابن أبى حجلة يدين وفيهما ما فيهما

دار بيد الدين أشرق نورها * فيها ضئها من نوره مجبول

دهليزها حلوا لنا بيدولنا * طعمية فى بابها ودعول

* (الباب السابع فى البركة والفرارة والدوايب

وما فيهن من كلام وجيز) *

البركة هى الموضع المبنى لاجتماع الماء ويسمى أيضا المهرمج بكسر الصاد وهو

اسم مشتق له من المهرج الذى تبنى به والمهرج الكس نفسه يقال

بركة مهرجة اذا كانت مبنية بالمهرج وقال الجوهري البركة كالحوض

والجمع البرك ويقال سميت بذلك لاقامة الماء فيها (حكى) الاديب أبو الريح

سليمان بن اسمعيل بن أبى الليث المسيحي قال جئنا مجلس أنس مع الاديب

أبى اسحاق ابراهيم بن أبى الثناء المسيحي باله يوم وكفى بستان فيه بركة عليها

فواره من الماء فتجاذبنا هدايا وصفها (فقال أبو اسحاق)

بركة يصعد الانا يديب منها * يقعد الماء فوقها ويقوم

فلما أطلعت فواقع تـدو * كالقوارير من زجاج تموم

وكان السماء صفحتها الزر قاء والياسمين فيها نجوم

(قال وقلت أنا)

وبركة تذهل العقول لها * تحارفي حسن وصفها الفكر
 كأنها مقلة محذقة * عبر من الوجدان لها السهر
 تبكي وما فارقت لها وطنها * يوما ولا فات أهلها وطر
 تخال أنبويها لحنه * والماء يسلو به وينحدر
 كصوبجان فضة سبكت * فواقع الماء تحتها أكر

(قال) الشيخ صفى الدين الحلى (وتوفى سنة خمس وسبع مائة)

والريح تجري رخاء فوق بحرتها * وماؤها مطلق في زى مأسور
 قد جعت جمع تصحج جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكسير
 (ولقد) أجاد ابن طباطبائي قوله (ومر له سنة ست وثمانين ومائتين ووفاته سنة
 ثمان وأربعين وثلاث مائة)

كم ليلة ساهرت أنجمها التي * عرصات أرض ماؤها كسمائها
 قد سهرت فيها النجوم كأنها * فلك السماء يدور في أرجائها
 أحسن بها بحرا إذا التبس الدجى * كانت نجوم الليل من حصبائها
 ترفو إلى الجزاء وهي عريقة * تبغى النجاة ولات حين نجاتها
 تطفوا وترسب في اصطفاق مياهاها * لامتعان لها سوي أنماها
 والبدر يخفق وسطها فكأنه * قلب لها قدر يع في أحشائها
 (ولامزيد) في الحسن على قول عبد الجبار بن جديس الصقلي يصف دوحه
 واسودا ترى بالماء (توفى المذكور سنة تسع وعشرين وخمس مائة)

وضواغهم سكنت عرين رياسته * تركت خري الماء فيه زئيرا
 فكأنما غشى النصار جسموها * وأذاب في أفواهاها البورا
 أسد كأن سكونها متحرك * في النفس لو جدت هناك مثيرا
 وتذكرت قناتها فكأنما * أقعت على أذنانها للشورى
 وتخالها والشمس تجلولونها * نارا وألسنتها اللاواحس نورا
 فكأنما سيات سيف جداول * ذابت بلانار فعند غديرها
 وكأنما نسج النسيم لها * رد عافقه تدرسه تقديرا
 وبديعة الثمرات تعبر نحوها * عينك بمرعجائب مسجورا
 شجرية ذهبية شرعت إلى * شجر يؤثر في النهر تأثيرا

قد صوحت أغصانها فكأنما * قبضت بهم من الفضاء طيوراً
 وكأنما أتى لوقع طيرها * أن تستقل بنهضها وتطيرها
 من كل واقفة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين خيراً
 نحو يقان من الفصاح فان شدت * جعلت تغرد بالمياه صغيراً
 وكأنما في كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجروراً
 وتريك في الصهر يج موقع قطرها * فوق الزبرجد لؤلؤاً منشوراً
 (وقال القاضي) شهاب الدين بن فضل الله (مولده سنة سبعمائة ووفاته سنة تسع
 وأربعين وسبعمائة) في ترجمة مجير الدين بن تميم (وفاته سنة إحدى وثمانين
 وستمائة) وحكى أنه جالس على بحيرة أشرفت سماءها وطاف بكعبة المجلس
 ماؤها والشمس قد توسطت الظهيرة وأرخت ذوائب أشعتها الظفيرة واللجة قد
 نصبت في كل ناحية حباله وتناومت عينها فسارت من الشئ الانحiale والماء
 قد لبس من شعاع الشمس الغلالة وغابت سباع البركة فلعبت الغزاله (فقال)
 ولما احتمت منا الغزالة بالسما * وعز على قناصها أن ينالها
 نصيباً شباك الماء في الارض حيلة * علم فلم تقدر فصدنا نجالها
 (وذكر) هذه الترجمة في كتابه مسالك الامصار من كلام علي بن طاهر العسقلاني
 قال جلسنا على بركة ألقى علينا وأورد أجراً ملاً بكثرة نجومه فصفحة سماءها وصبيغ
 بحمرة شعاعه صفحة ماؤها وأهدى زمرده الى مقامها الزرقاء فصيح سرور فابدأها
 (وقال) المذكور في كتابه بدائع البداية أخبرني القاضي الأعز بن المؤيد رجها
 الله تعالى قال اجتمعت مع جماعة من أدباء الاسكندرية في بستان لبعض أهلها
 فخللنا روضات ثنت قامات أشجاره وتغنيت قيان أطياره وبين أيدينا بركة ماء كبحر
 سماء فنثر عليه بعض الحاضرين باسمينا زان سماءها بزواهر منيرة وأهدى الى
 مجتها جواهر ثيرة فتعاطينا القول في تشبيهه وأطرق كل منّا التحريك خاطره
 وتنبه ثم أظهرنا ما حرننا ونشرنا ما حبرنا (فانشد) عباس بن ظريف
 نثر الياسمين لما جنوه * عيشاً فاسقاً تفر فوق الماء
 فسينا زهر الكواكب تحكي * زهر الارض في أديم السماء
 (قال والذي صنعه أنا)
 نثروا الياسمين في صفحة الماء * فخللنا النجوم وسط الماء

فكان السماء في باطن الارض * وأوالدرطف فوق الماء

(وقال مجير الدين) بن تميم في ملبج يشرب من بركة

أفدى الذي أهوى بغيه شارباً * من بركة رقت وطابت مشرباً

أبدت لعيني وجهه وخيالها * فأرتنى القمرين في وقت معاً

(نادرة) أكثرى نحوى جالاً ليحمل له زيرا فلما وصل إلى البيت وفيه بركة

قال له النحوى اقفز فوق فوقع فأنكسر الزير فقال ما هذا قال جانب البركة

ساكن والنون في اقفون ساكنة فتحرك الزير بينهما بالكسر فقال أحسنت

ما أنت إلا عالم بيض الله وجهك (وقال الشريف العقيلي)

وبركة قد أفادنا عجبا * مما ج من مائها وما انسبنا

من حول فوارة مركبة * قد انحنى ظهر مائها تعباً

(وقال شمس الدين الطيبي) أحمد بن أبي الهاسن (مولده ببخارى سنة تسع وأربعين

وسمائه ووفاته سنة سبع عشرة وسبع مائة بطرابلس)

النهر وافي شاهراً سيغاه * ولله يختلس الاعيننا

فما جت البركة من خوفه * وارثعت وادرت جوشنا

(وقال مجير الدين ابن تميم مضمناً)

لو كنت اذا بصرتها فوارة * للشمس في أمواجها لآلاء

رأيت أعجب ما يرى من بركة * سال النصارى بها وقام الماء

(وله مضمناً)

لقد نزهت عيني أنا بيب بركة * تقابلني أمواجها بالعجائب

أنا بيب زادت في عـ لو كاننا * تحاول ناراً عند بعض الكواكب

(وله)

يا حسن نوفرة بدت في بركة * أبداً يفيض الماء فيها دينا

ما ن بدت الا وظلت مفكراً * في قد نوفر راح يبت سرسنا

(وقال الوجيه المناوى)

فوارة تشبه في شكلها * سبيكة من فضة خالصة

تلهيك يا محسن فقد أصبحت * جارية ملهية راقصة

(وقد) عكس بعضهم هذا فقال

وقينة ماهية قد غدت * تستوقف السامع والرائي
جارية راقصة أشبهت * في وصفها فواراة الماء

(وقال) ابن حجاج (توفي سنة إحدى وتسعين وثلثمائة)

صنعت في دارك فواراة * أغرقت في الأرض بها الانجما
فاض على نجم السهي ماؤها * فاصبحت أرضك تسقي العما
(وقال ابن تميم) في بركة شاذروان

الأرب يوم قد تقضى ببركة * أقت بها فيما جرى متحبرا
بعمى رأيت الماء فيها وقد جرى * على رأسه من شاق فتكسرا
(وقال الشيخ برهان الدين القيراطي)

مذهب شاذرواننا إلى المقام والرتب
نال الغنى الماء به * حين مشى على الذهب

(وقال فيه)

تحسن شاذرواننا * كل القلوب تهش
من أجل ذا الماء له * قلب به معلق

(ومن كلام) سيدي تقي الدين أبي بكر بن حجة في الفواراة كأنها أسنان تطعن في
صدر الظما أو شجرة كدنا أنما طوي لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها في السماء
أومع ترف بند الماء وقد أفاض عليه عطايا فيضا فرفع له لأجل ذلك
فوق قناته راية بيضا وعمود وفاء أشارت الناس إليه بالأصابع أو ملك طالب
السماء بوادع حتى قلنا إن أكمل الجوزاء له من جملة الودائع أو أبيض طائر علا
حتى قلنا أنه يلتقط حباب النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية تحاول ثارا
عند بعض الكواكب (وقال شهاب الدين بن أبي حجلة)

وشاذروان ماء بات يجري * كعين الصب روع يوم بين

إذا ما قيل جديا لمرىعا * يقول نعم على رأسي وعمي

(وقال) شيخنا الشيخ زين الدين بن العجي (توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة)

تسلسل مائي وهو لاشك مطلق * وصح حقيقا حين قالوا تكسرا

وفي قاب مائي القلوب مسرة * وقالوا سيجرى بالهنا وكذا جرا

(قلت) وقد تصرفت الفضلاء متأخروا المعرف في هذه اللفظة أعني وكذا جرى

(٤٠)

تصرفات حسنة فتم القاضي صلاح الدين الصفدي (فقال)
أملت ان تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم ما لا يرى
وعلمت يوم فراقكم لا بد أن * يجري له دمي دما وكذا جرى
ومنيهم الشيخ عز الدين الموصلي (فقال)

رب نسيم قدسري * يحدو سمحاً بامطار
أذياه بليلة * تخبرنا بما جرى

وقال أيضا

حديث عذار الحب في خده جرى * كسك على الورد الجنى تسطرا
فقبائله حتى تحوت رسومه * كأن لم يكن ذلك الحديث ولا جرى
(وقال الشيخ برهان الدين القيراطي)

لم يبك حين بكيت من * هجـ رانه متحسرا
لكن حكا لك خده الـ مصقول صورة ما جرى

وقال

كأبرت عدل صبوتي * في الدمع حين تحذرا
قالوا بكيت صبابة * فأجبت هذا ما جرى
(وأنشدني) سيدى وأخي تقي الدين أبي بكر بن حجة أبقاه الله تعالى لبعض
المغاربة

وتحدث الماء الزلال مع المحصا * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فـ كأن فوق الماء شـ بأظاهرا * وكأن تحت الماء درامضرا
(رجوع الى ما كفايه) قال ابن ظافر العسقلاني في كتابه بدائع البدائع مررنا في
بعض العشايا على بعض البساتين المجاورة لبحر النيل فرأينا بئرا عليم ادولابان
متحاذيان قد دارت أفلاكهما بنجوم القواديس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب
الاماني بالمغاليس وهما يثنان أنبي أهل الاشواق ويفيضان دمعاً غزير من
دموع العشاق والروض قد جلالا لعين زبرجده والاصيل قد راق حسنه فنثر
عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره في اجياد الغصون والسواقي قد أدلت
من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد احضر شاربه وعارضه وطرف
النسيم قد ركضه في ميادين الزهر راكضه ورضاب الماء قد علاه من الظل الى

(٤١)

وحيات الجارى حائرة تخاف ان يدركها من زمرد البنسان الهى والبصر قد
صقل صقل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى في ذيل السماء درعه
فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحوذا وملا أبصارنا وقلوبنا التذاذا ومانا الى
الدولابين شاكين أرمز احين شجبت قيان الطير بأمانها أم شدت على عيدانها
أم ذكرأ أيام نعمها وطايا وكأنا اغصانا رطابا فنغيا لذيذ الهجوع ورجعا
النوح وأفاض الدموع طلبة الرجوع (وقال مجير الدين بن تميم مضمنا)
ودولاب روض كان من قبل أغصنا * تقيس فلما فرقتهما يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فسكاه * عيون على أيام عهد الصبا تجري
(وقال)

تأمل تر الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن النسيم الرطب قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذلك يدور
(وقال) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى (توفي سنة ثمانين وستمائة)

وروضة دولابها * الى الفصون قد شكا

من حين ضاع زهرها * دار عليه وبكى

(واستعمل) هذا المعنى صلاح الدين الصفدى في غير الدولاب فقال

أضحى يقول عذاره * هل فيكم لى عاذر

الورد ضاع نجده * وأنا عليه دائر

(وقال) الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن تباتة

أعجب لها ناعورة قابها * للساء مذشى العيش والعشب

تعبانة الجسم ولكنها * كما ترى طيبة القاب

(وقال) سعد الدين بن عربى (ومولده سنة ست وخسين وخمسمائة ووفاته سنة
اثنين وستمائة)

شاهدت دولابا له أدمع * تكلفت للروض بالرى

فأعجب له من فلك دائر * ما فيه برج غير ماى

(ولا ينو)

أبدى لنا الدولاب قولا مجبيا * لما رأنا قادمين اليه

انى من العجب العجيب كما ترى * قاي معى وأنا أدور عليه

(٤٢)

(قال) أبو حنيفة الدينوري الدولاب بضم الدال وفتحها كذا سمعته من بعض
العرب (ولا آخر)

لله أزهار دوح بات يفتحها * صوت الغمام يدمع منه منسفن
حكمت نجوم السماء أزهارها فكذا * أخفى يدورها الدولاب كالفلك
(وقال) ابن نباتة

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها * وأضاعها كادت تعد من السقم
أدور على قاي فاني فقدته * وأما دموعي فهي تجري على جسمي
(ولا آخر)

وذا شجوا أسالت * مدام عالم تصبها
تبكي بفرط دموع * وتفتحك الروض منها

(ولا آخر)

أشبه ما بين القواديس صوتها * ومن كل وجه ماؤها يتحدر
بارملة ضمت إليها نباتها * تنوح بشجوا والمدامع تقطر
(ولا آخر)

وناعورة قد ضاعفت بنواحيها * نواحي وأجرت مقلتاى دموعها
وقد ضعفت مما تان فقد غدت * من الضعف والشكوى تعد ضلوعها
(سأل) الشيخ نجم الدين القهقري جماعة من الطلبة المشتغلة عليه عن قول
الشاعر (ومولده سنة ثمان وستين وستمائة ووفاته سنة أربع وأربعين
وسبعمائة)

يا أيها الحبر الذي * علم العروض به امتزج
أبنا لنا ديرة * فيها بسيط وهزج
فذكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا في الساقية لانه أراد بالبسيط
الماء وبالهزج صوت الساقية حال دورانها فقال له الشيخ ألا أنك درت فيها زمانا
حتى ظهرت لك وهذا الكلام في غاية الظرافة من الشيخ رحمه الله تعالى (وقال
ابن تميم)

وناعورة قد ألبستها حبالها * من الشمس ثوبا فوق أوراقها الخضر
كطاووس بستان يدور وينجلي * وينفض عن أرياشه بلل القطر

(وله)

أيدت لنا بالعذر ناعورة * أدمعها في غاية السكب
تقول لما غاب قلبي وقد * ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمي كله أعينا * تدور في الماء على قاي

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردي

ناعورة مـذعورة * للبين ثكلى حائرة
الماء فوق كتفها * وهي عليه دائره

(وله)

مالة الدولاب دلت * انه في فرط حزن
كان يـبـقـى ويعنى * صار يسقى ويعنى
(وقال) مؤلف الكتاب من مرثيته التي رثى بها دة شق وغيرها عند حلول الواقعة
المشهورة من التتار

أعرو سـنـا لك أسوة بحماتنا * في ذا المصاب فأنتم اختان
غابت بدور المحسن عن هالاتها * فاستبدلت من عزها بهوان
ناحت نواصير الرياض لفقد هم * فكأنها الافلاك في الدوران
(وقال ابن تميم)

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه في الر ياض طيور
ودولابها كادت تذوب ضلوعه * لكثرة ما يبكى بها ويدور
(وقال جمال الدين بن نبانة)

وناعورة قـمـت حـسـنها * على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاعتدت * تدور وتبكي على الصائح

(وقال مؤلفه) ارتجالا جسيما اقترح عليه والحالة كذا

كأن البحر اذ يز هو صفاه * ونور البدر بشرق والسواق
دموعي ثم وجهك يا حبيبي * وقلبي اذ شكك ألم الفراق
(قلت) ومن المداة انت اللطيفة ما كتب به المرحوم القاضي فخر الدين بن
مكاس الى الشيخ بدر الدين البشتكي سلمه الله تعالى (مولده سنة ثمان وأربعين
وسبعمائة) وقد دار في ساقية الهمائل وهو

دورة البدر في سواقى الهمائل * تركت أدمع العيون هوائل
 آمن للرياض نور أديب * مظهر من كلامه سحر بابل
 فاق سعياعلى بنى عجل فى الحجـود وأغنى عن الولي الهاطل
 زاد علماء على أبي ثور امكن * قال بالدور ماؤه والسلاسل
 قد أعاد الجناس حسن نوار * وأنت ثورية فهو ككامل
 يا سعيد الأثرى من النظم والنثـر فأنسى الورى زمان الفاضل
 قد سقيت الرياض يا شيخ بالدو رفها غصنها من السكر مائل
 لم تدع من نباتة لم تجدها * انها بالثنا عليك تواصل
 وابن قادوس كان طالع فى خد * منك اليوم بالاوامر نازل
 وغدا بالظلال كل أديب * فى هجر الرضاء بغضلك قائل
 وبروحى عيون نرجس روض * بغزل الحسن بالنداوى غازل
 أنت شنهفتها بشعر كزهرا * وبعثت المياه فيها انحلال
 كم غصون أيتها فاعليها * هاج للطير والمحب بلايل
 أنت فى الحالتين تصرفك الاحـرف أو كيمياء ذهنك واصل
 أنت لو لم تكن بحار علوم * ماجرت فى الرياض منك جداول
 كنت عندى أجل قدرا وقدر * تمن الثور للوجود الحامل
 وغدا قدس بين لفظك والرو * ض على الحالتين عندك باقل
 أنت يا بدر فقت بدر الدياجي * فلهذا تبدو وذلك آفل
 يا خليا أشبه الشجوة ان لم * يك عنى كدمع عيني سائل
 والأديب المحب يشكو هواه * للأديب المحب عند النوازل
 أنا مغرى بحب أحور المي * نافى بيزرى بغصن الجمائل
 من بنى الترك قدمه اللادن والمـحـظ كالأفانين أصبح ذابل
 أعين الزهر والغصون تراها * شاخصات اذامشى وموائل
 لا تغلبى الأعراب تحكم حـمنا * ماترى للأعراب هذى العوامل
 ماس عجبا وقصده يقتل الخـلـق قولا لا ولد لال دلائل
 لا تلم فى عذاره هتك شبي * أنا قد بعثت آجلى بالعاجل
 واعبرى أنت الذكى والـكن * أنت والله عن غرامى غافل

واثن كنت عاقلانتي من * صبوتني في الهوى عن العقل عاقل
هالك حالي شرحته فاعثني * ان تكن يا أخى لمي حامل
واطرح عتبتها فعيش الهيب من محبوب والعيش كالظل زائل
دمت يا جامع المحاسن والشمس لا زال غيت فضلك شامل
أنت بدر أم أنت شمس فانا * قد رأيناك غرة في الاصائل
وكفيت الحرار بأشرف القو * مومن جوده ينمى ابن باخل

(الباب الثامن في الباذهنج وترتيبه)

(قال) القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في باذهنج مطل على البحر
أنا نغمي من ابتهج * انعش الروح والمهج
وعن البحر بانسيم حديث ولا حرج
وقال ابن سناء الملك (توفي سنة ثمان وستمائة)

وباذهنج علا علا * لكنه قد هوى هواه
دام عليك النسيم فيه * كأنه يطلب الشفاء

(وقال) أبو الحسن عبد الكريم الانصارى

ونفحة باذهنج أسكرتنا * وجدت بروحها برد النعم
أتينا من أنيق الشكل سمع * ترام مثل راووق النديم
صفوا وجرى الهوى فيه رقيقا * فسمينا راووق النسيم

(ومما) يحسن ان ينشد على لسان الباذهنج قول بعض العرب

إذا الريح من تحو الحبيب تبسمت * وجدت لربها على كبدى بردا
وانى بهت باب النسيم موكل * طروب وبعض القوم يحسبني جادا

(والشيخ) برهان الدين القيراطي

يا طيب نفحة باذهنج لم يزل * بهوائه لنفوسنا تنفيس
مغرى يجذب الريح من افاقها * فكأنه للريح مغناطيس

(والشيخ) شهاب الدين بن أبي حجلة

وباذهنج لآخات * ديارنا من أنسه
كأنه متيم * يلقى الهوى بهتفه

(وله)

وباذهنج غدا في الجؤ منظر * من فوق منظره تبدو على سني
فانظر فديتك يا محبوب رفعت * واستدشق الريح من تلقاء ياسكني

(وله)

يا باذهنجي كم كذا * تعلو على بان الحمى
أبديت حقا زائدا * رفعت رأسك للما

(وله مضمنا)

ودار حكت قصر السمؤل فاعتدت * تباهى بينيان لها وتفول
أرى باذهنجي في الهواه ارتفاعه * يعز على من رامه ويطول

(وله مضمنا)

يا باذهنجي أمارثي لذي حرق * يبدى اهيب الجوى مذبات يخفيها
عودتنا صدقات من اطياف هوى * فامن على تريح منك يجرىها

(وله مضمنا)

يا باذهنجي لا برحت من الهوى * مثلى على حب الديار مولها
دارى بحبك دائما مشغوفة * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

(وله)

وباذهنج تراه * كنعن بان ترنج * يتر عند العطايا * لانه يترج

(وله ما غزافيه)

ورى جناح طوله * أضعاف ما في العرض

ما جار في شرع الهوى * وحكمه اذ يقضى

ولم يطمع كونه * بين السما والارض

(وقال أبو الفتح) بن فادوس يجره

لاك باذهنج قلب صلب له * نفس يصاءد لوعة المحرق

مات الذسيم به فأجونا * نبكى عليه بأدمع العرق

(والصدر الدين) بن عبد الحق (توفي تقي رياسنة ثمانين وسبعمائة)

في الباذهنج لا تنم * فما ارضاه دوى

لا يأمن الشخص الذي * يسرق في الليل الهوى

(ولشهاب الدين بن أبي حجلة)

وباذهنج ربحه * تفرم نيران الجوى
مدحتنه جهلابه * فراح مدحى فى الهوى

(وله مضمنا فيه)

هجا الشعر اجهلا باذهنجى * لان نسيه أبدا مليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صبح الهوى دعهم يقولوا
(وقال) شهاب الدين السنبلى المسالكى (توفى سنة أربع وستين وستمائة)
وباذهنج اذا حو المصيف أنى * أهدى الذيم وقد رقت حواشيه
مصغ الى الجوى مانا جاء نافحة * الاونم عليه فهو واشيه

(وأكثر الناس) ولو عا بالباذهنج القاضى العاضل فانه قال من رسالة انى من قوله فانه قال من
مدة سنتين وما قاربهما وهى المدة من تاريخها فرح بهجرة وكرى وعلوس من رسالة الخ هذا
شعرى قد نظمت مائتين وخمسين ألف بيت من الشعر بشهادة عيانها وحضور ما رأيناها بالاصل
ديوانها مثل قولى فى باذهنج شديدا لحرور كما أنما يتنفس نفس مصدر ما يناهز فليحررا

ألف بيت كل مقطوع منها يخرج العقول اختراعه ويعنى المحاسن بديع
ابتدائه ومثل قولى فى رجل طويل الاذان كأنهما فى رأسه خفان أو قد يحل
له منهما ما نعلان ما يقارب ألف بيت تجاوزت بهما وأوريت وما دخلت منها
الشاعر الى بيت ومثل قولى فى رثاء الوطن الذى درجت من وكره ونجرت فلم
أخرج عن ذكره ما يناهز عشرة آلاف بيت ومثل قولى

فى مدايح مخصوصه * واهاجى مخصوصه

(وللشيخ) برهان الدين القبراطى ملعزافيه

أهواهنا المختافه * قد أصبحت مؤتلفه
فى شامخ بأنفه * على العواالى أنفه
وذى جناح لم يطر * وكل طير ألفه
جناحه طول المدا * يبدى علينا فرقه
كم من كئيب عاشق * أهدى له مشرفه
ولا يزال مرسلا * لنحوه ملطفه
فى الریح ضاع قول من * على هواه عنفه
عليه العجيج كم * شفى قلوبا دنقه

وروحـه لطيفـه * وذاتـه متصرفـه
 من قبلـه الدين ارى * حب الهوى قد صرفـه
 ولم يكن مع الهوى * أعطافـه منعطفـه
 هواه تحت طوره * كيف يشاء صرفـه
 كم همت غمامـه * هامتـه المنكشفـه
 مازال غير ساكن * ساكنـه مذلـفـه
 وكلما لاح له * من الهواه التقفـه
 ففى الوليد ذاته * بذاته مؤتلفـه
 سكانها سمها * فى الغرب ببدى حيقـه
 فيه تشى عصبـه * قد أصبحت مصيفـه
 بيد رذوالرشد ولا * ينسبه الى السلفـه
 جدت مع تبذيره * وبذله تصرفـه
 وكل ما أسرف فى * بلد شكرنا أسرفـه
 ونصفـه مع جبل * ملك سطاء متلفـه
 تعجيف ثلثيه جلت * فض حديثـه الشغفـه
 وثلثـه حرفان بل * حرف فدع من حرفـه
 أنفاسـه كم أودعت * محاسنـه نامسـه تطفـه
 كم رقت من غصن * ذى قامـه مدهفـه
 معتلة هو الحبيب مع عند من قد عرفـه
 وعرفـه يعرفـه * بالطيب حل عرفـه
 وثوبـه الايض لا * يزال يبدى صافـه
 آخره مصنف * لعالم قد صنفـه
 وبيت سلطان غدا * يصون فيه تحفه
 يكنى بسدى لفظـه * عصابة مستنكفـه
 وسدسه ارى الاما * والارض والماء بالفه
 فاكشف معنى قلبـه * فتلـكم من كشفـه
 تنهار ذهنكم على * من الظالم سدوفـه

يجرى لحل المشكل * ثم يخنف توقفه
 وبحركم دروما * صادفت فيه صدقه
 والرقاب قادت * هباتك المؤفقه
 كل البرايا نكرة * وأنت فيهم معرفه
 وخذعروا شنت * مدجيت مشنفه
 زهير لوبان له * زهر جلاها قطفه
 أغشى سناء طرفها * اذلاح طرف طرفه
 حديقه حاسدها * برعد مثل السعفه

* (الباب التاسع في النسيم ولطافة هبويه) *

وانما كرت النسيم لانه من لوازم البادهنج والنسيم الريح الطيبة ونسيم الريح
 اولها حين تقبل بلين قبل ان تشتد (ومنه) الحديث بعثت في نسيم الساعة أى
 حين ابتدأت وأقبلت وما أحسن قول بعضهم * نسيم الريح نسيب الروح
 (قال) أبو بكر يا يحيى بن على الخطيب التبريزي الرياح المعروفة أربع
 (الصبا) وهى تسلى عن الكروب (والجنوب) وهى تجمع العحاب (والشمال)
 وهى تعصره وتفرقه (والدبور) وهى تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى المذكورة
 فى القرآن الريح العقيم وريح عاصف وريح صرصر وكل موضع جرى فيه ذكر
 الريح فالمراد بها الدبور والمراد بها العقوبة وكل موضع جرى فيه ذكر الرياح فى
 القرآن فانه يرجع الى الثلاثة التى تقدم ذكرها فإيرادها الرحمة (وقيل)
 الرياح ثمان أربع من الجهات الاربع وأربع تسمى النكب ليلها وتنكيبها
 عن الجهات الاربع فالشمال من ناحية الشام وذلك عن يمينك اذا استقبلت
 قبلة العراق فهو بها من تحت بنات نعش ويقابلها الجنوب وهى باردة يابسة
 صافية من الكدر تشد الاعضاء وتسد المسام وتحصر الحرارة فى الباطن
 فينضم الغذاء وتصفوها كدورة الروح الحيوانى الذى فى القلب من الانجرة
 الدخانية وتديم الصحة وتقوى حواس الدماغ وذلك ان وصلت الى الجسم
 باعتدال وهى قليلة المهبوب ليلها ولذلك تقول العرب فى أحاديثها ان الجنوب
 قالت للشمال انى عليك فضلا لاني أسرى وأنت لا تسرى فقالت الشمال

ان المحرقة لا تسرى وكان للتوكل بيت مال يسمى به بيت مال الشمال فكلما هبت
شمالا تصدق بألف درهم وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه (قول) سحيم
عبد بني الحنظلة

وهبت شمالا ذآخرا لليل محيرة * ولا ثوب الا درعها وردائها
فما زال بردى طيبا من نباتها * الى الحول حتى انج البرد باليا
فقال عمر انك مقتول فاتهم بعد ذلك بامرأة فقتل (قال) أبو نواس (توفي سنة
ثمان وتسعين ومائة) وفيه ثلاث روايات

هبت لنار يح شامية * منت الى القلب بأسباب
أدت رسالات الهوى بيننا * عرفت هامر بين أصحابي
(يحكى) ان الصاحب بن عباد رجه الله تعالى (مولده سنة ست وعشرين وثلثمائة
وفاته سنة خمس وثمانين وثلثمائة) كان اذا سمع هذين البيتين ترنخ لهما (قال)
الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف القيسي حدثني من دخل سجستان وكرمان
ان جميع ارجائها هم ودواليهم تدور بريح الشمال قد جعلت منصوبة تلقاها
وان هذه الريح تجري عندهم على الدوام صيفا وشتاء وهي في الصيف أكثر
وأدوم وربما سكنت في اليوم واليلة مرة أو مرات فيسكن كل رجي ودولاب
بذلك الاقليم ثم يتحرك فيتحرك وذكرا ان هذه الدواليب المنصوبة بها اثنا عشر
ألفا وتقطع بانقطاعها قال والمخصب والقحط في بلادهم معتبر بكثرة جريان
ريح الشمال وقلته قال ولهم في الارحاء منافس تغلق وتفتح ليقل ويكثر وذلك
انها اذا كانت قوية أحرق الدقيق فيخرج به اسود وربما جى الرحاء
فانغلاق فهم محتاطون لذلك بما ذكرناه والصبيان تأتي من مطلع الشمس وهي
القبول والدبور يقابلها وهي معتدلة ولا سيما ان هبت قبل طلوع الشمس
في زمان الربيع وهي لطيفة صافية تذكى الاذهان وتبسط الأخلاق لا سيما
ان مرت بمروج أزهار نافعة فانها تحمل قواها الى القلب والدماغ والى نفعها
أشار الشاعر

وصبا أنت من قاسيون فسكنت * بهوبها وصب الغواد البالي
خاضت مياه النيرين عشيبة * وأنتك وهي بليلة الاذبال
(وقال سيف الدين) المشد (ومولده سنة اثنين وستمائة وتوفي سنة خمس وخمسين

وستمائة)

مسكية الا نفاس على الصبا * عنها حديثا قط لم يعل
جنت لما ان سرى عرفها * وما ترى من جن بالمنديل
(وقال) بحير الدين الخياط (ومولده سنة خمسين وأربعمائة ووفاته سنة أربع
وعشرين وخمسمائة)

يا نسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد دراني شذاك فبالله متى عهده باطلال نجد
(قال المهيار) الديلمي وتلطف (توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)
جاءوا ربح الصبا بشركم * قبل ان تحمل شيئا وخزاما
وأبعثوا لي في الدجى طيفكم * ان أذنتم لحقوني ان تناما
(وروى) المرزبان باسناده ان المجنون خرج مع أصحاب له ليمتار من وادي القرى
فربح بلي نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت لي تنزلما قال فأى
ربح تجبري من نحو أرضها الى هذا المكان فقالوا الصبا فقال والله لا أبرح
حتى تهب الصبا فأقام في ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا لهم وله ثم أتوا فحبسهم
حتى اذا هبت الصبا رحل معهم وفي ذلك يقول

أيا جيلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ربح متى ماتت * على نفس مهموم تجلت همومها
(وضمن البيت الاول) الشيخ صفي الدين الحلي في مايج اسمه نعمان فقال
أقول وقد عانت نعمان ليلة * بنور محياء أثار ادعها
وقد أرسلت الياء نحوى فسوة * يروح كرب المستهام شميمها
أيا جيلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
(أقول) وعلى ذكر نعمان والكناية عنه فبالطف ما ذكره الشيخ بدر الدين
حسن بن زفر المتطبب الاربلي في كتابه روضة المجاليس ونزهة الانيس وهو ان
بعض الرؤساء قال أخبرني بعض الاصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لي
بالموصل اذ جاءه كتاب من بغداد من صديقه له فيه تشويق وفيه هذا البيت
عتاب وهو

تأسيتهم العهد القديم كائننا * على جبلى نعمان لم نجتمع
فأنه ذى ستحسن هذا البيت ويهتزله فقلت له بالله عليك يا فلان أسألك شيئا
ولا تخفه عنى قال سل قلت هذى معشوقتك صاحبة هذا الكتاب هل كنت
تأتيها من وراء الدار فقال أى والله ومن أين علمت ذلك قلت من هذا البيت
لافتها ذكرتك فيه بجبلى نعمان وجبلى نعمان كناية عند الظرفاء من الناس عن
جانبى كفل المليحة والمليح فقال والله ما أدركت من هذا البيت الذى أدركت
(وكان) ليبيد بن ربيعة العامري آلى فى الجاهلية ان لا تهب صبا الا نحر وأطعم
الناس حتى تسكن والزم نفسه ذلك فى الاسلام فلما كانت أيام عثمان جعل
ديوان ليبيد بالكوفة وخطب الوليد بن عقبة الناس بها فى يوم صبا فقال معاشر
الناس ان أنا كم ليبيد آلى فى الجاهلية الا تهب صبا الا أطعم الناس حتى تسكن
وقد ألزم نفسه ذلك فى الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه وأنا أول من
يعينه ونزل فبعث اليه مائة بكرة وكتب اليه يقول

أرى الجزار يشخذ شفرتيه * اذاهبت رياح أبى عقيل
أشم الانف أصيد عامرى * طويل الباع كالسيف الصقيل
ووفى الجعفرى بما عليه * على الغلات والمسال الثقيل

(فلما) أتاه الشعر قال لابنته يا بنية أجيبه فقالت

اذا هبت رياح أبى عقيل * دعونا عندهم بها الوليد
أشم الانف أصيد عبثيا * أعان على مرقته ليبيد
بأمثال الهضان كأن ربكا * عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعدان الكرى له معاد * وظنى يا ابن أروى ان تعودا

(فقال) أبوها أحسنت لولا انك استطعتيه (وليبيد هذا صحابى قدم على النبي
صلى الله عليه وسلم مع قومه بنى جعفر بن كلاب وهو صاحب إحدى القصائد
المعقلات التى أولها)

عفت الديار محلها فقامها * وانما أمر ابنته ان تحيب الوليد
لانه لم يقل شعرا منذ أسلم وقال بعضهم لم يقل فى الاسلام الا قوله
الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى * حتى اكتسبت من الاسلام سريالا

وقيل هذا البيت لغيره وهو أصح وقيل هذا البيت الذي قاله في الاسلام بيت
عجزه * والمرء يصلحه القرين الصالح * وقال له عمر رضي الله عنه يوما يا أبا عقيل
أنشدني شيئا من شعرك فقال ما كنت لأقول شعرا بعد أن علمني الله البقرة
وآل عمران فزاده في عطائه خمس مائة وكان ألفين وقالت عائشة رضي الله عنها
رويت من شعر ليبيد اثني عشر ألف بيت وقالت أيضا رحم الله ليبيدا (حيث قال)

ذهب الذين يعاش في أكافهم * وبقيت في خلف كجناد الجرب
(قلت) كيف لو أدرك زماننا (وكان) لابن الجوزي رحمه الله تعالى زوجة اسمها
نسيم الصبا فاتفق أنه طلقها فحصل له بعد ذلك ندم وهيام أشرف به على العدم
فحضرت في بعض الأيام مجلس وعظه فحين رآها عرفها فاتفق أنه جاء امرأتان
وجاستا امامه فحجبناهما عنه فأنشد في الحال * أيا جيلي نعمان بالله خليا
وهذا من جملة لطائفه وظرائفه ومنها أنه أنشد في بعض مجالس وعظه
أصبحت ألطف من مر النسيم بمرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلني
من كل معنى لطيف أجتني قدحا * وكل ناطقة في الكون تطربني
فقام إليه انسان وقال فان كان الناطق جارا فقال أقول له يا جارا اسكت
(وقال) صلاح الدين الصفدي

صدق على نعمات الصبا * فيماروت عنكم وما شك
قال لا أخبر منها بما * جاءت به قلنا ولا أذكي

(وقال جمال الدين بن نبابة)

يداوى أسا العشاق من نحو أرضكم * نسيم صبا أضحي عليه قبول
بروحى من ذاك النسيم اذا سرى * طيب يداوى الناس وهو عليل
(وقال) شهاب المحاجي (توفي قريبا من سنة سبعين وسبعمائة)

لاتبعثوا غير الصبا بتحية * ما طاب في سمعي حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرها في الله ما أذكاه

(وقال بدر الدين بن الصاحب)

أسكرتم ريح الصبا بالشذا * حتى أذاعت سمرنا بالبطاح
لا تعقبوها ان أذاعت هوى * ففاعلى السرى بهذا جناح

(وقال) بدر الدين حسن العربي (ومولده سنة ست وسبعمائة ووفاته سنة

خمس وخمسين وسبع مائة)

سرت من بعيد الدار الى نعمة الصبا * فقد أصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالنداء * ومن تعب أنفاسها متتابعة
(ولما أنشدتهما) السيد القاضى صدر الدين بن الأدمى فسمع الله فى أجله (مولده
سنة ثمان وستين وسبع مائة) قال لوقال الشيخ بدر الدين فقد أصبحت معتلة وهى
ظالعة لكان أحسن من قوله حسرى (واعمرى صدق فيما قاله) وما أطف
القاضى أمين الدين عثمان بن عطايا فى قوله

أنا أهوى غصن النقا وهواه * وفؤادى بحبه فى التيه
يانسيم الصبا ترفق عليه * وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا * كأمين فى جاهها ارتضيه
واذا لم يكن رسولى نسيم * نحو غصن النقا فن يثنيه

(وللشيخ) شمس الدين الواسطى من متأخرى شعراء الديار المصرية من مشيخه
نسايم الاسحار * بنشرها الفواح * تحرك الاغصان * لانها أرواح
فقم بنا نسيم * لمربع يانع * للماء والمرعى * فيه غدا جامع
قد أطرب السعدا * قربه الساجع
كانما تكرار * غناه فى الادواح * ضرب من العيدان * لمن غدا أرواح
(ولمؤلف الكتاب) لطف الله به

ان هبت الارواح من نحوهم * فانتشت الاشباح من راحها
لا تعتبونا فى الهوى واسكروا * أشباحنا حمت لارواحها
ولم أر أحدا وصف الريح غير الأديب أبى القاسم أسعد بن على الكاتب المترسل
(فى قوله) كان شكل الهلال قرط * أو عطفة النون أو قلامه
كان لون الهوا عمام * أو سندس رقيق أو غمامه

(حكى ان نور الدين) على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب مزمع جماعة
من الادباء المصريين ومنهم أبو الحسين الجزارفرافى طريقهم ببلج نائم تحت
شجرة وقد هب الهوى فكشف ثيابه عنه فقال أبو الحسين الجزار فرافى فقال
كل واحد منا فى هذا شيا قال فقال لبت ان قال نور الدين
الريح أقود ما يكون لانها * تبدى خبايا الردف والاعكان

وتميل بالأغصان عندهموبها * حتى تقبل أوجه الغدران
وكذلك العشاق يتخذونها * رسلا إلى الأجباب والأوطان
(فقال) أبو الحسين ما بقي أحد منا يأتي بمثل هذا سير وابنا * وقال النور
الاسعدي (ووفاته سنة ست وخمسين وسقائة)

تميل الريح بالأغصان لطها * كمالت بشاربها العقار
وتجمع يديها من بعد بعد * وأوراق الغصون إهالزار
وتخفق غيرة عند التلاقي * فهل أبصرت قودا يغار
(وما حسن قوله) وإن كان في غير ما نحن فيه

اعدى سقام جفونه * جسمي وأعدمني الكرا
حتى اعتلت بسرعة * مثل النسيم إذا سرى
(وأنشدني) من لفظه لنفسه الشيخ العلامة عز الدين أبي الخير علي ابن الشيخ
بهاء الدين الحسين الموصلي تغمده الله بالرحمة

رب نسيم قد سرى * نحدوس حجابا مطرا
أذ ياله بليلة * تخبرنا بما جرى
(وأنشدني) من لفظه لنفسه سيدي الشيخ وأخي تقي الدين أبي بكر بن حجة الحموي
فسبح الله في أجله من قصيدة تبوية أولها

شدت بكم العشاق لما ترغوا * فغنوا وقد طاب المقام وزم
وضاع شذاكم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم
ولما روى أخبار نشر تغورك * أراك الحمى جاء الهوى يتبسم
(وقال) القاضي مجير الدين بن عبد الظاهر

شكر النعمة أرضهم * كم بلغت عني تحية
كم قد أطالت بل أطا * بت في رسائلها الزكية
لا غروان حفظت أحا * ديث الهوى فهي الذكية

(ومن) هنا أخذ صلاح الدين الصفدي قوله وهو حسن عندي
باطيب نشر هب لي من أرضكم * فأنا ركامن لوعتي ونهكي
أهدي تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذاكم أن ذا نشر دكي
(وقال) شهاب الدين بن أبي حجة مخاطبا صلاح الدين

ان ابن ابيك لم تزل سرقته * تأتي بكل قبحة وقبح
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا وراح كلامه في الريح
(وكان) القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى يحب مغنيا اسمه
النسيم وله فيه عدة مقطوعات وقد ذكر بعضها الشيخ شهاب الدين بن أبي جلة من
رقعة كتبها الى القاضي علاء الدين بن فضل الله في منزلة الالهram قال وقد كان
تقدم من انعامه ثوب صوف أحر * ونصفه في يوم ماطر ونسأل الله تعالى ان
لا يخل ذي العارض الماطر من جاءه ولانا العريض وحلل انعامه التي هي
كالذنانير المحر والدرهم البيض ونصف مبيته في هذه المنزلة التي أصبحت
كأيلة القدر عندي ذات أنديه وخيامها التي ودلو كان طائفة بها سعدا لا خيبة
وبردها اليابس الذي لم يترك منه رطبا سوى لسانه بصالح الادعية هذا
وافرم يضرب حتى اللحية بالشيب وأبو الهول الى جانبه يرجع حين يرجع
بالغيب فان شئت من هوله فالهرم امامي وان قررت من نسيمه فهو ناقي
خافي وقدامي

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس حيث حل حبيبها
فلوحكم به على القاضي محي الدين بن عبد الله الظاهر رحمه الله تعالى وقد حى
به وبه الوطيس لاشتغل بنفسه ولترك محبوبه النسيم في الريح المريس
وذلك بعد ان قال فيه

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذي أنزلهم باليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سديلا
(فقلت) كأنني حاضر خاطبه

ان كمت في عشق النسيم متيما * وزعمت ان هواه ليس بخائف
فأنا أقول ان تحرش بالهوى * عرضت نفسك للبلاء فاستهدف
(وقال القاضي محي الدين) بن عبد الظاهر فيمن اسمه نسيم

يا من غدا الى من عوا * صف هجره الريح العقيم
أترى يطيب الى الهوى * ويقال لي رق النسيم

فقلت له عجاوبا

بالله ان رق النسيم وأخذت * نار تؤججها يد التبريح

تقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العذول وقوله في الريح
(قلت) وعلى ذكر الشيخ شهاب الدين بن أبي جولة في رسالته المذكورة في ليلة
من جمادى ذات أنديّة (ذكرت) ما قاله الشيخ المحدث الرحلة فتح الدين محمد بن
محمد بن محمد بن سيد الناس رحمه الله تعالى قال كان القاضي نضر الدين بن نعمان
والقاضي تاج الدين أحمد بن الأثير (توفي تاج الدين سنة سبعين وستمائة) صحبة
السلطان على تل الجحول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبغا فاتفق أنه دعي للملك
المذكور بالطنبغا فقال له نعم ولم يأت به وتكرّر طلبه له وهو يقول نعم ولم يأت به
وكانت ليلة مظلمة مطيرة فأتى ج نضر الدين رأسه من الخيمة وقال تقول نعم ولم أرك
(فقال تاج الدين)

في ليلة من جمادى ذات أنديّة * لا يبصر الكلب في أرجائها الطنبغا
(وقال بعض العشاق)

ألا يا نسيم الريح مالك كلما * تدانيت منازاد نسر طيبا
أظن سلمي خبرت بسقامنا * فاعطتك رباها فحيت طيبيا
(وكان) أبو الفرج الوأواء محمد بن أحمد الدمشقي من حسنة الشام وصناعة
الكلام وكان مبدأه مناديا بدار البطح بدمشق قال قال ابن جردون كان
الفتح بن خاقان يأنس بي ويطلعني على الخاص من أموره فقال مرة يا أبا عبد الله
لما دخلت البارحة الى منزلي استقبلتني جارية من جوارى فلم أتمالك
دون أن قبلتها فوجدت بين شفقتيها هوى لور قد المنجور فيه لها فكان ذلك مما
يستملح ويستظرف من الفتح بن خاقان فسمع الوأواء ذلك (فقال)
سقى الله ليلاطب اذ زاد طرفه * فأفنيته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرى * فلور قد المنجور فيه أفاقا
(وقال علاء الدين الجويني) صاحب الديوان دوبيت

لله مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر
قد فرق بيننا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاء نسيم المهر
(وما أطف) ما قال سيدي تقي الدين بن حجة أبقاه الله تعالى من موشحة امتدح
بهما سيدنا ومولانا الامام العلامة المقتضى القاضي القضاة أبي الحسن علاء الدين
الشهير بالقصا الحاكم بمدينة حماه المحروسة أسبغ الله عليه ظلاله مضمنا

بالله يابرق ان أومضت في الثغر * وحارس اللحظ في شك من الخبر
 قف بالثنيات واذا كرنى اذا عذبت * سهلات عذيب الثغر في السحر
 وارسل حليل التسميم خلقي * معسرفا بالشذا ومشفى
 ولا تقل انه المعتل في شغل * فربما صحت الاجساد بالعلل
 (وللقاضى الفاضل)

بالمة البرق بل يا هبة الريح * روحى بجسمى الى من عنده روحى
 تخذى لهم من دموى عنبر عبقا * وأوقديه بنار من تباريحى
 ناشدتك الله الا كنت مخبرة * عنى بأنهم ذ كرى وتسديحى
 (وذكر الوهرانى) فى أول منامه هذه الايات ولم أدر هى له أم لغيره (توفى سنة
 خمس وسبعين وخمسمائة)

أيا نعمة أهدت الى تحية * ينم عليها العرف من أم سالم
 مشى فى اراك الواديين فنبت * به كل نشوان المعاطف ناعم
 ألا انما أحكى بدمعى ولوعتى * بكاء الغواني وانتحاب الجمائم
 (حكى من الاصمعى) أنه قال كانت امرأة من العرب تأتى بصديقة لها قبل الصبح
 فتقف على تل عال هناك وتقول أى بنى تخذوا صفوه هذا التسميم قبل ان تذكره
 الخلائق بأنفاسها (ولمؤلف الكتاب) لطف الله به من قصيدة
 ألا يا نعمة الريح * وفى أيديك تربيحى
 قفى أسألك عن قلبى * وان شئت أقل روحى

* (الباب العاشر فى الفرش والمساند والأرائك) *

ذكر القاضى الرشيد أبو الحسين أحمد بن القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه
 الجوائب والعارف والمدايا والتحف انه لما عزم المتوكل على اعدار المعتز أمر الفتح
 ابن خاقان بالتأهب لذلك وان يلبس فى خزائن الفراش بساطا لايوان فى طوله
 وعرضه وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسين ذراعا فلم يوجد الا فى ماضى من
 بنى أمية فانه وجد فى أمتعة هشام بن عبد الملك على طول الايوان وعرضه وكان
 بساطا لم ير لاحد مثله ابريسمى مذهب مقزوز مبطن فلما رآه المتوكل استحسنه
 وبسطه فى الايوان بعد ان قوم فى أوسط التقويم بعشرة آلاف دينار ونصب

للخليفة في صدر الايوان سرير ومذبين يديه أربعة آلاف مرفع ذهب مرصعة
 بالجواهر فيها تماثيل العنبر والمسك والكافور الممول على مثل الصور منها ما هو
 مرصع بالجواهر مفردا ومنه ما عليه ذهب وجوه ووجعلت بساطا ممدودا وقعد
 المتوكل والناس جلوس وهو على سريرته وحضرت القواد والامرء والنساء
 وأصحاب المراتب وجلسوا على مراتبهم ووضعت بين أيديهم من الجانبين والسماط
 فرجة وجاء الفراشون بزمل غشيت بأدم مملوءة دنانير ودراهم نصفين وصب في
 تلك الفرجة حتى ارتفعت وقام الغلمان دونها وأمر الناس بالشرب وأن ينتقل
 كل من يشرب من تلك الدنانير والدراهم ثلاث حفقات بمقدار ما حلت يدها
 وكلما فرغ صب فيه من الزمل حتى يرد إلى حالته ووقف غلمان في آخر المجلس
 فصاحوا ان أمير المؤمنين أمر أن يأخذ من شاء ما شاء فخذوا أيديهم إلى المال
 وأخذوه وكان إذا أثقل الواحد ما في كفه ناوله إلى غلمانه ثم يعود إلى مجلسه وخلع
 على من حضر ثلاث خلع حسان على مراتبهم وأقاموا إلى أن صليت العصر
 والمغرب وجلوا عند انصرافهم على الخيل والمهاري وأعتق المتوكل عن المعتز
 ألف عبد وأمر لكل واحد منهم بمائة درهم وثلاثة أثواب وكان في حصن الدار
 بين يدي الايوان أربع مائة مكبة عليها أنواع الثياب وبين أيديهم مائة مكبة فيها
 أنواع الفاكهة وتقدم إلى صاحب الباب ان ينثر واعي خدام الدار والحاشية
 ما كان أعداهم وهو ألف ألف درهم فلم يقدر أحد على التقاط شيء فأخذ الفتح
 درهما فأكب الجماعة على المال فنهبوه وكانت قبيحة أم المعتز بالله قد تقدمت
 بضرب دراهم عليها مكتوب بركة من الله واعذار أبي عبد الله فضرب ألف ألف
 درهم نثرت على وجوه الغلمان والشاكرية وقهرمانات الدار والخدام والخاصة
 من الصبيان والسودان (وسأل) أبو العباس الصولي حرملة المزني كم وصل
 إليك من اعذار المعتز فقال صار إلى أن وضع الطعام نيفا وثمانين ألف دينار
 سوى المصانغ والنخواتيم والجواهر وحضر المجلس محمد المنة نصر وأبو أحمد
 وأبو سليمان ابن الرشيد وأحمد وأبو العباس ابن المعتصم وموسى بن
 المأمون وأبنا جدون النديم وأحمد بن أبي رويم والحسين بن الضحاک
 وعلي بن الجهم وعلي بن يحيى المنجم وأخوه أحمد ومن المغنيين عمرو بن بانة
 وأحمد بن أبي العلاء والخفص بن المكي وسليمان الرازي وثمره وسلمان

الطبال والمسدد وأبو شيشة بن الفضل وصالح الدفاف وزناب الزامر
وتقاح الزامر ومن المغنيات شريب وبدعه جاريتها وشراب وجواريتها
وندمان وتنغم ونحلة وتركية وقديرة وراثك وعرفان قال وأقام
المتوكل بالفصر ثلاثة أيام ثم صعد إلى قصره بالجعفرى وتقدم إلى إبراهيم بن
العباس يعمل حساب ما انفق فاشتمل على ستة وثمانين ألف ألف دينار وفضل
بعد القسم عن الناس وانخرج الخمس مما فى المداخن بساط كبرى أنفذه إلى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقسمه بين الناس فأصاب على قطعة منها
بشرين ألف دينار وما كانت بأجود القطع وكانت الفرس تسميه القطف
وكان طولها ستين ذراعاً فى عرض ستين حبر فيه طرق كالصور وفيه فصوص
كالأنهار وخلال ذلك فى الإفريز وفى حافته كالارض المذروعة المقبلية بالنبات
فى أوان الربيع فى قصبان الذهب والفضة ونواره كالجواهر واشبهه ذلك
وشبهه فصوص ورسمه بالجواهر وزخرفته بحريرو ذهب وكانوا يدنونه لشتاء إذا
ذهبت الرياحين وأرادوا الشرب شربوا عليه فكأنهم فى رياض وكان أفضل
مال أصيب بالقادسية وكانت قيمته ستة وثلاثين ألف ألف دينار (ووجد)
لام المعتز بالله ثلاث دواويج كانت تستعملهن فقوم الدواج بأكثر من ألف دينار
ووجد لها جلود السمور فتحلق ما عليها من الوبر وترمى الجلود فإذا اجتمع من
ذلك ما يكفى الدواج تترفيه مع فتت من المسك والعنبر وتجعله بين البطانة
والظاهرة عوضاً عن القطن (وقال) القاضى الفاضل

بساط يرى التيجان تهوى للثمة * فها هو الا قبلة أو مقبل
إذا نشرت من نقشه لك روضة * بدا فوقها من كفه لك جدول
وأفضل أجزاء الجسم رؤسها * وأرجالها فى وطئ بسطك أفضل
(دخل) محمد بن عمران على المأمون ذات ليلة فجعل يأمره وينهاه ثم دعاه بمتكاه
فقال أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ما كنت لأكفى فى مجلسك فقال له ان على
قلبك من بدنك ثقل أو مؤونة فأردنا ان يسترى بدنك ليفرغ لنا قلبك (وقال
محي الدين بن عبد الظاهر) ملغز فى شربة

وهندية موطوءة غير أنها * إذا فترشت أغرتك بالبيض والسمر
تعايق من أعطافها خيزرانة * وتلمع من أزرارها طالع البدر

وأعجب من ذا أنها اذ تقيسها * تقوتك عولاهى تعزى الى شبر
 (وأنشدنى من افظه) لنفسه الشيخ الفاضل بقية المتأخرين شمس الدين محمد بن
 بركة الجراحي سلمه الله تعالى (مولده سنة خمس وثلاثين وسبعمائة)
 يقول محدثى لما اضطلعنا * ووسدنى حبيب القلب زنده
 قصدم عند طبيب الوصل هجرى * خذونى تحت رأسكم ومخده
 (وأنشدنى لنفسه أيضا)

بشكاه نظرت * قالت بلفظ موجز
 على الحوير قد سما * قدرى والمطرز

(وقال) الشاعر نظريف محمد بن العفيف

بساط يلاّ الابصار نورا * ويهدى للقلب به سرورا
 ويشرح حين يبسط كل صدر * ونخيرا بسط ما أرضى الصدورا

(وقال ظافر الحداد) فيما يكتب على كرسى

نزه لحاظك فى غريب بدائى * وعجيب تشبيهى وحكمة صانع
 فكأننى كما يحب شبكت * يوم الوداع أصابعا بأصابع
 (وذكر القاضى الرشيد) بن الزبير فى كتابه الجوائب والطرف قال الفضل بن
 الربيع لماولى محمد الامين الخلافة فى سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرنى أن أحصى
 ما فى الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة فاجتمعت كتاب الخزائن
 وأقاموا أربعة أشهر يحصون فأشرفت على ما لم أتوهم أن خزائن الخلافة
 تحويه ثم أمرهم أن يعملوا لكل صنف جملة فكان فى خزائن الكسوة أربعة
 آلاف جبة منسوجة بالذهب وعشرة آلاف قميص وغلالة وعشرة آلاف
 خف وألفا سروال وكثير من أصناف الثياب وأربعة آلاف عمامة
 وألف طيلسان وخمسة آلاف منديل من أصناف المناديل وخمسمائة
 قطعة خز ومائة ألف وسادة ومخدة خز وألف بساط ملون وألف مخدة ميسانى
 وألف وسادة ميسانى وألف بساط طبرستانى وألف وسادة ديباج وألف
 وسادة خز مرقوم وألف ستر حرير ساذج وثلاثمائة ستر مرقوم وخمسمائة
 بساط طبرى وألف وسادة طبرى وألف مرقعة وألف مخدة طبرى ومن الآنية
 ألف طست ذهب وألف إبريق ذهب وثلاثمائة كانون فضة وذهب وألف

نور شمع ذهب والف قطعة نحاس من سائر الاصناف والف منطقة ذهب
ثم ذكر السلاح واصنافه وقد ذكرته في باب

(الباب الحادي عشر في الاراييح الطبية والمروحة وماشا كل ذلك)

(قال انس بن مالك) رضى الله عنه دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فنام
عندنا فعرق وجاءت امي بقارورة فجعلت تسلك فيها العرق فاستيقظ فقال
يا ام سليم ما هذا الذي تفعلين قالت عرقك نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب
وما احق هذا الطيب بقول القائل وهو الشيخ (عزالدين الموصلي)

تنشق مسك اصداغى حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

(وقال عمر بن الخطاب) رضى الله عنه لو كنت تاجر اما اخترت غير المسك ان فاتني
ربحه لم يفتي ربحه (أهدى) عبد الله بن جعفر لمعوية قارورة من الغالية فسأله
كم أنفق عليها فذكر مالا كثيرا فقال هذه غالية فعميت بذلك (وما أحسن) قول
أبي بكر الخوارزمي (توفي سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة)

وطيب لا يحل بكل طيب * يحميننا بأنفاس الحبيب

متى تشمه أنف حن قلب * كأن الأنف جاسوس القلوب

(وكان) يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز رضى الله مسك للمسلمين فيما أخذوا نفعه
لئلا يصيب الرائحة ويقول وهل ينتفع الا بربحه وقال جعفر بن سليمان الهاشمي
في الطيب أربع خصال لذة ومروعة ومنفعة وسنة ولما دخل عمر بن عبد العزيز
بقاطمة بنت عبد الملك بن مروان ابنة عمه أوقد في مسارجها تلك الالية الغالية
فقوم ثمن ذلك فبلغ عشرين ألف دينار (نادرة) تبخر بعض الامراء وعنده مزيد
ففرطت منه رويحة خفيفة وأراد ان يدري هل فطن لها مزيد فقال ما طيب
هذه المثلثة فقال نعم الا أنك ربعتها (سئل) جالينوس عن منافع الطيب فقال
المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يصلح الرئة والعود
يقوى المعدة والغالية تحلل الزكام والمثلث ينشف العرق (وقال ضياء الدين
المناري) في المسك

المسك انفس طيب * مثل الشباب وزينه

اذا كان للطيب عين * فالمسك انسان عينه

الندى كريم * سقياله واغرسه

لما أراد برينا * للهند نسبة جنسه

غدا على النار ماقى * يجود فيها بنفسه

(وقال الشيخ زين الدين ابن الوردى)

تجادلنا أماء الزهر أذكى * أم الخلاف أم ورد الغطاف

وعقبى ذلك الجدل اصطالحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ولبعضهم في مبخرة

عطرت مجلسى بنية طيب * اعروا شكاهما بحسن البخارى

واذا اعتل للنسيم بخار * اسندوا نحوها صحيح البخارى

وللشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة فيها

ومبخرة تمكى المتيم فى الهوى * تبوح بما تلقاه من شدة الكرب

تقول وقد نمت بعرف بخورها * أأكرم ما ألقاه والنار فى قلبى

(وأنشأه) لطف الله به وإن كان غير مقصودنا

مذباغى بالآس لا * بالبان من اعطافه

حكموا بجمعة يبعه * مع علمهم بخلافه

(وله)

سرحت مشطى سائلا * تصحيف قولى غاليه

ان لم تجدد برخصها * فالنار منها غاليه

(وقال الشيخ) جلال الدين بن خطيب داريا

حكيت فى اللطف نسج العنكبوت على * انى ظهرت لكم من جوهر قاصى

يكاد أن لا يرانى غير ذى نظر * من اللطافة الاطيب أنفاسى

(صفة غالية طيبة لذيدة) يؤخذ مسك جيد جزء وعنبر ربع جزء ومسك

جزآن وسنبل الطيب جزء يسحق الجميع ناعما ويغتن بدهن بان ويرفع ويستعمل

(صفة نذ) له فى تفريح القلب أمر عجيب وفعل بالغ غريب يؤخذ عنبر جيد

فيوضع فى اناء مسطح من نحاس على نار ويصب عليه شئ يسير من ماء ورد ويترك

الى ان يلين ويدعك ويعلق به وزنه مسك جيد ومثل نصف وزنه عودا مسهوقا

و يدهك دعكاً جيداً وييسط على رخامة و يقطع قطعاً و يخبز به فإنه عجيب
 في تقوية القلب والقوة واحداث التفريح (صفة ذرية) منسوبة الى جعفر
 البرمكي وكان كثير التجريبها في أكثر ساعات نهاره وإليه يؤخذ سايخة وقرنفل
 وفاغرة من كل واحد جزء وسنبل الطيب وقسطر و صندل مقاصيري وعود
 وكابة وفاقلة من كل واحد نصف جزء وزعفران ربع جزء يدق الجميع ناعماً
 ويوضع في اناء من صيني ويسقى بماء الورد وماء القرنفل والبنام وماء الاس
 كل يوم مدة ثلاثة ايام ثم يترك الى أن يجف ويمحق ناعماً ويضاف اليه كافور
 ومسك ويتجر به نقات هذه الصفحة من كتاب مفرح النفس تأليف المحكم
 الفاضل بدر الدين مظفر بن قاضي بعلبك الذي ألفه الامير الفاضل سيف الدين
 عمر ابن قزل المشد تغمد الله بالرحمة

(القول في المروحة) وهي ثلاثة انواع مروحة الخيش ومروحة الاديم ومروحة
 الخوص ومن احسن ما سمع فيها قول عرقلة

ومحبوبة في القيض لم تخل من يد * وفي القر يساوها اكف الحبائب
 اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقاً * اتت بالهوى الممدود من كل جانب
 (وقال ابن معقل)

ومروحة اهدت الى النفس روحها * لدى القيض مشبوتاً باهدار يحها
 رويناً عن الريح الشمال حديثها * على ضعفه مستخرجاً من صيحها
 (وقال نور الدين) علي بن صاحب تكريت ولله دره

ياساثل عن نسيم طي مروحة * اهدت سروراً بترجيع وترويح
 أما ترى الخوص اهدى من مروحه * ما أودعته قديم نسيم الريح
 (قلت) وعلى ذكر الخوص فما احسن ما قاله الشيخ برهان الدين القيراطي في
 وصف النوق

صاح هذى قباب طيبة لاحت * وفؤادي على اللقاء حريص
 وتبدت نخلها للطايا * فعيون المطي للنخل خوص

(قال) أبو الفوارس سوار بن اسراييل الدمشقي (مولد ابن اسراييل سنة ثلاث
 وستمائة ووفاته سنة سبع وسبعين وستمائة) كنت عند صلاح الدين يوسف بن أيوب
 فحضر اليه رسول صاحب المدينة علي ساكنها أفضل الصلاة والسلام ومعه

قود وهدايا فلما جلس أخرج من كه مروحة بيضاء علمها سطران من نساجة م القود الخيل
السعف الأحمر وقال الشريف يخدم السلطان وقال خذ هذه المروحة أوالتي تقناد
فأرأيت أنت ولا أبوك ولا جدك مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا بمقاودها كما في
فقال الرسول لا تجعل بالغضب قبل تأملها وكان صلاح الدين ما كاحاها القاموس ه
فاذا فيها مكتوب

أنا من نخلة تحاور قبرا * ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتني سعادة القبر حتى * صرت في راحة ابن أيوب أفرا
قوله أفـرى
واذا هي من خوص النخل الذي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها هكذا وجد في
صلاح الدين ووضعها على وجهه وقال بعضهم فيها
الأصل ه

انتي أجلب الربا * حوبني يذهب النخل
وجباب اذا الحميد سبب ثنى الرأس للقبيل
(وأما مروحة الاديم) فانها على نوعين أحدهما مستديرة الاموضع النصاب
لاغير والاخرى مستديرة ثم يقطع ربع دائرتها التي تلي الوجه وفيها يقول
ابن خروف

ومروحة اذا ما تأملتها * ترى فلـك اذا ترا باليد
وتطوى وتشر من حسنها * فتشبه قنطرة الهدد
قوله ومروحة
الخ لا يخفى ما في
هـ ذين البيتين
من الكسر هـ

(وأما) مروحة الخيش فقد ذكرها المحريري في المقامات حيث قال سمعوا وقيمتم
الطيش ومليت العيش (وانشد) ملفزا في مروحة الخيش
وجارية في سيرها مشعلة * ولكن على أثر القبول قفوها
لهاسائق من جنسها يستحقها * على أنه في الاحتثات رسلها
ترى في أوان القيص تنطق بالندا * ويبدو اذا ولي المصيف قفوها
م ح
(قال الشريشي) في شرح المقامات هذه المروحة تكون شبيهة الشراع للسفينة
وتعلق في سقف ويشد بها حبل تدبر به مشيا وتبل بالماء وترش بماء الورد
فاذا أراد الرجل في القائلة ان ينام جذبها بجبلها فتذهب بطول البيت وتجيئ
فيهب على الرجل منها نسيم بارد طيب الريح فيذهب عنه أذى الحر ويستطيب
وهي فوقه ذاهبة وجائفة ولذلك سماها جارية ومشعلة سريرة الذهاب
وقفوها رجوعها والسائق الشريط الذي يسوقها اذا جذبت به يستحقها يستجملها

ومن جنسها أي هو من كان مثاها رسلها أي يرسل معها الزاوية البيت وترجع معها أو ان القيض وقت الصيف وتنطف تقطر وقولها يبدسها انتهى كلام الشريشي قال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة وهذه المروحة محدثة في زمن بني العباس وكان سبب حدوثها أن هرون الرشيد دخل يوماً على أخته عليّة بنت المهدي في قميص شديد فألفاها قد صبغت ثياباً من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فحس هرون قريبا من الثياب المنشورة فجعلت الريح تزعزع الثياب فتحمل منها ريحاً بليلة عطرة فوجد ذلك راحة من الحر واستطابة فأمر أن يصنع له في مجلسه مثله على الوجه المشروح في كلام الشريشي فاشتهرت واستعملها الناس ومن ملح الغاز صاحب بن عباد فيها قوله لابي العباس الحبر في يوم قيض ما يقول الشيخ في قلبه فلم يفهم عنه أراد في قلب الشيخ وهو خدش (وقال السري الرفاء)

وخدش كما انجرت ذبول غلاثل * مصندلة تختال فيها الكواعب
وقد أطلعت فيها الشماثل وانتذت * مقبلة في جانبيها الحبائب

* (الباب الثاني عشر في الطيور المسجمة) *

(القول على البيغاء) وهو طائر هندي وحشي دمث الخلق ثاقب الفهم له قوة على حكاية الاصوات وتلقى التلقين تتخذ الملوك في منازلهم لينم بما يقع فيها من الاخبار وفي لونه الاغبر والاخضر والاسود والاحمر والاصفر والابيض وقد أهديت لمعز الدولة هدية من اليمن فيها بيغاء بيضاء سوداء المنقار والرجلين وعلى رأسها ذؤابة فستقيه وكل هذه الالوان معدومة خلا الاخضر وفي طبع هذا الطائر ان يتناول طعمه بريحه كما يتناول الانسان الشئ بيده وله منقار معقق يكسره الصاب وينقب به ما يعسر نقبه يتزاوج ويتعاشق ويسكن الذكرا الى اشتهاء وله عفة في مأكله ومشربه ومنكحه ليس بشرة ولا أشر وهو بمثابة الانسان الظريف والناس يحالون على تعاليمه بان ينصب له تجاهه مرآة بحيث يرى خياله فيها ويتكلم الانسان من ورائها فيتموهم أن خياله في المرآة وهو المتكلم فيأخذ نفسه بحكاية ما يسمعه من صوت الانسان (الوصف) كتب أبو اسحق الصابي الى أبي الفرج البيغاء أيتها في البيغاء منها (توفي البيغاء

زارتك من بلادها البعيدة * واستوطنت عندك كالقعيد
 ضيف قراه الجوزا والارز * والضيف في أبياتنا يعز
 تراه في منقاره الخلقى * كالأواظ نقط بالمعيق
 يتظر من عينين كالقصين * في النور والظلمة بصاصين
 يمس في حلقه الخضراء * مثل الغداة الغداة العذراء
 نويدة حذورها الاقفاص * ليس لها من حبسها خلاص
 فأجابه بابيات منها

وحسن منقار أشم قان * كأنما صيغ من المرجان
 صيرها أفرادها في الجنس * بنطقها من فمها الأنس
 يحكي الذي سمعه بلا كذب * من غير تغيير مجذأ ولعب
 ذات غشا تحسبها ياقوتا * لا يرتضى غير الارزقوتا
 كأنها الحبة في منقارها * حباية تطفو على عقارها
 أقدامها ببأسها الشديد * أوقعها في قفص حديد

وهذه المذكورة تسمى في هذه البلاد الدرة ومن ظريف ما سمعته فيها قول الشيخ
 الامام العالم النحوي المقتن زين الدين عمر بن المظفر أبي الفوارس الشهير بابن
 الوردي رحمه الله تعالى فيمنع الطاوس مصغ الى الياسمين وهو على مساقه
 الذنب على ساقه حزين واذا بدرة خضراء لا بل درة عذراء تقول أف اطاوس
 الطير من طاوس القراء أيها الطاوس الطريد المعكوس الشريد شغلك ظاهر
 الثياب عن باطن العيوب ان الله لا ينظر الى الثياب ولكن ينظر الى القلوب
 هلاشغلت بمداوات أمراضك عن بسايتيك وغياضك ولم لأفنيب عن ملبوسك
 وعجبك ليغفرك الله ما تقدم من ذنبك شاركت آدم في الخروج من الجنة
 والاسف عليها فشاركه في التوبة والاستغفار والعودة اليها على أن آدم خرج من
 الجنة قهرا ليزرع في الاولى ما يخصصه في الاخرى وأما أنا أيها الطاوس فاني
 رأيت نفوس البشر أشرف النفوس كرمهم الرب وفضلهم وخلق
 الموجودات لهم فشاركهم نطقا ورزقا ونادتهم ونديم السعداء لا يشقى
 فسبحان من بيده الخير المؤلف بين البشر والطير ومن أعجب أحوال ان الصمت

مجدد أفعالي لاني طائر ضعيف ولا أقاس على البشر في التكليف
 خائب في القاب حاضر * صكاسر للصيب جابر
 أنا من خوف جفاه * واقع والقاب طائر
 أنا بالمحبوب نفري * فانتصب يامن يفسر
 أنا من جودة فكري * عرفت باسمي الجواهر
 ها أنا الدرة فاعرف * قيمتي ان كنت تاجر

(القول على القمري) سمي بذلك لبياضه وحكاية صوته وهو يضحك كما يضحك
 الانسان ومن طبعه انه شديد المودة والرحمة أما مودته فانه يفرخ على فتن من
 أفنان شجرة كلها اعشاش لابناء جنسه يصاحبها كل يوم ولا يعتزل اعتزال
 الغراب وأما رحته فانه يربي ولده ويعف عن انشاء مادام ولده صغيرا وهو
 يطاعم انشاء ويطاعه ويظهر منه علمها وله وفيه من المروءة انه متى تزوج
 لا يتغنى بانشاء بل لا وله اعتناء بنفسه واهتمام بها ومن عادته انه يعمل عشه في طرف
 فن دائم الاهتزاز احتراز على فرخيه لئلا يسعى اليه من الحيوان الماشي
 ما يقتلها (الوصف) قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ما عزا فيه

ما معي رأيت * في عداد المطير * كم له من مترجم * كم له من مشجر
 كم له من كآبة * ظهرت بالتدبر * كم خواف له بدت * لالتماح المبصر
 كاد معجم وان * زال بعض له قرى

(ذكرت) بقوله كم خواف له ما أنشدني من لفظه لنفسه ونقائمه من خطاه المعز
 الاشرف المرحوم أوحد الدهر ونخبة العصر القاضي أمين الدين محمد الانصاري
 صاحب ديوان الانشاء بالشام المحروس من قصيدة امتدح بها المعز صاحب
 المرحوم نقر الدين عبدالرحمن بن مكائس ناظر الدولة الشريفة بالديار المصرية
 سبحانه الله تعالى أولها

جفون من تأرقها دواحي * مدامها تفيض على الدوام
 ويقول في آخرها

قوادمها ينرن ولسن عنه * خواف تحت أجنحة الظلام
 (وقال الشيخ برهان الدين الفيراطي)
 تنهس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الاناس سكة

وأطربت في العود قريية * وكيف لا تطرب عوديه
(وأشدني) سیدی القاضی شهاب الدین بن حجر فسمع الله في أجله من لفظه
لنفسه بتاریخ ثالث عشر ربیع الاول من شهر عام اثنين وثمانمائة بالقاهرة
المحروسة بمنزله رحمه الله ببقائه بحارة بها الدين

تخبرت رسلا سرنا همدهم خفا * اليكم وتلك الرسل فهي الجمائم
اذا قدمت مني عليكم فيالها * خوافي سر جلتها قوادم
(وأما الفاخت) فهي مراقبة وليست بحجازية وفيها فصاحة وحسن صوت
وصوتها في المحازيات يشبه صوت المثلث وفي طبعتها أناس بالناس وتتش
بالدور وهذا الحيوان يعمر وقد ظهر منه ما عاش خمساً وعشرين سنة وما عاش
أربعين سنة على ما حكاه أرسطو (الوصف) أنشدني من لفظه لنفسه اجازة
أوحدها المتكلمين العالم المفسرين فريد الدهر المرحوم القاضي أمين الدين
الانصاري صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس ملغزاني فاخترته

وما طائر بهوى الرياض تنزهها * ويسرح في أفنانها ويغرد
هجاها اسمها خمس حروف تعدها * وخمساء حرف ان تأملت مفرد
وبعدهم ما تصيف باقية ان ترد * بيانها أفعى بين وبشهد
وفيه أخ ان تهت عنه فاخترته * تدل على ما قد عنيت وترشد
(قلت) أنشأت هذا اللغز الظريف التركيب للشـيخ العلامة بـقيـة السلف
الصالح زين الدين أبي بكر بن عثمان الشهير بابن الهيثم بمنزله بمدرسة السكاملة
بشارع بين القصرين عند دار تحالي في أوائل سنة خمس وتسعين وسبعمائة
فأجاب بهذه الأبيات

أيا من له مجد أثيل وسود * غدا دون مرماه سماك وفرقد
تفـيـد يسار المقترين يمينه * ويسراه من يمين الغمامة أجود
سؤالك عن أنى طروب ولم تنزل * على عودها في الروض تشد وتشد
وتجذبني بالطوق حين تشيدها * لنحو التصابي لا يطيق أفند
يطير بها نحو النجاح جناحها * فتبلغ ما تختار ثم وتقصد
وفي بطن انى لم تصور وانما * تصورها من جذعها من يرفد
تذكرني تدركها أمهاني * فتشرف في نفسي اذا وتجد

ومذبان منها الظرف أمست بعكسها * تخاف الردى ممن لها يتصد
وان حذفت ثاني الاخير فانه * على الحذف خاف بل يلوح ويشهد
وأولها مع ما يليه وطرفها * لتافاه بالمعنى الذى منه يقصد
وحرفان منها فرد حرف لمناطق * واف لمن للعكس من ذلك يجحد
وتفتح فاها حين يفقد ثالثا * وثالثه يخشاه من يتصيد
تخذه مينا مفضيا عن اسائى * فانك للاحسان اهل ومقصد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفي مفرق الجوز الواءك يسعد
ولازلت في الدنيا سعيدا مملكا * وحظك في الاخرى النعيم المخلد

١ لم أزدك في (وأما الشعين) وهو الذى تسميه العامة اليمام وصوته فى الترخيم كصوت الرباب
تتب اللغة فاعلمه فى الاوتار صوتا محزونا جادا وهى متى اختلطت مع أصواتها غير هاجست
سـ ر ب ف فى وأمام فردة فلا لان الزار مستحسن مع الغناء وغير مستحسن وحده وفى طبعه انه
لاصل اه متى فقد انشأ لم يزل عزبا يأوى الى بعض فراخه حتى يموت وكذلك الانثى اذا

فقدت الذكرو فى تركيبه انه اذا من سقط ريشه وامتنع من السغاد فهو لذلك
لا يشبع نفسه وهو طائر ساكن جدا وقد ألهم انه يحترس من أعدائه بالسوسن
يتخذ فى وكره (الوصف) ولنذكر الآن ما وقع للشعراء فى أصواتهن جملة لا تفصيلا
فن ذلك قول الحسام الحاجرى (توفى مقته ولا سنة اثنين وثلاثين وسثمائة)

انى لا أعذار فى الاراك جامدة الشداى كذلك تفعل العشاق

حكم الغرام الجاجرى بأسرها * فغدت وفى أعناقها أطواق

(قال القاضى الفاضل)

لو كنت جاوبت الجاثم ناثما * قال الوشاة اذاع سرك باثما

سل طائر صدع الفؤاد بسحره * أترامعرد صادعا أم صادحا

يا ضعف من أمسى الغريسة فى الهوى * وغدا الحمام له هنالك جارحا

(وقال المنارى)

لقد عرض الحمام لنا بجمع * اذا أصغى له ركب تلاحا

شجى قلب الخلى فليل غنى * وبرح بالشجى فليل ناحا

(قلت) وبعد هذين أبيات فلا بأس بذكرها وان لم يكن مما نحن فيه

وكم للشوق فى أحشاء صلب * اذا اندمات أجدها جراحا

ضعيف الصبر عنك وان تقاوى * وسكران الفؤاد وان تصاحا
 كذلك بنو الهوى سكرى صحاة * كأن حذاق المهوى مرضى صحاحا
 (قلت) وهذه الابيات حكاية غريبة نقلتها من خط الحافظ اليعمورى (ولد
 سنة ست مائة وتوفى سنة اثنين وسبعين وست مائة) روى أن أبانصر المنارى المذکور
 واسمه أحمد بن يوسف دخل على أبي العلاء المعرى وهو فى الشام فى جماعة من
 الادباء فأنشده كل واحد من شعره ما تيسر حتى أنشده المنارى أبيتا تاله فى وصف
 واد وهى

وقانا الفحة الرمضاء واد * سقاء مضاعف الغيث العيم
 نزلنا دوحه فحناء علينا * حنوا المرضعات على الفطيم
 وأرشفنا على ظمأ زلالا * أرق من المدامة للنديم
 يصد الشمس أنا واجهتها * ويحببها ويأذن للنسيم
 تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد انتظيم
 (فقال أبو العلاء) أنت أشعر من بالشام ثم رحل الى بغداد فدخل المنارى عليه
 فى جماعة من أهلها من الادباء وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدا فأنشده كل واحد
 ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنارى فأنشده نفسه الايات المتقدمة
 (فقال) أبو العلاء ومن بالعراق اشارة الى قوله من بالشام (توفى المنارى سنة سبع
 وثلاثين وأربعمائة) وقال الشيخ صفى الدين الحلى

وبشرت بوفاة الليل ساجدة * كأنها فى غدير الصبح قد سبحت
 مخضوبة الكف لا تنفك نائحة * كأن افراخها فى كفها ذبحت
 (وقال) محبى الدين بن عبد الظاهر

نسب الناس للحمامة حزنا * واراها فى الحزن ليست كذلك
 خضبت كفها وطوقت الجية * ودغمت وما الحزن كذلك
 (وقال) جمال الدين محمد بن نباتة

مالى نديم سوى ورقاء ساجدة * من بعد مغتبقى فيكم ومصطفى
 اذا أدار اذكار الوصل لى قدحا * من أهرالدمع غنائى على قدحى

(وله)

ناجتك من مغنى دمشق جائم * فى دف أشجار تشوق باطفها

(v)

فَإِذَا أَشَارَ إِلَى التَّدِيمِ بِإِطْفَءِ * خُذْتُ عَلَيْهِ يَجْنُكُهَا وَبَدَفَهَا
(وَقَالَ) هَلَاءَ الدِّينِ الْوَدَاعِي

وفي أسانيد الأراك حافظ * لله ديروى صبره عن علقمه
وكما ناحت به جامعة * روى حديث دمه عن عكرمه

(وقال) بدر الدين يوسف بن لؤي الزهبي

وتنهت ذات الجناح بسحرة * بالواديين فنهت أشراق
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن * يعقوب والاحسان عن اسحاق

قامت تطارحنى الغرام جهالة * من دون محبى باهى ورفاقى
انا تدارينى جوى وصداية * وكأية وأسى وفيض ما لاقى

وأنا الذي أُملي الهوى عن خاطري * وهي التي تملى من الأوراق

(وقال) ناصح الدين الارجاني (ولد سنة ستين وأربعمائة وتوفي سنة أربعين وخمسمائة)

من كل أخطب مسكى الاهاب له * في منبر الايك تجماع وتهدار

خطیب خطب وقد أفنى السوادنه ۞ عن یقینته فی الجسد ازوار

(قلت) وأشدني من اعطاه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله تعالى

مذغنت الورق على عيدانها * كم خلع الجوع عليها من ملح

تدرعت سحبا وخاضت شفاقا * وطوقت أعناقها قوس قزح

(وقال) القاضي محي الدين بن عبد الظاهر

ذات طوق و ذات ریق تغنی * فتنی بالوجد من لبس یدری

زیت تم کاشفتنا فقلنا * لك زیت وزیت بالاففر

ماتراہا قدح۔ دت خاطر النہ۔۔۔ رہا قدحی و مامنہ بحری

(وَأَنشَدَنِي) مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ سَيِّدِي وَأَخِي تَقِي الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ بِحُجَّةِ

ناحت مطوقة الرياض وقدرات * دمي تالون به - ذفرقة حبه

لكن يتلوين الدموع تباً خلت * فغدت مطوقة بمسبخت به

(وقال) الشيخ بدر الدين بن الصاحب

ناحت جام البان أم تاهت أسي* لم أدر ما غناؤها من شوقها

عجما لا تظهر حرفا من شجى * لانها مخنوقة بطوقها

(٧٣)

(وقال أيضا)

وذا طوق على الأغصان تذكري * قوام حسنك في ضمي لمعتنقك

قد سوت مهجتي نوحا فقلت له * سواد قلبي يا ورقاء في عنقك

(وقال) الأمير مجير الدين بن تميم

لم أنس قول الورق وهي حبيسة * والعيش منها قد أقام منغصا

قد كنت ألبس أخضر من أغصن * فلبست منها به دذاك مقفصا

(وقال الأمير) سيف الدين المشد في قفص

أنا للطائر سجين * اقتنى كل مليح

قضب البان ضلوعي * وجام الأيك روجي

(وله على لسان الطائر)

يا غصون البان ماذا * باع الأحباب عني

ما شجاهم طول نوحى * ما كاهم فرط حزن

حسوني عن مطاري * لالمعني ولفن

غيراني كنت مهما * يشرب الراح أغنى

(ولمؤلفه) لطف الله به من قصيدة

جام الأيك أسعدني * فاني حاف تبريج

وحزني حزن يعقوب * فأبكي الصب أو نوحى

(وأما الديك) فما ورد فيه ان النبي صلى الله وسلم قال الديك الأبيض صديق

وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وسبع دور حوله وكان يبيت معه وزعم أهل

التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الأبيض الا فرق لم يزل ينكب في أهله

وماله (قيل) والفرخ يخلق من البياض والصفرة غذاؤه وقيل ليس في الدنيا

أبخل من أهل مرو حتى ان الديك ينزع الحبة من أفواه الدجاج مع ان العادة

خلاف ذلك وكان ماء مرو يقضى ذلك فيه يرى في جميع حيوانها (كان مروان)

ابن أبي حفصة من أبخل الناس مع يساره وما أصابه من الخلفاء لاسيما من بني

العباس فانه كان رسمه ان يعطوه لكل بيت يمدحهم به ألف درهم (قال دعبل)

كنت عنده في بعض الايام أنا وجماعة فأخذنا في الحديث وطال المجلس حتى أضربه

المجوع فدعا بغيره فأتني بحقيقة فيها مرق فيها لحم ديك قد هرم لا تجز فيه السكين

ولا يؤثر فيه ضرر فأتخذ قطعة من خبز فحسا بها جميع المرق وفقد رأس الديك
فبقى مطرقا ساعة ثم رفع رأسه الى الغلام فقال له أين الرأس فقال رميت به قال
ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك والله اني لامقت من برجي برج له
فضلا عن رأسه والرأس ريش وفيه الخواص الخمس ومنه يصيح الديك وفيه
عيناه التي يضرب بها المثل فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجب لوجع
الركبة فان كان بلغ من جهلك ان لا تأكله فعندنا من يأكله فانظر أين هو قال
والله لا أدري أين رميت به فقال لكن أنا أدري أين رميت به في بطنك وكان
أيضا لا يأكل اللحم حتى يجوع فاذا جاع أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقبل
له لانتراك تأكل الا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الرأس
أعرف سعره فلا يستطيع الغلام ان يخونني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيه قدر
ان يأكل منه ان مس عيننا أو أخذ أذنا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا
شئ آكل عينيه لونا وأذنيه لونا ودماغه لونا ولسانه لونا فقد اجتمعت لي فيه مرافق
(نادرة) قال أبو حاتم الأصمى قدمت بغداد فدخلت مسجد ابي حنيفة فجاءه
فسألني بعضهم عن قوله تعالى قوا أنفسكم ما يقول للواحد قلت ق قال فالثنين
قلت قيا قال فللمجاعة قلت قوا قال فاجمع الثلاثة قلت ق قيا قوا وفي ناحية
المسجد جاءه فوضوا الى صاحب الشرطة فقالوا له ان هنا قوم اذنا ذقة يفسرون
القرآن على صياح الديك فاشعرنا الابعوان فأحضرونا بين يديه فأعلمته
ما سئلت فمغنني وأمر بضرب أصحابي عشرة عشرة (وما أحسن) قول بعضهم
فيه

قد قلت شعرا ملجأ * فمره لي يا مملوكي

أكلت ديكاً وديكاً * وليس لي غير ديك

(وقال) ابن المعتز فيه (مولده سنة سبع وأربعين ومائتين ووفاته سنة ست وتسعين
ومائتين)

بشر بالصبح طائر هيفاً * مسترقياً للجدار مشرقاً

مذكر ابنا الصبح صاح نبأ * كخاطب فوق منبر وقفا

صفق امارتيا حاة لسنا الصبح وأما على الدجى أسفا

(ولله أبوعلى) ابن رشيق (توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة) حيث مرق عنه جلياب

المادح وتركه من شمل الذم في الزى الفاضح فإنه قال

قام بلا عقل ولا دين * بخاط تصفيقا يتأذين
فنبه الاحساب من نومهم * ليخرجوا في غيبر ما حين
بصرخة تبعث موتى الكرى * قد أذ كرت نفع سرافين
كأنها في خلقه عضة * أعضه الله بسكين

(وقال الشيخ) زين الدين بن الوردي من رسالة منطق الطير فصاح الديك ها أنا
أناديك أنا قد أذنت فأقم الصلاة أنت هذا أو ان صف الاقدام ووضع الحياه
ومن أحسن قولاً من دعى الى الله كم أوقفك وبانة قضاء الاوقات أعظك فأشفق
عليك بصباحي وأرفرف عليك بجناحي أقسم لك الوظائف بلا حساب وأعرف
المواقيت بغير الاضطراب أنها كم عن معصية الله بخروج الوقت فلا تعصوه
والله بقدر الليل والنهار علم ان ان تعصوه فمن ادعى حسن العتبة فليؤثر
كأنه يري ولا يختص من رفاقه بحبه كم منحت أهل الدار خاطي ووليتهم ولائي
وهم يذبحون أبناءى ويستحيون نساءى

(الباب الثالث عشر في الشطرنج والنرد وما فيهما من محاسن مجموعة)

(قال) الشيخ شمس الدين بن خلدون كان في تاريخه رأيت خلقاً كثيراً يراهم يتقدرون
ان الصولى هو واضع الشطرنج وهو غلط وإنما واضعه صصه بصادين مهملتين
أحدهما كسورة والثانية مشددة مفتوحة وفي آخرها ساكنة وأدشير بن
بابك أول ملوك الفرس الاخيرة هو الذى وضع النرد ولذلك قيل النرد شير
نسبوه اليه وازدشير لفظ عجمي تفسيره بالعربي دقيق وحليب فأزد دقيق
وشير حليب وقيل دقيق وحلاوة وقيل هو بالزاي لا بالراى وضعه مثالا لدنيا
وأهلها فرتب الرقعة اثني عشر بيتا بعد شهر السنة والمهارة ثلاثين قطعة بعدد
أيام الشهر وانفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقابلها ودورانها والنقط
فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ويقابله اليك
والبنج ويقابله الجوى والمجهر ويقابله السا وجعل ما يأتي به اللاعب من
النقوش كالقضاء والقدر والمجهر تارقه وتارة عليه وهو بصرف المهارة
على ما جاءت به النقوش لكنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأني

وكيف يتخيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عند ما حكمت به القصوص
ولما تم وضعه واشتهرت افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ بلاهيت
فوضع له صصه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله على
النرد ولما عرضته على الملك وأوضح له أمره سأله ان يتمنى عليه عدد تضعيف
بيوته قمحا فاستصغرا الملك ذلك من همته وأنكر عليه ما قابله من النزر القليل
في ذلك (فقال) له ما أريد غير ذلك فأمر له بذلك فلما حسب أرباب الديوان
ذلك قالوا الملك ما عندنا ما يقارب القليل منه فأنكر ذلك فأوضحوه له بالبرهان
فأعجبه الامر الثاني أكثر من الاول قال القاضي شمس الدين بن خلدكان
ولقد كان في نفسى خازنة من هذه المبالغة حتى اجتمع بي بعض حساب
الاسكندرية وذكري طريقتي بيني لما ذكره وأحضر لي ورقة بحجة ذلك
وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فاثبت اثنين وثلاثين ألف
وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال نجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عبرتها
فكان الامر كما ذكره والعهد عليه في هذا النقل ثم ضاعف السابيع عشر
الى البيت العشرين فكان فيه وية ثم انتقل من الويات الى الاردب ولم يزل
يضعفها حتى انتهى في البيت الاربعين الى مائة الف اردب وأربعة وسبعين
الف اردب وسبعمائة اثنين وستين أردبا وثلاثي أردب وقال في هذا المقدار
شونة ثم ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة الفا وأربعة وعشرين
شونة ثم قال هذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف الى البيت الرابع والستين وهو
آخر الابات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلاثمائة وأربعمائة اثنين
مدينة وقال يعلم انه ليس في الدنيا مدن أكثر من هذا العدد انتهى (قال)
أبو عبد الله محمد بن الاكفاني اذا جمع هذا هرا واحد مكمبا كان طوله ستين
ميلا وعرضه كذلك وارتفاعه كذلك بالميل الذي هو أربعة آلاف ذراع
بالعمل الذي هو ثلاثة أشبار معتدلة على ان الاردب المصري مساحته ذراع
مكعب وزنه مائتان وأربعمائة رطلا وكل رطل مائة وأربعة وأربعمائة درهم
والدرهم أربعة وستون حبة من القمح (قال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وقد ذكر عنده الشطرنج اني لا أعجب من ذراع في ذراع يديرها الحكماء منذ
وضعت لم ينفوا الساعى غاية قيل سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا

يروا القتال فاذا تنازعوا في كورة أو ملكة تلاعبا بالشرنج فبأخذها الغالب من غير قتال (زمها) ذكر الصولي في كتابه كتاب شعراء مصر أن خوسان الشاعر كان حاذقا بلعب الشرنج فعابها الحسين البجلي مكاثدة له فقال صاحبها أبدا مشغول بهموم يخاف بالله كاذبا ويعتذر مبطلا ويشتتم نفسه ويسخط ربه وكل صناعة يجوز المكاثرة فيها غيرها فان صاحبها يغلب في ساعة فيمضى دعواه وهو لعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمخور حتى يفيق وانما يهزم خشب خشبا ثم ان الرجل يسأل عن غلامه فيقال له هو يلعب فيضربه ولا يستحي ان يقول قم حتى نلعب وهو يلعبه وان تقول في الكأس ما أحذقه وفي الطنبور ما أضربه واذا اعترف عن الشرنج قلت ما ألعبه فبايقول في صناعة العبارة عن الكأس أحسن من العبارة عن صاحبها قال الجاحظ سمعت النظام يقول في الشرنج غنيان عجزان عن الادب فتلاعبا بالخشب دخل أبو العبيدس على أبي تمام وهو يلعب بالشرنج وكان وسخا فقال ما أوسخ هذا الشرنج فقال أبو تمام واللعب أوسخ (نادرة) حكى ان بعضهم كان اذا لعب الشرنج ضارب خصمه فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألتزم اللعب معه وما يحصل بيننا ضراب فلما أتني به ولعبا قال له في أثناء اللعب شاء استرف فقال ملج والله القرنان أنت والقواد أنت فقال يا أخي ما الذي قلت لك قال قلت استروهي اشتر وما يشتر الا الجمل والجمل تصحيفه جل والجمل اسم نجم في السماء يقار به الجدى والجدى كدش والكيش القرنان والقرنان هو الذي يقود فقال يا أخي ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير الا أنت (نادرة) سألت بعض الاكابر انما فقال تعرف اللعب بالشرنج فقال لا والله يا مولانا ولكن لي أخ اسمه عز الدولة وهو أخي لامي أكبر مني بسنتين وأكبر بشئ يسير كان قد حصل بيني وبينه خصومة غاظته فسافر من مدة عشرة أعوام وسكن مدينة قوص وبلغني انه فتح له دكان عطار والى الآن ما ورد على المملوك منه كتاب وهو أيضا ما يعرف بلعب الشرنج (ومشى) البیدق البریدی مع شاب موسوم بالجبال فقال شمس الدين المنجم الشاعر أراك يا بيدق تفرزن حول هذا النفس فقال له واذا كان ذلك فقال أخشى عليك من ذلك الرخ لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس ويقطع عليك الرقعة ولو كان في كفيك الغيمل يشير بقوله ذلك الرخ الى أحد الاعيان كان

يجب الشاب المذكور (نادرة) بعض الاجناد كان كثير يلعب الشطرنج مع
مخدومه وكان الجندی خليه اعطاه الامير فرسا وقال له لا تفرط فيها قال نعم
وبعد ذلك القاه راجلا وهو لا يس جوخه قال ويلك أين الفرس فقال يا سيدي
ضربني الشياشاه ماتتت بالفرس وما أحسن قول القاضي الفاضل يصف
حصار قلعة وحناء المنجنيق يحاكمها واسان حبله يخاصمها والخادم تحت المنجنيق
الاسلامي يعرض وجهه للمنجنيق الفرنجي ونقل قطع الستائر نقل قطع
الشطرنجي جنب التراس يبادق والمنجنيق رخاخ وجنب القلاع صيد
والمنجنيقات نخاخ (وقال) الشيخ جمال الدين ابن نباتة وظرف

قوله وما أحسن الخ هـ... هذا أشكو السقام وتشكرو مثله امرأتى * فنحن في الفرش والاعضاء نرتج
ما وجدناه نفسان والعظم في نطع بجمعنا * كأننا نحن في التمثيل شطرنج
بالاصل فنقلناه وله ملغز فيه

بحروفه اه وما صامت يمضى ويرجع حائرا * ويقضى على أوصاله الوصل والصد
كأن الاسى آلى عليه اليه * فافيه الا النفس والعظم والجاد
وأحرفه خمس على ان شطره * ثلاثة أخماس الحروف التي تبدو
(وله فيمن يلعب غائبا)

ولا لعب يعرب شطرنجه * عن ذهنه المتفقد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاكم * يا حبهذا من حاكم غائب

(وله)

لله في الشطرنج فكرة لاعب * ان غاب أو حضر اجتنبت حدايقه
شكرته نفس اللعب أو نفس النهى * هاتيك صامتة وهذي ناطقه
(وقال الشيخ) بدر الدين بن الصاحب

تأمل تر الشطرنج كالدهر ودولة * نهار اوله لا تخم بؤسا وأنما
محركها باق ويفنى جميعها * وبعد الفنا نحي وتبعث أعظما

(قلت) وهذا يشبه قول القاضي الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر
صلاح الدين من القصر من يعاني خيال الظل ليفرجه فقام القاضي فقال له
صلاح الدين ان كان حراما فما نحضره وكان حديث عهد بخدمته قبل ان يلي
السلطنة فما أثرانه يتكدر عليه ففقد الى آخره فلما انقضى ذلك قال له السلطان

كيف رأيت ذلك فقال موهظة عظيمة رأيت دولا تضي ما كانتها كانت ودولا
تأني ولما طوى الأزارطى السجل للكتاب اذا بال محرك واحد فأخرج هذا الجرد
في هذا الهزل (ولشيخ) بدر الدين أيضا مضمنا

أميل لشرط نرج أهل النهى * وأسلوه من ناقل الباطل
وكم هذبت طبع لعبها * وتأبى الطباع على الناقل

(وقال)

لعبت بالشـطرنج في غاية * تقصر الأوصاف عن حدها
ان صاح في الاقران لي يبدق * تموت منه الشاة في جملها

(وقال) أيضا وكان يلعبها غائباً وله يد طولى فيها

لى في الشطرنج نـقل * أتقن الأدمان حفظه
ألعاب الغائب منها * فأراه طيف يقطه

(وكتب) الى شيخنا العلامة عز الدين الموصلى من جملة المحروسة كتابا وفيه من
المجذبات قوله مضمنا

جاهل شطرنج ينادى وقد * أمارت نفس اللعب من عكسه
ما تفعل الاعداء فى أحمق * ما يفعل الجاهل فى نفسه

(وقال) جمال الدين ابن نباتة

افديه لأعب شطرنج قد اجتمعت * فى شكاه من معانى الحسن أشات
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخدفيه لقتل النفس شامات

(وقال) صلاح الدين الصفدى

ألاعب بالشـطرنج بدر ملاحه * محاسنه تزهى على طاعة الشمس
سترت ضناجهى فلما رأيتـه * يروم قطاعى خفت منه على نفسى

(وقال) زين الدين بن الوردى

لأعبت بالشطرنج من * أضحى كشمس طالعه
نفسى به ماتت وما * تعجبـنى المقاطعه

(ومن) الاسـتـشهادات اللطيفة ما أنشده الشيخ نور الدين على بن سعد الماعرى
صاحب المرقص والمطرب وغيره وقد رأى شيخنا يلاعب الشـطرنج ويضرب
بالرقعة القطع ضرباً عنيفاً (فقال)

(٨٠)

رفقاهن فما خلقن حديدا * أوما تراها أعظما وجلودا
(قلت) وهذا البيت أول قصيدة للشريف البيضا في وصف النوق ولقد أجاد
نور الدين رحمه الله تعالى وعلى ذكر نور الدين فما أحسن ما كتب به إلى القاهرة
المحررة سنة - يدنا ومولانا الفاضل المؤرخ المحدث المفضل شهاب الدين أحمد بن
القاضي نور الدين على الشهر بابن حجر (مولده سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة)
فمع الله في أجله وذلك من بعض متجدداته

مولاي نور الدين صبحك الهنا * بسعادة تبقى لديك سرورها
لا تتعجب عن مقلتي فأنا امرء * ان لم تكن عيني فانك نورها
(ونقلت) من خط الشيخ بدر الدين أبي المحاسن محمد بن إبراهيم اليشتكي أحد
فضلاء الديار المصرية وبقية متأخريه سلمه الله تعالى في القاء العاشرون
الشرنج على قاعدة الحكاية المشهورة ولم أعلم الضابط في هذه الأعداد جميعها
له أم غيره وأنسيت ان أسأله

موت عدوى يزين حرمي * وألحق سيف به قتالي (القاء التاسع)
ولما فتنت بالخطأ * عذرت فاختفت من شامت (القاء الثامن)
أبك يا عز شوقي لعل * تمنى يعطف به راحتي (القاء السابع)
يا مليح بت شاكي به * ومجرب ظلوم لشكي (القاء السادس)
ان كان في صدك قتلي فقد * أنا في فقد أحبابي (القاء الخامس)
تذكر في حبه جائرا * فبات وفوه يث الحرق (القاء الرابع)
وفاتن منظره فتنة * ليس يرى حرف الجفأ عاشة

اللام ألف بحرف واحد قال المنقول من خطه أنشدني من لفظه لنفسه صاحبنا
جلال الدين بن خطيب داريا سلمه الله تعالى في القاء الثالث
بك يا خير منجد يحجب الغي اذ اقبل أي حر تصيد

(وقال) القاضي السعيد بن سنا الملك

ويوم مطير قد ترنم رعدة * وصفق لما أحس القطر في الرقص
ورقعة ماء تحت برد فواقع * وأفق عليه البرق ياعب بالفص
(وقال) الشيخ شمس الدين بن الصائغ (ولد سنة عشر وسبعمائة وتوفي سنة
ست وسبعين وسبعمائة)

لما غدا بدر الدجى لاجبا * بالندى لى القص مثل الشرك
وفاق فى الحسن وفى لعبه * ناديت يا لله ما أقدر
(وقال) زين الدين بن الوردى

مهفهفان لعبا * بالندى أنى وذكر
قالت أنا قريه * قلت اسكتى فهو قري
(ولبعضهم) يورى بأعداد النرد

ساعدى فى جارى على شادن * أعطيت خساء مقدار
فما تأتى اليك من يكة * إلا بهذا البنج والجار
فى القاء الخامس من قطع النرد من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدى
لاتبك ان هب ربح نجد * اذك يا بئس ما بليت (اللام الف حرفان)
(وله) فى القاء السابع

قدر تشانى بكل شين * عدت فى ذا صلاح خبرى

* (الباب الرابع عشر فى الشمعة والفاوس والسراج) *

من رسالة للإمام ضياء الدين محمد بن نصر الله الجزرى المعروف بابن الأثير
(مولده سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة سبع وثلاثين وستمائة) وكان
بين يدي شمعة اعم مجلسى بالاثيناس وتغنى بوجودها عن كثرة المجلس وينطق
لسان حالها انها اجد طاقبة من محالسة الناس ولا الاسرار عندها بمفوظة ولا
السقطات لديها بمحفوظة وكانت الرىح تلعب بلهبها وتخاف على شعبة بشعبها
فطورا تقيمه فتصير انملة وطورا تاكله فتصير سلسله وتارة تخوفه فتصير مذهبه
وتارة تجعله ذا ورقات فيتمثل سوسنه وآونة تنشره فتصير منديلا وآونة تلافه
على رأسها فيستدير اكليل ولقد تأملت ما فوجدت نسبتها الى القص العسلى
وقدها قد العسال وبها يضرب المثل للحكيم غير ان لسانها لسان الجاهل
ومذهبها مذهب الهنود فى احراق نفسها بالنار وهى شبيهة بالعاشق فى انهمال
الدمع واستمرار السهر وشدة الاصرار وكل ذات تجد دلها بعد فراق أخيرا
ودارها والموت فى فراق الاخ والدار وقد نزع هذا المنزع فى رسالة أخرى
(فقال) وذلك ان لها قد ألقى القوام مشبهانى نحوه واصـ فراره بحال

المستقام وهي والقلم شيان في انها اذا قطع رأسهما صحابا بعد السقام ومن عجيب
 شأنها ان روحها تحي بقضاء جسمها وبالارواح تكون حياة الاجسام وقد
 وصفها قوم بان لها خلقا كريما في رعاية حقوق الاخوان وان بكاهم ليس
 الالفارقة اخيها الذي خرجت معه من بطن ونشأت معه في مكان وهذا
 الوصف من الطفا واصافها وهو ما يزيد الاحساب وجدا باحبابها ويبيح
 الآلاف شوقا الى آلائها وكانت الريح تلعب بلهبها لدى الخادم فتسلطه هلالا
 فتارة تبرزه نجما وتارة تبرزه هلالا ولربما سطع طورها كالجنانة في تضاعف
 أوراقها وطورا كالاصابع في انضمامها واو افتراقها وآونة تأخذ فتلقيه على
 رأسها كالقناع ثم ترفعه عنها حتى تكاد تراوله بذلك الارتفاع ثم قال بعد ذلك
 كلاما ليس فيه تشبيه فكما كانت الريح تلعب بالشمعة فتنتقلها من مثال الى
 مثال كذلك الشوق يلعب بالقلب فينقله من حال الى حال وهذا الوصف وان
 مدبا عنه لمعانقة الابداع وأودع اسرار المعاني في صدور الافراط فصانها
 بالابداع مأخوذ من موضعين احدهما من قصيدة الارجاني والاخر من
 كلام ابي محمد عبد الله ابن أبي الخصال فانه مذكور في آخر هذا الباب عند
 ذكر المراج اما قصيدة الارجاني فهي

نمت باسرار صبح كان يخفيها * وأطلعت قلبها للناس من فيها
 قلب لها لم ير عنا وهو مكنن * الابريقية نار من تراقبها
 سفينة لم يزل طول اللسان لها * في الحى يحنى عليها ضرب هاديها
 غريقة في دموع وهي تحرقها * انفاسها بدوام من تلتظيها
 تنفست نفس المهجور فادرت * عهد الخياط فبات الوجد يبكىها
 يخشى عليها الردى مهم الم بها * نسيم ريح اذا وافي يحبها
 بدت كنجم هوى في أثر عقربة * في الارض فاشتعلت منها نواصيها
 نجم رأى الارض اولى ان يبوئها * من السماء فأمسى طوع أهليها
 كأنها غرة قد سال سادنها * في وجه دهماء يزهى بها مجليها
 أوضرة خلقت للشمس حاسدة * فكأما حجت قامت تحسبها
 وحيدة وهي مثل الرمح هازمة * عساكر الابل ان حلت بواديها
 ما طنبت قط في أرض مخيمة * الا وأقصر للابصار داجيها

قوله سادنها
 لم نر معناه في
 القاموس وفيه
 في باب الجيم
 انسج انكسب
 على وجهه
 فاعله من هذه
 المادة اه

لها غرائب تبعدوا من محاسنها * اذا تفكرت يوما في معانيها
 فالوجنة الورد الافي تناولها * والقامة الغصن الافي تشبها
 قد أثرت وردة جراء طالعها * تحبني على الكف ان أهويت تحبنيها
 ورد تشاك به الايدي اذا قطعت * وما على غصنها شوك يوقها
 صفر غلاثلها جرجا ثما * سود ذوائبها بيض لباليها
 كصعدة في حشا الظلماء طاعنة * نسقي أسافلها ربا أعاليها
 وصيفة است منها قاضيا وطرا * ان أنت لم تكهها تاجا يحلبها
 صفراء هندية في اللون ان نعتت * والقدي اللين ان أتممت تشبها
 ما ان تراك تبين الليل لاهته * وما بهاعة في الصدر نصعها
 تحيي الليالي نورا وهي تغلقها * بنس الجزاء لعمر الله يحزبها
 ورهاء لم يبدل الإصرار لا يسهها * يوما ولم يحجب عنهن عاريها
 قدت على قدوث قد تبطنها * ولم يقدر عليها الثوب كاسيها
 غراء فرعاء ما تنفك قالية * تقص لمتها طورا وتقلبها
 شيباء شعثاء لا تكسي غداثرها * لون الشبيبة الاحين تبليها
 فتاة ظلماء ما ينفك ناكها * سمنها طول طعن أو بشطها
 مفتوحة العين تفي ليها سهرها * نعم وافناؤها اياه يفتيها
 وربما نال من أطرافها مرض * لم يشف منه بغير القطع شافيها
 (وقال القاضي الفاضل)

ولما أراد الليل ينظر وجهه * تقدم ان يذكى له الشمع أعينا
 وما هي إلا عين وجفونها * دجاها وانسان السعدونهارنا
 رياض دجي فتحن عند وقودها * أزاهر نارتر كب الشمع أغصنا
 عجبت لروض منه بالنار يزدهي * والالزهر منه بالعين يحبني
 فتكن الدجي والنور فيض دماثها * اذا النار نصل والشموع لها قنا
 (وقال فيها)

بكت مثل ما أبكى وفاضت دموعها * ولم تنفش أسرار كفيض دموعي
 إشارة مظلوم وعبرة عاشق * ووقوفه مأمور ولون مروع
 أقامت الى نحر الظلام أسنة * فلم تلقها الا بخلع دروع

وقال أيضا .

والشمع فوق البحر تحسب انه * من نجمة قد اطلع المرجان
والماء درع والشموع أسنة * ولها اذا خفق النسيم طعان
وقال محمد بن علي الوزير حاجب النعمان

وظفلة كالمخ شاهدتها * ستانها من ذهب قد طبع
دموعها تنهل في نحرها * ورأسها يحي اذا ما قطع
وقال آخر وأجاد

اذا مرضت طال منها اللسان * ومدا المداوى اليها يدا
ويقطع من رأسها الجملنا * وفي رجوع أهلي الجبال سودا
(وقال) ابن خفاجة (ومولده سنة خمسين واربعمائة ووفاته سنة ثلاث وثلاثين
وخمسمائة)

وصعدة لبست سريال مشهور * بالحب منغمس في الدمع والحرق
ما زال يطعن صدر الليل يهدمها * حتى بدا سائلها منه دم الشفق
وقال آخر وأغرب

وباكية من غير حزن بأدمع * تذوب بها أحشاؤها حين تنهل
دموعا اذا ردت اليها بكت بها * ولم أرد معا غيره رد في المقل
(وقال) سيف الدين المشد

ولم أرمش لشمعتنا عروسا * ثجبت في الدجى ما بين جمع
كأن عقود أدمعها عليها * سلاسل فضة أو قضب طلع
(وقال) محاسن الشوا (ومولده سنة اثنين وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة خمس
وثلاثين وخمسمائة)

حكمتني وقد أودى بي السقم شمة * وان كنت صيادونها منوجعا
ضنا وسهادا واصفرا وزفرة * وصبرا وصمتا واحدا تراقا وأدمعا
وقال نور الدين ابن سعيد

ومجاس انس زينه مرانس * تزيد لنا وصلا اذا ما قطعناها
اذا طعنت صدر الظلام برمحها * ترد بسيف الصبح منها فأفناها
الشيخ زين الدين ابن الوردي

ممشوقة مثل صدر الرمح عارية * قد توجت بتطير الكوكب الساري
 تنكي اذا ضحكك جلاسه افرا * فالقوم في جنة والشمع في نار
 (وقال) ابن الجلال وأجاد الى الغاية توفي سنة ست وخمسين وخمسمائة
 وصحبة بيضاء تطلع في الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها
 شابت ذوائبها أو ان شبابها * واسود مفرقها أو ان فنائها
 كالعين في طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها ووضيائها
 (مجير الدين ابن تميم) وقد طفت شمعته بمجلس فزارهم ملج عقيب طفها
 ومخطفه أوقدتها جنح ليلة * وقذاز من أهوى وتم بها انهي
 فأطفأتها اذا أشرقت شمس وجهه * ومن سقه ان يوقد الشمع في الشمس
 (وقال ابراهيم المعمار)

لاتنور في مقامي * شمعته من غير حاجه
 قد كفانا طلاء البعد * روم صباح الزجاجة
 ولما أنشدتهما للامير شهاب الدين الحاجي قال لي لم لا قلت
 أطفئوا اذا الشمع عنا * ما لنا بالشمع حاجه
 (فقال ابراهيم) أردت مقامي وهذا في غاية الظرافه (علاء الدين الوداعي)
 وقد أهدى شمعته

يا من يبعأ دهم أسا الدهر الى * والآن فقد أنعم بالقرب على
 قد أظلمت الاشواق طرفي فلذا * قدمت اليكم شمعته بين يدي
 البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي في ملج يقط الشمع
 وذى قوام أهيب * بين الندما قد نشط
 قام يقط شمعته * فهل رأيت الظبي قط

سيف الدين المشد لمغزاني طوافه

لينة الاعطاف لا * ينكر فضل قدرها

حياتها في طيها * وموتها في نشرها

فلفهم

(وقال ناصر الدين بن شافع) في وصفها (مولده سنة تسع وأربعين وسبعمائة
 وتوفي سنة ثلاثين وسبعمائة) وشمعته قد استتم نبتها في روض الانس حتى نور * ولا
 نبي بدوحة المفاكهة حتى أزهر * أو ما بنان تيلجها الى طرق الهداية وأشار ودل

قوله في طوافه

هكذا في الاصل

على نهج التبصر وكيف لا وهي علم في راسه نار * كأنها في قلم امتد بها ليق من
ذهب أو صعدة إلا أن سنانها ذهب وحسبها كرم أن جادت بنفسها وأعلنت
بامتناعها على همود حسها سايها في الجود بامثالها رسول ودمعها بالعفو
للعفو من سماحتهم أطول تحيتها عموما صبا حاتبة ألقى فجرها وتعام بدرها في
أوائل شهرها قد جعت من ماء دمعها ونارتوقدها بين نقيضين ومن حسن
تأثيرها وعين تبصرها بين الاثر والعين (وقال يحيى الدين) ابن عبد الظاهر
في حين ما شق ربحي الدجى عن ترائبه جيبا ونشر الظلام ظفائره وقد اشتعل
رأسه من النجوم شيئا في ضوء شمعة نشرت على الورق رده الاصيل وأنفتحت
من الدجى سواد جفنه الكحيل وسرت ذوائبه في معصفه رأبج من وجنتي
بينه لولا أنها في صفرة وجه جيل (وكتب) الاديب الفاضل الكامل شرف
الدين عيسى ابن حجاج العلية أحد شعراء العصر بالديار المصرية أبقاه الله
تعالى الى الوزير العلامة نحر الدين ابن مكاس تغمده الله بالرحمة (يقبل)
الارض التي شاقه ترابها الموطن الفخريه فزاد إعجابا وقال المسك باليتي كنت
ترابا وينهى انه أقبل على المطالعة والباقي من العشرين الى خمس واستهدى
بنجوم فوائدها حين قامت الشمعة بوظيفة الشمس واستدعى اعوانا من
السهر فتنازلت عنه اعوانه ونحشى من غلبة النوم فتغلب عليه ساطانه ولما
أغفى على وجه الكتاب لعبت الشمعة بلسانها وتنازلت طرف شاشه بيد
نيرانها فهب المملوك وأخذ منها ما تصاعد من الانفاس وقابلها على حرق
الشاش بقطع الراس

انى جلست بشمعة موقودة * لاطالع الاسفار للتسبيح
فتنازلت شاشي أوائل ناريها * وتمكنت منه بمراريج
من قبل حرق الشاش كنت مطالعا * في الكتب صرت مطالعا في الروح
وقد توسلت بهذه الرسالة المدونة في باب المنظوم والمتنور ومددت يد سؤلى
الى طاي ساشام قصورا وأرجوان يجمع لى بين الممدود والمقصود أبقاك الله
للاولياء الذين يحبون وجودك ويستطرون كرمك وجودك (وقال) مجير
الدين ابن تميم وقد مر بدار بعض أصحابه ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها
من داره

لما أزرتك شمعتي لتنيرها * جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
 واقتك حاسرة فقبل رأسها * فأعادها نحوي بتاج من ذهب
 (حكى) أن مجير الدين الخياط الدمشقي كان يتعشق غلاما من أولاد الجند فشرب
 في بعض الليالي وسكر فوقع في الطريق ففر الغلام عليه وهو راكب فرآه في الليل
 مطروحا فوق عليه بالشمعة ونزل فأقعدته ومسح وجهه فسقط من الشمعة
 نقطة على خده ففتح عينيه فرأى الغلام على رأسه فاستيقظ من سكرته وأنشد
 مرتجلا

يا محرقا بالنار وجه محبه * مهلا فان مدامي تطفيه
 احرق بها جسدي وكل جوارحي * واحذر على قلبي فانك فيه
 (وأما الفانوس) فن أحسن ما سمع فيه قول مجير الدين بن تميم
 انظر الى الفانوس تلقى متيما * ذرفت على فعد الحبيب دموعه
 يبدو تلهب قلبه لنحوه * وتعد من تحت القميص ضلوعه
 (وقال)

أبدا اعتذارنا الفانوس حين بدا * في حالة من هواه ليس ينكرها
 رأى الهوى مضر ما بين أضلعه * نار الجوى فعدا بالثوب يسترها
 (وقال الوجيه المناوي)

كأنما الليل وفانوسنا * يحلود جي الظلمة للحس
 نجمة ببحر قد طمأ وجهه * تسبح فيه كرة الشمس
 (وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة مضمنا

وكأنما الفانوس نجم نير * منع الظلام من الهجوم طلوعه
 أو عاشق أجرى الدموع بحرقه * من حر نار قد دحوته ضلوعه
 (وله مضمنا أيضا)

أناني الدجى ألقى الهوى وبهجتي * حرق يذوب بها الفؤاد جيعه
 فكأنني في الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه
 (وله فيه مضمنا)

يحكي سنا الفانوس من بعد لنا * برق تلقى موهنا لمعانه
 فالنار ما اشتعلت عليه ضلوعه * والماء ما سمعت به أجفانه

(وله)

أنا في مقام الناصر السلطان لا * أشكو إلى محبوب قلبي ما
فأصبر كصبري في الهوى ولا تنى * متجلد والنار تحت ثيابي

(بحر الدين) ابن تميم تميمي

يقول لها الفانوس لمأبديته * وفي قلبه نار من الغيظ تسهر
تخذي بيدي ثم اكشفي الثوب تنظري * ضنا جسدي لكنني أستر
وأما السراج وما قيل فيه فنه قول ابن أبي الخصال

عذرا اليك أعزك الله فاني حططت والنوم معازل والعزم منازل والريح يلعب
بالسراج ويصول عليه صولة الحجاج وطورا يسدده سنانا وطورا يحركه
لسانا وآونة يطوى جنباه وأخرى ينشره ذؤابه ويقمه ابرة لهب ويعطفه
برة ذهب أوجه عقيب وتقوسه حاجب فتاة ذات غمرات ويتسلط على
سليطه ويرزله عن خليطه ويخلفه نجما ويمده رجلا وتسبل روحه من
ذباله ويعيده الى حاله وربما نصبت له اذن جواد ومهتة صدق جراد
ومشقة خاطف برق بكف ودق ولثمه سناء قنديله وافت على أعطافه
منديله فلاحظ منه العين ولا هداية في الطرس للدين (قال) شرف الدين
التيفاشي رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لي تحفظ في السراج والمرجة
فانشدته قول ابن الرومي

وحية في رأسها درة * تسج في بحر قصير المدا
اذا تواتر فالعمى حاضر * وان تجلت بان طرق الهدى
(فقال) لي هذا في الذبالة وأنا سألتك في السراج والمرجة فانشدته قول
الصنوبري

ان سراجا نوره ظلمة * كأنما يوقد في قلبي
الحب أضنانا فاباله * يفتي وما يشك وجوى الحب
(فقال) هذا في السراج وأنا سألتك في السراج والمرجة فصمت فقال أراك
سكت فقلت له ما تحفظ فيهما أنت فانشد

مرجة تسرج من فوقها * ذبالة في جوف مصباح
كأنها مبرجة فوقها * تفاحة في غصن تفاح

فاستيقظت وأنا أحفظهما قال شهاب الدين بن أبي حجة وهذا التشبيه في
المرجة جيد في مسارح العرب فان مسرحتهم قضيب أملس أشبه شيء بغصن
التفاح (قالت) لا يخفى ما في هذين البيتين من الحسن وجودة التركيب
في قوله في البيت الأول مرجة ثم في الثاني كأنها مرجة وقوله تفاحة في
غصن تفاح وما أعرف لهما شيئا الا قول ابن وزير في الحمام حكى ان ابن قزمان
الوزير أبي بكر صاحب الازجال المشهورة قام من مجلس أنس فقال على المراج
فأطفأ فقال في الحال

يا أهل ذا المجلس السامى سرادقه * مامات ليكني مالت بي الراح
فان أكن مطغثا مصباح بيتكم * فكل من حل فيكم فيه مصباح
(قال) القاضي كمال الدين بن العديم (مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة
وفاته سنة تسع وخمسين وستمائة) في تاريخ حلب ان القاضي شمس الدين بن
خلكان الاربلي (مولده سنة ثمان وستمائة وفاته سنة احدى وثمانين
وستمائة) قدم حلب وتفق على مذهب الشافعي وأنشدني لنفسه ما غزا
في السراج

أيها العالم الذي * صار حبرا موارسا
والذي موضحاته * يجتليها عراشنا
أى شئ ترى الورى * جمعهم منه قابسا
ان في العرب نصفه * حيث ما كان كانا
ثم صحف تمامه * نلق خلا مؤانسا
واحد فن منه ثالثا * تتظرن فيه فارسا
من يحفه ما كسا * يلق في الليل حارسا

(وما أحسن) قول القاضي الفاضل يعتذر عن كتاب كتبه الى بعض أصحابه ليلا
كتبها الملوك ليلا وقد عشت عين السراج وشابت له الدواة وكل خاطر السكين
وخرس لسان القلم وضاق صدر الورقة فاذا وقف سيدنا على هذا الكتاب
فليقف على بيارستان وليقل الباذنجان من هذا ولا يقل هذا من الباذنجان
(وقال) ابن تميم في سراج يوقد من سراج
أعلمت بأقوم أن سراجنا * أسمى وفيه فضيلة لا تسكنتم

(٩٠)

يأتى أخوه إليه طس رأسه * فيعبيده في الحال وهو معهم
(نادرة) اتفق أن أبا الحسين الجزار قام مرة إلى بيت الخلاء فناول السراج الوراق
شمعة فقال الجزار ما عادنى أقصى الشغل الأعلى السراج (وما أظرف)
(قول زين الدين ابن الوردى)

لى صاحب واسمه سراج * ما قرئى عنده قرار
لسانه محرق لقلبي * ان لسان السراج نار
ومن أكثر من ذكر السراج الأديب الفاضل الكامل سراج الدين عمر الوراق
حتى أنه قيل له لولا لقبك راح نصف شعرك فمن ذلك قوله
إذا بحثت بالشكوى عنت معاشرا * بالراحة فى مدحهم أتعبوا ذهني
يريدوننى رطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن
(وقوله) بتقاضى زنجيلا

مولاي بدر الدين أنست من المكارم ناجها
ولديك بغية كل نفس آملك وناجها
ولمور وجهك فى الفضا ثل قد أقر سراجها
أنست سورة هل أتى * ونست كان مزاجها

(وقوله)

أقول فى يوم شتاء به * من محبة ما خلف النبال
خرجت من بيتى سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

(وقوله)

سبق السراج الى امتدا * حك كل من يتقدمه
وسناك مسرجة لبا بك والمهابة تلجمه
لكن توقد ذهنه * ما كل شئ يفحمه

(وقوله)

كم قطع الجود من لسان * قاد فى نظم النحورا
وها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى أزدك نورا

(وقوله)

بنى اقتدى بالكتاب العزيز * فراح ليرى سعيها وراجا

(٩١)

فما قال لي أف مذ كان لي * لكوني أباول لكوني سراجا
(وقوله)

أثنى عليّ الانام اني * لم أهج خلقا ولو هجاني
فقلت لا خير في سراج * ان لم يكن ذلك في اللسان
(وقوله)

قلبي لديك وطرفي طال بعدهما * عني فلي أبدا سهو تدكار
ولست متبهما قول السراج اذا * ما قال من حرق في قلبي النار
(وقوله)

بكتبك راح لي أمل وقصدي * وفي يدك النجاح لكل راجي
ولو لا أنت لم ترفع مناري * ولا عرف الوري قدرا لسراج
(وقوله)

وقد اجتمع بيدك الدين بيليك * وشمس الدين سنقر
لما رأيت البدر والشمس معا * قد انجلت دونهما الدياجي
حقرت نفسي ومضيت هاربا * وقلت مادام وضع السراج
(وقوله)

يروح ضياء الدين
أمولانا ضياء الدين دمي * وهش فبقاه مولانا بقائي
فلولا أنت ما أغنيت شيا * وهل يغني السراج بلا ضياء
(وقوله)

شعيرتي من رمدت قد حجت * شخصك عني وكان مأنوسا
فالمجد لله زادني شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

(وقوله)

الهي قد تجاوزت سبعين حجة * فشكر النعماء التي ليس تنكر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا بيد والسراج المعمر
وعجم نور الشيب رأسي وسرني * وما ساءني ان السراج منور

(وقوله)

طوت الزيارة اذ رأت * عصر الشباب طوى الزبارة
ثم اثنت لما انثني * بعد الصلاة كالمجارة
وبقيت أهرب وهي تسـ آل جارة من بعد جاره

وتقول يا ستي استرحي سنا لسراج ولا مناره

(وقال فيه) بعض شعراء عصره والسراج عمر على المنار يتوقد كاول ولم تمسه نار
(حكى) انه جهز غلاما ليلبتاع له زيتا طيبا يأكل به لفتافا حضره وقلبه على الفت
فوجدته زيتا حارا فأنكر على الغلام وأخذه وجاء الى البياح وقال لم تفعل مثل
هذا بنا فقال والله يا سيدي ما لي ذنب الا انه قال لي اعطني زيتا للسراج
(وحكى) عنه أيضا انه دعى الى زفة فقالوا له صبيحتها أيش كان حالك
يا سراج الدين البارحة فقال أيش حال سراج بين ألف مشعل (ومثلها) ما حكاها
لى الوزير المرحوم نضر الدين بن مكاس عن صاحب سراج الدين القوصى انه
كان حصل له طلوع فى جسده فتردد اليه المزين فقال أيش حال سراج فيه سبع
فتائل (وأنشدنى) لنفسه يداعب المذكور وكان سكندرى الاصل

يا ذا السراج اشترايرى فانتبه * أولى وذلك للامر الذى وجب
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ما قام وانتصبا

(وما أحسن قول بعضهم) * ومتى أظلم خطب عمر الله السراجا *

(فصل فى القنديل) قال شمس الدين محمد بن العفيف

صفا باطنى صرفا كمارق ظاهرى * وناجيت فتينا من الشرب أكاسا
اذ انهمضوا كنت الرفيق لهم اذا * وان جلسوا أمسيت فى الوسط جلاسا

(ولا آخر)

وقنديل كان الضوء فيه * سنا وجه الحبيب اذا تجلا
أشار الى الدجى بلسان افعى * فشمز ذيله هربا وولى

(ولا آخر)

وشادن مر والقنديل فى يده * ما بيننا وظلام الليل معتكر
كأنه فلك والماء فيه سما * والنار شمس به والحامل القمر

(وله)

عجبت لقنديل تضيئ قلبه * زلا ولا نار فى دجى الليل تشعل
وأعجب من ذا انه طول عمره * يحن عليه الليل وهو مسلسل

(الباب الخامس عشر في الخضر اوات والرياحين)

(الورد) كان المتوكل يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين فكل منا أولى بصاحبه وكان قد سحر الورد على جميع الناس واستبد به وقال لا يصح للحامة فكان لا يرى الورد الا في مجلسه وكان أيام الورد لا يلبس الا الثياب الموردة ويفرش الفرش الموردة ويورد جميع الآلات (ورفع) الى المأمون ان حائكا يعمل سنته كلها لا يتعطل في عياد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا * مادام للورد أزهار وأنوار
فاذا شرب مع ندمائه غنى

اشرب على الورد من جراه صافية * شهر او عشر او خمسة اعدادا
ولا يزال في صبوح وغبوق مابقيت وردة فاذا انقضى الورد عاد الى عمله وغرد بصوت عال

فان يبقني ربي الى الورد أصطبح * وندمان صدق حاكه ونديط
(فقال) المأمون لقد نظرت الى الورد بعين جليلة فينبغي ان نعينه على هذه المروءة فأمر ان يدفع له كل سنة عشرة آلاف درهم (وقال) ابراهيم الخواص اذا جاءت أيام الورد أمرتني على بكثرة من يعصى الله تعالى فيه جالس روح بن حاتم أمير افرقيقة يوم افي منظرته ومعه جارية من جواريه فدخل الخادم بقادوس فيه ورد أجز وأبيض في غير أوان الورد فاستظرفه وسأل الخادم عن أمره فأخبره ان رجلاً أتى به هدية فأمر ان يلائه القادوس دراهم فقالت له الجارية ما أنصفته قال ولم قالت أتى بلونين أجز وأبيض فأؤنه له فأمر ان يخط دنابر ودراهم فخط ودفع اليه ويقال ان كسرى مر بوردة ساقطة فقال أضاع الله من أضاعك (خواصه) بارد يابس في الدرجة الاولى يابس في آخر الدرجة الثانية نافع لصاحب المرة الصغرى ومن به حرارة حريقة مسكن للصداع المتولد منها ضار لصاحب المزاج البارد مهيج لعطاسه مزعج لدماعه ومرباه بالسكر والعسل ينفع من البلغم وماؤه المصعد منه بارد رطب نافع من سائر أوجاع الدماغ الحادة ومن الأورام الجارة نقلتها من النور المجتبى من رياض الندماء

تأليف المحكم الفاضل الاديب المعروف بالعنبري وبابن الهلي ذكره الفاضل
المؤرخ موفق الدين بن أبي أصيبعة في تاريخ الاطباء وأثنى عليه الثناء البالغ
وعلى مصنفه المذكور قلت وهذا الكتاب رتبة على فصول السنة كل فصل
يشتمل على أربعين بابا عديم النظير قليل الوجود * (القول في استخراجها في غير
أوانه) * قال صاحب المباحج من أحرق السداب في أصول شجر الورد حتى يرتفع
وجهه الاحراق الى الشجر في أي وقت كان من السنة التي تورد شجرة الورد فيه
وردت بعد أيام ورد اغضا ومتى جمع الرماد التي أحرق واخلط بتراب وندش أصل
الشجرة التي أحرق ذلك في أصولها وطهر الرماد ثم سقيت الماء في الوقت وسقيت
بعد ذلك على العادة كان ما ذكرناه أيضا (الحيلة في ان يبقى الورد السنة كلها
في الفلاحة الرومية) يؤخذ ورد الذي لم يفتح بعد فتلا به جرة فخار جديدة
وتطين رأسها تطينا محكما لا يتخلله الهواء ويدفن في الارض فانك تخرج منها
الورد متى شئت الى آخر السنة كهفته حين أدخلته فيها فرش عليه ماء ويترك
في الهواء فانه يفتح وردا طريا كالذي يقطف من شجره (وفي كتاب الخواص)
ان الورد الاجر اذا بخر بالكبريت أبيض واذا بخر بنصف الورد صار نصفها أبيض
ونصفها أحر والورد الاجر اذا بخر بالنورة المطقية أبيض واذا صب في الشتاء
في أصول شجر الورد ماء حار عند كل غداة انفطر قبل ان يطار الورد (غرائب
من هذا النبات) حكى صاحب نشوار المحاضرة انه رأى وردا أصفر واستغرب
ذلك وقد رأىناه كثيرا الا انه امتاز بكونه عد ورق وردة فكانت ألف ورقة
ورأى وردا اسود حالك اللون له رائحة ذكية ورأى بالبصرة وردة نصفها أحر
فاني الحرة ونصفها الآخر ناصع البياض والورقة التي قد وقع الخط فيها كانت
مقسومة بقلم قال صاحب المباحج وحكى لي بعض أصحابي انه رأى وردا بدمشق
له وجهان أحد الوجهين أحر والآخر أبيض لا يشوب أحدهما شيء من الآخر
وأخبرت أن بحاب وردا أحدهما وجهي الورقة أحر والآخر أصفر وأما الورد الازرق
فقد حكى لي بعض أصحابي ان رجلا أخبره انه رأى اكارا يجري الى شجرة الورد
ماء مخلوطا بالنيل قال فسأله عن ذلك فقال ان الورد يكون أزرق بهذا العمل
والظاهر من الاسود انه احتيل عليه كذلك (وذكر) ابن قتيبة ان بالهند شجرا
يخرج وردا عليه كتابة تقرأ لا اله الا الله (وحدث) ان من قدماء من المغرب

وكان قد توجه اليه رسولاً من صلاح الدين ان في مراکش وردا كل وردة من
 الثمانين ورقة الى المائة ورقة (الوصف) والتشبيه قال بعضهم وصدق
 للورد عندي محل * ورتبة لا تقل
 كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل
 (وقال) آخر وظرف

كتب الورد اليها * في قراطيس الحدود
 يا بني الله وصلوني * قد دنا وقت ورودي
 (ولبعضهم) في باكرة ورد

ودونك يا سيدي وردة * يذكرك المسك أنفاسها
 كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها
 (وقال) على بن الجهم في صباه

لم يضحك الورد الا حين أعجبه * حسن الرياض وصوت الطائر الغرد
 لا عذب الله الا من يعذبه * بسمع بارد أو صاحب نكد
 (وفيه بحظالة)

يعز علي بأن يشمك ساقط * أوان تراك نواظر البخلاء
 (وقال) محمد بن عفيف التلمساني

قامت حروب الدهر ما * بين الرياض السندسية
 وأنت بأجملها لتغـزـز وروضة الورد الجنية
 لكنها انكسرت لان الورد شوكنه قويه

(وناطف) الشيخ زين الدين ابن الوردى في قوله موريا باسمه
 مهفوف الغدا اذا ما انتنى * قال ولا يخشى من الرد
 ما أنت جلي يا كتيب اللوى * ولست يا غصن النقا قدى
 لو نلت من خديته تقييله * تزين الريحان بالورد
 (ما أحقه) بقول القائل شاكر نفسه يقرئك السلام (قالت) أحسن من بيته
 الثاني ما أنشدني من افظه لنفسه ونقلته من خط المرحوم فخر الدين بن مكاس
 من أبيات

اسمران عاين غصن البان * قال استقم فأنت ذوالوان

يُثَبِّتُكَ فِي الدُّرُوحِ النَّسِيمِ الْوَانِي * وَلَيْسَ لِي فِي قَامَتِي مِنْ ثَانِي
* فَلَا تَقَايِسْنِي فَلَسْتُ قَدِي *

(رجع) وقال أبو الوليد بن الحنّان الشاطبي (مولده سنة خمس عشرة وستمائة
وفاته سنة خمس وسبعين وستمائة)

فوق نجد الورد دمع * من عيون الحب تنرف
برداء الشمس أخشى * بعد ما شال يحفف
(وقال) برهان الدين القيراطي

ان للروح في دمشق لأوى * ذا قرار وذامعين وربوه
وبروضاتها بساتين ورد * لي بأزوارها صباية عروه
(وقال) بعضهم وأصاب

كم وردة تحمي بسيف الورد * طليعة تشرعت من جند
قد ضمها في الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلته من بعد
ومن أحسن ما استعمل أوصاف الورد في اعتذاره من الأصغاء إلى كلام العذول
محمد الدين النسائي الأربلي (مولده سنة اثنين وثمانين وخمس مائة وتوفي في سنة
ست وستمائة) شعر

أصغى إلى قول العذول بجماني * مستفهما عنكم بغير ملالي
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذالي
السري الرفاء يصف وردا أبيض قال
بدا أبيض الورد الجنى كأنما * تبسم للناسي بمسك وكافوري
كأن أصغارا منه تحت بياضه * برادة تبر في مداهن بلوري
ولبعضهم في الورد الأسود

لله أسود ورد ظمل يلحظنا * من الرياض بأحداق العافير
كأنما وجنان الريح نقطها * كف الأمام بانصاف الدنانير
ولا تخرفيه

وورد أسود خاناه لما * تنشق نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غصن وفيها * بقايا من محبتي الزعفران
وقال محير الدين بن تميم مضمنا

ثم أنس قول الورد حين جنيته * والنار لا ستقطاره تتسعرو
 ناشدتكم نفسي خذوه وانما * لا تجعلوا في قبض روجي واصبروا
 (من رسالة) كتبها الجناب المجدي فضل الله ابن المرحوم نخر الدين عبدالرحمن
 ابن مكانس الى سيدنا ومولانا أفضى القضاء بدر الدين محمد ابن أبي بكر عمر
 المخزومي المالكى الشهير بابن الدمامنى أسبغ الله عليه ظلاله مغزافى ورد
 وكان سيدنا بدر الدين قد كتب اليه قبلا بالغزافى قدح فله وكتب اليه هذا
 اللغز ونقلته من خطه وهو ما عاقل تحلى به المجالس ويتفكره فيه المجالس تحمر
 وجفاته من الشرب وتحمد آثاره في البعد والقرب ان قلبه رأيت تاجا وان
 تركته على حاله زادك ابتهاجا يعذب بالنار وغيره الجاني وبريك ان بدلت
 أوله برد الامانى يستخرج وهو داخل ويرى دمه من نار قلبه هائل لا يبرح به
 فى غبطة ولا تجد فيه مع انهماله نقطة ان حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته
 أمرا بالشراب وان فعلت كذلك فى ثانيه رأيت ما بقى يؤكده للحمية بين الاصحاب
 وور ان حذفت أخيره كن ورا وغص فى بحر الغم كره على عكس ثلثيه لاستخرج
 درا وقدس طره ليحصل له من نظر المخدم طرفا وبصير له فى الالغاز شرفا
 والمملوك يسأل الصفع والامتنان وبسط العذر فى هذا الهديان فانه لولا
 المحبة ما أجاب ولا طرق بعد فقد أيمه هذه الابواب ولا عارض يجذوله البحر
 العباب فان بضاعته فى هذا الفن مزجاء وهو مأيه غطى على حجاب والله
 المسئول ان يلطف برحمته ويحسن عاقبته فى دنياه وآخرته ويمتع مولانا بزناد
 ذهنه الوارى ويطلع به وبنيه فى سماء الفضل حتى يهتدى بالنجوم والدرارى
 بمنه وكرمه (فكتب) الجواب سيدنا بدر الدين (وينهى) ورود الجواب الذى
 شفى الصدور ووروده واللغز الذى نسي بورده بان الجاوز روده فوجده روض
 بلاغة عدم العايب والعايب وترعرع زهره حيث أمطرته من أنامل المخدم
 خمس سمحات وتمسكت أذيال أنفاسه بالرواية عن أبي الطيب وجاد فذكر
 مولانا على خد طرسه بالعارض الصيب فلوشاهه ابن الوردى لا جرنج لا
 أوصاحب زهر الآداب لتلون وجلا ثم تأمل حل اللغز فرآه قد كشف
 المشكل وجلا واعترف بانه لم يمر بذوقه أطيب من ذلك الحبل ولا احلا
 وتحقق ان مولانا أوسع فى مقام الادب بفضله ايناسا وتناول منه قدحاً فأعاده

بألفاظه المبكرة كاسا وانتهى المملوك الى اللغز الخدومي فقال
 مولاي محمد الدين يامن فضله * بروي وجود كفه بروي الصدا
 ألغزت في اسم طاطل حليته * منك بدرا لالفظ أو قطر النداء
 ان ورد التحريف في أبياته * كان لشانك هلاكك اوردا
 وقال أيضا

لله لغزك يامولي فضائله * قد عطر الاكوان منها طيب أنفاس
 أنى بورد فياني على قدحي * به وأبهجني ما بين جلاسي
 وقد أسى حرج كسرى حين أقبل لي * روحى الفداء لذك الورد والآتى
 فاستجلى المملوك بالتحريف ورده وودلوا قطف من أغصان حروفه ورده فرد
 ذل القصور عاريا من ملابس عزه وأنشده قول ابن قلاقس وقد ثقل بنار عجزه
 اذا منعتك أشجار المعالي * جناها الغض فاقنع بالثميم
 فراج عليه بهرج هذا الرأى الكاسد وأقنع بالثم على رغم أنف الحاسد وعلم
 ان هذا الورد لا يحسن من غير تلك الخضره وان هذه الفاكهة لا يخرجها الا
 أغصان أقلام لها بندي الراحه الخدمية بهجة ونضرة ومشى نظرا للملوك من
 هذا اللغز في بساتين الوزير على الحقيقة ورأى منه كل وردة وأحب الوجنات
 الحمر فقهر أهى وردة أم شقيقة وتفكر محبا بثمار غرسه منشد المنكر والمظفر
 في صفحة طرسه

ان كنت تزعم ما فى خدرك عجب * قم فانظر الورد فى خديك منثورا
 فلم قد ظفرت من نفسه بالعنبر الورد وعودته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد
 وتأملت بفتور قريحتي نكتة برد الاماني وانعقد لسانى بهجر هذا البيان
 ونفثات تلك المعالي وتبغنت انه لا يقوى لفهم هذا البرد الا كل حديد النظر
 ووجدت تحيف هذه الكلمة يا شمس الفضائل للعقول قر وعلمت ان الفكر
 لا يجارى من بديهيته من بحار الفضل رويه وان الخطار الذى هو من ضعفه
 رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا اللغز لان شوكة قويه وقلت للذهن
 رد بعضه لتنهل شرابا سائغا وزد تحيفه ليكون فى التعريف بمعناه مبالغا
 وتمتعت من ورده الوارد بالمشهور ثم تذكرت البعد عن جناب الخدم
 فاستقطر اليمين ماء الورد فى حديقى واولانا المنة فى الصفيح عن مقابلة الدرب بالسقط

ومرهم به - ذا الحشف الملقط وله الفضل في اجابة المملوك الى ما سأله أولا
من الاتحاف بما تيسر من آداب المقر الفخري الوالد نور الله ضريحه وتعاهد
بعهد الرحمة روحه بمنه وكرمه (ولبعضهم) في الورد القحاني

ووردة جعت لوزين خلتها * خدى حبيب وخدى هائم عشقا
تعاثا فبدأواش فراءهما * فاجردا بخلا واصفرذا فرقا
وظرف من قال كأنه وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بدينار انظر الى هذا
وجنة وحبيب ودينار وابن هذا من قول ابن الرومي (مولده سنة احدى وعشرين
وما تين ووفاته سنة أربع وثمانين وسبعمائة)

كأنه سرم يغل حين سكرجه * بعد البراز وباقى الروث في وسطه
(وفات) من خط شيخنا شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الشهيري بن محمد يار
الذهبي لنفسه

اذا الربيع جاشت أزهاره * فورده ذو الشوكة السلطان
(وأنشدني) من لفظه لنفسه ارتجالا الشيخ الاديب الفاضل بقية المتأخرين شمس
الدين محمد بن بركة الرئيس فسمح الله في مدته

شاب ورد الرياض من * ورد خديك وانفرك
فله الناس اثبتوا * واتقى الورد للسكر
(الترجس) قال أبقر اطكل شئ يغدو الجسم والترجس يغدو العقل وقال
جالينوس من كان له رغب فليجعل نصفه في الترجس فانه راع الدماغ
ولدماغ راعى العقل ويروى عن علي كرم الله وجهه أنه قال تشبهوا الترجس
ولو في اليوم مرة فانه في القلب داء لا يبرئه الا شم الترجس وقال الحسن بن سهل من
أدمن شم الترجس في الشتاء أمن من البرسام في الصيف وكان كسرى أنوشروان
مغرما بالترجس ويقول هو ياقوت أصفر بين درأبيض على زمرد أخضر
(وقال) انى لاستحي أن أباضع في مجلس فيه الترجس لانه أشبه شئ بالعيون
الناظرة ومن هنا أخذ من قال

غضى جفونك يا عيون الترجس * لعسى أفوز بنظرة من مؤنسى
فلا قد تميز اذ أراك شواخصا * تروينه بلا واطحظ المتغرس
حتى كأنك ان ترى قرالджа * بين الاحبة طالعاً في مجلس

(نادرة) تحدث رجل مع خاطبة في ان تخطب له امرأة يتزوجها فقالت له عندي امرأة كأنها طاقة ترجس فتاقت نفس الرجل اليها فتزوجها فلما زفت اليه وكشف القناع لقي عجوزا كمشة الوجه بيضاء الشعر دقيقة الساقين صفراء الوجه مخضرة الساقين بالشعر فلم يقربها واطاد باللوم على الخاطبة وقال لها كذبتيني وغريتيني فقالت له ما كذبتك ولا غررتك وانما أنت رجل جاهل قلت لك عندي امرأة كأنها طاقة ترجس فرغبت فيها وما هي طاقة الترجس الا هكذا (خواصه) حار يابس ينفع من سائر أوجاع العصب من برد وكذلك النسر ين ويصدع النرجس الرأس الحارة وفعاله ما أقل من فعل الياسمين وينفعان من وجع الارحام من برد ويفتح سد الدماغ وينفع من الصداع البارد الرطب والسوداوى ودهنه ينفع من أوجاع المفاصل انتهى كلام ابن المحلى في النور (وقال) صاحب المباحج خاصيته للنفع من الاوجاع الباردة الكائنة في الرحم أصله يدمل القروح وينفع من أوجاع المفاصل واذا سحق أصله واخلط بدقيق واغتسل به نقي أو ساخ البدن والقروح واذا تضمد به فجر الاورام والدمامل وهذا الفعل موجود في أصله وزهره ورائحته مقوية للدماغ مفحة للسدد طاردة لما في بطونه من الريح واذا أديم شمه نفع من الصداع الكائن من بخار البلغم ومن الرطوبة المحتقنة فيما بين اعشيه الدماغ وان اتخذ منه شماعة مستديرة في شكل الرمانة ورش عليها شئ من ماء الورد الممسك وبخرت بالنند الرفيع أو العود الرطب والزعفران الشعير الطرى أكسبها البخور بذلك نفعاً عظيماً وان شوى بصله في النار أو في الرماد وقشر وسحق في الهاون وسكب عليه شئ من دهن الخبزي وأغلى بالدهن عليه وضمد به على الخنازير والجراحات الفجة الجاسسة والدمامل الصلبة لأنها وجفوها (وفي كتب الخواص) قال هرمس اذا وضعت طاقات النرجس التي لم تفتح بعد في ماء البقم حتى ينفخ فيه أبداً من بياض أوراقه حرة شديدة وبقيت على حالها (الفلاحة) التنظية ان أوفى ما غرس بصل النرجس في الارض التي أقام الماء فيها عشرة أيام أو عشرين يوماً ثم نصب الماء عنها وجف وبقى فيها شئ من الدواة يبرق ليحفر في همه الارض حفائر عمقها قدم أو أقل ويجعل البصلة فيها وينطلي بالتراب ويكبس فوقه التراب كبساً جيداً فاذا ابتدأ يطالع منه

شي يسير فيسقى سقية خفيفة ويتعاهد كذلك حتى يكمل ورده (ومن) أراد
 ان يجعل العين منه مضاعفاً خذ بصلة سمينة فيشق وسطها و يغرس فيها سن
 ثم غبر مقشرة ويغرقها في البصلة ويطمر البصلة في التراب فانها تحمل نرجسا
 مضاعفا (غريبة) ذكرها صاحب المباحج من أخذ من بصل النرجس بصلة
 كبيرة وأخذ شهابا لبصلة من ذهب خالص ثم غرز البصلة برأس المسلة باليد
 اليسرى ثم يدور المساك في الموضع الذي يريد ان يغرس فيه تلك البصلة
 خمس دورات وهو يضحك أو يتضحك ثم يغرسها في مقطع الدورة الخامسة
 فان تلك البصلة تحمل نرجسا أجم مثل الشقيق طيب الريح جدا وصفة
 غرسه كما يفعل بغيره ومن أراد أن يكون النرجس في غير أوانه فليحرق السداب
 مع شيء في قشور الجوز على منسابت أصله فانه يسرع اخراج ورقه (الوصف)
 وقال ابن الرومي

نجلت حدود الورد من تفضيله * نجلا يورد عليه شاهد
 لم ينجل الورد المورد لونه * الا وتا صله الفصيلة تاند
 للنرجس الفضل المبين وان أبي * أب وحاد عن الطريقة تاند
 فصل القضية ان هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
 شتان بين اثنين هذا موعد * بتصرم الدنيا وهذا وعد
 فاذا احتفظت به فامنع صاحبها * بجناحه لو أن حيا خالد
 يلهي النديم عن النديم بلحظه * وعلى المدامة والسماع مساعد
 اطلب بعيشك في الملاح سميه * أبدا فانك لا محالة واجد
 والورد ان فتشت في فرداسه * مافي الملاح له سمى واحد
 هذي الشجوم هي التي ربتهما * بجيا السحاب كما يربي الوالد
 فانظر الى الاخوين من ادناهما * شبرا بوالده فذاك المساجد
 أين العيون من الحدود نعاسة * ورئاسة لولا القياس الفاسد

(وناقضه) أحمد بن يونس الكاتب فقال

يا من يشبه نرجسا بنواظر * دعج تذبذبه ان فهمك راقد
 ابن القياس ولم يصح قياسه * بين العيون وبينه متباعد
 الـ... الخمد حكاية * فعلا لم نجد فضله باحاحد

ملك قصير عمره متأهل * مخلوده لو أن حيا خالد
 ان قلت ان الورد فرد في اسمه * مافي الملاح له سمى واحدا
 فالشمس تفرد في اسمها والمشتري * والبدر يشرك في اسمه وعطارد
 أو قلت ان كواكبا ربتهما * بحيا السحاب كما يربى الوالد
 قلنا أحقهما بطبع أبيه في السجودى هو الزاكي النجيب الراشد
 زهر النجوم تروقنا بضياؤها * ولها منافع بعدذا وعوائد
 وكذلك الورد لا ينق يروقنا * وله فضائل خمسة وفوائد
 وخليفة ان عاب آب بنفحة * ونسبه أبدا مقيم راسد
 ان كنت تنكر ما ذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
 فانظر الى المصفر لو نامتهما * وافطن قبا يصغرا لا الحاسد
 (وقال) سعيد ابن هاشم الخالدي بفضل النوعين

أحب النرجس البلادي ودي * ومالي باجتنب الورد طاقه
 كلا الاخوين معشوق واني * أرى التفضيل بينهما حاقه
 هما في عسكر الارهار هذا * مقدمة يسير وذاك ساقه

(وقال أبو العلاء المعري الثروى) يهجو النرجس

انظر الى نرجس تبست * صبحا لعينيك منه طاقه
 واكتب اسمي مشبه به * بالعين في دفتر الحماقه
 كرامة ركبت عليها * صفرة يرض على رفاقه
 (وقال) ابن الشبلي البغدادي فيهما

ونرجس قابل في مجلس * ودرغلا في زعمته الناعت
 فخذ النخل من لحظا * وطرف ذا في وجهه ذابا هت

(وقال) منصور الهروي يصفه مع البنفسج

قرن الزمان الى البنفسج نرجسا * متبرجا في حلة الاعجاب
 نكدود عشاق غدت ملطومة * نظرت اليها أعين الاحباب

(المدخل) الاديب الفاضل المؤرخ الرحال نور الدين علي بن سعيد الى القاهرة
 المعروسة صنع له أدباؤها صيغا في بعض منزهاتها وانتهت بهم الفرجة الى روض
 نرجس وكان فيهم أبو الحسن بن الجزار فجعل يدوس النرجس برجليه فقال

ناصر الدين حسن ابن النقيب

يا واطئ النرجس ما تسقى * ان تطئ الاعين بالارجل
فتمافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال زكى الدين ابن ابي الاصبع
فقال دعني لم ازل محنقا * على محاظ الرشاء الا لكل
ثم ابوا ان يحيزه غيره اعني بن سعيد فقال
قابل جفونا بجفون ولا * تبذل الارتفاع بالاسفل
ثم استدعاه ابن سابق الى مجلس على النيل مبسوط بالورد وقد قامت به شماعة
نرجس فقال في ذلك

من فضل النرجس فهو الذي * يرضى بكم الورد اذيرأس
اما ترى الورد غدا قاءدا * وقام في خدمته النرجس
(وقال) محمد الدين ابن ميمون خطيب النيرب وقد اهدى نرجسا
لما تحببت عن طرفي وارقتني * بعد ولم تحظ عيني منك بالنظر
ارسلت مشبهها من نرجس عطر * كيما أراك باجداق من الزهر
(وقال) صفي الدين الحلي رحمه الله تعالى
أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى ولانغام حردى المام
أيارب حتى في الحداثى أعين * علينا وحتى في الرياحين غمام
وما احسن قول بدير المجنوى رحمه الله تعالى
وكأن نرجسه المضاء فخائض * في الماء لف ثيابه في رأسه
(وأظرف) من قال

يغض من فرط الحيا طرفه * ما احسن الغض من النرجس
ونقلت من خط المرحوم فخر الدين ابن مكانس لنفسه
بعدك شمس الدين يا ماجرى * من ادمع الطل بجدا السقيق
والنرجس الغض غدا شاخصا * فلا تخلى عنه للطريق
زاد على البيتين المتقدمين وأجاد
ليس جلوس الورد في مجلس * قام به نرجسه يوكس
وانما الورد غدا باسطا * خداليمشى فوقه النرجس
قول أمين الدين الجوتان توفي سنة ثلاث وستين وستمائة

نفس فض البان أذناه * وما س عند الصبح زهوا وفاح
 وقال هل في الروض مثلي وقد * تعزى الى غصني قدود الملاح
 فصدق النرجس به زوبه * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
 بل أنت بالطول تمامت يا * مقصوف عجايب الدماوى القباح
 فقال غصن البان من تبه * ما هذه الا عيون وقاح
 (وأشدنى) من لقطه لنفسه ارتجالا لا بحضورى ونحن تنزه بجزيرة الفيل وقد
 مررنا بقطعة نرجس نسقى سيدنا المقر المجدى فضل الله ابن مكانس أبقاه الله
 وجدول الماء يجرى بين نرجسه * لذى البصائر جرى الطيف فى المقل
 وقال القاضى شهاب الدين ابن فضل الله فى كتابه مسالك أبصار فى ترجمة ابن تميم
 وحكى أنه حضر فى مجلس بعض الأكابر وقد غص المجلس وبهتت فيه عيون
 النرجس وقعت فيه أصابع المنشور وأعطى فيه أمير المحسن ذؤابة شعره
 المنشور وطال اعمال الكؤوس حتى غمضت الجفون ولم يبق دور الكاس خال من
 الجنون وأن أمنية ابن تميم قد تركه السكر لاقى وخلنا هذه المصرج محاقا فنهض
 غير مرة لتقبيله ثم خاف أعين قتيله فقهده بعد اللجاج ورجع زجوع الصادى
 والماء يجلى عليه فى الزجاج فقال

كيف السبيل لان اقبل خدمن * أهوى وقد نامت عيون الحرس
 وأصابع المنشور توى نحونا * حسدا وتغمرنا عيون النرجس
 (البنفسج) بارد رطب فيه حرارة يسيرة تتحالى بها الاورام وهو ينفع المبرور وينوم
 فوما معتدلا ويذهب الصداع العارض من المرة الصفراء والدم الحريف وهو
 وشرابه سهل المرة الصفراء وينفع للصدر والرئة وكذلك مرياه ينفع من ذات
 الجنب انتهى كلام ابن المحلى فى النور (وقال) صاحب مباحج الفكر ومنهاج
 العبر البنفسج من الرياحين اللطيفة ومن الخواص الظريفة أن من أراد أن
 يكون البنفسج على غير سبيل الفلاحة فى الصرعة أن يأخذ من السداب البستانى
 شيئا يكون مقدار فى القلة والكثرة بمقدار البنفسج ويكون السداب لم يصبه
 الماء البتة بل يقطع من منابته ويحفف حتى يزول التراب المتعلق بعروقه عند
 قاعه ثم يؤخذ كل طاقة بنفسج طاقة سداب ويعد الى أطراف مجارى الماء
 الى اصول البنفسج فيجعل فيها السداب ويؤخذ من أغصان خشب التين المجففة

شئ ثم يحرق الجميع على مقربة من البنفسج بحيث لا يبلغ لهب النار إليه فانه متى
فعل ذلك للبنفسج أهاجه وجل بعد عشرين يوما من هذا الفعل (ومن عجيب)
أمره أن الانسان اذا تغوط في مجارى الماء اليه مات ودبل وكذلك ان خرج منه
ريح في مزرعته وحاجته ان كان ابتدأ في توريده فانه يفسد ولا يكاد يجذب من
الماء الذى يسقى به شيئا وأنه اذا دام الضباب عليه يوما ونحوه ضعف ومتى توالى
نقص زهرته وصغر ورقه وتغيرت رائحته ومن الاشياء المضادة له القصب فانه
لا يفلح بقربه ولا ينمو ومن آفاته المهلكة والمضعة لقوته لسرعة قبوله
للتأثيرات الرديئة أن تقع صاعقة على اربعة مائة ذراع منه أو أقل فانه يهلك
سريعا والبرد يفسده فسادا صلاح معه وكذلك الرعد الشديد التابع
بضعفه ويوهنه والسمائم ايضا تلغمه والريح الشمال الباردة والمطر الكبير
يذهب به اضعف ساقه وماء الابار الثقيل يضعفه وربما أهلكه وكذلك
الدخان اذا دام عليه ولا ينبغي أن يماسه في منبته تراب من قبور أو ما يقرب من
القبور فان ذلك يضعفه وان أصابه أهلكه (الوصف) من رسالة لابي العلاء
هطاء بن يعقوب يصفه سماوية اللباس مسكية الانفاس واضعة رأسها
على ركبها كعاشق مهجور ينطوى على قلب مهجور كبقايا النقس في بنان
الكعب أو النقس في أصابع الكاتب أو الكحل في لحاظ الملاح
الغاسرات الغانيات القاتلات لازوردية فاقت بزرقها على اليواقيت
كأوائل النار في أطراف كبريت (وأجاد أبوهم لال العسكرى في قوله
رجه الله تعالى)

ومعذر قال الاله محسنه * كن فتنة للعالمين فكانه

زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

(وقال آخر وهو المكيال رحمة الله عليه آمين)

يامه ديا لي بنفسجا أربا * يرتاح صدرى له وينشرح

بشرنى عاجلا مصغه * بأن ضيق الامور ينفسج

(وأنشدنى الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه رحمه الله تعالى)

بنفسج الروض تاه عجبها * وقال طيبي للجو ضمع

فأقبل البان فى احتفال * والزهر من غبطة تنفخ

(وقال مجير الدين بن قسيم)

عائنت ورد الروض ياطم خده * ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * ما بينكم فهو العدو الازرق

آخر

بنفسج اجعت أوراقه في كت * دمعا تشرب كحلا يوم تشتيت
كأنه بين طاقات ضعفن بها * أوائل النار في أطراف كبريت
(ويجبني) قول الرازي بالله وان لم يكن مما نحن فيه لكن الشيء بالشيء
يذكر

قالوا الرحيل فانشدت أظفارها * في خدها وقد اعتلقتن خضابا
فظننت أن بنانها من فضة * قطفت بأرض بنفسج عنابا
حار يابس واذا غمس في الماء اعتدل وقلت حرارته وشمه ينفع من اللقوة ويضمد
به مدقوقة السعة العقرب فيسكن وينفع المبرود الدماغ ويضر المحرور انتهى
كلام العنبري (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة في كتابه شرح العيون في
شرح رسالة بن زيدون عند ذكر كسرى أنوشروان أنه كان جالسا بالايوان
واذا بحية قد دنت من عرش حمامة في بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى
الحية بسهم أو ببندقة فقتلها وقال هكذا فعل بعدو من استجار بنا فلما كان
بعد أيام جاءت الحمامة بحب في مناقرها فألقته اليه فأخذه وقال ازرعوه فنبت
ربحانا لم يكن يعرفه فقال نعم ما كافتنا به الحمامة نسأل الله الذي ألهمها أن
يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمته (قلت) وذكر الشيخ جمال الدين
ما خص به كسرى من الاشياء الغريبة فلا بأس بابرادنبذة منها اذ كان كتابنا
هذا يشتمل على ما أثر فيها الفيل الأبيض لركوبه طوله اثنا عشر ذراعا
والقطعة الياقوت المسماة لسان الثور تضي أكثر من السراج والفلميد المغنى
واضع العود الخراساني على اثني عشر وتراكل من ضرب به جرح الالهو وكان
يعمل له كل يوم مع طعامه مهر من الخيل وعناق زرقاء مغذاة باللبان النعاج
يذبحسان بسكين من ذهب ويسجر التنور بالعود ويسقط ما يسقط بالبحر المغلى
ويطلى بالمسك والملح ويعاق في سفود من ذهب ورياحين من ذهب فاذا برد جل
ووضع على نحو ان من ذهب ويقدم اليه فباكل أكثره ويتحف بالبقية من

أحب من ندمائه ويكسر التنوير ويجدد كل يوم مثله واجتمع على بابه سبعون
ملكاً وكانت له حكايات حسنة في سيرته أضربت عنها ثلاث خرج عما نحن بصدد
(رجع) قال الحسن ابن سهل أربعة من الرياحين تقوى بأربعة من الطيب
ليكمل ذكاؤها (الورد) بالمسك (والنرجس) بماء الورد (البنفسج) بالعنبر
(والريحان) بالعير الوصف قال ابن المعتز

قضيبي من الريحان شابه لونه * إذا ما بدا في العين لون الزمرد
فشبهته لما تأملت حسنه * عذارا تدلى في عوارض أورد
(قلت) وأنشدني الشيخ عز الدين الموصلي من لفظه في مالمع معذر
بجند الحب ريحان تضير * لاسطره حروف ليس تقري
فراعت النظر وقلت حي * عذارك أنحضر والنفس نحضري
(وقال) مجير الدين بن تميم

ومجلس راق من واث يكدره * ومن رقيب له بالوم ايسلام
ما فيه ساع سوى الساقى وليس به * بين الندامى سوى الريحان غمام
(الآس) بارد يابس دهنه يقوى أصول الشعرو يمنع تساقطه ويطيله ويسوده
ورقه اليابس ينفع صنان الابط ويطيب رائحة الجسم واذا طبخ وتضمض
بمائه قوى الاسنان واللثة ويمنع من الصداغ الحاد وشبهه يقوى القلب المحرور
ويزيل خفقانه وينفع حبه من الاسهال ويقوى المعدة انتهى كلام
العنبري في النور المجتني (وقال) صاحب المباحج انه يتصرف في أشياء كثيرة
عظيمة النفع حبه وورقه وقوته البرودة في الاولى وحبه نافع من الخفقان
وضعف القلب وهو بجملة قاطع للاسهال المتولد من الصفراء ومن ابتلع من
ورقه من الخمسة الى السبعة ورقات فانه يقوى المعدة وينقي ما فيها ويحلل رباها
وأما حبه فانه لما فيه من الحلاوة واللاطافة ينفع للسعال العارض من الحرارة من
غير اضرار بالصدر والرئة ولما فيه من العفوصة يقطع نفث الدم وحرقة المثانة
وينفع الاسهال المزمن وماؤه اذا غسل به الشعر حصيه وقواه من الانتثر
وصدأ صله وينفع من البرية والقروح الرطبة واذا جفف الورق ودق ونخل
وجعل على الآباط والانفاذ الندية قطع نداوتها ومنع عرقها وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال اهبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء منها الآس وهي سيدة

ريحان الدنيا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والحسين بكائي
يديه وردة أن الوردي يدري حين أهل الجنة ما خلا آس وهو باليونانية المرسين
(الوصف)

خليلي آس يبعث نشره * اذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداع ريم معذر * وصورته آذان خيل نوافر
(وما أطف) ما ألم به الشيخ شمس الدين بن الصائغ في قوله
خط آس العذار في الخد لما * عرفتني سفاهة اللوام
أنا في كسرة لبعدي عنها * جبر مثلي بالآس أوباللام
وقال آخر فاغرب

أعجب بآس معجب مؤثق * يعجب منه أي أعجاب
كأنما تقطيع أوراقه * ما بيننا أنصل نشاب
(قلت) في البيت الأول عججات كثيرة ولاكنه أصاب الغرض في الثاني ويمكن
أن يقول أعجب بآس أخضر مؤثق (الياسمين) حار يابس في آخر الدرجة
الثالثة نافع من الرطوبة والبلغم صالح للشايخ ومن كان بارد المزاج ومن
الصداع العارض من البلغم والمرة السوداء وعفونة البلغم وكثرة شممه تورث
الصغار يفعل ذلك في الحار المزاج ودهنه ينفع من أمراض العصب الباردة
والخالص من دهنه يعرف انتهى كلام ابن المحلى (وقال) صاحب المباحج
في الفلاحة إذا أردت ياسميناً أجراً اللون فإنه يشق قصب الياسمين ويخرج
ما فيه ويحشى مكانه بالك مسحوقاً ويوضع عليه طين ويلف عليه مشاق ويغرس
ويتعمد بالسقي فإنه يزهر ياسميناً أجراً والازرق بالسليح والاصفر بالزرنج
محرب (الوصف)

ولما خلناها سماء زبرجد * لها أنجم زهر من الزهر الغض
تماولها الجاني من الأرض قاعدا * ولم أر من يجني السماء من الأرض
آخر في الاصفر منه

كأنما الياسمين حين بدا * يشرق منه جوانب الكتب
عساكر الروم نازلت بلدا * وكل صابانها من الذهب
(وقال) محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى

ويأمنين قد بدت أزهاره لمن يصف

كمثل ثوب أخضر عليه قطن قد ندف

(الحبري) وهو المنثور حاريا بس في الثانية فيه جلاء وتلطيف وينفع من السدة في الرأس من البلغم وهو دواء فائق للأورام وخاصة لساطال لبته وعسر ويجتذب المشيمة والاحنة الموتي بأن يشم دهنه وتذلك به الانحصار والمغابن وفم الرحم والحبري ألوان مختلفة أصفر ذهبي وهو أرفعها ونجى وبفسجى وأكل وملع وبياض وغير ذلك من الألوان والايض هو أردأها والأصفر الذهبي ذكي الرائحة يشم ليلا ونهارا وأما سائر أنواعه سوا الابيض فانها لا يشم لها بالنهار رائحة مادامت الشمس طالعة فاذا غابت ظهر لهذه الألوان رائحة عجيبة عطرة مشاكاة لروائح القرنفل وأرواح ماء القرنفل المصعد بماء الورد ولا تزال روائحها تزاد طبيبا الى طلوع الشمس ثم تزول تلك الحجرة والرائحة باقى النهار الى وقت المغرب وأما الابيض فلا يؤدى رائحة فى ليل ولا نهار وهو أقلها نفعاً وأردأها وفي أصنافه منفعتها واحدة وقد يتخذ من الأصفر منه والحبري والبنفسجى دهن يربى بالمسمم كما تربى أدهان الأزهار فينفع الأورام الباردة ويحلها ولعقد الرقاب والأعصاب المعارضة لها وأدامان شمه ينفع من اللقوة والغالج وذوى الامزجة الباردة وإذا أخذ من بزر الأصفر محفقا وزن دانقين سحق مع زهرتين من زهر القرنفل الذكر وأضيف اليهما وزن حبة من مسك أذفر خالص ووزن القرنفل من أنفحة أرنب وسحق الجميع ورتب على الصلابة بالبان المبسوس بالمسك واتخذ منه فرزجات وتحمات المرأة فرزجة منها فى ليلة طهرها وواقعها بعلاها فانها تحمل باذن الله من تلك المواقعة وذكر جالينوس أن بزر الحبري اذا سحق مع دم همدود دهن زبيب واحتملته المرأة وواقعها زوجها حلت وهو من النبات الذى اذا لقطت ورده امرأة حائض فسد وذهل وهلاك الخاصية فيه ولا ينبغي أن يعمل أعماله كلها امرأة البتة حائضا كانت أو غير حائض بل الرجال الذين أسنانهم فوق أسنان الصبيان ويطرح بزره الذى يطرحه وهو طاهر نظيف بعيد العهد بملاسة النساء ويعالج جميع أعماله والقمر زائد فى الضوء وان كان متصلا بالسعود جيد المكان فى الفلك كان أجود ومما يوافق أن يذرف فى أصله شئ من دقاق بعرا المعز بعد السقى فانه ينفعه

ويزيد في رافحته زيادة بينة وليس يحتاج الى الشمس الحارة لانها تضعفه ولا يكثر عليه الماء اكثر اذ غرط افاته يضره انتهى كلام صاحب المباحج (الوصف)
قال مجير الدين بن تميم

حاذر أصابع من ظلمت فانه * يدعو بقلب في الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه في جـر الغضا * الا الدعا بأصابع المنشور

وقال متعصبا للأورد

ولم أنس قول الورد لا تركنوا الى * معامدة المنشور فهو عيب

(وقال) متعصبا له على النرجس

مذلاً حظ المشور طرف الترجس الـ... مزور قال وقوله لا يدفع

فتح عیونک فی سوای لانی * عندی قبالة کل عین اصبع

(وقال)

ومذ قیل للانشور انی مفضل * علی حسنک الورد الجلیل عن الشیخ

تاؤن من قوی وزاد اصـفرارہ * وفتح کفیه وادی الی وجہ۔

وقال ابن حجة

رَأَيْتُ مَعَ الْمَشُورِ بَعْضَ وَقَاعَةٍ * وَلَمْ أَدْرِ مَا بَيْنَ الْغَدِيرِ وَبَيْنِهِ

تأون منه - نمد أصابعاً * الى وجهه - عدا وجر عينه

(وقال)

ومذقيل للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو امير

بسمت ثغور الاقحوان مسرة * لقدومه وتلون المنثور

(وقال)

لمادعى المنشور ان الورد لا * يأتى وأن يصلى بنار السعير

ودت ثغور الاقحوان لوانها * كانت تعض أصابع المنشور

وأحسن التصرف الأمير شهاب الدين الحاجي في قوله

والقد نثرت مدا معی ودمی معا * یوم الوداع وخطاری مکسور

لَا تَعْبُوا لَنَاوْنَ فِي أَدْمَى * لَا نَدْعُ أَنْ يَتَلَوْنَ الْمَشُور

(الادريون) حاربنا بس منافعه أن يسحق بالخل ويطلى به داء الثعلب ينبت

الشعر فيه وينفع سائر السموم لاسيما اللدوغ وقال صاحب المباحج ان

شرب من أصله خمسة دراهم مع عسل أو سم من أسهل أسهل شديد البلغم وكيموسا
بائيا ويشربه أصحاب اليرقان وينبغي أن يضطجع من يشربه في بيت حار
ويغطي بثياب كثيرة فإنه يسيل منه عرق لونه لون المرة الصفراء والشربة منه
ثلاث مثاقيل ونصف شراب حلوى وبماء العسل وينفع شربه بالطلاء من
السم القاتل ولدغ الهوام ومن عجائب خواصه أنه ان دخلت امرأة حامل
بيتا فيه أذريون أسقطت وان تحملت به امرأة في فرجها ثم جامعها بعلمها جلت
وقال ديسقوريدس أصل بخور مريم اذا علق على المرأة منع الحمل واذا خطته
المرأة الحامل أسقطت واذا أخذ منها وهي جافة وسحق منها مغال وسقى بماء
فاتر وعسل لمن يحب أن يسهل بطنه فانه يجليه بلغما كثيرا وينقى كلى في صدره
من البلغم ويخرج ما في بطنه من الخام وان شربت منه امرأة أسهل حيضها
وان أحست منه صوفة أسهل حيضها وهي تنزل الولد الميت ويشرب منها
لعسر البول وعسر الولد وان سقى سمأ أولدغه شيء من ذوى السموم وهي سامة
مأمونة لا يخاف منها نافعة وهي تنفع لوجع الكبد يسقى منها رطلا وعسلا
وبماء فاتر وعسل وهي نافعة من السرطان ومن العقد التي تخرج في الاصابيح
والسلاع يعمل لهم منها مرهم ثم يطلى عليها والأذريون من الاشياء الصابرة على
العطش وهي كبيرة وصغيرة ونباتهما سواء فالكبيرة شجرة مريم والصغيرة
اذن الجوز وزعم السلف أن الحامل اذا أمسكت به يديها مطبقة احداها على
الانخرى ان الجنين يناله ضرر شديد فان أدامت امساكه واشتد به أسقطت
وان عمرت الولادة على الحامل فلتمسكه يديها كما وصفنا فانها ترمى الولد سريعا
واذا بخر به هرب الفار والوزغ من الموضع الذي بخر فيه وفيه منافع جمة
اختصرناها (الوصف) قال الصنوبري
كأن أذريونها من فوق تلك القضب

نحيام مسك فوفها سراق من ذهب

وقال ابن المعتز وأجاد

كأن أذريونها والشمس فيه كاليه * مداهن من ذهب فيها بقايا غايه

قال ابن حجة في الأذريون

كأن أذريونها ونوره قد أبهى * ويبيض برق لامع في جنح ليل قد دجا

(السوسن) بضم السين ثمن والصواب بالفتح وزن جوهر وكثير ولم يسمع بالضم الا جوذر وهو حار يابس في أول الدرجة الثانية ينفع من كاب بارد المزاج ومن الاوجاع المعارضة في العصب من البلغم ودهنه نافع من وجع العصب المتولد من البلغم ووجع الرحم والاسمانجوى أقل حرارة وأصل الاسمانجوى سهل المساء الاصفر الشربة منه مثقال انتهى كلام صاحب النور (الوصف)
قال أبو نواس رحمه الله تعالى

سقيها لارض اذا ماتت نهي * على الهدوبها قرع النواقيس
كان سوسنها في كل شارقة * على الميادين اذ ناب الطواويس
قال ابن حجة في السوسن

بداسوسن الروض المديج أزرقا * وأصفر يعلو طوله فوق مبيض
كان الربا أرخت ذبول غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض
(اللينوفر) وهو أزرق وأصفر وأجر وأبيض وجميع أصنافه باردة رطبة
منوم مخدر للدماغ أقوى فعلا من البنفسج في التنويم والتبريد وينفع الصدر
والرئة في الامراض الحارة وينزل الصداع وكثرة شحمه تزيل الاحتلام
ويقطع شهوة الباه لاسيما ان شرب منه فانه يجمد المني لخاصية فيه لاسيما
أصله وبزره وشرابه ودهنه نافعات لامراض الرأس من حرارة انتهى كلام ابن
الحلى (الوصف) قال ابن صابر

يا حبذا بركة نيسلوفر * قد جعت من كل فن عجيب
أزرق في أجر في أبيض * كقرصة في محن خد الحبيب
كانه يعشق شمس الضحى * فانظره في الصبح وعند المغرب
اذا تجلت يتجلى لها * حتى اذا غاب سناها يغيب
يدنو اليها شاخصا طرفه * ولا يتعاشى نظرات الرقيب
لا يتغنى وجهها سوى وجهها * فهل يحب مخاص في حبيب

(وقال) ابن جديس

اشرب على بركة نيسلوفر * محرة الاوراق خضره
كانها أزهارها أخرجت * السنة النار من المساء

(وقال) ابن تميم وأجاد

لينوفر لما تأس مأؤه * ثوابتاه على النجوم بشوبه
نظته أعينها فنكس رأسه * نجلا وغاص من الحما في ثوبه

وقال أيضا

عدا اللينوفر المصفر يحكي النجوم فلا يغادرها شيئا
تغوص العين فيه اذا تجلى النجم -- هاروفي الظلام يغوص فيها

وقال أيضا

ولينوفر كالزهر شـكلا ومنظرا * محاسنه فيها اللواظ ترتع
وكل نجوم لكن الفرق بينها * تغيب صباحا وهو في الليل يطلع

وقال ابن حجة

لينوفر الليل مذيأبدي تلونه * أجروأزرق من ساسيناوشكا
قلنا له ذاك لون واحد وبه * يسمو وأنت بليد وهو فيه ذكا

* (الباب السادس عشر في الروضات والبساتين) *

أجمع جوابوا أقطار الأرض على أن متزهاتها أربعة سفد سمرقند وشعب
بوان ونهر الابله وغوطة دمشق قال أبو بكر الخوارزمي قد رأيتها كلها
فكان فضل الغوطة على الثلاث كهضل الأربع على غيره من كأنها الجنة
صورت على وجه الأرض فأما السفد فهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى
مشتبكة العمائر ما مقدارها اثني عشر فرسخا في مثلها وأما شعب لبوان فبقعة
من نواحي كورة ساپور يكون مقاديرها فرسخين قد ألحقها الأشجار ظلالها
وجاست الأنهار خلالاتها وهذا الشعب لبوان بن أبرج أفريدون وفيها
يقول المتنبي

مغاني الشعب طيبا في المعاني * بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها * غريب الوجه والبد واللسان
ملاعب جنة لوسار فيها * سليمان لسان بترجان
غدونا نغص الأغصان فيه * على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجب الشمس عنى * وجئن من الضياء بما كفاني
وألقى الشرق منها في ثيابي * دنائرا تفر من البنان

لها ثم يشير اليك منه * بأشربة وقفن بلا أوان
 وأمواء تصل بها حصنها * صليل النحل في أيدي الغواي
 اذا غنى الحمام الورق فيها * أجابتها الاغاني والقياسي
 ومن بالشعب أخرج من حمام * اذا غنى وناح الى البيان
 وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفا هما متباعدان
 نقول بشعب بوان حصاني * أعن هذا تسير الى الطعان
 أبوصكم آدم قد سن هذا * وعلمكم مفارقة الجنان
 وأمانهر (الابلة) وهو من أعمال البصرة وطوله أربع فراسخ وعلى جانبيه
 بساتين كأنها بستان واحد قد خط على خط مستقيم وكأن نخله غرس في يوم
 واحد (وأما الغوطة) وهي من حيز دمشق فانها باحيرة يكون طولها ثلاثين ميلا
 وعرضها خمسة عشر ميلا مشبكة القرى والضياح لا يكاد أن يقع للشمس
 على أرضها شعاع للاثفاف أشجارها واكتشاف أزهارها وللشعراء في
 وصفها قصائد كثيرة أضربنا عن ذكرها لتردد العمل فيما يختار منها اذ كلها
 حسان لوجهت تخفيت من تسطيرها الاقلام وكلت البنان وقد روى في
 بعض الاخبار عن كعب الاحبار انه قال غوطة دمشق بستان الله في أرضه
 (وقال) جمال الدين بن نباتة كتبها المملوك ومنظر الروض قد شاق ودمع
 الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق والغصون المنعطفة قد أرسلت أهواء
 القلوب بالاوراق وجمائها المترعة قد جذبت القلوب بالاطواق والورد
 قد أخرج رنده الوسيم وفككت أزراره من أجساد الغضب أنامل النسيم
 وخرجت أ كفه من أ كمامه بأخذه البيعة على الأزهار بالتقديم (وقال) مجير
 الدين بن تميم

كيف السبيل بلثم من أحبيته * في روضة لآزهر فيها معرك
 ما بين منشور وناظر نرجس * مع اقبح وان وصفه لا يدرك
 هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنوا الى وتغر هذا يضحك
 وقال آخر وحالنا موضع كذا فافتشنا من زهره أحسن بساط واستظلنا من
 شجرة بأوفى رواق وطاعة تعاطى شعوسا من أكف بدور وجسوم نار في غلائل
 نور الى أن جرى ذهب الاصيل على بحين الماء ونشبت نار الشفق بفحمة
 الظلماء

الظلماء (وقال) الشريف على ابن دفترخوان

ودوحة سكرت أغصانها بصبا * فالهوى في معانيها اشارات
 ماست فنقطها غيث بألوة * ففوق أوراقها منه جانات
 فهن في العين هآت مطمسة * من اللجين وان سالت قيمات
 (وقال) على ابن ظافر في منزل قد انقطعت قدود أشجاره وأبسمت ثغور أزهاره
 وذاب كافور مائه على عنبر طيبه وامتدت بكاسات الجلمنار أنامل غصونه
 والنسيم قد خفت واعتل وسقط رداؤه الخفاق في الماء فابتل ووهنت قوته
 حتى ضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوايح الطير (نحر الترك)
 أندم المجنوى

الروض مقتبل الشبيبة مؤنق * خضل بكاد غضارة يتدفق
 نثر الندى فيه لآلى عذده * فالزهر منه متوج ومناطق
 وارتاع من مر النسيم به ضحى * فعدت كما ثم نوره تتفتق
 وسرى شعاع الشمس فيه فاتق * منها ومنه سنا شمس تشرق
 فالغصن ميسر القوام كأنه * تشوان يصبح بالنعيم ويعبق
 والطير ينطق معربا عن شعوبه * فيكاد يفهم عنه ذلك المنطق
 غردا يغنى للغصون فينتنى * طربا جيوب الطل منه تشقق
 والنهر لما راح وهو مسلسل * لا يستطيع الرقص ظل يصفق
 فتمل أيام الربيع فانها * ريحانة الزمن الذي يستنشق
 (برهان الدين) القيراطى في دمشق سمى سهمها على قوس الكواكب
 وأقبلت من كائب زهورها في مواكب وتحرك عودها حين غنت عليه من
 الورق القيان وطمع يزيد ما فقلت وهذا مما يحب أباسغبان (وقال) سيدنا
 ومولانا أفضى القضاة بدر الدين محمد المخزومي المالكي الشهير بابن الدماميني
 أسبغ الله عليه ظلاله يصفها عند دخوله اليها في ثامن رمضان المعظم سنة
 ثمانمائة ونقلت من خطه فتأملها المملوك فاذا هي جنة ذات ربوة وقرار معين
 وبادة تبعث محاسنها الفكر على حسن الوصف وتعين وحسبك بالجامع الفارق
 بينها وبين سواها والانهار التي اذا ذكركل المحل فأجراها واذا سمع حديث
 النخب فأرواها ما أقول الامتزحات مصرحاً ربه من المحاسن وهذه ذات

الكسوة ولأن النبل احترق الأمن الأسف حيث لم يسعد الدهر بالصعود
إلى تلك الربوة ولا أظنه أجزا لاجلامن صفاء أنهارها ولا ناله الكسر الالتامه
بالانقطاع عن الوصول إلى سقى أزهارها فلورأى العاشق جبهتها لسلامه
ممشوقه ونسى ظهور جواربه المتحبيبة بمقامات غصونها المشوقة ولو
تطاوت المجنونة إلى المفارقة لتأخرت إلى خلفها متحيلة وأجمت عن الاقدام
حين تحركت لها بدمشق السلسلة وحق مصر أن لا يجرى حديث المفارقة في
وهمها وأن تتق شر المنازعة قبل أن تصاب في هذه البلدة بسهمها فسقى الله
من تزهاتها التي طرب المملوك برؤية حبكها وطالبها تزلزل المعاطف على
السماع ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجليد فانهقد على حلاوة شكره الاجماع
تروع حصاد حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم (وقال) البدر
يوسف من أوثر الذهبى

هلم يا صاح إلى روضة * يجلوبها العاني صدامه

نسيمها يعثر في ذيله * وزهرها يضحك في كفه

(وقال) ابن عمار

يا ليلة بتأها في ظل أ كاف النعيم

من فوق أ كمام الرياض وتحت أ ذبال الذسيم

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى في تشبيه القمر من خلال الاغصان

كأنما الاغصان لما تثنت * امام بدر التم في غيبه

بذت ملك خلف شبا كها * تفرجت منه على موكبه

(وقال) سيدنا بدر الدين محمد بن الدماميني في كتابه الذى وضعه على غيث

الادب الذى انسجم فى شرح لامية الجهم تصنيف الشيخ صلاح الدين الصفدى

وسماه كتاب نزول الغيث عند ذكر هذين البيتين (ظاهر هذه العبارة) أن

الاغصان شبت فى حال انثائها امام البدر فى الدجاء بنت ملك تطل من خلف

شبا كها للنظر فى موكب أبيها وذلك عن مظان التوجيه بمعزل ومقصوده أن

البدر فى حال ظهوره من خلال الاغصان المنثية على الصفة المذكورة شبه ببنت

ملك على تلك الحالة تمثيلا للهبة لاجتماعية بشيها لكن لفظه لا يساعده على

هذا المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدا وأخبر عنه بقوله بذت ملك فلم يتم له

المآد وكثيرا ما يقع له في هذا قال يصف خالا على شفة

قد شبه الخال على ثغره * تشبيهه من لا عنده شك

كسجة من جوهر تضمنت * حق حقيق قفله مسك

وإن هذا من قول الطغرائي

انظر الى الجنة في ثغره * لا ريب في ذلك ولا شك

أما ترى فيه الرقيق الذي * ختامه من خاله مسك

على أن مقطوع الصغدي الأول مع ما فيه من العيب مأخوذ من قول ابن
قرناص

وحديقة غناء ينتظم الندى * بفروها كالدر في الاسلاك

والبدري شرق من خلال غصونها * مثل الملح يطل من شبك

وقد عيت هذا البيت وشتان بين ذلك وبينه فتأمله انتهى كلام الشيخ
بدر الدين وقال بعضهم وأحسن

نحس في عب سماء أقلمت بعد الارتواء وأقشعت عند الاستغناء والنبت

خضل ممطور والنقع ساكن محصور رش جبين التسميم وابتل جناح الهوى

وضربت خيمة الغمام واعرورقت مقلة السماء وقام خطيب الرعد ونبض

عرق البرق (وقال) ابن الساعاتي (توفي سنة أربع وسبعمائة بالقاهرة وعمره

احدى وخمسون سنة)

واقعدنزلت بروضة عبقية * رنعت نواظرنا بها والانفس

فضالات أعجب حيث يحلف صاحبي * والمسك من نغماتها يتنفس

ما الدوح الاجوهر والجوالا * عنبر والارض الاسندس

سمرت شقائقها فهم الاقحوا * نبلتها فرنا اليها الترجس

فكان ذاخذ وذا ثغرتحا * وله وذا أبدا عيون تمس

بدر الدين بن يوسف بن لؤلؤ الذهبي رحمه الله تعالى

وحديقة مطولة باكرتها * والشمس ترشف ريق ازهار الربا

ينكمر الماء انزال على الحصى * واذا غدا بين الرياض تشعبا

(وقال)

باكرالى الروضة يستجلبها * فتغرها يا صاح بسام

والترجس الغصن اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه أسقام
والغصن فيها ألف قديدا * والنهر في أرجائها لام
ويلبل الدوح فصيحاً على * الايكة والشحرور تمتام
صفوان بن ادريس (توفي سنة ٩٨ هـ رحمه الله تعالى)

جاد الربا من بانه المجرع * نوان من دمي وغيم مماء
يا ليت شهري والزمان منقل * والدهر ناصح شدة برخاء
هل نلتقي في روضة موشية * خفاقة الاغصان والافياء
وننال فيه من تألفنا ملوما * فيه سخنة أعين الرقباء
في حيث أطلعت الغصون سوانا * قد قادت بالآلى الانداء
وجرت تغور اليامين فقبلت * عنى عذار الآسمة الميساء
والورد في شط الخليج كانه * رمد ألم بمقلة زرقاء
وكان غصن الزهر في خضر الربا * زهر النجوم تلوح في الخضراء
وكأنما جاء النسيم مبشرا * للروض يخبره بطول نواه
فكساه خلعة طيبة ورمى له * بدراهم الازهار رمى سخاء
وكانما احتقر الضيع فبادرت * بالعدو عنه نعمة الورقاء
والغصن برقص في حل أوراقه * كأنخود في موشية خضراء
واجترث غرا لا فحوان بما رأى * طربا وقهقه منه جرى الماء
أفديه من أنس تصرم وانقضى * فكأنه قد كان في الاغفاء

له وكتب الخ (ونقلت) من خط سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن الدماميني هذا اللغز وكتب
به الى بعض الفضلاء الثغرا المحروس ما قول مولانا أبقاه الله تعالى وضاعف
أقبله ووالى في ذات ينعم بها الجاني وتطرب في مراتبها الانحاس المغنية عن
المثالث والمثاني خرساء لا تعرف حديث الادب المأثور وطالمات تأملها الكاتب
فوجد بها السجع والمنثور عيونها تذبذب اذا شربت وأعطافها ترقص اذا
طربت طالمات تحركت بها السواكن وهاجت البلابل ونهر من سأل عنها
فاستعذب نهرها السائل وروى منها عن الزهري حديث حسن ولم يعزاليها
مع ذلك براءة ولا سن ورمقت الاعين حدودها وودت الانفس على الحالين
ورودها استحسنات الخواطر حديث راويها اذا اعتلى واستتروحت لنفسه

له وكتب الخ
أقبل معناه
تظهر
اسمة

الطيب اذا اختل ان عرف لفظها كان علما لمحل لا بطرقه محل ولا ينكر
تأنيته فـلـ يحدث المصـرى بحلاوته ويخبر بلفظه وطلاوته قدسـهـ من
قديم تألفه البسطة وجهـل السكر على انه مازال يقول بالنقطة يعرف
المعشوق وآثاره وينال من المشتى أمانيه وأوطاره وتوطأ فيحمد حـله
الانعال وتقف عنده الجوارى على الارجل فلا تود الانتقال وينشـدـ من
شغف بمعانيه وبعث طرفه لتأمل مغانيه وكتب اذا أرسلت طرفك رائدا
لقـلبك يوما أتعبتك المناظر والافـعـلم على جـلـة يعرفها الطالب ويحسن
ارتكاب المهالك لينزل ما فيها من المطالب قد فتحت لارباب المقاصد أبوابها
ومنحت الافهام الضالة هديها وصوابها وصحت بما اشتملت عليه من العلال
ونصحت مع انها أحكمت بالسلامة على الحال

وقد بسقت منها الفروع وأثمرت * الى أن جئنا منها الورى ثم العاليا
وفي وصفها يبدو الطباق فضدها * يموت بها غمنا وصاحبها يحيي
(الوزير بن عمار)

وليل لنا بالسـد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الارقم
بحيث اتخذنا الروض جارا تزورنا * هداياه في أيدي الرياح البواسم
تبلغنا أنفاسه فتردها * بأعطر أنفاس وأزكى المباسم
تسير اليناثم عنا كأنها * حواسد تمشي بيننا بالإنعام
(وقال) القاضي بدر الدين بن الدماميني لنفسه رجه الله

يقول مصاحبي والروض زاه * وقد بسط الريح بساط زهرى
تعال نباكر الروض المغـدا * وقم نسـجـى الى ورد ونسرى
(وقال) أبو جعفر ابن الشعرى (توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة)

يا هل ترى أظرف من يومنا * قلـد جـيد الـافـق طوق العقيق
وأطلق الورق بعبدانها * مرقصة كل قضيب ودرق
والشمس لا تشرب خمر الندى * في الروض الا بكؤس الشقيق

وقال بعضهم

في روضة علم أغصانها * أهل الموى العذرى كيف العناق
هبت بهاريج الصبا سيرة * فالتفت الاشجار ساق بساق

(وقال) الشيخ عز الدين الموصلي ونقلاهما من خطه رحمه الله تعالى
 منابر الدوح فيها الورق قد سمجت * فالت القصب للأحسان واستمعت
 وهاجها سحر امر التسيم فخذ * هب القبول الى طيب الصبوح دعت
 أبدت فرادى ومثني من عجائبها * تلك الرياض التي للحسن قد سمجت
 بينا تغور بها الازهر قد سمجت * أضحت عيوننا بماء الطل قد دمعت
 ومذتلون وجهه الروض قابله * نهر به أعين في صدره دفعت
 (وقال) الشيخ الفاضل الكامل يحيى بن هذيل التيجي أبو زكريا كذا ذكره
 العلامة ذو الوزارتين لسان الدين محمد بن الخطيب في تاريخه الاحاطة بتاريخ
 غرناطة (وذكر ان وفاته سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة)

نام طفل النبت في حجر النعamy * لا هتزاز للظل في مهـدا الخزاما
 وسقى الوسمى أغصان النقا * فهوت تلتهم أفواه المدامى
 كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا في وجنة الصبح لثاما
 يحسب البدر محبائل * قد سقته راحة الصبح مداما
 حوله الزهر كؤوس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما
 وقال الوزير العلامة نضر الدين عبد الرحمن بن مكاس تغمده الله بالرحمة يصف
 شجرة بشاطئ النبل المبارك بالروضة

باسرحة الشاطئ المنساب كثره * على البواقيت في أشكال حصاء
 حات عليك عز اليها المحباب اذا * فو الثريا استهلت ذات افوائى
 فان تبهم فيك النور من جندل * سقاك من كل غيم كل بكائى
 رجاءك بالوارف المعهود منك فكم * لنسا بظلك من اهواء اهوائى
 وكم نزلنا مع الامنك ما حى الهجير * اذ حيث لا مرأى لمحـربائى
 يظل من قبل الفضفاض في ظلال * من الغمام يقينا كل ضرائى
 يا طيبة بدواء القيص عالمة * أنت الشفاء لدى الرضا من الداء
 لا صوح الدهر منك الزهر وانجست * عليك كل هتون الودق سوداء
 عصاة الشرب أموار ووض زاهرة * تعزى لا كرام احوال وآبائى
 خلائل الروض منشاهها ومرضعها * خمرع الخبيرين من نيل وانوائى
 فاستهدت دوحها الخضل واقتربت * بحم الربا ورفق عرشا على الماء

قوله وكم نزلنا
 الخ هو كذلك
 فى الاصل ونقل
 بحروفه وليجوز
 اه

قويرة العين بالانواء باردة القلب الذي لم تنله غير سراء
 مقييل ندمان بل معنى جاثم بل * كناس أرام بل أفناء درماء
 لها مطارف مجبج فصية لها * ظل يعادل فيه طيب مشاء
 قديمة العهد هزتها الصبا فصبت * فهي العجوز تهادي هدى برها
 لا يدرك الطرف أقصاها على كاك * حتى تعود له لحظات حواء
 وصوت يلبها الراقى ذرى غصن * بحلة من دمعس الريش دكاء
 كقرع ناقوس دبرى على شرف * مسبح في سواد الليل دعاء
 نخلية حين أجنبت الضلوع على * نار يشجوى بها لاحب لمياء
 تهكمتني فلم تحبني أضالعهما * على الهواء وأجنبتها على الماء
 بديعة المحسن قدفازا الجناس لها * من المعاني بأفنان وأفياء
 وقام عنها لسان الزهر ينشدنا * للهوكم أرتج ما بين أرجاء
 كم صفق الموج من أزهارها طربا * فنقطته يبيضاء وصفاء
 وكم طربت لما أبدته من ملح * يصوب له كل ذى عقل وآراء
 وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى * فكنت فى كل حال منهم ما الطاء
 كأنهم من جنسان الخلد قد كملت * حسنا وحسبك من حضراء العاء
 كأن أغصانها اللدن الرشاق اذا * هصرت أفنانها أعطاف وطفاء
 كأن صفحتها الحجر بقشرتها السـ * دكاء قرص على أعكان سمراء
 كأنها فوق دعص الموج اذ سفحت * هضابه سفع وادرب أفياء
 مالت على النهر اذ جاش الخويرة * كأنها أذن مالت لاصغاء
 كأنما النهر مرآة وقد عكفت * عليه تدهش فى حسن ولا لائى
 ذو شاطئ راقى غب القطر فهو على * نهر الابله بزرى أى ازرائى
 كأنه عند تفريك الدسيم له * فرند سيف نضته كف جللى
 كأنه شبك من أولو نظمات * أوجوه الراسن أو تحليل رقصائى
 كأنه حين يهدى زرقه وصفا * رفاق عين بوجه الارض شهلاء
 وكم شدتنا جامات الاراك على * أغصانها فأرتنار قص هيغاء
 من كل ورقاء فى الافنان صادحة * بين الحدايق فى فيحاء زهراء
 ورق تغنت بحبات رقيق على * عبادتها فاله فى مغنا وغناء

يا كرتها في مرة من أصاحينا * لا ينطوون على حقد وشحناء
 قد اعبوا بمعاني شمرهم فأروا * ود الاحبة في ألفاظ أعداء
 من شيخ يحنون في شباب فتى * يقري المجنون بقلب غير نساء
 يسعي اليها على جرداء جارية * من ايدها كهلال الافق حدياء
 نوحية الصنيع لا احكام منسأة * تسير ماسيرت من غير اعياء
 سوداء تحكي دني الماء المصنل شا * معة على شفة كالشهد لعياء
 ساجية الدير تها الصانعون لها * من التداييج ما يزهو بصنعاء
 غريبة ذات ألوان واجفحة * لم أدر تعزى لروض أولع نقاء
 لم يستطع شاوها اذ سيرها عنق * عز الجياد على كد وانضاء
 لكم قد نعمنا بها عيشا بصافية * شطاء تحلي على الخلاء عذراء
 مما تخيرها كسرى وأودعها * رب الحورنق في قوراء جوفاء
 راحا اذار كع الابريق يمزجها * سمعت من صوته تسبيح فأفاه
 أم السرور التي أبقى الزمان بها * جزؤ الحياة وقد ألوى بأجزاء
 فعاطيتها على طل الندي سحرا * فان ترشافها موتى واحياء
 واستجلها بذت مصرنة تطيل على * بغداد والموصل الحديا وسوراء
 كم بين من قام معتل النسيم بها * على اعتدال وحدياء وزوراء
 من هكف ظبي وشاد أو وشادية * تشدولنا بين صوت العود والناء
 على الحدايق لا الاكام تنفحنا * ريح البنفسج لا نشر الخزاماء
 أما أنا لست نواحا على طال * ولا خليط ولا نداب أحياء
 تركته لانا كالتبوس غنوا * عن المدام بدر الابل والشاء
 يعزونا لاشعر لكن من جهالهم * لم يفرقوا بين ابطاء واقوائ
 من كل ألكن عند البحث منقطع * كأنه واصل والشعر كالزاه
 (وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي

أشتاق في وادي دمشق مهيدا * كل الجبال الى جناه ينسب
 ما فيه الاروضة أوجوشق * أوجدول أو بابل أو رب رب
 وكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
 واذا تكسر نؤه أبصرته * في الحال بين رياضه يتشعب

وشدت على العبدان ورق أطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب
 فالورق تشدوا والنسيم مشيب * والنهر يسقى والحدايق تشرب
 وضياها ضاع النسيم بها فكم * أخفى له من بيننا متطلب
 ونحلت بقاي من عسالة حبه * فيها لأرباب الخلافة ملعب
 ولكم طربت على السماع بجنكها * وغدا بربوتها اللسان يشيب
 فتى أزور معالم أبوابها * بسماحها كتب الكرام تبوب
 (وقال) ابن ظافر في بدائع البداية اجتمع الوزير أبو بكر ابن القبطرنة
 والأديب أبو العباس ابن صارة في يوم جلا ذهب برقه وأذاب ورق ودقه
 والأرض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال
 ابن صارة

هذى البسيطة كاعب أبرادها * حلال الربيع وحالها النوار
 (فقال) ابن القبطرنة

فكان هذا الجوف فيها عاشق * قد شغفه التعذيب والاضرار
 (فقال) ابن صارة

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار
 (فقال) ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * تبكى الغمام وتضحك الازهار
 وقال ابن تميم

لو كنت اذا نادمت من أحبيته * في روضة تسبي العقول وتفتن
 رأيتها وعمونها من غيرة * منى تفيض ووجهها يتلون
 (وقال) محي الدين بن عبد الظاهر

والأغصان قد اخضر نبات عارضها ودنانير الازهار ودرامها وقد شربت
 لتسليم قابضها والمنثور وقد نظمت قلائده وصيغت رلائده والحور وقد
 جاوز السهي بالياشير والسرور قد كشف عن سوقها وقالت لها تلك
 الغدران بهديرها انه صريح عمرد من قوارير والسوسان وقد لاحظ جفنه
 الوسنان والورد قد ورد والبان وقد بان (وقال) الشيخ عز الدين الموصلي
 ونقلاهما من خطه رحمه الله تعالى

وروضة نقشتها للحياء * فأصبحت بين تطاير وترهيب
 مثل السوار لها سوراً طابها * من سلسل هي منه ذات تسوير
 أو كالمخيل للأدواح دار على * سوق لها مطلقاً في زى مأسور
 تحت الغياض رياض ديجت فبدت * ألوانها ذات تشهير وتشذير
 أغصانها الند والأوراق سوسنه * والزهر عرق ياقوتا بيلورى
 والزهر بين شعاع الشمس تحسبه * دراهم نثرت بين الدنانير
 والظلم ثوب اذا مر النسيم به * فالروض ما بين مهتوك ومستور
 ونهرها زائد بالخصب يدنينا * كصارم في سبيل الله مشهور

(وقال)

وروض نجم الزهر أصبح معجبا * فتعسده من حسنه الانجم الزهر
 ومذارجف الماء النسيم قد رعت * مزردة الاثواب من خوفها الغدر
 فالروض تديج بالوان زهره * وللعصن من أوراقه الحمال الخضر
 فراع نصير من حنان جناسه * فلى الخي زهر وحلى الدجى زهر
 وأغربت الالحان فى الدوح ورقة * فمكن قيانا دونها أسبل الستر
 وأسفر للأصباح خدمورد * ومن قبله حبي بريحانة الفجر
 وقال العفيف التلمسانى قدس الله سره

انظر الى الاغصان فى حركاتها * الشكرها أم سكرها تتأود
 فتقول أرباب البطالة ينثنى * وتقول أرباب الحقيقة يسجد
 وقال شهاب الدين بن دمر داش (مولده سنة ثمان وثلاثين وستمائة ووفاته سنة
 ثلاث وعشرين وسبعمائة)

انظر الى الاشجار تلق رؤسها * شابت وطفل ثمارها ما أدركا
 وعيبرها قد ضاع من أكلها * وغدا باذيال الصبام تمسكا
 وقال برهان الدين القبراطى من قصيدة

تشوقى الفات الروض مائلة * من النسيم سكارى وهى دالات
 ولى من الورق فى أوراقها طربا * كأنهن على العبدان قينات
 (وقال) الشيخ مجد الدين الارموى (توفى سنة احدى عشرة وسبعمائة)
 كم للنسيم على الربان نعمة * وفضيلة بين الورى لن يجعدا

(١٢٥)

مازارها وشكت اليه فاقه * الا وهزها الشماثل بالندی

(وقال) محي الدين ابن قريظا صرحه الله تعالى

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاها المسالك

وقال دنا فصل الريح فكله * تغور لما قال النسيم ضواحن

(وقال) الفاضل علاء الدين علي بن ظافر العسقلاني في كتابه بدائع البداية

قال اجتمعت أنا والقاضي الاعز يوما فقلت له أجز

* طار نسيم الروض من وكر الزهر * فقال * وجاء مبلول الجناح بالمطر *

(قلت) الشئ بالشئ يذكركت بقول العسقلاني ما أنشدني من لفظه لنفسه

الشيخ عز الدين الموصلي محاجيا

يا من له حسن لفظ يثنى عليه المثاني

ما مثل قول المحاجي أحوى الشفاء جفاني

(وذكرت) بلطف هذه الآية ما أنشدني من لفظه لنفسه سيدنا ومولانا

الفاضل المغن المحدث المؤرخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ نور الدين علي الشافعي

يا بن حجر ابقاه الله محاجيا

يا فاضلا هوفي الاحاجي ليس يخلو من ولع

ما مثل قولك للذي يبكي الحبيب اسكت رجوع

(وظرف من قال)

وروضة رقعت أغصانها وشدت * أطيارها وتولى سقيها المحب

وظل شحروورها الفريد تحسبه * أسويدا زامرا مزماره ذهب

وقال ابن خفاجة في نهر تحف به أشجار

قد رق حتى ظن درعا مفرغا * من فضة في بردة خضراء

وغدت تحف بها الغصون كأنها * هذب تحف بمقله زرقاء

(وقال) الرصافي في نهر تحف به شجرة

فاتت عليه مع الظهيرة سرحة * صدئت اعينها صفحة مائه

فتراه أزرق في غلالة سمرة * كلراع يستقلى بظل لوائه

(وقال) نور الدين علي بن سعيد

كأنما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليه الغصون تقرؤها
(وقال) بعض المغاربة وأجاد الغاية

ومنم الشـطين أحـكم صـقله * كالشـرفي قدـا كـتـسـى بـفرندـه
نخـمـائل الـديـبـاج مـنـه جـائل * متـعـانق فـيـها الـبـهار بـورده
واقـدر اخـتـفى طـرفـه فـي دوحـة * كالسـيف رـدـبـابه فـي غـمـده
(وقال) محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله

وبطـحـاء فـي روض بـروقـك روضـها * ولا سـيما ان جـاد غـيث مـبـكر
تـلـاحـظـها عـين تـغـيـض بـأدمـع * بـرقـقـها مـنـه هـنـالك مـحـجـر
بـهـافـاض نـهر مـن مـجـين كـأنـه * صـغـايـج أخـضت بـالنـجوم تـسـمر
كـأن حـصـاهـا اذ بـدا فـيـه أـجر * وأبـيض دمع فـي تـخـدودـيـه تـثر
والـافـرد بـالظـلال مـسـهم * والـافـطرس بـالتـجـعد بـسـطر
ومـالـح فـي جـنـبـيـه نـبت وائـمـا * تـبـدا عـذارا مـنـه فـي الخـدأ خـضر
وكـم غـازاتـه لـلغـزاة مـقـلة * تـسـارق أـوراق الغـصـون فـتـنـظر
وتـبـصر مـنـه كل حـسـن فـيـنـبري * حـياء لـديـه وجـهـها وهـو أصـفر
اذا فـانـحـته الـريـح واثـمـلـة * بأذـيال كـشـبان الـربـي تـتـعـثر
بـه الـفـضل يـبدو والـربـيـه وكم غـدا * بـه الـروض يـحيـي وهـو لا شـك جـعفر

(وقال) علي بن ظافر مرت أنا والقاضي الاعز رحمه الله تعالى بساقية تتلوى
تلوى الافرغوان * وتنفق خفقتان قاب الجبان * والزهر قد نظم بابتها عقود
فوق أثوابها المسكة * والذيم يكسوها ويسلمها غلائل معركة فقلت
* أساقية أم أرقم فرهاريا * (فقال) * أم الريح قد هزت من الماء قاضيا *
(فقلت)

حصائل در الثغر أجري زلاله * رضا با وأبدى نبتة النضر شاربا
(فقال)

يوشحها زهر الرياض قلائدا * ويلبسها مر الرياح جلائبا
(وقال) الأديب أبو اسحق ابراهيم بن خفاجة

ورثـتـه ربا تـها تـها بـها الصـبا * تـهـادى عـطف الـمـترف الـمـتـخـرر
وقـد صـلـت مـن صـفـحة المـاء مـنـصـلا * بـه مـن شـعاع الشـمـس وونق جـوهر

فمن شربك قد حيك حولك مغاضة * ومن سبك قد صيغ صيغة خنجر
 وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * بأضعف من طرف المريب وأفر
 ولاح على بلاورة من غديره * شعاع شراب للعشيرة أصفر
 وصفرة مساوئ الاصيل تروقي * على لعس من مسقط الشمس أسمر
 الى أن توارت بالحجاب مريضة * تلفع في ثوب من الليل أخضر
 وغازاني جفن من الافق أنجيل * يدبر من الظلماء مقالة أحور
 (ونقلت) من كتاب نزهة الابصار في نعت الفواكه والثمار تأليف الشيخ
 الفاضل الكامل محمد بن القاضي المنشي البليغ ضياء الدين نصر الله بن محمد بن
 عبد الكريم الموصلي ولم أزل من الازهار في سؤال وجواب وأنا منصت
 انصات المتعجب لمفانحات الاعجاب اذ سمعت صوت هاتفة ورقاء على بانه
 نحضراء بلسان فصيح وقلب بفرقة الاحباب جريح وقد أوفت على غصنها
 الرطيب ومالت وأعلنت بما أسرته من وجد وقالت

اذ كرونا ذكرنا عهدكم * رب ذكرى قربت من ترحا

اذ كروا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وطاف القدحا

يا معشر الربا حين التي يزهى حسننها على كل حين لقد بخرتم حدا لا كئار ولم
 ينبج أحدكم من سقطات العنار هب انكم نزهة العيون وزينة الافنان
 والغنون فهل أنتم الا عاشاش أفراننا ومواضع أوساننا واهواد خطبائنا
 وأرائك امرائنا ومهود ابنائنا وستور نسائنا رؤسكم محط أرجلنا
 وهاماتكم نعال أرجلنا ونحن المسبحون بحمد ربنا المثنون عليه باللائن
 الناطقة والافواه العذبة الرائقة فلما سمعت كلام الحجام هممت بالانصراف
 من حيث أتيت لا خبر بما سمعت ورأيت اذا أقبلت غمامة تمشي لثقلها مشي
 الرراح ويكاد يمسها من قام بالراح وما أظلمت الأضياء البرق في جوانبها
 فتملت ليل في صباح فلم ينزل البرق يأخذ في اذهاب ردائها ويبدو نذيرا
 لدى أصوات نذائها وهل يلقى على الارض ما جلته في احشائها ثم فأت
 يا ذوات البكاء والنوح المفخخرات على الارائك والدوح ألسن الباكين
 بغير جوى الشاكين ألم الفراق من غير هوى بكم عرف الشقاق واشتهر
 ذكره في الاتفاق قلوبكم خاشعة وعيونكم غير دامعة ومنكم عرف

اختلاف الباطن والظاهر وقد أعرب عن ذلك قول الشاعر
 وهاتفة في البان تملى غرامها * فتتلو علينا من صبايتها صفا
 ولو صدقت فيما تقول من الاسبى * لما لبست طوقا ولا خضت كفا
 (ونقلت) من خط الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن أبي الذهب لنفسه الكريمة
 (توفي قريبا من سنة خمس وثمانين وسبعمائة) وأنشدني من نظمته
 سماع غناء الطير للدوح مرقص * ومن طرب بالزهر منه ينقط

(الباب السابع عشر في آنية الراح)

الشراب في الزجاج أحسن منه في كل جوهر لا يفقده وجه النديم ولا يشغل
 في اليد ولا يرتفع في السوم وقدور الزجاج أطيب من قدور الحجارة وهي
 لا تصدئ ولا تندي ولا يتخللها وسخ الغمر وأوساخ الوضر وإن انسخت
 فالماء وحده لها جلا ومتى غسلت بالماء ماتت جديدة ومن كرع فيه يشرب
 فكأنما يكرع في إناه وماء وهو ماء وضياء (وما أحسن) رسالة سهل بن هرون
 يفضل الزجاج على الذهب الزجاج يحلو نوري والذهب متاع سائر والشراب
 في الزجاج خير منه في كل معدن ولا يفقده وجه النديم ولا يشغل اليد
 ولا يرتفع في السوم واسم الذهب يطير منه ومن لونه مصيره إلى اللآلئ وهو فاتن
 قاتل لمن أصابه وهو أيضا من مصائد إبليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الأجران
 والزجاج لا يحمل الوضر وهو أشبه شيء بالماء وصفته بحبيبة وهي رسالة طويلة
 (ومن) أحسن ما قيل في ذمه قول النظام فإنه أخرجه في كلمتين بأوجز لفظ وأتم
 معنى فقال سرع إليه الكسر ولا يقبل الجبر ذكر الرشيد بن الزبير في كتابه
 الجهاب والظرف أنه وجد المتورد بن ربيعة يوم القادسية يريق ذهب عليه
 يا قوت وزبرجد فلم يدركه ما هو فلقه رجل من الفرس فقال أنا أعطيك فيه
 عشرة آلاف دينار فعرف قيمته فذهب به إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله
 عنه فبأه بمائة ألف دينار (ووجد) للولي بن يزيد بعد مقتله جفنة بلور
 كأعظم ما يكون من الجفان قيل إنها تسع ثمانمائة رطل ولما وقعت الفتنة بين
 حازم الدولة رقيب بن علي وبين حاج خراسان بمدينة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وحازم الدولة يومئذ أمير الموسم ومقدم

القافلة المصرية وكانت الهزيمة على الخراسانيين فنهبت أموالهم وأتى بعض
 النهاية الى عازم الدولة بزبديه فيروزج تسع وزن رطل شامي كاحسن
 ما يكون من الزباد لا يعلم لها قيمة ودفعها عازم الدولة بعد ذلك الى الظاهر
 ومن الاشياء النادرة المستظرفة المتجملات في الملابس والمجالس ما ذكره
 الفقيه الكاتب أبو مروان عبد الملك بن بدرون في شرحه لقصيدة الوزير
 عبد المجيد بن عبدون في قصة جبلة ابن الايهم الغساني وهو أن جبلة لطم
 انسانا من الناس فلما أراد الامام عمر اقاوته منه فرأى هرقل وتنصر ثم ندب
 على تنصره فقال

تنصرت الاشراف من أجل لامة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
 تكفني منها اللجاج ونحوه * فنتعت لها العين الصحيحة بالعمور
 فبالت أي لم تلدني وليتي * رجعت الى القول الذي قاله عمر
 وبأيتني أرى الخاض بقفرة * وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر
 وبأيتني بالشام أدنى معيشة * أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
 ولما تنصر جبلة وتحق بهرقل صاحب القسطنطينية أقطعه هرقل الاموال
 والضيايع والرباع وبقي ماشاء الله ثم ان عمر رضى الله عنه بعث الى هرقل
 رسولا يدعوهم الى الاسلام أو الى الجزية فأجاب الى الجزية فلما أراد الرسول
 الانصراف قال له هرقل ألقيت ابن عمك هذا الذي عندنا يعني جبلة الذي
 أنا ناراعب في ديننا قال ما لقيته قال الله ثم اثنتي أعطك جواب كتابك قال
 الرسول فذهبت الى باب جبلة فاذا عليه من القهارمة والمجباب والبهجة
 وكثرة المجموع منه لى ما على باب هرقل قال الرسول فلم أزل أتأطف في الاذن
 حتى أذن لي بالدخول فدخلت عليه فرأيت أنه أصهب اللحية ذاسبال وكان مهدي
 به اسود اللحية فأنكرت عليه فاذا هو قد دعى بسحالة الذهب فذرهما على محبته
 حتى عادت سوداء وهو قاعد على سرير من قوارير ورائته أربعة أسود من ذهب
 فلما عرفني رفعني معه على السرير فجعل يسألتني عن المسلمين فذكرت له خيرا
 قلت قد أضعفوا أضعافا على ما تعرف قال وكيف تركت عمر بن الخطاب قلت بخير
 حال فرأيت الغم في وجهه لما ذكرته من سلامة عمر ثم انحدوت عن السرير
 فقال لم تأبى الكرامة التي أكرمناك بها قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثمى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تنال
على ما قدمت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقات له ويحك
يا جيلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال أبعد ما كان منى قلت نعم قد
فعل رجل من بنى فزاره أكثر مما فطت ارتد عن الاسلام فضرب وجوه المسلمين
بالسيف ثم رجع الى الاسلام فقبل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلماً قال ذرني
من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجني هرايته ويوليني الامر بعد رحمت
الاسلام قال فضمنت له التزويج ولم أضمن له الامر قال ثم أومى الى خادم كان
على رأسه فذهب مسرعاً فاذا خادم قد جاء معه خادم يحملون الصناديق
فيها الطعام فوضعت ونصبت مواثد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل
فقبضت يدي وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى أواني
الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما
أحييت قال فأكل فى الذهب وأكلت فى الخلج ثم جىء بطساس الذهب وأباريق
الفضة فغسل يده فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم أومى الى خادم بين يديه
قرمه سريعاً فسمعت حساً فاذا خادم معهم كراسى مرسعة بالجواهر فوضعت
عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى عليهن تيجان الذهب
فقدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ثم جاءت جارية كأنها الشمس
حسنة على رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفى يدها اليمنى جامدة
فيها مسك فتبت وجامدة فى يدها اليسرى فيها ماء ورد فأومت تلك الجارية
أوصفرت للطائر الذى على ناجها فطار حتى وقع فى جامدة ماء الورد فاضطرب
فيه ثم أومت اليه أوصفرت فوقع على جامدة المسك فتمرغ فيه ثم أومت
اليه فطار حتى نزل على تاج رأس جيلة فلم يزل يرفرف حتى نفص ما عليه فى رأسه
فضحك جيلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجوارى اللاتي
عن يمينه فقال أضحكنا فاندفعن يغنين يخفق عيدانهن

لله در عصابة نادمتهم * يوما بحلق فى الزمان الاول
يسقون من ماء البريص نديمهم * راحا يصفق بالرحيق المسلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
قال فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان

ابن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار إلى المجواري الملاحى عن
يساره فقال لهن أبكيننا فاندفعن يغنين بخفنة عيدانهن ويقلن
من الدار أقفرت بهـ مان * بين أهل اليرموك فالبحان
ذاك معنى لآل جفنة في الدهر * مجلى لمحدث الأزمان
قال فبكى حتى سالت دموعه على خديه فقال أتدرى من يقول هذا قلت لا
قال حسان ثم أنشد الأبيات التي أولها تنصرت الأشراف ثم سألتني عن حسان
أجى هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولى أيضا كذلك وأمر بمال حسان ونوق
موقرة ثم قال لى ان وجدته حيا فادفع الهدية إليه وأقره عن السلام وان
وجدته ميتا فادفعها إلى أهله وانحر النوق على قبره فلما أخبرت عمر بنخبره
وما اشترط على * وما ضمننت له قال فهل اضمننت له الامر فاذا أفاء الله به قضى
الله علينا بحكمه ثم جهزنى عمر الى هرقل ثانيا وأمرنى ان أضمن له ما اشترط
فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منهرفين من جنازته قلت ان الشقاء
سبق عليه فى أم الكتاب وذ كرا الحكيم موفق الدين بن أبى أصديعة فى ترجمة
الحكيم سديد الدين بن ربيعة قال ومن شعره وهو عما كتبه على كأس فى
وسطه طائر على قبة بجوفة اذا قلب الماء فى الكأس دار الطائر دورا ناسريعا
وصغر صفيرا ومن وقف بازائه الطائر حكم عليه بالشرب فاذا شربه وترك فيه
شيئا من الشراب صغر الطائر وكذلك لو شربه فى مائة مرة ففى شرب جميع ما فيه
ولم يبق فيه درهم فان صغيره ينقطع والابيات هى هذه

أنا طائر فى هيئة الزرزورى * مستحسن التكوين والتصوير
فاشرب على نغمى سلاف مدامة * صرفاتنـ برحنا دس الديجور
صفراء تلعب فى الكؤس كأنها * فارا الحكيم بدت بأعلى الطور
واذا تخلف فى شرابك درهم * فى الكأس ثم به عليك صغيري
(قلت) كتبت هذه الابيات لغرابة هذا الكأس وأما الشعر فانه ليس
بطائل قال الثعالبي فى تحفة الارواح وموائد السرور والافراح انه كان
فى الزمن القديم امرأة فى العراق تسمى الى الصينى الابيض فتصير منه الشمشى
والاسود والسماقى والاحضر حتى لا يشك ناظر فى انه كان كذلك فى الاصل
وما علم أحد من الرجال سواها فى ذلك وأهل الخبرة بهذا النوع اذا وقع فى أيديهم

شيء من عمل هذه المرأة عرفتوه (القول في الكأس المصور) قال أبو نواس
 ودار ندامي عطلوها وأدبحوا * بها أثر منهم جدي ودارس
 مساحب من خالرقاق على الثرى * واضغات ريجان جنى ويا بس
 تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
 فمال بها كسرى وفي جنباتها * مها قد رمتها بالقسي الفوارس
 فللراح مازرت عليها جيو بها * وللماء مادارت عليه القلانس
 قال الجاحظ وجدنا المعاني تغلب ويؤخذ بعضها من بعض الا هذا المعنى
 فان الحسين ابتدعه (قلت) وضمن هذه الايات الاديب أبو الحسين الجزار
 تضمينا حسنا أجاد فيه الى الغاية وهو

كتبت بها في يوم لهو وهامتي * تمارس من أهواله ما يمارس
 وعندى صحاب للبحون ترحات * عما ثمهم عن هامهم والطيبالس
 فللماء مازرت عليه جيو بهم * وللراح مادارت عليه القلانس
 مساحب من خالرقاق على القفا * واضغات انطاع جنى ويا بس
 وقال أيضا

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكلة حافاتها بنجوم
 فلورد في كسرى ابن ساسان روحه * اذا لاصطفاني دون كل نديم
 أخذته الباشي فقال

في كأسها صور تظن لحسنها * عربا برزن من انجال وغيدا
 واذا المزاج اثارها فتقمت * ذهبها ودراتوها وفريدا
 فكأنهم لبسنا ذلك محاسدا * وجعان ذالخورهن عقودا
 وقال ابن المعتز

وساق يجعل المنديل منه * مكان جائل السيف الطوال
 غلالة تحده صبغت بورد * ونون الصدغ معجزة ببحال
 بدا والصبح تحت الليل باد * كطرف أبلق ملق الجلال
 بكاس من زجاج فيه أسد * فرائسهن ألباب الرجال
 وقال ابن قلاقس (ومولده سنة اثنين وخمسة مائة ووفاته سنة سبع وستين
 وخمسة مائة)

دارت زجاجتها وفي جنباتها * كسرى أنوشروان في ابوانه
نخلعت عن عطفه حلة قهوة * وشربتها فغدوت في سلطانه

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى

ومشمولة قد هام كسرى بكأسها * فأنهى بنادي وهو فيها مصور
وقفت لشوقي من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

(وقال) المرحوم فخر الدين بن مكائس رحمه الله تعالى

اذا ما أدبرت في حشائع مجدية * بها كل ذي ملك وتاج تصورا
فحسبك نبلا في السيادة أن ترى * نديك في الكاسات كسرى وقيصرا
(قلت) والسبب الموجب لتصويرها ما ذكره الفقيه الكاتب أبو مراون عبد الملك
ابن بدرون في شرحه لقصة صيد الوزير عبد المجيد بن عبدون (وهو) ان سابور بن
هرمز الملقب بذي الالكاف لما رجع من قتال بني تميم قصد الروم والدخول الى
القسطنطينية متذكرا فاستشار قومه فحذروه التغرير بنفسه فلم يقبل قولهم
وسار متذكرا الى القسطنطينية فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخواص
والعام فدخل في جماتهم وجلس على بعض موائدهم وقد كان قيصر امره مصورا
أنى عسكر سابور قصوره فلما جاء قيصر بالصورة أمر بها فصورت على آنية الشراب
من الذهب والفضة وأتى بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس
فنظر بعض الخدام الى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل لها على المائدة
فحب من اتفاق الصورتين وتقارب الشبهين فقام الى الملك فأخبره فقتل بين
يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور وهربت منه لا مرخفته فيه
فلم يقبلوا ذلك منه وقدم الى السيف فأقر بنفسه وجعل في جلد بقرة وتمام حكايته
الى أن خلاص وعاد الى ملكه في كتاب سلوان المطاع في السلوانة الثانية منه وهي
حكاية غريبة مشتملة على أنواع من الحكم (وقال) صلاح الدين الصفدي
رحمه الله تعالى

كووس المدام تحت الصفا * فكان لتصاويرها مبطلا

ودعها سوا ذبح من نقشها * فاحسن ما ذهبت بالطلا

(وقال) زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى

دع الكاس من نقشها * وصاف بصاف أحب

إذا ذهبت بالمط-لا * فقد طليت بالذهب
 (وقال) شمس الدين بن العفيف فيما يكتب على كأس
 أدور لتقيل الثنايا ولم أزل * أجود بنفسي للنساي وأنفاسي
 وأكسوا كف الشرب ثوباً مذهباً * فن أجل هذا لقبوني بالكاسي
 الشئ بالشئ يذكر قال شهاب الدين بن أبي حجلة مضمناً
 يا صاحب قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالاثيناس
 وكسي العذار المخدح سنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس
 وقال ابراهيم بن الحاج الغرناطي (ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة رحمه
 الله تعالى)

يارب كأس لم يشع شمولها * فاعجب لها جسمها بغير مزاجي
 لما رأينا السحر من أشكالها * جلا نسبنا إلى الزجاجي
 (وقال) الأديب أبو بكر بن مجبر وقد اقترح عليه حسود وصف كأس أسود فقال
 ارتحالا

سأشكو إلى الندمان أمر زجاجة * تردت بلون حالك اللون أسجج
 تصب بها شمس المدامية بيننا * فتغرب في جنح من الليل مظلم
 وتجدد أنوار الحميا بلونها * كقلب حسود جاحد يدمنهم
 (القول في القدح) قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله في وصفه تكون من
 جوهر مكنون وتجدد من هواه مظنون واتخذ خدر الآنية العنب وطاف به
 الساقى فأصبح منه في راحة وهو في تعب قهقهة عليه الأبريق فصدح وطار منه
 شرار المدام فقبل قدح وكتب سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن أبي المخزومي
 المالكي الشهير بابن الدماميني فسمع الله في أجله إلى سيدي الجناب المجدي
 فضل الله بن مكاس أدام الله عزه وذلك في ربيع الأول سنة خمس وتسعين
 وسبعمائة وقد نجس العبد وتوقا بكارم الاخلاق المخدومية فأهدى
 هذا الغزلية نعم مولانا بقبوله ويتفضل بحله عند حلوله فقال ما اسم حبيب
 إلى النفوس شبيه بالبدر حليف للشموس ان قلب كان لقلبه من العين مكان
 من المناسبة وان سقط قلبه مع هذا الفعل كان ضد الاقوال الكاذبة
 وان صحف بعد العكس أنباء عن الذكاء وهذا غاية الشرح وان غير ثانيا

علم رب الكلام المحرر انه دال على الطرح حسبناه مع التصحيف آلة الصيد
معينة على المكر والكيد ان قلع طرفه كان مزاج باقيه قواما وان عكس
كان الطرب بتصحيفه مداما وان زال اوله كان العكس عتبا لمتعاطي اثمه
وان صحف اشتاقت الشفاة الى تقييله ولثمه وربما كان الهزل عن تصحيفه
الاكثر منافيا لاسمه مباينة في الحقيقة لمحده ورسمه والمملوك يسأل الصفيح
عن هذا الهذيان والامتنان بالجواب مع شيء من نظم المقر الصاحبى للوالدى
وشئ من نثره ليحلى المملوك بعقوده جيد تذكرته ويتأنس بحسنه الغريب
في زمن غربته فكل غريب للغريب نسيب ومدح مولانا اجل من أن يحيطه
قلم العبد أو لسانه أو يحصره بيان الاديب أو بئانه ونسأل الله تعالى أن يتمتع
ببقائه ويعلى درجات ارتقاؤه بمنه وكرمه فكتب الجواب يقبل الارض
التي أطالت بالجفا حرمانه وتدار كته بعد اجراء دعوته فخطبت في المحاليتين
منهاشانه وانتهى الى اللغز الذي يتمتع بمجمله ويشرب بقدمه فابتهل سكرًا
ومالت أعطافه بالقدمح الفارغ سكرًا فوجدته كما قال حبيب الى النفوس
يحترق في التوصل بماء حار الى الرأس يأتيك بالمعنى اللطيف ويقف
حذقك من تصحيفه بعد العكس بين تصحيف وتحريف فله من ساعته وقابل
شمسه المنيرة بذبالبته وكتب قرينه لغزا وخالف نفسه اذ قالت لا تعبنى في
مجاراة هذا الجواد لزا وقد ذكرته أولا في باب الرياحين وقال القاضي التنوخي
رحمه الله تعالى

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك في قدح من نهاري
هواء ولا كنه جامد * وماء ولا كنه غير جارى
اذا ما تأملت لها وهي فيه * تأملت نورا محيطا بناري
فهذا النهاية في الايضاض * وهذا النهاية في الاحرار
كأن المدير لها باليمين * اذا قام للسقى أو باليسار
تدري نوبا من الياسمين * له فردكم من الجمانار

وقال النضر الحامى رحمه الله تعالى

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالقدح
عندي خير ذهب * أكتاله بالقدح

(١٢٦)

وأنشدني سيدي وأخي ثقي الدين أبو بكر بن حجة المجوى لنفسه مضمنا رجه الله
أرى طائر أقدا حنا نائحا * يحوم على عذب ورد القدح
فقلت لأدرا الحساب اجتهد * ومد الشباك وصدم من سيج
وقال ابن تميم

يا حسنه قدح يضي زجاجه * ليل الهموم إذا ادلهم وعسا
أهديته مثل النهار فان حوى * صرف المدام غدا نهارا أشمسا
(الابريق) قال ابن المعتز

وكان أبريق المدامة ينفنا * ظبي على شرف أناب مدنها
لما استحمته السقااة حتى لها * فبكى على قدح النديم وقهقهها
وقال ابراهيم بن اسحق الموصلي رجه الله عليه

كان أبريق المدام لديهم * ظباء بأعلى الرقتين قيام
وقد شربوا حتى كان رقابهم * من اللين لم تخاق لهن عظام
صاعد اللغوى

كان أبريقنا والراح في فقه * طيرة ناول يا قوتا بمنقار
المرى الرفاء الموصلي رجه الله عليه

أبريقنا كاف على قدح * تخاله الام ترضع الولدا
أوعابدا من بنى المجوس اذا * توهم الكاس سرعة له سجدا
السراج المكار (توفي سنة احدى عشرة وسبعمائة رجه الله عليه)

يا حبهذا شـ كل أبريق تميل له * منا القلوب وتصبون نحوه المحدق
بروق لي حين أجلاه ويعجبني * منه طلاوة ذاك الجسم والعنق
كم قد شربت به ماء الحياة ولن * ينالني منه لا غص ولا شرق
حتى غدا نجلا عما أقبله * فظل يرشح من أعطافه العرق
(الراووق) الجوبان القواس رجه الله تعالى

ولما حكي الراووق في العين شـ كاه * وقد عاق العنقود في سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فـ كاه * عيون على أيام عهد الصبي تجري
وقال بدر الدين حسن المعزى رجه الله
أعجب ما في مجلس الالهو جري * من أدمع الراووق لما انسكبت

لم تزل البطة في قهقهة * ما بيننا تضحك حتى انقلبت
وقال برهان الدين القيراطي رحمه الله

يا كرت راووقى و بطى الى * قد قهقهت ودم المدامة يسفك
وأضعت مالى فيه ما حتى غذا * هذا يصغى لى وهذا يضحك
وقال صدر الدين بن عبد الحق (توفي تقريباً سنة سبعين وسبعمائة)

أسبل الراووق لما صلبا * أدمع الـكن رأينا عجبا
بينما الراووق يـكى بدم * ضحك الـابريق حتى انقلبا

وقال سيدى المقر المجدى سلمه الله تعالى وأجاد

قم واصلب الراووق واشف قلبى * منه وبلغنى بذاك سؤلى
واسفك دم الزق ونادهذا * جزاء من يلعب بالعقول
وقال محمد بن العفيف فى باطية وأجاد

انا المجالس والجائيس أنيسه * أزهى بحسن ناضر للناسظر
اصفو فاطهر ما أجن ولم يكن * فى باطنى شئ يخالف ظاهرى
وما ألفت من قال * عجوا عجوا بشرب البواطى * فالصواب الصواب نيك
المخواطى كان لابي الحرت خسون دنا كان يقول انه لم يفسد فيه نبيذ قط منذ
عشرين سنة فأوصى به عند موته للفضل الرقاشى وقال هذا جزاء له فانه كان
كلما أجتعنا على أمر قال قم فابدأ به (الامير صلاح الدين الاربلى) فيما يكتب
على طبق تحت أقدام (توفى المذكور سنة سبع وثلاثين وستمائة ومولده سنة
اثنين وسبعين وخمسمائة) رحمة الله عليه

من فرحتى بالندامى واجتماعهم * حولى وقربهم منى واينامى
جعلت صفحة نعدى تحت أخص ما * قد غادرت الندامى أسفل الكاسى

* (الباب الثامن عشر فيما يستجاب بها الافراح وهو خمسة فصول) *

(الفصل الاول فى من مدحها من الملوك والرؤسا

(الفصل الثانى فى تدبير استعماله على رأى الحكماء

(الفصل الثالث فى آداب منتشيتها وما يجب على مستعملها

(الفصل الرابع فى استهدائها واستدعاء الانجوان

(الفصل) الخامس في من وصفها من الشعراء الاعيان
(الفصل) الاول قال كسرى النيد صابون الهم (قلت) من هنا قول الشيخ
بدر الدين البشتكي

وكننت اذا انحواث دنستني * قرعت الى المدامة والندمي
لا غسل بالكؤس الهم عنى * لان النخر صابون الهمومى
(وقال) أرسطاطاليس الراح كيمياء الفرج (وقال) جالنيوس الراح صديق
الروح (وقال) آخر الراح درياق سم الهم قال عبد الملك بن صالح الهاشمي
ما جشت الدنيا بأظرف من النيد * وقال النعماني لكل شيء سر وسر النيد
المرور (وقال) الدنيا معشوقة ريقها الراح (وقال) الجاحظ ان النيد اذا
تمنى في عظامك ودب في أجرامك منحك صدق المحسن وفراغ النفس وجعلك
رجي البال نحل الدرع قير العين منشرح الصدر حس الظن وسد عليك باب
الغم وحمم عنك خاطر الهم وقيل لابي جريد الفضل بن وكيل ما تقول في النيد
المصفي المصفى المروق المعسل المعتق فجعل يتمطق ويقول أخاف الاشتغال
بشكر الله تعالى الكريم على نعمه فيه وكان مطيع بن اياس يقول في النيد
معنى في الجنة موجود لان الله عز وجل يقول اخبارا عن أهلها الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن والنيد يذهب الحزن (وقيل) لابي عائشة ان فلانا لا يشرب
النيد فقال فدا طاق الدنيا ثلثا (وقيل) للاعشى مثل ذلك فقال دعوه حتى
يقتله القولنج (وقال) يزيد بن المهلب وددت لو ان كأسا بألف دينار وكل منكح
في جبهة أسد فلا يشرب الا جواد ولا ينكح الا شجاع (وقال) عبد الملك لا خطل
صف لي النخر فقال أولها صداع وآخرها خمار قال فما يجيبك منهما قال ان
بينهما طرية لا يعادلهما لكك وأشأ يقول

اذا ما ندعى علي ثم علي * ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل حتى كائن * عليك أمير المؤمنين أمير
(وقال) ابقرط النخرة صديقة الجسم والتعاينة صديقة النفس (نادرة) اجمع
محدث ونصراني في سفينة فصب النصراني من ركوة كانت معه في مشربة
وشرب بوضب فيها وعرض على المحدث فتناوها من غير فكر ولا مبالاة فقال
النصراني جعلت فداك انما هو خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشربها

علاءى من يهودى وحليف أنها خرفشربها بالجملة وقال لانصرانى أنت أحق
نحن أصحاب الحديث انصديق نصرانيا عن غلامه عن يهودى والله ما شربتها
الا لضعف الاسناد (وقال) انما يحفظ كل شئ من الماء كونه أوله أطيب
من آخره الا النبيذ فان القدح الاول ثقيل والثانى أسهل والثالث أسلس
والرابع أسوخ والخامس أعذب والسادس الذخى ينتهى الى غاية الامرور
(حكى) ان عبد الملك بن مروان امتحن اعرابيا من الشعراء فقال صف لى الخمر
فاطرق الاعرابى وقال

شموس اذا شجبت لدى المسامرة * لها فى عظام الشاربين ديب
ترك الغذاء من دنها وهى دونه * لوجه أخبها فى الوجوه قطوب
(فقال) عبد الملك شربتها يا اخا العرب ووجب عليك الحمد فقال ومن أين لك
ذلك يا أمير المؤمنين فقال لانك وصفتها بصفتها فقال وانى قد رايت من أمير
المؤمنين ما رايته بأن يكون أيضا شربها اذ عرف انى وصفتها بصفتها فضحك منه
وأحسن جائزة (نادرة) جلد مدنى فى الشراب وكان طويلا والجلاد قصيرا فقال
له تقاصر لى نالك السوط فقال ويلك الى أكل الفالوزج تدعونى والله لو ددت انى
أطول من عوج وانك أقصر من يأحوج ومأجوج (كتب) رجل الى ابن
قريظة القاضى فتيا (توفى المذكور سنة سبع وستين وثلثمائة ببغداد) ما يقول
القاضى أيدى الله فى رجل سعى ولده مداما وكناه أبو الندامى وسعى ابنته الراح
وكناها ام الافراح وسعى عبد الشراب وكناه أبو الاطراب وسعى وليدته
القهوه وكناها ام النشوه أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته (فكتب)
تحت وائله لو بعث هذا لى حنيفة لاقعده خليفه ولعقد له رايه وقاتل من
تحتهم من خالف رايه ولو علمنا مكانه لمسحنا أركانه فان أتبع هذه الاسماء
افعالا وهذه الكا استعجالا علمنا أنه قد أحيى دولة المجون وأقام لواء ابنة
الزرجون فبايعناه وشايعناه وان ~~تكن~~ أسماء سمائها ماله بها من سلطان
خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن الى امام فعال أحوج منا الى امام قوال
انظر أيدى الله الى معانى هذا النثر الذى يهجز عنه البديع والمجون الذى
لا يلحقه الخليع (وقالت) دنا نير جارية ابرامكة من أصبح وعنده قنينة ناقصة
وزبديّة طبا هجة بارده وتفاحة معوضه ولم يصطبج فهو أحق فاسد المزاج

* (الفصل الثاني في تدبير استعمالها على رأى الحكماء) *

قال الشيخ الامام - لا - الدين أبو الحسن - بن علي بن أبي الحزم القرشي المتطبيب
المعروف بابن النفيس - رحمه الله - برحمته في الجملة الثانية في قواعد الحبر العلي
من الطب في كتابه المشهور المعروف بالموجز عند ما ذكر تدبير المشراب ما هذا
نصه ونحوه - الشراب ما طاب طعمه وعطرت رائحته وصفي لونه واعتدل
قوامه والعلامة الجيدة للشراب الجيد الخالي من الغش أنه اذا ترك المقدار
القليل مدة طويلة لم يفسد وبقدرة طول المدة تعرف الجودة والرقيق اللطيف
أسرع اسكارا وتحلاا والغليظ أبطأ اسكارا وتحلاا وأدوم خمارا لكنه يسمن
وخصوصا المحلو وليكن من تسديده على حذر ويختار للشباب والمحرورين
الايض المزوج قبل شربه بمدة بكثير الماء وللسايف الاصفى القوي القليل
المزج فان أرادوا الاعتناء والسمن فالأحرر ودع الشيخ وما احتمله وجنبه
الصبيان وعدله في الشبان وانما يستعمل الشراب عند انحدار الغذاء من
المعدة واما في نحل الاكل أو عقيب فضار لتنفيد الغذاء على فاجته على ان
المعتاد به لا ينتفع باستعمال ما يعين على الهضم الا بمقدار ما يقوى على التنفيذ
وما دام السرور يتزايد واللون يحسن والبشرة تلين والجلد يربو والحركة نشيطة
والذهن سايبا فلا تخف من افراط فان أخذ الناس يغلب والغشيان يقوى
والبدن والدماغ يثقل والذهن يتشوش والحركة تسهترخي فقد وجب الترك
فحينئذ يجب القيء والقيء على قليل منه ردى لانه يغصب من البدن ما ينفعه
والشرب بالاقداح الصغار خير من السكار والتبعيد بين الاقداح لينهضم
الاول قبل ورود الثاني أفضل وينبغي أن يحف مجلس الشراب بالمتظر اللذيذ من
الازهار والمحبو بين من الناس والارايح اللذيذة والسماع المطرب ورفع كل
ما يغم ويقبض النفس كالوسخ والصنمان واللباس القذر والكمد وبعد غسل
البدن والامراف ولبس المشرف وتسريح الرأس واللحية وتقليم الاظفار
وايكن المجلس مشرفا فسبحا بقرب المياه التجارية ومع الطرفاء من الاصدقاء
وذلك لان الشراب يحرك قوى النفس ويشير كل الشهوات فاذا لم تجد كل قوة

مطلوبها

طلوبها تأذت وانقبضت فلا تقبل النفس على الشراب كل القبول ولا تتصرف
 به التصرف الواجب فيقل نفعه وربما فسد فكان شره أكثر من نفعه
 منافع الشراب منها نفسية ومنها بدنية أما النفسية فلا يمكن أن يساويه فيها غيره
 ذلك كالسرور وبسط النفس وتفسيح أمهات وتشييعها وإزالة البخل والغم
 الفكر الفاسد وهو أنفع الأشياء للأنبياء والتفريجه المضاد لا يحاش السوداء
 وتحسن الظن وتقوى ذهن قوى الدماغ لأن دماغه لا يفعل من البخرة الشراب
 المسكر بل عن حده اللطيف فيصفو ذهنه صفاء لا يصغوم مثله بغيره فاذلك قوى
 الدماغ لا يسكر بسرعة وبسرعة السكر وبطئه تعلم قوة الدماغ وضعفه وأما
 البدنية فأنها وإن أمكن أن تستفاد بغيره من المعاجين والمركبات فذلك يعسر
 وذلك كتحسين اللون وإنارته وتبريقه وإشراقه وتقوية الحرارة الغريزة
 وانهاشها وانضاج الرطوبات وإذلاقها وتفتيح المجاري وإزالة سددها وتفتيح
 المسام وتقوية الهضم وتكبير الروح وتلطيفها وإنارتها وإثارة الدم وتنقيته
 وانضاج البلغم وتلطيفه وإدراج الصفراء وترطيبها وتعديل مزاج السوداء وقع
 عاداتها وانواجها ونفعه يتعلق بالقوى الطبيعية والحيوانية أكثر من القوى
 النفسانية وإدامته تلبس بالذهن وترخي العصب وتورث الرعدة والتشنج وكثيرا
 ما يموت السكران بالسكته والصرف محرق للدم مفسد لمزاج الدماغ والكبد
 والمسطار يخاف منه ذوو سنطار بالنقمة واسهاله والسكر المتواتر يوهن قوى الدماغ
 والعصب ولا بأس به في الشهر مرتين لراحة قوى الدماغ والفصل والبلد
 الباردان يحتملان كثرة الشراب وقوته وما أمكن ترك التنقل فهو أولى لا يمكن
 المحرور قد ينفع بالتنقل بمثل السفرجل والمان المز والتفاح والكمثرى
 والزعرور وأقراص الليمون وجلسان الأترج وشرابه بل يحتاج إلى التنقل
 بأقراص الكافور كما يفعل بالمدقوقين والمبرودين بخوارش التفاح والخنجبين
 والقروا الفستق والمرطوب بالقرطامة وزيتون الماء والفستق واللوز المملوحين
 والأشياء التي تبطل بالسكر التنقل باللوز وخصوصا المزجسون لوزة يستعمل قبل
 الشرب فيمنع السكر وكذلك التنقل بيزر القنبيط المملح وأكل القنبيطية
 والكرندية قبل الشراب وكذلك استعمال المدرات وللترايد الدهنية وإن
 أبطأت بالسكر لكنها تمنع كثرة الشرب والمسكرات بسرعة كالتنقل بجوز الطيب

ونقعه في الشراب وكذلك العود والشيلم وورق العنب والزعفران وكل هذه
 تسكر مفردة وأما البنج واللقاح والشوكران والافيون ففطرط وانما يستعمل
 لمن يريد أن يعالجه بما لا يحتمله في الصحو ومما يذهب رائحة الشراب الكزبرة
 اليابسة والرأس ودار صيني العين وأفضل ما يمزج به الشراب الماء وقد يمزج
 بماء لسان الثور أو بزاد تفريحه وهو بذلك يسر سرورا عظيما وقد يمزج بماء
 الورد فيقوى المعدة والقلب أكثر وقد يمزج بأوراق انفراريج واللحم من غشي
 عليه أو ضعف وضعيف عليه ان لا تطول المدة الى حيث تصل المرقعة مفردة
 والله أعلم انتهى كلام ابن النفيس الحكيم الفاضل المؤيد محمد بن المحلى الشهير
 بالعنبري في كتابه النور النجدي من رياض الندماء واعلم ان الاكثار من الخمرة
 يحدث الامراض الباردة الرطبة كالسكتة والفالج واللقوة والنحدر والرعدة
 والاسترخاء والسبات هذا من مزاجه مستعد للبرد فأما أصحاب المزاج الحار فانهل
 تولد الحميات الحارة ولا سيما ان وافقها غداء حار وفصل حار ومزاج صرف
 والغرض من الخمرة أن يأخذ منها اليسير بعد الطعام بثلاث ساعات ولا بأس
 باستعمال النشرة والسكر في الشهر مرتين نافع وكذلك التي ذكرتين في الشهر
 ويجب ان لا يؤخذ الغداء الا وقت الشهرة وبعد الرياضة ومن أراد الاستسكان
 من الشراب فلا يستكثر من الطعام ومن أراد أن يطول جلوسه على الشراب
 فلا يستكثر من الرياضة والحمام ولا يمتلي من الطعام واذا كان الغداء ظهرا كان
 الشراب عصرا ويبدأ بالاقداح الصغار أولا وأما أوقات الاجتماع عليها فيكون
 ذلك والة - مر في برج الزهرة أو عطارد متصلا بهما اتصالا مقبولا ويحذر ثبوت
 المشتري وتظيره الى القمر والعاقلة اذا انقطع الى الخمرة في يوم مذموم كفي شر
 ذلك اليوم باشتغاله بها الا أنه يجب أن يكون خلوه مع نديم مأمون بجانب عاقلة
 يكفي شر ذلك اليوم ان شاء الله تعالى ومنه صفة تفاحة تسكر سريرا اذا شمت
 يؤخذ زعفران ومبيعه وجام ولقاح وقشور أصل اليبروج بنعم سحقه ويحجن
 بشراب صرف عتيق ويتخذ منه تفاحة منقشة وتشم والحرمل مفردا ومع
 الشراب يسكر الشارب سكرام فوطا ومن شرب خمس ساعات أو عشرة
 مصحوقة لم يسكر يومه ويجب ان لا يفعل ذلك الا صاحب المزاج البارد وأما
 المخرور فيجعل غداءه اذا أراد أن لا يسكر بالمخل والسماق والمصرم وماء الليمون

يلحوم الدجاج والجدا والنخرفان ويمتص ماء الرمان المز وأكل السمك الطري
بالخجل والتنقل باللو زالحلو لاسيما ان وافق ذلك سماع مطرب أو نديم يعجب
(وينشد)

النخريطية وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس
(ما يقطع رائحة الشراب من الفم) فمن ذلك سعدوكاية ودارصيني بالسوية يدق
ويستف منه مثقال لاسيما بعد اتقى المستقصى وسف الكزبرة والنعناع ومضغ
العود الرطب وكذلك السعدوأكل البصل يخفي رائحة الشراب والفوتيج
النهرى اذا مضغ قطع رائحته انتهى كلام العنبرى (وقال) التيفاشى فى كتابه
سرور النفس بمدارك الخواص الخمس وهو عدة مجلدات انى لما رأيت لهج
الخلفاء والملوك وشغف جمهور الامم من العرب والجم بشرب شراب العنب
واختلاف مذاهبهم فى استعماله مع الاتفاق على الميل اليه على تباين بخلهم
وملاهم وقد ذكر عن الاحنف بن قيس ان رجلا قال له يا ابا بحر ما الذى لا شربة
فقال له النخرف فقال كيف علمت ولم تذوقها قال لاني رأيت من أحلت له لا يصبر
عنها ورأيت من حرمت عليه يخطئ البهائم ووجدت جل من يستعمل هذا
المشروب لا يفي له خيره بشره ولا يقوم نفعه بضره وذلك لجهله بوجه استعماله
فان من المعلوم ان النخرا نفع المقصود من شربها منفعان احدهما لئلا النفس
بالتفريح ونفى المهوم وانراهما لا بدن بحفظ صحته عليه ونفى الامراض النازلة به
وتحقق عند كل من له أدنى مسكة من عقل أنها اذا استعملت على غير ما ينبغي
انعكست هاتان المنفعتان مضرتين فصار عوض السرور هما وغاوضجرا وسوء
خلق وعوض الصحة مضران منأ أو موتا فجأة حسبما نشرحه الا انه لا يقتصر الامر
على عكس هاتين المنفعتين فقط بل يتعدى الى مضار اخرى عظيمة ان سلبت
المهجة كذهاب العقل والمال والجاه والذكر الجليل بل لا يقف الامر على ذلك
بل يتعدى الضرر الى الاعقاب فان الحكماء أجعوا قاطبة على أن مدمن النخ
لا ينبغي وان أنجب كان الولد أحمق انتهى كلام التيفاشى (ونقلت) من
مجموع بخط بعض الافاضل قد ذكر الحكماء والاطباء والعلماء والشعراء
والفضلاء والبلغاء من مضار النخ ومنافعها وبهجة عواربها وطوالها فمن ذلك
قولهم النخ يسخن الجسم ويجود الهضم ويرطب الاعضاء ويسكن النفي

والعش اذ امرجت وتدر البول وتسهل الطبيعة وتسر النفس وتحدث النشاط والطرب والاريحة لا سيما في الابدان المعتدلة هذا في أخذ القصد فاذا أكثر منها أحدث ذلك السهر وورم الكبد وقلة شهوة الجماع والغذاء والنسيان والجحر والرعدة والدمع وضعف البصر والحجيات واختلاط العقل والتباد والسكته والصرع وموت الفجأة لان الحمر تملأ الدماغ فتغمر الحرارة كما يغمر الدهن نار السراج فيطفى انتهى

(الفصل الثالث في آداب منتشيم او ما يجب على مستعملها)

ينبغي للعاشق والنديم المجالس للولوك والرؤساء ان يكون تطيف الكف نقي الظفر متعاهد التقلية والتحليل بين أصابعه وغسل يده ومعصمه في أوقات وضوءه ومطعمه طيب المعاني عطر البشرة تطيف الوجه والشارب والانف نقي المجبين مستعمل السنون وأخذ السعد بالغدوات وتبريح اللحية وتنظيف الثياب وعمامة خاصة لان العين كثير اماكن تقع عليها متعطر ابا بخور والغالية والدرابر على الشعر والثياب وليجلس في مرتبة بحسن أدب وسكون جاشم بغير اتكاه ولا مدرجل ولا عبت بشوب ولا بلحية ولا ينهض بنهوض الملك ويجلس حيث يشير اليه ويدنو اذا استدناه ويحييه اذا سأله ولا ينهض عن المائدة أولا ولا يديده مبتدئا ولا يلحق أصابعه ويعيدها في الطعام ولا يغمس أنامله ولا يمرع المضغ ولا يكثر الضحك والكلام ولا يعرض اللحم بأسنانه ولا يرد ماء عض في الحففة ولا يتناول ما بين يدي غيره ولا يكثر اللقم ولا يفتت الخبز ولا يخلخل الملح ولا يلقط الدسم بالخبز ولا يكثر من اغتراف المحبوب والامراق خوفا من أن يسيل على الثياب وينسب الى الشره وسوء الادب ولا يفتح الدجاج بيده بعنف خوفا من الاندلاق وهو أن يكون تحت جلد الدجاجة أوفى أورا كه ادمم فيطير على ثياب من بازائه بل يقطع بالسكين على تواضع ولا يحصر الزيتونة بشدة فربما طارت نواتها فأصاب وجهه جلده ولا يحمل بيده الحلوى بكثرة ولا يدخل الى فيه الطعام الحار ثم يخرج منه من فيه ولا ينفخ فيه وفي المرقعة ليبرد ولا يكثر شرب الماء ولا يتجشأ ظاهرا ولا يمشش العظام ولا ينفخ المخاخ ولا يعرض الفواكه ان حضرت قبل الطعام ولا يديده الى قطعة لحم مشهورة ولا بيضة منصورة ولا

سببوه بجهته شرباه ولا ما تقع الشهوة عليه ولا ما تسارع النفس اليه ويجب أن
يقصّب الخمر في مجالس الملوك ومن يخاف على عرضه (حكى) أن المتنبي كان
يأبى شرب الخمر ويكرهه فألزمه سيف الدولة بن جردان فشرب ذات ليلة عنده
ففرطت منه فارطته بأن قبل غلاما وما زحده ثم ندم لوقته فقام وانصرف وبقى أيا ما
لا يحضر مجلسه فأكثر بطابه حتى حضر فأمره بالشرب فامتنع وأقسم أنه لا يشرب
أبدا خرا وأنشأ يقول

رأيت المدامة غـلابية * تهيج للـره أشواقه
تسىء من المرء نأديبه * ولكن تحسن أخلاقه
وبالأمس مت بهاموتة * وهل يشتهي الموت من ذاقه

فعفاه من الشرب وإذا ألزم العاقل الشرب في مجالس الملوك فلا يشرب فإن
غالب لزم الصحة والسكوت وتكلفه إلا أن يسأل فيرد جوابا مختصرا (وحكى) أن
نصيبا كان يجالس عبد الملك بن مروان ويؤاكله ويجالس قريبا منه فألزمه
بالشرب فقال يا أمير المؤمنين أنت لك بقراءة ولا لى عليك يد يضاه ولا أنا ذو
حسب ونسب وإنما أنا عبد أسود قربنى منك أدبى وعقلى فبأبى بك أن تسلبنى
أدبى وعقلى الذى قربنى منك فحبب منه وعفاه (وينبغى) أن لا يشربها أبدا
الحق والسفهاء والجهال حتى يخرجون فى فجورهم وسفهمهم وتكثر حماقتهم وقال
أبو نواس رحمه الله تعالى

والخمر قد يشربها عشر * ليسوا إذا عدوا بأ كفاها

وقال آخر

وقد تعرف الجاهل من حلماتنا * إذا ما تعاطينا الكؤوس تعاطيا
تزيد حياها السفه سفاهة * وتترك الباب الرجال كاهيا
وجدت أقل الناس عقلا إذا انتشى * أقلهم عقلا إذا كان صاحيا
عليك دليل من صحبت فلا يكن * جليساك من يحكى اليك المساويا

وقال آخر

على قدر عقل المرء فى حال صحوه * يؤثر فيه الخمر فى حال سكره
فبأخذ من عقل كثير أقله * وبأبى على العقل اليسير بأسره
قال المأمون الشراب سرفا نظر مع من تهتكه وقال الجازحوم النيد على ثلاثة عشر

نفسا على من غنى الخطأ واتسكا على اليمين وأكثرا كل النفل وكسر الزجاج
وسرق الریحان وبل ما بين يديه وطلب العشاء وقطع اللثة وحبس أول قدح
وأكثر الحديث وامتخط في منديل الشراب وبات في موضع لا يحتمل المبيت
ولحن المغنى ونقلت من خط المحافظ جال الدين البغمدى من مجاميعه المصنوعة
يكنوز الفروث ومعدن الفرائد ما صورته لما تقلد كسرى أنوشروان مما كتبه
عطف على الصبوح والغدوق فكتب اليه وزيره رقعة يقول فيها ان في أدمان
الملك الشرب ضررا على الرعية والوجه تخفيف ذلك والنظر في أمور المملكة
فوقع على ظهر الرقعة اذا كانت سبلنا آمنة وسيرتنا عادلة والدينا باسقامتنا
عامره وعملنا بالحق عامله فلم يمنع فرحة عاجله قال أبو سليمان أخطأ كسرى
من وجوه أحدها أن الأدمان افراط والافراط مذموم وآخر أنه جل أن أمن
السبل وعدل السيرة وعمارة الدنيا والعمل بالحق لم يוכל به الطرف الساهر ولم
يحظ بالعناية التامة ولم يحفظ بالاهتمام الجالب لدوام النظام مع أنه متى كان
كذلك دب اليها المقص والنقص باب الانتقاص والانتقاص مزيل للأصل
مزعزع للدعامة وآخر أن الزمان أعز من أن يبذل كله للاسك والشراب
والتأذ والتمتع فان في تكميل النفس الناطقة باكتساب الرشيد لها وإبعاد
ألغى عنها ما يستوعب أضعاف المهر فكيف اذا كان العمر قصيرا وكان
ما يدعوا اليه الهوى كثيرا وآخر أنه ذهب عليه أن العامة والخاصة اذا
وقفت على اشتغال الملك بالذات وانهم ما كفي في طلب الشهوات ازدرته
واستهانت به وجذبت عنه بأخلاق الخنازير وأخلاق النجس (وما) أحسن
ما قال الأديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن الرضا الرضائي من رصافة قرطبة رحمه
الله تعالى وقد مر به وضعة نزهة فتذكر جلاله فيها مع رفقة له كانوا أعزاء
على قلبه

سلى نجماتك الربا بأية ما * كانت ترف بهار بحانة الادب
عن فتية نزلوا على أمرتها * عفت محاسنهم الامن الكتب
محافظين على العياور بما * هزوا السجيا فلبابنة العنب
حتى اذا ما قضاوا من كأسها وطرا * وضاحكوها الى حدمن الطرب
راسواروا حاو قد زبدت هائمهم * حيا ودارت على أبي من الشهب

لا يظهر السكر حالا من ذواتهم * الا التغاف الصبا في السن العذب
(ونقلت) من خط سيدنا ومولانا الجناب المجدي فضل الله بن المرحوم العاصم
نفر الدين بن مكانس هذه الاربعة وسماها عمدة الحرفاء وقدوة الطرفاء من نظم
والده سابعه الله تعالى

هل من فتي ظريف * معاشر حريف
يجمع من مقال * ما يهوى اللذلى
أمنحه وصديه * صارينه سريره
تتبر في الدياجي * كلمة السراجي
جالبية السراء * جليلة الانباء
ما جنة خليعه * بليغة مطبوعه
رشيقه الالفاظ * تسهل للعفاظ
جادت بها القريحه * في معرض النصيحة
أنا الشفيق الناصح * أنا المجد المازج
أسلك الجماعه * في طرق الخلاعه
اجدد للايكاس * عهد أبي نواس
ان تبتغي الكرامه * وتطلب السلامه
أسلك مع الناس الادب * ترم من الدهر الذهب
لن لهم الخطايا * واعتمد الآدابا
تمل بها الطلاب * وتسحر الالبابا
البس حلا الخلاء * واخلع ردا الرفاعه
ولا تطاول بنشب * ولا تقاصر بنسب
المرء ابن اليوم * والعقل زين القوم
ما أروض السياسة * لحائز الرياسه
ان شئت تلقى محسنا * فلا تقل قط أنا
وان أردت لاتهن * اذ أوثمنت لا تخن
العز في الامانه * والكيس في الفطانه
القصد باب البركه * والخرق داعي الهلكه

لا تغضب المجلسا * لا تسخط الرئيسا
 لا تعجب الخسيسا * لا توحش الانيسا
 لا تكثر العتابا * تنفّر الاصحابا
 فكثرة المعائبه * تدعو الى المجائبه
 وان حلت مجلسا * بين سراة رؤسا
 اقصد رضا الجماعه * وكن غلام الطاعه
 دارهم باللفظ * واحذروا بالمتخف
 لا تلغين كاذبا * لا تهمل الملاعبا
 قرب الندامى يلجى * للتردو الشـطـرج
 واختصر السؤالا * وقلل المقالا
 ولا تكن معريدا * ولا بغضا زكدا
 ولا تكن مقـدما * تسطو على المنداما
 لا تمسك الا قدحا * تنعص الافـراحا
 لا تقطع الطرفه * لا تشخذ السـلافه
 لا تحمل الطعاما * والنفل والمـداما
 فـذاك في الوليه * شناعه عظيمه
 لم يرتضيها آدمى * غير وضيع طادم
 وقل من الكلامى * ملاقى بالمـدامى
 كرائق الاشـعار * وطيب الاخبار
 واترك كلام السفله * والنكته المتذله
 وقالت الاكاسى * اذا أريق الكاسى
 بادره بالمـدـيل * فى ضايقة العجـيل
 فشـمـلة الكرام * سـفـينـة المـدام
 وان رقدت عندهم * فلا تشا كل عـبـدهم
 فان سـلـت مره * فلا تعـديـاعـره
 لا تأمنن الثانيه * فان تلك القاضيه
 والبدويون احذره حذر * فانه احدى الكبر

فيألفها من فضيحة * ومحنة قبيحة
 فأعلمها لا يكرم * وان دوى لا يرحم
 كم أسكن الترابا * ذا قسوة ذبابا
 وكم فتى من ذره * أصبح مفضى الثقبه
 جازوه من جنس العمل * وصار في الخلق مثل
 ليس له من آسى * كمثل بعض الناس
 مكفته تلك شهره * ومثله وصيره
 أباك والتطفيل * وشامة الويل
 تبألفها من محنة * وثلة وهجنة
 لا تقرب الطاعة * فانها دلاءه
 ولا تكن مبذولا * ولا تكن مملولا
 وان دعاك الاخوه * الى ارتشاف القهوه
 فلا تصقع ذقنك * ولا تزرهم بابنك
 ولا بجوار الدار * ولا بشخص طارى
 ولا تجعل تألفه * ولا صديق تصدقه
 ولا تغفل لمن تحب * ضيف الكرام يصطب
 فهذه أمثال * غايبها محال
 سهرها الاغراب * السادة السخاب
 قد وضعوها في الوري * طرا بأولاد الخرا
 وان حلت مشربه * مع سوقه لا كتبه
 فأقلل من المدام * في مجلس العوام
 فكثرة المجنون * نوع من الجنون
 والامر فيه يحتمل * وكل من شاء فعل
 وآخرا الامر الرضى * وكل مفعول مضى
 فعصبة العوام * ضرب من الانعام
 وان صحبت تركى * فاصبر لا كل السكك
 هذا اذا تلطغا * ولم يكن فيه جفا

وان يكن ذا عريده * وتزغنة منك كده
يقوم للجلاوس * بالسيف والدبوس
أبشر بقتل القوم * ونحس ذلك اليوم
فاقبل كلامي واعتمد * وصيتي وارص وفد
ولا تخالف تندم * ولا تعزز تغدم
فالشؤم في اللجاج * والمحرم لا يلاحي
فهاكها وصيه * تعجبها التحيه
يحملها الكرام * اليك والسلام

(الفصل الرابع في استهدائها واستدعاء الاخوان)

كتب ابن العميد الى بعض أصحابه يستهديه خيرا قد اغتنت الليلة أطال الله
بقائه سيدي ومولاي رقة عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت
مع أصحابي كالتريا فان لم تحفظ علينا ما نحن فيه من النظام باهدائي المدام عدنا
كبنات نوح والسلام (وقال) حجة البرمكي يستهدي نبيذنا (توفي سنة ست
وعشرين وثلاثمائة رحمه الله)

قد زارني اليوم نور عيني * وكان بالأمس صدعي
وليس عندي له نبيذ * وليس يرضى بذاك مني
في دينا بنصف دن * بربع دن يثا دن
لا تنكرن كدني وشمتي * فاني شاعر مغني
حالا لو خافا مليكا * اذا لي كدى بكل فن

(وكتب) عبد الرحيم بن أحمد القاريس خوي الى أخيه الأكبر
بلغ جمال الدين عبد الواحد * صدر الانام الماجدين الماجد
برداهوا زاد في قلبي الهوى * فأنعم على بقلب ضد البارد
(وأنشدني) صاحب المرحوم فخر الدين بن مكاس من لفظه لنفسه
براح ورمال بعث اليكم * وبسر وتغاح تضوق كالنمد
كما حليت بكر على الشرب ناهدا * مقهمة الاطراف قانية الخد
(الاستدعاء) قال بعضهم

تفضل بحق الكاس والراح والهوى * وترجيل أصداع غدون هلى نعد
وكن غير مأمور بجواب كتابنا * ولا توحشنا بالتعالي والوعده
ولا تنر

جعلت فداك قد حضر الطعام * وضحت من تأنرك المدام
فاما جئتنا بحـ لا والا * أخذنا في اغتيابك والسلام
(وكتب) أحمد بن يوسف الى صديق له هذا يوم رقت حواشيه وبدت نباشير
محمور فيه والمرع باخيه كبير وبمساعده جدير وأنت قطب السرور ونظام
لامور فلا تنأخر عنا فنقل ولا تتفرد منا فنذل (وقال) عبيد الله بن طاهر
(توفي سنة ثلثمائة)

القدر قد هدرت والدن مهذول * والروض قد ريش والريحان مبول
وقرت العين قد جاءت بزهرها * يصيح في يدها والنائي مشغول
ولا يتم لنا عيش ولا طرب * حتى نراك فانت القصد والمثول
وكل عيش بلا راح ومهجة * ولا نديم ولا أنس فتعابيل
يوم التلاق قصير كيف طال لنا * وغيره فيه مع ابعاده طول
وقال آخر نحن في مجلس قد أبت راحته أن تصف وأتدأ ولها عنك وأقم
غناءه لا طاب ان لم تبعه أذنالك فاما نحن دود تاريخه فقد اجرت نجلا لا بطائك
وأما عيون نرجسه فقد حذقت تأمينا لا لقائك ونحن اغيبتك كـ قد قد
ذهبت واسطته وشباب قد اخذت حديثه فاذا غابت شمس السماء عما فلا
بدأن تدنو شمس الارض منا فان رأيت أن تحضر لتتصل الواسطة بالعقد
ويحصل بقربك في جنة الخلد فكأن الينا أسرع من السهم الى ممره والماء الى
مقره (وقال) الوزير أبو القاسم بن السقاط يومنا أوزك الله يوم يغيث شمس
بقناع الغمام وذهبت طامسه بشماع المدام ونحن في قطار الوهمى في رده
هـدى ومن نصير النوار على تضاد النصار ومن نواسم الزهر في لئائم العطر
ومن غرر الندمان بين زهر البستان ومن سقاة الكؤس ومعاطي المدام
بين مشرق الشمس وعواطي الارام فراك في مصالحة الاقمار ومناخلة
الانوار واجتلاء غرر الطباء الجوارى وانقاد رب الغناء المجازى موقعا ان شاء
الله تعالى وقال محمد بن أبي محمد بن الفياض كاتب سيف الدولة بن حمدان

وقد أجتنبوا من وهذا ثالث وأعطيتناهم دين وكنت الناكث فهل
استدعت ما أتيت أو كان لك عليه باعث فياقسيم روجي ويا نسيم صبوحى
ها قد آن الغدوق إلا أنه يعز بمرشف شفتيك وكأس عينيك ووالله لا شربت
إلا على آس عذارك وورد خديك فأبررقسى ورد الجواب من فك إلى فى
وقال القاضى السعيد بن سناء الملك وقد أنة نظمنا انتظام الحبان واجتمعنا على
رغم أنف الزمان وعندنا فلان وما أدراك ما فلان تارة ينظر فيملا علينا البيت
سحرا وتارة يدسم فيفرق علينا درا وقال أبو الوليد بن الحبان الشاطبي نحن فى
روض أغصانه الندماء وغمامته الصهباء فبالله إلا ما كنت لروض مجلسنا
نسما ولزهر حديثنا شميا وللبسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زاجرتها
خديرها ونجباتها نغرها بل شقيقة حوتها كمامه أو شمس حبيتها غمامه
إذا طاف بهامهم الساقى فوردة على غصنها أو شربها مقهقهة فحمامة على فنتها
طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فأنت وحياتك أكملنا وقد آن
حلولها إلى الأكليل (وقال) بدر الدين بن صاحب وكتب بها إلى صاحب نجر
الدين ابن مكاس نغمد هما الله برجته وسامحنا وإياهم بمحمد وآله هل لك
بسط الله آمالك وضاعف نعيمك ودلالك فى عذراء مصونه كالدرة
اللمكنونه فتانة مفتونه كأن على خديها فوق ورده ياسمينه مخدرة تدهش
العقول لمجتملاها وتغشى العيون لضوء سناها مظلومة الريق فى تشبيهها
بالضرب وفى اللغات وفى أنيابها شذب لها من ذاتها طرب يغنى عن الزمير
بلقيسية الجمال لها صرح مرد من قوارير ضرة للشمس تلبس زى البدر
ليلين ويرطب بها عيش السرور ليلها من حسنها نهار وضوء وجهها اليد
لامسها سوار يحوز الاسم صبية الاستمتاع بكر تستخف الحليم بكشف القناع
تعصبت بالدجى طيبا وتلثت بالصباح وتلطفت حتى ما زجت الأرواح كريمة
الأصل والأفعال حسنة المعانى والخصال أديها كلما يعتق يغلو ووردها
كلما مر يغلو يخالع الوقور فى حبها العذار ويطيعها بالسرعد فلك الله والمدار
ثملة المعاطف قهقهة قهقهة الرهونه كأنما خلقت نشوانة من الطينه بزاد
نغرها طيبا فى ساعة السحر وتعرف عينها الخفية بحسن الأثر حديثها المهر
الحلال وعتيقها خلع الدلال أيامها عياد وأوقاتها أقوات القلوب والأبصار

تطيب عيش المجلس وتترك أذن الوسواس من القاصرات الطرف في كل
 قصر وهي على الإطلاق مليحة ذهبية العصر رومية لها بالكيمياء معرفة
 مع أنها بأدراك المطالب متصفه فتارة تقاب الأخرن أفراحا ومرة تكال لك
 الذهب أقداحا ندعها بحرق في نفسه تخايل المملسكه ويكاد أن يدعى الدنيا
 من أول وجباتها شبكه قبيحة كأنما غنت الغلث فنتقطتها بالنجوم قارية تخلقت
 بعد أن تجمعت بياض الغيوم تجمع شمل الأحياب وتهذب الانحلاق
 الصواب لو خالطها حبل لاس أوقا لها جساد لقل انه كاس أوقلت
 ندما لها سببت الى اياس ولقال لسان حالهم وفيها منافع للناس وتلطف
 حتى كأن رائها مع بطيب ويطرب وحتى يكاد يأكل بالضمير ويشرب
 تغايرت الاستقصات على شكلها النوراني وما نقت في خلقها الجحشاني
 الروحاني فلم يجد الطير له فيها مدخلا لكن قنع منها بالتلطخ تطفلا على
 أنه وارثها بالتعصيب وقل جدها للام بلا تريب أنفاسها مسكية وطبائعها
 بروكية ومكارمها خاتمة وانسانها قيصريه بكر بخاتم ربها وهي ترضع
 أباهام من حليبها فتعيد الشيوخ صيدا والمشغول خليا فكأنها استعارت
 الأرض من أمها التي لها ندى كالنجوم عذة وتعلم منها المكارم لمارات
 أكلها بالندى عتده غانية طعم الحياة في ريقها وضيق الموت في مباينتها
 وتطابقها لا تنزل الحوادث ساحتها ولا يعرف التعب من صافح راحتها جراه
 تخلع ثوبها على الندمان بل تكاد تطبق عينها على الانسان لا ينهض البليغ
 بوصفها فالجزع عن ادراك لطفها ادراك لطفها (أخبرني) الجناب المجدي
 سلمه الله تعالى أن والده أجاب عن هذه الرسالة جوابا مجزعا الى الغاية وأن
 مسودتها عدت وقال أبو الحسن بن بسام ليستنهض همة نديم (توفي سنة
 ثلاث وثلاثمائة رحمه الله)

الابادرفلاتان سوى ما * عهدي الكاس والبدر التمام
 ولا يكمل برؤيته ضبابا * يظن به الحديقة والمدام
 فان الروض ملتم الى * ان توافيه فينخط اللثام
 (وقال) الشهاب الاعزاني من موشحة أولها (توفي سنة عشرة وسبعمائة)
 كاس رويه * جلاء لنا القديم * أم سنا مصباح

(١٠٤)

أم شمس حسن * قد توجتها النجوم * في سماء الاقداح

(ومنها)

وأجاد لنا خليل * نراه منذ لم يلى

غائبنا * وماء الشمول * لذيقه وهو سالى

أيش منا * قل يا رسول * نائبا في ظلالى

(غيره) دوحه غنى زبرجدية * ونم شادورنم * وبقا ياراح

ويوم دجن * وقد دعاك النديم * فأجب يا صاح

(وقال) الحكيم شمس الدين بن دانيال يداعب

شمس الدين قد أبطأت عنا * لا مرقل لنا ماذا الجفاء

وقلت اليوم بعد العصر تأتى * وبعد العصر يأتينا الجزاء

(ونقلت) من خط الصاحب المرحوم نحر الدين بن مكانس ماصورته كتبت الى

صاحبنا الاديب الفقيه العالم المحافظ الراوية أبي حفص سراج الدين عمر

السكندري الشهير بالقوصى استدعيه وفيها بعض مداعبه

الحمد لله المجيب لمن دعاه

يا ذا الذى فكره مثل اسمه يقدر * فندت عنا وما من شأنك الغند

بما اعتذارك عن هذا الصدود وما * هذا وقد ضمنتنا بالحيرة البلد

عافاك ربك من داء القطيعه بل * شفاك من كل داء أمره نكد

فيم التواني وشهر الصوم مقبل * عن خرة ضوءها فى الكاس يتقد

وفتية مخلصين الود قد جبالوا * على المحبة لاحة دولا حسد

ان ذاع وصفك فى ناديتهم طربوا * أوجال ذكرك فيما بينهم سجدوا

ان لم تشرف بناديتهم فاشرفوا * أولم تنفق لهم آدابهم كسدوا

لم ذا هجرت بنى الاكابر فابدانا * فما اعتذارك لأهل ولا ولد

قد صرت توحشهم بعدا وان قربوا * وكنت تؤنسهم قريبا وان بعدوا

تركت عشرتهم لما رغبت الى * جاء طويل عريض زانه مدد

ما هكنا تهل الدنيا بصاحبها * فالناس بالناس والاخوان تلتقد

وبعد فاحضر فذنب العبد مغتفر * ولوطاول من هجرانك الامد

أولا فعصبة فسق كلهم سبق * سود غلاظ شداد مالهم عدد

لهم ايور فيام طول دهرهم * من حين ادراكهم بالحسين مارقدوا
 كأنهم من حديد جموا زبرا * يستوثبون فلا يقواهم الاسد
 من كل ابرتحك السحب هامة * يهيج كالبحر اذ يب دوله زيد
 من نفل مكهر مضب شرس * لظهره جملونات بها عقد
 مسكرج الرأس في عرينه شعم * معشر الدوم في حاقومه غدد
 تلك الايور تراهم في نكورهم * كأنهم تحت فسطاط السامد
 ومن قرى رقعتي هذى وليس برا * عقيبته حاضرا لم يثنه أحد
 مولاي اني محب فاتخذ كلى * نصيحة فعليها النخل يعتمد
 بادر لنا فبنوا لآداب كلهم * تجمعوا من فجاج الارض واحتشدوا
 وانت أدري بقوم ان قلوبا سلخوا * بالسن مالمقتلى حربيها قود
 فأوعدوك وان لم تأت نحوهم * فكل منحرف في الحال ما يعد
 لازلت ترقى على زهر النجوم علا * ما حلت الريح اقوام ومارصد
 (وكتب) اليه يداعيه

يوم عليك سعيد * يدي الهنا ويبيد
 يا بحر عـلم خضم * تأتي اليه الوفود
 يا ناقض الود يامن * شوقي اليه يزيد
 يا رقيه ق الحواشي * ماذا الجفا والصدود
 يا جامع الشميل يامن * بما لديه يجود
 قدغـ يترك الليالي * والجاء وهو شرود
 فكيف تبدي نفارا * منا ونحن عبيد
 لم لا تتبعه وتعالو * على الورى وتسود
 وانت خلفك قرم * كل قوى شـديد
 والناس شكوا وقالوا * ما شاب منه الوليد
 والشعر فيك توالى * طويـله والمـديد
 أصبحت كالبدرماء * وهو القريب البعيد
 يا أكثر الناس نجبا * قل لي لماذا العقود
 وقد أدنى الصوم فالهم * بنا فقـربك عبيد

واغتنم شفاءك واشرب * فقد أتتك السعدود
واحضر إلينا إذا ما * وإفالك دن النصيد
فعندنا ان تزرنا * ما نشتهي ونريد
راح وظبي وشاد * يتجسب الانام وعود
تزوج الماء بالراح * والملاح شهود
وأنت جوهرفضل * به تحلى العهود
لازال عزمك والى * مفلح ورشيد
يستخدم الدهر فـيـمـا تقره وتبيد
أيامه خدم ويبـيـض والليالي سود
وقال آخر نحن قوم من شعبة النجر نحب العتيق قد فرضنا عنا يد الهم بسماع الوتر
وأقنا من ناصب الغم وعدك المنتظر

(الفصل الخامس في من وصفها من الشعراء الأعيان)

القول في الكرم الكرم أكرم الشجر جوهرًا وأشرفها محتدًا وعنصرًا
منافعها عظيمة وعوائدها جسيمة وثمرها يزهي على جميع الثمار طيبًا ومنفعة
وهو دال الشرب فيما يستخرج منه مستجمعة وينبغي أن يختارها أرض معتدلة
رطبة لا مفرطة الرخاوة ولا صلبة ولا يكثر سقيها فيصير ما به صرمها رقيقًا
مائيًا ولا يفرط في تعطيشتها فيكون باسًا ناريًا ويعتمد تزييل أرضها بائخاء
البقر فانها حافظة لما استودعته دون غيرها من الشجر وان لا يغرس
ما يضادها في أقرب مواضعها ولا يلاصقها إلا ما يتقاربها في طبائعها فيجتنب
الدفي والدلب والخروع وما يشاكلها وتجاور الورد والتفاح واللوز والخوخ
وما عائلها والتفاح أشبهها به (نكتة حسنة) قال أبو مسلم الخراساني صاحب
الدعوة لسايم بن كثير بلغني أنك كنت في مجلس قد جرى بين يديك فيه
ذكرى فقلت اللهم سدد وحيه واقطع عنقه واسقني من دمه فقال نعم قلته
وتحسن في أكرم الحرم ما سألتني إليه فاستحسن قوله وعفاه عنه لسداد جوابه
(القول) على ثمرها أجمع العجم والعرب على أن رأس العا كهة التين والعنب
لأنهما يهديان الخصب إلى الجسوم ونفذوا أنهم أغذا غير مذموم وعقيد

العنب اذا طبخ نفع من بعض الخوانيق وقطع الزطوبات المضرّة بالحقول
وقد ورد في الخبر المأثور ما هو عند اصحاب الحديث مشهور وهو كلوا الزبيب
فانه يطفى الغضب ويذهب الوصب ويشد العصب ويرضى عن الرب
وأطيب العنب ما اخضر عوده وتسلسل عنقوده وتدفق ماؤه ورق لحاؤه
وقل بحممه واستجلاء مستطعمه وأفضل الاشربة ما اتخذ منه وهو الخمر
لما فيها من الفضائل ولما انفردت به من شريف الخصائل فالاسنة منبسطة
بنشر محاسنها والمدائح مشوقة اليها من أفضل معادنها والنفوس مجعبتها
كله والقلوب الى ما تحتج به منها تشوقه من اعتاد شربها لم يصبر عنها ومن
لم يذوقها ورآها دطام نسيها ولونها الى الانخذل يحط واقربها وما أحسن قول
ابن المعتز فيها

معتقة صباغ المزاج لرأسها * أكاليل در ما المنظومها سلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر أنخلصه السبك
وأدرك منها الآخرون بقية * من الروح في جسم أضربه النك
وقد خفيت من صوفها فكأنها * بقايا يقين كاذب هبه الشك
وقال القاضي الفاضل رجة الله عليه

أها من تصفو على الشرب أربع * وواحدة لولا سماعتها كفى
سرور الى قلب وتبر الى يد * ونور الى عين وعطر الى أنف
ولما رأينا ياسمين حبابها * مددنا بين القطف قبل فم الزشف
وقال القاضي مجير الدين بن عبد الظاهر

خبرة للشقيق أمت شقيقة * بنت كرم بالمكرمات خليفة
قال قوم من اطفالها هي في الكأ * س مجازو الكاس قالت حقيقه
كيف تندو عتيقة لدنان * وهي في قبضة الندامى رقيقة
أنجبت فرحة وجاءت بكاس * صبغت حرة فندم العتيقة
هي مخلوقة من الماء فاعجب * كيف نار من مزنة مخلوقة
كم تبدت بها معاني سرور * بسوى الماء لم تكن مطروقة
سلفتنا على العقول وقالت * يتولى الجناب كتب الوثيقة
جات همنا فمدا وشكرا * لعموز على بنها شفقة

كلمتك بالدعوى منها الرواوي سبق وجاءت بجيوبها مشقوفة
 .. أتتراني أعصى الهوى فيها ثم أنحشى من أن يقول الخليفة
 وما أحسن قوله مائة زافي شملة وإن لم يكن مما نحن فيه لكن الشيء بالشئ يذكر
 بلازمه

ومشمولة رقت وراقت فأصبحت

على الشرب ترهى حين تهدي إلى الكاس
 معتقة ما شمت بعد عصرها * لا ثم وكف فيها منافع للناس
 ولا عصرت يوما برجل ولا لها * إذا ما أدبرت من صعود إلى الراس
 وقال ديك الجن عبد السلام بن رعيان الحمصي (مولده سنة إحدى وستين ومائة
 وتوفي سنة ست وثلاثين ومائتين)

بها غير معذور فداو خمارها * وصل بعشيات الغبوق بابتكارها
 فقم أنت واحتث كأسها غير صافر * ولا تشقى الآخرها وعقارها
 فقام يكاد الكاس تحرق كفه * من الشمس أو من وجنتيه استعارها
 ظلالنا بأيدينا نتمتع روحها * فبأخذ من أقدامنا الراح ثارها
 مودة من كف ظي كأننا * تناولها من خده فأدارها
 (قلت) أحسن ما ضمن هذا العجز الشيخ بدر الدين حسن العربي الشهير بالزغاري
 وبى سامرى مربي في عمامة * قد اكتسبت من وجنتيهما الخمارها
 مودة دارت بوجهه كأننا * تناولها من خده فأدارها
 (وقال) مجير الدين بن نعيم مضمنا

لو كنت شاهدنا وقد جلبت لنا * في كأسها ما انتشى الفدما
 رأيت أحسن ما يرى بزجاجة * سال النضار بها وقام الماء
 (وقال) صدر الدين بن غنوم

قم زهرغ بكر المدامة بكرة * في روضة حسنت وراقت منظرها
 فالراح سيف قاطع اهـ مومنا * أو ما تراه بالحجاب مجوهـ را
 (وقال) شرف الدين راجح الحلي

أعجب شئ رأته عيني * ما بين عود وحقق نائي
 زحف سرور بجيش هم * وقتل خرب سيف مائي

(وقال) يحيى الدين المغربي حافي رأسه (مولده سنة خمس وثمانين وستمائة
وتوفي سنة اثنين وستين وسبعمائة)

لم يبدد در بدر الحساب بكأسها * إلا لصيد بلايل الأرواح
مزحت فأنجزت الذي وعدت به * من تفتح روح الله في الأشباح
وقال للناسي

صفت وأحداق نورها بزجاجها * فكأنما جعلت إناه أناسها
وتسكاد أن مزحت لرقعة لونها * تمتازعند مزاجها من مائها
ترداد من كرم الطباع بقدرها * تؤدي به الأزمان من أحرانها
وقال البديع الهمداني قال ابن خالكان (كانت وفاته سنة ثمان وتسعين
وثلاثمائة مسموماً بدينه هراه)

وفتيان كأكفان الثريا * هلى طارق من العيش الرحيم
بساقيهم من الغزلان أحوى * كأن بطرفه داء الطليم
تسادوا للدماء وضغوني * وقالوا هالك حطك من نعيم
فقلت أخاف عقباها ولكن * أشيعكم إلى باب الحجيم
وقال أبو تمام الطائي (توفي سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة) وفي وفاته ثلاثة أقاويل
بمدامة تعدوا المنا لكؤسها * حولاً على السراء والضراء
راح إذا ما الراح كن مطيها * كانت مطايا الشوق في الأحشائي
صعبت وراض المزج يبنى خلقتها * فتعلمت من سنن خلق الماء
بقواء تلعب بالعقول حباها * كتلعب الأفيال بالاسماء
وضعيفة فإذا أصابت فرصة * فبكت كذلك قدرة الضعفاء
وقال أبو الحسن علي بن موهي الغرناطي ضمني وإيا يحيى الكاتب مجلس أنس
فتذا كرنا ما قيل في معاقرة الشراب في الشيب فأنشدني لنفسه

لاموا على حب الصبا والسكاسي * لمسا بدا زهر المشيب براسي
والغصن أحوج بما يكون لشربه * إيان يبدو بالأزهار كاسي
ثم قال هل سمعت في هذا المعنى شيئاً غيري فقلت لا ثم أعلمت حتى علمت فيه
وهو معني غريب قلت

يلومونني أن شبت في الخمر صلبة * وانني إذا وافي المشيب بها أحق

(١٦٠)

إذا شاب رأس الليل بالفجر قربت * له أكواس الصهباء من خيرة الشفق
آخر

صب في الكاس عقيق فجرى * وطفأ الدر عليه فسج
نصب الساقى على حافاتها * شبك الفضة فاصطاد الفرح
وقال أبو نواس رجة الله عليه

يطوف بها ساق أغن يرى له * على مستدار الأذن صدغاً معقراً
إذا عاب فيها شارب القمر خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا
وقال ابن المعتز رجة الله عليه

قد اظلم الليل ياندي * فاقدح لنا النار بالمدام
كأننا والورى رقود * تقبل الشمس في الظلام

وقال ابن جديس المصنف رجة الله عليه

قمها تنها من كب ذات الوشاح * فقد نعى الليل بسير الصباح
من قبل أن ترشف شمس الضحى * ربق انغواذى من تغور الاقحاح
وقال ابن رشيد رجة الله عليه أيضا

خليل النفس لا تخلى الزجاجا * إذا بحر الدجى في البحر ماجا
مشعة كأن الشمس ألفت * على أيدى السقاة به حجاجا
إذا مريخها اتقدد أحرارا * سكن المشتري فيه مزاجا
وقال ابن حجاج رجة الله عليه

وبحكم يا كهول أوشيوخ الفسـق أوبيا معنا شر القتيان
اشربوها خرا عما اقتناها * آل دير الفنون للقربان
بكؤس كأنها ورق الذسـرـين فيها شـقائق النعمان
اشربوها وكل اثم عليكم * ان شربتم بالرطل في ميزان
في ليل لو أنها دفعتى * وسط ظهري وقعت في رمضان
وقال ابن سناء الملك

الكاس لم تذب فكيف حبستها * أوحشتها من طول ما أنسيتها
لا بل همت بشربها ورأيتها * ألفت عليك شـهاعها فلبستها
وقال ربيعة الدين بن الدروى

(١٦١)

يخبض على كبرى غلالة قهوة * ويسله عمدا لراحة سالب
ونص على دين الجوس ليهيها * فشق الدجى عن صدره مسج راهب
وقال القاضى الفاضل رجه الله

يلوح عليها نجلة اذا دارها * فخرق يبدو الحجاب لذى المزج
أتانى بها والصبح من تحت ذيله * كما استل سيف أو كما ابتسم الربيعى
حبيب كأن كاسه من صبايتى * فظاھرھا برد بزرعى وهجى
وقال أبو نواس رجه الله عليه

ونجار الحب عليه ليلا * قلائص قد تبين من السفار
فترحم والكرى فى مقلتيه * كخمور شكى ألم الخمارى
أبلى كيف سرت الى حريمى * وجفن الليل مكتمل نفار
فقلت له ترفق بى فالى * رأيت الصبح فى حال الديار
فكان جوابه أن قال كالا * وهل صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسد فاها * فساد الليل منذل الازار

وقال آخر

جلوها على الندمان فاجر وجهها * بنجائتها عند البروز من الخدر
وألقوا عليها الماء فاصفرونها * وتحنن عند الملاقى وجعل البكر
وقال يزيد بن معاوية

ولى وله اذا الكاسات دارت * رقاسح رايجل عرى الهمومى
محاذنة الذم الامانى * وأبث جوى أرق من النسيم
وقال البحتري رجه الله عليه

تخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناه
والها نسيم كالرياض تنفست * فى أوجه الارواح والابداء
وفواقع مثل الدموع تحدرت * فى صحن خد الكعب الحسناه
وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى ملغزا فى مدام

وما شئ حشاه فيه داء * وأوله وآخره سواء
اذا ما زال آخره فجمع * يكون المحدث فيه والمضاء
وان أهملت أوله ففعل * له بالرفع والنصب اعتناء

حببتناها مشعشة تلالا * وثوب الليل فضفاض الذبول
فنجسها اذا الساقى جلاها * تعتش بالمرايح على الع-قول
ولا آخر

أدير بلحيتي البيضاء كأي * بكيس زائد منى وفطنه
ألم يرنى وعفو الله راج * ومن شرهى أصفها بظننه
وقال الشيخ يحيى الخبان (توفي سنة سبعين وسبعمائة)

بعثك هاتها جراء صرفا * صباحا واطرح قول النصوح
فهذى الشمس قد بزغت بعين * تغامرنا على شرب الصبوح
وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

مورد الخلد أدارا طولا * فقال لي في حبها عاتي
عن أجر المشروب ما تنهى * قلت ولا عن أخضر الشارب
وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى

قم هاتها في الظلام صافية * تورث جسمى وقبضتى بسطه
أضحت عليها الأفراح دائرة * يا صدق من قال انها نقطه
وقال المرحوم نقر الدين بن مكائس

للراح بالكيميا شبه فان لها * للقلب والرأس تقطيرا وتصعيد
قالوا هي الشمس اشراقا وقد جهلوا * ما ذاك الاشعاع الشمس معقود
وقال بدر الدين بن الصاحب

يا حابس الكاس لا تزدها * من بعد حبس الدنان حمره
راغت-نم مزاجا له طيبا * يورثه الانتظار صفرة
وقال من لفظه لنفسه سيدنا القاصى بدر الدين محمد بن الدمامينى

قم بنا نركب طر * ف الله وسبقا للدام
واننى يا صاح عنانى * لا كميت وللحاجى

وللشيخ شهاب الدين بن حجر أبقاه الله تعالى انفسه الكريمة

أطيب الملال لمن لامنى * وأملأنى الروض كأس الطلا
وأهوى الملهى وطيب الملا * ذفها أنا منهنك فى الملا

(١٦٢)

ومن الغظه لنفسه الكريمة الجناب المجدي بن مكانس
نزل الطل بكرة * ونوالى تجدد
والندى تجمعوا * فأجلى كاسي على الندى
وقال شهاب الدين بن أبي حجلة

أعطى الكاسات عن عشاها * يكفيك بالتعطيل عيب عايبا
ذهبت كؤوسك بالمدام فقد أرى * للناس فيما يشقون مذاها
فنى سلكك من الموم مكالكا * صادفت في فتح الدنان مطالبا
ومتى امتطيت من الكؤوس كيتها * أمسيت تمشى في المسرة راكبا
ومتى طرقت عشي أنس ديرا * لم تلق الا راغبا أوراها
وقال الشيخ عز الدين الموصلي لنفسه تغمده الله برحمته

لان شبهه الساقى المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صنعة الادب
ولكن رآها جوهرها سميت طلا * فقه لما حلت الكاس بالذهب
(ونقات) من خط الشيخ بدر الدين البشتكي لنفسه

ونجار هديا في الدياجي * بجذوة كأسه وسنا النديم
سألنا منه عن خرحر حديثنا * فأخبرنا عن العصر القديم

(قلت) وعلى ذكر الحديث قال أبو بكر بن عباس كنت وسفيان الثوري
وشريك تمشى بين الحيرة والكوفة فرأينا شيخا أبيض الرأس واللحية حسن
السمت فقلنا هذا شيخ جليل قد سمع الحديث ورأى الناس وكان سفيان أطلبنا
للحديث وأشدنا بحثا وأعلمنا به وأحفظنا له فتقدم الى الشيخ وسلم عليه
ثم قال له أعندك شيء من الحديث فقال له أما الحديث فلا ولكن عندي
عتيق سنين قال فنظرنا فإذا الشيخ نجار (بادرة) قبل الخالد بن صفوان أقل
الحديث قال انما العتيق يعمل (رجوع) وقال المرحوم فخر الدين بن مكانس
من شرطنا ان أسكرنا الطلا * صرنا قداوينا بشرب اللما
نعاف مرج الماء في كاسها * لا آخذ الله السكارى بما

وقال بدر الدين بن الصاحب

يا أيها العاصم بادري الى * عنقودك الفاخر في كرمه
اياك ان تتركه ساعة * تزيب النخس على أمه

وقال مجير الدين بن تميم

وأيلة بت أسقى في غياهاها * راحاتل شبابي من يد المهر
مازات أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم
ولما تمتأت في أواسط سنة خمس وتسعين وسبع مائة بين يدي سيدنا ومولانا أوحده
العصر من غير مدافع ولا منازع أقضى القضاة بدر الدين محمد بن أبي بكر الخزومي
الشهير بالدمامي أسبغ الله ظلاله تذاكرنا بين يديه الكريمة الكتب
وحسن أسماؤها فأخبرنا أنه في زمن الصبا جمع مقاطيع من الخريجات ومماها
مقاطع الشرب تأمل ما ألطف هذه التسمية (القصاصد) قال الشيخ العالم المقتن
البارع صدر الدين محمد بن المرحل ويعرف في الشام بابن وكيل بيت المال
تعمده الله بالرحمة (مولده سنة خمس وستين وست مائة ووفاته سنة ست عشرة
وسبع مائة رحمه تعالى)

ليذهبوا في ملامى أية ذهب * في الخمر لافضة تبقى ولا ذهب
لاتأسفن على مال تمزقه * أيدي سقاء الطلا والخرد العرب
والمال أجل وجه فيه تصرفه * وجه جميل وراح في الدجى لهب
فما كسوارا حتى من راحها حلالا * الاوعر وا فؤادى الهـم واستلبوا
راح بها راحتي في راحتي حصات * فتمى عجبى بها وازداد بي العجب
اذ ينبع الدر حلوم مذاقته * والتبر منسبك في الكأس منسكب
وايست الكيمياء في غيرها وجدت * وكلما قيل في أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من خزن * يعيد ذلك أفراحا وينقلب
مناصر أربع في الكأس قد جعت * وفوقها الغلك السيار والشهب
ماء ونار هواء أرضها قدح * وطوقها فلك والانجم الحبيب
ما الكاس عندي بألطف الانامل بل * بالنخس تقبض لا يخلوها الهرب
شجبت بالماء منها الرأس موضحة * فحين أعقلها بالنخس لا عجب
(وقال) الشيخ صدر الاح الدين الصفدي لولم يقل الشيخ صدر الدين من الشعر
الا هذا البيت لكان قد اتى بشئ غريب نهاية في البديع لقد غاص فيه
على المعنى وودق تخيله فيه

وما تركت بها النخس التي وجبت * وان رأوا تركها من بعض ما يجب

وان أقطب وجهي حين تبسم لي * فعند بسط الموالى بحسن الادب
هذا البيت أيضا يدب مع المعنى دقيقة وقد اعتذر عن اقتضائه بأحسن عذر
وأوضحه وما أحسن قول بن رشيق

أحب أخى وان أعرضت عنه * وأقل على مسامحة كلامي
ولى فى وجهه تقطيب راض * كما قطبت فى وجهه المدام

وتمة الايات

عاطيتهم من بنات الترك عاطية * لحاظها الاسود الغلاب قد غلبوا
هيفاء جارية للراح ساقية * من فوق ساقية تجري وتنسكب
من وجهها وتثنيها ومقاتها * تخشى الالهة والقضبان والقضب
يا قلب أردافهم هم ما مرت بها * قف بي عليها وقل لى هذا الكتب
وان مررت بشعر فوق قاهتها * بالله قل لى كيف البيان والعذب
تريك وجهتها ما فى زجاجتها * لكن مذاقته للريق تنتسب
تحكى اثنايا التى أبدته من حبيب * لقد حكيت ولاكن فأنك الشذب

(وقال) الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن نبانة المصرى

قضى وما قضيت منكم إسنات * متم عبثت فيه الصبابات
ما فاض من جفنه يوم الرحيل دم * الاوفى قلبه منكم جراحات
أحبنا كل عضو فى محبتكم * كلهم وجدفه لى للوصل ميعات
غبتم فعابت مسرات النفوس فلا * انتم زعمى ولا تلك الممرات
يا حيدافى الصبا عن حبكم خبر * وفى بروق الغضا منكم اشارات
وحيداز من الله الذى انقضت * أوقاته اغر والاعوام ساعات
أيام ماشعرا بين المبيت بنا * ولا نخلت من مغانى الانس أيات
حيث المنزل ووضات مديحة * وحيث جاراتها غيد وقينات
وحيث لى بدى بالهوى سلطنة * ولى على ثغره من أهوى ولايات
وحيث أسعى لاوطان الصبا مرحا * ولى على حكم من أهوى ولايات
ورب حانة خمار طرقت وما * حانت ولا مارقت للقصف سانات
سبقت قاصدا معناها وكنفتى * الى المدام له بالسبق عادات
أعثر الى دير ما الاقصى وقد لمعت * تحت الدجى فكان الدير مشكات

وأكشف الحجب عنها وهي صافية * لم يبق في دنها الاصبابا
 وانحذفت على جيش الموم بها * حتى كأن سناالا كواب رايات
 وبت أجلو على الندمان رونقها * حتى لقد أصبحوا من قبل ما بانوا
 مصونة السرح ماتت دون غايتها * حاجات قوم وللحاجات أوقات
 تحول حول أوابينها أشعتها * كأنما هي للكاسات ككاسات
 ويصبح الشرب صرعى دون مجلسها * وهي الحياة كأن الشرب أموات
 تذكرت عند قوم دوس أرجلهم * فاسترجعت من روث القوم تارات
 واستضحكت قلها في كل ناحية * هبات حسن وفي الاناء هبات
 كأنها في أكف الطائفين بها * نار تطوف بها في الارض جنبات
 من كل أغيد في دينار ورجته * توزعت من قلوب الناس حبات
 مبلبل الصدغ طوع الوصل منعطف * كأن اصداغه للعطف واوات
 ترنحت وهي في كفيه من طرب * حتى لقد رقصت تلك الزجاجات
 وقت أشرب من فيه وخمرته * شربا تشربه في العقل غارات
 وينزل اللثم خديه فيثبدها * هي المنازل في فيها علامات

(وقال) الاديب الفاضل الكامل أبو الفتح بن قلاؤس السكندري

الحق بنفسي فجرى وردني شفق * كافورة الصبح فتدت مسكة الغسق
 قمهات جامك شمسا عند مصطبح * ونخل كأسك نجما عند دم يتبق
 واقسم لكل زمان ما يليق به * فان للزند حليبا ليس للعنق
 هب النسيم وهب الريم فاشتركا * في نفحة من نسيم المنديل العبق
 واسترقصتني كاسترقاص حاملها * مخضرة الورق في محضلة الورق
 وظلت بالكأس أغنى الناس كلهم * فالنجر من عسجد والسكاس من ورق
 (وقال) الشيخ الفاضل الكامل برهان الدين ابراهيم بن عبد الله بن محمد
 المعروف بالقيراطي راحة الله عليه

قسم ابروضة خده ونباتها * وباسها المخضر في جنباتها
 واسورة الحسن التي في خده * كتب العذارو بخطه آياتها
 وبقامة كالغصن الا أنني * لم أجن غير الصدم من ثمراتها
 لا عزين غصون بان زورت * أعطاه بالقطع من جذباتها

ولا صبحن للذى متيقظا * مادامت الايام في غفلاتها
 واما كثر رياض وجنته التي * مازهرة الدنيا سوى زهراتها
 كم ليلة نادت بدرسمائها * والشمس تشرق في أكف سقاتها
 وجرت بنسأدهم الايام الى الصبا * وكؤسنا غرر على جبهياتها
 فصرفت دينارى على دينارها * وقضيت أعوامى على ساعاتها
 خالفت في الصهباء كل مقلد * وسعيت مجتهدا الى طاناتها
 فتحير الخمار أين دنائها * حتى اهتدى بالطيب من نثجاتها
 فشممتها ورأيتها ولست بها * وشربتها وسعيت حسن صفاتها
 وتبع كل مطاوع لا ينجثى * عندارة- كتاب ذنوبه تبعاتها
 يأتى الى الذات من أبوابها * ويحج للصهباء من ميقاتها
 عرف المدام بجنسها وبنوعها * وبفصلها ووصفاتها وذواتها
 يا صاحب قد نطق المزار مؤذنا * أيلق بالاونار طول سكاتها
 يخذار تفاع الشمس من أقدا حنا * وأقم صلالة الله في أوقاتها
 ان كان عندك يا شراب بقية * مما تزال به العقول فهاتها
 انجر من أسمائها والدر من * تيجانها والمسك من نعماتها
 واذا العقود من الحجاب تنظمت * اياك والتفريط في حبساتها

(وقال) صاحب العالم المفضن نحر الدين عبد الرحمن بن مكاس

خليلي هيا للصبوح وبكرا * وحننا أوانى اهوها تحمدا سرا
 ولا تركب الليل البهيم اركبها * ما كيتنا أو من الصبح أشقرا
 وصيد ابنات الكرم من دنها * فان أوانى راحها عندي القرا
 اذا ما أدبرت في حشا عسجدية * بها كل ذى ملك وتاج تصورا
 ففسبك نبلا في السيادة أن ترا * نديك في الكاسات كسرى وقبصرا
 مدام حوت معنى السرور وأفرطت * ففها سرى فيها السرور وأثرا
 لذلك قد تزهى بوجه مخلق * وجلاله أثوب النعميم مرعرا
 اذا ضرحتها الريح تحت حبابها * تخال بها فى الكاس سيفها مجوهرها
 وبرهانها ذبح الهجوم الاترا * على جانبها ذلك الدم أجرا
 (وقال) الاديب الفاضل الكامل نحر الترك أيدى المجنوى من قصيدة مطولة

تقدمت أوائلها في باب الروضات والبساتين

وسلافة باكرتها في قتيبة * من مثلها خلاق لهم وتخلق
شربت كثافتها الدهور فأتري * في الكأس الاجذوة تآلق
يسعى بهاساق بهيج به الهوى * وتري سبيل العشق من لا يشق
تتنادم الالحاظ منه على سنا * نحدت كاد العين فيه تغرق
راق العيون غضاضة وغضارة * فهو الجديد ورق فهو معتق
ورنا كالمع الحسام المستضيء * ومشي كما اهتز القضيبي المورق
وأظلالنا في فرعـه وجبينه * ليل تآلق فيه صبح مشرق
وكان مقلته تردد لفظه * لتقواها لا ككنها لا تنطق
واذا العيون تجعمت في وجهه * فاعلم بأن قلوبنا تتفرق
(وقال) الشيخ لما ضل الكامل كان الدين علي بن النبيه

طاب الصبوح انما فيها الكرمات * واشرب هنيئا يا أخطا الذات
كم ذا التواني والشباب مطاوع * والدهر سميع والحجاب موات
قم فاصطج من شمس كأسك واغثق

بكواكب طلعت من الكاسات

صفراء صافية توقد بردها * فجهت للنيران في الجحانات
ينزل من قار انظروا حبابها * والدر محتلب من الظلمات
وتريك خيط الصبح مفتولا اذا * صبت من الراوق في الكاسات
عذراء واقعه المزاج أمتري * مسديل عذرتها بكف سقات
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنت الشمايل شاطر المحركات
يهوى فتسبقه ذواثب شعره * ملتفة كأساود الحيات
يدري منازل نيران كؤسه * ما بين منصرف وآخر آني

(وقال) الاديب العاضل الأودام بن الدين جويان القواس

اذا افترجخ الليل عن مبسم الفجر * ولاح به تغسر من الانجم الزهر
وفاحت انام عابق الروض نكهة * وشغنا بها برد الرضاب من الخمر
وعهدى بوجه الارض مبعثنا فلم * يغرغرها منها الدمع في مقبل القدر
اذا أرجفت الماء انفسيم لوقته * كساه شعاع الشمس درعاً من التبر

وبحر الرياض الخضر بالزهر مزيد * كأننا به في ذلك مجلسنا نسر
 ومن شهب الكاسات بالنجم تهدي * اذا ظل سارا لعل في نجمة السكر
 نصون الحميا بالقناني وانما * نصون القناني بالحميا وما ندر
 ولما حكى الراوق في العين شكاه * وقد علق العنقود في سالف الدهر
 تذكر عهدا بالكروم فكله * عيون على أيام عهد الصبا تجري
 عجبت لها والراح تبكي به فلم * عدت بحجاب الكاش باسمه الثغر
 اذا ما أتاني كأسها غير مترع * تحققت عين الشمس في هالة البدر
 ينالنيها مخطف الخضر أهيف * فله ذاك الأهيف المخطف الخضر
 يشادنا نظما ونسرا ولفظه * ومبسمه يغني عن التظم والنثر
 فلم يسقني كأس المدامة دون أن * سقاني بعينييه كؤسا من الخمر
 وتجاوز ثم انثنى غصن بانه * وعن مهالما تبهم عن در
 وقال وفرط السكر يثني لسانه * الى غير ما يرضى التقى وهو لا يدري
 ردوا من رضائي ما يعيض عن الطلي * اذا كان وجهي فيه مغني عن الزهر
 ومن كان لا تحوى ذراعه مثرى * فدون الذي تحوى أنامله خصرى
 يقال) الشيخ الامام الفاضل البارع صفي الدين عبدالعزیز بن سرايا الحلبي رحمه الله
 أدار التبر في كأس اللجين * رشا بالراح مخضوب اليدين
 وطاف على الحجاب بكاش راح * فطافت مقلناه بالخرين
 رخم من بني الاتراك طفل * يجاذب خصره جبلي حنين
 يبدل نطقه ضادا بدال * ويشرك بحمته قافا بغين
 اذا يحلو الحميا والحميا * شهدنا المجمع بين النيرين
 يطوف على الرفاق من الحميا * ومن خمر الرضاب بمسكرين
 وآخر من بني الاعراب حفت * جيوش الحسن منه بعارضين
 الى عينييه تنتسب المناسبا * كما انتسب الرماح الى ردين
 يلاحظ سوس الخدين منه * فيبدلها الحياء بوردتين
 ومجلسنا الانيق تضيء فيه * أواني الراح من ورق وعين
 فاطلقنا قم الأبريق فيه * وبات الرق مغلول اليدين
 وشمعنا شبيه سنان تبر * تركب في قناسة من الجين

(١٧٠)

وقهوتنا شبيهه شواظ نار * توقد في أكف الساقيين
إذا ملئ الزجاج بها وطارت * حواشي نورها في المشرقين
عجبت لبدر كأس صار شمسا * يحف من السقاء بكوكبين

(وله)

بدت لنا الراح في تاج من الحبيب * فخرقت حلة الظلمات باللهب
بكر إذا زوجت بالماء أولدها * أطفال در على مهد من الذهب
بعد العهد بالمعصار لو نطقت * محمدتنا بما في سالف المحقق
بأكرتها في رفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والأدب
بكل متشع بالفصل مثل ترز * كأن في لفظه ضرب من الطرب
بل رب ليل غدا في الأهاب غدت * تضيء فيه كأس الراح كالشهب
بدلت عقلي صدا فاحين بت به * أزواج ابن سحاب بآبنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * يعيد أرواحنا من مبداء الطرب
بعث أنا فللم نعم لم نفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القضب
بروضة ظل فيها الظل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشذب
بكت عليه أساليب الحيا فغدا * خذلان يرفل في أثواب القشب
بسطن الروض قدما كت مطارفها * يدال بيع وجا دتها يد السحب
(وقال) الواواء الدمشقي رجة الله عليه

اسقياني ذبيحة الماء في الكأ * س وكف عن شرب ما تسقياني
انني قد آمنت بالأمس اذ متت * بأنني أموت بكرة ثاني
قهوة تطرد الهوم اذا ما * سكبت في مواطن الأحزان
نثرت راحة المزاج عليها * حصدقا ما تدور في أجفان
فهى تجري من اللطافة في الار * واح مجرى الأرواح في الأبدان
يتهادى بكأسهم من هدايا * وظنى من ظرائف الأشجان
آنها الرايح الذي راحتا * بهنضاب الكؤوس مخضوبتان
عج بضحك الأقداح في رهج القصص * ف اذا ما بكت عليها القناني
واسقني القهوة التي تذب الور * اذا شئت في خدود الغواني
لا تدغدغ صدر المدام بأيدى المز * ج ما دغدغت صدور المنان

(وقال) أبو الفتوح بن قلاقس رحمه الله

كم مقالة للشقيق الغضرماء * انسانها سايح في بحر دمع انداء
وكم تغور اقاخ في مرشفها * رضاب طائفة بالرى وطفاء
فا اعتذارك من عذراء طامحة * لانت كلال مسيتها راحة الماء
نضت عليها حسام المزج فامتعت * بلامه للجباب النجم حصداي
أما ترى الصبح يخفى في دجنته * كأنما هو سقط بين أحشائي
والطير في عذبات الدوح ساجدة * تطابق اللحن بين العود والنساء
ففى الكأس كسرى تحي رمته * بروح راح سرت في جسم سراء
وء ذببحز آيات المدامتة من * نوافث المصر في أجفان حوراء
فما الفصحاء الامانة كروء * منازل الدن من ترجيع فأفاء
فاعكف على جلس اللذات مغتتما * فالدهر في حربه تلون حرباء
قيل) أنى عبد الملك بن مروان يسكران فقال له ماذا شربت فتال
معتقة كانت قريش تعافها * فلما استحلوا قتل عثمان حلت
فقال مع من فقال

سقوني مع الشعري بكأس روية * وأخرى مع الجوزاء لما استقلت
قال فاعنيت فقال

سقوني وقالوا لا تغن فلو سقوا * جبال حنين ماسة قرفى لغنت
فعفى عنه وأطلق سبيله ومن كلام الشيخ برهان الدين القيراطى
يوم أنيق وغيم دفيق * وروض اذا سلسل ماؤه المطلق تهال وجهه الطليق * فاذا
دعى الندامى فيه بالصبوح جاءت قينة فى يدها البريق * واذا انحوت السقاة فيه
دماء الرقاق صارت أيامهم -م كلها أيام تشريق * واذا خاط من الشرب ثياب
سروره غار من أرجه المسك الفتيق (قلت) قوله أيام التشريق مأخوذ من
قول أبى الحسن الجزارى يقتخر

انى لمن معشره كالدماهم دأب * وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم -م أيام تشريق
وقال برهان الدين القيراطى أيضا
زوج الماء براحك * وأجلها بين ملاحك

لا تعطل يوم لهو * من صبح في صباحك
 واذا خفت افتضاها * كل عيش في افتضاها
 أو ترى فيها جناحا * قم ودعني من جناحك
 وصل اليوم اغتياقا * من كؤوس باصطباحتك
 صاح هذا وقت راحي * واقتراحي واقتراحتك
 فاطرح من لام جهلا * في اطراحي والطراحتك

وقال شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة هذه الابيات تحبب في الحبب وتقلب
 اكسير راحها الحبين الزجاج الى الذهب قدام تزجت بالقلوب امتزاج الماء بالراح
 ولم يفتح بمناها على صاحب مفتاح الافراح * كم رقصت على سماعها الاحببه
 ونقط الحبيب دينارها من خنده وشامته بدينار بغير طوحبه وقال الشيخ
 بدر الدين البشتكي ابقاه الله تعالى

أقول كلما والله نظرت الى هذه الابيات والكلمات المحبيلات * أكاد أكر
 بلراح * وأطير من الادب بلا جناح هذه عبارة الشيخ بدر الدين ومن خطه
 نقلات (قلت) ولو قال بدر الدين وأطير من الادب وأطير من الفرح لكان
 أحسن فتأمله وأنشد عن لفظه لنفسه سيدنا القاضي المقتنى البارع صدر الدين
 علي بن سيدنا ومولانا القاضي أمين الدين بن الأدي سلمه الله تعالى ونقلتها
 من خطه

سبح القمري في الدوح وغرد * فحسبنا ان في الروضة معبد
 والند فاض على زهر الربا * فسرت بين الندامى نغمة الند
 انما الزهر تغور فتحت * باسمات بحميل المزن تحمد
 فاسقني القهوة حتى انتهي * مثل غصن البان لما يتأود
 من يدي ظبي عزيز اهيف * مخطف الخصر رقيق ما يس القد
 كامل الاوصاف لـ كن تغره * ولما ريقه حلو مبرد
 جامع الحسن لوصل مانع * طرفه الهندي قد بالغ في الحد
 ضيق العين اذا ما سمته * قبلة سل من اللحظ مهند
 وحى فاه بلحظ فاتر * فهو تركى على الثغر مجرد
 ياله من عجب في لحظه * سكر العشاق منه وهو عريد

لينت أعطافه الخـرة لى * فأعادت أسد الخلية أغيد
 بنت كرم عشقوها زمنا * طال حتى أنه لم يحص بالعد
 تسلب العقل من الرأس كما * سلبت قدما من الكرمة باليد
 قل لساقينا اذا طاف بها * سحرا بين الندامى يترد
 أترع الكاس واسرع واغتم * جمع شعلى واختش أن يتبدد
 ماترى الانجم كانت زمرا * لم يدع ذا الصبح منها غير فرق
 فهى مثلى حين غابت سادى * عن عياني بعد جمع صرت مفرد
 (قلت) واذا ذكرنا مدحها أيضا وأوسعنا المجال فى ذلك فلا بأس بإيراد نبذة من
 ذمها فى الحديث المرفوع جمع الشركاء فى بيت وجعل مفتاحه الخمر وفى كتاب
 المبهج الخمر مصباح السرور وليكنه مفتاح الشرور (وقيل) لبعضهم تركت
 النبيذ وهو رسول الصرور الى القلب فقال نعم وليكنه بئس الرسول يبعث الى
 القلب فيذهب الى الرأس وكان العباس بن على عم المنصور يأخذ الكأس
 بيده يقول لها أما المال فتتافى وأما المروءة فتتخلفين وأما الدين فتفسدين
 فيسكر ساعة ثم يقول أما النفس فتسخن وأما القلب فتشجعين وأما الهـم
 فتطردين أفترأك متى تقتلين ويشربها (قيل) لاعرابى لم لا تشرب النبيذ قال
 لا أشرب ما يشرب عقلى (وقيل) لبعضهم لم لا تشرب فقال عقلى لا أقدر على
 جمعه فكيف أفرقه وما أظرف من قال شعرا

تقول أنوابى لما رأت * شيبى وتكعيبى على صدرى
 بالله يا شيخ أما تستحى * الى متى تصبغنى بخمرى

وقال آخر

قد هجرت الراح حتى * ليس لى فيها نصيب
 وعلى الراوى منى * طول ما عشت صليب

(وقيل) مـهـر الخمر العقل والدين والدرهم سئل بعض الشيوخ عن الخمر فقال
 تضییع مال وعقل وزیادة بول وجنون واذا قد ذكرنا الخمر ومنافعها ومضارها
 ومدحها وذمها فلا بأس بإيراد نبذة من المفرحات المركبة نقلتها من كتاب مفرح
 النفس تأليف المحكم الفاضل الرئيس بدر الدين مظفر بن القاضى محمد الدين
 عبد الرحمن قاضى بعلبك ولى ریاسة الطب بدمشق (وتوفى سنة تسع مائة

ونخسة وسبعة (بدمشق) رجة الله عليه (صفة) مفرح حار لللوك والكبر
 الاوائل كان الخافاء المتقدمون من بني العباس وغيرهم يستعملونه وله منافع
 كثيرة يطول شرحها والحاصل انه يبرئ جميع الامراض السوداء عاجلا
 ويفرح تفريحا مفرطا حسنا * خولنجان وزراوند مدرج وسنبل وسمكة وجعدة
 وزنجبيل وقاقلة كبار وصغار ودار صيني الصين وقرنفل وزرنب وذرساند
 من كل واحد ثلاثة دراهم قفاح الاذنر وغاريقون وحاشا وتريد وقسط
 حلو وسادج وبسفانج محكوك وجاما من كل واحد نخسة دراهم وعرق ذهب
 وياقوت أحر رمانى وزمرذ من كل واحد مثقال وزعفران مثقالان يدق الجميع
 وينخل ويغجن بعسل مادي ويوضع في اناء من صيني أو فضة ويرفع ويستعمل
 الشربة منه مثقالان بشراب تفاح شامى وماء لسان ثور نافع ان شاء الله تعالى
 (صفة) مفرح حار للتوسط بين من الناس سبعة نخسة دراهم زرد منزع
 الاقلاع عشرة دراهم قرنفل وسنبل الطيب ومصطكى وأسارون وزرنب
 وزعفران من كل واحد درهمان بسباسة وقاقلة كبار وصغار وجوزبو من كل
 واحد درهم عود ثلاثة يدق الجميع وينخل ويغجن بعسل منزع الرغوة ويرفع
 ويستعمل الشربة وزن مثقال بشراب تفاح حلو وماء لسان ثور نافع ان شاء
 الله تعالى

مفرح حار للفقراء وهو شراب الابرسم وله منافع كثيرة منها انتفريح المفرط
 وقوة الاحشاء خصوصا الكبد وينفع من جميع الامراض الباردة ويقوى
 الانعاظ يؤخذ ابرسم خام ينقع في الماء اياما عشرة في قدر من حديد فان لم يتهربأ
 من حديد فينفع في الماء المطفى فيه الحديد دفعات كثيرة ويغلى غليا ناجيا
 ويصفى ويضاف اليه بوزن الماء سكر او عسل او يعقد ويرفع ويطيب بشئ من
 زعفران وخولنجان ومصطكى روح ويستعمل نافع ان شاء الله تعالى
 (صفة) مفرح بارد لللوك والكبراء طباشير عشرة دراهم لسان ثور نخسة
 دراهم زرد منزع الاقلاع أربعة دراهم طين أرمنى سبعة دراهم شيراملج
 نخسة عشر درهما خشب صندل أبيض وأحمر وأصفر من كل واحد درهمان
 زعفران نصف درهم عرق ذهب جيد وفضة من كل واحد مثقال ابرسم
 محرق على ما وصفنا درهم يدق الجميع ناعما وينخل ويغجن بجلاب قدع قدع من

يعسل وسكر بماء الورد وماء التفاح وماء السفرجل وماء الرمان ويحرك
ويرفع الشربة ثلاثة دراهم بمشراب حماض وتفاح شامي وماء لسان الثور
وماء ورد وماء خلاف نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح بارد للتوسطين من الناس يؤخذ اهلبلج كابل وأملج من كل
واحد خمسة دراهم وزروردة منزوعة الاقعاغ ونخشب صندل أبيض وأصفر
وأحمر من كل واحد ثلاثة دراهم وورق فضة مثقالان وؤلؤ كبار نقي البياض غير
مثقوب مثقال يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل الاهلبلج الكابل الشربة
مثقالان بشراب حماض وتفاح شامي بماء ورد وماء خلاف نافع ان شاء الله تعالى
(صفة) مفرح معتدل للتوسطين من الناس بهمنين أحمر وأبيض من كل واحد
خمس دراهم عسل اهلبلج كابل منزوعة الرغوة عشرون درهما شاهترج
ولسان ثور وترنجبان من كل واحد عشرة دراهم طباشير وكسفرة يابسة
وطيب محتوم من كل واحد ثلاثة دراهم ابريسم خام محرق على ما وصفنا
قشر الهستق الخارج من كل واحد درهمان بسد وؤلؤ كبار غير مثقوب وكهربا
من كل واحد درهم عود هندى خام نصف مثقال يدق الجميع ناعما وينخل
ويعجن بجلاب قد عقد من سكر وعسل ويرفع في اناء من صيني أو فضة الشربة
مثقالان بشراب حماض وتفاح شامي وماء لسان الثور وماء ورد وماء خلاف
وماء نيلوفر نافع ان شاء الله تعالى (نادرة) دخل رجل على بعض أصحابه
يعوده من مرض بالقلب وكان له غلام يدعى يا قوت شديد الافتتان به وكان
متهما به فقال له حاشاك ياسيدنا تشكو وجع العلب وعندك المفرح
الياقوتي

* (الباب التاسع عشر في الصاحب والنديم) *

قال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا من الإخوان فإن ربكم حي كريم يستحي أن
يعذب عبده بين إخوانه وقال علي رضي الله عنه أعجز الناس من عجز عن
اكتساب الإخوان وأعجزهم من ضيع ما ظفروا به منهم وقال عمر رضي الله عنه
ثلاث يثبتن لك الود في صدرا خيك أن تبتدأه بالسلام وأن توسع له للجاس
وتدعوه بأحب أسمائه اليه وقال الخليل بن أحمد الرجل بلا صديق كاليمين بلا

شمال وقال رجل لابن المقفع أنا بالصاديق أنس من الأخ فقال صدقت
الصاديق نسيب الروح والأخ نسيب الجسم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب (اعرابي) المودة
بين السلف مبراث بين الخلف (اعرابي) دع مصارعة أخيك وإن حث
التراب في فيك اعتذر رجل إلى صاحب من تعذر اللقاء فقال أنت في أوسع
عذر عنده دثقتي وفي أضيق عذر عن شوقي (المأمون) الإخوان على ثلاث طبقات
طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء لا يحتاج إليه إلا في الأحياء
وطبقة كاللذات لا يحتاج إليها أبدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم
بأحبكم إلى الله وأقربكم مني بحال يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون
أكفأ الذين يألفون ويؤلفون وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
الغريب من ليس له حبيب وقال أيضا لا تضيق من حق أخيك اتكالا على
ما بينك وبينه فإنه ليس بأخ من ضيعت حقه وقال علقمة بن ليلى العطاردي
لابنه إذا نازعتك نفسك صحبة الرجال فأصحب من إذا صحبته زانك وإن خدمته
صانك وإن نزلت بك مؤنة مائك أصحب من إذا مدت يدك بفضله مدها
وإن بدت بك ثمة سدها وإن رأى منك حسنة مدها أصحب من يتناسى معروفه
عندك ويتذكر حقوقك عليه قال لابي داود السجستاني صاحب له آسمد
من محبته قال لا فاحترق الرجل حياء فقال أعلمت أنه من شرع في مال أخيه
بالاستئذان فقد استوجب بالمحبة المحرمان قرع باب بعض السلف صديق له
بالليل فنهض إليه ويده كيس وسيف وهو يسوق جارية له ففتح الباب وقال
قسمت أمرك بين نائبة فهذا المال وعدو فهذا السيف وأمة فهذه
الجارية (كان) علي بن الجهم يمدح أبا تمام ويطيب فيه فقبل له لو كان أخاك
ما زدت عليه هذا المدح فقال إن لم يكن أخا بالنسب فانه أخ بالادب (مر) بخالد
ابن صفوان رجلان فعرج إليه أحدهما وطواه الآخر فقال عرج علينا هذا
لفضله وطوانا ذاك لبعيذه (الاعشى) أدركت أقواما لا يلقى الرجل أخاه الشهر
والشهرين فإذا القيمه لم يزد على كيف أنت وكيف حالك ولو سأله شطر ماله
أعطاه ثم أدركت آخرين إذا لم يلق الرجل منهم أخاه يوما سأله حتى عن الحاجة
في البيت ولو سأله حبة من ماله منعه وأحسن من قال من رضي بحبة من

لا خير فيه لمرض يصيبه من فيه خير (كان) يقال ان الكيس الذي لا يمل مناجات
 الصديق (الهند) من كتم الاحبة تحبه والاطباء علمته والاعوان به فقد خان
 نفسه كان الخليل ابراهيم صلوات الله عليه اذا ذكر زلته غشى عليه وسمع اضطرابه
 من ميل فقال له جبريل يا خليل الله المجليل يقولك السلام ويقول هل رأيت
 خليل لا يخاف خليله قال يا جبريل كلما ذكرت الزلة نسيت الخلة قال العتي
 لقاء الاعوان تزهة القلوب قال سليمان بن وهب غزل المودة ارق من غزل
 الصباية والنفس بالصديق آتس منها بالعشيق وقال يونس النحوي يستحسن
 الصبر عن كل واحد الا عن الصديق وقال ابن المعتز اذا قدمت المودة شبت
 بالقرابة وقال عمرو بن العاص من كثراخوانه كثرا غرماؤه يعني في قضاء
 الحقوق (عمرو) ابن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وكان
 بعضهم يقول اللهم احسن من اصدقائي فاذا قيل له في ذلك قال اني اقدر
 احسن من اعدائي ولا اقدر على الاحتراس من اصدقائي وقال ابن الرومي
 عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب

فان الداء اكثر مما تراه * يكون من الطعام او الشراب
 واعلم انه لا يتناهى في حسدك الا الاصدقاء والندماء فانهم متى رأوك بحال
 وهم بانقص منه انغمس في قلوبهم حسدك فلو خولتهم اضعاف نعمتك
 لم يزالوا يحسدونك حتى تقتروا يستغنون والحسد داء الابد روى عن النبي
 صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء على دين خاليه فليتنظر احدكم من يخال
 قال معاوية بن قرة نظرت في المودة والاخاء فلم أجدا ثبت مودة من ذى أصل
 قال ابو الحسن بن جبيرة الاندلسي

تغير اخوان هذا الزمان * فكل خليل عراه الخلال
 وكانوا قديما على صفة * فقد دأخلتهم حروف العلال
 قضيت التجب من أمرهم * فصرت اطالع باب البديل

ولله درناصر الدين بن النقيب

فأين الصديق الصدوق الذي * مردته من قرى صافية
 فإلى صديق سوى درهمي * ولالى حبيب سوى العافية

وقال أبو العلاء المعري

نجرت دهرى وأهليه فأتركت * لى التجارب فى وذا امره غرضنا
وقال القاضى ناصح الدين الارجافى والثانى يقرأ معكوسا وهو غاية
أحب المرأة ظاهره جميل * لصاحبه وباطنه سليم
مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقال صلاح الدين الصفدى

عذرى فى اللب الى من صديق * على مالى وعرضى قد تسلط
تأول اذا أخر عنه خيرى * فهل القاه يوما قد توسط

وقال الشريف العقيلي وأجاد

الذمودات الرجال مذاقة * مودة من ان ضيق الدهر وسعا
فلا يلبس الود الذى هو سادجا * اذا لم يكن بالكرمات مرصعا
وقال مخارق أنشدت المأمون قول أبى العتاهية (مولد أبى العتاهية سنة ثلاثين
ومائة وتوفى سنة احدى عشر ومائتين)

وانى لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفوان كدوت عليه
قال لى أعد فاعدت سبع مرات فقال لى يا مخارق خذ منى الخلافة واعطنى هذا
الصاحب لله در أبى العتاهية ما أحسن ما قال وأحسن من قال
بروحى من صاحبته فوجدته * أرق من الشكوى وأصفى من الدمع
يوافقنى فى الهزل والمجد طائعا * فينظر من عيني ويسمع من سمى
وقال الجاحظ كان أبوداؤاد اذ رأى صديقه مع عدوه قلاصديقه وقال ابن
عسا كرفى تاريخ دمشق قال ابن عائشة قال هشام بن عبد الملك ما بقى على شئ
من لذات الدنيا الا وقد نلته وما شئت من الاشياء واحدا أنا رفع مؤنه التحفظ
بينى وبينه وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه صحبة العاقل فى المفاوز والاسفار
خير من صحبة الجاهل بين الرياض والانهار ولله در القاضى الفاضل

وما برح الاخوان اخوان الزمان فاذا أحسن كانوا من التابعين له باحسان
واذا أساء كانوا من المهاجرين لامن الهجرة ولا كن من الهجران وقال
جعفر بن محمد دلولة يا بنى من غضب عليك من اخوانك ثلاث مرات ولم يقل
فيك سوءا فافتخذه خاللا ويحب على الصديق اذ رأى صديقه معسرا وهو وسر
ان يواسيه ببعض ماله فقد حكى عن بعض الحكماء انه رأى رجلا لا يفرقان
فصلا

فسأل عنهما فقبل هما صديقان فقال ما هما بصديقين لاني أرى أحدهما
موسرا والاخر معسرا ولو كانا صديقين لتواسيا وقال المأمون لندمائه أفبكم
من يقدر يدخل يده في كم صديقه فيأخذ منه نفقة يومه فقالوا لا فقال ما أنتم
بأصدقاء والصديق الصديق معدوم وأما من تصادقه بحار فيمثل
بقول القائل

ارض من المرء في مودته * بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لا يجدا * تصح منهم له سرائره
(الهندايك) والاعتزاز بمصادقة العدو فانها ما أوجبها إلا مروءة فمع ذهاب
العلة رجوع العداوة كالماء يسخن فاذا رفع عن النار عاد باردا وصفة
الصديق أن يعادى من تعاديه ويهوى من تهوى وقال بعض الحكماء
صديق عدوى عدوى وقال الشاعر

تودّ عدوى ثم تزعم أني * صديقك ان الراى منك لعازب
اذا نحن أظهرنا لقوم عداوة * ولان لهم منكم جناح وجانب
فلا أنتم منا ولا نحن منكم * اذا أنتم سالمتم من نحارب
وليس أنخى من ودنى رأى عينه * ولكن أنخى من ودنى وهو غائب
واعلم ان المخلص المجرى والكمال لا يوجدان في شخص ابدأ ولا بد من عيب
يشوبه فان اخترت صديقا ورضيته وكاشفته فبدت منه هفوة أو زلة فاغفرها
فالسيف ينبو والجواد يكبو واذا صفي الصديق فلا تناقشه في دينه ولا مذهبه
فان ذاك يوجب القطيعة والعداوة واجرمه في هواه من دينه اذا جرى هو في
هواك من صداقتك قال أبو العلاء المعري راحة الله عليه

اذا ما الخل أصفاني ودادا * فسقياني الحياة له ورعا
ليقرأ ان أراد كتاب موسى * ويقرأ ان أراد كتاب شعيا
وأصلح ما صادقت حكيمًا أو أديبا قلاطما فان عداوة هذا خير من صداقة
الجاهل قال بعض الحكماء الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره
ما يبلغ الاعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه
ومتى تغير الصديق عليك فاستنبط ذلك بقريحة حس منك كما قال الشاعر
واذا استجملت مودة خل * فاعتبرها من أعين الغلمان

ان عين الغلام تنبئك عما * في ضمير المولى من المكتمان
 (القول على النديم) النديم قيل بمعنى مفاعل منادم والندمان أكثر منادمة
 وملازمة من النديم لان زيادة اللفظ توجب زيادة المعنى ويقال رجل رحيم
 ولا يقال رجاس لانه ثناء المبالغة وفي الدعاء يا رجاس الدنيا ورحيم الآخرة لان رجته
 في الدنيا عمت الكافر والمؤمن والفاسق والناسك ففي الآخرة يخص برجته
 المؤمنين والمسلمين دونهم واشتقاق اسم النديم من المنادمة كأنه ينادم على
 ممارقته لوجود الراحة به والانس اليه (وينبغي) له أن يكون حسن المبرة بنيل
 المهمة مستوى الذبول واطراف الاكمام نظيف المخفي من الملبس كالقلنسوة
 والسر اويل والتكة والجورب ومنديل الكم فاذا اكملت فيه هذه الخصال كان
 محبوبا الى القلوب سهلا على الارواح واذا لم يكمل كان بالضد مستقلا معيبا
 في العيون بغضاضا على القلوب كما قيل في أبي يعلى الكاتب القرشي

نعمة الله لا تعاب ولكن * رجسا استثقلت على أقوامي

لا يليق الغناء بوجه أبي يعلى * ولا نور بهجة الاسلامي

دنس الثوب والعمامة والبرذون * والنعل والقفا والغلامي

(وينبغي) له اذا جلس للشراب مع الملك أن يجلس في المرتبة التي لا يتجاوزها
 الى ما هو اعلى منها عنده ولا يحيط نفسه عنها ولا يكثر الاتكاء بين يديه ولا يكن
 منتصب الجالس خفيف الوطأة ان قام قام لقيامه وليحذر التيسيط والتמיד
 والتمطى والتشاؤب والتنخع والبصاق وتقريب اليدين وفرقة الاصابع
 واللعب بالخناتم والعبث بالتحية والعمامة ولا يكون من شأنه التعزية والتهنئة ولا
 التسميت عند العطسة ولا الاسراع بالتحية ولا العبث بالفاكهة والرياحين
 والازهار ولا التناول للشتمات ولا الاكثار من التنقل بعد الشرب ولا يرمى
 نعل ما يمتصه بحيث يرى ولا يعرض الفاكهة نهشابل يقطع منها حاجته بالسكين
 قطعاً ولا يكثر شم الزيجان ولا ادارة اليد فيه ولا يقطع رأسه ولا ينفذه عند
 أخذه ولا يفركه ولا يلمس قطعه بعد مضغه وليكن شربه مصاوكره جرعا ولا يشرب
 من الشراب مالا يطيق فيزول عقله وليصب لنفسه ما يعلم أنه يقوم به ولا يرفع
 القدح قبل الملك ولا يصب فيه نبيذاً من قبل صبه أو معه ولا يقترح صوتاً
 ولا يظهر الطرب ولا يوقع على تلحين ولا يبيد منه هزل ان ناوله الساقى قدحا
 أخذه

أخذ به بلا زدياد ولا نقصان ولا عساكرة ولا عسارية فإذا أحس بنفسه سكر
أسرع القيام والانصراف وهو يملك نفسه ولا يلس كف فلام عند مناولة كاس
ولا يكثر ملاحظته عند معاطاته الراح ولا يشير إليه ولا يغمزه ويستحب منه أن
يكون مفتنا فيجري مجرى أبان اللاحق بما وصف به نفسه للفضل بن يحيى
البرمكي وذلك أنه ورد إلى بابه ليعرض نفسه وأديه عليه فأتى إلى محمد بن زيد بن
الثقفى فقال له إن رأيت أصلحك الله أن تعرض قصتي على الأمير فقال وما فيها
قال أعرض نفسي وأدي عليه فقال عند الأمير مثلك مائة ألف فأتى منصور بن
هشام فقال له تعرض رقتي على الأمير فقال وما فيها فقال له أعرض نفسي وأدي
عليه فقال فهل لك فيمن دون الأمير ليشاطرك الضياع والاموال والرفيق
ما خلا الأهل والولد قال قد نازعتني نفسي إلى شيء لا بد لي من أن أعطيها شهوتها
منه فأخذ قصته فأدخلها إلى الفضل بن يحيى فاذا فيها

سنان من بغية الأمير وكثر * من كنوز الأمير ذوارباح
كاتب حاسب أديب خطيب * فاصح زائد على النصاح
شاعر ملاق أخف من الريشة مما يكون تحت الجناح
لى فى النحو فطنة واتقاد * أنا فيه قلادة بوشاح
لورى بن الأمير أصلحه الله رماحاً طمت سمير الزماح
غير ما عجز ولا مسكين * طوع أمر الأمير أمى الخراج
لست بالضخم يا أمير ولا القدم ولا المدرج الداح
محبة سبطه ووجه ملج * واتقاد كشعلة المصباح
وكثير الحديث من ملح الناع * سبصير بخافيات ملاح
كم قد خبات عندي حديثا * هو عند الأمير كالفتاح
فيمثلى تخلو الملوك وتلهوا * وما حى للشكل القдах
أيمن الناس طائر يوم صيد * فى غدد وغدوة أرواح
أعلم الناس بالجوارح والخيل وبالحرد الحسان الملاح
كل هذا جعت والحمد لله على أننى ظريف المزاح
لست بالناسك المشعر كعبه ولا الفاتك الخليع الوقاح
لودعاني الأمير عاين منى * سمرياً كالبلبل الصباح

(قال) فدهى به فلما دخل أتى كتاب من أرمينية فرماه إليه وقال له أجب عنه فأجاب من ساعته في عرصته فأمر له بمائة ألف درهم وكان أول داخل وآخر خارج وإذا ركب في الموكب فركابه مع ركاب الفضل (ومن) صفات التديم أن لا يكون مجوجا ولا حسودا ولا ممساريا ولا طامح العين ولا طامش اللب و يكون حولا موا ففلا في علمك ومذهبك ودينك كتوما للسر و يكون أديسا عاقلا أو حكيميا فاضلا ليس على طبيعته كما منافرة طبيعية ولا عرضية بشر إذا حدثته وبشر إذا حدثك كلما ازداد شكره ازداد تواضعه لك ومودته وفضله فالحجرة تحرك ما يوجد من عقل وجهل وتبرزه في الإنسان من القوة إلى الفعل وهي محك العقول (صافح) أبو العميل عبد الله بن ظاهر عند قدومه من سفره فقبل يده فقال عبد الله خدش شاربك كفى فقال شوك القنقذ لا يضر بترين الأسد فتبسم عبد الله وقال كيف كنت بعدى قال اليك مشتاقا وعلى الزمان عاتبا ومن الناس متوحشا أما الشوق اليك فله ضالك وأما العتب على الزمان فلمعه منك وأما الاستيحاش من الناس فلرضاهم بعدك فاحتبسه فلما حضر الشراب سقاه يده فقال

نادمت حواكا أن البدر غرته * معظم ما سيدا قد أحز الملهلا
فعاني برحيق الراح راحته * فتسكرا فشكر الذي فعلا
(بيننا) أبو العباس السفاح يحدث أبا بكر الهذلي فعصفت الريح وأذرت طمنا من سطح إلى المجلس فارتاع من حضرو لم يتحرك الهذلي ولم تنزل عينه مطابقة عين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلي فقال إن الله تعالى يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وإنما لي قلب واحد فلما غمره السرور بقائده أمير المؤمنين لم يكن فيه لمحات مجال فلوان لبست الخضراء على البيضاء ما أحسست بها ولا وحت لها فقال السفاح أن بقيت لا رفعت منك ضبعالا يطوف به السماع ولا ينحط عليه العقيان ومن (الآداب) اللطيفة ما يحكى عن إبراهيم بن المهدي قال كنت عند الرشيد فأتاه رسول معه أطباق عليها ناديل ورقعة فأخذ يقرأ الرقعة ويقول وصلة الله وبره فقلت يا أمير المؤمنين من هذلي الذي أطبت في شكره لنسركك في جيل ذكره فقال عبد الملك بن صالح ثم كشف عن الأطباق فاذ هي فراكه فقلت يا أمير المؤمنين ما يستحق هذلي الوصف إلا أن يكون في الرقعة

الرقعة ما لا نعلمه فرمى بها الى فاذا قمنا دخلت يا أمير المؤمنين الى بستان لي قد
 غمرته بنعمتك وقد أيتعت قوا كهه فماتت في أطباق قضبان ووجهت بها الى
 أمير المؤمنين ليصل الى من بركة دعائه مثل ما وصل الى من نوافل بره فقلت
 وما في هذا الكلام ما يستحق الدعاء فقال أوما ترى كني بالتضبان عن
 الخيزران وهي اسم امنا (وقال) الشعبي أخطأت عند عبد الملك بن مروان أربعا
 وهي حديثي بحديث فاستعدته منه فقال أما علمت أنه لا يستعاد أمير المؤمنين
 وقلت حين أذن لي أنا الشعبي يا أمير المؤمنين فقال ما أدخلناك حتى عرفناك
 وكنيت عنده رجلا فقال أما أنه لا يكتفى أحد عند أمير المؤمنين وسأله أن
 يكتبني حديثا فقال أنا نكتب ولا نكتب (ولما) كان مجلس الشراب مؤهلا
 للاستكثار من اللذات والتقلب في المسرات كان الأولى به أن يجمع من الندماء
 من فيه من الحذاق بالغناء ومن يكون حديثه بطرب سامعيه وملحه أحسن
 موقعا من الاغانى المحببة في قلوب مناديه كجاء وصفه بعض الشعراء فقال

حديث يشرب له الغواني * ويأخذ كل سمع باستماعي

فيكون للحديث نوبة وللغناء أنرى (وحكى) عن بشار أنه قال لا تجعلوا مجالسكم
 حديثا كله ولا غناء كله ولا هزل كله ولا جد كله ولكن تنقلوا من العيش خلس
 (واعلم) أن في النديم والخمرة لذات شتى فلذة الخمر زوال الهموم والغموم
 والافكار ولذة النديم المحادثة قال الشاعر

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول

وقد كانوا اذا عدوا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

(وأما) أوساط الناس فيجب أن لا يستكثر من الندماء ويقتصر على القليل فان
 الكثير سبب اذهاب المال ووجود العداوة وفساد الماسة وتعب القلب
 والجسم ولا يجب أن تصطفى نديما حتى تغضبه في الصوفان وجدته جولا مطاوعا
 قبول الامانة به يصفيك وداده حاضر او غائبا مساعدا لك في الشدائد اذا وقعت
 فيها فاعتمده عليه فقلما تجد هذا النديم وقد قال الشاعر

اذا كنت مختارا لنفسك صاحبا * فن قبل ان تبدئه بالود اغضبه

فان كان في حال التعدي راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(قال) بعض الظرفاء بشرط المناداة بالخلاف * والمعاملة بالانصاف

والمساحة بالشراب * والتغافل عن الجواب * وادمان الرضى * والطراح ماضى
واسقاط القضايا * واجتناب افتراخ الاصوات * وأكل ما حضر * واحضار
ما تيسر * وسرا العيب * ولتدأ حسن من قال

لا خير في الشرب الامع اخائقه * ان سرفنى وان غنيته طربا
يعطيك ممتعا اذا غنيته واذا * شربت حتى وان حبيته شربا
عف اللسان عفيف الفرج تحمده * في كل حال اذ ثرى وان تربا
فاشد يدبك عليه ان ظفرت به * وأكثرمودته لا تكثر الرهبيا

(كان) ابراهيم بن المهدي يقول لذة العيش في ثلاث منادمة الاحباب ومعاقرة
الشراب ومذاكرة الآداب (ويروى) ان أول من جمع لاندماثة أماره
ينصرفون بهام من مجلسه اذا أراد ذلك كسرى وهوانه يمدرجله فيعرفون أنه
يريد قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك فكان فيروز الاصغر يد لك عينيه وكان
بهرام يرفع رأسه الى السماء وكان في الاسلام معاوية يقول العزة لله وعبد
الملك باقي المروحة من يده وحديث بهذا الحديث عند بعض البخلاء وسئل
ما أمارته فقال اذا قلت يا غلام هات الطعام والناس يختلفون في الشرب فثم
من يرى كثرة الندماء ومنهم من يرى الانفراد ومن رأى هذا الرأي جماعة من
أهل الادب قديما وحديثا ولهم فيه أشعار وأخبار ومنهم من رأى مطالعة
الكتب عليها واعمال الفكرة في تصنيف العلوم والآداب كما حكى عن الشيخ
الرئيس ابن سينا أنه قال كنت أستعين على مصنفات علومى باستعمال اليسير من
الخمر المصالح من المساء ومنهم القاري ودليل ذلك قوله شعرا

لما رأيت الزمان تنكسا * وايس في العشرة اتقاع
كل رئيس به ملال * وكل رأس به صداع
لزمت يدي وصنت نفسا * لها عن اللذة امتناع
أشرب مما اقتنيت راحا * لها على راحتي شعاع
لى من قراريها ندأى * ومن قراقيرها سماع
واجتنى من حديث قوم * قد افقرت منهم البقاع

(قال) بعضهم رأيت أعرابيا جالسا بالافلات تحت ظل شجرة ومعها ركوة وهو
يشرب قدحا ويصب في أصل الشجرة قدحا فقات له ماء فذا فقال هو نديم

لا يعربد علي - يلحقني بظله ويحمل عني كاه (وقال) بعضهم دخلت على بعض
الرؤساء فلقيته يشرب وبين يديه كلب صيد وهو يشرب قدحا ويصب قدحا
بين يدي الكلب ومعهما أكل طعاما أو نقلا رمي إلى الكلب منه فقلت له
أتنادم كلبا فقال نعم يكف عني أذاه وبحرسني من أذى سواه يشكر فليسي
ويحفظ بيدي ومقبلي وأنشد شعرا

وأشرب وحدي من كراهتي الأذى * مخافة شر أو سباب لثيم

(وقال) الشيخ صفي الدين الحلي وأجاد

أذالم أجد للراح خلا موافيا * فلي بي أنس كامل حين أشرب
لساني يغنيني وفكري منادى * وكفاي تسقيني وقاي يطرب
ومما يجب على ذوى السيادة والمرؤة أن يسامحوانديهم إذا وقعت منه هفوة
أرغفة (وما أحسن قول خالد الشكري)

ولست بلاخ لي نديما بزلة * ولا هفوة كانت ونحن على الخمر

عزلات يجني قول خلى وصاحي * ونحن على صهباء طيبة الذمر

فلما تمادى قلت خذها غريقة * فانك من قوم حجاج - قزهر

فازلت أسقيه وأشرب مثملا * سقيت أخى حتى بدا وضخ الفجر

ونصر يما للجبين موسدا * فوسدته وانجرت حلى على الهجر

وأيقنت أن السكر طاريليه * فأغرق من شتمى وقال ولم يدر

وزال لسان كان اذ كان صاحبا * يقلبه في كل فن من الشعر

(وقال أبو نواس رجة الله عليه)

ولست لنديم صدق * وقد أخذ الشراب بوجنتيه

تناولها والا لم أذقها * فبأخذها وقد ثقلت عليه

ولكني آخذ الكأس عنه * وأصرفها بعسة حاجيه

وان رام الوساد لنوم سكر * دفعت وسادتي أيضا إليه

وهذا ما حبيت له واني * أبر له من والديه

(ولله درالصاحب بن عباد) قد جات أوزار السكر على ظهور الخمر

(وتلطف من قال) وطويت بساط الشراب على ما فيه من خطأ وصواب

(وقال أيضا) تعلم في مرافقة النديم * مطاوعة الأراكة للنسيم

(١٨٦)

ومأثره بأخلاقه فاني * وحقق عبد رقي للديم
أطايه أحاديثي وكأني * فيسكب الحديث وبالقديم

(وقال ابن المعتز)

وندامي في شبابي وحسن * أتلفت ما لهم نفوس كرام
بين أقداحهم حديث قصير * هو سحر وما سواه كاذم
وغناه يستجمل الراح بالرا * ح كمانح في الغصون الحام
فكأن السقاة بين الندامي * الفات بين السطور قيام

(وقال الشيخ جمال الدين بن نيابة رحمه الله)

بروح نديم يشهد العقل أنه * قضى العمر بالذات وهو خير
تذكر مزج الكاس عند وفاته * فأوصى لها بالثالث وهو كثير
وأشدي من أعطاه له * أقضى القضاة بدر الدين محمد الخزومي

ورب نهار فيه نادمت أغيدا * فما كان أحلام حديثنا وأحسنا

منادمة فيها مناي فخبذا * نهار تقضى بالحديث وبالمنامنا

(كتب) إلى الحسن بن وهب صديق له من أهل الأدب فصلا من كتاب قال فيه

وقد قسمك الله بين طرفي وقلبي ففي مشهدك أنس قلبي برويه طرفي وفي بعدك

لهو طرفي يذكر قلبي (وأجابه الرجل) فهمت كتابك الذي أخبرت فيه بما أخبرت

فسيان عندك على هذا رأيي أم لم ترني إذ كان بعضك يثونس بعضا وحضور

أعضائك تنوب لك عن حضوري لست في أراك فيخشع قلبي وأغيب عنك

فبدمع طرفي فسيان بين من سلا أبدا ومن حزن دهره (سئل) استحق الموصلي عن

عدد الندماء فقال واحد هم واثنان غم وثلاثة نظام وأربعة تمام وخمسة

مجلس وستة زحام وسبعة موكب وثمانية سوق وتسعة جيش وعشرة

نعوذ بالله من شره - م وضربه - م (قال أبو العينا) رب وحشة أنفع من أنيس

ووحدة أمتع من جليس (وقال الجاحظ)

أرى لك كاس حقا لا أراه * لغير الكاس إلا للنديم

هو القطب الذي دارت عليه * رحا الذات في الزمن القديم

(ركب المرحوم فتح الدين محمد بن الشهيد إلى القاضي أمين الدين ابن الأنفي

المالكي) تغمده الله برحمته وكان قد تأخر عن زيارته

حتام في سجن الصدود * سرور عبدك يحتبس
 معني الجفاء فهمته * قد زدت في المعنى قدس
 وأغت بأنفاس الرضا * نفسي فما فيها نفس
 بامالكي بأبيك زر * نروي الزيارة عن أنس
 أقرأ ألم تشرح فككم * نلقاك تقراً في عبس
 العمر أنفس أن تعيدش نهارهم كالفلس
 ان الحياة لغفوة * والعيش طيف يختلس

(الباب العشر ون في مسامرة أهل النعيم)

(الليلة) الاولى - كى انه كان بمدينة بغداد رجل من اولاد النعيم ورث من أبيه -
 ما لا جزى لا وكان يتعشق قينة فأفق عليها أشياء ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم
 يزل ينفق عليها ماله وهو في أكل وشرب الى أن لم يبق له شيء وأفلس فطلب
 معاشاً يعيش فلم يقدر على شيء وكان الفتي في أيام سعادته يحضر القينة في صناعة
 الغناء اتزاد في صناعتها فبلغت في الصناعة الغاية التي لم يدركها أحد سواها
 وكان الفتي قد علم من صناعة الغناء مثلها وأوفى فاستشار بعض اخوانه ومعارفه
 فقال له ما أعرف لك معاشاً صالح من أن تغني أنت والجارية فتأخذ على ذلك
 المال الكثير وتأكل وتشرب وانت كل يوم طيب العيش فأنف من ذلك وعاد
 اليها فأخبرها بما أشير به عليه وأعلمها أن الموت أحب اليه من ذلك فصبرت
 معه على الشدة ثم قالت لقد رأيت لك رأياً قال ما هو قالت تبني فانه يحصل
 لك من ثمنى ما ان تعيش فيه عيشاً طيباً وتتخلص من هذه الشدة وأخلص أنا
 وأحصل لي نعمة فان مثلي لا يشتره الا ذو نعمة وبه أكون السبب في رجوعي
 اليك قال فعملها الى السوق فكان أول من عرضها عليه فتي هاشمي من أهل
 البصرة ظريف أديب كريم النفس واسع الحال فاشترها بألف وخمسة مائة
 دينار عينا فقال الرجل حين لفظت بالبيع وقبضت المال ندمت غاية الندامة
 وبكيت أشد بكاء وصارت الجارية في أقبح من صورتي وجهدت في الاقالة فلم
 يكن الى ذلك سبيل وأخذت الدنانير في الكيس ومضيت لا أدري الى أين أذهب
 لان بيتي موحش منها وورد على من البكا والالطم والنحيب شيء لا أصفه قال

فدخلت بهن المساجد وجلست أبكى فيه وأفكر فيما نابني وفيما عملت بنفسي
فعميت عيني وتركت الكيس تحت رأسي كالخدة ونمت فلم أشعر إلا بانسان قد
جذبه من تحت رأسي ومضى بهرول فانتبهت فزعا فطلبت الكيس فوجدته قد
أخذ فقامت أريد أجرى وراءه وإذا برجلي مربوطة في حبل والحبل في وتد فوقعت
على وجهي والى حين أن أخلص رجلى هرب ذلك الرجل عني فبعيت أطم على
وجهي ورأسي وقات فارقت من أحب وذهب المال فكيف حالي فزادني
الامر إلى أن جئت إلى الدجلة ووضعت ثوبي على وجهي ورميت روثي في الدجلة
ففطن الحاضرون بي وأن ذلك لغيط نالني فرموا أرواحهم خافي فسالوني وسألوني
عن أمري فأخبرتهم خبري فصرت بين راحم ومستهجل إلى أن جاءني شيخ منهم
فأخذ بغصتي وقال لي يا هذا ذهب مالك وتذهب نفسك وتكون من أهل النار
فثق بالله العظيم قم معي فأرني بيتك فإفارقني جاني إلى منزلي وقعد عندي حتى
رأى السكون في فشكرته وانصرف فكدت أقتل نفسي فذكرت الآخرة والنار
فخرجت من بيتي هاربا إلى بعض أصدقائي القدماء فأخبرته بخبري وما جرى عليّ
فبكى لي رجة وأعطاني خمسين دينارا وقال اقبل رأيي وأخرج الساعة من بغداد
واجعل هذه نفقة لك إلى حيث تجد قلبك تشاغل وأنت من أولاد الكتاب
ونخطك جيد وأدبك بارع فأقصد من شئت من العمال فاطرح نفسك عليه
فلا إله أن يستخلفك في شيء تنتفع به وتعيش معه ولعل الله عز وجل أن يجمع
عليك جاريك فعملت على هذا ورجعت إلى (الكتبيين) وقد قوى حالي وزال
عني بعض الهم واعتقدت على أنني أقصد واسط لانه كان لي بها أقارب فازلال
مقدم وجراية كبيرة وقشاش فأنزله إلى الزلال فسألتهم أن يحملوني إلى واسط
فقالوا هـذا الزلال لرجل هاشمي ولا يمكننا حملك على هذه الصورة فسألتهم أن
يحملوني وأرغبتهم في الأجرة فقالوا لي إذا كان ولا بد أخلع هذه الثياب التي عليك
والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت واشتريت من
ثياب الملاحين ورجعت إلى الزلال بعد أن اشتريت خبزا وما يصلح للسفر وجلست
معهما فما كان إلا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعهما جاريتهما يتنخدمانها
فسئل عني ما كان بي وقات أراها وأسمع غناءها من هنا إلى البصرة واعتقدت
أن أجعل قصدي البصرة وطمعت أن أداخل مولاها وأصير من ندمائه

وقلت لعلها لا تخليني من المراد وكنت واثقايها فلم يكن أسرع من أن جاء الفتي
 الهاشمي راكبا ومعه عدة ركبان فنزلوا في الزلال وانحدروا فلما صار عند
 كوادي أخرج الطعام وأكلوا وأجاريته وأكل الباقون على وسط الزلال وأطعم
 الملاحين ثم أقبل على التجارية فقال لها كم هذه المدافعة عن الغناء ولزوم الخزن
 والبكاء ليس أنت أول من فارق مولا كان له محبا فعملت بما كان عندها من أمرى
 ثم ضربت ستارة في جانب الزلال واستدعى اللذين يأكلون ناحية جالس معهم
 خارج الستارة فسألت عنهم فإذا هم اخوتهم ثم أخرج الصواني فيها الخجاسيات
 والمحرداديات من المحكم مملوءة شرابا ففرقت عليهم وقدمت لهم الانتقال وماشا كل
 ذلك وما زالوا يرفقون بالتجارة إلى أن استدعت بالعود وأصلحته واندفعت
 تغني من البعيد الأول وهو

بان الخليط بمن عرفت فأدبجوا * عدا بمن أهواه لم يتخرجوا

وغدت كأن على ترائي نحرها * جمر الغضا في ساعة تتأجج

ثم غلبها البكاء ومرت العود وقطعت عن الغناء وتنغص على القوم مشربهم
 ووقعت أنا مغشيا على فظن القوم أنني قد صرعت فصار بعضهم يقرأ في أذني
 وأفقت بعد ساعة فلم ير الوادار ونهاوير فقوم بها ويسألونها إلى أن أصلحت
 العود واندفعت تغني في البعيد الثاني

فوقفت أندب للذين تحملوا * وكأن قلبي بالشفار يقطع

فدخلت دراهم أسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع

ثم شغقت شهقة كادت تناف وارتفع بكأؤها وصرخت أنا ووقعت مغشيا على
 وتبرم الملاحون مني وقالوا كيف جلت هذا المجنون فقال بعضهم إذا بلغتم بعض
 القرى فأخرجوه وأريحونا منه فجاءني من ذلك أمر عظيم ثم وضعت على نفسي الصبر
 والتجديد وقلت أعمل الحيلة في أن أعلمها بمكاني من الزلال لتتبع من أخرجني وبلغنا
 إلى قريب ضيعة فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا إلى الشط فطرحوا القماش
 وطلعوا وكان مساء فطلع الملاحون وخلا الزلال فقمت حتى صرت خاف الستارة
 فغيرت طريقة العود عما كانت عليه إلى طريقة أخرى وكانت تعلمها مني فرجعت
 إلى موضعي من الزلال وفرغ القوم من حوائجهم في الشط ورجعوا والقوم قد
 اندبسط فقال لها مولا بالله عليك لا تنغص علينا عيشنا ولم يزلوا إلى أن أخذت

العود وحسبته وشهقت حتى ظنوا أن روحها قد طلعت وقالت والله مولاي معي
 في الزلال فقال لها مولاهما والله يا هـ ذه لو كان معنا ما منعتهم من معاشرتنا ولعله
 كان يخف ما بك وتذفع بغنائك ولكن هذا بعيد قالت هذا ما لا اسمعه مولاي
 معنا قال الهاشمي فانسأل الملاحين قالت افعل فسأل الملاحين وقال هل جئتم
 معكم أحدا قالوا لا وأشفقت أن ينقطع السؤال فصحت نعم هو ذا أنا فقالت كلام
 مولاي والله فساء في الغلمان فخلو في الرجل جلا فلما رآني عرفني وقال
 ويحك ما هـ ذا الزى وما الذي أصابك إلى أن صرت إلى هـ ذه المحالة قال
 فصدفته عن أمري وبكيت وأعلى نحيب التجارية من خلف الستارة وبكى هو
 واخوته بكاء شديدا رقة لنا ثم قال لي يا هذا والله ما وطمئت التجار به ولا سمعت لها
 غناء إلا اليوم وأنا رجل موسع على ولله الحمد وانما وردت بغداد لسماع الغناء
 وطلب أرزاق من أمير المؤمنين وقد بلغت الأمرين مما أردت ولم أعلمت أني أريد
 الرجوع لي وطني قالت أسمع من غناء بغداد شيئا فاشتريت هذه التجارية لا صير بها
 عند مغيات لي بالبصرة وذا كنتما على هـ ذه المحالة فوالله لا نال المكرمه
 والثواب فيكما وأشهد الله تبارك وتعالى على أن هـ ذه التجارية إذا وصلت إلى
 البصرة أعتقتها وأزوجك أياها وأجرى عليك ما يكفيكما وزيادة ولكن على
 شريطة أنني إذا أردت الاجتماع تضرب لها ستارة وتغني من خلفها ونحن مع
 بعضنا بعض لا نبخل عايننا بذلك وأنت من جملة اخواني وندماني ففرحت بذلك
 ثم أدخل رأسه إلى التجارية وقال يرضيك ذلك فأخذت تدعوه له وتشكره ثم
 استدعى علامه فقال خذ بيد الغلام ومده بثياب وبخبره وقدمه إلينا بعد أن يأكل
 شيئا وفعل بي الغلام ما أمر به وعدت إليه فخط بين يدي مثل ما بين أيديهما من
 اشرب والنقل ثم اندفعت التجارية تغني بانبساط وهو

عـ يروى بأن سحبت دموعي * حين هم الحبيب بالتوديع
 زعموا أنني تهكت في الحـب ما أريد غـير مطيع
 لم يذوقوا طعم الفراق ولا ما * أحرقت لوعة الأسى من ضلوع
 كيب لا أسفح الدموع على رسم * عفا بعد ساكن وجوع
 هب أن كتمت حالي لا تخفي * زهرات المتيم المصـدوع
 انما يعرف الغرام لمن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

فطرب القوم من ذلك طربا شديدا وزاد فرح الفتى بذلك فلما رأته على ما هو عليه من الفرح أخذت العود من التجارة وأصلحته وضربت به في أحسن صنعة وغناء واندفعت أقول

اسأل العرف ان سألت كريما * لم ينزل يعرف الغنى واليسارا
فسوأل الكريم يورث عزا * وسؤال الله - يورث عارا
واذا لم يكن من الذلبد * فالق بالذل ان لقيت البكارا
ليس اجلالك الكريم بذل * انما الذل ان تجل الصغارا

ففرح القوم بي وزاد فرحهم - وأنسوا بي غاية الانساس ولم ينزل على مسرة وسرور وغبطة وحبور وأنا أغنى ساعة وهي تغني ساعة كذلك الى أن جئت الى بعض الشطوط فارسي الزلال وصعد من الزلال كل من فيه وقضوا حوائجهم وصعدت أنا ايضا وكنت سكرانا فقعدت أبول فأخذتني عيني فمغت وطلع القوم وانحدر الزلال ولم يعلموا بي وهم سكارى وكنت دفعت النفقة التي معي الى التجارية ولم يبق معي حبة واحدة وأن القوم انحدروا ووصلوا الى البصرة ولم أنتبه انا الا من حرا الشمس فجئت الى الشط فلم أرى حسا وقد كنت أجلات الرجل أن أسأله بمن يعرف وأين داره من البصرة فبقيت على شاطئهم - رمعتلا كأول يوم بدأت في المحبة وكان ما كنت فيه مناما واجتازت بي سمارية فحملت فيها ودخلت الى البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت خانا وبقيت متحيرا لا أدري ما أعمل ولم يتجه لي معاش الى أن اجتاز بي يوما انسان كنت أعرفه به بغداد فتيبته لا كشف له حالي وأستر فده ثم أنفت من ذلك ودخل منزله فعرفته وجئت الى يقال على باب الخان الذي نزلته فاعطيته دنانقا وأخذت منه دواة وورقة وجلست أكتب اليه رقعة فاستحسن خطي البقال ورأى ثوبي دنسا فسألني عن أمري فاخبرته أي رجل غريب فقير قد تعذر على التصرف وما بقي معي شيء فقال تعمل قبحي كل يوم بنصف درهم وطعامك وكسوتك ونضبط لي حساب دكاني فقلت له نعم قال لي اصعد فصعدت ونحرق الرقعة وجلست معه ودبرت أمره وضبطت دخله وخرجه فلما كان بعد شهر راى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصا فحمدني وبقيت معه كذلك شهورا ثم جعل لي كل يوم درهما ولم ينزل حالي يقوى معه الى أن حال الحول فناله مني الصلاح فدعاني الى أن

تزوجت بابتغاه وشاركتني في الدكان ففعلت ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان
والحال يقوى الا اني في خلال ذلك مكسور النفس ميت النشاط ظاهر المحزن
وكان يقال يشرب فر بما جاذبني الى مساعدته فامتنع وأظهر ذلك حزنا مني
واستمرت بي الحال على هذا سنتين وأكثر فلما كان في بعض الايام اذا قوم
يحتازون بطعام وشراب وكل احد على ذلك فسألت الشيخ عن القصة فقال لي
هذا اليوم عيد الشعانين يخرج أهل الطرب واللعب والشراب والغينات الى
نهر الابله فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون فدعيتني نفسي الى هذا
وقلت لعلني أقف لاصحابي على خبر فقلت للبقال كنت اريد انظر الى هؤلاء قال
لي شأنك وأصلح لي طعاما وشرابا وسلم الى غلاما وسفينة فخرجت فأكلت وبدأت
بالشراب حتى وصلت الى الابله وابتدأ الناس ينصرفون وعزمت على الانصراف
واذا انا بالزلال بعينه في وسط الناس سائرا في نهر الابله فتأملت واذا بأصحابي على
سطحه ومعهم عدة غنيات فحين رايتهم لم أتمالك فرحا وصحت بهم فلما راوني
عرفوني وأخذوني اليهم وقالوا لي أنت حي وعائقوني وفرحوا بي وسألوني عن
قصتي فأخبرتهم بها على أتم شرح وقالوا انا لمسافة دنالك في الحال وقع لنا أنك
قد سكرت ووقعت في الماء وغرقت فخرجت ابجارية من ثيابها وكسرت عودها
وقطعت شعرها ولطمت وجهها وأقبلت على البكاء والنحيب ولم تقدرني عنها
من ذلك ووردنا البصرة فقلت اها ما شجيين أن يعمل بك فقه دكا وعدنا مولانا
بوعديتمنا المروءة من استجد امك بعدده وسماع غناك قالت يا مولاي تملكني
من القوت اليسير واباس ثياب الشعر السواد وأن أعمل قبرا في جنب من الدار
وأجلس عنده واتوب عن الغناء فلما كان ذلك وهي جالسة عنده الى الآن
فأخذوني معهم ومضوا بي فلما دخلت الى الدار ورأيتهم على تلك الصورة ورأيتني
شهقت شهقة عظيمة ما طمنت أنها تعيش فاعتقنا عنا قاطو بلائم فترقنا ثم قال
مولانا تأخذها قلت نعم أعتقها كما وعدت وزوجني بها ففعل ذلك ودفع اليها ثيابا
كثيرة وفرشا وفسا و آلة وجل الى نخسة مائة دينار وقال هذا مقدار ما اردت
أجريه عليك في كل شهر منذ أول دخول البصرة وقد اجتمع طول هذه المدة نفذه
والجرايد متسابقة في كل شهر وشئ آخر اكسونك وكسوة التجار به والشرط في
المنادمة وسماع التجار به من وراء السترة وقد وهبت لك الدار الغلانية قال

فحملت الى الدار فاذا قد غمرت بالفرش والقماش وجيـع ما أصاحبه وجات
اليها تجارية وجئت الى البقال فحدثته الحديث وسألته أن يجعاني في حل من
طلاقه لابنته بعـير ذنب ودفعت اليه مهرها وما يلزم من أمرها وأقت مع
المشايخ على ذلك الحال سنين وصرت رب ضيعة ونعمة وعادت حالي الى
قريب ما كنت فيه أنا والتجارية وفـرج الله الكـريم عنا وسهل لنا الامور
بالاحسان وهذا ما كان من حديثهم والمحمد لله حمدا كثيرا (الليلة الثانية)
حدث أبو العباس ابن يزيد النحوي المعروف بالمبرد قال حدثنا محمد بن عامر الخنفي
وكان من سادات بكر بن وائل وأدركته شيخا كبيرا القامة عملاقا وكان اذا فاض على
املاقه شيئا جاد به وقد كان ولي قديم شرطة البصرة فحدثني هذا الحديث الذي
نذكره ووقع لي من غير ناحيته ولا أذكر ما بينهما من الزيادة والنقصان الا أن
معاني الحديث مجموعة فيما أذكر لك (ذكر) أن فتيانا كانوا مجتمعين في نظام واحد
كلهم أبناء نعمة وكلهم شرذمة عن أهله وقنع بأصحابه فذكرنا أنهم قال كنا قد
اكثرنا دارا مشرفة على الطريق ببغداد المعروفة بالناس فكنا نفلس
أحيانا ونوسر أحيانا على مقعد دارم يعلق الواحد من أهله وكنا لا نستنكر أن تقع
مؤتناع على واحد منا اذا أمكنه ويبقى الواحد منا لا يقدر على شيء فيقوم به أصحابه
الدهر الا طول وكنا اذا أيسرنا أكلنا ودعونا للمهين والمهيات وكنا في أسفل الدار
فاذا عد منا الطرب فمجلسنا غرفة لنا نتجمع منها بالنظر الى الناس وكنا لا نتخل من
نبيذ في عسر ولا يسرفانا كذلك يوما اذا بقيت يستأذن علينا فقلنا له اصعد فاذا
رجل نظيف حلو الوجه سري الهمة يظهر عليه أنه من أبناء النعم فأقبل علينا وقال
اني سمعت باجتماعكم والفتكم وحسن منادمتكم حتى كأنكم أدخلتم جميعا في قالب
واحد فأخبرت أن أكون واحدا منكم فلا تحتشموني قال فصادف ذلك منا
اقتار من القوت وكثرة من النبيذ وقد كان قال لعلنا أول ما يأذنوا لي أن
أكون كأحد هم هات ما عندك فغاب عنا غير كثير ثم اذا هو أتى بسلة خبز ران
وفيها طعام مطبوخ من جدي وفراخ ورقاق وأشنان ومحلب داخلة فأصبننا من
ذلك ثم أفضينا في شراينا وانبسط الرجل واذا هو أحـبى خالق الله اذا حدث
وأحسنهم استمسا ط اذا حدث وأمسكهم من الملاحظات اذا خولف ثم أفضينا في
شراينا وانبسط الرجل فاذا هو أحسن الناس خلقا وخلقا وكنا رجبنا امتحناه بأن

نذهب إلى الشيء الذي نعلم أنه يكرهه فيظهر لنا أن لا نريد غير غيره ونرى ذلك في
اشراق وجهه ونسبه فلم يمكن منا غير معرفة الكنية فأناسا لنا عنها فقال أبو
الفضل فقال لنا يوما بعد اتصال الانس الا أخبركم كيف عرفتم قلنا اننا نحب
ذلك قال أحببت في جواركم جارية وكان سببها ذو عزائم وكنت أجلس
لها في الطريق التمس اجتيازها فأراها حتى أدخلني الجـلوس على الطريق
ورأيت غرفةكم هذه فسألت عن خبرها فخبرت عن اختلافكم ومساعدة بعضكم
بعضا فـ كان الدخول فيما أنتم فيه أثر عندي من الجارية فسألتها عنها فخرنا
قلنا ما نحب منها لك حتى نطهرك بها فقال يا اخوتي اني والله على ما نرون مني من
شدة المحبة والكاف بها ما قدرت فيها حراما قط ولا تقديري الامطاواتها
ومصابتها الى ان يمن الله بثروة فاشترى بها وأقام معنا شهرين ونحن على غاية
الاعتباط بقربه والسرور بصحبته ثم اختلس منا فنالنا لفراقه كل محض ولوعة
مؤلة ولم نعرف له منزلا نلتمه منه فكدر علينا من العيش ما كان طاب لما به وقع
عندنا ما كان حسن بقربه وجعلنا لا نرى سرورا ولا غم الا اذا ذكرنا اتصال
الانس والسرور بحضوره والغم بفراقته فكافيه كما قال القائل

يذكرهم كل خير رأيت * وشرفا أنك منهم على ذكرى

فغاب عنا زها عشرين يوما ثم بينا نحن مجتازون من الرصافة اذ به قد طلع في
موكب نبيل وزي جليل فحيث بصرنا به انحط عن دابته وانحط غلمانه ثم قال
يا اخوتي اني والله ما هنا الى عيش بعدكم ولست أطمحكم بخبري حتى آتي المنزل
ولا كن ميلوا بنا الى المسجد قلنا ما به فقال أعرفكم أولا بنفسى أنا العباس ابن
الاحنف وكان من خبري بعدكم أني خرجت الى منزلي من عندكم فاذا المسودة
محيطه بي فضي بي الى دار أمير المؤمنين فصرت الى يحيى بن خالد فقال لي ويحك
يا عباس انما أخبرتك من طريق الشمر لقرب ما نذكرك وحسن ما بينك وأن الذي
نذبتك له من شأنك وقد عرفت خطرات الخلفاء واني أخبرك أن ماردة هي
الغالية على أمير المؤمنين اليوم وأنه جرى بينهما عتب فهي بدلالة المعشوق تأتي
أن تعتذر وهو يوم الخلافة وشرف الملك يأتي ذلك وقد رمت الامر من قبلهما
فأعياني وهو أحرى أن تسقره الصباية فقل شعرا يسهل عليه هذه السبيل فمضى
كلامه ثم دعا أمير المؤمنين فصار إليه وأعطيت دواة وقرطاسا فاعتراني الزم

وأذهب عنى كل قافية ثم انفتح لى شئ والرسول بين يدي فجاءتنى أربعة أبيات رضىتها
وقعت صحيحة المعنى سهلة اللفاظ ملائمة لمطالب منى فقلت لاحد الرسول أبلغ
الوزير أنى قد قلت أربعة أبيات فإن كان فيها ممتنع وجهت بها فرجع الى الرسول
بأن هاتها فى أقل منها ممتنع وفى ذهاب الرسول ورجوعه قلت بيدي من غير ذلك
الروى وكتبت الاربعة الايات فى صدر الرقعة وعقبت بالبيتين فكتبت
العاشقان كلاهما متعب * وكلاهما متوجد متغضب
صدت مغاضبة وصد مغاضبا * فكلاهما مما يعالج متعب
راجع أحب لك الذين هجرتهم * ان المتيم قول ما يتجنب
ان التجنب ان تطول منك * دب السلوله فعز المطالب
وكتبت تحت ذلك

لا بد للعاشق من وقفة * يكون بين الصد والصرم
حتى اذا ما الهجر تهادى به * راجع من تهوى على رغم
ثم وجهت بالكتاب الى يحيى بن خالد فرفعه يحيى الى الرشيد فقال والله ما رأيت
شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا والله لكأنى قصدت به فقال له يحيى فانت
والله المقصود به هذا يقوله العباس بن الاحنف فى هذه القصة فلما قرأ البيت
وأفضى الى قوله راجع من تهوى على رغم استغرب ضاحكا حتى سمعت ضحك
ثم قال اى والله أراجع على رغم يا غلام هات النعل فنهض وأذهله السرور
عن أن يأمر لى شئ فدعانى يحيى فقال لى ان شعرك قد وقع بغاية الموافقة
وأذهل أمير المؤمنين السرور عن أن يأمر لك بشئ فأتى لك هذا الخبر ما وقع
منى بموافقة ثم جاء فسارره فنهض وثبت مكانى ثم نهضت بنهوضه فقال لى
يا عباس أمسيت أمتى الساس أتدرى ما ساررنى به هذا الرسول قلت لا قال
قد ذكرنى ماردة بلغت أمير المؤمنين لم أعلمت بحجته فقالت يا أمير المؤمنين
كيف هذا فاعطاها الشعر وقال هذا أتى به اليك قالت فن يقوله قال العباس
ابن الاحنف قالت ما فعلت معه قال ما فعلت شيأ بعد قالت اذا والله لا أجلس
حتى يكافئ قال فأمر المؤمنين بن قائم لقيامها وأنا قائم لقيام أمير المؤمنين وهما
يتماظران فى صلاتك فهذا كله لك قلت مالى من هذا كله الا الصلة ثم قال هذا
أحسن من شعرك فأمر أمير المؤمنين بمال كثير وأمرت ماردة بمال دونه وأمر

الوزير بمال دون ما أمرت به وجات على ماترون من الظهر ثم قال الوزير من تمام
 اليد قبلك أن لا ترجع من الدار حتى يوثق لك بهذا المال ضياء عافاش تريت لي
 ضياع بعشرين ألف دينار ودفع الى بقية المال فهذا الخبير الذي طاقى
 عنكم فهلوا حتى أقاسمكم الضياع وأفرق فيكم المال فقلنا له هناك الله بمالك
 وكلنا راجع الى نعمة من الله فأقسم وأقسمنا قال فامضوا بنا الى التجارية حتى
 تشترى بها فشيئنا الى صاحبها وكانت جارية جميلة حلوا ولا تبخس شيئا أكثر
 ما فيها ظرف اللسان وتأدية الرسائل وكانت تساوى على وجهها مائة وخمسين
 ديناراً فلما رأى مولاها أسامى فيها خمسة مائة دينار فأوحيناها بالعجب
 فخط مائة ثم خط مائة وقال العباس يا فتيان انى والله أقسم أحثشم بعدما قلتم
 ولاكنها حاجة في نفسي بها يتم سرورى فان ساعدتم فعلت قلنا له قل
 قال هذه التجارية أنا عاينتها منذ دهر وأريد ايثار نفسي بها يتم سرورى فان
 ساعدتم فأكره أن تنظر الى بعين من قدما كس في ثمنها فاعطيه فيها خمسة مائة
 دينار كما سأل قلنا فانه قد خط مائتين قال وان فعل فصادفنا من مولاها رجلاً
 حرافة ثلث مائة دينار وجهزها بالمائتين فما زال لنا محباً الى أن فرق الموت
 بيننا (الليلة الثالثة) حدث عبد الرحمن بن عمر الفهرى عن رجال سمعاهم
 قال أمر المأمون أن يحمل اليه عشرة أناس من البصرة كانوا يرمون بالزندقة
 عنده فحملوا اليه فيمنا أحدهم الطفيلي جاثراً اذ رأهم مجتمعين فقال ما اجتمع
 هؤلاء الاولوية فأنزل معهم ودخل في جملتهم ومضى بهم المتوكلون الى البحر
 فأطاعوهم في زورق قد أعد لهم فقال الطفيلي كأنها نزهة فأصعد معهم في
 الزورق فلم يكن بأسرع من أن قيد القوم فقيدوا الطفيلي معهم فعلم أنه قد وقع
 ورام الخلاص فلم يقدر ثم دفع الملاح وساروا الى أن وصلوا بغداد ووجهوا على
 دخول المأمون فأمر بضرب أعناقهم فاستدعوا بأسمائهم رجلاً رجلاً وهو يقتل
 حتى لم يبق الا الطفيلي وفرغت العدة فقال المأمون للمتوكلين بهم ما هذا قالوا
 يا أمير المؤمنين ما ندري غير أننا وجدناه مع القوم فخشاه فقال له المأمون ما قصتك
 وبالك فقال يا أمير المؤمنين امرأته طالق ان كان يعرف من أقوالهم شيئاً ولا يعرف
 غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين فظننت أنهم يدعون الى
 مادية أو دعوة فالتفت بهم قال فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم التطفيل الى

أن أدخل صاحبه هذا المدخل لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولا يكن يؤدب
حتى يتوب قال وكان ابراهيم بن المهدي حاضر يومئذ فقال يا أمير المؤمنين هبه لي
واحدك بحديث عن نفسي في التطجيل عجيب قال قد وهبته لك هات حديثك
قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما متكررا أظنني سلك بغداد فاستهوى بي التفرج
وانتهى بي المشي الى موضع شممت فيه روائح طعام وأبازير قد تأقت نفسي
اليها ووقفت يا أمير المؤمنين لا أقدر على المضي فرجعت بصري فاذا شيئاك ومن
خلفه كف والمعصم ما رأيت أحسن منه فوقفت حائرا ونسيت روائح الطعام
بذلك الكف والمعصم فأخذت في أعمال الحيلة في الوصول فنظرت فاذا بجناب
قريب من ذلك الموضع فقدمت اليه وسلمت عليه فرد على فقلت يا سيدي لمن
هذه الدار قال يا سيدي رجل من البزازين قلت فاسمه قال فلان ابن فلان
قلت هو بمن يشرب الخمر قال نعم وأظن اليوم عنده دعوة وليس ينادم إلا تجارا
مثله فبينما نحن في الكلام اذا قبل رجلان راكبان فقال هؤلاء ندماء وه فقلت
ما أسماءهما وما كناهما فقال فلان وفلان فخركت دابتي فلتحقتهما وقلت
جعلت فداكما قد استبطأ كما أبو فلان أعزه الله وسائرتهما حتى أتيا الباب
فدخلتا ودخلا فلما رأاني صاحب المنزل معهما لم يشك في أني منهما بسبيل
فرحب بي وأجلسني في أفضل المواضع ثم جىء بالمائدة ونقل اليها اللوان
فكان طعمها يا أمير المؤمنين أطيب من رائحتها فقلت في نفسي هذه اللوان
قدم من الله على ببلوغ الغرض منها يبق الكف والمعصم ثم جىء بالوضوء فغسلنا
ثم نقلنا الى مجالس المنادمة فاذا هو أشكل منزل وأظرفه في سائر أموره وجعل
صاحب المنزل يلاطف بي ويقبل على في الحديث لظنه أني ضيف لا ضيافة وهم
على مثل ذلك يظنون أن اكرامه لي عن معرفة متقدمة وصداقة حتى شربنا
أقدا حارجت علينا جارية كأنها غصن بان في غاية الظرف وحسن الهيئة
فسلمت غير نجلة وأتت لها وسادة فجلست وأني بعود فأخذته وحبسته أحسن
حبس واندفعت تغني فغنت

توهمها طرفي فأصبح خدوها * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
وصالحها كفي فألم كمها * فنس كفي في أناملها عقر
فهيجت يا أمير المؤمنين بلبا لي وطربت لحسن شعرها وحدثها ثم اندفعت

فكنت ايضا

أشرت اليها هل عرفت مودتي * فردت بطرف العين اتى على العهد
فحدثت عن الاظهار حفظا لسرها * وحادثت عن الاظهار حفظا على عهد
فجاءني من الطرب مالم أملك معه نفسي وطرب القوم ما يشد يد اثم غنت
أليس عجيبا أن يتأبضمني * واباك لا تخلو ولا تتكلم
سوى أعين تبدي سراثر انفس * وتقطع أنفاس على النار تضرم
إشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسر أجفان وكف تسلم
فحدثت على حذقها يا أمير المؤمنين واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج من الفن
الذي ابتدأت فيه فقلت قد بقي عليك يا جارية شئ فرمت بالعود وقالت متى
كنتم تحضرون في مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان مني ورأيت القوم كأنهم
تذكروني فقلت في نفسي فأتني جميع ما أملت ان لم أتلافى قضيتي فقلت أثم عود
قالوا نعم فأتيت بعود ملج الصنعة فأصلحت ما أردت ثم اندفعت فغنيت
مالمنازل لا تحيب حزينا * أصم أم قدم الليل البلأفيلينا
روح الغيبة دوحه مذكورة * ان مت متنا وان حيت حينا
فما استتمت يا أمير المؤمنين حتى وثبت الجارية على رجلى تقبلها وتقول معذرة
إليك والله ما علمت مكانك ولا سمعت مثل هذه الصنعة من أحد ثم زاد القوم
في الكرامى وتجيلى وطربوا غابة الطرب وشربوا بالطاسات
فلما رأيت طربهم اندفعت فغنيت

أبى الله أن تمسين لا تذكرينى * وقد سمعت عيناى من ذكرك الدما
الى الله أشكو بخها وسمما حتى * لها غسل منى وتبدي علقما
فردى مصاب القلب أنت قتاته * فلا تركيه ذاهب العقل مغرما
الى الله أشكو أنها أجنبية * أكون لها ما عشت بالود محرما
فرأيت من طرب القوم شيا خشيت أنهم فارقوا عقولهم فأمسكت عنهم ساعة ثم
راجعت أمرهم لما هدئت نفوسهم واندفعت وغنيت

هذه محبتك طويلا على كده * صب مدا معه تجرى على جسده
له يد تسأل الرجن راجية * مما تبه ويد أخرى على كبد
يا من رأى كهامسته نراد فقا * كانت منيته في طرفه ويده

فعلات

فجعلت التجارة تصيح هذا والله الغناء لا نحن فيه وشرب القوم وسكروا وبقي
في صاحب المنزل مسككة تجوده شربه فأمر غلمانهم بحفظهم الى منازلهم
وانصرفوا وخلوت معه وشرب أقدا حاتم قال يا سيدي ذهب ماضى من عمرى
هدرا اذ لم أكن أعرف مثلك ولم أ حاضر رئيسا يشبهك فبالله يا مولاي من
أنت لا عرف نديى فأخذت أورى عليه وهو يقيم على الى أن أعلمه من أنا على
الحقيقة فوثب قائما على قدميه وقال لقد عجبت أن يكون هذا الفعل الا
لمثلك ولقد أسدى الزمان الى يد الاقوام بشكرها ومتى طمعت بأن يزورنى
ذو الخلافة فى منزلى وينادىنى ما هذا الا فى المنام فلا أتمت ليلتى الا قائما بين
يديك اذ كنت أحقر أن أجالس ذا الخلافة فأقسمت عليه الى أن جالس ثم أخذ
يسألنى ما السبب فى حضورى عنده بالطف معنى فأخبرته يا أمير المؤمنين بالقصة
من أولها الى آخرها وما سرت منها شيئا ثم قلت أما الطعام فبات منه بغيتى وأما
الكف والمعصم ان شاء الله ثم قال يا فلانة قولى له لانة جارية له تنزل وجعل
يستدعى واحدة واحدة ويعرضها على وأنا لا أرى صاحبتي الى أن قال والله
ما بقى غير أمى وأختى والله لينزلان فبعثت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت
فداك أبدا بالاخت فقال حبا وكرامة ثم نزلت أخته فأراني يدها فاذا هى التى
رأيتها فقلت حسبك هذه التجارة فأمر غلمانها لوقته واستدعى عشرة مشايخ
سماهم لهم ثم قام فأخرج بدرتين عشرين ألف درهم وحضرت المشايخ فقال
لهم هذا سيدي ابراهيم بن المهدي يخطب منى أختى فلانة واشهدكم أنى قد
زوجتها وأمهرتها عشرة آلاف درهم فقلت له قبالت ورضيت النكاح
فشهدوا علينا ثم دفع البدره الواحدة الى أخته والاخرى فرقها على المشايخ ثم قال
اعذروا فهذا ما حضر فشكروا ودعوا له وانصرفوا ثم قال يا سيدي أمه ذلك
بعض البيوت وتنام مع أهلك واحتشمنى ما رأيت من كرمه واستحييت أن أخلو
بها فى داره فقلت بل أحضر عمارية وأجهزها وأجلها الى منزلى فقال لما شئت
فأحضر عمارية وجلها الى منزلى فو حقتك يا أمير المؤمنين لقد جعل الى من
الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا على سمعتها فأولدتها هذا الغلام القائم بين يديك
يا أمير المؤمنين فحجب المؤمنون من كرم هذا الرجل فقال لله درهم ما سمعت قط
بمثله ثم أطلق الطفيلى بإجارة ابراهيم وأمر باحضار الرجل لي شاهده فأحضر بين

يديه فاستنطقه فأعجبه وصار من جملة خواصه ومحاضرتيه (الليلة الرابعة) حدث
غير الهلالي قال كان من فتيان بني هلال فتى يقال له بشر ابن عبد الله وكان
يعرف بالاشتر وكان من سادات بني هلال أحسنهم وجها وأسخاهم كفا وكان
مغرما يجاريه من قومه تدعى جيداً وكانت بارعة الجمال والكمال ثم اشتراها
وأمرها وظهر خبرهما بين أهلهما إلى أن كانت بين الفريقين ثم افترقوا
وأبعدت منازلهم فقال غير فلما طال على الاشترا الفراق وتصادى البعد جاءني
فقال يا غيرة هل لك من خبر ثم ما عندى إلا ما أجبتة فقال تساءلني على زيارة
جيد فقد أذهب الشوق روجي فقلت نعم بالحب والكرامة فانهمض بنا إذا
شدت وركبت وسرنا يومنا وإيلتنا والغد حتى إذا كان العشاء انحنأنا را حلتنا في
شعب قريب من الفريق فقال يا غيرة اذهب فتأنس بالناس وإذا كان لقيت
أحدك صاحب ضالة ولا تعرض بذكري بين شقة ولا لسان إلى أن تلقى
جاريته فلا تترعى غمهم فأقرئهمني السلام وسألهما عن الخبر وأعلمتهما بوضعي
قال فخرجت لأعدو إلى ما أمرني به حتى لقيت الجارية وأبلغتها الرسالة وأعلمتها
مكانه وسألتها عن الخبر وأعلمتها بوضعي فقالت هي والله مشددة عليها تحفظ بها
ولكن مواعيدكم أوائل الشجرات اللواتي عند أعقاب البيوت مع صلاة العشاء
قال فانصرفت إلى صاحبي فأعلمته الخبر ثم نهضت أنا وهو ونقود را حلتنا حتى
أتينا إلى الموضع في الوقت المعهود فلم نلبث الا قليلا وإذا جيد تمشى قريبا منا
فوثب الاشراف صاخبها وسلم عليها وقت أنا مولىا عنهما فقالا انقسم عليك بالله
إلا ما رجعت فوالله ما نحن في مكروه ولا بيننا ما يستر عنك فرجعت إليهما
وجلست معهما فقال الاشراف فيك حيلة يا جيد تتعالى الليلة قالت لا والله
وما لي إلى ذلك من سبيل إلا أن يرجع الذي عرفت من البلاء والشر فقال لها
لا بد من ذلك ولو كان ما عسى أن يكون قالت فهل في صاحبك هذا من خير
قلت قولي ما بدالك فاني انتهى إلى رأيك ولو كان فيه ذهاب روجي فخلعت ثيابها
وقالت البسها وأعطني ثيابك ففعلت ثم قالت اذهب إلى بيتي ودخل في سريري
فإن زوجي سيأتيك بعد فراغه من الحلية والتدح عموه فيقول هاك عموك فلا
تأخذه منه حتى تطل ذلك عليه ثم خذه أو دعه حتى يضعه ويذهب فليست تراه
حتى تصبح ان شاء الله تعالى قال فذهبت ففعلت ما أمرتني به حتى إذا جاء بالقدح

لم آخذه حتى نكد عليه ثم أهويت لآخذه منه وأهوى هو ليضعه فاختافت
أيدينا على الأبناء فأنكفأ القدح وانهرق اللبن فقال ان هذا الطماح جدا
وضرب بيده الى مقدم البيت واستخرج سوطا ملوا مشعل الثعالبان ثم دخل
فهتك الستر على وضع السوط مني تمام عشرين سوطا ثم جاءت امه واخوته
فاتزعا من يده لا والله ما فعلنا ذلك حتى زال عقلي وهممت أن أجبه بالسكين
وان كان فيها الموت فلما خرجوا شدت سترى وقعدت كما كنت فلم البت
الاقلي لا حتى دخلت ام جيدا فكلمتني وهي لا تشك اني ابنتها وان دفت في
البكاء والنحيب وتغطيت بشوي ووليتها ظهري فقالت يا بنيت اتق الله في
نفسك ولا تعرضي بمكروه زوجك فذاك أولى بك واما الاشتري فذاك آخر الدهر
ونجرت من عندي وقالت سأرسل اليك أختك تونسك الليلة فالبثت غير
دقيقة واذا الجارية قد جاءت فجعلت تبكي وتدعو علي من ضربني وأنا
لا أكلها ثم انضجعت الى جنبي فلما استمكنت منها شدت يدي على فيها
وقلت يا هذه تلك أختك مع الاشتر وقد قطع ظهري الليلة بسببها وانت أولى
بالستر عليها فاختاري لنفسك ولها واثن والله تكلمت بكلمة لا يصح أن
يجهدني حتى تكون الغضبية شاملتهم فلما سمعت ذلك دفعت يدي عن فيها
واهتزت كما يهتز القضيبي فلم أزل بها حتى انست بي فباتت والله معي أحسن
رفيق رافقتي ولم نزل نتحدث وتضحك مني وما بانني وقد كنت منها تكمكن من
لو أراد زينة فعلاها ولكن الله عصم فله الحمد ولم نزل كذلك حتى طلع الفجر واذا
جيدا قد دخلت علينا فلما راتنا ارتعادت وقالت ويحك من هذه فقالت أختك
قالت وما الخبر قالت هي تخبرك فانها والله نعم الانحت وأخذت ثيابي ومضيت الى
صاحبي فركبت أنا وهو وحدثته بما أصابني وكشفت له عن ظهري فاذا فيه
ضرب رمي الله ضاربه بالنار كل ضربة يخرج منها الدم فلما رأي كذلك قال لقد
عظم صنعك ووجب شكرك وطالت يدك فلا أحرني الله مكافأتك ولم يزل لي
شاكرا مترفا (الليلة الخامسة) قال الواقدي كان ابراهيم بن المهدي قد ادعى
الخلافه لنفسه بالري وأقام مال كها سنة واحدة عشر شهرا واثنى عشر يوما وله
أخبار كثيرة أحسنها عندي ما حكاها لي قال لما دخل المأمون الري وطلبني أشد
الطلب وجعل لمن أتاه بي مائة ألف درهم تخففت على نفسي وتحررت في أمري

فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدري أين أتوجه ففرت
على وجهي حتى وقعت في زقاق لا ينفذ فقلت ان الله وانا اليه راجعون ان عدت
على اثرى برتابي فرأيت في صدر الزقاق عبدا أسود وهو قائم على باب دار
فتقدمت اليه فقلت له أعنيك موضع اقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح
الباب ودخلت الى دار نظيفة فيه حصيرة نظيفة ومخبره جلد الا انها نظيفة ثم
أغلق الباب علي ومضى لسبيله فتوهمته قد جعل الجمالة في وانه خرج ليبدل
علي فبقيت على مثل النار قلنا فيينا انا كذلك اذا قبل ومعه جمال عليه كلما
يحتاج اليه من خبز ولحم وقد رجيد وحورة نظيفة وكيزان جدد فخط عن الجمال
والثفت الي وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا أعلم انك تتقذر مني لما
أتوا لاه من معيشتي فشانك بمالم تقع عليه يد وكان لي حاجة الى الطعام فطبخت
لنفسى قدرا ما أذكر أنى أكلت مثله فلما قضيت أربى من الطعام قال لي
هل لك من شراب فابدي لي الهم ويطيب العيش ويدفع عن النفس الغم قلت
ما اكره ذلك رغبة في أن أواسه فأني بقطرمين جديد لم تمسه يد وجاءني بذنين
من شراب طيبة وقال لي روق نفسك فروقت شرابا نهاية في الجودة وأحضرت لي
قدحا جديدا وفاكهة ونقلا مختلفة في طسوت فخار حدد ثم قال لي بعد ذلك
اتأذن لي جعلت فداك أن أفعدنا حبة علك وآتي بنبذ لي فأشرب منه سرورا
بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثلاثا ثم دخل الى خزانته فأخرج عودا
مصالحا ثم قال يا سيدي ليس من قدرى أن أسألك تغنى ولا كن قد وجب على
مروءتك وحرمتي فان أردت بأن تشرف عبدك بأن تغنى لنفسك فافعل فقلت
ومن أين لك أى أحسن الغناء فقال متعجبا يا سبحان الله أشهر من ذلك أنت
ابراهيم بن المهدي خليفة تنابالامس الذي جعل المأمون من دل عليك مائة
ألف درهم فلما قال ذلك عظمت هيبة ومروءته عندي وعلمت أن نخوته أجل
من المال الذي بذله في فتناولات العود فأصلحته وغنيت وقدمر بخاطري
فراق أهلى وولدى

وعسى الذى أهدي يوسف أهله * وأعزه في السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا * والله رب العالمين قد ير
فقال يا سيدي اجعل الذى تغنيه ما يقتضيه حالك فقلت نعم فقال غن لي

(٢٠٣)

ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك بحسن حلها
فاصبر فان الله يعقب راحته * ولعلها ان تنجلي ولعلها
فغنيتها ولم أكن أحسن لحظه وليكني محنته وتفاءلت به وحسن عندي ابراده
فشرب وشربت وقال غن لي ياسيدي فقلت
فلا تحزع وان اعسرت يوما * فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر * لعل الله يغني عر قلبي
ولا تظن بربك غيـير خـير * فان الله أولى بالنجـيل
وكنت أعرفه فغنيت وشربت فقال لله درك على الله يدا ذا أنسى بمثلك
وما كنت أحسب أن الزمان يسمع لي بكونك في منزلي فان رأيت أن تغن لي
فقلت

واذا تنازعني أقول لها اصبري * موت برحمتك أوعـلو المنـهر
ما قد قضى الرحمن فاصطبري له * ولك الامان من الذى لم يقدر
فغنيتها وحسن في روجي اقتضاه رأيت به واسـتظرفته ثم قال لي ياسيدي
أتأذن لي أن اغني ماسخ وان كنت من غير اهل هذه الصـماعة فقلت له زياده في
أدبك ومروءتك فأخذ العود وغنى

شـكـونا الى احبـابنا طول ايلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذلك لان النوم يغشى عيونهم * مريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما بدا الليل المضرب ذي الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذارنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلنا * نلاقى لكانوا في المضاجع مثلنا
فوالله لقد أحسنت بالبيت قدسني وذهب عني كلما كنت فيه من الملام
وسأله ان يغني فغنى

تـعـيرنا انا قـليل عـدا دنا * فقلنا لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الا كثيرين ذليل
وأنا لقوم لا نرى القتل سنة * اذا ما راته عامر وسـلول
يقرب حب الموت آجالنا * وتـكرهه آجالهم فتطول
فدا خلني من الطرب ما لا مزيد عليه الى أن عاجلني السكر فلم أستيقظ الا بعد
لمغرب فعاودني فكـرى في نفاسه هذا النجم وحسن أدبه وظرفه وكيف

اقتضاني من الغنماء ما أريد أن يسليني به فقمتم وغسلت وجهي وأيقظته
 وأخذت خريطة كانت صحتي فيها دناءة كثيرة لها قيمة فريمت بها إليه وقالت له
 استودعك الله فاني ماض من عندك وأألك أن تصرف ما في هذه الخريطة
 على بعض مهماتك ولك عندي المزيد ان أمنت من خوف فأعادها الي متذكرا
 وقال لي يا سيدي ان الصعلوك ما لا قدر له وليس عندكم من ذوى الرياسات
 ويظن به الظنون الرديئة عن الاخذ آخذ على ما وهبني الزمان من قدرك
 وحلواك عندي ثم اني ألححت عليه فأومى الى موسى وقال والله اني راجعتني
 فيها لاقتان نفسي فخشيت عليه وأخذت الخريطة فأعديتها الى كمي وقد اثقتاني
 جملها فلما انتهيت الى باب داره معولا الى المضي قال لي يا سيدي ان هذا الموضع
 أخفي لك وليس في مؤنتك ثقاة فأقم عندي الى أن يفرج الله عنك فرجعت
 وسألته أن يكون منقذ امن الخريطة فلم يفعل وكان يفعل في كل يوم مثل ما فعله
 في يوم حلولى عده وأقتايا ما في الذعير فتهربت من الاقامة في منزله
 واحتشمت من التثقيب فتركنه وقدمضى يجدد لنا حالنا فقمتم وتزينت بنزى
 النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف أمر
 شديد وجئت لآعبر الجسر فاذا أنا بالموضع قد رش وصار زلعا فأبصرني جندي
 ممن كان يخدمني فعرفني وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بي فن حلاوة الروح
 دفعته هو وفرسه فرميتهم في ذلك الزلق وتبادر الناس لينقذوه فاجتهدت في
 المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت باب دار وامرأة في دهليزه
 فقالت يا سيدة النساء أحقني دمي فاني رجل خائف فقالت على الرحب
 وأطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت يهدي روعك فما علم
 بك مخلوق عدي ولواقت سنة وهي معي في ذلك واذا بالباب يدق دقا عني فا
 فخرجت فتحت الباب فاداب صاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدود الرأس
 ودمه يجري على ثيابه وايس معه فرس فقالت يا هذا ما بالاك فقال لها ان
 حديثي عجيب ظفرت بالغتي وانفلات مني ولو كنت جلته الى المأمون لتجهلت لي
 مائة المادرم قات وما هو قال ابراهيم بن المهدي لقيته وتعلقت به فدفعني
 والفرس فأصابني ما ترين قال فأخرجت اليه خرقا فعملته في جرحه وعصيته
 وألصقه شرابا وبنا على الاوطا طاعت الى فقالت أظنك صاحب القصة فقالت نعم

فَقَالَتْ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ثُمَّ جَدَدَتْ الْكَرَامَةَ فَأَقَاتَتْ عِنْدَهَا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَتْ إِنِّي خَائِفَةٌ
عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ لَثَلَا يَطْلُعَ عَلَى أَثَرِكَ فَيَنْهَبُكَ فَانْجِبْ بِنَفْسِكَ فَسَأَلَتْهَا امْرَأَتُهَا إِلَى
الْإِلَيْلِ فَفَعَلَتْ فَلَمَّا دَخَلَ الْإِلَيْلُ لَبَسَتْ زِيَّ النِّسَاءِ وَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهَا فَأَتَتْ
إِلَى بَيْتِ مَوْلَاةٍ كَانَتْ لِي فَلَمَّا رَأَتْهُ تَوَجَّعَتْ لِي وَبَكَتْ وَحَدَّثَتْ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِي
وَخَرَجَتْ كَأَنَّهُمَا تَرِيدَانِ الْوُقُوفَ وَالْإِهْتِمَامَ فِي الضِّيَافَةِ وَظَنَنْتُ خَيْرًا فَشَاعَرْتُ
الْأَبَاسَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصَّلِيَّ بِنَفْسِهِ فِي خِيْنِهِ وَرَجُلَهُ وَالْمَوْلَاةَ مَعَهُ فَسَلَّمْتُ لَهَا
فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ عَيْنَانَا وَجِئْتُ إِلَى الْمَأْمُونِ فَجَاسَ بِمَجْلَسِهَا عَامًا وَأَدْخَلَنِي إِلَيْهِ فَلَمَّا
مَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَقَالَ لَا سَلَامَ لِلَّهِ عَلَيْكَ وَلَا رَحْمَةً وَلَا حَبْلًا
فَقُلْتُ عَلَى رِسَالِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَوْلَى أَمْرًا يَحْكُمُ فِي أَقْصَاصِ الْعَفْوِ وَأَقْرَبِ
لِلتَّقْوَى وَمِنْ تَنَاوَلَتْهُ أَيْدِي الْأَغْتِرَارِ بِمَا أَمَدَلَهُ مِنْ أَسْبَابِ الرِّجَالِ لَمْ يَأْمَنْ مِنْ
غَائِلَةِ الدَّهْرِ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ فَوْقَ كُلِّ ذِي عَفْوٍ كَمَا جَعَلَ كُلَّ ذَنْبٍ تَحْتَ عَفْوِكَ
فَإِنْ تَأْخُذْ بِحَقِّكَ وَتَعْفُ فَبِفَضْلِكَ ثُمَّ أَنْشَدْتُ

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ * وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ
نَحْنُ ذُنُوبُكَ أَوْلَا * فَاصْفَحْ بِحَبْلِكَ عَنْهُ
إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فِعَالِي * مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى فَيْدَرْتِهِ وَقَالَ

أَذْنَبْتَ ذُنُوبًا عَظِيمًا * وَأَنْتَ لَامُفْوَاهِل
فَإِنْ عَفَوْتَ مِنْ * وَأَنْ جَزَيْتَ فَعَدَلْ

فَرَفَعَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَاسْتَرْوَحَتْ رَوَاحُ الرِّجَّةِ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَخِيهِ أَبِي إِسْحَاقَ
وَابْنِهِ الْعَبَّاسِ وَجَمِيعٍ مِنْ حَضَرِي فِي خَاصَّتِهِ وَقَالَ مَا تَقُولُ يَا أَحَدُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنْ قَتَلْتَهُ وَجَدْنَا مِثْلَكَ قَتَلَ مِثْلَهُ وَإِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ لَمْ نَجِدْ مِثْلَكَ عَفَا عَنْ
مِثْلِهِ فَكَسَّ الْمَأْمُونُ رَأْسَهُ يَنْكُثُ بِأَصْبَعِهِ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ مِثْلًا

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيرَ أَخِي * فَادْرِمَيْتَ بِصِيْبِي سَهْمِي
فَلَا أَعْفُو لِعَفْوِ جَدِّالٍ * وَائْسُطُوتْ لَأَوْهَيْنِ عَظْمِي

فَكَشَفَتْ الْمَغْنَمَةُ عَنْ رَأْسِي وَكَبُرَتْ تَكْبِيرَةً عَظِيمَةً فَعَلَتْ عَنَّا وَاللَّهُ عَفَى أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ يَا عَمُّ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَنْبِي عَظِيمٌ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ
أَتَعَفَّوهُ مَعَهُ بِعَذْرِ عَفْوِكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ أَنْطِقَ مَعَهُ بِشِكْرِ وَلَكِنْ أَقُولُ

ان الذي خلق المكارم حازها * في صلب آدم والامام الشافعي
 ماتت قلوب الناس منك مهابة * وتقل تكاؤهم بقلب خاشع
 فعموت عن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
 ورجت اطع الا كأفراخ اقطا * وحنين والده بقلب جازع
 رد الحية على دذها بها * كرم الملك العادل المتواضع
 فقال لي المأمون لا تريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك ضياعك
 فقلت رددت مالي ولم تبخل علي به وقبل ردك مالي قد رددت دمي

نأيت عنك وقد خولتني نعمما * هما الحياتان من موت ومن عدم
 فلو بذلت دمي أبغى رضاك به * والمال حتى أسل النعل من قدم
 ما كان ذلك سوى عارية رجعت * اليك لو لم تعدها كنت لم تلم
 وان سجده لك ما أوليت من نعم * اني الى اللوم أولى منك بالكرم
 فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذ منه وامر لبراهيم بجال وخلع
 عليه وقال يا ابراهيم ان ابا اسحق و ابا العباس اشارا بقتلك فقلت انهما انجحا لك
 يا أمير المؤمنين ولكن ابيت الا ما أنت أهله ودفعته عني ما خفت بمارجوت
 فقال المأمون قد مات حقدي عليك بحيات عذرك وعفوي عليك واعظم من
 عفوي عليك اني لم أجرك مرارا متنا النافعين ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع
 رأسه وقال يا ابراهيم اتدري لم سجدت فقلت شكر الله الذي أظفرك بعدوك
 وعدودك فقلت ما أردت هذا ولكن شكر الله على ما ألهمني من العفو عن
 مثلك فحدثني الآن حديثك فشرحت له صورة أمري وما جرى لي مع الحجام
 والجندي والمرأة والمولاة التي أسلمتني وأمر المأمون باحضارها وهي في دارها
 تنظر الحائرة فقال لها ما جلك ما فعلت مع انعامه عليك فقالت رغبة في
 المال فقال لها هـ لك من ولد أو زوج فقالت لا فأمر بضربها مائة سوط
 وخلدها في السجن ثم قال أحضروا الجندي و مرأته والمزني فأحضروا فسأل
 الجندي عن السب الذي جله على ما فعل فقال لرغبة في المال فقال المأمون
 أنت أولى أن ~~تكون~~ رجسا من أن تكون أولياتنا و وكل به من يلزمه
 الخلوس في دكار الحجج تعلم مجامه واستخدم زوجيه قهرمانة في قصره وقال
 هذه مرأه عادله ~~ب~~ تصح للمهمات ثم قال للحجام اقد ظهري من مروءتك ما يجب

معه المحافظة عليه وسلم اليه دار الجندی ودابته وخلع عليه وأثبته برزقه
 وزيادة ألف دينار في كل سنة ولم يزل بخير الى أن مات (الليلة السادسة)
 قال الأمير بدر الدين يوسف المهندر ابن الأمير سيف الدين أبي المعالي ابن رماح
 المعروف به - من دار العرب حكى لي الأمير شجاع الدين محمد الشرزي متولي
 القاهرة في الايام الكاملة سنة ثلاثين وستمائة قال بينما أنا عند رجل ببعض
 بلاد الصعيد فضيفناوا كرمنا وكان الرجل أسمر شديد العمرة وهو شيخ كبير
 وحضر له اولاد حسان فيهم صفاء لون فقلنا يا فلان هؤلاء اولادك بيض وأنت
 شديد العمرة فقال هؤلاء امهم فرنجية اخذتها في ايام الملك الناصر صلاح الدين
 وأنا شاب نوبة خطين فقلنا وكيف اخذتها فقال لها حديث عجيب فقلت
 أتعفنا به فقال زرعت كنا في هذه البلدة وقلعت ونقضته فانصرف عايه
 خمسمائة دينار فلم يجب أكثر من ذلك فاشير علي بحمله الى الشام فحملته فلم
 يجب أكثر من ذلك فقبل لي بعه صبرا لعله يرجع لك حق الطريق فبعته
 بعه صبرا الى ستة اشهر والبعض تركته عندي واكرت حانوتا يبيع فيه
 على مهل الى حين انقضاء الستة اشهر فيبئنا أنا يبيع وقد مرت بي امرأة فرنجية
 زوج بعض الخيالة ونساء الفرنج يمشون في الاسواق بالانقباف أنت تشترى مني
 كنا فראيت من جمالها ما أبهرني فبعته واسامحتها ثم انصرفت وعادت الى بعد
 أيام فبعته واسامحتها أكثر من الكرة الاولى فتكررت الى عندي وعلمت أنني
 أحبها فقلت للبحوز التي معها انني قد تعلقت بحبها فكيف تتحيلين لي فقالت لها
 ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو فقلت لها اذا ذهبت روجي
 باجتماعي بها ما هو كثير وحكت لي كلاما كثيرا جرى بينهما وانفق الحال على أن
 أدفع لها خمسين دينارا صورية وتجيئ اليه قال فوزنت خمسين دينارا صورية
 وسلمتها للبحوز فقالت هي لئام وضعك ونحن الالة عندك قال فضيت وجهزت
 ما قدرت عليه من ما كؤل ومشروب وشمع وحلوى وكانت دارى مطلة على البحر
 وكان الصيف ففرشت لي على سطح الدار وجاءت الفرنجية بأكلنا وشر بنارجن
 الليل فتمنا تحت السماء والقمر يضيئ علينا والنجوم تنظر في البحر فعلت في نفسي
 أما تسبحي من الله وأنت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصى الله مع
 نصرانية فتستهوجب عذاب النار وعذاب الدنيا اللهم اني أشهدك أي قد

عذفت عن هذه النصرانية في هذه الليلة حياء منك وخوفاً من عقابك ثم نمت
الى الصبح فقامت في السحر وهي غضبي ومضت ومضيت الى حانوتي فجلست
فيه واذا هي قد عسرت على هي والجوز وهي مغضبة وكأنها القمر فهلكت
وقلت في نفسي من مرأت حتى تترك هذه التجارية أنت التجنيب دأوا المرى
انسقطى ثم لحقت الجوز وقت ارجعي فقالت وحق المسيح ما ترجع اليك
الا بمائة دينار فقلت نعم وضيت الى حانوتي ووزنتها وجاءت الى ثاني دفعة
فلحقتني تلك الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها لله تعالى ثم مضت ومضيت
الى موضعي ثم عسرت على وكلمتني وكانت مستغربة وقالت وحق المسيح ما بقيت
تفرح بي عندك الا بثمان مائة دينار أو تموت كذا فارتعت لذلك وعزمت أني
أغرم ثمن الكنان جميعه وأفدى نفسي فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي معاشر
المسلمين ان المدينة التي يدنوا ويدينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين
الى جمعة ليقتضوا أمورهم ويصرفوا الى بلادهم فانقطعت عني وأخذت أنا في
تخصيل ثمن الكنان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه وأخذت معي بضاعة
حسنة وخرجت من عكا وأنا في قلبي من الفرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق
وبعت البضاعة التي لي بأوفي ثمن لا نقصاع وصولها بسبب فراغ المدينة ومن
الله سبحانه وتعالى على بكسب جيد وأخذت اتجرف في الجوارى عسى أن يذهب
ما بقي من الفرنجية ولا زمت التجارة فيهن فبقيت على ثلاث سنين وجرى للسلطان
الملك الناصر ما جرى من وقعة خطين وأخذ جميع الملوك وفتح بلاد الساحل
بأذن الله تعالى فطلب مني جارية للملك الناصر وكان عندي جارية حسنة
فاشتريت له بمائة دينار فواصلوا الى تسعين ديناراً وبقيت عشرة دنائير فلم يجدوها
في الخزانة ذلك اليوم لانه أنفق الاموال جميعها فشاورونه على ذلك فقال
امضوا به الى الخزانة التي فيها السبي من نساء الفرنج فبيروه في واحدة منهم
ياخذها بالمشرة دنائير التي له فأتيت الخزانة فنظرت اليها فعرفت التجارية
الفرنجية غريمي فقلت أعطوني ما بينك فأخذتها ومضيت الى خيمتي وقلت لها
أتعرفيني قالت لا فقلت أنا صاحبك التاجر في المكان الذي جرى له معك
ما جرى وأخذت مني الذهب وقلت ما بقيت تبصرني الا بثمان مائة دينار وقد
أخذت لك مائة دينار فقلت مديك أنا أشهد أن لا اله الا الله وان محمد

رسول الله فأسلت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضي
 فرحت الى ابن شداد وحكيت له ماجرى فمحب وعقد لي عليها وباتت تلك الليلة
 فحمت ثم دخل العسكر فأتينا الى دمشق فما كان الا شهو ورقلائل وأتى رسول
 الملك يطلب الاسارى والسبا يا باتفاق وقع بين الملوك فرد من كان أسيرا من
 الرجال والنساء ولم يبق الا امرأة الفارس التي عندي فسألوا عنها وأخوفا في السؤال
 والكشف فوشى بها أنها عندي فطلبت مني وحضرت وأنا في شدة وقد تغير لوني
 فقالت ما بدالك وما الذي أصابك قلت جاء رسول الملك وأخذوا الاسارى
 جميعهم وطلبوني فقالت لا بأس عليك أحضرنى اليهم وأنا أعرف الذي أقول
 لهم قال فأخذتها وأحضرتها أقدام السلطان الملك الناصر والرسول جالس عن
 يمينه فقلت هذه المرأة التي عندي فقال لها الملك والرسول تروحين الى بلادك
 أم الى زوجك فقد فك أسرك أنت وغيبك فقالت للسلطان أنا قد أسلمت
 وحملت وها بطنى كما ترونه وما بقيت الفرنج تتفع بي فقال لها الرسول بخبرها
 أيما أحب اليك هذا المسلم أم زوجك الفارس فلان فقالت له كما قالت
 للسلطان فقال الرسول لمن معك من الفرنج اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول خذ
 امرأتك وامض فوليت بها وقد أرسل الى عاجلا وقال ان أمها أرسلت لها مائة
 وديعة وقالت ان ابنتي أسيرة وهي عريانة شحنة واشتهى أن ترسل لها هذا
 الجسدان وتسلمه لها قال فتسلمت الجسدان ومضينا الى الدار ففتحت فوجدت
 قشاه بعينه وقد صرته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب الخمين ديناراً
 والمائة دينار كما بربطني لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهي تعيش وهي التي
 علمت هذا الطعام (الليلة السابعة) قصة أرياب بنت اسحق زوج عبد الله بن
 سلام القرشي وكان عبد الله بن سلام هذا واليسامع اوية على العراق وكانت
 أرياب هذه من أجل النساء وقتها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد بن
 معاوية قد سمع بجمالها وبما هي عليه من الادب وحسن الخلق وفتن بها
 فلما عيل صبره استهاج في ذلك مع أحد خصيان معاوية وكان ذلك الخصى خاصا
 بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شغفه بها وأنه ضاق ذرعه
 بأمرها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبعث له شأنه فقال معاوية
 مهلا يا يزيد قال له على م تأمرني بالهل وقد انقطع منها الامل قال له معاوية فأن

حجاج ومروءتك فقال له يزيد قد عيل الحجا ونقد الصبر ولو كان أحدينا يتفجع به
 من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به قال له اكتم يا بني
 أمرك فان البوح به غيبرنا فبك والله بالغ أمره فيك ولا بد مما هو كائن وكانت
 أريب بنت اسحق مثلا في أهل زمانها الجمال والتمام كمالها وشرقها وكثرة مالها
 فأخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه فيها فكتب معاوية إلى عبد الله
 ابن سلام وكان استعمله على العراق ان أقبل حين تنتظر كافي لا مرفيه حفظك
 ان شاء الله تعالى ولا تتأخر عنه وأجد السير وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو
 هريرة وأبو الدرداء صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه عبد الله
 ابن سلام الشام أمر معاوية ان ينزل منزلا قديما وأعد فيه منزلة ثم قال لابي هريرة
 وأبي الدرداء ان الله قد قسم بين عباده نعم ما أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم
 حفظها فخباني منها عز وجل بأتم الشرف وأفضل الذكروا وسع على رزقه
 وجهاني راعي خلقه وأمينه على بلاده والحاكم في أمر عباده ليبلوني أشكرهم
 أكفر وأول ما ينبغي للمرء ان يتفقد به ويتطرف به من استرعاه الله أمره ومن
 لا غنا به عنه وقد بلغت لي ابنة أريد انا كرها وأتطرف في تبجيل من يباعها لعل من
 يكون بعدى يقتدى بي في هديتي ويتبع فيه أثرى فانه قد بلى هذا الملك بعدى
 من يغلب عليه زهو الشيطان ويزينه الى تعطيل بناتهم ولا يرون لمن كفوا ولا
 نظيرا وقد رضيت لما عبد الله بن سلام القرشي لدينه وشرفه وفضله ومروءته
 وأدبه فقال أبو هريرة وأبو الدرداء ان أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها
 وطالب مرضاته فيما خصه منها انت انت صاحب رسول الله وكاتبه وصهره
 وقال معاوية فاذا كروا ذلك عني وقد كنت جعلت لها في نفسها شوري غير رأى
 لا رجوان لا تخرج من رأى ان شاء الله تعالى فخرج من عنده متوجهين الى منزل
 عبد الله بن سلام بالذي قال له معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا
 دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرض عليك أمر عبد الله بن سلام وانك كاحي
 اياك منه فاحرصي على المسارعة الى هواي وقولي له ما عبد الله بن سلام كفؤ
 كريم وقريب جيم غير ان تحته أريب بنت اسحق وأنا خاتمة ان يعرض لي من
 الغيرة ما يعرض للنساء فأنا له ما يسخط الله فيه فيعذبني عليه واستبغاة
 حتى يفارقها فلما ذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام وأعلماه

بالذي أمرهما معاوية فردهما الى معاوية خاطبه - بن منه فقال قد تعلمان
 رضاي به وحرصى عليه وقد كنت أعلمتكما الذي جعلت لها في نفسها من
 الشورى فادخلها عليها وأعرضا الذي رأيت لها عليها قد خلا عليها وأعلمها
 ذلك وأعلمها بالذي ارتضاه أبوها فقالت كالذي قال أبوها فأعلمها عبد الله
 ابن سلام بذلك فلما ظن انه لا يمنعهما منه الا افتراق أريب أنشدتهما على طلاقها
 وبعث بهما اليها خاطبين وأعلمهما معاوية الذي كان من فراق عبد الله بن سلام
 امرأته طالبارضاها فأظهر معاوية كراهيته لفعله وقال لهما ما أستحسن له طلاق
 امرأته ولا أحبته فاتصرفا في عافية ثم عودا اليها فها وناخذ ان شاء الله رضاها
 وكتب الى يزيد ابنه يعلم بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لاربيب بنت
 اسحق فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء الى معاوية أمرهما بالدخول على ابنته
 وسؤالها عن رضاها تبريا من الامر ونظرا في القدر ويقول لم يكن لي أن أكرهها
 وقد جعلت لها الشورى في نفسها فدخلوا وأعلمها بطلاق عبد الله امرأته
 ليسراها وذكر من فضله وعظام مروته وكريم محبته فقالت جف القلم بما هو
 كائن وانه في قرينش لرفيع القدر وقد تعرفنا ان التزويج جده جده وهزله
 جدوا لانه في الامور من لا يخاف فيها من المحذور فان الامور اذا جاءت خلاف
 الهوى بعد التاني فيها كان المرء فيها بحسن العذر خلية قلوبا بالصبر عليها حقيقا
 واني سأثله عنه حتى أعرف دخيلة خبره ويصح لي بالذي أريد علمه من أمره وان
 كنت أعلم أن لا اختيارا لاحد في ما هو كائن ومعلمتكما بالذي يرينه الله في أمره
 ولا قوة الا بالله قالوا وفقك الله وخارك ثم انصرفا عنها فلما أعلمها بقولها أنشأ
 يقول فان بك صدره - ذا اليوم ولي فان غدا لناظره قريب وتحدث الناس
 بالذي جرى من طلاق عبد الله بن سلام امرأته وخطبته ابنة معاوية وقالوا لم
 يطلق حتى فرغ من طلبه له الذي كان من بغيته واستحث عبد الله أبا هريرة
 وأبا الدرداء فأتياها فقالا لها اصنعي ما أنت صانعة واستخيري الله فانه يهدي
 من استهداه قالت أرجو والمحمد لله أن يكون الله قد خارفانه لا يكل الى غيره من
 توكل عليه وقد اخترت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد
 لانه سى مع اختلاف من استشرته فيه ففهم الناهي عنه والآخر به واختلافهم
 أول ما كرهت فلما بلغاه كلامها علم أنه مخدوع فان المرء وان كمل له حلمه واجتمع

له عقله واستبدرأيه ليس يدافع عن نفسه قدر ابرأى ولا كيد ولا عمل ما أسروا به
واستحلوا به لا يدوم لهم سروره ولا يصرف عنهم محذوره قال وذاع أمره وفشا
في الناس وقالوا خذ معه معاوية حتى تطلق امرأته وانما أرادها لابنه بنس
ما صنع فلما بلغ ذلك معاوية قال اعمرى ما خدعته فلما انقضت اقراءها
وجه معاوية أبا الدرداء الى العراق خاطبها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها
وبها يومئذ الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم ما فقال أبو الدرداء اذ
قدم العراق ما ينبغي لذي نهي أن يسد أبشئ ويؤثره على هم أمورهم قبل
زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة فادخلت موضعها وفيه وأدبت حقه
والسلام عليه انقابت الى ما جئت اليه فقصد الحسين فلما رآه الحسين عليه
السلام قام اليه وصاحفه اجمالا لاهجته من جده صلى الله عليه وسلم ولموضع من
الاسلام وقال له ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد
أريد بنت اسحاق فرأيت على حقا أن لا أبدأ بشئ قبل السلام عليك فشكره
الحسين ذلك وأثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها
اذا انقضت اقراءها فلم يمنعني من ذلك الا تخيرت لك فقد أتى الله بك فاخطب
رحمك الله على وعليه ليحبرى من اختاره الله لها وهي أمانة في عنقك حتى تؤديها
اليها وأعطاها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعلم ان شاء الله
فلما دخل عليها قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل
لكل امرئ قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مستخلص ولا
للمخرج عن علمه مستنص فكن ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله بن
السلام اياك وأهل بيتك لا يعيرك ويجعل الله فيك خيرا كثيرا وقد خطبك أمير
هذه الامة وابن ملوكها وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية
والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من أقربه من أمته
وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما جئتكم خاطبا
عليهما ما فاختارى أيهما شئت فسكت ماويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو كان هذا
الامر جاءني وأنت غائب لآتيتك فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم
أقتطعه وذلك فاما اذا كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمري بعد الله اليك

وجعلته في يدك فاخترني ارضاها مال ربك والله شاهد عليك فاقض في قصدي
 بالتحرى ولا يصدك عن ذلك اتباع هوى فليس أمره ما عليك خفيا ولا انت
 عما طوقت غيبا قال أبو الدرداء أيتها المرأة انما على اعلامك وعليك الاختيار
 لنفسك فقالت فما الله عنك انما أنا بنت أخيك ومن لا غنا لها عنك ولا يمنعك
 رهبة أحد من قول الحق فيما طوقت فقد وجب عليك أداء المائة فيما جلتك
 والله خير من روعي وحذف انه بن أخير لطيف فلما لم يجد بدا من القول والاستشارة
 قال يا بنيت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب اليك وأرضى عندي
 والله أعلم بخيرهما لك وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضع شفتيه
 على شفتي الحسين فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه
 قالت قد اخذت ورضيته فتزوجها الحسين بن علي عليهما السلام فساق لها
 مہرا عظيما وبلغ معاوية الذي كان من فعل أبي الدرداء في ذلك نكاح الحسين
 اياها فتم اظمه جدا واولاهه شديدا وقال من يرسل ذابله وعصى يركب خلاف
 ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها بديرات مملوئة
 ذهباً وكان ذلك أعظم ماله لديه وأحبه اليه وقد كان معاوية أطرحه وقطع عنه
 جميع روايته عنه فده أسوء قوله وتهمته انه خدعه فلم يزل يجفوه حتى عيل صبره
 وقل ما في يده ولا م نفسه على المقام لديه فرجع الى العراق وهو يذ كرماله
 الذي استودعه اياها ولا يدري كيف يصنع فيه وابن يصل اليه وهو يتوقع
 بخودها السوء فعلم بها ولانه طلقها على غير شيء أنكره عليها فلما قدم العراق لقي
 الحسين فسلم عليه ثم قال له قد عرفت ما كان من خبري وخبر أريب وكنت قبل
 فراق اياها قد استودعتهما لاعظيما وكان الذي كان ولم أقبضه ووالله ما انكرت
 منها في طول صحبتها فتبلا ولا أظن بها الا جيب لا فذا كرها أمرى وأحضضها على
 رد مالي علي فان الله يحسن عليه ذكرك ويحرك به أجرك فسكت عنه فلما
 انصرف الحسين الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو يحسن اليك
 ويحمل النشرك في حسن صحبتك وما أنسه قد يمان أمانتك فسرني ذلك
 وأعجبني وذكرا أنه كان استودعك ما لا فاد اليه أمانته وردى عليه ماله فانه لم
 يقل الا صدقا ولم يطلب الاحقاقا لصدق استودعني ما لا لأدري ما هو وانه
 لطبوع عليه بخاتمه ما حول منه شيء الى يومه وما هو ذا فافعه اليه بطابه فأثني

عليها الحسين خيرا وقال الا ادخله عليك حتى تبرئ اليه منه كما دفعه اليك ثم لقي
عبد الله فقال ما اذكرت مالك وزعت انه كما دفعته اليها بطابعك فادخل
يا هذا اليها وتوف مالك منها قال عبد الله او تأمر من يدفعه الي قال لا حتى
تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا أدته اليك فلما دخل عليها قال لها
الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطالب وديعته فأداليه أماتته فأخرجت
اليه البدر فوضعه متباين يديه وقالت هـ ذاك فشكل وأثنى وخرج الحسين
عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحشيها من ذلك وقال خذي فهذا قليل
منى فاستعبرا جميعا حتى عالت أصواتهما بالبكاء أسفا على ما ابتايا به فدخل
الحسين عليهما وقد رقا لهما الذي سمع منهما فقال اشهدا اني ثلاثا اللهم
قد تعلم اني لم أستكبحها رغبة في مالها ولا جسا لها ولكني أردت احلالها لبعليها
فطلعتها ولم يأخذ شيئا مما ساق لها في مهرها فسألتها عبد الله أن يصرف للحسين
مما ساق لها فأجابته شكر المصانعة بهما فلم يتقبله الحسين وقال الذي أرجوه من
الثواب خير لي فلما انقضت اقراؤها تزوجها عبد الله بن سلام وبقي الزوجين
متصافيين الى أن فرق الموت بينهما وحرما لله يزيدن معاوية نقلتهما من
تاريخ ابن بدران

* (الباب الحادي والعشرون في الشعراء الجيدين

وهو مقدمة ونتيجة) *

أقول لابد من مقدمة ياتفع بها الطالب لهذا العلم لتلايخ لو كتابنا من ذلك
الشعر قول موزون متقن بالقصد يدل على معنى والمعنى للشعر بمنزلة المسادة
واللفظ بمنزلة الصورة وهو يشتمل على أربعة أشياء لفظ ومعنى ووزن وقافية
وتهذيبه أن يكون اللفظ سمحا سهل المخارج حلو أعذب وتهذيب الوزن أن
يكون حسنا تقبله النفس والغريزة غير منكسر ولا مترحف وتهذيب القافية
أن تكون سلسة المخارج مألوفة فان القوافي حوافر الشعر وأن يقصد
الكلام الجزل دول الرذل ولا يعمل نظما ولا تراعى المال فان الكثير معه
قبيل والنحو أغربنا يبع واذار فقه بها جئت واذاعنف عليها مرجت وليترنم
بالشعر وقت عمله فانه يعين عليه وقد يتخيل الشاعر الشعر الجيد فيمكنه

مرة ولا يمكنه أخرى وإياك وتعميد المعاني واجعل المعنى الشريف في اللفظ
اللطيف لا يتلف أحدهما الآخر ومتى عصي الشعر فتركه ومتى طأوعك
فعاوده وروح الخاطر إذا كل واعمل في أحب المعاني إليك وفي كلامه وافقه
طبعك فالنفوس تعطى على الرغبة ولا تعطى على الاكراه واعمل الابيات
متفرقة على ما يجوده الخاطر ثم انظمها في الآخر وحصل المبدأ والمقطع
والخروج فهو أصعب ما في القصيدة فإذا فعلته سهل عليك وأشعرها أولاً وهذبها
آخرًا فقد قيل عن زهير أنه كان يعمل القصيدة في شهرين ويهذبها في حول ولذلك
سمى شعره المحول المنقح قال الخوارزمي من روى حواشي زهير وأعتادات
النابعة وأهاجي الخطيئة وهاشميات الكهيت وقلائص جرير وخريبات أبي
نواس وتشبيهات بن المعتز وزهريات أبي العتاهية ومراني أبي تمام ومدايح
البحري وروضيان الصنوبري وأحاث كشافهم ولم يخرج إلى الشعر فلاحب
الله قرنه وإذا نثرت منظوماً فغير قوافي شعره من قرائن سمعه وإذا سرفت
معنى فغير الوزن والقافية ليخفى ذلك وإذا أعدت شعراً فزد على معناه وانقص من
لفظه واحترز مما يطعن به عليك فبثنت تكون أحق من قائله به وإن لا يكاتب
العامة بكلام الخاصة ولا بالعكس وأكثرت حفظ النظم والترفع قدر
ما يحفظ منه يقوى فيه واعلم أن الشعر يسحق البخيل ويشجع الجبان ويفرج
الهموم ويرضى الغضببان وكذلك قالوا الشعر يعد من السحر وقال النبي صلى
الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا (وقال الشافعي) في
كتاب الام والشعر كلام كالكلام فخمنه بحسنه وقبحه كقبحه وفضله على
سائر الكلام أنه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه وإن كان حسنا كان
كثيره من الكلام الحسن انتهى (وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي في خطبة
ديوانه ويكفي من تفضيله أن النبي صلى الله عليه وسلم استنشد بعض الصحابة من
شعر أمية فأنشده مائة قافية وكانت الصدقة تحفظ لا يبداً إلى بيت واقية وكان
الشعبي يقول لو شئت أن أملى عليكم من أنشادي شهر الأعيديت لفعلت وكان
الأصمعي يحفظ اثني عشر ألف أرجوزة وما زال السلف يحفظون الشعر قديماً
ويتخذونه في الخلوات نديماً وينشدونه في مواطن المؤانسة ويوردون دقائمه
في ساعات المجالسة ولو أوردنا ما ورد في فضله من الآثار المسندة والأخبار

المهنة لوقف الناظر منها على حجم قوية ومحنة ضوية ولقد كان جماعة
من العلماء الراغبين والائمة الورعين لهم في صناعة الشعر الغاية وانتهاى في
الاجادة فيه الى النهاية يعرف ذلك من وقف على تراجمهم واحصاها وطالع
أخبارهم واستقصاها (وحدث) أحتوا في وجوه المداحين التراب فالمراد به
الغلو والاطراء واستقباح الممدوح المفرط كلاما وشعرا ونظما ونثرا ولا يختص ذلك
بالشعر وحده لما يخشى من افتتان سامعه عنده (وقال أبو بكر الهذلي) قال لي
الشعبي أنتحب الشعر قلت نعم قال انما تحب به فحول الرجال ويكرهه مؤثوهم
ثم ان الناظمين لارواح الالوية أفراد والطافرين بفرائده ذوو افراد
والسالكين للمناهج الفاصلية أضمرتهم البلاد والمقتفين لمنار السراج
والمتحلين بحلية الجمال قلات منهم الاعداد والمؤلفين لعقودها المتواتر
مدحها أجادوا بما اذعانهم وجها لمالهـم بالاشعار اشعار راماوا
الوصول الى معانيه اللطيفة بطباع كثيفة وحاولوا أسبابه الخفيفة بنفوس
ثقيلة وأسبابه الثقيلة بعقول خفيفة لا يظفروا أحدهم بأبيات أو تاده
وان كان في عتوه ذوالاوتاد ولا يتجملون من ملابسه بما يسترهم وان تعصبوا
أو نقبوا في البلاد ولا يجيبون من ألفاظهم اليابسة الا بما يقال لهم اذا
قطعوه جابوا الصخر بالواد فيقال لجيدهم اذا أتى بلفظ وزنه وأخلاه من
المعاني الحسنة اذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده فقل أنا وزان وما أنا
شاعر ثم ان منهم من يظفر بمعنى ولكن يقلبه تركيبا ويركبه مقلوبا ويأتي
بجمل غيره فيدق قد قلت في ذلك من قصيدة

وشاعرا المعاني لا شعوره * مركب الجهل يهدي سوء تركيب
موكل بمعانيه بحرسها * فإبرصت معنى غير مقلوب

فأولاه بأن يركب على نفسه مقلوبا ويضرب بأذنه على سوء الادب تأديبا
انتهى كلام القاضي برهان الدين (وقال) الشيخ الامام العالم المقتنى النحوي
العروضي القاضي زين الدين عمر بن الوردى في خطبة الكلام على مائة غلام
ولهمي ما أنصفني من ساءبي الظن أو قال عنى كيف رضى مع درجة العلم
وانتهى هـ هذا الفن فالصحابة كانوا يظلمون ويبتزون ونعوذ بالله من قوم
لا يشعرون (وقال أبو بكر النخوارزمي) في مدحهم ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود

الامتهم والكذب مذموم الاقيم اذا ذموا أثبتوا واذا مدحوا سلبوا واذا
رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا افتروا على أنفسهم
بالجائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم يد غنيم لا يصادر وفقيرهم لا يحقر
وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر وسهامهم تنفذ في الاعراض اذا ثبتت
سهامهم عند الاعراض وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سبيل ولم يشهد
عليها عدل سرقتم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وباعت ألف فنطار ان
باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صادروا الصديق لم يستوحش منهم بل
ما ظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل هم أمراء
الكلام يقصرون طويله ويقصرون مديده ويخففون ثقله (وقال الحسن
ابن سهل) لا تكسد صناعه الشعر الا في شر زمان وأخس سلطان (ومن
حبلهم) اللطيفة ما ذكره أبو الفتح كشاجم في كتابه المصايد والمطارده هو ان
بعض الملوك كان كثير الاشغال بالصييد منهم كافيه وكان بعض الشعراء
قصده فتعذر ما امله وحال بينه وبينه المحجوب لكثرة الفه بالصييد فدفعه الشاعر
الى رقاع لطاف وكتب فيه ما قاله من الشعر في مدحهم وصاد عنه من الطبا
والارانب والشعالب وشهدت لك الرقاع في اذنان بعضها وآذان بعض وراعى
خروجه الى الصييد فلما خرج كن له في مظانه ثم أطلقها فلما ظفر بها ورأى تلك
الرقاع استبدثر وزاد في استظراف الرجل واسهت لطفه وزاد في رعي ذمامه وأمر
بطالبيه فأحضر ونال منه خيرا كثيرا (وقريب) منها سأل رجل نخر الملك
وزير بني بويه حاجة وأمله فلم يعطه شيئا فضى الرجل الى القاضي واستدعى
على بن نباته الشاعر فلما جاءه الرسول قال والله ما لاحد على دين ولا يدينى وبين
أحد معاملة ولا محاكمة فن خصمى أحضره حتى أرضيه فلما جاء الرجل
قال ما حقك حتى أوفيك قال له أنت قلت في شعرك حيث مدحت نخر الملك
بقولك

لكل فتى قرين حين يعمو * ونخر الملك ليس له قرين
أنخ بجنابه وأنزل عليه * على حكم الرجا وأنا الضمين
فأنت قد ضمت لى ونزلت عليه فلم يفعل والضمين غارم فما أعطاني شيئا فقال
أمهاني حتى أصل اليه فلما دخل على نخر الملك أخبره بالقصة فقال له وكم أملت

منه فقال مائة دينار فقال ادفعوها اليه ثم قال لابن نبأته اذا مدحتني فلا تضح
عني (توفي ابن نبأته المذكور سنة خمس وأربع مائة ومولده سنة سبع وعشرين
وثلاث مائة) وقال نحر الترك أيضا المجرى بمدح السلطان الملك الصالح أيوب بن
السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل تغمدهم الله برحمته ويذكر بنيانه
للجزيرة المسماة بالروضة وجالوسه بالمقياس وأولها

الروض مقبل الشبيبة مؤنق * خضل يكاد عصارة يتدفق
وقد ذكرت أوائها في باب الروضات والبساتين ثم ذكرت منها الخبرات إلى
مبتدأ هذه الأبيات

أيه مدحى لانفصال قصيدة * يوم الرهان ولا محولك ضيق
هذام مقام الملك حيث تقول ما * تهوى وتطيب كيف شئت فتصدق
في حيث لا شرف الصفات بمعوذ * فيه ولا باب المدائح مطلق
ملك يلوذ الدين منه بمعقل * أسس سطاه سورة والمخندق
لوان سر الملك فيه مخنف * قامت شمائله عليه تنطق
هدأت بسيرته الرعية واغتردى * قلب الحود من المهابة يخفق
قالدين بعد تفرق متجمع * والكفر بعد تجمع متفرق
الصالح الملك الذي آياته * عقده جيد الزمان مطوق
عرق الرعية بمن دولته التي * فيهم تأكد عهدا والموثق
جعت كما اقترح الرجاء إلى الغنى * امنافق درزقوا الذي لم يرزقوا
فأله نعمد ثم أيوب الذي * أمن الغنى به وثرى المماق
تطل بهم عداته بسنائه * عشقا وقد ارحح مما يعشق
فيضمه ضم الحبيب ولو بها * يوم الوغى وهو العدو والازرق
آيات ملك معجزات كلها * ومدى اهتمامك ظاية لا يلحق
شيدت أبنية تركت حديثها * مثلا يغرب ذكره ويشرق
من كل شاهقة تطل تهبها * من هول مطالعها الكواكب تهق
ليس الرخام ملونا فكأنه * روعن يفوقه الربيع المغدق
واحتال في الذهب الصقيل شغوفه * فكأنه شفق الاصيل المشرق
يا حسنها والنيل مكتنف بها * كالسطر مشتعل عليه مهرق

فكأنما طرف إليه ناظر * وكأنه جفن عليه مطبق
واقاه مصطفاه عليه وجهه * فكأنما هو السرور مصفق
وتجاذبت أيدي الرياح رداؤه * عنه فظل رداؤه يتمزق
وسرى النسيم وراهن برفقه * فرقى الذي عذب الرياح يمزق
تلك المنازل لاحديث يفتري * عما سمعت ولا العراق وجلق
لله يوم كان فضلك باهرا * فيه ومنك جماله والرونق
يوم تحلى الدهر منه برونق * لما غدا المقياس وهو مخلاق
هو ثالث العبيد بين الأله * للهوايس على العبادة يطلق
جمعت لمشهده خلأثى فادرت * فيه رحيب البر وهو مضيق
وعلا عباب البحر من سباحه * أم ينص بها الفضاء ويشرق
كادت تبين لهم على صفحاته * طرق ولكن يعيقون وترتق
لم يمش مركوب بهم فنفسهم * حثوا النحاس كما نحت الأنيق
حفت جسمهم لفرط صباية * هزت اليك فاحشوا أن يغرقوا
وفدوا اليك موهين بأخذما * تعطى وأكثروا لهم أن يرمقوا
متجردين عن الخيط لانهم * حجاج بيتك غير أن لم يحلقوا
طافوا به سباعا على وجناتهم * سعيها وأرنخي ستره فتعلقوا
والناس شاخصة اليك عيونهم * كل يحدد طرفه ويصدق
ظمئت نفوسهم اليك فلم يكن * صدر يقربه فؤاد شيق
متطاعمين كما تطلع صائم * ليري هلال العبد له يرمق
حتى اذا قضيت مناسك كعبة المقياس وهي لكم عوائد سبق
وشكرت ربك في الزيادة طامعا * ولشاكر النعماء المزيد محقق
ومددت للتخاليق أكرم راحة * أخفى الخلوفا بطيها يتخلق
أقبلت تنظرك العيون فتنتني * حسرى وبلمحك الغلوب فتطرق
تمشى الهوى بنا قد علمت لك سكينه * كادت قلوب القوم منها تصفق
متوجا تاج الجلالة لا بسا * حلال الوقار وأنت فيها أليق
وقدامت على يديك هندا * غصن يروق النصر منه يبرق
حتى انتهيت إلى مقر كرامة * بالنيران مزخرف ومثق

بقلست حيث جلست منه بزيته * شرفا وطاف بك الملوك وأحدقوا
 كل بغض من المهابة طرفه * فتراه وهو لغير فكم طرق
 والنيل مضطرب الغوارب مزبد * صب اليك فؤاده متشوق
 لو يستطيع سعي فقبل راحة * هو في السماح بخلقها يتخلق
 فرأيت منك ومنه تجري رجة * يتبارزان كلاهما يتدفق
 أطعمتهم لما سقى فعليكما * رزق العباد كلا كما يسترزق
 لكن بينكما على ما فيكما * من نسبة في الجود فرقا يفرق
 تحصى الاصابيح جوده تحسابها * لكن حساب يداك ليس يحقق
 ويفيض ذا في كل عام مرة * وبحار جودك كل حين يدفق
 ويخص ذا قوما وجودك يستوى * فيه الانام مغرب وشرق
 ونذاك لامن يكدره وذا * بمن فهو لاجل ذاك مريق
 لما غدا المقياس مقسم راحة * يحيي الرعية فيضها المتدفق
 اكبرت أن تعلوا الملابس عطفه * فكسوته أنوار شمس تشرق
 انسانيه خلاقا جديدا مارأى * راء له شبيها ولا هو مخلق
 حرم الخلافة حله من ربه * ملك بمقلته الخلاق ترمق
 ذو عنيبين فللمنع معقل * صعب المرام وللمنع حوشق
 أخذ الوقار عن المشيب وربه * لكن عليه للشيبه رونق
 أيوان كبرى حيث شئت رأيته * منه وأدنى ما هناك خورنق
 حصن تمرد صنعه لا مارد * وعلا فعزمه لا الابلق
 دغنت به هرج الرياح فاجرت * في كرة الا بقلب يخفق
 وكأئنما هو في النجوم ملجج * وكأئنما هو في النجوم محلق
 هذا الذي أعي الملوك وجوده * من بعد ما حوا عليه وحلقوا
 أدركت بالنكبين مالم يدركوا * ورزقت بالتوفيق مالم يرزقوا
 فانقض وواترهم فالقضاء مسدد * والسعد مكتف وأنت موفق

(قال) شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبي الوفاء الموصلى الشهير بابن
 الخلاوى (مولده سنة ثلاث وستمائة ووفاته سنة ست وخمسين وستمائة) يبنى الملك
 الرحيم صاحب الموصل بدار بناها

(٢٢١)

يادارنال العـلا والمجد يا تيـك * حاشاك عما تمنيه أماريك
عدنا اليك على رغم العداة فكم * بتنا نبحث الاغاني في معانيك
وكم جلونا عروس الراح مشرقة * وكم خلونا بمن نختاره فيك
أصبحت بالعين للذات منزلة * فكل عين لمن عدالك تفديك

(قال) الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة يهني ببناء دار

ودار علت قدرا على الدور مثلاً * عـلاربها بالمكرمات على الوري
مطابقة الاوصاف أمانسيها * فصـح وأمامها فتكسرا
تكر رفيها النبات دهن اوروضه * فلهـ ما أحـلا نباتا مكررا
وشيد هارب الفضائل والندى * فيا حبذا دار القرا آت والقرا
تذكره دار النعيم بطيها * فيدعي بجنات النعيم كما ترى
لقد زادهـا في الحسن يوسف فاقتدت * تباع بمرآها القلوب وتشترى
(والمليح) في هذا المعنى قول أجمع السلي

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جلالها الايام
أجرى الامام عليه نهر منعما * أعطى القياد وما عليه زمام

(ومنها) في المديح وأجاد

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعتـه واذا غفا * سات عليه سـيـوفك الاحلام
(قلت) الشئ بالشئ يذكر وما أحسن ما ضمن هذه الايات الشيخ برهان الدين
الغبراطي رحة الله عليه وقال

ومشرف ان زاد تنريفـا * فقد خلعت عليه جلالها الايام
هو جامع للحسن الآنـه * قصر عليه تحية وسلام
وعلى العدى من نقشه وطروسه * رصدان ضوء الصبح والاظلام

(وقال) علي بن الجهم رحة الله عليه

وفيه ملك كأن النجو * م يقضي اليها بأسرها
تخر الملوكة لها سجدا * اذا ما تجلت لابصارها
وفوارة نارها في السماء فليست تقصر عن نارها
ترد على المزن ما أنزلت * على الارض من صور أقطارها

(ونقات) من كتاب رفع الحجب المنشورة على محاسن المقصورة من الجزء الاول
تأليف العلامة قاضي الجماعة بحظيرة غرناطة الشريف المرحوم والخطيب
بها أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسيني رحمه الله تعالى وهذا التأليف من
الجهائب المخترعة ألفه شرحا لمقصورة الامام الاوحد أبي الحسن حازم بن محمد بن
حسن بن حازم الانصاري العرطاحي نغمده الله بالرحمة (قلت) ذكر العلامة
لسان الدين محمد بن الخطيب في تاريخه المسمى بالاحاطة ان مولدا الشريف
الحسيني سنة سبع وتسعين وستمائة ووفاته سنة ستين وسبع مائة قال الشارح
ويتعاقب ذكره في ما ذكره أبو عبد الله بكر بن عباس كاتب المنصور أبي يوسف
يعقوب قال كان لابي بكر بن مجير عادة على المنصور في كل سنة فصادف المنصور
في إحدى وفادات فراغه من أحداث المقصورة التي كان أحد شهايبها معه
المتصل بقصره في حضرة مرا كش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع
مخروجه وتنخفض لدخوله وكان جميع من بيباب المنصور يومئذ من الشعراء
والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوها ياها في ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجربته
على الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى الى وصف
الحال حتى قام أبو بكر بن مجير فأنشده قصيدته التي أولها

أسلمتني ألقى عصا اليسا * رفي لاسة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألم يذ كر المقصورة فقال يصفها

طورات تكون بمن حوته محيطة * وكأنها سور من الاسوار

وتكون طوراعنهم نجية * فكأنها سر من الاسرار

وكانت علمت مقادير الوري * فتصرفت اهام على مقدار

فاذا أحست بالامام يزورها * في قومه قامت الى الزوار

تبدد وتبدد وتختفي بعده * ككون الهالات بالاقار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها (ومن لطيف) بداية الشعر بحضرة
ملوكهم ما ذكره القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتابه مسالك الابصار
في ترجمة مجير الدين بن تميم (سكى) ان الملك المنصور استدعاه في ليلة غفل رقيبها
وحضر ربيبها وسحبت من سود الذوائب ظفائرها وسحبت من بيض الايام
ضرثها الى بحاس مزخرف وفواكه لم تخرق وامامه جدول قد دخر ماء

فتكسر وان عليه كل بارق وتحسر والكؤوس دائره والشموس في أيدي
البدور سائر فلما رأى الجدول وقد أصابته من العين نظرة فتعثر وسقط
عقد اوثقه وتنثر نظرا اليه وقال رجة الله عليه

يا حسنه من جدول متدفق * يا هوى بروثق حسنه من أبصرا
مازات أبذره عيونا حوله * خوفا عليه ان يصاب فيعثر
فأنا وزاد تمسادي في جريه * حتى هوى من شاق فتسكرا
فسر المنصور بأبياته وأحب استطلاع أخباره وأمره بالجلوس اليه وجعله
أرفع القوم لديه ولم يستقر به المكان ولا فعد ولا استكان حتى تحرك
المجلس لغلام ورد كأنما يسم عن برد فقال له المنصور بصوت يخفيه ما تقول
فيه فقال

بأبي أضيف تبدي وحى * بابتسام عدمت منه اصطباري
فأراني بوجهه وثنايا * ونجوم طالع وسط النهار
فقال له سرا وقد أسفروا وجهه وتسرا الا انه شديد النفار من المدام وله قرع
بالملام فهل تقدر على استلانه وتسهيل بأسه واستهائته فسا قطع المقال
حتى التفت اليه بنعيم وقال

اتجبرها صرفا لاجل خاها * وذلك شئ لو جرى غير ضائر
فلا تخش من داء الخجاري وعاطها * هنيئا مرياء غير داء مخامر
(فكاد) الغلام يسطو عليه كالعائب وقال له كالعائب ما هذه فقال
صفراء لولاحت اشمس الضحى * من قبل أن تطلع لم تطلع
أحسن ما في وصفها أنها * لم تجتمع والهم في موضع
فقال بل أشرب خيرا منها وأدع المنهى عنها ثم انه أنى بركة فعب من ماثها وأرى
وجهه خيال قره في سماها فقال

أفدى الذي أهوى بفيه شاربيا * من بركة طابت وراقت مشربا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتنى القمر بن في وقت معا
ثم لم يزل به حتى شرب ولذمه ايلة وطرب فلما طلع ابن ذكاوانا الصبح وأضاء
شكره المنصور حل عقدة الغلام وقال مثلك من سحر بالكلام ثم أحسن له
البحاثة وغدا ابن تميم ويده لها جائزه (وحكى) عنه أنه استدعاه في صبيحة يوم أبيض

ونوبات ياتينه على الارض تنغص والثلج قد نثر كافوره والجليد قد كسر
بلوره والسحاب قد أصبحت ذبولها مجروره والبرق قد تلون طول ليلته حتى
أخرجها من صورة الى صورة وأواني الزجاج قد شقت من وراء مدامها والدنان
قد فلك عنها ختام قدامها ورجال الراح قد زادت في اقدامها والساقى بعدار
كأنما كتب بالريحان أو نسج بالزمردندت ألحان ومحت عذاره خيلان قد
خبأت مسكها فزاد تضوتا وكثر طيبه تنوتا قد تأرج نشرها وفاح وعلم
بنقطها في خده أنه قديم وصف التفاح فلما دخل عليه في بكرة ذلك اليوم الاغر
ورأى الدنيا ضاحكة تغتر أنشده

يا أيها الملك الذي بسطت له * بالجود كهدرها لم تقبض
ديالك مذوعدت بأنك لم تزل * في نعمة وسعادة لا تنقضي
كأن الدليل على وفاها أنها * أضحت تقابلنا بوجهه أبيض
فأبزل له الصلاه ولم تكن عوائده بمنفصله (ذكر) ابن ظافر في بدائع البداية أن
المعتدين عباد كان جالسا فرأى عليه بعض خطبائه في غلالة لا يكاد يفرق بينها
وبين جسمها فسكب عليها اناء ماء ورد فحبب من حسنها وجمالها فقال
وهو يتسأل به النفوس عزيزة * تحتال بين أسنة وبواتر
واستحان النحل وهو على الباب فقال

راقت محاسنها ورق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن في ورق الندى * يلتف في ورق الشباب الناضر
تبدى بماء الورد من برشعرها * كأطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وحسن حديثها * زهو المؤيد بالثناء العاطر
فلما قرأها استحسنها وقال له أو كنت معنا جالسا (وقال) محاسن الشوى
وحولك من كرامة الارض شوش * غلائلها الجواشن والدروع
قد اعتقلوا ذوائب كالافاعي * اذا اضطربت عواملها تروع
تلوك الجسم تحتهم جساد * سلاهب ما بها عطش وجوع
صدمت بهم فريق الترك حتى * تدمر ركن جههم المنيع
فكروا والصوام تستضاء * بأيديهم فعلقها النجيع
(وقال) الصليبي الداعي رحمه الله

(٢٢٥)

أنكحت بيض الهند سمروماحهم * فرؤسهم عوض النشار تشار
وكذا العسل لا يستباح نكاحها * إلا بحيث تطلق الأعمار

(وقال) ابن رشيقي الأزدي

لو أورقت من دم الإبطال سمرقنا * لا ورقت عنده سمرا القنا الذيل
إذا توجه في أولى كتابته * لم تفرق العين بين السهل والمجبل
فالجيش ينقض حواياه أسننه * نفض العقاب جناحيها من البلل
(السلامة) ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب (مولده سنة ثلاث عشرة
وسبعمائة وتوفي ثمانية وأربعين سنة خمس وسبعمائة)

لله موقفك الذي وثباته * وثباته مثل به يقتل
والخيل خط والمجال صمغة * والسمر تنقط والصورم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الأسل المثقف تعمل
لله قومك عند مستحجر القنا * اذ ثوب الداعي المهيب واقبلوا
قوم اذا الفج الهجير وجوههم * حجبا برأيات الجهاد وظلوا
وقال السيد الفاضل شمس الدين محمد بن صاحب موفق الدين الأمدى
وإذا سرى يلقى السنايك ضعف ما * يراه فوق الطروس من الجفا
مزاج كأس الراح من ماء الطبا * كما أسال من النجيع الفرقفا
كأس العجاج ترى الحكمة شخوصها * والبيض فوقهم حباب قد طفا
نخضب النجيع لكل سيف معهما * ولكل رمح أصبعها قد طرفا
(وقال) عبد العزيز بن نباتة

وولوا عليها يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
كتبنا بأطراف القنا الظهورهم * عيونها وقع السيوف حواجب
(وقال) الشهاب محمد بن إدراج الأشرف خليل بن قلاون

فصبتها بالجيش كالروض بهجة * صوارمه انهاره والقنا الزهر
وأبدعت بل كالبحر والبيض موجه * وحرد المذاكي سفن جودك الدر
وأغربت بل كالليل عوج سيوفه * أهلتها والنيل أنجمه الزهر
وأخطأت لابل كأنهار فشمسه * جيوشك والآصال رأياتك الصفر

(وقال) الأسعد بن مساتي يدح الظاهر غازي

أسكران نديم العدو غاز * وأسماء الملوك لها حلاها
 كأن العمر ريشها طوال * فكيف نفس بهن قد استقاها
 إذا اكتحلت عيون من عداة * بغير حيلة وجدت عماها
 وأطمع نفس أسمره وأضحى * يفتش عن نفوس ما خباها
 كأنك نخلتها سترت كينا * فتطعننا لتبصر ما وراها
 سل البيت المقدس عنه يخـ * برسورة فتحة لما تلاها
 محال الناقوس والصلبان عنه * وأثبت هل أتى فيه وطاها

وقال التهامي رجة الله عليه

ودحوا فوق الأرض أرضاً من دم * ثم أثبتوا فتنوا سماء غبار
 قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها * سمحاً مزررة على أقمار
 وترى سيوف الدارعين كأنها * تبحج تمديها أكف بحار
 حشوا الجياد من المطى وراوحوا * بين السروج هناك والا كوار
 وكأنما ملأوا عباب دروعهم * وعمود نصـ لهم شراب قفار
 (وقال) سبط بن الجوزي لما صالح الكامل الفرنج على دمياط وعابنوا الهلال
 أرسلوا إليه يطلبون الصلح والزمان ويسلمون دمياط فن حرس الكامل على
 خلاص دمياط منهم أجابهم ولوا أقاموا يومين أخذوهم برقابهم فبعث إليهم
 الكامل ابنه الصالح أيوب وابن أخيه شمس الملوك وجاءت ملوكهم إلى الكامل
 فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام ووصل المعظم والاشرف في تلك
 الحال إلى المنصورة وذلك في ثالث رجب سنة ثمان عشرة وستمئة فجلس
 الكامل في عيمة عظيمة كبيرة عالية ومد بها طاووا حضرم ملوك الافرنج والخيالة
 ووقف في خدمته اخوته المظـ والاشرف وغيرهم ما وقام شرف الدين راجح
 المحلى وأنشد

هنيأ فان السعد راح محلا * وقد أنجز الرجن بالنصر موعدا
 حبانا له الخلق فتحايد النسا * ميينا وانعسا وعزاما وبدا
 تهال وجهه الأرض بعد قطوبه * وأصبح وجهه الشوك بالظلم أسودا
 ولما طغى البحر الخضم بأهله * الطغاة وأضحى بالمرأ كبد من بدا
 أقام له هذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام مجردا

فلم ينج الاكل سلو مجندل * ثوى منهم اومن تراه مقيدا
ونادى لسان الكفر فى الارض رافعا * عقى رته فى الخافقين ومنشدا
اعباد عيسى ان عيسى وحبه * وموسى جميعا يخدمون محمدا
(وقال) الشيخ شهاب الدين ابوشامة بلغنى أنه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى
الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمدا الى الكامل وهذا
من أحسن الاتفاق (وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى فى شرح لامية البهم
أنشدنى من لفظه الشيخ الامام المحافظ العلامة أنير الدين أبوحيان محمد بن يوسف
قال أنشدنى من لفظه لنفسه بدر الدين أبوالمحاسن محمد بن يوسف المهندي فى
السلطان الملك الظاهر لما خاض الفرات

لوعاينت عينك يوم نزالنا * والخيل تطفح فى الهجاج الا كدر
وسنا الاسنة والضياء من الظبا * كشفا لا عيننا قتام العشير
وقد اطرخم الامر واحتدم الوغى * وهى الجبان وساء ظن المجتر
لرأيت سدا من حديد مائد * فوق الفرات وفوقه نار ترى
ظفرت وقد منع الفوارس ردها * تجرى ولولا خيلنا لم تشكرى
ورأيت سبل الخيل قد بلغ الربا * ومن الفوارس أبحرا فى البحر
لما سبقنا أسهم طاشت لنا * منهم الينا بالخيل الضمر
لم يفتحوا للرمي منهم أعينا * حتى كحلن بكل لدن أسمر
فتسابقوا هربا ولا كن ردهم * دون الهزيمة ربح كل غضنفر
ما كان أجرى خيلنا فى اثرهم * لولا انها برؤسهم لم تعثر
كم قد فلقنا صخرة من صرخة * ولكم ملائنا محجرا من محجر
ملاؤا الفضاء فعن قليل لم ندع * فوق البسبطة منهم من مخبر
سدت علينا طرقنا قتلاهم * حتى جئنا للكان الاوعر
مر كل أشهب خاض فى بحر الدما * حتى بدا لعيوننا كالاشقر
وجرت دماءهم على وجه اشرى * حتى جرت منها بحارى الانهر
والظاهر السلطان فى آثارهم * يدوى الرأس بكل غضب أبت
ذهب الهجاج مع النجيب بصقله * فكأنه فى غمده لم يشهر
(وقال) الاديب الفاضل الكامل الترحال جواب الاتفاق برهان الدين

ابراهيم الساحلي الشهير بالطوبخى المغربي ذكره العلامة اسان الدين ابن
الخطيب في الاحاطة وأثنى عليه الثناء البالغ وذكر ان وفاته سنة سبع مائة
وتسعة وثلاثين من قصيدة مطولة مدح بها أحد ملوك اليمن وأولها

خطرت كعباد القنا المتناظر * ورمت بألحاظ الغزال الاعفر

تسجى على الخد النقاب وانما * ترخى الغمام على الصباح المسفر

فتخال فوق الروض ظل أراك * وعلى ثرى الكافور صلة عنبر

وبلغ الصديق مطرز وجنة * زحفت عليه كائب ابن المنذر

من أمره زحفوا بعسكر تبع * وتقلدوا بعزائم الاسكندر

السائمين الرح من خلل الظبا * والنجم من طرف السنان الاور

والمطعمين الاسد من أمثالها * أسلاك مجندل ومعفر

والمخالعين على الزمان ملابسا * نظمت مفاخرهم كنظم الجواهر

سألوا أسنته الضحى يوم الوغى * فبعيد بها بالليل أين العنبر

وجياده بالعباديات وبيضه * بالقارصات وكفه بالكوثر

قابل برعبك جيش صدك تنثنى * واضرب بعزمك قبل سيفك تنصر

فرؤس من عاديت أغساد الظبا * ودماء من ناويت زى السمهرى

جرع عدوك فضل كأس قدسقى * منها أبوه فان أبى فليجب

أعمد ذؤابتة التى لم تستتر * وجمام مرزقة التى لم تقطر

أرسل عليه عقاب عزم صادق * يستاق روح لعامة المستبصر

مزق ثياب العز عنه ونخل فى * عطفه حاشية الرداء الاحمر

هذى قراعد ما كمدت الى * عليك جيد اللاتذ المستنصر

صائب يداها وقيل نصيره * فيها فطاقةها طلاق المعسر

أخذها اليمن محاجة در شاعر * غاصت اليك بأبحر لم تسجر

مرضى العيون كيلة اجفانها * ان لم تنر انسانها لم تبصر

وقف ابن أوس دونها وتخضبت * فى نسج حلتها كفى البحرى

واسحب ذبول العز فى أرض الندى * واركب ظهور الشهب يوم المفخر

واضرب رواق العز فى أرض العلى * وارفع سماك الفخر فوق المشتر

(روال) القاضى الفاضل نعمده الله برجته

أهـذه سـير في الجـسد أم سور * وهـذه أنـجم في السـماء أم غـرر
 وأنـخل أم بـحار والسـيوف لها * موج وافرندها في لجـها درر
 وأنت في الارض أم فوق السـماء في * يمينك البـحر أم في وجهك القمر
 يقبل البـدر تراباً أنت واطـئه * فلا تراب عليه ذلك الاثر
 نأى به المـلك حتى قيل ذامـلك * دنابه الجـود حتى قيل ذابـشر
 في كل يوم لنـساء من مـجده عـجب * وكل يوم لنـساء من ذكره مـهر
 نظرت في نـجمه فالسـماء طالعـه * لا يتقضى وعلى أمواله سـفر
 أبو الفـوارس والابـطال مشـفقه * وهـم بنوك فـما تبقي ولا تذر
 يلقى عـروس المنـايا وهى حـاسرة * ونـحدها فيه من فيض الدما حـفر
 والضـرب بالبـيض من آثاره عـكن * والطـعن بالـهمر من آثاره سـحر
 ورب لـيلة نـحطب قد سـريت بها * وما سـرى كوكـب فيها ولا قـمر
 سميت الغـويص بعزم ماله ضـجر * وابـع يد بـياع مابه قـصر
 وأنت في جـيش رأى لا غـبار له * ترمى العـداة بقوس مالها وتر
 هى المـحروب التى لا السـيف مثـلم * فيها ولا الذابـل اللـهظى يـنتظر
 فى كـعبة للنـدى لو حلها مـلك * هـب النطق حتى قيل ذا جـر
 وسائل لى ما العـليا فـقلت له * فى فعله النـخـير أو فى قوله النـخـير
 ما أنصفت مـجده نظام سـيرته * ان الذى سـتروا فوق الذى سـطروا
 نال المـمـا بأطراف القنا فـبـدت * من النـصول عليها أنـجم زهـر
 لا يـحدث النـصر فى أعـطافهم مـرحا * حتى كأنهم بالنـصر ماشـعروا
 أجروا دما العـدا بين الرماح فـا * يقال ما عندهم مـاء ولا شـجر
 ترى غـرائب من أفعـال مـجدهم * يردوها الفـكر لو لم يشـهد النـظر
 نـحـلا ثـق فى سـموات العـلا زهـر * من هاتـير وفى روض الثنا زهـر
 النـاس أضـيا فـكم والارض داركم * فهو المـقام فلم قالوا هو السـفر
 ما أنصف الشـكر لو لا ان تسامـحنا * فأنت تـظن بـجودا وهـو يـحتصر

(الباب الثانى والعشرون فى الخذاق المطربين) *

قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الطيبة فان النفس اذا حزنت

جسد نورها واذا سمعت ما يطربها وبصرها اشتعل منها ما نجد (وكان) حكمة
 الهند يدسمعون الغناء للريض ويرغمون أنه يخفف العلة ويقوى الطبيعة
 والغناء غذاء الارواح كما أن الاطعمة غذاء الاشباح (وقال) معاوية وقد
 سمع عندهم من فرك رأسه وصفق بيده ودخلته أريحته ثم لما تاب رأيه إليه
 اعتذر منه أن الكريم طروب ولا خير في من لا يطرب (وقال) أبو الحسن بن
 عقلة يحبني من يقول الشعر تأديلا لا تكسبا ويغني تطربا لا تطمأنا الشئ بالشئ
 يذكركمما أطف قول الشيخ برهان الدين البرطى من قصيدة

باني غنى ملاحه أشكوله * ففقرى فيصبح بالغنا يطرب

(وكان) مروان بن أبي حفصة اذا تغذى عند الموصلى يقول له الغناء غذاء
 الارواح كما أن الشراب غذاء الاشباح (يقال) السماع كالروح والنحر كالجسد
 والسرور ولدهما (اعلم) ان بين النحر والغناء مناسبة في أكثر الاحوال ومضارعة
 فيما يجتمعانه من محمود الخصال لان فيه ما يصير الجبان اذا سمعه شجاعا ومنه
 ما يكون للهـم دافعا ونعمة يبعث الشجعان على السجاء ومقابله سؤال السائل
 بالاعطاء وفيه ما ليس في النحر من الخصائص العجيبة الامر وذلك أن الرجل
 الواحد يغني له في طريقة فيأين خلقه ويغني له في غيرها فتظهر شراسته وترفه
 واذا سمع ضربا منه استنمره وذاع غنى بصوت آخر لم يمدن العواصف ان تنزه وفيه
 ما يبكي سامعه ولما زجة الاصوات الحسنة للارواح واهدائها الى القلوب
 طرائف الافراح كانت اليها ثم اذا سمعتها تحن اليها والطير شغف بها ويطرب
 عليها والابل يكسبها الحداثة ما يكسب الانسان الغناء والخيل والبغال
 والنحير تذبذب الماء اذا تواصل من ساقها الصغير والحجاة المطوقة والشحاريب
 والبلايل وانزازير وانهازر دساتات وغيرها من الطيور المستحسنة الاصوات
 تسمع أصواتها فيبين منها الطرب ذلك داعيها الى تكريرها ولاجل ذلك يتخذها
 الملوك في قصورهم ويجعل أمثال الناس كثير منهم في دورهم وان كانت
 أصواتها لا تدل على معنى رائق يعلم ولا تتضمن ما يعرب عنه الكلام الذي يفهم
 فساظنك بالالفاظ التي يسمعها السامع فيعيها ويفهم ما يفيد آياها من معانيها
 اذا أدركها لمنته من خصوص اصفاء الحاق والنعيمات المستحسنة وهذه العلة
 صار من يسمع غناء النحس يشرب من النيد عليه أزيد مما يحتمل حاله اذا لم يصغ

اليه ويستقرئ الكثير منه مع سماعه وان كان ينقل عليه قليلا اذا اخل من
استماعه وقد علم ان الصبي الطفل اذا اترعر خلفه واتصل بكأوه لوجع يناله
أو ضجر يجده وصوت له دأته بكلام تلحنه وتراجعه سكن قلقة أو سمع من
منومته مثل ذلك زال أرقه (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلي عيش الدنيا بعد
الحجة والشباب في الطلاء والغناء والنساء والآلات التي اتخذت للغناء بها
واستعملت على ترتيب أمكن معـه ان يظهر منها ما يظهر من الحيوان الذي
يرجع صوته بالحنان فان الحكة فيه ما يطوبه والمنافع المكتسبة منها جيلة
جسيمة والعود أجلاها خطرا وأحسنها في القلوب أثرا وقد كان داود عليه
السلام أحذق الناس بصوغ الالحان في تسميحه ويعرف الفاسد من ذلك من
صحيحه وبه كان يضرب المثل في حسن ايقاعه في عوده وارتياح القلوب لصوته
وتفريده وكان قبل افضاء الملك اليه واجتماع بني اسرائيل عليه يحضره
ملكهم طالوت اذ غلب عليه خلط ردي كان يعتريه فيأمره أن يوقع له بالعود
ويسمعه من أصواته ما يستلذه فيفعل فيسكن ما هاج به ولم ياصار الملك اليه نصب
من أعظم الحذاق بتلحين المزامير والتسبيح هائل العيدان والطنابير وغيرها
من الدفوف والطبول والصلصل وما يجري مجراها جماعة وكانت العدة التي
تحضر من هذه الطائفة عنده أربعة آلاف في كل ليلة ذكر ذلك جميعه الثعالي
في موائد الافراح وحدود الغناء أربعة لا يستغنى عن واحد منها وبها يتم وعابها
يبنى فأقلها النغم ثم تأليفه ثم قسمته ثم ايقاعه فما اشتمل من الشعر على هذه
الحدود فهو غناء وان نقص منه فلا يس بغناء (وذكر) اليونانيون ان الاوتار
الاربعة شبت بالطبائع الاربع وان الهم مشا كل للأرض والسوداء والمثلث
بالماء والمباغم والمثنى بالهواء والدم والزئزر بالنار وان النار كانت في
الطرف الاعلى في العالم والارض في الجهة السفلى منه جعل ما بين الهم والزئزر
كذلك وزعمت الاعاجم أنه مشتق من صرير باب الجنة وما قدم أحده من الاعم
على العود من الملهى الالماس جمع من الفضائل التي استبد بها وقصر سواه عن
الحذاق فيها والحنن ذق به في الغناء مقدم على كل حاذق (وذكر) ان عبد الملك أتى
بعرد قد أخذ مع شارب بالليل فقال وعنده قرص ما هذا ولاي شيء يصلح هذا وأي
شيء يعمل به فسكت جالساؤه فقال عبد الله بن مسعدة اقراري هذا عود يؤخذ

نخشيه فيشقق و برقق و ياصق ثم يعاق عليه هـ هذه الاوتار وتحر كها الجارية
الحسنة فينطق بأحسن من وقع القطر في البلدا القفر و امرأتى طالق ان لم يكن
كل من في هذا المجلس يعلم منه مثل ما علمت وأولهم أنت يا أمير المؤمنين قال
فتحك عبد الملك

(فصل) وينبغي أن يكون المغني جيل الخلق عاين الخلق له حلاوه وعليه طلاوه
مستعذب العبارة نظيف الشارب يحفظ كثيرا من الملح والانهيار والموادر
والاشعار وشيأ صالحا من علم الاعراب ما يختلط معه بذوى الآداب غير غام
ولامغتاب ولا فضولي ولا عتاب كامل الطرف بعيدا من الظنم وتوقيا للهجين
كثوما للأسرار مرتكبا طريق الأسرار ذورا ويحذره وبشرة تقيه وجوارح
سائلة من العيوب وشماثل يخفى بها على القلوب صناعاته معجبه وأغانيه
مطربة فمن اجتمعت فيه هذه الصفات والمناقب وسلم مما تقدم ذكره من المعائب
والمآل كان حقيقا من الملوك بالاختصاص ونحلي قامنهم بأن يشرفوه
بالاصطناع والاختصاص ومنهم من يكون حاذقا في صناعاته فيبلغ في احكامه
خاية استطاعته واجتمعت فيه الخلال الحميدة وعرف بالاخلاق السديده
غير انه لم يرزق صوتا يستعده ويحسن ممن يغني له موقعه فتصطفيه الملوك
لتعليم الغناء ممن يؤهلونه لذلك من الوظائف والاماء وتختلف أحوال الباقين
في أخلاقهم ونحليهم والمذهب من كل ذى علم وصناعه قليل وتعدد ما يوجد
من أخلاق الرجال بطول (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلي شر الغناء والشعر
الموسط لان الاعلى منهما بطرب والزل يضحك من صاحبه ويلهسى به والوسط
لا يطرب ولا يضحك (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة في شرح العيون ما صورته
ويقال ان أول من اتخذ العود الملك المتوشح على مثال نوح ابنه الميت وهو قول
ضعيف (وقيل) بطليموس (وقيل) بعض حكماء افرس وسماه البريط وتفسيره
باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة
كما تقدم ذكره (وذكر) ان أول من غنى على العود بألحان الفرس النضر بن
الحارث بن كادة وقد على كسرى بالحيرة فتم لم ضرب العود والغناء وقدم مكة
فعلم أهلها وأول من غنى في الاسلام بألحان الفرس سعيد بن مسبح وقيل طوليس
وذلك ان عبد الله بن الزبير لما وهى بناء الكعبة رفعها ووجد دبناءها وكان فيها

(٢٣٢)

صناع من الفرس يغنون بألحانهم فوق عليها ابن مسجج الغناء العربي ثم دخل الى الشام فأخذ عن ألحان الروم ثم رحل الى فارس فأخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدأه هذا العلم بيطليموس وختم بامحق بن ابراهيم الموصلى (وذكر) القاضي الرشيد بن ازيير في كتابه الجوائب والظرف أنه وجد لاسعد المرتضى أحمدين عبد الواحد لما قبض عليه المستنصر في سنة تسع وخسين وأربع مائة ما يجوز حدها لمصر أكثرته وجلالته وعلو همته وفيما وجد له عدلان كبيران أو تار ابرسم عبدان الغناء وعدلا مختروا مضارب العبدان وثلاثمائة طبل شبرى وغير ذلك من سائر أصناف الملاهي ووجد له هاون فضة وزنه سبعون رطلا

(فصل) فيما ورد لافضلاء في مدحهم قال الشيخ برهان الدين القيراطى
أقول اذ حبس عود مطرب حسن * يريك يوسف في أنغام داود
من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة

ومن بنائك يجرى الماء في العود
وقال أطاربنا العود الى أن غدا * مقاصنا برقص مع صحبه
فسمعهم قام على ساقه * وكأسه دار على كعبه
الشيء بالشيء يذكر أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ تقي الدين بن حجة الجوى فسمع
الله في أجله من قصيدة حربية

ان حبس عود الضرب مال سامعه * والتجمل برقصها ان حرك الوتر
(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

وشذا في أصفها * نبالا غاني المطربات
مسمع غنا فأغنا * بصفات الحسن ذات
قلت اذ حرك عودا * عارفا بالنعيمات
أنت مفتاح سرو * رى بأسه عيدا الحركات

(وقال) المرحوم فتح الدين بن الشهيد وقد أحضر له بدر الدين طائرا ينهى العواد
بسفارة الحاجب توكل

نهاري ليس كله بمنادم * على عودة تعرفوا الحشا بالتهفرك
وكنت أراه طائرا عزم طالبا * ولاكتنى حصلة تتوكل

(٢٣٤)

وأشددني من لفظه لنفسه اجازت سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد
المالكي المخزومي الشهير بالذماميني أسبغ الله ظلاله

يا عزولي في مغن مطرب * حرك الاوتار لما سغرا

لم تهز العطف منه طربا * عند ما يجمع منه وترا

(وقال) علاء الدين الوداعي في مغن بدعي القصيح

وليلة ما لها نظير * في الطيب لو ساعدت بطولي

كم نوبة للقصيح فيها * أطرب من نوبة الخليل

ومن برع في الامحان وعلمها أبو عامر محمد بن المجارة الغرناطي اشتهر عنه انه كان

يعمد الى الشعر فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عود اللغناء ويتنظم الشعر

و يلحنه ويغني به ومن شعره قوله

اذا ظن وكرى مقاني طائر الكرى * رأى هديها فارتاع خوفاً الجبائل

(ذكر) هذا الاديب نور الدين علي بن سعيد في كتابه المعرب في حلي المغرب

(وقال) سيف الدين المشد

ومطرب قد رأيته في أنامله * سبابة لسرور النفس أهلها

كأنه عاشق وافت حبيته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال محي الدين بن قرناص

مشيب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ أحيانا

هويت تشبهاً من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

(وقال) محي الدين بن عبد الظاهر

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندنا وتترجم

سكتنا وقات للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

(وقال) الشيخ بدر الدين ابن الصاحب

أطربنا مشيب من غير جعل سأل * بأحسن موصول له لم يفته قرأ الى صله

(وظرف) في قوله أيضاً وان لم يكن في المعنى

يا مهدي الاقصاب من سكر * صفرا حكي سمر التناطولها

أيالك أن تقطعها ساعة * فأطيب الاقصاب بوصولها

(ومن) ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

اصغ لما قال أحور فهنا * ونحل قبل اليوم ما قبلنا
واسمع مقاطيعنا أطربت * فلا تقل الاموا صيلا
وقال ابراهيم المعمار

ومشيب أبدى لنا * قولاً بنغمته الشهية
متعانم فكأنه * متكام بالفارسية
(وقال) زين الدين بن عبد الله مضمنا

وناشحة صفراء تنطق عن هوى * فتعرب عسا في الضمير وتخب
براهما الهوى والوجد حتى أعادها * أنا يب في أجوافها الريح تصفر
(وقال) صلاح الدين الصفدي

لى مطرب كملت جميع صفاته * متأدب المحركات والتسكين
فاذا دعاه لمجلس حرفاؤه * يأتي ويجلس فيه بالقانون
(وقال) فتح الدين بن الشهيد

غنى على القانون حتى غدا * من طرب به - ترعطف المجلس
فحنت الارواح من شدوه * الى أنيس ياله من أنيس
داوى قلوبا من غليل الاسى * وكان فيه حوله رسيس
فصاحت المجلس بحابه * يا صاحب القانون أنت الرئيس
(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدي أنشدنى القاضى جمال الدين عبد القاهر
التبريزى لنفسه ما غزا فى الشبابة

وناطقة بأفواه ثمان * تميل بعقل ذى اللب العفيف
لكل فم لسان مستعان * يخالف بين تقطيع الحروف
يخطبنا بلفظ لا يعيه * سوى من كان ذا طبع لطيف
فصيحة عاشق ونديم راع * وعزه موكب ومدام صوف
(وقال) الشيخ علاء الدين على بن أيك من لفظه لنفسه فى مغن معذر (توفى
المذكور سنة احدى وثمان مائة)

منم العارض غنى لنا * أشياء بالسمع حلاذوقها
كأنما فى فيه قرية * تشدو ومن عارضه طوقها
(بادرة) شهد على امرأة أربعة بالزنا وكان فيهم مغن فقال له الوالى بما تشهد قال

أشهد أني رأيت قدر رفع رجاها مثل البنجك وبحر حتى كأنه يغنى وجعل مضرا به
على التمجيد وأسته ترقص ولا أدري أتم الصوت أم لا

(فصل) فيما ورد في ذم الغناء كتب البديع الهـ. هـذاني إلى تلميذه توفي أبوه
وخاف له مالا يا مولاي ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه
العاقل فقرا وذلك الخارج من النأي هو في الأذان زمر وغدا في الأبواب سمر
والعمر مع هذه الآلات ساءه والقنطار في هذا العمل بضاعة وطالب بعض
المغنيين جائزة من بعض المحصلين فقال له المملوك اعلم أن المال روح والغناء
ريح ولست اشتري الريح بالروح وما ورد من النظم في ذم المتحلفين من أهلها
(حكى) بعضهم أن بعض الفلاسغة خرج مع تلميذه فسمع صوت عود فقال لتلميذه
امض بنا إلى هـذا المغني اعلمه يفيدنا صورة شريفة فلما قربا منه سمعا صوتا رديئا
وتألفا غير متقن فقال لتلميذه تزعم أهل الكهانة والزجر أن صوت البومة يدل
على موت الإنسان فإن كان ذلك حقا فصوت هـذا يدل على موت البومة
ولبعضهم يحج ومغنيا

كنت في مجلس فقال مغن الـ قوم كم بيننا وبين الشتاء
فشبرت البساط مني إليه * قلت هذا المقدار قبل الغناء
ولبعضهم يذم صوت مغن

انك لو أصغيت يوما إلى * الحانة تلك المقادير
لخلت في الحلق أمرا حالسا * يعرك أذان السنانير
ولا تخفى المعنى قال

انك لو سمعت الحانة * تلك اللواتي ليس يعدها
شعرا * بل نومه * وسوسا يخفق معتوها

ومعنى

ومعنى أن تعسى * أوسع الله زمانهما
أحسن القيمان حالا * كل من كان أصم

(يقال) انصبي الخياط

وذا تربع مع ذات ربع يودها * وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكان حريبا ان ذببة كاهها * في عوده يقرضن خزانها

(وقال) آخر وأجاد

قلت اذغني عراقا * ليتناقى أصفهاني

(وقال) آخر

غني أبو الفضل فقلنا له * سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شرب * فاشرب فانت اليوم في حد

(وقال) آخر وأجاد

ومغني يتغني * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتا * فأبى ذلك وغني
فشتناه فغني * فاشتقى القواد منا

(وقال) آخر في مغن بالرباب

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ في كل الامور مهذب
طورا يغني بالرباب وتارة * يأتي على يده الرباب وزينب

(وقال) سيف الدين المشدي سجوعوا دا

عوادنا قد طمست عينه * فصار بالتخفيف قوادا
ماعاد الا لقياداته * لاجل ذا أصبح قواداقلت وان كان صل له عي فأحسن وأنشدني المرحوم فخر الدين بن مكانس قال
أنشدني من لفظه لنفسه صاحبنا شمس الدين محمد الواسطي يسجوعوا دا وزامرا
شبهت ذا العواد والزامراذ * ضاقت علينا بهم المناهج
يعقوب يضرب وهو ساكت * وأرقم يتفخ وهو خارجولا بأس بإيراد نبذة من حكايات الخذاق في الغناء (قال) اسحق بن ابراهيم
الموصلي بعث الى الأمون يوما وبين يديه ثمانية عشر مغنية تسع عن يمينه وتسع
عن شماله وعند ابراهيم ابن المهدي فقال كيف تسمع يا اسحق فقلت اسمع
يا أمير المؤمنين خطأ فقال لابراهيم ما تقول يا عم فيما قال قال باطل ما ههنا خطأ
ولا كنه يريد أن يتزيد عندك فقلت له أنا أذن لي أن أقفه على الخطأ وأناظره فيه
قال نعم قلت على أنه سيدي وأنا عبده أو على الانصاف قال بل على الانصاف
قلت يؤمرون الجوارى أن يغنين الصوت الذي غنينه أولا فغنين ثم قلت له
أفهمت الخطأ قال لا قلت فاني ألقى عنك الانصاف والخطأ في التسع البراق

اللاواقي عن الجانب الايسر قال فتفهم وقال ما اسمع خطأ قلت فاني اخفف عنك
ايضا هؤلاء الاربعة الاواخر فاجتهد في التفهم وقال ما ههنا خطأ قلت فانه في آخر
الجواري كلهن فتفهم فلم يقف عليه فقلت للجارية اضربي وحدك وامسكن
البواقي وغنت فقلت ماترى فقال بل الخطأ ههنا فقال المأمون احسنت
فيهم الخطأ بين اثنين وسبعين وترا ولم تفهمه أنت الامن أربعة (وقال) أجابني
المرزبان حدثني بعض كتاب السلطان ان الرشيد ذهب ليلة من نومه فدعا بحمار
كان يركبه في القصر أسود فركبه وخرج في دراعة متلما بعمامة متلما بازار
وشى وبين يديه أربع مائة خادم سود سوى الفراشين وكان مسرورا لعوفاني
جرثا عليه لمكانة كانت له عنده فلما خرج من باب القصر قال له ابن تريد
يا أمير المؤمنين في هذه الساعة قال أردت منزل ابراهيم الموصلي قال مسرور
فضيت معه حتى انتهى الى منزل الموصلي فخرج فتلقاها وقبل حافر جاره وقال له
يا أمير المؤمنين افي مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرفك بي ثم نزل في
طرف الايوان وأجلس ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدي أريد شيئا أكله
قال نعم (حاميرطى) فأقنى به كأنما كان معه داله فأصاب منه شيئا يسيرا ثم دعا
بشراب جل معه فقال الموصلي يا سيدي أغنيك أم تغنيك اماؤك فقال بل
الجواري فخرجن جواري ابراهيم فأخذن صدر الايوان وجانيه فقال
أيضرين كلهن أم واحدة واحدة فقال بل يضرب اثنتان اثنتان وتغني واحدة
واحدة ففعل ذلك حتى مرت صدر الايوان وأخذ جانيه والرشيد يسمع ولا ينصت
لشي من غنائهن الى أن غنته صديقة من حاشية الصفة

يامورى الزند قد أعيت قوادحه * أقبس اذا شئت من قلبي بمقباسي
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم * اذا نظرت فلم أبصر في الناس
(قال) فطرب اغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب أرطالا وسأل الجارية عن
صائغته فأمسكت فاستدناها فتقاعست فأمر بها فأقيمت بين يديه فأخبرته
بشيئ اسرته اليه فدعى بحماره فركبه وانصرف ثم التفت الى ابراهيم وقال له
ماضرك الا ان تكون خليفة فكادت نفسه تخرج حتى دعا به بعد ذلك وأدناه قال
وكان الذي أخبرته ان الصنعة في الصوت لا ختمه عالية وكانت الجارية لها فوجتها
الى ابراهيم بطارحها عندها كانته عندها قال قال لي الرشيد يا ابراهيم بكر حتى

نصطح فقلت أنا والصبح فرسي رهان نستبق الى حضرتك فبكرت فاذا انا به
خال وبين يديه جارية كأنها خوطبان أوجدل عنان حلوة المنظر فغنت في
شعر لابي نواس

توهمه طرفي فأصبح خداه * وفيه مكان الوهم من نظري أثر
ومر بفكري خاطر فخر حته * ولم أرجس ساقط يحرحه الفكر
وصاحفه كفي فأن لم كفه * فن غمز كفي أنا له عقر
(قال) ابراهيم فذهبت والله بعقلي حتى كدت أفتضح فقلت من هذه يا أمير
المؤمنين قال هذه الذي يقول فيها الشاعر

لهما قلبي الغداة وقلبي الى * فنحن كذلك في جسد ين روح

ثم قال له اغني فغنت

تقول غداة اليين احدي نسايم * لي الكبد الحرف فسر ولك الصبر
وقد خنقتها عيرة قدموعها * على خدما بيض وفي نحرها صفر
(قال) فشرب وسقاها وقال غن يا ابراهيم فغنيت حسب ما في قلبي غير متحفظ
من شيء

تشرب قلبي حبها ومشى به * تمشي حيا الكأس في جسم شارب
ودب هواها في عظامي فشقها * كدب في الملسوع سم العقارب
(قال) فقطن لتعريضى فكانت جهلة منى فأمرني بالانصراف ولم يدعني شهرا
ولا حضرت مجاسه فلما أن مضى شهر دس الى خادمه رقة مكتوب فيها
قد تخوفت ان أموت من الوجع - - - ولم يدر من هو بيت بماني
يا كاتبي أقرى السلام على من * لا يسمي وقل له يا كاتبي
كف صب اليكم كتبتي * فارحوا كاتبي وردوا جوابي
ان كفا اليكم كتبتي * كفا صب فؤاده في عذاب

فأتاني الخادم بالرقعة فقلت ما هذه فقال رقة فلانة الجارية التي غنتك بين
يدي أمير المؤمنين فأحسست بالقصة فشتت الخادم ووثبت عليه وضربت به ضربا
شغيت به نفسي وغيظي وركبت الى الرشيد من فوري فأخبرته بالقصة وأعطيته
الرقعة فضحك حتى كاد يستلقي ثم قال على عمد فعلت ذلك بك لامتحن مذهبك
وطريقتك ثم دعا بالخادم فلما رأي قال لي قطع الله يديك ورجليك ويالك

قتلتني فقلت القتل والله كان بعض حقك ولكني رجعت وأخبرت أمير المؤمنين حتى يأتي في عقوبتك بما تستحقه فأمرني بصلاة سنية والله يعلم أني ما فعلت ذلك عفا فالكن خوفا (قلت) وقريب من هذا الحكاية ما نقلته من خط الشيخ بدر الدين البشتكي سلمه الله تعالى وهو ان الوزير ابو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن عمر بن عيسى بن محمد بن شهيد كان أهدي له غلاما من النصارى لا تقع العيون على شبهه فلهجه الناصر فقال أني لك هذا قال هو من عند الله فقال تخفوناي بالبحر وتستأثرون بالقمر فاستعذر واحتفل في هدية بعثها له مع الغلام وقال يا بني كن من جملة ما بعثت به ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي وكتب معه

أمولاي هذا البدر سار لا فقكم * وللافق أولى بالبدور من الارض
أرضيكم بالنفس وهي نفيسة * ولم أرى قبلي من بهجتته مرض
فحسن ذلك عند الملك وأتبعه بمال بخريل وتمكنت عنده مكاتته ثم انه بعد ذلك
أهديت اليه جارية من أجل نساء الدنيا فخاف ان ينفي ذلك الى الناصر فيطلبها
فتكون قضية الغلام فاحتفل في هدية أعظم من الاولى وبعثها معها اليه
وكتب له

أمولاي هذي الشمس والبدر أولا * تقدم كيما يلتقي القمران
قران لعمرى بالسعادة ناطق * فقدم منهما في كوثر وجنان
فألهما والله في الحسن ثالث * ولالك في ملك البرية ثاني
فتضاءفت مكاتته عليه ثم ان أحد الوشاة رفع للملك انه بقي في نفسه من الغلام
حرارة وانه لا يزال يذكره حين تحركه الشمول ويقرع السن على تعذر الوصول
فقال لاواشى بذلك لا تحرك به لسانك والاطار رأسك وأعمل الملك الحيلة في ان
كتب على لسان الغلام رقعة منها يا مولاي تعلم انك كنت لي على انفراد ولم أزل
سباك في زعيم وأنا وان كنت عذرا لخليفة مشارا في المنزلة مجاوز ما يبدون سطوة
الملك فتحييل في أسنن طاني منه وبعثها له مع غلام صغير السن وأوصاه ان يقول له
شي من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف أبو عامر
على أن يستنصر الخادم فعلم في سؤاله ما كان في نفسه من الغلام وما تكلم به
في مجالس المدام وكتب على ظهر الرقعة ولم يزد حرفا

أمن بعد احكام التجارب ينبغي * لدى سقوط العير في غابة الاسد
وما أنا من يغلب الحب عقله * ولا جاهل ما يدعيه أولوا الحسد
فان كنت روي قد وهبتك طائعا * وكيف ترد الروح ان فارق الجسد
فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واشبه
ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلي بالهوى
غير مشترك * عن اسحق عن أبيه قال استأذنت الرشيد ان يهب لي يوما من أيام
الجمعة لانبعث فيه بجواري واخواني فأذن لي في يوم السبت وقال يوم أستثقله فأت
فيه بما شئت قال فأقت يوم السبت بمنزلي وتقدمت في اصلاح طعامي وشراي
بما احتجت اليه وأمرت بوابي باغلاق الابواب وتقدمت اليه في أن لا يأذن
لاحد علي فبينما أنا في مجلس والحرم قد حففن بي يترددون بين يدي اذا أنا بشيخ
ذو هبة وجمال عليه خفان قصيران وقيصان ناعمان وعلى رأسه قلنسوة لاطية
ويده عكازة مقيمة بفضة وروايح الطيب تغوح منه حتى ملأت الدار والرواق
فدخلاني لدخوله علي مع ما تقدمت به غيظ عظيم وهممت بطرد بوابي ومن
يحجبني لاجله فسلم علي أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس بجلوس وأخذ
بي في أحاديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن ما بي من الغضب وظننت
أن غلمانا تحرروا مسرتي بأذخال مثله علي لادبه وظرفه فقلت له هل لك في
الطعام فقال لا حاجة لي فيه فقلت هل لك في الشراب قال ذلك اليك فشربت
وطلا فسقيته مثله فقال يا أبا اسحق هل لك ان تغني لنا شيئا فنسمع من صنعتك
ما قد فقت به عند الخاص والعام فغاطني قوله ثم سهلت الامر علي نفسي
وأخذت العود فخبسته ثم ضربت وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فازددت
غيظا وقات مارضي بما فعله في دخوله بغير اذن واقتراحه علي أغنيته حتى سمعاني
ولم يجعل مخاطبتي ثم قال هل لك ان تزيدنا فنقدمت وأخذت العود وغنيت
وتحفظت وقت بما غنيته قياما تاما لقوله لي كافئك فطرب وقال أحسنت
يا سيدي وأوتق عددي ثم قال أتأذن لعبدك في الغناء فقلت شأنك واستضعفت
عقله في أن يغني بحضوري بعدما سمعته مني فأخذ العود وحبسه فوالله لقد دخلت
إليه ينطق بالسان عربي وان دفع يغني

ولي كبد مفرودة من يديني * بها كبد اليست بذات قروح

أراها على الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذاعة بهي
 أن من الشوق الذي في جوانحي * أنين غصيص بالشراب جريح
 قال إبراهيم فوالله لقد ظننت الحيطان والأبواب وكلما في البيت يحببه ويغني
 عنه من حسن غنائه حتى خلت والله أني أسمع أعضائي وثيابي تجاوبه وبقيت
 مهوتة لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبي ثم غنى

ألا يا جامات اللوى عدن عودة * فاني إلى أصواتك خزين
 فعدن فلما عدن كدن عمتني * وكدت بأسرارهن أبين
 دعون بترداد الله دبر كأنما * شربن جيبا أو بهن جنون
 فلم تر عيني مثلهن جامعا * بكين ولم تدمع لهن عيون
 فكاد عقلي أن يذهب طربا ثم غنى شعرا يزيد بن الطثريه

ألا يا صبا نجد متى هجيت من نجد * فقد زادتني مسراك وجداء على وجد
 أن تهتفت ورقاء في رواق الضحى * على غصن غصن النبات من البرد
 بكيت كما به كي الحزين صبا به * وذبت من الحزن المبرح والجهد
 وقد زعموا أن الحب إذا نأى * يمل وان النائي يشقى من الوجد
 بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد
 ثم قال يا إبراهيم هذا الغناء المأخوذ مني وأنت نحوه في غنائك وعلمه جواريك
 فقلت أعدده على فقال لست تحتاج قد أخذته وفرغت منه ثم غاب من بين عيني
 فارتعت وقت إلى السيف فجردته ثم غدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقة
 فقلت للجواري أي شيء سمعتن عندي فقلن سمعن أحسن غناء ما سمع بمثله قط
 فخرجت متعيرة إلى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال أي
 شيخ والله ما دخل اليوم إليك أحد فرجع لا تأمل أمري فاذا هو قد هتف من
 بعض جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا أبا اسحق أنا إبليس وأنا كنت نديك
 اليوم فلا ترع فركبت إلى الرشيد وأظرفته بالمحدث فقال لي ويحك اعتبر
 الأصوات التي أخذتها فأخذت العود فاذا هي راسخة في صدرى فطرب
 الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشرب وأمر لي بصالة جريلة قال
 وكان الشيخ أعلم بما قال أنك قد أخذتها وفرغت منها فليته أمة عنانته يوما
 واحدا كما أمتك قال أبو الفرج الأصم هاني هكذا حدثنا ابن أبي الأزهر لهذا

الخبر وما أدري ما أقول فيه * عن المدايني قال قال ابراهيم الموصلي قال لي
 الرشيد يوما يا ابراهيم اني قد جعلت غدا للحرم وليمة للشرب مع الرجال
 واقتصرت من المغنين عليك فلا تشتغل غدا بشئ ولا تشرب نبيذا وكن بحضرتي
 في وقت العشاء الاخرة فقلت السمع والطاعة لامير المؤمنين فقال وحق أبي
 ان تأخرت أو اعتلت بشئ لا ضربن عنقك قلت نعم يا أمير المؤمنين وخرجت فما
 جاءني من أحدا الا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لا حد حتى اذا صليت المغرب
 ركبت قاصدا اليه فلما قربت من داره مررت بفناء قصر واذا زنبيل كبير
 مستوثق منه بحبال وأربع عري ادم قد دلى من القصر وجارية قائمة تنتظر
 انسانا قد وعد لي جاس فيه فنارعتني نفسي الى الجلاس فيه ثم قالت هذا خطأ
 فلعنه ان يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك فلم أزل أنازع نفسي
 حتى غلبتني فجلست في الزنبيل فرفع حتى صار في أعلا القصر ثم خرجت فنزلت
 فاذا جوار كأنهن أقمار جلوس فضحكن وطربن وقلن قد جاء والله فلما رأينني
 من قريب تبادرن الى الحجاب وقلن يا عدو الله ما أدخلك الينا فقلت يا عدوات
 الله الذي أردتن ادخاله خير مني ولم كان أولى مني ولم يزل ذلك دأبرا وهن
 يضحكن وأضحكن معهن فقالت احداهن أما من أردتن فقد دفات وما هذا
 الا ظريف فهان نعاشره معاشرة جميلة فأخرج الى طعام ولم يكن في فضل الا
 اني كرهت أن أنسب الى سوء العشرة فأصبت منه ثم جئى بالبيذ وجعلت أشرب
 وأخرجن ثلاث جوارهن فغنين غناء حسنا فغنت احداهن صوتا معبدا فقالت
 احدى الثلاث من وراء الستر أحسن ابراهيم هذاله فقلت كذبت هذا المعبد
 فقالت يا فاسق وما يدريك الغناء ما هو ثم غنت الاخرى صوتا للغريض فقالت
 تلك أحسن ابراهيم هذاله أيضا فقلت كذبت يا خبيثة هذا للغريض فقالت
 اللهم اخزويلك ما يدريك ثم غنت الجارية صوتا لي فقالت تلك هذالشريح
 وأحس فقلت كذبت هذالابراهيم وأنت تنسبين غناء الناس اليه وغناءه
 اليهم فقالت وما يدريك فقلت أنا ابراهيم فتبأشرن بذلك وظهرن كلهن لي
 وقلن كتمنا نفسك وقد سررتنا سرورا عظيما فقلت أنا الا أن أستودعكن الله
 فقلن وما السبب فأخبرتهن بقصتي مع الرشيد فضحككن وقلن الآن والله طاب
 حديثك علينا وعلينا ان خرجت أسبوعا فقلت هو والله القتل فقلن الى لعنة الله

فأقبلت والله عندهن أسبوعا لا أزول فلما كان بعد أسبوع ودعنتي وقال ان سلمك
الله فأنت بعد ثلاثة أيام عندنا قلت نعم فأجاسنتني في الزنديل وسرحت فضيت
لوجهي حتى أتيت دار الرشيد فاذا اننداء قد أشيع ببغداد في طلبي وأن من
أحضرني فقه - دسوخ مالي ومالي - فاستأذنت فتبادر الخدم حتى أدخلوني على
الرشيد فلما رأي شمتني وقال السيف والنطع انك يا ابراهيم تشاغلني
وجالست مع السفهاء أشباهك حتى أفسدت عني لذتي فقلت يا أمير المؤمنين
أنا بين يديك وما أمرت به غير فائت ولي حديث عجيب ما سمع بمثله وهو الذي
قطعتني عنك ضرورة لا اختيارا فاسمعه فان كان عذرا فاقبله فقال هاته فحدثته
فوجهم ساعة ثم قال ان هذا العجيب أفتحضرنني معك قلت نعم وأجلسك معهن ان
شئت قبلي حتى تحصل لى عندهن وان شئت فعلى موعد فقال بلى على موعد
قلت أأفعل قال انظر قرات ذلك حاصل فلما أصبحت أمرني بالانصراف وان
أجيتهم من عندهن فضيت اليهن وقت الوعد فوجدت الزنديل على حاله فجالست
فيه ومدت الجوارى وصعدت فلما رأيتهن تباشرن بي وحمدن الله على سلامتي
وأقت ليلى فلما أردت الانصراف قلت ان لي أخا هو عندي عدل نفسي وقد
أحب معاشرته كن ووعده به بذلك فقال ان كنت ترضاه فرجبا بذلك فوعدتهن
ليلة غد وانصرفت وأتيت الرشيد فأخبرته فلما كان الوقت خرج معي متخفيا
وقد كان الله وفقني أن قلت له ان اذا جاء صديق فاستترن عني وعنه ولم يسمع ليكن
لفظة وليكن ما تخترنه من الغناء أو تغلنه من قول مراسلة فلم يتعدين ذلك وأقن
على أتم ستر وخفروا وشربنا شربا كثيرا وقد كان أمرني ان لا أخطبه به بأمر
المؤمنين فلما أخذنا ان نبيد منى قالت سهوا يا أمير المؤمنين فتواثبن من وراء الستارة
حتى غابت عن الحركات فقال لي يا ابراهيم قد أفلت من أمر عظيم والله لو برزت
لك واحدة منهن لضربت عنقك قم بنا فانصرفنا فاذا هن له وقد كان غضب
عليهن فخبسهن في ذلك القصر ثم وجهه من غد بخدم فردوهن الى قصره ووهب
له مائة ألف درهم وكانت الهدايا والالطاف تأتيه بعد ذلك منهن (حكاية)
تناطرت المغنون يوما عند الواثق فذكروا الضراب وحدثا قههم فقدم اسحق بن
ابراهيم الموصلي رربا على ملاحظ والملاحظ في ذلك الى رياسة عليهم كلهم فقال
الواثق هـ ذا حيف وتعد منك فقال اسحق يا أمير المؤمنين اجتمع بينهم ما
وامتنعنا

وامتحنهما فان الامر سينكشف لك فيهما فامر بهما فاحضرا فقال له اسحق
ان للضرب اصواتا معروفة فامتحنهما بشئ منها قال افعل فعلى ثلاثة اصوات
كان اولها

علق طيبة السكب جهلا * فقد أغرى به عذبي
نمت عليها حين مرت بنا * محاسن ينفتحن بالطيب
نصدها عنا بحوز لها * منكرة ذات أحاجيب

الشعر والغناء لا اسحق فضر باعليه فتقدم روبرب وقصر ملاحظ فحبب الواصل
من كشفه عما ادعاه في مجلس واحد فقال ملاحظ فسا باله يا أمير المؤمنين يحياك
على الناس ولا يضرب هو فقال يا أمير المؤمنين انه لم يكن في زمانى أضرب منى
ولكنكم أعفيتونى من الضرب فثقلت على * ومع ذلك ان منى بقية لا يتعلق بها
أحد من هذه الطبقة ثم قال يا ملاحظ شوش عودك وهاته ففعل ملاحظ ذلك
فقال اسحق يا أمير المؤمنين هذا خلط الاوتار خلط متعنت وهو لا يالوا فسادها
ثم أخذ العود فحبسه ساعة حتى عرف موقعه ثم قال يا مخارق غن أى صوت شئت
فغنى مخارق صوتا وضرب عليه اسحق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يخرج
من مخنه فى موضع واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة ويده تصعد وتحد على
الدساتين فقال له الواصل والله ما رأيت مثلك قط ولا سمعت به اطرحه على
الجوارى فقال هيات يا أمير المؤمنين هذا شئ لا يبقى به الجوارى ولا يصلح لمن
ألبته وانما ينبغى ان الفلهد يضرب يوما بين يدي كسرى أثر وتر فأحسن فساد
رجل من حذاق أهل صناعته فرقبه حتى قام له بعض شأنه فغالفه الى عوده
فشوش بعض أوتاره فرجع وضرب وهو لا يدري والمالك لا تصلح فى مجالسها
العيدان فلم يزل يضرب بذلك العود حتى فرغ ثم قام على رجله وأخذ بر الملك
بالقصبة فامتحن العود فعرف ما فيه فقال له زه وزه ورهان زه ووصله بالصلة
التي كان يصل بها من مخاطبه بهذه المخاطبه فلما تواطأت الروايات به أخذت
نفسى به وروضتها عليه وقلت لا ينبغي أن يكون الفلهد أقوى على هذا منى فلما
زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق فى الاوتار موضع على طبقة من الطبقات
الا وأنا أعرف نغمته كيف هى والمواضع التي تخرج النغم كلها منها من أعاليها
الى أسافلها وكل شئ منها يجانس شيئا غيره كما أعرف ذلك فى مواضع الدساتين

وهـ ذاشي لا يفي به الجوارى فقال له الوثاق لعـ جرى لقد صدقت ولئن مت
لثقتن هذه الصناعة معك وأمر له بثلاثين ألف درهم

(الباب الثالث والعشرون في الغلمان)

كان يقال العبد من لا عبيد له وقال دغفل السابة في الممالك هم غير مستغاد
وغنظ في الالكاد وقال سعيد بن مسـ لم لا بد للعبيد من عبيد وقال جعفر بن
سليمان العبيدان أكلوا من مالك زاد في جالك وقال غيره العيش في سعة الدار
والعز في كثرة العبيد وقال آخر عز الملوك في كثرة الممالك وقال آخر رب عبد
خير من الولد لان الولد في أكثر الاحوال يرى صلاحه في موت والده والعبد
يرى صلاحه بقاء مولاه (كان) يحيى بن اكرم يقول قدأ كرم الله تعالى أهل
جنته بأن أطاف عليهم الغلمان في وقت رضاه عنهم وافضاله عليهم وبره بهم
لفضاهم في الخدمة على الجوارى وما الذي يمنعني عاجلا في طلب هذه المزية
المخصوص بها أهل القرية عند الله تعالى والزلفة لديه (وقال) مطيع بن اياس
لو لم يكن للرد فضيلة لما كان الله جعل ملائكتهم مردا وأهل الجنة مردا وهذا
فيه كفاية وانما عن الحديث أهل الجنة جرد مرد مكحولون (وكان) واليه بن
الحجاب يقول الغلام هو الرفيق في السفر والصديق في الحضر والمعين على
الشغل والنديم عند الشرب وهو سبب الانس (وقيل) اسلم الاصفري لم فضات
الغلام على التجارية فقال لانه في السفر صاحب ومع الاخوان نديم وفي الخلوة
أهل (ومن رسالة) الشيخ جمال الدين بن بناة وكان في فريجة يحدث مرآها الحسن
أحاديث جنان امامه عشرة ممالك من الترك ليس الخبر في محاسنهم المبدعة
كالعيان جاءهم الى مصر تاجر لحظته السعادة فاستنزلت له البدور من آفاقها
وأصحبته الشمس بشرفها واشراقها فصار الى مصر بيوسف وبن سجد له في
المنام وأتى بلاد القبله بجماعة مامنهم الامن هو في الحسن امام وما فيهم الامن
يقول له المتأمل بلسان الاعتراف يا بشرى هذا سيد ولسان العرف يا بشرى
هذا غلام قدوشحوا بالدقة خصورهم وجوابا بأسيا ف الجفون كما تحمي الثغور
تغورهم من كل لدن القوام مفعف مفعف ساجي الطرف أوظفه حلوا الجناية والجاني
طيف انعين لا يجود على العاني منسوب الى أرض الفان أصله في آخرنا من بعده

القاني قد أفضح البدور في الدياجي ورعى القلوب من حبه ولها بين هاجره وهاجي
وعلا بعنق يجاب من أرض الفرات فعطل عنق الغزال بأرض حاجي ونضى
من جفن عينييه حساما وقسم من لحظاتها على القلوب سهاما وطال قدومه عن
قصر الأغصان ودنا عن الرماح فكان بين ذلك قواما فسبحت حين رأيت الأكار
واقفة على الأرض وتفاءلت بوجوه حب التهاؤل بمثلها كما يكون من الفرض
وقلت

فجئت من الأتراك سرجا نذر * يعلم زهاد الوري كيف تعشق
لهم منظر في الحسن يفتح خاطرا * ولا كن سهم اللحظ في القلب مفلق
دنحات بقلبي في مجال عيونهم * فأودى به ذاك المجال الضيق
وكم قر في القوس عاينت منهم * فمالك يا طرفي المسافر تعلق
واستقبلنا دمشق على هذا الهال الجليل وفاصلنا السقرة بحمد الله على وجه
جميل

(فصل) في المنظوم من ذلك قول لسان الدين بن الخطيب في غلام ساقى قال
كيف أمتنا على الشرب ساق * لحظه في القلوب غير أمين
راح يسقى فصب في الكأس نورا * ثقة منه بالذي في العيون
(وقال) الشيخ شمس الدين الرئيس فيه
مدير الكأس حدثنا ودعنا * بعيدك من كؤسك والحديث
حديثك عن قديم الراح يغنى * ولا يسقى الأنام سوى الحديث
(وقال) صلاح الدين الصفدي في غلام يشوى أوزا
قات لما شوى الحبيب أوزا * واكتسى باللهيب ثوب سناء
لو يعيش الجزار مات معنى * في معاني محاسن الشواثي
وله أيضا فيه

شرى الأوز فأضحت * في خرة النخذ بسطه
فقلت تشوى أوزا * أم كنت تشوى بطه

قال الشيخ برهان الدين القبراطي في غلام يلعب بالعود
غنى على العود شاد سهم ناظره * أضحى به قلبي المضنى على نبطه
دنا إلى وحسبت كفه وتره * فراححت الروح بين السهم والوتر

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في ساق معذر
 مبقل الخمد أدار الطلا * فقال لي في حبها طاتي
 عن أجر المشروب ما تنتهي * قلت ولا عن أخضر الشارب
 (وقال) في غلام تركي أهيف

علاقته من بني الاتراك مقتنا * من خاطري وهو مني غير مقترب
 جمالة الحلي والدياج قامته * تبت غصون الربا جمالة الخطب
 (وقال) الشيخ صفي الدين التلي في راقص

جاء في قدمه اعتسدا * مهفهف ماله عديل
 قد خفت عطفه شمال * وثقلت بغيره شمول
 ثم انتنى راقصا بقدم * حفي به اللطف والدخول
 يحول ما بيننا بوجه * فيه مياها الحيا تحول
 ورنح الرقص منه عطفًا * تنني الى نحوه العقول
 فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقل

(وقال) آخر في راقص

وراقص أبصرته مرة * فلم أزل بالرقص مفتونا
 لو قيل لشعر بين كمره * أنرجه بالرقص موزونا

(وقال) ابن خروف النحوي الأندلسي فيه

ومنوع الحركات يلعب بالنهاي * لبس المحاسن عند خلع لباسه
 متأودا كالغصن بين رياضه * متلاعبا كالظبي عند كاسه
 بالعقل يلعب مقبلا أو مدبرا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في غلام يرمي بالقوس

فديتك أيها الرامي بقوس * ونحط يا ضنا جسدك عليه
 لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبهه الشيء منجذب إليه

(وقال) محي الدين بن قرقاص في غلام يرمي في الاماج

أني الاماج ما نسا والردف قد ألقاه * برشق ثم ينثنى بالله ما أرشقه

(وقال) بدر الدين حسن العربي في غلام يرمي في الايك

أهواه في الايك يرمي دائما * وسواد قلب الصب من اعراضه

أطلقت لمخلى نحوه فأصابني * سهم وما عاينت كشف بياضه
قلت ما أحسن قول الشيخ عز الدين الموصلي من قصيدة
أصاب فؤادي المستهام بعينه * فكأنه سهم له غير ناطق
(وابعضهم) في غلام يقوم سهمًا

وإني وفي يده سهم يقوم به * يوحى إليه بعينه ويرمقه
وذاك أيداع سر من لواظنه * فيه إزداد فعلا حين يرشقه
(نكتة) حسنه عزم الملك المعظم على الصيد فقال له بعض الجماعة يا مولانا
القمر في العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة الصبر إلى أن ينزل القمر القوس
فعزم على الصبر فيها ومفكرًا دخل مملوك له من أحسن خلق الله وجهًا يقال
له آي دغدي فوق قدامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين يا مولانا
يا لله اركب الساعة فهذا القمر في القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا
وتفاؤلا بالقول فلم ير أطيب من تلك السفارة ولا أكثر من صيدها (وقال) بدر
الدين حسن بن حبيب الحلبي في غلام تركي يطلب وردا شعرا

رام ظبي الترك وردا * قلت أقصر خاب ضدك
عندك الورد المربي * قال فأني قلت عندك
(وقال) الشيخ زين الدين العجني ونقلاهما من خطه في غلام نثر وردا من أكماله
وإني وفي كفيه ورد أحر * حي به مذبت تحت لثامه
فرشفت صرف الراح من خطوطه * وجنيت غض الورد من أكماله
(وقال) برهان الدين القيراطي في غلام مطاوع

أباح لي من ترجم احداقه * في مجلس ما فيه مانكره
فقلت ورد الخدج دلي به * أيضا فقال الكل في الحضرة
(وقال) شمس الدين بن الصائغ في غلام ذي خال

بروح أفدى خاله فوق خده * ومن أناني الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أدخل من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال
(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة في غلام يدعى مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * مازال عنه كل يوم يسأل
من لي يوم فيه يسمع باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

(وقال) برهان الدين القيراطي في غلام يبكي شعرا
 لم يبك من بكيت من * هجرانه متحسرا
 وقد ذكرتهما في باب البركة والشاذروان والفؤارة وأنشدني من لفظه لنفسه
 الشيخ شمس الدين الرئيس في غلام ملج وله لا لاء مضمنا
 وملج لا لاء قد حكا * فهو كالبدري في الدجى يتللا
 قلت قصدي من الانام ملج * هكذا هكذا والا فللا
 وأنشدني من لفظه لنفسه سيدي وأخي المولى الكامل شمس الدين محمد
 الشهير بابن الكفتي أبقاه الله تعالى لأحبابه حسبا اقترحه في غلام يعتز
 على من يهواه

وارجته لقاى مكان بمنحني * حبي وصلا وكان الحب مستترا
 وحين باحت بصرى أدمع همت * درى بعشقي له فاعتز واقتردا
 (وقال) الشيخ المحدث الفصيح الترحال صلاح الدين خليل الاقفهسي قال أنشدني
 الشيخ العارف السالك المحقق الصوفي ابراهيم بن الشيخ أحمد العربي الشهير بابن
 رقاة أمد الله من بركته من لفظه لنفسه في غلام معذر
 رسم العذار بعارضيه بتعسجا * فوق الخدود فصار كالمرقوم
 قبلت مرسوم العذار تأديا * ومن التأديب قبلة المرسوم
 (وكتب) الى القاهرة المحروسة من بعض متجدداته سيدي الجناب المجدي بن
 مكائس أبقاه الله تعالى في غلام أبيض

دعنى وحالى في هوى أبيض * كالبدرا وأحسن من ذلك
 وعشق مغنى في هوى أسمر * أومت اذا ما شئت في حالك
 (وقال) شمس الدين بن محمد بن العفيف في غلام بوجت كفه السكين
 لم تجرح السكين كفه معذبى * الالمعنى في الهوى يتحقق
 هي مثلما قد قبل جارحة غدت * ولكل جارحة اليه تشوق
 (وكتب) الى من القاهرة من بعض متجدداته سيدي القاضي شهاب الدين أحمد
 ابن حجر سلمه الله تعالى في غلام مبروضة مزهزة

ولم آنس اذ مرا الحبيب بروضه * فغارت من المحبوب أعينها المرضي
 ولاحت بخد الورد في الروض حرة * حياء وسمت أطراف نرجسه غضى
 (وقال)

(٢٥١)

(وقال) محي الدين بن قرناص في غلام شد بوسطه بندا أحر
من اقلبي من جور ظي هواه * لي شغل عن حاجر وعقيق
خصر تحت أحر البند يحمي * خنصر افيه خاتم من عقيق
وقال صلاح الدين الصفدي أنشدني من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين أحمد
ابن مهاجر بحجاب المحروسة في غلام لا بس لامة حرب

ملاح في درع يصول بسيفه * والوجه منه يضي تحت المغفر
الاحسبت البحر مدجيدول * والشمس تحت سحاب من عنبر

وقال جمال الدين بن نباتة في غلام يدعي خليل مغنا
يغيب خليل الحسن عن ليلة * فأسأم من ليل طويل أراقبه
وكيف يطيب الليل عندي والكرى * وايس الى جنبي خليل الابه
(وأنشدني) الشيخ نزال الدين الموصلي لنفسه فيه

قال حي خليل غيرت ودي * وتركت الفؤاد مني مليلا
بعد عشق الملاح صرت تقيا * ماتراعي من الانام خليل
(وأنشدني) سيدنا ومولانا القاضي صدر الدين بن الاكدي حسبا وردا قراحه
من السادة المخاديم فضلاء الديار المصرية لنفسه

يا متهمي بالقسم كن منجري * ولا تطل رفضي فاني عليل
أنت خليلي فبحق الهوى كن * لشجوني راجسا يا خليل

(وقال) سيدنا القاضي بدر الدين الدمامي في غلام يسقي الماء
بروح ساقه همت اذ طاف يبتنا * با كوابه اللاتي سقين أناما

ورمت ارتشاف الريق منه فلم يجد * ولا كن كساجسي ضنا وسقاما
والنختم هذا الباب بحكاية لطيفة ونكتة غريبة ذكرها أبو الفرج المعروف
بالبيضا قال تأخرت بدمشق عن سيف الدولة بن حمدان مكرها وقد سارعنها في
بعض وقائعها وكان الخطر شديد على من أراد اللحاق به من أصحابه حتى ان ذلك
كان مؤذيا الى النهب وطول الاعتقال فاضطرت الى اعمال الخيلة في التخلص
والسلامة بخدمة من بهام الرؤساء والاشيعة وكان سني في ذلك الوقت
عشرين سنة وكان انقطاعي منهم الى أبي بكر علي بن صالح الروبادي لتقديمه في
الرياسة ومكانته من الفضل والصناعة فأحسن مقيلي وبالع في الاحسان الى

وفضلت تحت الضرورة في المقام فتسوقت على قصد البقاع الحسنة والمتزهات
المطروقة تسلما وتعللا فلما كان في بعض الايام علمت على قصد دبر مران وهذا
الدبر مشهور الموضع في الجلالة وحسن المنظر فاستصحبته من كنت آتس به
وأمرت بحمل ما يصلح وتوجهنا نحوه فلما نزلنا أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من
رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقعة الطبع وسماحة النفس والخلق حسبا
جرب به الرسم في غشيان العمار وطروق الديرة من الطرق بعشرة أهلها
والانسة بسكانها ولم تزل الا قداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة الى ان
فض الله وختامه ولوح السكر لحي اعلامه وحالت منى نظرة الى بعض الرهبان
فوجدته الى خطابي متوثبا وانظري اليه متوقفا فلما أخذته عيني أكب على
يرنجني بخفي الغمز ووحى الائمة فاستوحشت من ذلك وأذكرته ونهضت عجلا
واستحضرتة فأخرج الى رقعة مختومة وقال لي قد أزمك فرض الامانة فيما
تضمنه هذه الرقعة دوني وسقط زمام كاتبها في استر هانك عني ففضضتها فاذا
فيها بأحسن خط وأملح وأقواه وأوضحه

بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي بين حشم بحث
على الانقباض عنك وحسن ظن يحض على السامع بنفيس الحظ منك الى
أن استترتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خدعة ورفعت يدي
وبينك سحاب الخشمة فأطعت بالانديساط أوامر الموانسة وانتهزت في
التوصل الى مودتك فأبت انفرصة والمستباح منك جماعى الله فذاك زورة
ارتجع بهما ما غتصبت به الايام من المسرة مهتأة بالانفراد الامن غلامك الذى
هو مادة مسرتك وأنشد

ومذاك عن خلق بخيرة بطارق * ولكن لا تخذ باحتياط على حالى
فان ما دق ما خطبت به ذاك أيدك الله قبرا لا زلزالك نفاقا فنية غفل الدهر عنها
وان فارق منهيب في الأبداء الى منها جرى على رسمى في المضايقة فيما أوتره
وأهواه وأترقبه من قربك وأتمناه فزمام المرودة يزمك رده هذه الرقعة وسترها
وتناسيها واضراح ذكرها واذا أنا بآيات تتلو الخطاب

يا طمر العمر يا فتوة والقصة -- ف وحت الكؤوس والطرب
هل لك من صاحب يناسب في الغر * ية أخ -- لاقه وبالادب
أوحشه

أوحشه الدهر فاستراح الى * قربك متنصرا على النوب
فان تقبلت ما أتاك به فلم * يشب الظن فيه بالكذب
وان أبى الزهد دون رغبتنا * نكون كمن لم يقبل ولم يجب
قال أبو الفرج فورد على صاحبتي واستردمني ما كان الشراب حار من تمييزي
وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطأ وترسلا ونظما
فشاهدته بالفراسة في الفاظه وجدت أخلاقه قبل الاختيار من رقعته وقالت
لراهب من هذا ويحك وكيف السبيل اليه فقال أما ذكره فاليه اذا اجتمعنا
وأما السبيل الى لقائه فسهل ان شئت قلت داني قال فكيف تعمل بالعلمان
قلت لا أدري قال تظهر فتورا وتنصب عذرا تفارق به أصحابك مصرفا فاذا حصلت
ببواب الدير عدلت بك الى باب تدخل منه فرددت الرقعة اليه وقالت
ادفعها اليه ليتأ كدأ نسبه وسكونه الى وعرفه ان التوفر على اعمال الحيلة في
المبادرة الى حضرته على ما أثره من التفرد أولى من التشاغل باصدار جواب
وقطع وقت بمكاتبة ومضى الراهب وعدت الى أصحابي بغير النشاط الذي
ذهبت به فأنكروا ذلك فاعتذرت اليهم بشئ عرض لي واستدعيت ما أركبه
وتقدمت الى من كان معي من الخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كنا علمنا على
المبيت فأجمعوا على تجهيل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعي
غلام صبي كنت آنس به وبخدمته وتقدمت الى الشاكري برد الدابة وستر خبري
ومباكرني فتلقاني الراهب وعدل بي الى طريق مضيق وأدخلني الى الدير
من باب غامض وصار بي الى باب قلالية متميز عما جاوره من الابواب نظافة
وحسن نافقعه بحركات مختلفة كالعلامة فابتدريته غلام كأن البدر ركب
على أزراره مهفوف الكشح مخطفه معتدل القوام أهيفه تحال الشمس
برقعت غرته والليل ناسب أصداغ وطرته في غلالة تنم على ما يستره وتحفو
مع رقتها عما يظهره وعلى رأسه مجلسيته بصمت فبهر عقلي حسنا فاستوقف
نظري ثم جفل كالظبي المذعور فتلوته والراهب الى صحن القلالية فاذا أنا
ببيت فضي الخيطان رخامي الاركان مفروش بحصير قد اتعب صانعه
منقوش كأنه روضة مزخرفة بالنور أضحكها سقوط الندى فوثب
الينامنه فتي مقبل الشباب حسن الصورة والاهاب ظاهر النبل والهيشة

فأقيني حافياً بعتر في سراويله واعتقني ثم قال انما استخدمت هذا الغلام
الى تلقيك يا سيدي لاجعل مال العاك استخدمته من وجهي مصانعا عايرد
عليك من مشاهدتي فاستخدمت اختصاراً الطريق الى بسطى وارتحاله
النادرة على نفسه حرصاً في تأنيدي وأفاض في شكرى على المسارعة أمره
وأنا أوصل في خلال سكاته المبالغية في الاعتدال به ثم قال يا سيدي أنت
مكدود بمن كان معك والاستماع بمعادتك لا يتم الا بالتوصل الى راحتك
وقد كان الامر على ما ذكر فاستلقيت بسيراً ثم نهضت فخدمت في حالي النوم
واليقظة الخدمية التي ألفيتها في دوراً كبار الملوك وأجالة الرؤساء وأحضرنا
خادمه لم أر أحسن وجهاً منه يحمل طبقاً يضم ما يتخذ لاهشاء مما خدم
ولطف وقال الا كل منى يا سيدي للحاجة ومن لك للمناجحة والمساعدة فأكلنا شيئاً
وأقبل الليل وطلع القمر ودخل من مناظر ذلك البيت الى فضاء اذى الينا بحسن
الغوطسة وحيانا بذخائر رياضها من المنظر الجماني والنسيم العطري وجاءنا
الراهب من الاشربة بمأوئع عليه اتفاقاً على المختار منه ثم اقتعدنا غالب اللذة
وجرينا في ميدان المفاوضه فلم نزل نتناهب نوادر الاخبار وملح الاشعار ونخرج
ذلك من المزج بأظرفه ومن التودد بالطفه الى أن توسطنا الشراب فالتفت
الى غلامه وقال يا مترف ان مولاي ليس مما يدعونا السرور بحضوره وما يجب
ان ندخر ممكناً في مسرته فانتقع وجه الغلام حياءً وخفراً فأقسم عليه بحياتي وأنا لا أعلم
ما يريد فضى وعاد يحمل طنبوراً وجلس وقال لي يا سيدي أأذن لي في خدمتك
فهممت بتقبيل يده لما تداخاني من السرور بذلك فأصلح الطنبور وضرب وغنى
هذه الايات

يا مالكي وهو مالكي * وسالي ثواب نسكي

نزيقين الهوى فيك عن تعرض الشك

لولاك ما كنت أبكي * الى الصباح وأبكي

فنظر الى الغلام وتبسم فعلمت ان الشعر له فككت والله أطير فرحاً بملاحة خاتمه
وحسن خلته وقوة حذقه وجودة ضربه وعدوبة ألفاظه وتكامل حسنه
فاستدعيت كثيراً فأحضر الخادم عدة قطع من فاختر البلور وجيد اللحم فشربت
سروراً بوجهه وشرب بمثل ما شربت ثم قال لي أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك

ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه وإن كان إذا عرفت الاسم والنسب والصناعة
واللقب فلا بد أن نشي ليلتنا بشي يكون لها طرازا ولذا كرهنا معينا فحذبت الدواء
وكتبت ارتجالا وقد أخذ الشراب مني هذه الايات

وليلة اوسعتني * حسنا وهوا وانسا

مازلات الثم بدرا * بها واشرب شعسا

اذ اطلع الدير سعدا * لم يبك مذ كان نحسا

فصار لاروح روحا * وصار لانفس نفسا

فطرب على قولي الثم بدرا واشرب شعسا وجذب غلامه فقبله وقال ما جهلت
ما يجب لك من التوقير وانما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته فبحياني الا ما فعلت
ذلك بغلامك فاتبعت اثاره خوفا من احتشامه وأخذت الايات وجعل يرددوها
ثم أخذ الدواء وكتب اجازتها

ولم أكن لغرمي والله أبذل قلسا * لو ارتضى لي غرمي بدير حران حسا

فقلت اذا والله ما كان يؤدى أحد حقا ولا باطلا وداعيته في هذا المعنى بما
حضر وعرفت في الجملة انه مستر من دين وقال لي قد خرج اليك أكثر الحديث

فان هذرت والا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها فمكنت ما يؤثره من كتمان
أمره فقلت له يا سيدي كل من لا يتعرف بك نكرة وقد اغتبت المشاهدة عن

الاعتذار وبانت الخبرة عن الاستخبار وجعل يشرب وينتخب من غير استكراه
ولا حث ولا استبطاء الى أن رأيت الشرب قد دب فيه وأكب على مجاذبة غلامه

والقطة تشبه في الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام
بفرش حسن ففرش لي بازا وفرشه فنهض اليه وقام يتفقد أمرى بنفسه فقلت

له ان لي مذهبا في تقريب غلامي مني واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذا
الحال في أمر غلامه فتبسم وقال لي بسكره جمع الله لك شمل الممرة كما جمع جمعه

لي بك وأظهرت النوم وطاد الى محاذة غلامه وتعاتبه بأعذب لفظ وأحلى
معاتبه ويمزج ذلك بمواعيد تدل على سعة وانديسا طيد وغلامه تارة يقبل يده

وتارة فقه وغابتي عيناى الى ان أيقظني هواء السحر وانتهت ومما متعانا قان
بما كان عليهما من اللباس فأردت توديعه فخفت اتباهه وازعاجه فخرجت

فلقيني الخادم يريد ايقاظه وترى به بانصرافى فأقسمت عليه ألا يفعل ووجدت

غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته فركبت منصرفا وطاملا على العودة
إليه والتوفير على مواصلته وأخذنا الحظ منه في معاشرته ومتوهمان أن الذي كنت
فيه من مالم الطيبه وقرب أوله من آخره واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق
بسيف الدولة فسمرت على أتم حيرة لمافاتي من معاودة لقائه وقلت في ذلك
هذه الأبيات

ويوم كان الدهر ساعني به * فصار يسمى بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا * إلى دبر مران المعظم ذي القدر
فن روضة بالحسن توفد روضه * ومن نهر بالفيض يجري إلى نهر
وفي الهيكل المعمور منه اقترعتها * وصحبي حلالا بعد توفية المهر
ونزعت عن غير الدناير قدرها * فإزات منها أشرب التبر بالتبر
وحل لنا ما كان منها محترما * وهل يحظر المحذور في بلاد الكفر
فأهدت لي الأيام فيه مودة * دعيت في ستر فليت في ستر
أني من شريف الطبع أصدق رغبة * فخاطبني من معدن النظم والنثر
وكان جوابي طاعة لا مقالة * ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
فلاقيت من العينين نيلا وهمة * محلي المحجبا بالطلاقة والبشر
وأحشمني بالبرحتى حسبه * يريد اختداعني عن حياتي ولا أدري
وتزهد عن غير الصفاء اجتماعنا * وكنت وإياه كقلبين في صدر
وشاء السرور أن يلينا بشالث * فلاطفنا بالبدر أو بأنخي البدر
يعط العيون ما أسهمت من جاله * ومضى القلوب بالتعجب وبالهمجر
جنينا جني الورد في غير حينه * وزهر الربا من روض خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه * بشمسين في جنح دجى الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف أجدا * بأوفر حظ من محاسنه الزهر
وأتبعتنا في وجنتيه بمثل ما * تخرج ككفاه من الماء والنحر
سرور سكرنا منه لاصحو اذ دعا * إليه ولم نشكر به منه السكر
كان الليالي نمن عنه فبعدما * تنهين به كين الوفا إلى العذر
مضى وكأنما كنت فيه مناما * فحدثت عن طيف الخيال إذا يسر
وهل يحصل الإنسان من كل ما به * تسامحه الأيام الأعلى الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة وأشد تأسف على ما سلبت من عظيم النعمة بفراق الفتى لاسيما ولم أحصل منه على حقيقة ولا يقين بحسب ما يؤذياني إلى الطمع في لقائه إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق وأنا في جلته فبدأت بشئ قبل المصير إلى الراهب وقد كنت حفظت اسمه فخرج إلى ترعوبا ولا يعرف السبب فلما رأيته استطار فرحا وأقسم لا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومئذ ذلك ففعلت فلما جلسنا للحادثة قال مالي أراك لا تسألني عن صديقك قلت والله مالي فذكر منصرف عنه ولا أسف يتجاوز ما حرمته منه ولا سررت بعودي إلى البلاد الآمن أجله ولذلك بدأت بقصده فاذكر لي خبره فقال أما الآن فنعم هذا فتى من أولاد عظماء مصر جليل القدر عظيم النعمة كان قد ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال كثير فخاسر به ضمانه لعود السعر وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفيا إلى أن ورد دمشق بزي تاجر وكان استتاره عند بعض أخوانه ممن له مادة بخدمة فأتيت عنده يوما إذ ظهر لي وقال لصديقه أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان مأمونا فذكر له صديقي مذهبي وأظهرت السرور بما رغب فيه من الانسبي وأنا لا أعرفه غير أن صديقي قد أمرني بخدمته وحصل في قلأتي وواصل الصوم فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقهنا هو والغلام والخادم قد تحقابه ومعهم سفايح وعليهم اثياب رثة فلما نظر إلى الغلام قال يا راهب قد حل الفطر وجاء العيد ووثب إليه واعتنقه وجعل يقبل عيذه ويبكي ووقف على السفايح وأفذاها مع درج رقعة منه إلى صديقه فلما كان بعد يومين جل إليه ألفي دينار وقال له اتباع لنا ما نستعمله في هذه الضبعة فابتاع الة وفرشا ولم يزل مكبا على ما رأيت إلى أن ورد عليه كتاب أهله بتدبير حاله مع ساطانه وأخذ خط السلطان بحطية المال وطيب قلبه وتحقق رضى السلطان فلما عزم على المسير قال للغلام سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا إلى الراهب ليصرفه في مصالح الدبر وسار وماله حسرة غيرك ولا أسف إلا عليك يقطع جميع الاوقات بذكرك ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك وهو الآن بمصر على أحسن الأحوال وأجلها ما بخل بتفقدى وخف بعض ما عندى من الخزانة بما عرفت من حقيقة خبره وأتممت يومى عند الراهب وكان آخر العهد منه ومن الغلام والسلام

* (الباب الرابع والعشرون في المجوارى ذوات الانحان) *

قال الثعالبي في تحفة الارواح وموائد السرور والافراح ان غناء المجوارى ذوات المحسن والدلال له موقع في القلب احسن من موقع غناء الرجال وان كان أجود منه وذلك مع الرويه وقال افلاطون غناء الملاح يحرك فيه الشهوة والطرب وغناء القبايح يحرك فيه الطرب لا الشهوة وقد قيل احسن الناس غناء من تشبه بالنساء من الرجال ومن تشبه بالرجال من النساء وما احسن قول القائل

جاءت بوجهه كأنه قر * على قوام كأنه غصن

غنت فلم تبقى في جارحة * الا تمنيت أنها أذن

(وقال) يزيد بن الوايدايكم والغناء فانه يسقط المروءة وينقص الحياء ويبدى العورة ويزيد في الشهوة وانه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنع به السكر وان كان ولا بد فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال) بعض أهل الادب لا يكون الملك ملكا حتى يلبس من طرازه وينسكح من بلاده ويركب من تتاجه ويسمع الغناء من جاريته وغلّامه (وقال) بعضهم في جارية عتّاده

وكأنه في حجرها ولد لها * تمنو عليه عند كل أوان

أبدت دغدغه بطنه فاذا هفا * عرّكت له أذنان الاذان

(وقال) ابن تميم فيها أيضا

ومها قد راضت العود حتى * عاد بعد المجاح وهو ذلول

خاف من عرك أذنه اذ عصاها * فلهاذا كما تقول يقول

وقال آخر فيها وأجاد

أشارت بأطراف اطاف كأنها * أنايب در قعت بعقيق

ودارت على الاوتار حسا كأنها * بنان طيب في محبس عروق

(وقال) ابن حجاج فيها وأجاد

هـذا ومحبسة بالعود عاشقها * بذلك الطيب في الاحيان مسرور

اذا تثنت وغنت نلت قامتها * غصنا عليه قبيل الصبح شحور

(وقال) صلاح الدين الصفدي فيها

حبست مشاني عودها بأنامل * عبثت باب الخاشع المتورع
 وشدت فلو شاءت عذوبة لفظها * عطفت عنان البارق المسرع
 وعجبت من ريح الصبا اذ لم يقف * طربا ولو كن ما لهاذن تعي
 أبصرت يا عيناي ما لم تبصرى * وسمعت يا أذني ما لم تسمع
 (وقال) جال الدين بن تباتة فيها

بروحى هيفاء المعاطف حلوة * تكاد بألحاظ المحبين تشرب
 لقد ذهبت ألهاظها ووصفاتها * على أن قلبي في هواها معذب
 نحاس عود اللهو يشبه صوتهها * فمن أجل هذا أصبح العود يضرب
 وأجرى دموع العاشقين بأعبرها * فقال الآس دعها تخوض وتلعب
 (وقال) النور الاسعردى في جارية جنه كيه

لبنت شعبان جنك حين تنطقه * يغدو بأصناف ألحان الورى هازى
 لا غرو ان صاد الباب الرجال بها * أمتراه يحاكي مخاب البازى
 (وقال) الصلاح الازيل في الجنك

الجنك مركب عقل في تشكاه * والرق قلعه الاوتار أطناب
 يحرى بريح اشتياق في بحار هوى * يؤم ساحل وصل فيه أحباب
 (وقال) سيدى شهاب الدين أحمد بن حجر في جارية تلعب بالكمنجا

ما لها هجرت وكم قدمرتلى * منها الرضا في سالف الاعصار
 وقضيت معها اذ شدت بكمنجة * ما بين سالف نغمة أوطار
 (وقال) سيدنا القاضى بدر الدين الدما ميني في جارية تدق بالكف

لقد دقت بكفها فتاة * صفت فينا خلاثقها ورق
 فأفديها مغنية رأينا * بها الافراح حلت حين دقت
 (وقال) شمس الدين بن دانيال في جارية تضرب بالدف وأجاد

ذات القوام الذى يهترغن نقا * لومر يوما عليه طائر صدحا
 تبدى على الدف كالحجار معصمها * أنامل لابنسان تشبه البلمبا
 غناؤها برقيق الغنج تمزج * فما ينقط الاكل من رشحا

(وقال) شمس الدين الكوفي الواعظ في جارية مشبهة كذا ذكره الصفدى
 في تضميج التضمين

لقد حصات لي ليلة لا تقوم * وعندى من أهوى بها أتع
 وفي كفها شبابة تجمع المنا * فحن سكوت والهوى يتكلم
 وينفخ فيه الروح روح بأمرها * وما هو جبريل وما هو مريم
 وما الدهر إلا صورة دمها لطلا * فخرم إذ شرب الدماء محرم
 وما زلت شيعيا إلى أن أتوا بها * عتيقا فناديت العتيق المقدم
 وهذا التضمين أغار عليه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر وقد ذكرته في
 المذاق المطربين (وقال) كمال الدين جعفر الأدينى في تاريخه البدر السافر
 عن انس المسافر في ترجمة القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن
 خلف ينعى باب البيت الأعز الشافعى ومن شعره ملغزا في شبابة
 ومحبوبة مهـ ما خلت مع حبيبها * يقبلها لثما وينظرها شرا
 منقبسة عريانة وهى فتنة * لمن أصبحوا من شرب كأس الهوى سكرى
 وتصفيفها في كف من شاء منهم * ومن شاء في اليمنى ومن شاء في اليسرى
 وكتب إلى شرف الدين بن الحلاوى ملغزا فيها مضمنا
 وناطقة نرساء باد شجوها * تكنفها عشر وعنه نخبر
 يلد إلى الاسماع رجـ حـديثها * إذ سدت منها منخر حاش منخر
 فأجاب بهذا البيت واجاد

نهاني النهى والعلم عن وصل مثلها * فكم مثلها فارقتها وهى تصفر
 (قالت) تكبر لفظة مثلها غير طائل وألم بهذا التضمين مجير الدين بن تميم فقال
 وشبابة قد كنت أهوى سماعها * وقد صرت منها عند مايت أنفر
 وها أنا قد فارقتها غـ ير نادى * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر
 (قالت) كان المذكور لهجيا بالتضمين مكثرا منه حتى قال في نفسه وظرف
 أطابع كـ دى أن أراء * ولم أزجر عن التضمين طبرى
 أضعن كل بيت فيه معنى * فشعري نصفه من شعر غبرى
 (وقال) إبراهيم بن المعمار في جارية مغنية
 وجارية مغنية باطف * على الإيقاع بالكعبين دقت
 فغنت ثم رقت لي بوصل * ففقت قطعتهما من حيث رقت
 (وقال) بدر الدين بن الصاحب فيها

غنت فأغنت عن كؤس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللعون
فقلت اذ هيمني صوثها * في مثل ذا الخلق تروح الذقون
(وقال) صفى الدين الحلي في جارية ترقص بالشراب

والراقصات وقد شدت ما أزرها * على خصورها وساط الدنانير
كأن في الشريعة ما هو قدر قصت * صبحا ثقلا قل فيه قلب ديجور
ترعى الضروب بكفها وأرجلها * وتحفظ الأصل من نقص وتغير
وتعرب الرقص من نحن فيلحقه * ما يلحق النجوم من حذف وتقدير
(وقال) جمال الدين حسن بن علي بن داود الفارقي

لله راقصة تمس كأنها * ظل القضيبي اذا تامل مزهرا
ترهو وترجع كالخيال فلا ترى * حركاتها الا كطارقة الكرى
لانت معاطفها فكيف تلتفت * وتغلت لا يستطيع بأن ترى
(وقال) أبو الحسن علي بن أبي اليسر فيها

هيفاء ان رقصت في مجلس رقصت * قلوب من حولها من حذوقها طربا
تحفة الوطئ لوجات بخطرتها * في جفن ذي رمدم لم يعرف الوصبا
(وقال) الشيخ عز الدين الموصلي لنفسه فيها

هيفاء راقصة لا زهر قد كشفت * في الكون مامثلاها نجم على الكرة
كالغصن ان خطرت ياليتها عطفت * منذ أمرضتني وعادت باللي شفتي
(وقال) الوجيه المناوي في جارية تلعب بخيال الظل

وجارية معشوقة اللهو أقيمت * بحسن كزهر الروض تحت كمام
اذما تغنت قلت شكوى صباية * وان رقصت قلنا حباب مدام
أرتمنا خيال الظل والسردونها * فأبدت خيال الشمس خلف غمام
تلاعب بأشخاص من خاف سترها * كما لعبت أفعالها بأنا مي

*(فصل لـ) * فيما يتعلق بكتابة المتظرفات منهن على آلاتهن كتبت مرنة على
مضربها * من نظرا لي سوانا لم يصدق في هوانا * وكتبت ظبية مغنية ابن
مزداد على ملهاتها * احفظ سرك عن غيرك * وكتبت ظوافر على ملاويها
وافق من ترافق * وقارب من تصاحب * وكتبت ضوء الصباح على عودها
بالذهب * من خالفنا فليس منا * وكتبت تحفة * ومن أرادنا لا يصبر عنا

وكتبت قينة جارية الملك الظاهرية على بابها * صل من قطعك وأعط من حرمتك
وكتبت نزهة جارية الجصاص على إحدى جانبي مضربها * من ورد عودها غير
حياء به صدر ندائه * وعلى الجانب الآخر * السعيد من وعظ بغيره (حاشية)
قال علي بن الجهم -م- اشتريت جارية فقلت لها ما أظنك بكرا فقالت كثرت
الفتوحات في زمن المعتصم وقات لها كم بيننا وبين الصبح فقالت عناق
مشتاق ونظرت الى الشمس كاسفة فقالت احتشمت محاسني فتنقبت وقات لها
نجعل مجلسنا في القمر فقالت ما أولئك بالجمع بين الضرائر وكانت تكره
الحلى وتقول يسترا محاسن كما يغطي القبايح

(فصل) في المولدات من الجوارى وغيرهن قال القاضي محي الدين بن عبد الظاهر
في جارية تدعى وردة بابي دمية مولدة المحسنة -من دعوها بوردة البستان
في النصارى ومثلها ليس يلقى * فيقولون وردة كالدهان

(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة في جارية تدعى حكم الهوى
حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصباية والجوى
بأعاذي لا تلبس -ني في حبها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى
(وقال) بدر الدين بن الصباح في جارية تدعى صباح

وقينة تدعى صباحا قد غدت * في حسنها تباهاة في مراح
تصد والطرف لها ساهر * تقول لي ماله من صباح

(وقال) الشيخ نجم الدين الفخفاري في جارية تدعى قلوب
عائني في حبكم عاذل * يزعم نصي وهو فيه كذوب
وقال ما في قلبك اذ كره لي * فقلت في قلب الماء -ني قلوب

(وقال) القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري في جارية تدعى حديق
سكنت في حب من أهوى معطاءه * تطوى الضلوع على التبريح والحرق
قالوا فجذبدموع العين فقلت لهم * لا تسألوا ما جرى منها على حديق
(وقال) أبو حفص جعفر الشطرنجي في جارية سوداء

أشبهك المسك وأشبهته * فائمة في حسنها قاعده

لا شك اذ لونك كما واحد * انك من طينة واحد

(وقال) ابن قلاقس فيها وايدع

رب سوداء وهي بيضاء معني * نافس المسك عندها الكافور
مثل حب العيون تحب به النفس سوادا وانما هو نور

(وقال) أبو تمام المجام الطيطلي وأجاد

يا كعبة بذوى الالباب لا عبة * في أصل حسنك معنا غير متفق
خلقت بيضاء كالسوداء ناصعة * فصرت سوداء من مثوالك في المحقق

(وقال) شهاب الدين بن فضل الله في جارية سوداء معنيه

يارب سوداء لا جفانها * كما يبص الهند تأثير

يطربني ترجيع الحانها * وكيف لا يطرب شحرور

ولا بأس بآراء نبذة يسيرة من ذمهم * قال الجوازلي أرازي وقد أراشراء

حبشية تمتعها الدهر مزمز وأبطها منتن وجسدها لا يقبل الطيب وإذا شربت

أجرت عينها وانضرت وجهتاها وإذا كسيت فتخاعة على جسدها سود * وقال

الماهاني لصديق له لما أولعت بالسودان فقال لأنهن أسخن فقال الماهاني أسخن

للغير (نادرة) تزوج مدني سوداء فعوتب فقال عتي ما عتاك ان لم يكن ضراطها في

الليلة الشتائية أنفع من عدل فحم وقال الصنوبري يهجو زامرة سوداء

فكأنما الزمار في أشداقها * غرمول غير في حياأتان

وترى أناملها على زمارها * نكحنافس دبت على ثعبان

(وقال) السراج المختار المحابي فيها

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزر

شبهت أنملها على ضرباتها * وقبيح مبعها الشنيع الابخر

بختنافس قصدت كنيفا واعتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

ولنختم هذا الفصل باطائف من حكايات الجوارى الحسنان وما خصوا به من

فصاحة اللسان * قال بعض الزواة الاخبار ومن يوثق به في الاخبار رأيت

باللقاء ثلاث جوار كأنهن أقمار أو كأننا أفرغن في قالب الحسن أو لمكن

أنفسهن فتصرون كما اشتبهن قلات يا ضرائر الشمس أخرات أنتن قلن لا وليكما

الاف مودات وعقائل حبيبات نجت مع في هذا المكان لسبب ما شتم

عليه القلوب من دوائ العيون ونحو نصف لك حالنا فاقض علمنا بما تسمع من

أشعارنا قلت قلن فقلت الأولى

يقولون طعم الحب مر وأنتى * أظن بأن الهجر مر من الحب
فقلت المريض أعلم بدائه فقالت سبحان من ستر خلقه بثوب عفوه ولم يعلم
غيره ضمائرهم بثاقب علمه وقالت الثانية

أظن بأن الحب يقتل أهله * إذ لم يكن في الحب قرب ولا وصل
فقلت من جرب أمرا عرفه فأظهر حياه ما توردها فيها فقالت الثالثة

أخال الهوى داء يعز دواؤه * إذا غاب من يهوى وعانده الدهر
فقلت من خاف شيئا حذر منه والواقع فيه فتنفست الصعداء وقالت
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقن فصار أيت أغصانا تحملن أقمارا أسافلها
كسبان الاله * وحكى سيار بن المعمر قال زرت مخارقا وكنت أهوى جاريته
معين وكانت أديبة مسموعة فأخرجها وجمعت تغنى وطرفها يضحك فوهمتني
سرورها بمحبتي إليها فبقيت في لذة من غنائها تتجاوز الوصف فلما قرب وقت
الانصراف دخلت ثم خرجت وعليها عصاية فيها مكتوب

تبسم طرفي فاسمهم فؤاده * إلى ضحك عين صيرته له سجرا
الآن حسن الطرف ما كان ضاحكا * فلا يوهمنك الضحك في مقاتي أمرا
فأخطأ عقلي وتغرر على ما كان حلاما من تمنى معها فلما رأت ما قد نزل بي قلبت
العصاية فاذا عليها مكتوب

مرحت فلا تجعل مزاحي علة * لصرف الهوى عني فتجعله هجرا
منحتك من قاي مكانا وقربة * عليك فلا تأسى لما حكيته شعرا
وقرأت في كتاب منازل الاحباب ومنازل الالباب تأليف العلامة شهاب الدين
محمود المكي رحمه الله تعالى * حكى أبو الفرج الاصبهاني عن بعض بني جردان قال
كنت مع المتوكل لما شئخص الى الشام فلما وصلنا الى حمص قال أريد أن أطوف
هذه الكنائس والمواضع التي تعرف بالفراديس فاني كنت أسمع بطيب هذا
المكان فقلت الرأي ما رأي أمير المؤمنين فلما استراح من الركوب دعاني وأخذ
بيدي ولم يزل يستقرئ تلك الكنائس والاديرة وما فيها من الصور واهداث الرهبان
وبناات القسيسين فرأينا وحوها كأنها الآقار على غصون تثني على تلك الأروقة
والمحصون وكل ما مر بنا شيء من ذلك قال أتدري ما نحن فيه ونحن أبراهب من
قوام الكنيسة فجعل المتوكل يسأله عن اسم كل من مر به ونسبه فبينما نحن

كذلك اذمرت بنساجارية ما رأيت لها شسبها في يدها بمخزرة تبخر بها فقال لها
 المتوكل تعالى يا جارية فأقبلت بحسن أدب وكمال حسن فقال للقس من هـ - ذه
 قال ابنتي قال وما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل يا شعانين استنى ماء فقلت
 ماءنا ههنا من الغدران ولست استنظن لك آنية الرهبان ولو كانت روجي
 ثرويك لجدت لك بها ثم جاءت بكوز من فضة فيه ماء فأومت الى أن أشربه
 فشر به فازداد عجبها وقال لها يا شعانين ان أنا هو يتك تساعدني فتنفست
 الصعداء وقالت يا مولاي أما الآن فأنا أمك وأما كوني عرفت صدق محبتك
 وتمكنها من قلبك فلا فـ أنا أخوفني من حدوث الطغيان عندك السلطان أما
 سمعت قول الشاعر

كنت لي في أوائل الامر عبدا * ثم لما ملكت صرت عدوا
 أين ذاك السرور عند التلاقي * صار مني تجنباً ونبو
 فطرب المتوكل حتى كاد يشق ثوبه وقال لها هي لي نفسك أشرب أنا وأنت اليوم
 فقلت على الرحب والسعة ثم أمددتنا الى علية مشرفة على تلك الكنائس
 فرأينا منظر أعجيبا ثم جاءت بإدام حسن ورقاق وكان المتوكل عاف لما طاب به
 واستأذنها في احضار طعام فأدنت فأني بخمر فان مشوية وأشياء غريبة الانواع
 فاستظرفت ما جى به واستهلكت الآلة وفطنت لامر المتوكل وقامت بين يديه
 وهممت بالسجود له فنعها ثم جاء القس من بيت الرهبان بـ شراب ذكر المتوكل
 انه لم يشرب مثله قط فشرب وشربت معه ثم استعفيتهم من أجل جى ثمقتي
 فأعفاني وشربها بحديثها فلما اخذ منه الشراب قالت يا سيدي أغنيك عن
 ضعف الصنعة فقال ان فعلت كل والله ظرفك فأنت بشئ يشبه العود
 فاندفعت تغني بهذه الايات

يا خاطبا من المودة مرحبا * نفى فداءك لاعدتك خاطبا
 أنا عبدة لهرالك فاشرب واسفني * واعدل بكأسك عن جاك ان أبى
 قد والذي رفع السماء ملكتي * وتركت قاي في هواك معذبا
 فصاح المتوكل وقال أعبت أنت وذلك لاني كنت أخطأت في ترك مساعدته
 فأخذت رطالا وشربه حتى لحقته ومضى الامن الايام الا فراد ثم أرغبها المتوكل
 واستسلمها وتزوجها ولم تنزل عنده حظية الى أن قتل في داره * كتب بعض المجان

الى صاحب له يستهدي بجارية حفظك الله وحفظ النعمة عليك ان بين كل امر
 يطلبه الرجل وبين المطلوب منه ذريعة يتوسل بها الى مروفه ولى بالرجاء فيك
 درجة توجب قضاء الحقوق وحاجتى ابقاك الله ظريفة من الجوارى لم تتداولها
 ايدى التجار ولم تتهنأخذ دمة الموالى ولى فيها شريطة أعرضها عليك
 وأذكرها اليك لترى رأيك فيها انه كان يقال اذا اتخذت جارية فاستخذ
 شعرها فان الشعر أحد الوجهين وتكون رابعة البياض تامة القوام فانه يقال
 ان البياض والطول نصف الحسن كله وتكون مريحة المضحك فانه أول
 ما يستجاب من المرأة المودة ومتقاربة الخطوة وتكون جيداء العنق غيداء
 اللاب كحلاء العين لها طرف أدعج وحاجب أزج موردة الخدين سهلتها
 واضحة الجبين قلوب الانف حمراء الشفتين مفلجة الثنايا نقيصة النحر
 مشرقة النحر ولست أكره الانكسار فى الشدين لانه لالذة للنهود عندى
 الالذة النظر وهى ايضا تحول بين المعانق وبين ارادته وان قال الشاعر

حال الشاح على قضيب زانه * رمان صدر ليس يعطف ناهد

واكره العجزية الضخمة ماء ولا أحب الرشحاء أريدها وسط الان خير الامور
 أوساطها وتكون سبعة البنان فتى الساعد مملئة الذراع نفحة العضد
 قبياء البطن نفحة الخصر يطويها الضجيج طى الجمالة عيلة الفخذين
 بردية الساقين لطيفة القدمين ولولا افراط الغيرة لذكرت ما أحبه مما هو
 مستور الا عند الحاجة اليه وأريدها رخيصة الصوت شهية النعمة عذبة
 اللفاظ بها غنة الحداثة وبجة الاحتلام أشجى خلقا من الفريض
 وأنعم كلاما فى الاذن امر مخارق وأثبت حجة من أبى الهذيل العلاف
 وأبين معنى من النظام ظريفة المجرن حسنة الوقار ان أردت هادنت وان
 كرهت هانأت أطوع من الرداء وأذل من الحذاء وقدرك أيدى الله يحمل
 اقتراحى عليك وشكرى لك يستوجب ما سألتك منك وأنا بالاسعاف جدير
 وأنت بالافضال خير * فأجابه سألت أعزك الله عن هذه الصفة وطلبت هذا
 النعت فأعينى فى الدنيا وما أرانى أجدها الا فى الآخرة وقد بعثت لك بالف
 دينار لتلتصق بها أنت وتسال اخوانك معاونتك على ذلك فتى وجدتها وأوجدها
 لك أحدهم دفعت اليه الدنانير رهين الدلالة وعرفنى بمقدار الثمن لانفذه اليك

* (الباب الخامس والعشرون في الباء) *

قال الشيخ الامام علاء الدين أبو الحسن بن علي بن أبي الحزم القرشي المتطبيب
المعروف بابن النفيس رحمه الله بالرجة في كتابه المعروف بالموجز في الجملة
الثانية من الكتاب المذكور في قواعد الجزء العملي من الطب في تدبير الجماع
قال رحمه الله وسامحه الجماع أفضل ما وقع بعد الهضم وعند اعتدال البدن في
حره وبرده ويؤسسته ورطوبته وخلاته وامتلائه فان وقع خطأ فضرره عند
امتلاء البدن وحرارته ورطوبته أسهل من خلالاته وبرده ويؤسسته وانما ينبغي
أن يجامع اذا قويت الشهوة وحصل الانتشار التام الذي ليس عن تكلم
ولا فكرة في مستحسن ولا نظر اليه وانما حاجته كثرة المني وشدة الشبق وان
تحصل عقيبته الخفة والنوم والجماع المعتدل ينعش الحرارة الغريزية ويهيئ
البدن للاغتذاء ويفرح ويحطم الغضب وينزل الفكر الردي والوسواس
السوداوي وينفع أكثر الامراض السوداوية والبلغمية وربما وقع تارك
الجماع في أمراض مثل الدوار وظلمة البصر وتقل البدن وورم الخصية أو الخالب
فاذا عاد اليه برئ بسرعة والافراط في الجماع يسقط القوة ويضر العصب
ويوقع في الرعدة والفالج والتشنج ويضعف البصر جدا وجماع الغلمان أقل
استفراغا لاني فيكون اضعافه وضرره أقل لكن يحوج الى حركات متعبة
لكونه استفراغا غير طبيعي واجتنب جماع العجوز والصغيرة جدا والخائض
والتي لم تجامع من مدة طويلة والمریضة وقبيحة المنظر والبكر فكل ذلك
يضعف بالخاصية وجماع المحبوب يمر ويقل اضعافه مع كثرة استفراغه المني
وأرده أشكال الجماع أن تعلو المرأة الرجل مستلبة بالتعسر خروج المني وربما
بقي في الذكر بقية فيتعفن بل ربما سال من الفرج رطوبات الى الذكر وأفضل
أشكاله ان يعلو الرجل المرأة فاعانقها بغير الملاعبة التامة ودغدغة
الثدي والخالب ثم حرك الفرج بالذكر فاذا تغيرت هيئة عينيها وعظم نفسها
وطابت التزام الرجل أو لمج الذكر وصب المني ليمتعاضد المنيان وذلك هو الحمل
ومما يعين على الجماع رؤية الجماعة والنظر الى تساقط الحيوانات وقراءة

الكتب المصنفة في الباء وحكايات الاقوية من المجامع واستماع الرقيق
من أصوات النساء وخلق العانة يهيج الشهوة واطالة العهد بترك الباء ينسيه
النفس والاستغناء باليد يوجب النغم ويسقط الشهوة والانتشار انتهى كلام
ابن النقيس * وسئل ابقراط كم ينبغي للانسان أن يجامع فقال في كل سنة مرة
قل فان لم يفد ر قال في كل شهر قيل فان لم يقدر قال في كل أسبوع قيل فان
لم يقدر قال هي روحه متى شاء أخرجهما

(فصل) ولما كان جمال المرأة وحسن تناسب أعضائها والداعي الرجل الى
وطئها وأجلب شهوته عند النظر اليه والمدححواسه في حال مصاحبتها فلا بأس
بإيراد نبذة من ذلك أجمع أهل المعرفة أن الذي يحمى في المرأة من السواد أربعة
أشياء الشعر والحاجبان والمخدقة والاهراب ومن البياض أربعة أشياء بياض
لونها ربياض بياض عينيها وبياض أسنانها وبياض فرقها ومن الحمرة أربعة أشياء
حمرة اللسان وحمرة الوجنات وحمرة الشفتين وحمرة اللبتين ومن الغلظ أربعة
أشياء العضدان والساقان والشفرا والذوائب ومن الرقة أربعة أشياء
العظام والاف والخصر وأطراف الانامل ومن الطول أربعة أشياء الشعر
والعنق والقامة والحاجب ومن التمدد ملجأ أربعة أشياء الرأس
والعنق والساعدان والساقان ومن العراض أربعة أشياء الجبهة
والعينان والصدر والالية ومن الصغر أربعة أشياء الفم والكفان
والقدمان والاذنان ومن الضيق أربعة أشياء المنخران ثقب الاذان السرة
الموطأ ومن الصلابة أربعة أشياء الثديان الالبتان القبل عضلة
الساق ومن الملس أربعة أشياء ظهر الكفين الترقوة الاصابع
التي في النساء أربعة أشياء العينان المنخران الفم الفرج ومن
الصفاء أربعة أشياء اليدان البشرة الاسنان الاظفار ومن الكبر
بعضها أربعة أشياء ركبتيان الفخذان الموطأ ومن الاشياء
بسارت أربعة أشياء الاردي الموطأ الكاهل ومن الخلاوة أربعة
أشياء الوجه والريق والعينان والنعمة ومن اللين أربعة أشياء
الحفظ بنفس الكلام البشرة ومن الحسن أربعة أشياء الخلق والخلق
والادب والطاعة ومن الملاحاة أربعة أشياء الضحك والنعمة والنوم

والمشيية ومن المظافة أربعة أشياء الوجه والفرج والابطان والاطراف
ومن الاشياء الشهية أربعة الملامسة المحادثة المعانقة المعاتبة ومن
الاشياء الخافية أربعة الكعبان الزندان المرفقان الترقوة ومن
الصدق أربعة أشياء المردة والحياء والعفة والامانة ومن المكنونة
أربعة أشياء الموطأ الكفان المجلس باطن القدم ومن الطيب
أربعة أشياء النفس النكهة الابطان الفرج تمت الاربعات
* ومن الاشياء المهيبة للبيعة التقبيل قال الاصمعي كل جماع لا قبل فيه فهو خداج
يعني ناقصا وقال الجاحظ أربعة أشياء محسوسة البركة أكل الارز البارد
واللبوس على النقاب والغناء من وراء الستارة والجماع في المساء قالوا وحسن
الشفاء وأشدّه تهيجاً وأوفق مارق الا علامتها وأجرت ونظفت وحرفت وكان
في الاسفل منها بعض الغلط واذا عرض عليها أخضرت فإن القبلة لهذه الشفة
احلاوأعذب وقالوا ان الذال قبل قبلة ينال فيها لسان الرجل فم المرأة ولسان
المرأة فم الرجل وذلك انه اذا كانت الجارية نقيصة القم طيبة النكهة فانها
تدخل لسانها في فم الرجل ادخالا يصيب ريقها وحرارة لسانها لسان الرجل
فينحدر ذلك الريق وتلك الحرارة والتسخين الى ذكر الرجل وفرج المرأة فيشبه
ذلك شبهتهما وغلما ويقوى شهوتهما فيزداد لونهما صفاء وحمى ما أحسن قول
ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلصات حذار مرتقب

نقر العصا فيروهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وتلاطف بن وكيع في قوله

ظفرت بقبلة منه اختلاسا * وكنت من الرقب على حذار

ألذ من الصبوح على غمام * ومن برد النسيم على خمار

وأما كلام المجامع عند الباء فانه من كمال السرفوت تمام اللذة لان كل حاسة من
حواس الفاعل تكون مشغولة بلذتها فالعين بلذة النظر والشم بلذة الرشف
والانف بلذة الطيب والذكر بلذة الجماع فيحتاج أن يكون الادن ممتعة بالخط
المحبوب لاسيما ان كان ذلك الكلام مما يجلب الشهوة فتتكمّل الذاتان
الملتذير يد أن يجيد الذات المتفرقة في شخص واحد ليتيم باجماعهما بصورة

واحدة شريفة قال الشاعر

وفي أربع منى خلت منك أربعا * فما أنا أدري أيها هي لي كرى
 أوجهك في عيني أم الريق في في * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي
 وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان بالهند امرأة تعرف بالالفية وذلك انه كان قد
 وطئها ألف رجل وكانت أعلم زمانها بأحوال الباءة وان جماعة من النساء اجتمعوا
 اليها فقالوا أيتها الانثى أخبرينا ما نحتاج اليه ونستعمله وما الذي يثبت محبتنا
 في قلوب الرجال وما الذي يتلذذون به ويكرهون من اخلاقنا وما ينبغي أن
 يعمل معهم ليستجلب به محبتهم قالت نعم أول كل شيء أقوله لكم انه ينبغي أن
 لا يقع له نظر الا على زينة قالوا وما الذي يجب على الرجل أن يتقرب به الى قلب
 المرأة قالت الملاعبة قبل الجماع والرهز بعد الفراغ قلن فما الذي يكون سبب
 محبتهم لبعضهم بعض واتفاقهم قالت الاتزان في وقت واحد قلن فما الذي
 يفيد مودتهم وصحبتهما قالت أنى يكون غير ما ذكرت لكم ثم سألهن عن أصناف
 الجماع فذكرت لهن ذلك أضربت عن ذكرها لكثرة أقسامها ومن أراد ذلك
 فليطالع الكتب المؤلفة فيها فانها مشحونة بها واماميلهن الى النكاح وشدة
 شبقهن فمنه ما حكى انه كانت امرأة لها يسار وصال فخطبها رجل له يسار وصال
 وثروة فلم تفعل فقامت لها أمها يا بنية لم لا تزوجين به هذا الرجل فانك لا تجدى
 مثله فقالت لا أريده لاني سمعت أن في وسطه ابراعظيما مثل الوند ولا طاقة لي به
 قال فتشفع الرجل الى أمها وسألها أن تشفع فقالت له قد ذكرت لها أمرك
 فقالت انها لا تطيق ابرك ففعل زوجيني بها واشترط لها على شرط انني
 لا أدخل منه شيئا الا بأمرها ويكون في يدك تدخل منه الذي تشتهين وتترى
 الذي لا تريد منه فقالت لا ينتها ذلك فقالت رضيت بهذا الشرط فلما كان
 ليلة العرس قالت له أمها أنت على الشرط قال نعم فلما خلا بها قال لها تقديمي
 وامسك به بيدك وأدخلي منه ما تريد ابنتك فأخذته بيدها وأدخلت منه مقدار
 عقدة وقالت يكفيك هذا قالت زیدی يا أمها عافاك الله فزادتها فلم تنزل كذلك
 الى أن لم يبق منه شيء فقالت أزيدك يا بنية فقالت أي والله يا أمي قالت يا بنية
 فأنت قلت لا طاقة لك به فوالله ما بقي معي منه شيء فقالت البنت أسخن الله
 عينيك والله لقد كان أبي يقول انك أي شيء وضعت يدك عليه طارت البركة منه

وأنا لأعلم وقد علمت الآن (صفة شربة) نافعة للهوى وعلايل النوى بسم
الله اللطيف الحكيم يؤخذ على بركة الله واطفه * ثلاثة مثاقيل من صافي
وصال الحبيب * منقاة من عيدان الجفأ وخوف الرقيب * وثلاث مثاقيل من
بزر الاجتماع * منخولة من غلت الهجران والانتطاع * وأوقيتين من خالص
الود والسكران * مزوجة من عيدان الصد والهجران * ويؤخذ من عطر
البنجور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان * ويؤخذ مائة
بوسقة رمانيه محكوكة مرضوضه منها خسون صغار سكرية * وثلاثون زق الحمام
وعشرون عصفورية ويؤخذ غننج حلي وشخير عراقي من كل واحد مثقالان
ويؤخذ أوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الوجنتين * ويدق الجميع ويخلط
ويذره على وزن ثلاثة دراهم غلبة مصريه * ويضاف اليها قرص الاعكان
المطويه ويغلى بماء المحببة على شراب الشوق وخطب الطرب في مرحل
الجملة ويصفى الجميع على ديبق ساطاني ويحل فيه أوقيتان من شراب الرضاب
ويشرب على الريق من ثغور الاحباب ويكون الغذاء مزوجة بطين الاشتياق
ويضاف اليها قلب لوز العناق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة
أرطال من المدام ثلاثة أيام ويتبعه برطالين من شيل الساقين ويدخل الحمام
نافع مجرب والسلام * بعث بعض الظرفاء الى محبوبته مروحة وبأوقية زهر
وسكر نبات وشرابه وعود ففهمت مراده وبعثت اليه خيطا أحمر وقطعة
من صباره وثلاث كمونات سود وغاسول وزر ففهم مقصودها وصبر والمراد
من فعله أنه أراد بالمروحة نروح وبالزهر البستان وبالسكر النبات نبات
وبالشراية تشرب وبالعود نسمع الغناء ومقصودها أنها عرضت بالخيطة الأحمر
أنها حائض وبالصبرة صبر وبالثلاث الكمونات ثلاث ليال والغاسول
أغتسل وأزورك * وأهدت بعض القينات الى الملك العزيز بن السلطان الملك
الناصر صلاح الدين يوسف في بعض الأيام كرة من العنبر فكسرها فاذا في
وسطها زر ذهب وكانا يكتمان أمرهما خوفا من السلطان فلم يفهم معنى ذلك
فارس الى القاضي الفاضل يسأله عن ذلك فقال ارتجالا

أهدت لك العنبر في وسطه * زر من التبرد فيق اللحام
فالزر في العنبر برمعناهما * زرها كذا مستتر في الظلام

(كتبت) بعضهن على عصايتها الصعد وتمكن على بطن معكن
 (وكتبت) أم القاسم بنت بلبل العطار وكانت من كبار المساحقات على خاتنها
 مل من الباطل فرجع الى الحق وأين هذا من قول بعضهن وقد قيل لها أرجعي
 الى الحق فقالت الحق بعض مرادى وهذا من الاجربة اللطيفة وما أحقها بقول
 القائل شعرا

مغرمة بالسحاق أضحت * تبكى عليه بكل عين
 ما اتقنت من الهول الا * تصيف الحق في حسني
 (وحكى) ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما بستانا فغدا فغدا
 فوق وقعد مكنها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال (وقال) آخر
 جرح يريد القتيله * ايش تنفعه الزقاق
 (وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

قولوا لمن تهوى السحاق الذى * حرمه الله فما فيه خير
 أخطأت يا كاملة الحسن اذ * أقت السحق مقام الزبير
 يحكى ان حمده بنت زياد المؤدب ذكرها المؤرخ الترحال نور الدين بن سعيد في
 كتابه المغرب وقال وهى من خدساء المغرب من نظمها وقدمت الى وادى
 مدينة وادى بالقرب مع جوار لها فسبحت معهن وكان لها فيهن هوى
 أباح الدمع اسرارى بواد * له فى الحسن آثار بوادى
 فن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يطوف بكل وادى
 ومن بين الطبباء مهابة أنس * لها لى وقدمت فؤادى
 لها لحظ ترقده لامرؤسا * لك الامر يمنعنى رقادى
 اذا سددت زاوئها عاليا * رأيت البدر فى أفق السواد
 كأن الصبح مات له شقيق * فن خون تسربل بالحداد

وقالت ماجنة لمسحاقة ما فى الدنيا أطيب من الموز قالت نعم الا انه ينفع
 البطن وقالت ماجنة لمسحاقة أين أنت عن الاصابع الاقرع الاحدب
 الم بوق لذى كانه بوق العظيم الحق الكثير العروق الذى يخرق
 تخزوق ويسد البشوق ويفتق الفنوق ويرفو الشقوق ويقضى
 كسرت رباحا لمخلون لا جرد الاريد الذى كانه الويد أورقبة

الاسد الاجر الاشقر المجر الذي رأسه كالخور وأصله كالانحر وفيه
عرق أخضر كأنه عرق لحم البقر في رأسه كماه ووسطه قناه وفي أسفله مخلاه
ونحيته في قناه يراك من حيث لا تراه لو نطح الفيل كوره أودخل البحر ثوره
كأنه غصن بان أوسيف يمان أوصقلا في عريان أوزنجي غضبان بل
كأنه شيطان أوراها ببحران أوهامة هامان أوعتر في الحرب أوحارس
في درب أوراس جل أور كبة جل أوكوب الذنب أوطن قصب
أوذنب التنين أوشوبك القيارين ينطح بغير قرنين ويمشي بغير رجلين
ويصر بغير عينين يدخل في الظلمات وهو أحد البليات في عنقه طويق
من أسفل إلى فوق إذا ارتفع النهار يكون كالجمار أتبه من ملك القندهار
مدمج كالطومار يغوص في البحار ويثقب الأبقار ويدخل في الأحجار إذا
جئنه الليل أطال القيام والناس ينام (فقال) المساحقة أما علمت أن المظف
والنظافه والطرف واللباقه والتساجي والبراعه في السحق الذي هو
سبعون ومائة واحدة منها العقبى والاستكلاب والطنبلسب والملح
والمعوج والمقرطح والدارتردار والطاق برطاق والمخالف والمؤائف
والشراعى وقبضه وبسطه وعقبه وضغطه والنطيط والصغدعى
والتفن والرهز وغيرهده * وأما أنتم فكل شئ لكم النوم على القما
والادخال في الاست فإذا جهدتكم جهدكم كان لون آخر وهو القيام على أربع
ويسمونه المجارى وتفتخرون به وأين هذا من أخذه سوقا وعمل وسؤال وعمل
ورقده وخلوه وحديث هند والزرقا ودعنا نبوران وقد بلغنا أن رجلا قبض
على امرأة في خزانة الشراب ورفع رجلها ليضعه بين شفريرها فغلاط وأدخله في
أسنتها فتسنت ورفسته فانصدع من حلقه ست وثلاثون خابية خمر ونحن
فتجتمع منا الغانية الشكل البيضاء القمبه الشطبة الرطبه الغضة البضه
التي كأنها ريحان أوقضيب خيزران بشعر كاللؤلؤ وذوائب كالارسان
وحدود كشقائق النعمان أوتفاح لبنان وثدى كالرمان وبطن بأربعة
أعكان وحر كأنه قبة الدار أربع في ثمان أوقربة عليها شونير أرأرب حاشم
أوبطة سكاربه بشفرين أغاظ من ثغرة البقره كأنهما سنام نافر في لون
العجاج وابن الديباج وبياض الفلك ودهنية الودك كأنه الركوة

المنقوخه متوفى مخلوق مضمخ بالمسك والمخلاق كأنه كسرى انوشروان
 في صدر الايوان متلئخ ذلان فرح مرج ومعه من الملاحظات ما يخرج عن
 حد الصفات من الاصابع المطرفه والاصداغ المزرفه والمجوابب المزججه
 والمخدود المذبجه والشعور المرحله والنحور المزينة بالمراسل من الدر
 والياقوت والمرجان في الغلائل المسككة المبخرة بالعود الهندي المجهون بالعنبر
 مع أخرى تنهذى كالقمر بل كالشمس والقمر في منازل السعدود على القرش
 الديقيبه والارديه القصديه ومطارف الخز المضربات من رقيق القز
 المنشوة فوق الاسرة من الابنوس والعاج ومخاض الديباج المشوف بها زغب
 الريش المحفوفه باللحاح السليمانية والدسبونيات السوسيه وبراني النرجس
 مع أنرج السوسن وتفايح أصهبان والسفرجل والمان وأطباق الرياحين
 المشمومه بين تلك الافاويه المقمهه بالعنبر والوصائف الفارغات علمهن
 العقيان يتضوع من قراطقهن العنبر فيخلو معهن تلك المعائب الشبيهه
 والنغم العذبه والاشارات اللطيفه والغمز بتلك المحواجب والمحفون الساحره
 السالبة لاسباب ذوى المعقول والآداب بالالفاظ الرقيقه المحركة للسواكن
 المسكنة للحركات بالغنج والشكل والبراعه والاس الذي تضرب له العروق
 الهاديه وتهدأله العروق الضاريه فاذا صاغت الخدود والنحود وانحدرت
 الدموع فيما بينهما برقة الشكوى ولطافة النجوى كالطل على ورق الورد
 وتطابقت الصدور على الصدور وانضمت النحور الى النحور واصططكت الثغور
 بالثغور وانتهت اساقان المدمجة بأخواتهما وتراكب الشفران على الشفرين
 واختلج كل جانب منهما على الآخر لم يقع أبقرط ولا جالينوس على بنصته ولا
 اركاعايس على مجسه ولا افلاطون وارسطاطاليس على حسنه ولا بطليموس
 على حسابه ولا قس بن ساعدة على شرحه وبيانته ولا ابراهيم النظام على
 برهانه ولا النعمان على قياسه ولا منصور بن عمار على صفاته حتى اذا علت
 الانفاس واستغرقت الخواس وارتفعت الحرارة العزيزية الى الرأس
 وبطل فيما بينهما كل قياس نظرت الى الحركات الحسيه والضمائر الوعديه
 والطبائع الغريزيه والالحاظ العشقيه وقد ضبط كل عضو اقليمه
 واستكمل فيما هو فيه بعينه بين مص وقرص ومقابله ومخايله ومخالبة

ومناجيه ومواثبه ومساليبه ورهز وغمز وشهيق ونهيق ونخير ونعيم
 لو سمعها هل الثغور لصاحوا النغير مع رفع ووضع وجذب ودفع وضم
 وشم والتزام وقيل وعمل أحسن من كل عمل كل ذلك بأنين وحنين وأدب
 وأرب حتى إذا حان الفراغ ووصلت اللذات إلى بطون الدماغ شممت روائح
 الروائح من حانة خمار ونظرت إلى اهتزاز غصن البنان في حل الأزهار ولو
 أبصر الفطناء ما هم ما فيه محاروا ولو سمع بها الركان لساروا فبالهاسم لذة
 كامله ونعمة شاملة (قلت) وأنشدني الشيخ شمس الدين الرئيس من أقطه
 لنفسه شعرا

عشاقه النسوان مذلته * قالت دع اللوم وأن في المقال
 ما في سويداء القلب إلا النسا * ما حيايتي ما في السويداء رجال
 (ونقلت) من الأحاطه بتاريخ غرناطه تأليف الامام العلامة ذى الوزارتين
 لسان الدين محمد بن الخطيب تنمده الله بالرحمة قال المصنف المذکور كتب
 إلى سيدنا ومولانا قاضي القضاة ولي الدين عبدالرحمن بن خلدون المحضرمي
 صديقه الانبياء بيجارية تدعى هند

أوصيك بالشـيخ أبي بكره * لاتأمنن في حالة مكره
 واحتذب الشل إذا جثته * جنبك الرحمن ما تكره
 سيدى لازات تنصف بالواجب بين المخلاخل والدماج وتركض فوقها ركض
 الهمالج أخرنى كيف كانت الحال وهل حطت بالقاع من خير البقاع الحال
 وأحكم بمرود المراودة إلا كتحال واكتحل بالسقياء الاحمال وصح الانتحال
 وححص الحق وذهب المحال وقد طولعت بكل بشرى وبشر وزفت هند
 منك إلى بشر فله من عشيقه تمتعت عن الربيع بفرش موشيه وابتذل منها
 أى وساد وحشيه وقد أقبل ظي الكناس من الديماس ومطوق الحمام من
 الحمام وقد حسنت الوجه الجميل النظر به وأزليت عن الفرع الاثيث
 الأبريه وصقلت الخدود فكانها الأبريه ونسلاط الدالك على الجلود وأعزبت
 النورة بالشعر المولود وعادت الاعضاء تنزل عنها اللبس ولا يئالها البنان الخمس
 والمحلة يجول في صفحتها الفضية ماء النعيم والمسؤل يئنى من يئنه الشـعيم
 والقلب يرمى من الكف للرقيم بالمعقد المقيم ويتظار إلى نجوم الوسوم فيقول

اني سقيم وقد تقطع ورد الخضر وحكم لنجى الضفيرة بالظفر واتصف أمير
الحسن بالصمود والمغفرة ورش بماء الطيب ثم أعلق بالله بالعود الطيب
وأقبلت الغادة تهديها الثمن وترفعها السعادة فهي تمشي على استحياء وقد ذاع
طيب الربا وراق حسن المحيا حتى إذا نزع الخف وأقبلت الأكف وصحب
المزمار وأجاب الدف وداع الأزج وتخور اللوى والمنعرج ونزل على بشر
بزيارة هند الفرج اهتزت الأرض وربت وغوصت الطباع البشرية
فأبت والله در القائل

ومرت وقالت متى يلتقي * فهاش اشتياقا إليها الخبيث
وكعاد يمزق سرباله * فقلت إليك بساق الحديث

فلما انسدل الظلام وانتصفت من عريم العشاء الأخيرة فريضة الاسلام
وخاطت خميوط المنام عيون الانام تأتي دنوا مجلسه ومسارقة المجلس ثم آن عض
النهد وقبلة الفم والخد وارسال من الخد الى الوهد وكانت الامالة القليلة
قبل المد ثم الافاضة فيما يعيط ويرعب ثم الاماطة لما يشوش ويشغب ثم
اعمال المسير الى الميرر وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورضيت فذلت صعبة
أى اذلال هذا بعد منازعة الاطواق بسره تراها العبد من حسن المسره ثم
شرع في حل التكه ونزع السكه وتهبئت الارض الغرار عمل السكه ثم كان
الراى الاستبحال وحى الوطيس وضاق المجال وعلا الحرة الخفيف وتضافرت
الخصور الهيف وتساطر الطبع العفيف وتواتر التقيبيل وكان الاخذ
الويليل وامتار الانول من النيل ومنها جاثرو على الله قصد السبيل فيالها
من نعمة متداركه ونفوس على سبيل القحة متهالكه ونفس تقطيع حروف
الحلى وسبحان الذى يزيد فى الخلق وعظمت الممانعه وكثرت باليد المصانعه
وطال التراجع وشكى التحاوز وهناك تختلف الاحوال وتعظم الاحوال
وتخسر وتربح الاموال ففى عصى يتقلب تعبانا مبيدنا ونونه تصير سيننا وبطل
لم يهله المعترك الهائل والوهـم الزائل ولا حال بينه وبين قربه الحائل
فتعدى فتحة السالك الى فتحة الراض وتقدم مذهب الاراقة من الخوارج
فى الاعتراض ثم ذق الصف وقد خضب الكف بعد ان كان يصيب البراء
بطعته وسبق بمقن الله وبعنايته طعنة ابن عبد القيس طعنة نائرها نقد

ولا الشـماع أضاءها وهناك هذا القتال وسكن الجبال ووقع التوقع
 باستراح الببال وتشوق الى مذهب التنويه من لم يكن للتوحيد مثال وجعل
 تجريح يقول وقد نظر الى دمه يسيل على قدمه انى له عن دمي المسفوك معتبرا
 وقول جلته في سفكه تعبسا ومن سبات طاعيانا وشجاع صار جبانا كلما شابهته
 شائبة ريبه أدخل يده في جيبه فالحجرة الحية وماتت الغريزة الجبـه وتقلب
 المخضر وخف اللغاب وتظاهر اللعاب ويخفق الفؤاد ويكبوا الجواد ويسيل
 العرق ويشتد الكرب والارق ولبس في محل الامن الغرق ويدرك فرعون
 الغرق ولا يزيد الحال الا شدة ولا يعرف تلك الجارحة المؤمنة الا رده
 اذ لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده
 فكم مغري بطول اللبث وهو من الخبث يؤمل الكره ليزيل المعره ويستنصر
 الجبال ويعمل باليد الاحتبال شعر

انك لا تشـكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل أومت
 فقال سيحدث الله بعدد عمر يسرا وبعدى ثباتا اللهم انا نعوذ من فضايح
 الفروج اذا استغلقت أفعالها ولم تدم بالنجـيح أعقالها ومن معرات الاقدار
 والنـكول عن الابكار ومن النزول عن البطون والسرور والجوارح الحسنة
 الغرر قبل تنقب الدرر ولا تجعلنا ممن يستحي من البكر بالغداة وتعلم منه كلال
 الاذاه وهو محل فضحت فيه رجال وفراس سكنت فيه أوجال وأعملت
 روية وارتمجال فن قائل

أرفعه طورا على أصـبى * ورأسه مضطرب أسفله
 كالحنش المقتول يلقى على * عود لكي يطرح في مزبلة

أوقائل

عدمت من ابرى قوة حسه * باحسرة المرء على نفسه
 تراه قد مال على أصـله * تحائط مرء على أسـه
 وذكريات تامة كثيرة من هذا النمط أضربت عن ذكرها هموم لا تزال تبكى
 وعامل على الدهر تشكى وأحاديث تقص وتحكى قال كنت أعزك الله من النمط
 الاول ولم يقل وهل عند رسم دار من معول فقـد جنيت واستطبت السمر
 فاستدعى الابواق من أقصى المدينة وانـرج على قومك في ثياب الزينة

واستبشر بالوفود وعرف مسمع المسمع حارفة الجود ونجح صلواته العود وانجاز
الوعود واجن رمان النهود من أغصان القود وأقطف بينان اللثم اقحاح
الثغور وورد الحدود وان كانت الاخرى فاحف الكمد وارض التمد وانتظر
الامد واكتد التوسم واستعمل التيسم واستكتم النسوة واقص فيهن
الرشوة وتقلد المغالطة وارتركب وحيث على قبصك بدم كذب واستنجد
الرجن واستعن على أمرك بالسكتان لا تظهر اعاذل أوغادر التبيان
واستنشق الارج وارقتب الفرج فكم غمام طبق وماهما وما رميت
ولا كن الله رمى واملك بعددها عسان نفسك حتى تملكك الفرصة وترفع
اليك القصة ولا بشرى الى عمل لا يفي منه بتمام وخذ عن امام ولله در عروة
ابن حزام

الله يعلم ما تركت قتالهـم * حتى رموا مهري بأشـقر مزبد
وعلمت انى ان أقاتل دونـهم * اقبل ولا يضر رعدوى مشهد
ففررت منهمـم والاحبة فيـهم * طمعا لهـم بعقاب يوم مفسد
وللبانات تلين وتجمع والمآرب تدنو وتبرح وتخزن ثم تسبح وكم من شجاع
حام ويقظ نام ودليـل أخطأ الطريق وأضل الفريق والله عز وجل
يحميها خـلة موصولة وشهلا أكفاه بالخير مشغولة وبينت أركانها لو كانت
اليمين مأمولة حتى يكترعهم سيدى وجواريه واسرته وسراريه وتصفو عليه
نعمه باريه ما طورد قيص واقتم عيص وادرك مدام غويص واعطى
زاهدا وحرم جريص بمنه وكرمه

(فصل) فى بعض ما كتبه المتطرفات * كتبت طرفة جارية النطاف على عصابتها
بالذهب ليس فى الحب مشوره * وكتبت توفيق جارية ابن جادان على برقعها
كمال المسكارم احتساب المحارم * وكتبت سلامة حظية عبد الله بن طاهر ليس
على القلب حكم * وكتبت عنان جارية الناطق على عصابتها باللؤلؤ اذالم تستحي
فاصنع ما شئت * وكتبت فرحة جارية على بن الجهم على عصابتها بالريش من
صبر ظفر * وكتبت مشتهى جارية القاسم البجلي على مجمرتها من وائله الحبيب
هان عليه الرقيب * وكتبت نزهة جارية الخصاص على عصابتها من جاد ساد
ومن بخل ذل ونقشت على فص خاتمها من حن أن * وكتبت كنز جارية ابراهيم

ابن اسحق على جبينها بالاسك العشق والكتمان ضدان لا يجتمعان * وكتبت
 نسيم جارية جميلة المذنية على جبينها بالغالية مراغمة الرقباء في مصالحة الاحياء
 * وكتبت خاف جارية ابن حمدان على طرازها من عشق ولم يصبره لك ولم يعلم
 * وكتبت المستحسنة جارية اللاحق على طرازها الايمن بالذهب من داري خليه
 داوى عليه وعلى الايسر من كشف الغطاء استحق العطاء * وكتبت وشاح
 المؤيدية على طراز مجمرها بالذهب الوفاء مالج والمزقبيج قال علي بن الجهم
 كنت عند اسحق بن ابراهيم الموصلي فدخلت جارية متهج الموصوفة بالجمال
 وقد كتبت على أحد خديها بالغالية

من يكن صباوفيا * فعناني في يديه

وعلى الآخر

خدم ليكي بعناني * لأمانك عليه
 وعن الجاحظ قال رأيت نشوان جارية زلزل قد كتبت على عصابةها
 ان للرجس حسنا وعيونا أشتتها
 فأراها فتريني * عين من أهواه فيها
 وكتبت ترشف جارية هرون بن اسحق على عصابةها
 أليس عجبا ان يبتا ضمني * واياك لا تخلو ولا تتحدث
 وكتبت جارية المتوكل زاجر على عصابةها
 اذا خفنا من الرقباء يوما * تكلمت العيون عن القلوب
 وفي غز الحواجب مغنيات * لحاجات الحب الى الحبيب
 وكتبت نظيفة جارية يحيى بن خالد بن برمك على طوق لها
 ماذا في بؤس معيشة ونعيمها * في النار من في عمره لم يعشق
 والحب فيه حلاوة ومرارة * فأسال بذلك من تطعم أودق
 وكتبت هاجر جارية محمد بن علي على خمارها
 اذا نظرت نحوي تكلم طرفها * فجأوبها طرفي ونحن سكوت
 فكم نظرة منها تقرب بي الرحا * وأخرى لها حتى تكاد تموت
 وكتبت حسنة البدوية جارية المعتز على برقها بالذهب
 ألاحظها خوف المراقب لحظاء * فأشكوا طرفي ما ألقى من الوجد

(٢٨٠)

فتقهم عن لحظتي عظيم صبايتي * فتوى بطرفي العين انى على العهد
كنت ملاعب على جيتنها بالمسك
تحمّل عظيم الذنب ممن تحب * فان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك ان لم تحمّل الذنب يافتي * يفارقك من شهوى وأنفك راغم

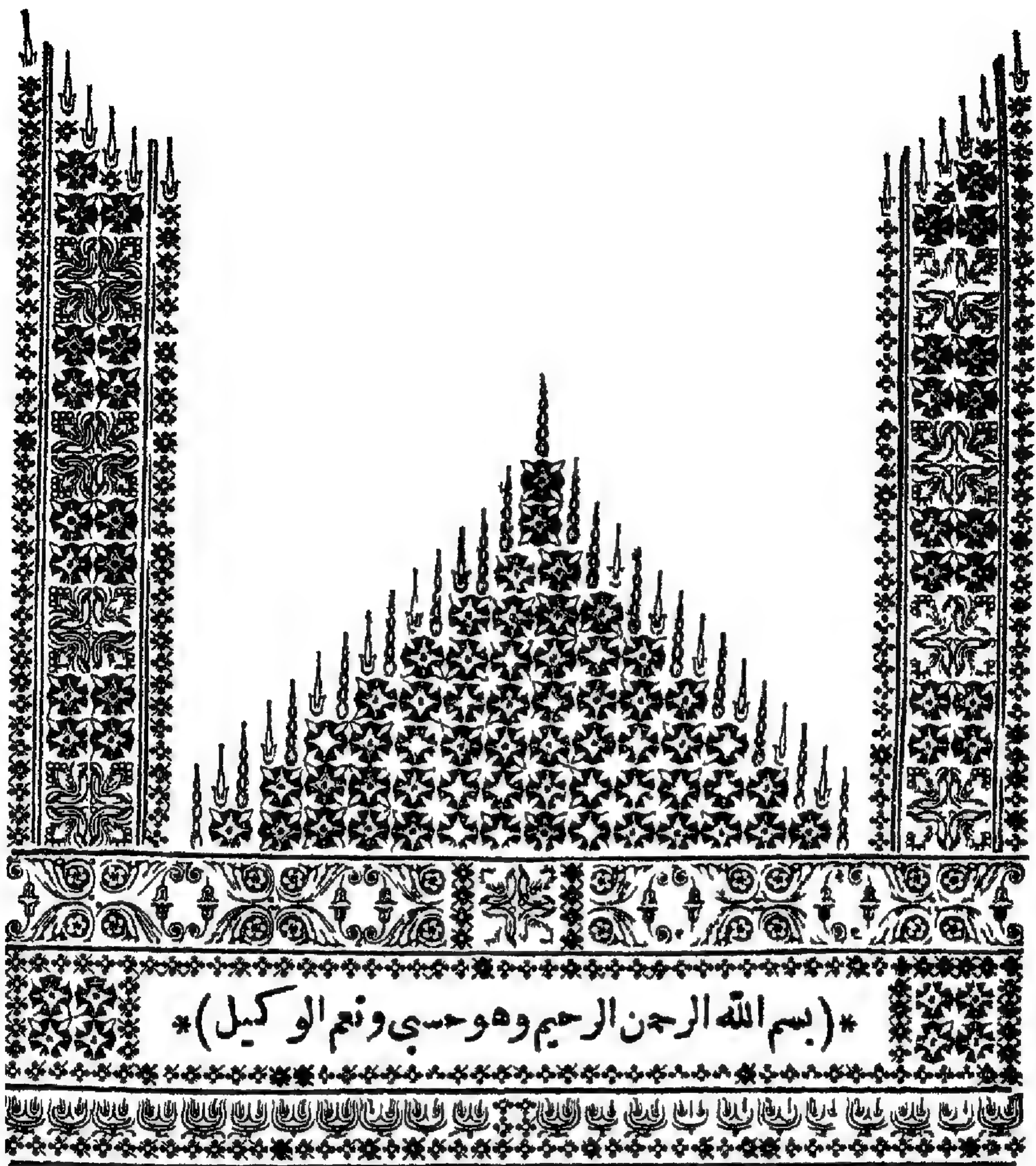
تم الجزء الاول من مطالع البدور فى منازل السرور
ويليه الجزء الثانى أوله الباب السادس والعشرون
فى النجم وما غزى منزاه

* (الجزء الثاني) *

من مطالع البدور في منازل السرور
تأليف الشيخ الأديب والفاضل
الأريب علاء الدين علي
ابن عبد الله البهائي
الغروي عفا
الله عنه
آمين

* (الطبعة الاولى) *

* (طبع بمطبعة ادارة الوطن سنة ١٣٠٠) *



* (بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل) *

* (الباب السادس والعشرون في الحمام وما غزى مغزاه) *

الحمام بالتشديد واحد الحمامات المبنية وهو مذكر * قال ابن الخباز في شرح
الافقية بادرة عن بعض الكتاب كتب يومها هذه الحمام فقبل له الحمام مذكر
فقال أردت حمام النساء رها طريف * وحكى فيه التأنيت أيضا وأنشد
* واذا دخلت سمعت فيها رنة * وقال ابن عمر رضى الله عنهما الحمام من النعم
الذى أحدثوه * وروى عن أبي الدرداء وأبي ذرأنهما قالانعم البيت الحمام يطهر
البدن ويذكر بالنار * وقال أبو هريرة يرفعه نعم البيت الحمام يدخله المسلم
يسأل الله الجنة ويستعين به من النار * وأول من دخل الحمام ووصفت له النورة
سليمان بن داود عليهما السلام * فلما وجد حرها قال أواه من عذاب النار * قال
العرالى فى الاحياء ومن جهة الطب قيل ان الحماماء بعد النورة أمان من الجذام

وقيل ان النورة في كل شهر تطفى الحرارة وتنقى اللون وتزيد في الجماع * وقيل
بولة في الحمام قائما انفع من شربة دواء * وغسل القدمين بالماء البارد بعد
الخروج من الحمام امان من النقرس * وذكر السهائي في كتاب الحمام باسناده
الى الفضل بن الفضل الكندي قال ذكر في قوله تعالى ونعمة كانوا
فيها فاكهيئ انهم الحمام وقت الضحى * وبسنده الى يونس بن عبد الاجل انبأنا
وهب قال سمعت مالكا يقول من ادخل رجلا الحمام وجب غذاؤه شاء او ابى
وروى عن مجاهد عن علي انه كان يغتسل من مس الابط والحمامة * وعن جابر
مرفوعا نهى أن يشل البدن بشئ يؤكل وبسنده قال الحرث بن كلدة أربعة
أشياء تهزم البدن الغشيان على البطن ودخول الحمام على الامتلاء وأكل
القييد وبجامعة النجوز * وبسنده الى محمد بن عبد الحكيم قال سمعت الشافعي
يقول رأيت في الطب عجايبا يدخل الحمام قبل ان يأكل ثم يؤخر الاكل بعد
ما يخرج كيف يموت وعجبت ان احتجم ثم يادر الاكل كيف لا يموت وذكر
بعض الحكماء ان غسيل الوجه بالماء البارد عيب الخروج من الحمام يبقى
طراوته مع كبر السن * قال الشيخ هبة الله أبو المكارم بن جميع الاسرائيلي
الطبيب في كتاب الارشاد (الفصل) المحسون في الاستحمام ومنافع الحمام
ومضاره وكيفية استعماله منافع الحمام كثيرة وذلك لما وافقته السائر الامزجة
من الحرارة والباردة والرطوبة واليباسة اذا استعملت على ما ينبغي وقد أشار
جالينوس الى ذلك بقوله ان الحمام نافع في الشتاء والصيف ولان مزاجه حار أو
بارد أو رطب أو يابس وقال أيضا ان الحمام علاج البدن من الضدين ان أخذه
حار لمزاج عدله برطوبته وان أخذه بارد لمزاج أدواء بحرارته وهي توسع المسام
وتستفرغ العضول وتخال الرياح وتدر البول وتحبس الطبيعة وتنظف الوسخ
والعرق وتذهب الحكة والجرب والاعياء وتلين بشرة البدن وتجوّد الهضم
وتنشط الاعضاء المتشنجة وينضج الرلات والزكام وينفع من حيات يوم ومن
الدق والرابع والبلغمية بعد نصيحها وينفع من وجع الحجب والصدر وينضج
الربو ويسمن المهزول ويهزل السمين ويرقق الدم والعصول الغليظة اللازمة
بحرارته ويرطب الابدان اليابسة الخشنة برطوبته وقد قال جالينوس ان الحمام
يحال الكيموس اللداع ويفيد البدن والاعضاء الاصلية نداوة ورطوبة

صافية كل ذلك اذا استعمل على القانون الطبي ولها أيضا مضار وهي أنها تسهل انصباب الفضول الى الاعضاء الضعيفة وترخي الجسد وتضعف الحرارة الغريزية والاعضاء العصبية وتسقط الشهوة وتضعف البهارة قال وأفضل الحمام ما كان قديم البناء كثيرا لاضواء مرتفع السقوف واسع البيوت عذب الماء طيب الرائحة وكانت حرارته بقدر مزاج الداخل اليه وكان وقوده بما ليس له كيفية ردة وقد أحسن الذي قال خيرا الحمام ما قدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه وقد رأتان وقوده بحسب مزاج من أراد وروده وقد قسم الحمام الى ثلاث بيوت كل بيت أسخن من الذي قبله لئلا يكون الانتقال من البرد الى الحر أو من الحر الى البرد فجأة فالبيت الاول مبرد مرطب والثاني مسخن مرطب والثالث مسخن مجفف وكذلك ينبغي أن يكون الانتقال في بيوتها على تدرج قال بخثيشوع اياك أن تدخل الحمام أو تخرج بغتة بل البت في كل بيت هنيئة واغسل رأسك بالسدر والطبخه بقليل ملح وادخل الحمام كل جمعة مرة فانك تأمن انتشار الشعر واستعمل المشط فانه يقوى البصر ويحدث أريحة وزهوا وانرج الى المسلخ متدرجا ثم صب عليك ثوبا نظيفا طيب الرائحة وتجنب النساء يوما وليلة وقال ابن جميع فأما أصحاب الامزجة الحارة فينبغي أن يقعدوا في البيت الاول قليلا وفي الثاني دون الاول وفي الثالث دون الثاني وأصحاب البلغم والسوداء بالصد فان قصدوا الحمام الترطيب أطيل المقام في المحوض ويكثر من رش الماء على أرض الحمام ليكثر البخار فيترطب الهواء وابتخر بالدهن ليزيد في الترطيب ويكون الخروج من الحمام قبل أن تلحقه منه مشقة مثل ضعف أو غثيان أو غشي أو شذر أو دوار أو سكرة أو صرع أو ما شابهها مثل هذه الاعراض الردئة فان كان القصود بالحمام التجفيف أطيل المقام في البيت الحار ويقتصر على هوائه دون مائه ولا استعمال الماء البارد عقيب الحار منافع عظيمة (وقال) جالينوس الاغتسال بالماء البارد عقيب الحار يزي الأعضاء حتى القوي الجوهرية التي في الأعضاء لكن ينبغي أن لا يكون استعمال الماء البارد عقيب الحار بغتة بل بتدرج يستعمل الماء أولا ممزوجا بالبارد ثم ينتقل بعده الى البارد ومن قصد تسخين بدنه فيدخل الحمام بعد تناوله الطعام ومن قصد تهزيله يدخل الحمام على خلو

المعدة ويطيل اللبث فيه ومن قصد حفظ صحته فيدخل الحمام عند آخر الهضم بحيث أنه اذا خرج منها يكون محتاجا الى الغذاء ويجب أن يجتنب الجمع في الحمام والنوم والقصد والحجامة فان في ذلك خطرا يبدنا وكذلك ينبغي أن يجتنب في الحمام وبعد استعمال الاشياء الباردة بالفعل لان المسام حينئذ تكون مفتوحة فلا يلبث ين دفع البرد الى جوهر الاعضاء الرئيسة فيفسد قواها وكذلك ينبغي اجتناب استعمال الاشياء الحارة الشديدة الحرارة بالفعل أيضا وخصوصا الماء فان ذلك يورث السل والدق وأما الدلك في الحمام فان الضعيف منه يحلل ويوسع المسام ويذوب الانحلاط والقوى يصاب الاعضاء ويحلل الرطوبات والمعتدل يجلب الدم الى ظاهر الجلد وأما التمرغ بالدهن بغير ذلك فيسد المسام ويمنع ما يتحلل وبعد الماء الحار يحفظ الحرارة من التحلل ويمنع ويرطب وبعد الماء يبرد ويرطب (وقال) مهذب الدين بن هبيل في كتاب المختار خير الحمام ما كان قديما البناء فان الحمام القريب العهد بالبناء تكون حيطانه ندبة فتكون أرايح صهاريج مضره يقال بعض الشراح لهذا الفصل الحمام الجديد البناء يتحلل من حيطانه رطوبات مخرجة بجوهر الكاس والجص والقار ويتبخر بحرارة الحمام فيضر استنشاقها بالروح والنفس لانها كيفيات رديئة خائفة يستحب النفس ويهجم به على القلب فيغير قوام صحته بسبب رداءة الهواء الواصل به بهذه الكيفيات الرديئة الجوهر فأما اذا اعتقت الحمام قبل تحليل الابخرة الرديئة منها ومن حيطانها فيؤمن الضرر المحاصل منها ومن الواجب أيضا أن يكون الغناء متعالا لان ابخرة الحمام رديئة وكثيرة ومحتبة لانها تتحلل من ابخرة ابدان الناس ومن أنفاسهم ومن مجاري الحمام النافذة الى فضاء الحمام فيكثر ويتراكم ويختلط بهواء الحمام فيزيده رداءة الى رداءته المكتسبة بحرارة الحمام فاذا استنشقه الانسان أضر بحرارته الغريزية وأنها بسبب خروجه لها عن الاعتدال في كنهه وكيفية أماككه فهو كثرة الابخرة المخالطة له وأما كيفية فردا آت الابخرة مع سخونة هواء الحمام فاذا كانت الحمام واسعة الفضاء تعلقت الابخرة باعلى الحمام وتبددت وتفرقت فتلطف الهواء المستنشق فيها فيكون أقل ضرر من الحمام الصغير ويجب أيضا أن تكون الحمام عالية البناء فان ذلك معين على تقليل ضرر ابخرتها المستنشقة قال

وأما عذوبة ماؤها فلا يحتاج الى تعليل اظهره لان المياه اذا كانت عذبة طيبة ليس فيها شيء من الكيفيات الغريبة عدلت غالب الامزجة وصحتها فان كانت كيفية غريبة مثل أن تكون مالححة أو كبريتية أو نحاسية أو حديدية أو لها مرور على معادن رديثة الجوهر أو على منابت أشجار خبيثة أو على مطابخ وأجام مبنية كثيرة الحيوانات الرديثة كأنواع الدود والضفادع والحيتات وما أشبه ذلك أنحرجت المزاج عن اعتداله الى حكم هذه الكيفيات الرديثة قال الشارح ومنافع الجسم كثيرة وأعظمها منفعة هو أنها اذا كانت معتدلة الهواء والماء فانها تفتح مسام البدن فيسهل بذلك خروج الفضل منه ويكسبه رطوبة عذبة يصير بها البدن الى نشاط وقوة وتفريح * وقال الرئيس أبو علي الحسين بن سينا رحمه الله في كتاب معناه حفظ الصحة لم يذكر فيه سوى أحكام الاسباب الستة الضرورية لا غير وينبغي ان يكون للحمام ثلاث بيوت بيت معتدل وهو الذي لا يحس فيه بهج ولا يبرد وبيت يحس فيه بهج بحرارة معتدلة وبيت يحس فيه بهج بزيادة عن الثانية بشرط أن يكون النفس فيه مستقيما غير متواتر فالبيت الاول لا يضر كبير مضرة والثاني والثالث فلا يعمكث فيه مما لا يتعدر ما يتحالى من الرطوبة ما من شأنه ان يتحالى فان طال المكث بها أكثر من المقدار المعتدل وخصوصا ان اقترن معه حركات قوية فانه يوقع في الدق لاشتداد سخونة القلب أو الاستسقاء لتحالى الحار الغريزي فيبرد مزاج الاحشاء قال وينبغي أن يجتنب الجسم على الامتلاء من الطعام فانه يولد سددا في الكبد والعروق لا يجذب المواد الغذائية غير منضمة الى ظاهر البدن فيكون ذلك سببا لحدوث أنواع نجيمات العفينة والاسهال الكائن بأدوار ويجتنب فيه الأشياء الباردة مثل الفقاع والماء البارد لان فيه خطرا عظيما جدا لان الشيء البارد السيل اذا حصل في المعدة هجم دفعة على الكبد والقلب فبردهما وأنهم حرارتهما الغريزية وأضعف الاحشاء وهما بالالاستسقاء ويجتنب فيه الجماع أيضا فانه يسقط القوة ويوقع في أمراض خطيرة واعلم ان الجسم الحار جدا يسيل الاخلاط الجاهدة الى اعماق الاعضاء فيحدث اماسددا واما اوراما ويصعد الى الدماغ ويحدث اماسددا شديدا أو برسا ما والجسم البارد يترك المادة التي تحركت بالعرق حركة ناقصة فتجذب المواد الى جهة سطح

البدن فربما أحدثت شبيهها بالورم والحكة وربما أحدثت الزكام والمغص ورش الماء البارد أو بله بعد الحمام فإنه ينعش القوة المسترخية من الكرب ومن اهيب الحميات وعند المغشى وخصوصا بماء الورد والنخل وربما صحح الشهوة وآثارها ونصر أصحاب التوازن والصداع وأما سكب الماء البارد على الرجلين فأحكامه أحكام ما تقدم في الرش على الوجه والحمام النافع على سبيل الاجال وهو الحمام المعتدل في حره وبرده الطيب الرائحة العذب الماء والى أضواءه كثيرة مشرقة وفناؤه واسع وفيه تصاوير بديعة الصنعة بيذة الحسن مثل عاشق ومعشوق ومثل رياض وبساتين وطرده خيل ووحوش فان في تصوير مثل هذه تقوية قوية بليغة تجتمع قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسانية وقال المحكيم بدر الدين بن مظفر قاضي بعلبك في كتاب مفرح النفس قد أجمع الأطباء والحكماء والأطباء قاطبة على أن النظر الى الصور الجميلة البديعة الجمال يفرح النفس وينشطها وينزل عنها الافكار والوساوس السوداء ويقوى القلب قوة لا مزيد عليها بسبب ازالة الافكار الرديئة عنه ثم قالوا فان تعمذ حصول النظر الى الصور الجميلة فليكن النظر الى صور جملة متميزة الصنعة مصورة في الكتب أوفى الهياكل أوفى القصور الشريفة وهذا المعنى قد ذكره المحكيم محمد بن زكريا الرازي رحمه الله وبالع في ملازمة فعله لمن يجد في نفسه افكارا رديئة ووساوس فاسدة غير موافقة للنظام الطبيعي وقال فان الصور الجميلة اذا جمعت الى صورتها حسن الاصباغ الملوقة من الاصفر والاحمر والاخضر والابيض مع ضبط نسبة المقادير في أشكالها فانها تنقي الاخلاط السوداء وتنزل المهوم الملازمة لنفس الانسان وتنزل الكدورة عن الارواح لان النفس تلطف وتشرف بالنظر الى مثل هذه الصور فيتعالى ما فيها من الكدورة قال وتفكر في الحكماء المتقدمين الذين استنبطوا الحمام في مدد من السنين كيف علموا بقدرة فكرهم وصائب عقولهم ان الحمام اذا دخله الانسان يتحلل من قواه شئ كثير فأفيضت حلماتهم أن استخرجوا بعقولهم ما يجبر ذلك سر يعاير سموا في الحمام صوراً بديعة الصنعة بأصباغ حسنة مفرحة وفهوا ذلك الى ثلاثة أقسام ولم يجعلوه قسماً واحداً لانهم علموا أن ارواح البدن ثلاثة أصناف حيوانية ونفسانية وطبيعية فعملوا كل قسم من التصوير سبباً لتقوية

قوة من القوى المذكورة والزيادة فيها وصوروا للقوة الحيوانية القتال والحرب
وطرد الخيل واقتناص الوحوش وصوروا للقوة الانسانية العشق والتفكير في
في العاشق والمعشوق وتصوير معاتبة يديهما أو معانقة وما أشبه ذلك وصوروا
للقوة الطبيعية البساتين وصوروا الاشجار البهية المنظر مع كثرة تصوير الازهار
والالوان المشوقة فهذه التصاویر وأمثالها هي جزء من أجزاء الجمال الفاضل
ولو سألت المصور المصير عن خصوصية أن الجمال لم لا يصور المصورون فيها الا هذه
الاقسام الثلاثة لما علم لها تعليل لا يمكن بذكر هذه الصفات الثلاثة لا تعلل
وسبب ذلك تقادم السنين على تعليل مبادئ الاشياء فما خلوا شيئا سدا ولا يجعل
شيئا درا (وقال) الحسن المتطبيب ورأيت به بغداد في دار الملك شرف الدين
هرون بن الوزير صاحب شمس الدين محمد بن محمد الجويني جمامة تقن الصنعة
حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الانهار والاشجار فدخلني اليه سائسه
وذلك بشفاعه صاحب بهاء الدين علي بن الفجر عيسى المنيش الاربلي وكان
سائس هذه الحمام خادما حبشيا كبيرا لسن والقدر ففرجني في مياثه وشبابيكه
وأنا بيده المتخذة بعضها من الفضة المطاوعة بالذهب وغير مطاوعة وبعضها على هيئة
طائر اذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة ومنها أحواض رخام بدبعة الصنعة
والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض ترمى جميعها الى
بركة حسنة الاتقان ثم منها يخرج الى البستان ثم فرجني في خلوة نحو عشر خلوات
كل خلوة صنعتها أحسن من أختها ثم انتهت بي الى خلوة عليها باب مقفل بقفل
حديد ففتحه ودخل بي الى دهليز طويل كله مرصع بالرخام الأبيض الساج وفي
صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب نحو أربع أنفاس اذا كانوا قعودا وتسع
اثنتين اذا كانوا جالسين أو ثمانين ورأيت من العجيب في هذه الخلوة أن حيطانها
الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينها وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر
بشرته في أي حائط شاء منها ورأيت أرضها مصورة بقصوص جروخ خضر ومذهبة
وكاهها متخذة من بلور مصبوغ بعضها أصفر وبعضه أحمر فاما الاخضر فقليل انه
من أنى من الررم والمذهب فهو زجاج ملبس بالذهب صوراني غاية الحسن
من رصعا من هيئات مختلفة في نومهم وهم بين فاعل ومفعول به اذا نظر اليهم
الانسان تتحرك شهوته قال الخادم هذه صنعهوه هكذا الخدمي حتى اذا انظر الى

ما يفعله هؤلاء بعضهم مع بعض من الجماعة والتقييل ووضع أيدي بعضهم على
 أحواز بعض تتحرك شهوته سرعاً فيبادر إلى مجامعة من يجب قال وهذه
 الخلوة دون سائر الخلوات التي رأيت هي مخصوصة بهذا الفعل إذا أراد الملك
 هرون أن يجتمع بأحد من عماليكه أو خدومه الحسان أو جواريه أو نسائه في الحمام
 ما يجتمع به إلا في هذه الخلوة فإنه لا يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة في الحائط
 ومجسمة بين يديه يرى كل واحد منهم ما صاحبه على هذه الصفة ورأيت في صدر
 الخلوة حوضاً خاماً مضاء عليه مركب في صدره أنبوب من ذهب يفتح ويغلق
 بلواب يدار وفوقه أنبوب آخر مثله يرسم الماء الحار وفوقه أنبوب آخر يرسم الماء
 البارد والأنبوب الأول يرسم الماء الفاتر وعن يمين الحوض ويساره عمودان
 صغيران منحوتان من البلور يوضع عليهما مبانخر الندو والعود ورأيتها خلوة شديدة
 الاضاءة مفرجة بدبابة قد اتفق عليها أموال كثيرة وسألت الخادم عن هذه
 المحيطان المشرقة المضيئة من أي شيء صنعت فقال ماء - لم فأرأيت في عمري
 ولا سمعت بأحسن من هذه الخلوة ولا أحسن من هذه الحمام مع أنني ما أحسن
 أصفها كما رأيتها فإنه لم تتكرر رؤيتي لها ولا اتفق لي الظفر بصناعتها ومباشرتها
 وفي الذي ذكرت كفاية انتهى كلام المحكم بدر الدين حسن بن زفر الأربلي
 ومن خطه نقلت هذه الفوائد وقال بعضهم فيه مغزاً

ومنزلة أقوام إذا ما تغابلوا * تشابه فيه وغده ورثيسه

تنفس كربي إذا تنفس كربه * ويعظم أنسى إذا يقل أنيسه

إذا ما أعترت الجحوظ فانتكثرت * على من به أقماره وشموسه

وقال العفيف التلمساني

مررت بالحمام كأنما نجيحه * وقد عقدت من الماء زرنجره

فما حالنا منه صدرا كأنما * غدت فيه نيران الصبابة تضره

يكتم منه أجفان الأنايب يديننا * كأننا له اللوام وهو المتيم

وقال محاسن الشواء الحلي

شدوا الماء زرفرق كأن النفا * بأنامل حبلوا بهما عقد التقى

وتجردوا فرأيت بأن معاطف * نشروا ذوائبهم عليه فأورقا

وبدوا فأطلع كل وجه منهم * بدرا فأضحى كل قطر مشرقا

(١٠)

وتضوع الحمام مسكا عندما * فرطوا من الاصداع نظاما مبعثا
من كل أهيف حل عقدة بنده * وغدا بالخط عيوننا متقطعا
وقال جمال الدين يوسف الصوفي في ملج تركي دخل الحمام وبنح ماورد
ولم أنسه لما تعرى نيايه * وجاء الى حمامه يتخطر
ولما أفاض الماء فوق قوامه * وفي وجهه نور من الحسن يظهر
رايت هلالا تحته غصن فضة * يلوح عليه أولؤ يتحدر
أنا بما ورد ذكي فبحه * بشغره كالسك بل هو أطر
فقلت أظي الترك قد فاح مسكه * أم الورد من خديه يحمي فيقطر
(دخول) بن بقي الحمام وفيه الطليطلى الاعى فقال له ابن بقي أجز
حمامنا كزمان القبط محترم * وفيه لابربرد غير ذي ضرر
فأجازه بقوله

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * فالغصن ينعم بين الشمس والمطر
(وقال) ابن رشيق

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم * طلاب نعيم قد رضيت ببوسى
ولا كن لتجربى عبرتى مطمئنة * فأبكى ولا يدري بذلك جليسى
أخذ صدر الدين بن الوكيل فقال
ولم أدخل الحمام من أجل لذة * فكيف ونار الشوق بين جوانحي
ولا كنى لم يكفى فيض مقلتي * دخلت لا بكى من جميع جوارحي
(وأنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ الورع الزاهد الثقة شمس الدين محمد بن
سعيد يار الذهبى مضمنا

لم أبغ بالحمام طيب تنعم * أفنى البكاء دموع عيني أجمعا
فبكيت فيه أسمى بجسمى كاه * حتى كأن لكل عرق مدمعا
وأنشدنى سيدى ومولاي القاضى صدر الدين بن الأدمى فسمع الله فى أجله
ان حمامنا التى نحن فيها * أى ماء بها وأية نار
قد نزلنا بها على ابن معين * وروينا عنه صحيح البخارى
كتب الشيخ صلاح الدين الصفدى فى حواشى المقامات عند ذكر ابن سكرة و ذكر
كافاته هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمى من ولد على بن المهدي قال

دخلت يوما الى حمام وخرجت وقد سرق مداسي فعدت الى داري حافيا
وأنا أقول

اليك اذم حمام ابن موسى * وان فاق المنسا طيبا وحرًا
تكاثرت الاصوص عليه حتى * ليحفي من بطيف به ويعري
ولم أفقد به ثوبا واجك * دخلت محمدا وخرجت بشرا
(نادرة) اتفق ان اثنين سبعا في نهر فلما خرجا صفع أحدهما صاحبه فقال له
بعض الحاضرين ابن فلوس الحمام فقال أنزلتها في القرعة وقال النصير الحمامي
لي منزل معروفه * ينهل جودا كالسحب
أقبل ذا العذربة * وأكرم البحار الجنب
ووعده السراج الوراق وتأخر فقال

وكذرت حمامي بغيبتك التي * تذكر من لذتها صفو مشربي
فما كان صدر الحوش من شرحابه * ولا كان قلب الماء فيه بطيب
(وقال)

ومذلت الحمام صرت فتى * لطف يداري من لا يداريه
أعرف حر الاشياء وباردها * وأخذ الماء من مجاريه
(وقال) يستدعي

من الرأي عندي أن تواصل خلوة * لها كبد حرا وفيض عيون
تراعى نجومها فيك من نار قلبها * وتبكي بدمع فائض كخزين
عذرا قلبها صبا عليك وانتان * تأخرت أضحى في حياض منون
(وقال) صدر الدين بن عبد الحق الحنفي رحمه الله تعالى

وجنة لا تنطفئ نارها * ندخلها وهي لنا مقصيه
نعيم فيها بلا طاعة * عذابنا فيها بلا معصيه
(وقال أيضا)

جهنم حمامكم نارها * تقطع أكبادنا بالظما
وفيها عصاة لهم ضجة * وان يستغيثوا يغاثوا بما
(وقال) شهاب الدين بن فضل الله

وحمامنا كعبة لا وفو * دج إليها حفلة عراه

بكر وصوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

(وقال) الشهاب محمود مضمنا

قل لي عن الحمام كيف دخلته * يا مالكي لتمر خلا مشفقاً

أدخلته وأولئك الأقوام قد * شدوا المآزر فوق كتبان النقا

(وقال) محي الدين بن تميم مضمنا

لو كنت في الحمام والحنا على * أعطافه ونجسه لا

لأريت ما يسبك منه بقاءة * سال النصارى بها وقام الماء

(وقال) مضمنا

عانت في الحمام أسود واثبا * من فوق أبيض كالللال المسفر

فكانما هوز ورق من فضة * قد أثقلت به جولة من عنبر

(وقال) جمال الدين بن نباتة مضمنا

قامت في الحمام تحت ما زر * روادف غيد ما سناها بغائب

كانني من هذى وهاذيك ناظر * بياض العطايا في سواد المطالب

(وقال) آخر في تجهيل الخروج منها

خذه من الحمام وانج * قبل ان يأخذ منك

حدث عنه والا * حدث الحمام عنك

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في المغاضاة بين حمامات مصر وحمامات

الشام

أحواض حمامات شام * تسعى لي ككاهنتين

لأنه كرى أحراس مصر * فأنت دون القلتين

(روا شافعي) من أعماء العلماء الشيخ جمال الدين الموصلي معاكسا للشيخ جمال الدين

الذي حبا بين حمامات مصر * ولأنه كبرى عندي بين

حياض الشام أحي من ماء * وأطهر وهي دون القلتين

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

ولم أسه كالغصن يطره الحيا * على إثر حمام يعطفه الصبا

ويتم بالندى أبيض سادجا * فصار بضوء الخد أجرم ذهبيا

(١٣)

دعاني صديق مجامع * فأوقعني في العذاب الاليم
فشر مزيد وماء قليل * فبتس الصديق وبتس المجيم

(وقال) زين الدين بن الوردي

وما أشبه النجم بالموت لامره * يذ كر لسكن أين من يتذ كر
يجرد من أهل ومال وملبس * ويحبه من كل ذلك مئزر

(وقال) ابن وزير يشبه الماء على الرخام

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضه ما يبتنا جاري
كأنه فوق شقات الرخام ضحى * ماء يسيل على أبواب قصار

(فقال) ابن الوردي يهجو

وشاعرا وقد الطبع الذكاه * فكاد يحرقه من فرط اذ كاه
أقام يجهدا ياما قريحته * وفسر الماء بعد الجهد بالماء

(وقال) المعمار أيضا

في صاحب الحمام ابرى قال لي * أيلوم في حبي له وملاي
لا يشتفي ابر عليه طهارة * الا بقلب الماء في الحمام

(قال) ابن وزير مثل قول الآخر

كأثنا والماء من حولنا * قوم جلوس حواهم ماء

(وقال) ابراهيم المعمار في المجون

عادت ابرى اذ جاء ملتما * من عقله بالخرافا اكثرنا

بل قال لي حين نكته قسما * ما جرت حمام قعره عشنا

كيف وفيه طهارة وبه * أقاب مائي وأرفع الحمدنا

(وقال) شيخ الشيوخ بحماه

وقيم كلت جسمي أنامله * من غير السنة تكليم نوصان

ان أمسك البدر منى كاد يخالعها * أو سرح الشعر أنكاني وأبكاني

فليس بمسك امساك بعرفة * ولا يسرح تسريحاً باحسان

(وأنشدني) الجناب المخدوم بن مكائس للشيخ بدر الدين بن الصاحب

وقيم قيم في حسن صنعة * حاز الجبال على لطف من الترف

لو يخدم البدر أنقى البدر من كلف * لكنه لم يزل مابى من الكلف

(وقال) شهاب الدين بن العطار في بلان يدعى موسى

هيا بلان موسى * خلوة تحي النفوسا

قلت ما أصنع فيها * قال تستعمل موسى

وعلى ذكر موسى ذكرت واقعة لطيفة اتفقت لى كن الدين الوهراني وهي انه لما قدم الى القاهرة المعزية مدح الامير عز الدين موسى بن حكواله - دباني خال صلاح الدين يوسف بن ايوب فأمر له بشئ لم يرضه فحضر مجلسه يوما وفيه حفل كثير من الناس فقال يا مولانا احتجت الى أن أحلق رأسي هذه الساعة وانه الامر الى بعض الجدارية ان يحضر الساعة ليحلقه لي بحضورك فكاد الامير ان ياذن له في ذلك ثم فهم مقصده فقال لبعض مماليكه أعطه مائة دينار وقل له خذها - هذه واحلق رأسك في الحمام فأخذها ومضى شاكرا فقال له بعض الحاضرين يا مولانا ما معنى هذه الحركة فقال انه أراد اذا حلقه يقول يا مهتار موسى ردى في شتمنا في وجوهنا * ولا بأس بامر ابنه بمائة دينار في المشط اذ كان من لوازم الحمام وقال شرف الدين بن الخلاوي وقد طلب منه ثلاث أبيات تكتب على مشط برسم سلطان حلب الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي

حلت من الملك العزيز براحة * غدا لثما عندي أجل الغرائض

وأصبحت مفر الثنايا لاني * حلت بكف بحرها غير غائض

وقبلت سامي خده بعد كفه * فلم أدخل في الخالين من لثم عارض

(والشيخ) بهاء الدين الموصلی ولد الشيخ عز الدين ملغزافيه - من أبيات

ظنتم تحيف مقلوبه بـ... في وليس الظن بالكاذب

(قلت) ورد على من سيدنا ومولانا أفضى القضاء بدر الدين محمد الخزومي

المسالكى الشهير بابن الدماميني رحمه الله كتاب من مكة المعظمة المشرفة بتاريخ

تاسع عشر المحرم سنة احدى وثمان مائة وفيه انه اجتمع بمكة بالقاضي شهاب

الدين بن حجر رحمه الله ووجد صحبته شخصاً يقال له ابن المرجاني وذكر القاضي

شهاب الدين ان المشار اليه كان رفيقاً له من اليمن الى مكة المشرفة وأنشدناه

يا ماما سألتك - حل لغز * شاطط عن مزار أهل الذكاء

اهمل الثلث باعتناء وقلب * تره جاء قائد الشعراء

وذكر لي القاضي بدر الدين في مشرفته - أنه من الاغزاز الصعبة فينبغي ان تقع

الفكرة في حله قلت اشتغلت الفكرة في حله فاذا هو لغز في مشط فتأمل له ولقد
أجاد قائله قال السراج الوراق ملغزا

ويضاء قد عانقتها وضممتها * ولا قبح في جهري بهذا واسراري
على انه لا عار فيها محقق * وما سلت والله قط من العاري
وقال بعض المتأخرين

الارب جام بدا لي حيمه * فظاهره ماء وباطنه نار
كانخوان هذا العصر من تلق منهم * فالوداع لان وللحق اسرار
(وكتب) القاضي محي الدين بن عبد الظاهر يستدعي الى جام هل لك اطل الله
بقاك في المشاركة في جمع بين ماء ونار وأنواء وأنوار وزهر وأزهار قد زال
فيه الاحتشام فكل عار ولا عار نجم سمائه لا يعتريه أفول وناجم رخامه
لا يعتريه ذبول تتنافس العناصر على بلوغ ما آربه فارسل البحر ماء جسده من
زبدته لتقييد ل أنجسه اذ قصرت همته عن تقييد ل يده ولم ير التراب له في هذه
الخدمة مدخلا فتطفل وجاء وما علم ان التسريح لمن جاء متطفلا وأعلنت النار
ضدها الماء فدخل وهو حر الانفاس وغلت من أجله فلاجل ذلك داخله
من صوب تشا كله الوسواس ورأى الهواء انه قصر من مطاولة هذه النار
فأمسك متبينا يتظر من وراء زجاجة الى تلك الدار ثم ان الاشجار رأت أن لا
ثابتة لها في هذه الخطوة ولا مساهمة في تلك الخلوة فارسلت من الامشاط
أ كفا أحست بما يدعو اليه الفرق ومرت في سواد العذار الفاحم كما يمر البرق
وذلك بيد قيم قيم بحقوق الخدمة عارف بما يعامل به أهل النعيم أهل النعمة
خفيف اليد مع الامانة موصوف بالمهابة عند أهل تلك المهابة لطف أخلاقا
حتى كأنها أعناب بين لحظة والمان وحسن صنعة فلا يملكيدا الا بمعروف
ولا يسرح تسريحا الا باحسان أبدأ يرى مع طهارته وهو ذو صلف ويشاهد
عز يلال كل أذى حتى لو خدم البدر لا تزل ما بوجهه من الكاف بيده موسى
كأنها صباح تنسخ ظلاما أو نسيم ينفض عن الزهر كما اذا أخذ صابونه أفهم
من يخدمه ما يمر على جسده انه بحر عجاج وأنه يبدو منه زبد الا كان التي هي
أحسن من الامواج فهلم الى هذه اللذة ولا تعد النجم دعوة أهل الخراف
فربما كانت هذه بين تلك الدعوات فذه * وكتب في محضر قيم جام الصوفية

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى فلان ان أبا العجاج يوسف ما زال لاهل الصلاح
 ميمما وله جودة ذهن يستحق بها أن يدعى قيميا كم له عند كل جسد من صباح من
 جسيم وكم أقبل مستعملاوه تعرف في وجوههم نضرة النعيم كم تجرد مع شيخ صالح
 في خلوه وكم قال ولي الله يا بشر اى لانه يوسف حين أدلى في حوضه دلوه كم
 خدم من الصالحاء والعلماء أناسا وكم اذخر ببركتهم لذنبا وأخوى فحصل من
 كل منهم شعبة من عريانا ومؤتزا كم حمة خدمة له عندا كابر الناس وكم له يد عند
 جسد ومنه على رأس كم شكرته بأشار البشر وكم حث رجل رجل صالح فحقق
 أن السعادة لتلحظ الشجر قدميز بخدمة الفضلاء أهله وقبيله وشركه على ما يعاب
 به غيره من طول القتياله تتمتع الأجساد من تنظفه مجامه بطل مدود وماء مسكوب
 ويكاد كثرة ما يخرج من المياه أن يكون كالريح أنبوبا على أنبوب كم رأس أشدت
 موساه

ولو أن لى في كل منبت شعرة * لسانا يبت الشوق كنت مقصرا
 (وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة الى ابن معبد وكان متولى دمشق يشكو من
 حمام سرق فيها شاشه يقبل الارض مستحيرا بهذا البيت الذى لا يذل جاره
 مستغنيا بكرمه الذى ملأت الاقطار أخباره فاعبر المملوك في عمره أحسن هذه
 الحمام ولا نسكس في رأسه العلية مثل هذه الايام فياللع واطف العرييه وبا
 للمراحم النفوس الايبه فوالله لقد خف رأس المملوك من الجهتين عقله
 وشاشه ولقد تعوض من تاج عمته العربية مخدة فراشه ولقد أخذت منه هذه
 الحمام المتلفه ولقد نشفته بالمناشف فبئس الحمام والمنشفه وهذ وقت اغاثه
 الملهوف والرغبة في اسداء المعروف لا قطع الله عن أرواح المضطرين ترويح
 هباته ولا عطل من مننه المنتظمة أجياد عفاته بمنه وكرمه * وكتب الشيخ
 برهان الدين القيراطى وقد استدعى الى الحمام

قد أجينا وأنت أيضا فحمت * بتلاقيك سالف وسلاف
 وبساق تسي العقول بساق * وقوام وفق العناق خلاف

يقبل الارض وينهى ان المملوك ما خرج عن الاهتمام لدخول الحمام فانه متشوق
 لمالولانا تشوق اليه وموجه وجهه فسكرته عليه وكيف يمكن الوقوع في الخلاف
 والميل الى الاخلاف

وجامكم كعبة للوفود * تنج اليها حفاة عراه
 يكرر صوت أنايبها * كتاب الطهارة باب المياه
 فلا عدت التنبيه من مولانا على هذا المنهاج ولا فقدت آداب ألفاظه
 المدوحة التي ماله منهاج ولا حرمت عند الحمام هذا النصير ولا طاقى
 عند ارادة التخليق بمطالها تقصير ولا زلت أعجوبها أية ليل الشعر وأخلع بها
 بعد ثياب البدن ثياب الوضر وأتغنم بها حسنة الهام من جامها في كل ناحية من
 وجهها قر ولا يخفى أن الرأس تروى الآن عن الأشعث بن أبي الشعثاء أخباره
 والمجسد كأنما كانت على أب وزير المعتصم أطماره فالأولى أن يلقى ويعتاض
 عنها بما هو أبقى ومولانا أجل ساع في أسداء المعروف وأفعال برأعيئها
 بالاسماء الحسنى ما اشتقات عليه من الحروف لزال بحرا حسنة الطهور سالما
 من الخوض ونزائن فضائله النجاسة محروسة الجباب بجاه صاحب الخوض

(فصل) فيما ورد في ذمها قال الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بثس
 البيت الحمام تكشف فيه العورات وترتفع فيه الاصوات ولا يقرأ فيه آية من
 كتاب الله ودخل بعض الامراء مع الرقاشي الحمام فقال ذمه فقال يهتك الاسرار
 ويؤلف الاقدار ويذهب الوقار فقال امدحه فقال يذهب القشافة ويعقب
 النظافة ويفش التخمه ويطيب النغمه قبل ويكره الحمام بين العشائين
 وقريب من المغرب قال الزمخشري ويكره أن يعطى الرجل امرأته أجرة الحمام
 لانه يكون مينا لها على المكروه وقال أيضا الخزم ترك الحمام اذا يخلو من
 عورة مكشوفة ولا سيما من تحت السريرة الى العانة ومن آدابه انه اذا دخله رفع
 رجله اليسرى عند الدخول وقال بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس
 والنجس والخبيث الخبيث من الشيطان الرجيم وذكر الامام في كتاب الحمام
 عن مجاهد عن علي انه كان يغتسل من مس الابط والمجامة وماء الحمام ويسنده
 الى فرقة السجى أنه قال ما دخل نبي جاما قط ولا أكل ثوما ولا بصلا ولا كراثا
 (الوصف) قال بعضهم

وجام سوء وخيم الهواء * قليل المياه كثير الزحام
 فالقيام به من قعود * ولا للعود به من قيام
 حنياه عطفات القسي * وقطراته صائبات السهام

(وقال شعرا)

جامنا من ضيقها تشكي * كأنها صدر وقد أخرجوه
فهي لظى نزاعة للشوا * وماؤها كاهل يشوى الوجوه

(وقال ابن شرف القيرواني)

كأنما جامكم ففحة النسيب والظلمة والضيق
كأنني في وسطها فديشة * ألوطها والعرق الرقيق

(وقال ابن رشيق)

وأنت أيضا أعور أصابع * فصادف التشبيه تحقيق

* (الباب السابع والعشرون في النار والطباخ والقدر) *

النار مؤنة من ذوات الواولان تصغيرها نورة والجمع نور وانوار ونيران انقلب
الواو ياء لكسرة ما قبلها وليس في الارض شجرة الا وتقدح منها النار الا العناب
وهي على أنواع عند العرب نار القرى وهي أعظم النيران ونار السلامة توقد
للمسافر اذا قدم سالما غائما ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم اذا لم يحبوا الزائر
والمسافر أن يرجع أو قدوا خلفه نارا وقالوا أبعد الله وأسمقه ونار الحرب
توقدونها على مكان عال لمن بعد عنهم ونار الصبي توقدونها للظباء فتغشى
أبصارهم ونار الاسد كانوا يوقدونها اذا خافوه لانه اذا رآها حرق اليها وتأملها
ولم يستطع الهجوم على ما حولها ونار الخلف لا يعقدون الاعايبها يطرحون
فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهذتك ونار الغدر
كانوا اذا غدر الرجل بجره أو قدوا له نار ابني أيام الحج وقالوا هذه غدره فلان
ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سبوا قبيلا وطلب منهم الفداء كرهوا أن
يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن ونار الوسم التي يسمون بها الابل لتعرف
ابل الملوك فترد الماء أولا ونار الحرتين كانت ببلا دعبس تسطع من الحرمة بالليل
فبعث الله خالد بن سنان وهو أول نبي بعث من ولد اسمعيل وقد قدمت ابنته
على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقال بنت نبي ضيعه قومه فحفر
للك النار بئرا فأدخلها فيها والناس يظنون ثم اقيمتم فيها حتى غيها وخرج
منها وقد باع مهيأ الديلمي في وصف نار القرى

(١٩)

ضربوا بدرجة الطريق خيامهم * يتقارعون على قرى الضيفان
ويكادمو قد هم بجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران
(وقال) أبوطاهر البغدادي

خطرت فكاد الورق يسبح فوقها * ان الحمام لغرم بالبان
من معشر نشر واعلى هام الربا * للطارقين ذواثب النيران
(وقال) صردر

قوم اذا حي الضيوف جفانهم * ردت عليهم السن النيران
(وقال) ابن سنا الملك

انير انه في الحى اى تحرق * على الضيفان أبصا و اى تلهب
واين هؤلاء القوم الكرام من الذين يقول فيهم الاخطل
قوم اذا استنج الاضياف كلهم * قالوا لامهم بولى على النار
فتحس البول شحا أن تجوده * فما تبول لهم الا بمقدار
لا يخفى ما في هذا البيت الاول من المعائب وقد ولع الادباء بحملها وما فيها من
المعاني (وقال) مجير الدين بن تميم

وكأنما النار التي قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها يتضرم
سوداء أحرق قلوبها ولسانها * بشفاهة للحاضرين تكلم
وقال آخر

انظر الى النار وهى مضمرة * وجرها بالرماد مستور
شبه دم من فوانحت ذبحت * وفوقه ريشهن منشور
(وقال آخر)

كانون يطفى برده كأنونا * ما بين سادات كرام حذق
بأراقم جمر البطون ظهورها * سود بنضض باللسان الأزرق
(وقال) ظافر الحداد

تأمل فى الكانون أعجب منظر * اذا سرحت فى فمه جرة النار
كأما لال الزرق المروق ساكب * فدب احرار الخمر فى قال القار
(وقال آخر)

كان كأنونا سماء * والجمر فى وسطه نجوم

ونحن جن بجانبيه * والشر الطائر الرجوم

(وقال آخر)

كأنما دخاننا اذبا * لعين من يتظره من قريب

ذوائب من غادة سرحت * وقد بدا فيها بياض المشيب

(وقال آخر)

كأنما النار في تلهبها * والفحم من فوقها يلظيها

زنجية شبكت أصابعها * من فوق نار نجية تغطيها

(وقال آخر)

كأن نضيد الفحم فوق شراره * اذا النار مست جلده فتلونا

يذكر أيام المحاب التي جرت * بمنيته لما تأود أغصنا

فأندت منها إلا بنوس بنفسيجا * وأثمر عنايا وأورق سوسنا

(وقال) الشيخ صفي الدين الحلي

البحري من دما فارقموه غدا * يمشو التراب على كنفه الخرب

لوشتم أنه يضحى أبالهب * جاءت بغالكم جمالة الخطب

(وقال) ظافر الحداد

كأن سواد الفحم من فوق جره * وقد جعافا ستحسن الضد بالضد

غدا نرحد فرقتها وقد غدت * على خفر من تحتها حرة الخد

قلنا تناهى صبغه خلات أنه * فصوص عقيق أوجني زهر الورد

الى أن حكى به دالجود رماده * غبارا من الكافور في قطع الند

(كتب) النصير المجامع ملغزا الى السراج الوراق

وما سم ثلاثي به النفع والضرر * له طلعة تغني عن الشمس والقمر

وايس له وجهه وايس له قعلا * وايس له سمع وايس له بصر

يمد لنا يده يمتشي الرمح بأسه * ويسخر يوم الحرب بالصارم الذكر

يموت اذا ماقت تسقيه قاصدا * وأعجب من ذا أن ذاك من الشجر

أيا سامع الايات دونك حلها * والافتم عنها ونبه لها عمر

ومن التغزلات اللطيفة يذكر النار قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل في الليل مثل النجم حيرانا

راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا
(قال) علاء الدين الوداعى

يا مودعا بوداعه فى مهجتي * نارا تؤججها يدا التذكار
أبكيت طرفى بعد ادمعه دما * وكذا يكون بكاء أهل النار
(قال) صفى الدين الحلى

لا غرو أن يصلى الفؤاد ببعدهم * نارا تؤججها يدا التذكار
قلى اذا غبتم بصور شخصكم * فيه وكل مصور فى النار
(وأشدنى) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بشارك

وأنت يا وجنتيه * لا تحرقينى بشارك

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة مع منقل أهداه ونهى أنه يحجم ونقل منقلا
لطيف الصنعة جليلة اذا تأمل نفعه اذا هبت الشرر فى ليل فحمة ولعبت
يد الريح بأزاهر ضمره فكانه معدن يا قوت أجرا ونبت جلدار بزهر يروق
البصائر والابصار والايكن فيه على الحقيقة جلنار فقيه جلنار طالمساجد
معاشرته ولذت فى اللبالي الشتوية مسامرته وأطلع من أفقه نجوم ما عيدة القرآن
وتلا على الريح والثلج يرسل على كاشواظ من نار ونحاس فلا تنصران والرأى
أعلا فى قبول أهدائه والله يجعل ما فى قلبه فى قلوب أعدائه قرأت فى كتاب روضة
المجلد ونزهة الانيس تأليف الفاضل بدر الدين حسن بن زفر المتطبب الاربلى
حكى عن سليمان بن محمد المهدى الصغلى قال كان بسوسة افرقية رجل نبه شاعر
وكان يهوى غلاما جيلان غلامها وقد اشتد كاهه به وكان الغلام يتجنى عليه
ويعرض عنه كثيرا فبينما هو ذات ليلة منفرد بشرب الخمر وحده غاب عليه
السكر وذكر معشوقه وأجرى بخاطرهما كان يعمل به من التجنى فقام من حينه
فأخذ قدس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب
بادر باطفائها وقبضوا عليه واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضى وأعلموه
بفعله فقال له القاضى لاى شئ أحرقت باب هذا الغلام فأشأ يقول

لما نادى على بسادى * وأضرمت النار فى فؤادى

ولم أجهد من هواه بدا * ولا معينا عني السهاد

جالت نفسي على وقوفي * بسبابه * له الجواه
 فطار من بعض نار قلبي * أقل في الوصف من رقادي
 فأحرق البسبب دون علي * ولم يكن ذلك من مرادي

(قال) فاستظرف القاذي واقعة وشعره ورجه وتحمل عنه ما أفسده من باب
 الغلام (وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في وصف حصار النار فما كان
 إلا ريثما ابتسمت لهم النار عن الموت العابس وعاملتهم من أعجال وقودها
 باليابس وجاءت بما ينضج ملابس الجلود وجلود الملابس وعاجلتهم من منفعة
 الغوث قبل العطب واصلتهم ناراً ابت بها أيدي الأبراج جمالة الخطب وإذا
 بأبدان البدنات القائمة قد قدمت والأبراج لتلاوة الحرب قد سجدت فهناك
 هجمها المسلمون هجوم الليث الكرار وقطعت السنة السيوف المجادلة حجج رقاب
 الكمار (وقال) القاضي الفاضل في مثله فوجت النار مواج تضيق عنها
 الفكر ويجزع منها الأبر ونحو لف المثل في أن السعادة لتلحظ الحجر وأغنى
 ضوء نهارها سؤال كل أمعة أن تسأل هذا وذلك ما الخبر إلى أن بدا ضوء
 الصباح وكأنه منها امتار وانشق الشرق فكأنه من عصفرها صبغ الأزار
 إلى أن سرى ذا النقوب إلى المقاتل ودب سكرها بين المفاصل وغدت
 الجدران قائمة والبلاسا في أعقابها متجلدة والمار تحت ثيابها (وقال) أيضا
 وقد أجمته إلى أن أحرقته وصرح الشرك وقد خاضته إلى أن أغرقته وإن
 الخندق بركة والأبرج لها فواره وإن الله أعد لاعدونا في الآخرة وأحرقهم
 في الدنيا بشاره وإن العدو تحصى من البرج بكذيب بنهيج أحرقه الله
 بجلانار (وقال) سيدى تقي الدين بن حجة في حريق دمشق هذا وكم مؤمن قوم
 خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطالب الفرار وكلما دعاه قومه
 لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار ويا قوم مالي أدعوكم إلى
 النجاة وقد دعوني إلى النار (وقال) ابن سناء الملك

يا فالق الصبح من لآلاء غرته * وجاء الليل من أصدائه سكا
 لا غروا أن أحرق نار الهوى كبدي * فالنار حقا على من يعبد الوثنا
 (القول) على الطباخ و ينبغي أن يكون عند الرئيس والملاك طباخ طازق إذا لم
 يشتهه طعاما صنع له ما يشتهيه وقيل كل طعام أعيد إلى الله فهو فاسد

وكل غناء خرج من تحت السبال فهو بارد (قال بعضهم) كنت جالساً عند بعض
 ولاية الطوف وقد جاءه الغلمان برباجين فقال لاحدهما من أبوك (فقال)
 أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره * وإن تزلت يوماً فسوف تعود
 ترى الناس أفواجا إلى باب داره * ففهم قيام حولها وقعود
 فقال ما كان أبوهذا إلا كريماً ثم قال للآخر من أبوك (فقال)
 أنا ابن من ذلت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
 خاضعة أذعنت لطاعته * يأخذ من مالها ومن دمه
 فقال الوالي ما كان أبوهذا إلا شجاعاً وأطلقهما فلما انصرفا قلت للوالي أما
 الأول فكان أبوه يبيع الباقي المصلوقه وأما الثاني فكان أبوه حجاًما (فقال
 الوالي)

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن الذنب
 أن الفتي من يقول ها أناذا * ليس الفتي من يقول كان أبي
 (قلت) وأنشدني سيدنا ومولانا القاضي شهاب الدين بن حجر رحمه الله للشيخ
 بدر الدين بن الصاحب في مליح بطوف بالقول

أنا ابن الذي في الليل تسطع ناره * كثير رماد القدر للعب يحمل
 يدور بأقداح العوافي على الوري * ويصبح بالخير الكثير يقول
 (قال) محمد بن العفيف في مليح طبياخ
 رب طبياخ مليح * فاطر الطرف غريب
 مالكي أصح لـكن * شغلوه بالقـدور

(وقال) الصفدي

كافي طبياخ تلك مهجتي * فعذاب قاي في هواه سرمد
 وكأنما أنا من نصب قدامه * نار تشب زفرة تتصعد

(وقال) المعمار

كافي طبياخ تنوع حسنه * ومزاجه للعاشقين يوافق
 لـكن مخافي من جفاه وكم غدت * منه قلوب في الصدور خواف
 (وقال) أيضا مواليا

هو بيت طبياخ بالصبحه أخدميه * حلوا المزاج كانوا بن تركيه

ولو أطراف نواعم بيض زبدية * لها معاني على الإخوان مخفيه
 (وقال) بعضهم ما على الشيخ المسن أضر من أن يكون له طباح حاذق وجارية
 حسناء لانه يكثر من الطعام فيسقم ومن النكاح فيهرم (وقال) ابراهيم المعمار
 وطباح بمنصبه افتخار * وقد رقد علا في الناس وفي
 أياديه على الإخوان مدت * وكم قابله بالود صافي
 وكم آمنوا به من خوف جوع * سيعطى الامن في يوم الخفاف
 (دخل) ابن الفضل الشاعر يوم ما على الوزير بن هبيرة وكان عنده نقيب الاشرف
 وكان مجبلا وكان ذلك في يوم شديد الحر من شهر رمضان فقال له الوزير أين
 كنت فقال في مطبخ سيدي النقيب فقال له ويحك أين عمات في شهر رمضان
 في المطبخ فقال كسرت الحرف فيه يا مولانا فتبسم ونجل النقيب الفرزدق
 وقد علم الجبر ان قدورنا * ضوامن للارزاق والريح رفرف
 ترى حولهن المعتقين كأنهم * على صنم في الجاهلية عكف
 (وقال) أمية بن أبي الصلت

وكانها بفنائها * للضيف مترعة زواجر
 وكانهن بما سجن * وما جبين به ضرائر

(وقال الفرزدق) يسبحو

لو ان قدرا بكت من طول ما حبست * على الجفون بكت قدر بن عمار
 مامسها دم مذنض مدمعها * ولارات بعد نار القين من نار

* (الباب الثامن والعشرون في الاسماء واللحوم والجذور) *

كتب الوزير المرحوم نضر الدين عبد الرحمن بن مكاس إلى الشيخ بدر الدين
 البشتكي رحمه الله وقد كانوا يجلس أنس بشاطئ الروضة في أيام وفاء النيل
 السعيد فاتفق ان الشيخ بدر الدين صادق حوتا عظيميا بالصنارة يداعبه بلغني
 وقع الله قدرك على السماء وأعلى محلك واسماك وأجوى بسعدك وأمرك
 في نهر السماء وبحور الأرض والأفلاك ولا زالت همهم نظمك البدرية ونترك
 تعويذ النثر وقت كانت عزمانك الماركية تمهوا إلى صيد نسر السماء من
 وكرة وحوتها من المجرة ولا برحت تصرف حروف المحاسن فتخدمك من كل محجر

عين ومن كل حاجب نون ولافتت تجمع شمل المعالي الى أن يفترق الفرقدان
ويلتقي الضب والنون ويندوسهيل في السماء مصادف الثريا ويصبوا الحوت
للمرطان ان مولانا مع جماله خلافا للمعز ألقى السابج في بجه وراع كل حوت
حتى حوت الارض في تخومه وحوت السماء في برجه وجاور ذوات البحرف كان
لهابئس البحار يطعمه الذي اقامه عايمهم في الحيلة مقام بنجه وانه شد وسطه
للصيد وكان من الحزم وأرسل آلة صيده الى الاسود والاحمر من أمم البحار
فعدت عودا الى العزم فعد بعد ذلك مولانا للصيد بالمرصاد واطاعته حروف
الصص فكما نلنا ان البحر نونا نال لسان العزم صاد (مفرد)

وهي السعادة في السماء فلو تشا * لطعنت منهارا محابا بالاعزل

فمن ذلك صيد الحوت الذي قدم من أقصى النيل فياله من سفر بعيد وفارق
وطنه وورد مع التيار السريع في البحر المديد فأوى الى الشط طابا غداه
اذ لقي من سفره هذا نصبا وركن الى البر فليته لوعقه ل واتخذ سبيله في البحر سريبا
ولم يعلم ان سيدنا وضع الحبل وجعله لصيده معنى وصورة سديا فاحترمته يد المنيمة
بأعوجاج الصنارة التي نصبها الدواب البحر فبالقهر والضبيعة التي تعامن
أقوياء الاسماك في أعظم لبحور السائلة بالنهر كأن هذا المسكين من صاح
الاسماك الذي أفنى الايام سباحا ويلافساح واتى يقبل جدارا حل فيه قدم
مولانا وبركته فجازاه فجازا التماسح أو كآته لبحا الى البرهريا من عوارض
الامواج وآمن بمجاورته فأخذ من مأمنه وخاب أمه من لاج فسبح بعد بحار
الامن من بحار المنون في الحج وقالت له الحيتان اذا أعماك القضاء عن رشك
حدث عن البحر ولا حرج وكان ظنه ان عومه في الشط يتحيه فكان حنقه
في ذلك العموم وعلى الجملة فقد آن أجله ولو آوى الى جبل لقيلا لحاصم اليوم
فأتت به حوتا يلوح بياضه بين هضباب الموج كالبدر من سحب الغمام ونبدو
عليه مهابة تشعر أنه من نسل حوت يونس عليه السلام فأعياه هذا الحوت
بالنون وصانده الكاتب الاديب بالقلم وما يسطرون فلقد ظفروا بالظفر به
الحواريون في شباكهم المشبكه ووقع له ماله وقع لابن صياد لتناول عجبا
وانتفع حتى ملأ الشبكه وحصل له للجماعة من السرور ما يحصل بوفاء النبل
وشاهدوا من جزله العظيمة كل خير بخيريل ومنحو من سنه وعظمه بالجواهر النقية

وأنباب الفيل وأرخصه للقري بعد أن أمسى في الغدور يغلي وقلاه فطاب
 ما كلاً وان كان مما لا يغلي وتوعو محلي وحامضاً فالمحلي جمع له نقلا على
 الكؤس حين تجلي وفازوا على رأي ابن جزم وان لم يكن من أصحاب الرأي
 بالمحلي والمجلى والحامض فقطعوا عنداً كله بالذوق ان ذلك الحوت مرتلاً بحاله
 وقال آخرون بل هو هالة لتناسب البدور والهاله وجملاؤه الموائد وحكموا
 لصائده بالتقدم على الضفدع الاديب في مصائد الشوارد وقدموه على
 ما عندهم من طري وبائت وأكلوه من ساعته كيلا يندموا على فائت قائلين
 لا تؤخروه فالتأخير آفات ولا تبيتوه فكما بات فأت وبادر واطراوته لعلمهم
 انه أطيب ما يؤكل من السمك البروري الطري واستطابوه ضرورة ولا خلاف
 ان صائد الحوت أكثر لذائذ أكله من المشترى هذا وأما الاسماك بذلك
 الشاطئ فقد نادى مناديهم بالرحيل وقال أديبهم للبنية مصحفاً ببنية ليس
 المقام هنا جميل فيكم فرخ حقل وكر أمه من هناك وشال وكم عصبية من
 السمك صرخت قافاً وقطعت الجبال وكم طائفة من رشادها فرت الى البرور
 الخالية من العباد وكم طائفة تخلفت ووقعت في الشباك فقيل ضلت عن سبيل
 الرشاد وكم طائفة أسرعت الى رؤس الجبال المحركة وكذبت العروضيين في
 قواهم لم أر على ظهر جبل سمكة وكم سمكة قالت لفرانها هجروا ماءكم ومأواكم
 كما هجرت مأواي واخلوا هذه الديار وان أعشبت وابتغوا صائب الراي ومنهم
 من عمداً الى عمق البحر نجاء وسارت به سفينة عزمه في ووج كالجبال وكان سبب
 النجاء وتواسوا لما رأوا طغيان الماء ان لا يأووا الى البرور وتحققوا انه
 الطوفان لما فار على أنحيمهم المصاب التنور وكم قائل الحمد لله الذي قطع عناثر
 هذا المزن العظيم وأران عيبه وقائلة سبحان من أراح ضعفاء السمك من
 هذا الجبار وفر بينهم وبينه فشكرا اذا غدامولانا شيخ البر والبحر
 وأضحى في ذلك ابن السمك وفي صدق حديثه أباذر وأمسى ضرع البلاغة
 مستخراته فان جمع غيره أو أبادر أحياء الله بدرا يشرق في سماء المعالي وتجلي
 أجياد العصاة من محور نظمته ونثره بالجواهر واللاكي ووجهه ليه السماء
 كما جل به الارض ولا جعله كأدياء أهل هذا الزمان الذين هم كالاسماك
 يأكل بعضهم بالعيبة لحم بعض بجمه وكرمه والسمك بارد رطب يولد البلغم

وينفع المحرورين ويضر بالمشايخ ودفع مضرته بالافواه الحارة والصعر والملح
وصغاره بالخل نافع لاصحاب الامزجة الحارة ومن به يرقان وكبد حار والمساخ
منه حار يابس يولد السوداء ويضر بالمحرورين

(فصل في اللحوم) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال * قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيد طعام أهل الدنيا والاخرة اللحم * وفي حديث آخر سيد الايام
في الدنيا والاخرة اللحم وسيد الشراب في الدنيا والاخرة الماء * وقال صلى الله
عليه وسلم اللحم طيب النفس ويفرح القلب ويحسن الوجه ويشد العصب
وكان محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه * لا رخص الا نامل يكاد
الماء يجري بين جلده ومجى فقال له أبو حنيفة ما غذاؤك قال ما أريد على الخبز
واللحم شيئا قال هذه الشحمة منهما تنعقد * ولحم البقر داء ولبنها شفاء * ومنها
دواء * وقالت اطباء أجد اللحمان ما خصي من الضأن وكان فتيا ولا خير فيما
أسن ولحم الضأن نافع من المرة السوداء الا أن الممرودين الذين يصرعون اذا
أكلوا اشتد بهم ذلك ولحم المعز يورث الهم ويفسد ويحرك السرداء ويحدث
النسيان ويحيل الاولاد * ولحم الدجاج الهرم أضر للحممان وأغلظها وقال
أبو حاتم قال خالد بن يزيد أطيب الابل لحوما الورق وأطيب البقر لحوما الصعر
وأطيب الشياه لحوما النحر وأطيب الدجاج لحوما السرد وأطيب الفراخ لحوما
البيض * وقال عبد الله بن جعفر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
أطيب اللحم لحم الظهر * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يقل غيظه
فليأكل لحم الدراج * ولما حضرت الوفاة للحرب بس كعدة قيل له أوصنا بما
تنفع به بعدك فقال لا تتزوخوا من النساء الا الشـباب ولا تأكلوا من اللحم
الا الفتى ولا من الفواكه الا ما نضج ولا يتداوين أحدكم بدواء ما احتمل بدنه
الدواء واذا تغديتم فنادوا قايلا واذا تعشيت فامشوا خطوات * وقال نجيذ شوع
للأهون أوصيك يا أمير المؤمنين بأربعة أشياء لا تأكل طعاما بين يديين ولا
تجامع على شبع الى أن يخـلوج وفك من الرياح والنحو ولا تأكل من لحم البقر
فوالله اني أمرت به في الطريق فأعطى عيني وعين برذوني من شدة مضرته (نادرة)
قرأت في كتاب ملح الكتابات ولمح التعريض والاشارات تأليف جمال الدين
يوسف ابن مرتفع بن الفقيه فتح الدين مجاهد المكتب المعروف بنقائق ووجه

الشريف محاسن عريف سوق السكتيين في دكانه يتغذى فدعاه لآكل فقال
من أى شئ تأكل فقال شئ من لحم جل صغير رأيت فاشتريت إن آكل منه فحاس
وأكل معه فنظرا اليهما الضياء موسى الناسخ فقال يا محاسن اذروا نيراك
المحتسب فيؤذيك قال على ما قال لانك تحشى النفاق بلحم الجمل فاستحسن
ذلك منه وفي الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسى قلبه ومن تركه
أربعين يوما ناعقه

(فصل) كتب الوزير فخر الدين عبدالرحمن بن مكانس سامحه الله تعالى الى فتح
الدين صدقة بن سعيد الكاتب بديوان الخصاص وكان المذكور أسود ينحرف
من ذكر العبيد والسواد يقبل اليه الكريمة السديدة الفتحية لازال فتحها
رئيسا وفعلها سديدا وسعدا جديدا وقولها مفيدا ومطلعها صبيحا
وسفلح مقامها منجحا وأقبال سرورها مستمرا وراوق العزائم مسبطرا
كثير الله عبيدها وألحق مقترها بسعيدها ويصف ولاءه الذي تشهد به ذاته
الكريمة بل السواد الاعظم وانحلاصه الذي صفاوده الى ان عاد كغرة البدر
في الليل الالهم ويبدى ما يجده الى مولانا في نفسه من الميل ويد كرمته الى
لاته يرماو لي الليل في النهار وانتهار في الليل وينهى أنه يبسط عذر مولانا في
تأخير أبقار الضحية بهذا العيد جعله الله عليك أبرك الاعياد ويتشكر من
انعامه بكل كبد ينزل في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد وكيف لا ومولانا
انسان عين الزمان والمفدا بسويداء القلوب من طوارق الحداث فابقاه الله
يجر في ميسادين الكرم الذيل ويسر بحلمه سقطات لجهال ستر الليل وعلم
الملك أن لا تشرف الممالك قد اقتدى في أضحية المملوك خاصة برأى
الملك اذ يرى الضحية قبائمه افضل وان القربى بدبحها أكل وأن الله
يسر الابل رثوت الراسى ذبا طرل والعرص وأنه خصها من أضحية
أول بكل دول شيرار صر فاعوت به الى ذلك قال نعم أحمينا بأضحيته
نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم من حرمانه لآلائه فزيد وقطعنا
مربى عن المديون كان منده نخلص وماربك بظلام العبيد ثم تأخذ العزة
لا اله الاصب ويتذكر عن المطلوب وذل الطالب فيقول قد منعتنا ما سقنا
من هرة ربه الى ربه والاعبد انما اعليه فلو كان الامر لمولانا

مستبداه لبدل البقر بكرائم الخيل وأوضح من نخر الانعام الخيط الأبيض
من الخيط الأسود ومحام من ظلمة المنع آية الليل وساق أيدى الله ماشاء من البقر
الينل وأنعم عليه أغـير معتذر ولا متعنت يقول ان البقر تشابه علينا على أن
مولانا اذا لاحظ أنعم بكل صفراء فاقع لونها لكن من الذهب العين واذا نأى
نعق بفراق البقر غراب العين واذا شاء اتحف من ضياء انعامه بكل درة نفيس
واذا أتى بقلع من بحر الظلمات فى الريح المريس فطالما استشأ يدي
انعامه مسكويه وحركات فضله محبوبة والسنة الخواص قائلة الحمد لله الذى
كف عنا ثوب بأ كف النوبة والمملوك ما برح كثير المحبة لمولانا من حين
شمله بجزيل الاحسان هاجر مسموع الطير بجملة كرها للقائل منها ما دق قفا
السودان (وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى مضمنا

بقاضيو فالعادة قصدت * ذبح خروف قد طاب واعتمدا
حلت رباط الخروف منسدة * أما ترى الشمس حلت الجملا
(ومن) ولع بذكر الجزيرة والجزور الاديب الفاضل أبو الحسين يحيى بن عبد
العظيم الجزار فى ذلك قوله

انى لمن معشر سفك الدما لهم دأب * وسـل عنهم ان ومـت تصـديقي
تضى بالدم اشراقا عراصـهم * فـكل أيامهم أيام تـشريق
(وقرله)

حسن النأى مما يعين على * رزق الفتى والخطوب تختلف
والعبـد مذ كان فى جزائه * يعـلم من أين يؤكل الكـف
(أهـدى بعضهم) الى صـديق له كبش فى يوم أضحيه وكتب معه رقعة بصف
سمه فأجاب المـهـدى اليه وصات رقعتـن فغضضتهما عن خط مشرق
ولفظ مونق وعبرة مضيئة ومعان غريبة وتصرف بين جـد أـمضى
من القـدر وهزل أرق من نسيم السحر وتنقلت فى وجوه الخطاب الجامع
للصواب الا أن ائـمـل قصر عنه القول لا بل ذكرته لا جعلته بصفتك
جـلا واتساع فى البلاغة يجزع عنها جـدا حميد فى كتابته وسحبان
فى خطابته وكان المـهـدى يسمع به لأن يراه وحصر فرايت كـبشا
من تقدم الميلاد من نتاج قوم عاد قد أفنـى الدهور وتعاقبت عليه العصور

وظننته أحد الزوجين الذي جعلهما نوح في سفينة ليحفظ بهما جنس النعم
 لذريته صغر من الكبر واطف من القدم فبانت زمانته وتقصرت قامته
 وعادنا حلاضثلا باليا هزيبا يادى السقام عارى العظام جامع للمعائب
 مشتملا على المثالب يحب العاقل من حلول الحياة فيه لانه عظم مخاد
 وصوف ملبد لا يوجد فوق عظامه سلب ولا تقع اليه دمنه الا على خشب
 لومره الكلب لاستجافه أو طرح للذئب عند الخوى لعمافه قد طال فقده
 الكلاء وبعدده بالامتلاء لم ير الغناء الا فاشا ولا الشـعير الا حالما
 وقد تحيرت بين أن اقتنيه فيكون فيه عنا الدهر أو أذبحه فيكون جيفة على
 وجه النهر فأت الى استبقائه لما تعرفه من محبتي التوقير ورغبتي في التميز
 وجهي للولد وادخاري للعدد فلم أجده فيه مستمعا للبقاء ولا مرفقا للعنا لانه
 ليس بانى فيحمل ولا يثنى فينسل ولا يصيح فيرعى ولا سليم فيبقى فأت الى
 الثاني من رأيك وعملت على الاخرى من قولك فقلت أذبحه ليكون وظيفة
 للعيال وأقيم رطباً بمقام قديد الغزال فأنشدني وقد أضربت النار وحدث
 الشفار وشمر الجزار

أعيذها انظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم في من سمحه وربما
 تم قال وما الفائدة لك في ذبحي وأنا لم يبق في النفس خافت ومقلة انسانها
 باهت لست بذى لحم فأصلح لال كل لان الدهر قدأ كل لحم ولا جلدى
 يصلح للدباغ لان الايام قد مرقت ادمى ولا صوفى يصلح للغزل لان الحوادث
 قد خست وبرى وان أردتى للوقود فكيف بعرافتى من نارى وان تفى حارة
 جري بريح قنارى ولم يبق الا أن تطالبني بدحل أو يبنى وبينك دم رجل
 فوجهه صادقاً في مقالته ناصحاً في مشورته ولم أءـ لم من أى حالة أعجب
 أم من مما طمته للدهر من أجل البقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من
 قدرتك عليه مع اعوازه مثله أم من تأهيك الصديق مع ما به نحاسة قدره

(الباب التاسع والعشرون فيما يحتاج اليه الاطعمة

من البقول في السفره) *

القول على القرع ويسمى الدبا قال بن جرلة في المنهاج أجوده الرطب الاخضر

الحلو وهو بارد رطب في الثانية وقال رومس انه حار رطب ويتولد منه غذاء
شبيه بما يصعبه فان كل بالتحردل ولد خلطاً حريفاً وان كل بالمح ولد خلطاً
مليحاً ومما يوقه يغذو غذاء يسيراً وينحدر سريعاً وهو جيد للصفاة وبين
وعصارتة تسكن وجع الأذن مع دهن ورد وينفع من أورام الدماغ
وسويقه ينفع من السعال ووجع الصدر من حره وهو لقطع العطش جيد
وبابن البطان واذا دفن في الخمر وشرب مع السكر نفع من الحيات وهو يفسد
في المعدة لخالطة خلط ردي ويضر بأصحاب السوداء والبالغم انتهى (رافع
الانداسي)

وقر عتبدى للعيون كأنه * خرطيم أفيال لطخن بزنجار
(الباذنجان) قال ابن النفيس في الموجز قبل بارد وقبل حار يابس في
الثانية وهو أصح يولد السوداء والسدد والسرطان والجرب السوداء
والبواسير والصلابة والجذام ويفسد اللون ويصفرو ويثير القم انتهى
كلامه (الوصف) قال ابن المعتز فيه

وايدنج بستان أنيق رأيتـه * على طبق تحكيه مقالة رامق
قلوب ظبا أفردت من كبودها * على كل قلب منه مخالب عاشق

(وقال) ابن وشيق القيرواني

واذا صنعت غذاءنا * فاجعله غير منبذج

اياك هامة أسود * عريان أضلع كوسج

(وقال) صاحب كتاب ملح المماحة وكان شيخنا الاسدي يعجبه الباذنجان ويقول
في تفضيله ان الناس يأكلونه ثمانية أشهر من السنة وهم أصحابها ولوا كوا الرمان
ثمانية أشهر قلموا وقيل لرجل ما تقول في الباذنجان فقال أنوف الزنج وأذنان
الحاجم وبطون العقارب وبزر الزقوم فقيل انه يحشى باللحم فيكون طيباً فقال
لوحشى بالتعوى والمغفرة ما أفح وقال صاحب المنهاج أجوده الحلو الا وسطا
والعتيق ردي والحديث اسلم ولا يبين ضرره كثيراً الا انه غداء مألوف وهو حار
يابس في الثانية وفيه غلط والمزمنه حار يابس بلا خلاف والحديث أقل حرارة
وأردؤه ما كل مشويا وهو ينفع من عرق الدم لشده رقة وليس له نسبة الى
اطلاق ولا عقل لكنه ان طبخ في دهن أمانق وان طبخ في نخل أو سماق عقل

وهو يحدث وجع الخواصر والمعدة والعتيق يبتثر الفم ويولد الأسود والسود
ويسود البشرة ويولد البواسير وينبغي أن ينقع في الماء والملح ويسكن فيه
ثم يعمل بالدم الكثير والنخل والكراويا (القلقاس) قال ابن جزلة في المنهاج حار
رطب في الاولى وفيل انه معتدل الحرارة رطب في الثانية يزيد في الباءة انتهى
(وللشيخ) شهاب الدين بن أبي حجلة في رسالة السجيع الجليل فيما جرى من النيل
عند ذكر الجزيرة الوسطى وقد اخلق ديباج روضها لانف وترك قلقياسها بجمده
وجزره على شفى جرف

بمعنى رأيت الماء فيها وقد جرى * على رأسه من شاعق فتكسرا

(غيره)

طالما تنزع بأصابه الى ربه * واطم برؤسه المحيطان مما جرى على قلبه
(وقتل) بقول الاول

وان سألتك يوم البـ... من عن قلبى وما قاسى

فقل قاسى وقل قاسى * وقل قاسى وقل قاسى

لم يفد تحصينه من ورقه بالدرق والستائر ولا حن عليه حين تنزع بأصابه
فصح أن الماء سلطان جائر

يا ويح قلقياس بمصري يقول لى * لما اعتدى في غيظه غرقانا

النيل مثل دم لفرط زيادة * فلذا برأسى ياطم المحيطانا

(السليم) وبالشين أيضا قال ابن جزلة وهو اللفت وهو برى وبستانى وهو حار
في الدرجة الثانية رطب في الدرجة الاولى يغذى كثيرا ويولد منيا يدر البول
ولا يسهل ويشهى الطعام اذا ساق دفعتين وطيب بالنخل والنخردل وماؤه ينفع
من الحصر وفيه غاظ وتنفخ وان عرض منه ذلك فليتناول بعده أحد الجوارشيات
(الجزر) في المنهاج أجوده الاجر الشتوى وغذاؤه أقل من السليم وهو حار في آخر
الدرجة الثانية رطب في الاولى يحرك الباءة ويسهل ويلطف ويدر البول وهو
عسر المضم منفتح يولد ماء رديئا وينبغي أن يكثر انضاجه ويصلح بالمرى النحل
والنخردل (وقال) بعضهم

انشر الى الجزر الذى * يحكى لنا لهيب الجزر يق

كندية من سندنس * فمناصا من عقوق

(الاسفغاناخ) قال ابن جزلة أجوده في المنهاج الممطور وهو رطب بارد في آخر
الدرجة الاولى وقيل معتدل من الحرارة والبرودة فهو ملين ينفع السعال
والصدر وفيه قوة التحليل وهو سريع الانحدار عن المعدة يابن الطبع وينفع
من أوجاع الظهر الدموية وهو يسيئ المضم ويضر أصحاب الأمزجة الباردة
(الساق) قال ابن جزلة هو صنفان أسودashed خضرة وأقل لوناً منه وأجوده
العذب الطعم وهو حار يابس في الدرجة الاولى وقيل هو مركب القوة وقيل
رطب في الاولى فيه (بورقه) ملطفة وتحليل وتفتيح وفي الاسود قبض وينفع من
داء الثعلب والكلف والخزرة والثآليل اذا طلى بمائه ويقتل القمل وتطلى به
القبوب مع العسل ويفتح سد الكبد والطحال والاسود منه يعقل وخصوصاً مع
العسل والصنف الآخر المهرأوي يحقن بمائه لانجاس الثقيل وهو ينفع من
القولنج مع المرى والتوابل وهو يخلص ويولد النفع وهو ردي الكيموس قليل
الغذاء يحرق الدم ويصلحه الخمل والخردل وأصله ردي المعدة انتهى وقال ابن
زهري خواصه عن هرمس ورق الساق وورق العاقر قرحا من كل واحد دانق
اذا جعل في طعام باسم انسان وأطعم عمل فيه روحانية المحبة عملاً عجيباً وقال ابن
زهروان رض الساق وعاقر قرحا وذر في مجرى ماء الحمام يبرد وسكن حره وقال أيضاً
وان رض ورقه يدم الحمام ودفن في اناء رصاص أربعين يوماً تولد منه دود أخضر
طوال فاذا طبخت بماء الساق وطللى به رأس الاقرع أبت فيه الشعروان شذخت
الدودة التي تكون في الساق ودفنت في برج حسان أو علقت عليه لم يقرب البرج
شيء من الحيوان الضاري انتهى (فصل البصل) في المنهاج فيه مع الخرافة
المقطعة مرارة وقبض وما كان منه أطول فهو أحرف والاحمر أحرف من الابيض
وأجوده الابيض الريان وهو حار يابس في الثالثة وهو ملطف يقطع ويحبذ
الدم الى خارج البدن ويزيد في الباءة وينفع من تغير المياه ويفتح الشهوة
ويابس الطبيعة واذا قطر ماؤه في الاذن ينفع من الطنين وهو يحلو بالبصر وينفع
من ابتداء الماء واليباض اكتحالاً بعصارته ويخرج خروج الشعرواذا دق وحقن
بعسل ووضع على الظفر الغليظ والقواحي والبهق فاع ذلك ويطلى به داء الثعلب
وينفع من عضه الكاب الكاب سقياً بشارب ومن نهش الحيات وهو يصدع
للرأس والاكتار منه يشيب ويضر بالعقل ويكثر الالاعاب ويفتح أفواه البواسير

ويصلحه الخلل والالابن الحامض أومع الهندبا (وقال) نصر بن سيار يوما وحوله
بنون له هؤلاء بنو البصل لانه كان يأكل كثيرا منه فيحتاج وقال ابن وكيع
يحكي لعينيك احرار قشره اذا رآه ناظر غلا للاجر على جسم يوم يرض رطاب من
جسوم الروم (الثوم) كذا ذكره صاحب المنهاج بالثناء الثالثة منه يستافى
ومنه برى ومنه كراثي والكراثي مركب القوة من الثوم والسكرات وهو حار
يايس في الدرجة الرابعة وقيل في الثالثة وهو أقوى حرارة ويسام من البصل
وهو يحل النفع وينفع من تغير المياه وطبيخ الجبلى منه اذا شرب قتل القمل
ورماده يطلى به البهق مع العسل وكذا الثعلب والجرب والقوابي ويصفي الخلق
مطبوخا ويخرج العلق من الخلق واذا حشي في طبيخ ورقه وساقه أدر الحيض
والبول وأخرج المشيمة وأكله يخرج الديدان ويطلق الطبع وهو نافع من
لسع الهوام ونهش الحيات وعضة الكلب الكلب سقيا شرابا وينفع السعال
من برد ويصفي الخلق وهو مقرح للجذام صدع ضعف البصر جالب بشور العين
واذا طبخ قلت حرارته وحرارته وتصلحه الحوامض والادهان واللحوم السممان
والثوم دواء لمن أصابه وجع السعي في بطنه واذا شوى ووضع على الضرس
المأكول سكنه * وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أمرنا النبي صلى الله
عليه وسلم بأكل الثوم وقال لولا أن الملك ينزل على لآكلته (وقال) بعض
الشعراء فيه

يا حبيب ذاثومة في كف ضاهية * بديعة الحسن تسي كل من نظرا
أبصرتها وهي من عجب تغلبها * كصرة من ديبقى حوت دررا
(الكزبرة) ويقال كسرة منها رطبة ومنها يابسة وقوتها مركبة والغالب فيها
أرضية وأجودها البستاني وهي باردة في آخر الأولى واليابسة منها في الثانية
وأبقراط يقول فيها حرارة وبرودة وعند جالينوس انها تميل الى التسخين
وفيهما قبض وتحدير وهي تزيد روائح البصل والثوم اذا مضغت رطبة أو يابسة
وعصارتها مع الالبان تسكن كل ضربان شديد وتنفع من الاورام الحارة مع الخلل
والاسفيداج ودهن الورد ومعه العسل للبشرى والنار الفارسي وينفع من
الحجرة ومن الدوار عن بخار المزار والبلغم وخاصة ان يمنع البخار من الرأس
وكذلك يحل في الطعام ورطبه ينفع الرعاف ودرور يابسه والمضغضة بعصارتها

رطبة تنفع من القلاع وهو ينفع الخفقان عن حرارة ودرهمان منها مع لسان
 البجل ينفع نفث الدم وهو يمنع من القيء والجشاء الحامض بعد الطعام والاكثر
 منه يخالط الذهن ويظلم البصر ويخفف المني ويكسر الباءة ويصلحه سكنجبين
 السفرجلي (وأما البقل) فما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال البقل
 حلية الموائد وفيما رآه مكحول عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه قال أحضروا موائدكم البقل فانها مطردة للشياطين وروى عن علي
 رضي الله عنه أنه قال دخلت مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حديقة بن اليمان
 فتلقانا بنات يقال له الباذر وج فتظرا اليه وقال أهلا بك من بقله ما أطيب
 ريحك وأحسن منظره فانك ان رباح الجنبه ثم نظرا الى الهندباء فقال
 يا لك من بقله تمضم الطعام وتحبي الفؤاد وتجلو عن الناظر (فائدة) منقولة من
 خط القاضي أبي الدين بن الانفي المسالكى رحمه الله تعالى قال ذكر السويدي
 صاحب التذكرة ان الامام نضر الدين الرازي ذكر أنه من رأى الهلال أول ليلة
 وكان موجوع الضرس فقال نذرت لله أن لا آكل الهندباء ولا لحم الفرس
 سكن وجع ضرسه ذلك الشهر وقال ابن زهرى خواصه قال يوحنا بن ماسويه
 ان دق أصل الهندباء وضربه لسعة العقرب سكن الوجع والبرى منه
 اذا شرب ماؤه مع الشراب نفع من لدغ الافاعي وقال ابن النفيس فى الموجز يا بس
 فى الاولى ورطبه رطب فى الاولى يفتح سدد الاحشاء والعروق وفيه قبض
 صالح يقوى المعدة والكبد أما الحارة فشديد الموافقة لها وأما الباردة
 فلخاصية وتنفع مع الخيارش نبر لا ورام الحاق وتنفع الرمد ويباض العين
 (الكرفس) حار يا بس يفتح السدد ويدرب البول وهو نافع للمعدة ويبطئ بالمضم
 ولذلك يجب ان يقدم قبله طاماً مختلط به وهو يطيب النكهة ويحتاج الى
 أكله من يداخل السلطان ومن كان خدمته امر وقال ابن النفيس فى الموجز
 حار فى الاولى يا بس فى الثانية يحلز النفع ويفتح السدد ويسكن الوجع
 ويطيب النكهة جدا ردى للصرع تهيج فى المصروعين وينفع السعال
 والكبد والطحال والكلى والمثانة وينفع الاستسقاء وعسر البرل وتفتت
 الحصى وتضر الحبال الى الادارة ويهيج الباءة (النعنع) حار يا بس وهو نافع من
 الفواق قال ابن زهرى الخواص ان جعل من ورق النعنع اثلاث ومن ورق

النعام السدس ومن حب القرع النصف وجعل في طعام واحد باسم آخر
 عمل فيه روحانية المحبة (الطرنخون) في المنهاج قبل ان طار قرعها واصل
 الطرنخون وهو جبلي وبستاني وأجوده البستاني وهو طاريا بس في الثانية
 وفيه قوة مخدرة وقيل انه بارد وهو يذهب الرطوبات فاذا مضغ نفع من القلاع
 ويمضغ قبل شرب الادوية الكريهة وهو يقوى المعدة ويحدث وجع الحلق
 وهو عسر الهضم ويقطع شهوة الباءة ويعطش ويصلحه الكرفس (الفجل)
 من كتاب هاضم الطعام وبزره نافع من الفواق اذا اكل بالعسل واذا شدخ على
 عقرب ماتت وان شرب ماء ورقه نفع من اليرقان الحادث من الطحال (قلت) ومن
 منافعه ما جربته وصح انه اذا مضغ ووضع على العين المجرمة من لطم وكر ذلك
 فانه ينزل الحجرة في الحال وقال ابن زهر في خواصه ورق الفجل معصورا يؤخذ
 مائه وشئ من نشادر فيلطخ به سلة الخاوي فتموت الحيات كلها ورقه يحد
 البصر وان سحق بزره مع كندس متساويين وطلى به البهق الاسود في الحمام
 بالماء الحار والخل اذهب به وان اخذ ماءؤه وخالط بالخل والطين وطلى على لسعة
 الربو ابراهما (وقال) جالينوس عصارة الفجل اذا اكتحل بها جلت البياض
 من العين واذا خلط ماء الفجل بماء الورد وسخن وقطر في الاذن اذهب عمر
 السمع والطنين منها وان دق ورقه وصفي بمائه واسعط به صاحب اليرقان رايت
 عجبا (وقال) ارسطاطاليس مما يبيض الشعر مثقال من ورق الملوخييا والفجل
 ويعجن بمرارة الثور ويضمده بالشعر بالليل ويغسل بالنهار فانه يصير الاسود
 ابيض وان طلى الوجه بماء الفجل اذهب عنه النمش والكلف وان دخن بورقه
 في بيت هر بت منه الهوام (قال) النور الاسعدي يهجو

ايام طعما أصحابه اذ دعاهم * من الفجل في أوراقه غير ما يرى
 وحقق ما كرهتم مذلقيتهم * بجيش ضراط تحت راياته الخضر
 (ناذرة) كان أبو نواس يوما عند بعض اخوانه فخرجت عليه جارية بيضاء عليها
 ثياب خضر فماراها مسح عينيه وقال خيرا رأيت ان شاء الله قالت ما رايت
 قال رايت كافي راكب أشهب عليه ثياب خضر قالت له ان صدقت رؤياك
 استدخلت فجلة (الرساد) قال ابن البيطار اذا شرب بالماء الحار حل القولنج
 وأخرج الديدان وحب القرع ان سحق نيا وسف نفع من البرص وان لطخ عليه وعلى

البهي الأبيض بالخل نفع منهما وإذا خلط بالعسل واقع منه نفع من السعال
المتولد عن اخلاط غليظة وإذا ضمدت به لسعة العقرب نفعها (زين الدين بن
الوردي)

رب خولى بدا من * حبه وهو ينادى
من يمت في ورد خدى * أهده سبل الرشاد

(أنشدني) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه ماعزاً

ما اسم له أحرف ثلاث * تصحيفه جمع به يقل
عدتها في الحساب سبع * وان ترد مثله فكيل
ان تجر ما اليه يكثر * وان تزد نقطة يقل
يدوى اذا الماء قل لكن * يصح جسم اذا يقل

* (الباب الثلاثون في الخوان والمائدة وما فيها من كلام مقبول) *

كنية الخوان أبو جامع لاجتماع الناس حوله قال الحريري في درة الغواص
ويقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه مائدة والصحيح أن يقال خوان الى أن
يحضر الطعام عليه يسمى حينئذ مائدة يدل على ذلك ان الخوار بين حين سألوا
عيسى عليه السلام بأن يستنزل لهم طعاماً من السماء قالوا هل يستطيع ربك
أن ينزل مائدة من السماء بينوا معنى اسم المائدة بقولهم تريد أن تأكل منها
وتطمئن قلوبنا (قال الأصمعي) غدوت ذات يوم الى زيارة صديق لي فاستشرت
بعض الاخلاء فقال ان كان لفائدة أو عائدة أو مائدة والافلا وقد اختلف
في تسميتها بذلك ف قيل سميت به لانها تميد بها أي تتحرك مأخوذة من قوله
تعالى وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بكم وقيل بل هي من ماد أى اعطى
ومنه قول رؤبة بن العجاج الى أمير المؤمنين الممتاد أى المستعطى وكأنها تميد
من حوائجهم أحضرها وقد أجاز بعضهم ان يقال فيها مائدة واستشهد
عليه بقول الرازي

ومعدة كثيرة الألوان * تصلح للبحيران والاخوان

(وقال الكواشي) في تفسير سورة المائدة ولما سأل الخواريون المائدة لعيسى
عليه السلام لبس صوفاً وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية

فنزلات سفرة جراء بين غمامتين من فوقها وتحتها وهم يتظرون وهي تهوى منقضة
حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من
الشاكرين اللهم اجعلها راحة ولا تجعلها عقوبة ثم قال ليقيم أحسنكم عملاً
فما كشف عنها وليد كرام الله تعالى فقال له سمعون أنت أولى بذلك منا فقام
عيسى عليه السلام وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيراً وكشف المنديل
عنها وقال بسم الله خير الرازقين وإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلس
ولا شوك بها يسيل منها الدم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحواءها من ألوان
البقول ما خلا الكراث وإذا خسة أرغفة على واحد زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمع وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال سمعون أمن
طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام
الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء افعله الله بالقدرة الغالبة كما مما سألتكم
يمدكم الله ويرزقكم من فضله فقالوا يا روح الله كن أول من أكل منها
فقال معاذ الله إن أكل منها ولا يكن يأكل منها من سألها تخافوا أن يأكلوا منها
فدعا لها أهل الفاقة والمرضى وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم
البلاء فأكلوا وصدروا وكانوا ألفاً وثلاثمائة ما بين رجل وامرأة من فقير
ومريض وزمن وميتلى وإذا السمكة كهيتها حين نزلت ثم طارت المائدة
صعدا وهم يتظرون إليها حتى توارت وما أكل منها مريض إلا عوفي ولا فقير
إلا استغنى وندم من لم يأكل منها فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى فياً كل منها
الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء حتى إذا فاء الفاء
طارت وهم يتظرون في ظلها وكانت تنزل كفاقة صائح في الحجاب فأوحى الله
إلى عيسى عليه السلام أن اجعل ما نذرتي ورزقي في الفقراء دون الأغنياء فعظم
ذلك على الأغنياء حتى شكى الناس فقال أتريدون المائدة عفا تنزل من
السماء فأوحى الله تعالى أني شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبت به عذاباً
لأعذبه أحداً من العالمين فقال عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك الآية فمسخ
منهم ثمانمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً أصبحوا خنازير فلما رأى الناس ذلك بكوا
ورغبوا إلى عيسى فلما أبصرت الخنازير عيسى بكّت وجعلت تطوف بعيسى
وعيسى يدعوهم بأسمائهم يشيرون برؤسهم ويبكى ويبكون وهم لا يدرون

على الكلام ثمها-كوا أجمعين وما نظرف قول ابن حجاج
 يا ذاهباً في داره جاثياً * لغير لامعني ولا فائده
 قد جن أضيافت من جوعهم * فاقراءهم سورة المسائدة
 (قلت) الشئ بالشئ يذ كر أنشدني الشيخ المحدث الرحلة الفاضل المقتن الرحال
 صلاح الدين خليل الأقفهسي تزيل دمشق المحروسة قال أنشدني الشيخ العارف
 الحق المسلك الحكيم برهان الدين إبراهيم الغري الشهير بابن زقاعة أعاد الله
 من بركاته من لفظه لنفسه

لما مرضت أرسلت * لي صلة وعائده

لعلها انى فتى * أهوى النساء والمائده

جارية وسكرا * للاكل والمشاهده

(وقال) الشيخ برهان الدين القبراطي

أميل لأغصان القدود صباية * وان هي زادتني جفا وتباعد

ويجبنى بين الانام تطفلى * عليها اذا شاهدت من موائد

(رجع) قال حاتم الطائي لعلامه قدم اليها مائدة تباعد ما بين أنفاسنا (قال)

هدية بن خالد حضرت أمير المؤمنين فلما رفعت المائدة جعلت ألتقط

ما في الارض فنظر الى المأمون وقال أما شبت يا شيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين

انما شبت في فنائك وفي كنفك ولاكن حدثني حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أكل من تحت مائدته أمن

من الفقر فنظر المأمون الى خادم واقف بين يديه فأشار اليه فاشعرت حتى

جاءني ومعه منديل فيه ألف دينار فناولني فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذلك

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من أكل ماسقط من الخوان رزق أولادا

كانوا صباحا وينبغى أن يصرف عن المائدة السمور والسكر وذوالعيون

الردية من الغلمان ومن يعلم منه الشره أو يشبعوا قبل احضارهم الطعام (قال)

النبي صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء

لادواءه قال التيفاشي في سرور النفس حدثني من حدثه بعض التجار الذين

كانوا يردون الى خدام القصر فأضافني في حجرة له متصلة بالقصر فلما حضرت

المائدة كان بين أيدينا سنابير كثيرة فعندما شاهدوا المائدة وضعت لم يبق

عندنا مترا واحدا ومررت كلها خارجة عن المجلس دون طارد يطرد بها فحببت من ذلك كل العجب فلما انقضى الطعام أحبيت أن أعرف العلة في ذلك فسألت الخادم فأنخذيدي وأدخلني إلى بيت صغير فيه عدة أواني فيها طعام والسنابير بحجة عليه تأكله فقال عودناها إذا حضر الطعام أن تطرد إلى هذا البيت ويعتد لها طعام فيه فصارت عادة لها واتفق في أمر الكلب وحضوره بالمغرب واقعة عجيبه وذلك أنه كان بمدينة من بلاد المغرب جمال يحمل في السوق فأتى من جملة ذات يوم فاشترى زلاية وهو ريس في صفة وصعد بها إلى سطح السوق يأكلها فتبعه كلب فجلس أزاءه وهو يأكل فجعل كلما شال لقمة إلى فيه يشيعها الكلب ببصره حتى يتلعها الرجل ثم صار يرفع اللقمة ويومئ بها إلى الكلب على سبيل العبث به فيقرب الكلب منه فيأكل اللقمة ويرزجه فلم يزل دأبه ذلك حتى بقيت لقمة واحدة فروغها في الدهن وأومئ بها نحو الكلب ثم ألقاها في فيه فضعها وابتلعها والكلب محقق نحوه فلما صارت اللقمة في حلقومه وثب عليه الكلب فاستل الحلقوم واللقمة فأكلها ونحر الرجل ميتا (عبد العزيز بن المهذب)

لله در غلام جاء بخدمة * بسفرة من رفيع القطن قوراء
بدائر أزرق من حول دارتها * تحار فيه وفيها مقللة الراثي
كانها روضة خضراء مزهرة * وحوالها جدول من أزرق الماء

(ومن التحف النفيسة) ما ذكره القاصي الرشيد بن الزبير في كتابه الجوائب والظرف أنه أصاب عطية بن مرداس العلوي لما ملك الرحبة في سنة اثنين وخمسين وأربعمائة وحازما كان آخره أبو الحرت رسلان الأساسيري من مال وغيره ومما كان وجد به بغداد من الخليفة إلى جعفر عبد الله القائم ومن ذخائر بني العباس حين خلعهم ونهب داره في سنة خمسين وأربعمائة وجد فيها مائدة فيروزج بحوائف مكالة بالجواهر لا قيمة لها ولا قدرا يعرف مما انتقل إلى بني العباس من ذخائر الكاسرة (كتب) البرهان الغزولي النحوي السكندري صحبة ملائق أهداها للصاحب زين الدين بن الزبير

لما بهدتم وكاد البأس يقصينا * من نيلكم ودنت مننا أمانينا
تناعى سغب الأمل في ظمأ * والشوق ينشرنا طوراً ويطوينا

ثم استنبأنا تحيات السلام عسى * تعود منكم تحيات فتحينا
وقد بعثنا اليكم مملوءة قبلا * مثل الأيادي التي أعيت آيادنا
مستطعمات طعاما من مطاعنا * وافتكم بلسان الحال تحكيما

(وما يكتب على سفرة الأكل)

ألا كل هنيئًا ولا تحتشم * فالاحتشام فعال الكرم
فما لجود والفضل الأمن * تفضل الينا بقل القدم

(الخبز وما ورد فيه) قال ابن عباس رضي الله عنهما أكرموا الخبز قميلا
وما أكرم الخبز قال لا تنتظروا به الأدم إذا وجدتم الخبز كلوه حتى تؤثوا بغيره
قال أبو محمد بن خلد كان الحسن بن رجاء يقول السعيد طعام الملوكة والحواري
طعام الخواص والخشكار طعام العامة والشعير طعام الزهاد وكان سعيد
لا تخلو مائدته من مائة رغيف سميد في كل رغيف رطلان وكان خبزه موصوفا
ببغداد كأنه المرأة المجاورة بياضاً وحسناً وربما يرى فيه شعراً للحيبة لشدة
بياضه قال أحمد بن أبي داود قال لي الواثق يوماً ما جمال الموائد فقلت
يا أمير المؤمنين كان يقال جمالها كثرة الخبز عاينها فقال أصبت وأحسن
فإذا اختلفت الألوان وكان الخبز كثيراً شهد صاحبها بالشرف (قال) الأصمعي
كان الرشيد يأكل كل يومين متواليين خبز السعيد والثالث الحواري والرابع
الخشكار والخامس والسادس خبز الارز انقي من خبز التنور وكان يقول الارز
غذاء صحيح قال بعض الأطباء الخشكار فيه بعض الحرارة وهو أسرع انحداراً
من المعدة لاجل النخالة التي فيه لان فيه جلي للعي وهو يولد الحكة وأكاه
بالأدام الدهن يدفع ضرره والخبز المنير أجود الخبز وأوفقه وأمرأه والقطير
بطيء الانهضام يولد الرياح وخبز التنور أغذا وأنفع والخبز المملوك وخبز الطابق
ثقيلان ضاران والخبز السعيد المعتدل الخبز ينصب الجسم ويجدد السدد
وأكاه بالاسفند باجات والطبا هيجات المسألة يصلحه وكان جبريل بن بختيشوع
لا يؤثر على الحواري شيئاً ويقول هو الواسطة (وروى) عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ثم تسلمان يومئذ عن النعم قال هو خبز الير وماء القراح والظل
(قال) العتيبي عن أبيه قال خرج أبو سفيان في جماعة من قريش وثقيف يريدون
بلاد كسرى بتجارة لهم فلما ساروا قال أبو سفيان انا على خطر من قدومنا على

ملك لم يأذن لنا بالعدوم عليه فأبكم يذهب بالعير فان أصيب وهو ميتا دمه وان يعم
 فله نصف الربح فقال غيلان بن سلمة الثقفي أنا أمضى في العير وكان أبيض
 طويلا جعدا فلما وصل ديار الملك ابدى ثوبين أصفرين وشهرا نفسه وقعد
 بالباب حتى أذن له فدخل على الملك وهو جالس في شباك ذهب فقال له
 الترجمان يقول لك الملك ما أدخلك بلادى بغير اذنى فقال لست من أهل عداوة
 الملك ولم أك جاسوسا وانما جئت تجارة فان أرادها فها هي له قال فبينما هو يكلمه
 اذ سمع صوتا نفرا ساجدا فقال له الترجمان يقول لك الملك ما أسجدك فقال
 سمعت صوتا مرتفعا حيث لا ترتفع الاصوات فظننته صوت الملك فسجدت قال
 فسكر الملك ذلك له وأمر له بمرقعة توضع تحته فرأى فيها صورة الملك فوضعهما
 على رأسه فقال الحاجب الملك يقول لك انما بعثنا هالك لتجلس عليها فقال
 قد علمت ولكن رأيتها وعليها صورة الملك فوضعهما على أعظم أعضائى فقال له
 الملك ما طعامك في بلادك قال خبز البر قال هدا عقل الخبز ثم اشترى منه التجارة
 باضعاف ثمنها ورجع في أمن وسلامة (أبو الحسين الجزار في الخبز)

قسما بلوح الخبز عند نروحه * من فرنيه وله الفداة تجار
 ورغائف منه تروك وهي في * يحجب التغال كأنها القار
 من كل مصقول السوالف أجزا السخدين للشونير فيه عذار
 وكأن باطنه بكفك درهم * وكأن ظاهره لونه دينار
 كالفضة البيضاء لكن يغتدى * ذهباً اذا قويت عليه النار

(وقال) ابن الرومي في الرقاق

لا أنس لا أنس خبارا مرت به * يدحو الرقاقة مثل الملح بالبصر
 ما بين رؤيتها في كفه كثره * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
 الائمة دار ما تنساح دائرة * في صفحة الماء تلمني فيه بالمجر

(وله) في الزلاية

بأبي الجبين حيناً من أصابعه * فتستحيل شبابيكاً من الذهب
 (المأموني) في الكجاج

عندي للأكل اذا ما * قنت للتسحر
 ملوثة بسمها * وسهم مقشر

مثل البدور الطالعا * تفي شطور الانهر
أوجهه الترك اذا * اثر فيها الجسد

(وقال) بعضهم وأجاد

نحيز شعر بغير ادم * عند فقير من الكرام
الذ عندى من الفلون * عند غنى من اللثام

(وقال) مجير الدين بن قسيم

وكان أرفقة الخوان وحولها * بقل نوحش اليه نفس الاكل
وجنات غيد صفقت وجهها * يبدو بها خط العذار الباقل
(خبرية) ذكرها الحافظ العلامة المؤرخ عماد الدين بن كثير في تاريخه في ترجمة
الوليدين عبدالملك ورواه الحافظ بن عساكر باسناد رجاله كلهم ثقات عن
عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال خرج الوليد بن عبدالملك يوما من الباب
الصغير فرأى رجلا عند المائدة المرقية يأكل فوقف عليه فاذا هو بأكل خبز
وترابا فقال له ما يحملك على هذا قال القنوع يا أمير المؤمنين فذهب الى مجلسه
ثم استدعى به فقال ان لك اشأيا فأخبرني به والاضربت الذي فيه عيناك
فقال نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلا جالا فبينما أنا أسير من مرج الصفر قاصدا
الكسوة اذ رزمني البول فعدلت الى خربة لابل فاذا سرب ففترته فاذا مال
صيب فلات منه غرائري ثم انطلقت أقود برواحلى واذا بمخلاة فيها طعام
فألقيته منها وقلت انى سأتى الكسوة ورجعت لاملئ تلك المخلاة فلم أهتم الى
المكان بعدا لجهدي الطلب ثم رجعت الى الرواحل فلم أجدها ولم أجدها الطعام
فآليت على نفسي ان لا آكل الا خبزا وترابا قال فهل لك عيال قلت نعم ففرض
لهم في بيت المال قال ابن جابر وبلغنا أن الرواحل سارت حتى أتت بيت المال
فتسلمها نازله فوضعهما في بيت المال

(ابواب المحادى والثلاثون في الوكيرة والاطعمة المشتهاه) *

الوكيرة طعام البناء كان الرجل اذا فرغ من بنائه يطعم أصحابه يتبرك بذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم الوليمة في أربع في عرس أو عرس أو عذار
أو توكير قال الشاعر

خير طعام تشهد العشي به * الخرس والاعذار والوكبر
 (قال) الشيخ محي الدين النواوي رحمه الله في شرح مسلم في كتاب النكاح قال
 أصحابنا وغيرهم الضيافات ثمانية أنواع لولية للدرس والخرس بضم الخاء
 المعجمة للولادة وقيل فيه الخرس بالصاد المهملة أيضا والاعذار بكسر الهمزة
 والعين المهملة والذال المعجمة للختان والوكيرة للبناء والنقيعة لقدم المسافر
 يصنع الطعام وقيل يصنعه غيره والعقيقة يوم يابح الولادة والوضيعة بفتح
 الواو وكسر الضاد المعجمة الطعام عند المصيدة والمأدبة بضم الدال المهملة
 الطعام المتخذ غنبا فبلا سبب قال صاحب زبدة الفكره في تاريخ الهجره
 ولما تكامل بناء القصر الا باني الذي أنشأه السلطان الملك الناصر لسكناه بقلعة
 الجبل المحروسة عمل وليمة عظيمة حضرها الغني والفقير من كبير وصغير وخلع
 على الامراء التشاريف على قدر مراتبهم وأنعم عليهم بالبذل من الاموال وكانت
 عدة الخلع التي خلعت ألفي خلعة وخمسمائة والمسال المطلق مائة ألف دينار
 من العين المصري وذلك سنة أربع عشرة وسبعمائة (وقرات) في بعض
 النجما مع الادبية ان الفتح بن أبي حصينة المغربي رحمه الله امتدح نصر بن صالح
 بحلب فقال له تمن فقال أتمنى ان أكون أميرا فجعله أميراً بحلب مع الامراء
 ومخاطب بالامير وقربه وصار يحضر في مجلسه في جلة الامراء ثم وهب له أرضا
 بحلب قبل على حمام الواساني فعمرها دارا وزخرفها وقرنصها وتم بديانها وكل
 زخارفها ونقش على دائر الدرابزين

دار بديانها وعشنانها * في نعمة من آل مرداس

قوم محووا نوى ولم يتركوا * على الايام من باس

قل ابني الدنيا لا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

(قال) فلما انتهى العمل بالدار عمل دعة وأحضر نصر بن صالح بن مرداس
 فلما أكل الطعام رأى الدار وحسنها وحسن بديانها ونقوشها ورأى الايات
 وقرأها فقال يا أمير كم خسرت على هذه الدار فقال والله يا مولاي ما للول
 علم بل هذا الرجل ولي عمارتها فلما حضر المعمار قال كم خسرتمكم غرامة
 على بناء هذه الدار فقال المعمار غرمتنا ألفي دينار مصرية فأحضر من ساعة
 ألفي دينار مصرية وثوبا أطلس وعمامة مذهبية وحصانا بطوق ذهب وسرج

ذهب ودفع ذلك جميعه الى الامير ابي الفتح وقال له
 قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس
 (قلت) وما أحسن ما ضمن هذا البيت سيدي القاضي شهاب الدين بن حجر يمدح
 سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن الدماميني المالكي رحمه الله
 نسيت أن أمدح بدر العلي * فلم يدع برى وابن ساس
 قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس
 (حكى) أن ابن البطريق واسمه علي حضر عند ابن السراج بن البجلي ناظر
 دار الضرب والتجيش في بغداد في ولاية عملها لأجل دار عمرها فلما خرج من
 عنده اجتمع بالوزير نصير الدين أحمد بن الناقدي فسأله أين كنت قال في ولاية
 ابن البجلي فقال الوزير قيل لي إن داره مليحة فقال نعم وقد عملت فيها
 دار السراج مليحة * فيها تصاوير يمكنه
 تحكي كتاب كليله * فتي أراها وهي دمنه
 الدعوات المشهورة دخول عبد الله بن المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل
 وكانت النفقة في يوم ملاكها وعرسها (قال) ابن عبدوس في سنة عشرة ومائتين
 ثمانية وثلاثين ألف ألف درهم وقيل خمسين ألف ألف درهم وكان يصري
 في كل يوم في جملة الجرايات على ستة وثلاثين ألف ملاح ووصل المأمون في قواده
 وحشمه وذهب لائحها ألف ألف درهم وكساء وأقطعه فم الصلح وكانت عليه
 ثمانين ألف دينار في السنة وبلغت نفقة أبيها في هذه الولاية أربعين ألف ألف
 درهم وبلغت نفقة الحسن بن سهل على قواده المأمون وجلائهم فأوصلهم وخلع
 على الخاصة خلعا قيمتها سبعون ألف ألف درهم وجلائت بوران على المأمون
 وقد فرش لها حصير من الذهب وجاءت جدة بوران بمكيل من الذهب مرصع
 بالدر والجوهر فيه در بكار فنثر على من حضر من النساء وفيهن أم جعفر
 وجدونة بنت الرشيد وغيرهما فلم يمسن منه شيئا فقال المأمون شرفن أم محمد
 وأكرمها فذت كل واحدة يدها وأخذت حبة وبقي سائر الدر يتدحرج على
 حصير الذهب فقال المأمون قاتل الله بن هاني كأنه رأى ما نحن فيه حيث قال
 كأن صغوى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب
 ونثرت أم الفضل بن سهل جدة مروان عاينها يوم دخل بها المأمون ألف درهم

في صينية ذهب وأوقد في تلك الليلة على المأمون شمعاً منبر وزنها أربعون مثناً
 وتترفي ملاكها كل شيء له قدر من الكراع والرقيق والكسي والصباغات
 والطيب والضياع والعقار والجواهر والدنانير والدراهم وكانت
 أسماء كل هذا مئة في رقاع وتلقى من التقط رقعة مضي إلى الخازن الذي
 لذلك الصنف فأخذ منه وكان للحسن بن سهيل أربعون بغلاً مرتبة
 محل الخطب تصرف كل يوم عدة دفعات أقامت تنقل سنة كاملة ولم يكفهم
 حتى قطعوا سنف النخل رطباً وصبوا عليه الدهن والزيت وأوقدوه (وحكى)
 القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار في
 ممالك الأمصار في ترجمة الأتربة أحكام الله أبي علي المنصور في المجلد الرابع
 والعشرين منه أن الأتربة بالله يباهون في موكبهم قبلي بركة الخدش إذ تقدمهم
 فرب رجل على باب بيستان له وحوله عبيد وموال له فاستسقاه ماء فسقاه
 فلما شرب قال يا أمير المؤمنين قد أطعمتني في السوال فان رأيت أن يكرمني بنزوله
 لاضيفه فقال ويحك معي الموكب فقال وأوانك يا أمير المؤمنين فنزل فأخرج
 الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى
 ومائة زبدية أشربة سكرية كلها فبهت الأتربة وقال أيها الرجل خبرك عجيب
 فهل علمت بهذا فأعددت له فقال لا والله يا أمير المؤمنين وإنما أنا رجل تاجر
 من رعيتك لي مائة حظية فلما أكرمني أمير المؤمنين بنزوله عندي أخذت من
 كل واحدة شيئاً من فرشها وبعض أكلها وشربها وكل واحدة في كل يوم طبق
 فاكهة وطبق طعام رطب بوارد وجام حلوى وزبدية شراب فمجدد الأتربة كرا
 لله وقال الحمد لله الذي جعل في رعايانا من يسع حاله هذا ثم أمر له بما في يده المال
 من الدراهم ضرب تلك السنة فكان ثلاثة آلاف ألف وسبع مائة ألف ثم لم
 يركب حتى أحضرها وأعطاه الرجل وقال استعن بهذه على حالك ومرتلك ثم
 ركب وانصرف (ولما) زوج الحجاج محمد بن الحجاج قال لا صنع من طعام لم يسبقني
 إليه الأولون ولا يدركه الآخرون فقبل له لو بعثت إلى المداين فسألت كيف
 صنع كسرى فتعمل على مثال ذلك فأرسل إلى بعض من أدرك ذلك فقال
 أخبرني عن الطعام الذي صنع كسرى فقال ما أكثر ما كان يصنعه من
 الطيبات قال أطيعه قال حين تزوج هند ابنة بهرام كتب إلى عماله في الآفاق

لم يقدم على كل رجل منكم ويخاف والى شرطته على يده قرأى عنده اثني عشر
 ألفاً فاطعمهم في ثلاثة أيام كل يوم ألف خوان يقة - عدون على بسط الديباج
 المنسوجة بالذهب وكلما أكلوا أنى كل واحد منهم بمثل ما كان في غسل يده به
 فلما قاموا بعث بتلك الآية والبسط فقصمت عليهم فتمال الحجاج أفسدت
 على لعنك الله اذهبوا فاشترىوا الجزر فانحروها في مبيعات واسط وكان قد أمر
 بالنداء بالحضور فحضرها الناس وذلك في أشد الحر وكثرة الذباب فاستغنى أهل
 الدعوة عن المراوح ولم يجدوا ذبابة واحدة وكان قد عمدا إلى المرافق التي في
 المجالس فنصب فيها أجنار الثلج وكانت الریح تغضي الیهام من باذهنجات فيخرج
 نسيمها إلى المجالس والصحن وسئل عن عدم الذباب فقيل انه اشترى قبل الدعوة
 من دورا بحيران ما يمكن شراؤه واستعار الباقي وطلى حيطانها بعسل قصب السكر
 فاشتغل الذباب به وانقطع عن داره فلما انقضت أيام الدعوة ردت جميع الدور
 إلى أربابها * وعلى ذكر الذباب فلا بأس بإيراد نكتة غريبة وموعظة عجيبه
 وهي أن الحاكم الذي كان خليفه بمصر وادعى أنه من ولد فاطمة رضوان الله
 عليهم ما وبني المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح فسعد حاله
 في آخر أمره وادعى الالهية وكتب بسم الحماكم الرحمن الرحيم وجمع الناس
 للإيمان به وبذل لهم نفائس الاموال وأن ذلك كان في فصل الصيف والذباب
 يتراكم على الحماكم والخدام تدفع الذباب ولا يندفع فقرأ بعض القراء وكان
 حسن الصوت يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من
 دون الله ان يخلقوا ذبابا ولوا جمعه والوان يسلمهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
 ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره فاضطرب الحاضرون بسماع
 هذه الآية حتى كأن الله تعالى أنزلها تكذيبا للحماكم في دعوى الالهية وسقط
 الحماكم من على سريره خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ في استجلاب ذلك
 الرجل إلى ان طمأنه وسيره في صورة رسول إلى بعض الجزائر وأمر الربان أن
 لا يسير به غير ثلاثة أيام ويغرقه فلما غرق رؤى في المنام فقيل له ما وجدت
 فقال ما قصر معي الربان أرسي بي على باب الجنة (رجوع) ومن الهمم الملوكة
 والنخوة العربية والنفس الادبيه ما ذكره النعماني في كتابه لطائف المعارف
 عن جيلة بنت ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان أنها جت

سنة ست وستين وثلاثمائة فصار عام جهامثلا وتاريخنا وذلك انها أقامت من
المروعة وقرقت الاموال وأظهرت من المحاسن ونشرت من المكارم ما لا يوصف
بعضه عن زيده وغيره من حاجات بيت الخلافة والملك ولا عن الخلفاء والملوك
والحاجين وهو ما ذكره الثقات انها سقت جميع أهل الموسم السويقي بالسكر
الطبرزد والبلج وكانت استجبت بقول المزدوعة في مرا كز الخنزف على المجال
فضلا عما سواها وأعدت خمسة مائة راحلة للنقطعين من رجاله الحاج ونثرت
على الكعبة عشرة آلاف دينار واستجبت فيها شموع العنبر في مدة أقامت بها
بمكة وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي أمة وأغنت المجاورين بالصلاات الجزيلة
ونخلت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب وكان معها أربع مائة عمارية
لا يدرى في أيها من قصتها أنها المار جعت الى بلدها المبرص وضرب الدهر
ضرباته فكان من استيلاء عضد الدولة ففنا خسرو على أموالها وحصونها
ومالك أهل بيتها ما كان حتى افضت بها الحال الى كل قلة وذل وتكشفت عن
فقر مدقع وكان ففنا خسرو وخطبها لنفسه فامتعت من اجابته ترفعا عنه فاحتقدتها
عليها وحب وقعت في يده تشفى بها وما زال يعسف بها في المطالبه حتى عراها^٢
وهتكها ثم ألزمها أحد أمرين اما ان تصح ما بقتة ووقف عليها من المال واما ان
تختلف الى دار القهاب فتكتسب فيها ما تؤديه من مال صادرتها فلما ضاق بها
الامر وأشرفت على الغضبية انتهزت فرصة من غفلة المتوكلين بها وغرقت
نفسها في دجلة رجعها الله تعالى ولا أخذها (ومن ظريف الاخبار) ان زوجة
المحسن بن الفرات أرادت اعذار ابنها بعد قتل أبيه فتعذرت عليها بالنفقة فرأت
المحسن في منامها فذكرت له ذلك فقال ان لي ودعة عند فلان الدين عشرة
آلاف دينار فانتهت وأخبرت بالقصة فسألوا الرجل فاعترف بها وجل المال
اليها (اتخذ) الحجاج وليا اجتهد فيها واحتشد ثم قال لزا فان فروح هل عمل
كسرى مثلهما فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عبد كسرى فأقام على
رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف
والله ما تركت فارس لمن بعدها شرفا (قلت) ذكرت بقوله أولم ما أنشدني من
لفظه لنفسه سيمدي المقر المجدي ابن مكاس

قال خلى لم يبي صل فتى * فيك قد أضحي مغنى مغرما

قال هل يولم ان واصله * قال ان فاز بشغرا ولما
 وأول من ضيف الضيف وأطعم المسكين وقص شاربه وقلم أظفاره واستحذ
 واستاك ورأى الشيب وفرق شعره وتمضمض واستنثر واستنحي بالماء واختن
 بالقدم وأمس السراويل وأسس الحجوج أي بنى أساس البيت الحرام
 خليل الله ونبيه ورسوله أبونا إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام قيل
 ما خلا مضيفه الى يومنا هذا من ضيف قط وقيل له صلى الله عليه وسلم بما
 اتخذك الله خليلا قال بثلاث ما خبرت بين شيئين الا اخترت الذي لله على غيره
 وما اهتممت بما تكفل الله لي به ولا تعشيت الا مع ضيف ما أحسن قول صفوان
 ابن ادريس فيمن اسمه إبراهيم

اسمى من سن القرى رفقا بمن * يغنى عليك صبابة وغراما
 أنا ضيف حبك فاصطنعني انه * ضيف الهوى يستوجب الاكراما
 أفنيت جسم الصب شوقا مثل ما * أفنى سمك قبلك الا صناما
 يازهرة سكنت بقاي غصة * انى تتوأت الجحيم كماما
 حتى كأن الحب قال لاضاعي * يا نار كن برداله وسلاما
 وكان المحسب في خطبة مضيا فاله مطبخان في كل مطبخ سبع مائة تنور هكذا نقل
 عنه الزمخشري (وحدث) عمر بن شيبة قال كان المجاج يطعم في كل يوم على ألف
 مائدة على كل مائدة مائة مشوية سمينة وجنب مشوي وساقيان يسقي أحدهما
 اللبن والاخر العسل وكان يطاف به على كرسى فيقول يا أهل الشام مزقوا
 الخبز الرقيق كيلا يعاد عليكم (وقال) انما حظ كان كسرى ينصب في كل يوم ألف
 مائدة على كل مائدة فخذ جار وحش وبيضة نعامة ومن سائر الاصناف التي توجد
 في البر والبحر والسهل والجبل حتى لا تخلوا المواثد من سائر الاطعمة * وكان
 النبي صلى الله عليه وسلم يحب الوليمة ويحب دعوة العبد والمحرو يقبل الهدية
 ولو انها جرة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ولا يتأنق في ما كل ويعصب على
 بطنه المحرم من الجوع وآتاه الله مفااتيح كنوز الارض فلم يقبلها واختار الآخرة
 وأكل الخبز بالخل وقال نعم الادم الخل وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى وكان
 يأكل ما وجدده ولا يرد ما حضر ولا يتكاف ما لم يحضر ولا يتورع عن مطعم
 حلال ان وجدته رادون خبزأ كاه وان وجدته شواء أكله وان وجدته خبزير

أوشعيراً كله ولا يأكل متسكناً ولا على نحو أن لم يشبع من خبز برثلاً ثانياً تابعاً قط
حتى لقي الله عز وجل أثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلًا وكان يحب الذراع من
الشاة والدباء وأكل خبز الشعير بالتمر والمطبخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر
بالزبد وكان يحب المحلوى والعسل وكان يشرب قاعداً وربما شرب قائماً
وتنفس ثلاثاً مثني اللاناء ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه ويشرب لبناً وقال من
أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه ومن سقاه الله لبناً
فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وإذا رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله
الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا من المسلمين وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن
(قال) بعض الكرماء من أئمة الطائفة بالله تعالى بالكرام أنه يسامح المسافر بالفطر
في رمضان فلو لا ذلك لنجس الكريم أذيم عليه ضيف فيعتذر من أكل طعامه
بالصوم وأن هذا من قول بعض البخلاء وقد سئل ما الفرج بعد الشدة فقال
أن تدعوا الضيف فيعتذر بالصوم (وكان) ممن بن زائدة إذا أراد أحد من علمائه
أن يرضى عليه بعد الغضب الشديد يادر إلى شيء من طعامه فوضعه في فيه
بحضوره (ووقفت) في أخبار عمارة الشاعر اليمنى قال كنت هجوت ابن دخان
وهو يومئذ صاحب ديوان الدست فشكاني إلى السلطان شاور فأعرض عنه
ثم شكاني ثانية فأعرض عنه ثم شكاني ثالثة فالتفت إليه وهو محرج وقال له
ما نسختي من أن تشتكى إلى رجل لا يأكل معي على طعامي في يوم وليلة قال عمارة
فلم أشعر إلا وقد حضر ابن دخان إلى داري ليلاً وجل إلى دابتي إلى آخر السنة
(وحكى) بعضهم قال كنا عند الشيخ الزاهد الورع أبي العباس بن تامة يت نفع
الله به فقدم لنا طعاماً فأكلنا فقال بعض الجماعة يا سيدي قد أسأنا الأدب
وأكلنا غير إذن فقال الشيخ فاذن لا ترفع يدك إلا بذن (نادرة) قيل نزل ضيف
على بخيل في ليلة وكان جائعاً فقدم له طعاماً فأتى على آخره ولم يغادر منه شيئاً فخلف
البخيل أن لا يبيت الضيف عنده فقال الضيف يا أخى اصبر على إلى الفجر فقال
لأولياي عشر فقال أما سمعت أن الضيافة ثلاث فقال البخيل لا وحق الواحد
لا يبيت عندي ثلاثاً من يأكل بالخمس ولو كان له فضل من أوتي تسع آيات بينات
وحسن من سجد له أحد عشر ركوباً فخرج الضيف وقال كيف جمع زوج
التكلى هذه الأفراد على الترتيب (كان) لعبد الله بن جندعان جفنة يأكل منها

الطعام القائم والراكب فوق صبي فيها فترق خفات (وذكر) ان عطية بن صالح بن مرداس طبع في بعض ولائمه تسعة مائة خروف مصرية سوى ما طبع من الالوان (قال) علي بن الاعرابي قال الحجاج لرجل يوما وهو على خواته وكان عليا ارفق بيديك فأجابه على الفور وانت يا حجاج فاغضض بصرك فقال له ان هذا المجواب المسكت (اعرابي) مما يزيد في طيب الطعام مؤاكلة الكرم الودود (حت) رجل رجلا على الاكل من طعامه فقال عليك بتقريب الطعام وعلينا تأديب الاجسام (وقال) علي كرم الله وجهه اذا طرقت اخوانك فلا تدخروهم ما في المنزل ولا تكلف ما وراء الباب واذا طرقت فما حضر واذا دعوت فلا تنذر (قيل) الحكيم أي الاوقات اجد لآكل قال اما من قدر فاذا اشتهى وأما من لم يقدر فاذا وجد (وقال) جعفر بن محمد تبين محبة الرجل لآخيه ببجوده أكله في منزله (نزل) الشافعي بمالك رضى الله عنهما فصب بنفسه الماء على يده وقال لا يركب مني ما رأيت فان خدمة الضيف فرض (وكان) الشافعي رضى الله عنه نازلا بالزعفراني ببغداد فكان يرقم كل يوم في رقعة ما يطبخ من الالوان ويدفعها الى التجارية فتأخذها الشافعي يوما وألقى لونا آخر فعرف ذلك الزعفراني فأعتق التجارية سرورا بذلك (نادرة) روى عن أبي العباس المبرد فقال ضاف رجل قوما فكرهوه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن يعلم مقدار مقامه عندنا فقالت التي بيننا شراحتي نكأكم اليه ففعلا وقالت المرأة بالذي يبارك لك في غدوك غدا أينا أظلم فقال والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهرا ما أعلم (قيل) ويقع على الكريم ان يغتاط على غلمانه بحضور ضيوفه وكذلك اذا أبطأ طبائعه بالطعام (حكى) ان بعض قواد طولون حضر سماطه يوما وعليه قباء منزل بفضة فجاء بعض غلمانه عجلا فأنكب على القباء من الطعام فساظن احد من سانه يحببه ففهم تخوف الغلام وانقباض الجماعة فرفع طرفه الى الغلام وقال يا شيطان قد فهمت غرضك لاشك انك استحسنيت القباء اذهب به فهو لك فسر الغلام وجيء من حضر (نادرة) قيل لامينان الطفيلي كم عدد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وكان نقش خاتمهم لا تأكلون (ونظر) طفيلي الى قوم ذاهبين فلم يشك انهم يذهبون الى وليمة فقام وتبعهم واذا هم شعراء قد قصدوا دار السلطان بمدايح

لهم فلما أنشد كل واحد منهم شعره وأخذ جائزته لم يبق الا الطقيلي وهو جالس
ساكت فقبل له انشد أنت فقال لست شاعرا قيل فن أنت قال من الغاوين
الذين قال الله تعالى فيهم والشعراء يتبعهم الغاوين فضحك السلطان وأمر له
بمثل جائزة الشعراء (كان) مسلم بن قتيبة لا يجلس لمواييج الناس حتى يشبع من
الطيب من الطعام ويروي من بارد الماء ويقول ان الجائع ضيق الصدر فقير
النفس والشبعان متسع الصدر غنى النفس (وقال) ابن الاعرابي كان المحسن
الاضي في الشرف من العطاء وكان ذميا فقال له زياد ذات يوم كم عيالك قال
تسع بنات قال قأين هن منك قال أنا أحسن منهن وهن آكل مني فضحك وأمر له
بأربعة آلاف دينار (وكتب) كسرى أنوشروان بالؤلؤ على مائدة من الذهب
ليم منه طعام من أكله من حله وجاد على ذوى الحاجة من فضله ما أكله وأنت
تشبهه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشبهه فقد أكلك (نادرة) حكى الهيثم
ابن عدي قال ما سبت أباحنية فتقي نفر من أصحابه الى عيادة مريض من أهل
الكوفة وكان مجتلا وتواصينا على اننا نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق
العيادة قال أحدهما ولنبولونكم شي من الخوف والجوع وقال آخر وما جعلناهم
جسد الا ياكلون الطعام وقال آخر آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
قال فتطى المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فإلکم هنا من فرج
(كان) بعض مقاليس الكتاب في دعوة فلما أخذت الكأس منه قال لهم
أنتم عندي غدا فلما أصبح حدثه غلامه ما بدا منه فسقط في يده وأخذ يعنف
غلامه كيف لم يذهبهم على أفلاسه وسوء حاله والغلام يعتذر عن ذلك باشفاقه
من عربده لواطلههم على ذلك اذ دفق القوم الباب فقال الغلامه على
نأندوا ما يرضاس وكتبوا أنهم ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفكم
وما كن لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجب لي فلا تلوموني ولوموا
أنفكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي فلما قرؤا رقعة عرفتوا عذره وتفرقوا
عنه (نادرة أيضا) قيل تغدي رجل مع بعض الرؤساء فقدم اليه جديا
فهل يعمن به فقال له الرئيس انك لتمرزه حتى كان أباه نطحك فقال له وأنت
تشفق عليه حتى كأن أمه قد أرضعتك فحبل وانقطع (عرب بن هيرة) عليكم

جميعاً كره الغداء فان في مباحته ثلاث خصال يطيب النكهة ويطفي المره
ويعين على المروءة قيل ما طاته على المروءة قال ان لا تتوق النفس الى
طعام غيرك

(فصل) في الاطعمة المشهورة ومضارها ومنافعها (السكاج) حارة معتدلة
الرطوبة تنفع الكبد الصفراوية وتولد دما صالحا وتقوى الشهوة وتحبس
البطن وهي بلحم البقر نافعة لمن يتحدر الى معدته حرارة كثيرة وقال بعضهم
السكاج في البطيخ بمنزلة الفالوذج في الخلوى وقال الصولي كان بعض الصوفية
يقول اول من عمل السكاج آدم ولذلك استوى في استطابتهام لوك ولده
وسوقتهم وكنيتهم أم القرى لان طعامها من أجل الاطعمة وأم الشئ معظمة
وجارية وأم القرآن الحمد وأم القرى مكة وأم الشئ أجله (المدققات)
حارة رطبة مخصصة للبدن تولد دما معتدلا يحتاج لمن ضاق عليه الاستغراق
بالجماع وعرض له من الاحداث النفسانية ما يبلل الهضم عليه كالهم والفرع
والغم لان جوهر اللحم انحل أكثره في المرق وهذا الحال يخف على الهضم وهي
من أطعمة الخجور صالحة لهم حذا (الرخصة) حارة رطبة تزيد في الباءة تولد غداء
كثيرا وهي مضره بالصفراء مكروهة لمن يعتاده الغشيان ولاصحاب المعدة الحارة
لتمطينها وأكلها مع الخوامض صالح وهو غداء شهى موافق لاهل الرياضة
والقوة وكثرة البيض فيها صالحة وهي من الالوان الماثورة الموصوفة (الجزورية)
حارة رطبة تحرك الباءة وتدر البول وأصبح ما كانت باللحم السمين والنخل والمرى
والنخردل (ابن سكرة) الهاشمي في جزورية

أكلت بالامس جزورية * تخبر عن خمسة أربابها

اللحم فيها أنردارس * كأنما مر على بابها

(المحصرمية) باردة يابسة وأجودها ما عمل بالماء العتيق العذب والذي يعمل
بالمحصرم الطرى يولد ربا حابا لمعدة لانه ثمره فجفة لم تنضج ويختار فيها استعمال
اللون المر لتعديل يسهل وتحسين منظرها (السماقية) باردة يابسة أيضا
(الرمانية) كذلك ولها فاعل في تقوية المعدة وينعمان من ترف الدم ومن
أحب تعديل الطبع فيهما الاسفاناخ والسلق (التفاحية والريباسية) أيضا
متناسبان في البرد واليبس نافعان لاصحاب المزاج الصفراوي والاكباد الحارة

والمدة الضعيفة يكرهان لأصحاب القولنج وهما مضرتان بالعصب والمفاصل
والثني والبائة (الزيرباج) معتدلة الحرارة نافعة الكبد تولد دما معتدلا وهي
مسكنة لحدّة الانحلاط مفرحة للقلب والناس فيها مذاهب وأجدها السهلة
المسائة الروسية وبعضهم يخارها رديعة بالزعفران خثرة جدا وبعضهم يتخيرها
ساذجة بيضاء وهذه أقل حرارة (المضيرة) باردة معتدلة الرطوبة قائمة للصفراء
تولد غداً بلغمياً واستعمال حلوى العسل بعدها صالح وهي من الألوان المستحبة
المأثورة ويختار عملها بأفراخ الجبلية فإنها أوفق لها من سائر اللحمان وللبصل فيها
معنى خلاف سائر الطبخ وكان بشار بن برد الأعمى يقول فيها ما أظن في الطعام
أطيب من بصلة مضيرة لاني ما سبقت البصر اليها قط ولا هم يؤثروني بها
ويسحب تقدّمها في الصحن الزرق أو ماشا كلها وتكره لها الصحن الأبيض
ويراه بعضهم قبيحاً ويعدّه من سوء الاختيار وكان أبو هريرة رضي الله عنه
تجبه المضيرة جداً فإكلها مع معاوية فإذا حضرت الصلاة صلى خلف على
كرم الله وجهه فإذا قيل له في ذلك شيء قال مضيرة معاوية أدمم والصلاة خلف
على أفضل فقبل له شيخ المضيرة (حكى) ابن شكة الكاتب صرد رامتني من
جل ما طالب منه وأحتمل غليظ المكره وكان يوثق بطبق فيه طعام فرأى يوماً
مضيرة في صحن أبيض هداماً لا يكون أبداً (القلايا) طارة معتدلة اليبس تختار
للذين تجتمع في معدتهم البلغم لتقطيعها لاسيما إذا عالت بالآزير الحارة
وهي باعثة للشهوة مهيجة لذوى النهمة (المهلبية) أول من اتخذها بنو المهاب
فنسبت اليهم وهي من الألوان المستحسنة المستلذة تنفع لحفظ الصحة وأجدها
منفعة السلسلة والانعقاد بالدجاج الحديث السممان والعسل الخالص الذهبي
والسكر النقي وهي معتدلة الحرارة والرطوبة تغدو غداً صالحاً إلا أنها مضرّة
بالصفراء وتدفع ضررها بالمصربة منها قبلها (الارزبالين) قال محمد بن خلاد
كان كثير من رؤساء العراق يقدمون في أول الطعام الارزبالين والسكر المنحول
ثم يتبعونه ما شاؤا أشار له على غيره وكان الحسن بن سهل يفضل على كثير
من المطاعم ميلاً إلى رأي المأمون فيه وقال له انه يزيد في العمر يا أمير المؤمنين قال
من أين قات هذا قلت لان الأطباء زعموا أن الارزبولد أحلاماً صحيحة فإذا
صحت الأحلام فهي من زيادة النوم على البقظة لان النوم موت والبقظة حياة

(الشوى) قال أبو عبيد العرب تقول الشوى رئيس الطعام قال ومرا الفرزدق
بالاخص فقال له اقترح يا أبا فراس فقال شوى وطلى وغنا فقال ادخل
فقد أعدت لك والشوى حار رطب وأجوده المشوى على سهل مثل شى الرأس
فان ذلك يكسبه فضـل ترطيب ونضاج وياطفه (الكباب) بفتح الكاف وهو
اللحم المشروح وأجوده ما شرح اللحم شريحاً خفيفاً وتثر عليه الملح ونصب له
مقل على النار بلا دسم وطرح عليه وقلب من جنب الى جنب حتى ينضج ويحمر
هذا هو الكباب الخالص بعينه وهو الذى كان يعمل ليحيى بن خالد ولولده وفيه
يقول أبو الفتح الدينى

عليك اذا أنجب الدجى بكباب * وعقبه مرتاحاً بكأس شراب
فـلم يفتح الاقوام باباً الى المنى * كباب شراب أو كباب ككباب
(المخيطية) تنصب الجسم وتغذوه وتزيد في الباءة (الكشك) قال جالينوس
أبو ان كريمة ان تجالسيما (الططماج) حسرا الهضم من أجل انه من خبز فطير
فهو يراعى في المعدة واصلاحه بالتوم ويؤكل معه النعنع ويشرب نبيذا صريفاً
قويًا وعسلًا مطبوخاً بأفواه الا أن يكون محروراً فلا يحتاج الى ذلك (الملوخيا)
غليظة لزجة باردة كثيرا الاكثر منها يضرب بالمطوبين والمباغمين واصلاح
ضررها أن تطبخ بلحم الغزلان تخففته وحرارته أو من الحجل أو مع الفراخ
النواض أو الفراريج السرخسية فان لم يتفق فتلقى فيها الشرايح الجافة
المدخنة أو التنورية عند نروجها من التنور وكذلك الباذنجان المقلى يلقى
عليها ويكمر ساعة ثم تؤكل وماء الليمون يلطف غاظها ويقطع لزجتها ولا
يصلحها اصلا حاتما الا هو واذا قطع ورقها الاخضر ووضع على لسعة الزنبور
نفعها وطبخ ورقه يفع حرق النار وفيه أكثر منافع الخظمى وهى فرع منه
وذكر انها قد عا لم يكن لها ذكر ولا قدر ولا تصريف في مدينة ولا في اقليم
الا بعد ثلثمائة وستين سنة مضت من الهجرة النبوية بمصر خاصة وكان
السبب في ذلك أن المعز بنى القاهرة لما دخل مصر استرباها واختلف عليه
الهواء الذى كان يعهده بأفريقية ورطوبته لجأ ورته البحر فأصابه بدس
واستولت عليه أمراض حارة فتدبر له أطباء مصر قانونا من العلاج من جملة
الغذاء بالملوخيا فوجدوها نفعاً ينفذ في التبريد والترطيب وأقلع عنه معظم

ما كان يجده من الاعراض الرديئة التي سببها اليبس والحجارة وأدمن أكلها فأبلى من مرضه ووقعت منه بموقع عظيم وأمر بأصلاحه وأله ونحوه حتى سميت الملوكية وبلغ من اعتنائهم بها أنهم كانوا يحففونها ويطبخونها بحففة السنة كلها وكان با كورها إذا دخل القصر يكون ذلك اليوم موسماً عظيماً ويعطى مهديها عطاءً خريلاً

(ما ورد من المنظوم والمنثور في هذا الباب) كتب الشيخ جمال الدين بن نباتة يتشكر من بعض الرؤساء وقد أهدى له خروف شوى شكر الله إحسان مولانا الذي وصل فأوصل إلى القلب جبره وإلى الكف بره وإلى الفم كل شحمة كاهد اب الدمعس المقتل وكل فائدة صفراء تمر ناظر المتأمل فما أحسن ما ملا ذلك الجودفة وعينيه وتلقاه المملوك قائلاً هذا الشرف الذي ينطع النجوم برفقه لقد أرى تواتره هذا البر على ما في النفس ولقد جذدت هذه الهدية فخرا حتى كأنها أهدى له جل البروج على طبق الشمس واقدآن ان ينثر من الدهر وتنتصف ولقد عرف رجاءه من أين يؤكل الكتب فإنه الكرم الذي لا يحيل الآمال على سوف والفضل الذي أضاف المملوك وآواه فأطعمه من جوع وآمنه من خوف لا يرجح مولانا يحيى ماثر آياته إلى و يقيم سنن قراهم التي هي على الدهر كالحلى ولا زال يفخر فيقول عزمه أناطلاع الثنايا ويقول بشره أنا ابن جلا (وقال) ابن وكيع فيه

خوف لو أشار إليه وهم * تفر جلد به بالشحم يجري
لباطنه قميص من لجين * تسربل فوقه بقميص تبر
وما أحسن ما كتب به ابن خروف النحوى إلى ابن الهيب وكان قد دعاه
دعاني ابن لهيب * دعاء غير ندييه
ان سرت يوما إليه * فرالدى في أبيه

(نادرة) قدم إلى أبي على الفارسي النحوى شوى غير نضيج فقال هذا لم تعمل فيه العوامل (قدم) إلى الفاضل في دعوة خروف شوى فقال هذا من البهاثم التي علمت يريد قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهاثم ما تعلمون من أمر الموت ما أكرم منها سمينا (قيل) عن سليمان بن عبد الملك أنه كان نهما على طعامه وأنه كان يلف على يديه بغاصـل كـه ليتناول به الكلى من بطون الحملان وهي في شـدة

الحمارة ولا يمهل حتى تبرد وقد ذكر ذلك الاصمعي في أيام الرشيد لما وجد سقط
عليه ثياب مذهب ثمينة وأكمامه مبتلة بالدهن في ذخائر بني أمية والقصة
مشهورة (وصف) بحظة دعوة حضريها فقال أتينا برغفان كالبـ دور المنقطة
بالحموم وملح كالـ كافور العقيق ونخل كذوب العقيق وبقل كالـ خضار
العدار وجل من الفضة جسمه ومن الذهب قشره وجوفه وأرزم دفون
في السكر ثم جاء ناغـ لام شراب الـ ذمن ذكره وأطيب من روحه وأصفى من
ودّه وأرق من لطفه وأذكى من عرفه وأعذب من خلقه وأشهى من قربه
(سيف الدين المشد في دجاجة مشويه)

دجاجة صفراء من شيبها * جـراء كالورد من الوهج
كأنها والبحر من تحتها * أترجسة من فوق نارنج

وما أظرف قول الشيخ زين الدين بن الوردى

لى شهوتان أحب أجمعهما * لو كانت الشهوات مضمونه
أصعب أعدل مدققة * ومفاصل الرقباء مدفونه
(نادرة) مرض ابن تقيّة المغنى وأشرف على الموت فجاء إليه ابن الصاحب
يعوده فقال له أيش حال التقيّة فقال ما أخوفنى تبقى مدفونه (وقال) كشاجم
يصف مائدة وما عليها

ومن فرار يجيماء المحصرم * تصلح للحموم أوليحتى
قدشويت أكادها بيض * فهى كمثل نرجس بروض
وجاءنا فيها بيض أحر * كأنه العقيق مالم يكسر
حتى إذا أتى به مقشرا * أبرز من تحت العقيق الدرا
كأنه إذا خاز أصناف الملح * أطاره تلويته قوس قزح
وجاءنا براضع لم يعترف * كأن قطنا بين جنبيه ندف
وجاءنا فيه ببازنجبان * مثل قدودا كراميدان
قدقارن الهامون بالممازجه * تقارن الكراة بالصوامجه

(وقال) ابن القطاع فى البيض

اسمع عن البيض وصف مضطاع * بالوصف ماضى الجنسان تحريـ
بنساق التبر غشيت ورقا * أو مشمش فى مصاف كافور

(الوداعي)

تفضل فرمانية العبد آية * ومن حسنها يلهو تكرارها القارى
فقد ذاب من طول انتظارك مجها * وشوقا الى اقبالك ظلت على النار

(ابن تميم)

ولم أنس اذيت ليلاهريسة * وبث تخوف النار أجل همها
فلما دنا الاصبح بادرته مسرعا * لا كشف من غمي وأكشف غمها
فصادفتها في حاجم النار قد عصت * على فلم أسطع من الحمر شمعها
وما أنا في شك بان لو بدابها * فتور لغيري كنت آكل مجها

(السراج الوراق)

وأحق أضيافنا به قله * لتسببه بينهم ما ووصله
فن أقل أديان من سفله * قدم في وجه الضيوف رجله

(وله أيضا)

ومغمومات رؤس باكرتنا * تطيب شدى ولاطيب العروس
وتبهنا لها النظامى بليل * حكي لون المسوح على القسوس
فقمنا ما ثابن له وقلنا * يقل لكم القيام على الرؤس

(وله)

أتيت أرجيه في حاجة * فلم تنبعت نفسه الجامده
وقتل في ذقنه والنفوس * تعاف الفتلة الباردة

(وقال بن نباتة)

باسيدي عطا على عصة * أفكارهم للقمح محبة
قد طبخت بالسوق أحشاؤهم * فبالها طبخة قمحية
(كتب) الصلاح الصفدى الى ابن نباتة وقد كان أهدى له ابن نباتة بسلا

ظننت الامد عن مصر تسلا * فأهدى جودك الوافى بسلا
نعم قد أذكرتنى عيش مصر * واقبالا من الدنيا تولى
طعاما فوقه لحم شهى * الى كل النفوس فكيف يقلى
ودهن فوقه قد صار صبا * تأطت ناره حتى تسلا

(المعمار فى الجون)

وصاحب جئت الى داره * فلم أجد بالباب من يحرس
 دخلت للدار على غفلة * وجدته متكئا ينعمس
 فقال ماتني فقلت اقرا * منكم فاني جاثع مفلس
 فجادني بالدهن من رأسه * وجادت المرأة بالكسكس
 (مطاعم شهية وملاذم لو كية) سأل الوزير أبو نصر بن أبي زيد أبا منصور بن سعيد
 ابن أحمد البريدي وكان من أبناء الامراء والسادة بالبصرة عما يحببه ويشتهييه
 ويختاره من أطايب الاطعمة الملوكة فقال قشور الدجاج الغنية المسمنة المشوية
 والسكاجحة النمامة التي يجمع فيها بين لحم البقر والغنم ثم ينقي عنها اللحم البقر
 وتحلى بالطبرزد وتطيب بالعنبر والهريرة بلحوم الحمى لان التي رصعت شهرين
 وربعت شهرين ومن اللحم المجذع والملبة بالارز المدقوق والدهن بالسكر
 المحقوق المجرب بالنند المشرب بالجلاب وماء الورد فقال يا أبا المنصور قد
 تجلب في من هذا الوصف أشهد أنك من أبناء النعم والمروآت وأمر أن يلقيه على
 طماخه (ولما دخل الرشيد البصرة) في سنة ست وتسعين ومائة زار جعفر بن
 سليمان بن علي الهاشمي وكان يومئذ واليا فأحضر له جعفر بن سليمان على
 مائته كل طار وبارد وأحضر البان الأطباء وزيد هافا سطايب الرشيد طعومها
 فسأله عن ذلك فأمر بعض الغلمان فأطلق الأطباء فتبهمها أخشافها وعليها
 سملها حتى وقفت في عرصة الدار تجاه عين الرشيد فلما رآها مفرطة مخصبة
 استفزه الفرح لذلك والتعجب حتى قال له جعفر يا أمير المؤمنين هذه الالبان
 واللبا وراثب الزبد الذي بين أيدينا من هذه الطيبة الفيتها وهي خشخشة فان
 فتلاحقت وتلاقحت (نادرة) - حضر الغاضري عند بعض الرؤساء فقدم صحفة
 فيها أرز مطبوخ وقد قعر وسط الصحفة جلاب فأخذ الغاضري الملعقة ونرق
 التعبير الى ما يليه حتى اختلط بالارز فقال له صاحب المنزل أنرقتها تغرق أهلها
 فقال بل سقناه لبلد ميت (وقال) ابن الجصاص الصوفي دخلت على أحمد بن
 روح الاهوازي فقال مات قول في صحفة أرز مطبوخ فيها نهر من سم على حافتها
 كسبان من السكر المنحول فدمعت عيناي فقال مالك قلت أبكى شوقا اليه
 جعل الله واياك من الواردين عليه بالغواصة والردادتين فقال يا غلام قدمها
 فجاءها تفور فقال لي ما الغواصة والردادتين فقلت الغواصة الابهام والردادنان

السبابة والوسطى فقال أحسنت بارك الله فيك (وكيفية الاكل) عند الظرفاء
والأدباء هو ان يقبض الانسان الخنصر والبنصر ويأكل باصابعه الثلاث
وفي مذهب الظرفاء ان البنصر اذا أصابه الزفر فليس بظريف في الاكل اللهم
الافى الثريد فان أكلها باربعة أصابع سوى الخنصر وقالوا الاكل على أربعة
انحاء باصبع من المقت وباصبعين من المكر وبثلاث من السنة وبخمس
من الشره

(فصل) فيما يشهى الماس كل قال بعضهم يصف سكر دانا
وافى السكران وفي * ضمنه مطبخت من فراريج
كأنه بدر قد صرعت * فيه ثريا من سكاريج
(وقال آخر في عجة)

وجاءتنا بجتها عجوز * لها في القلى حس أى حس
فلم أرقبل رؤيتها عجوزا * تصوغ من الكواكب عين شمس
(وقال) ابن تميم فى لبأ وتمر

يا حبذا لبأ أنا بكرة * مزهى لنا حسنا بأنواع الرطب
فكانما أهدى سماء فضة * قد أشرقت فيها نجوم من ذهب

(وقال) صفى الدين الحلى يطلب جبنا
تخفت عنكم فلم أطلب لجلسنا * من الماس كل شياً غالى القيم
لكن أقصى مرادى من هديتكم * ما بالكراثم من لامية العجم
(يريد قول الطغرائى)

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها * ما بالكراثم من جبن ولا بخل
(وقال) صلاح الصفدى ما غزافى قريشة

أى شئ يروق للنفس أكلا * ذابياض وأصله من حشيشه
نخسه أثقل البهائم وزنا * فتعجب له وباقيه ريشه

(وقال) أبو الفرج الاصفهاني يصف بيضة

فها بدائع صنعة ولطائف * الفن بالتقدير والتلفيق
خلطان ماويان ما اختلط اعلى * شكل ومختلف المزاج رقيق
صنع تدل على حقيقة صانع * للخلاق طاريس بالخلق

فبياضها ورق وتبريحها * في حق عاج بطنت بديق
(وقال) الشيخ جمال بن نباتة قاضي ملوحة بدرب الحجازيا مولانا ما كان الملوحة
الا قد اتخذت سبيلها في بحار المرب سربا أو تعلمت من تلك الهمة فاتخذت
الى نهر المجرة سبيلها وجعل فضلهام قصورا على الاسماع وخلقت من الملائكة
فلا يمكن على صورها الاطلاع ولا غرو فانها ذات أجنحة مثني وثلاث ورباع
وتوقفت من المنع والعطاء بين أمرين وحظيت من مولانا ومن الجناب الفخري
بجمع البحرين وما أظن الظن ان يتفق هذا الظن هذا ولوانها من نسل حوت
يونس عليه الصلاة والسلام وان عظمها مما يسبح في بطن آكله الى يوم يحيى
العظام وهي رميم وان بينها الزمن القرب بعد البين الطويل ورأيها أحسن
من رأى عمرو بن العاص في الامر الجليل وان قصها اللؤلؤية مما تنظم في
السلوك وأذيا لها المربانية مما ترصعه في تيجانها الملوك وعيونها الدرية هي
التي دلت الخضر على عين الحياة فورها وان بطونها الذهبية غني من قصدها
وعلى النجاة فقد سطر المملوك هذه الورقة واقم الانتظار تراحم القلم في يده
وأنا له المستعدة كالصناير في تصديه اها وتصيده فولا نا يتدارك هذا الامر
قبل ان يفوت ويأمر بانقاذها ولوانها بين السماء والارض عند الحوت
ومكارمه المشهورة لا تقف في البذل مع احتياط ولا يغيب عاداتها طريق الحجاز
ولولا الغلو لقال ولا طريق الصراط (نواد في هذا الباب) ذكر الشيخ علاء الدين
الوداعي في تذكرته ان صاحب تاج الدين محمد بن حبارجه الله كانت له أخت
ذات مال وكان كلما اجتمع بها حضها على طعام الفقراء والمساكين والصدقة
وفعل الخير ويقول لها لا تتباخلي فقالت له يوما وقد قال لها لا تكوني بخيلة
فقالت له ما تستحي كم تقول انت بخيلة وأنا كريمتك (قال) عبد الملك بن مروان
لبعض الشعراء هل اصابتك تخمة قال أما من طعام الامير فلا (وقال) بعضهم
أربعة ممسوحة البركة أكل الارز البارد والغناء من وراء الستارة والقبلة فوق
النقاب والجماع في الماء (وقال) بعض الصوفية من جلس على مائدة فأكثر
الحديث فقد غش بطنه (قيل) لطفي لم أنت حائل اللون قال لا هترة بين الطعامين
مخافة أن يكون قد فنى الطعام (أولم طفيلى) على ابنه فأناه كل طفيلى فلما رأهم
رحب بهم ثم رقاهم الى غرفة بسلم وأخذ السلم حتى فرغ من طعام الناس أنزلهم

وأخرجهم (دعا) يحيى بن أكرم مدوله فقدم اليهم مائدة صغيرة فتضاموا عليها حتى كان أحدهم يتقدم فيأخذ اللقمة ثم يتأخر حتى يتقدم الآخر فلما خرجوا قيل لهم أين كنتم قالوا كافي صلاة الخوف (الحديث) ابن كادة إذا تغدى أحدكم فليتم على غداثة وإذا تعشى فليخط أربعين خطوة وفي قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيمسا وأسيرا أفاد الجنب المجدى رحمه الله أن قوله تعالى على حبه مما يستشهد به في البديع (قدم) رجل كذاب من سفره وقد أفاد من سفره مالا كثيرا فدعا قومه إلى الطعام وجعل يحدثهم ويكذب فقال أحد القوم نحن كما قال الله تعالى سمعنا لكذباً كالون للسحت (عبر) بعض الطفلية على قوم وهم يأكلون فقال السلام عليكم أيها القوم اللثام فقالوا لا والله إلا الكرام فقال اللهم اجعلهم صادقين واجمعني كاذبا وقعدياً كل (وعبر) طفيلي أيضاً على قوم وهم يأكلون فقال هل تحتاجون إلى مساعدة فقالوا بالدعاء فقال لا هنا كم الله أن لم تأذنوا لي بالأكل معكم وما أحسن قول ابن دانيال في شخص يدعى على شير

إذا ما كنت متخوماً فكن ضيف على شير * فما يخرج منه ما الخبز إلا بالمناشير (فائدة جليلة) ذكر التوحيد في كتاب الامتناع والموانسة من أدمن الأكل والشرب في أواني النحاس أفسدت مزاجه وعرضت له أمراض صعبة وإن أدنيت أواني النحاس من السمك شممت أثاراً شحة كريهة وإن كتبت آية النحاس على سمك مشوى أو مطبوخ بحرارتها ما حدث منه سم قاتل (ومنه) قيل أصوفي ما حد الشيع قال لا حد له ولو أراد الله تعالى أن يؤكل بحدابين كما بين جميع الحدود وكيف يكون للأكل حد والأكلة مختلفون بالطباع والمزاج والعارض والعادة وحكمة الله تعالى ظاهرة في إخفاء حد الشيع حتى يأكل من شاء على ما شاء كما شاء (وقيل) لفقير ما حد الشيع قال ما نشط على أداء الفرائض وثبط عن إقامة النوافل (وقيل) لم تكلم ما حد الشيع قال حذو ما يجلب النوم ويضجر القوم ويبعث على الكوم (وقيل) لأعرابي ما حد الشيع قال أما عندكم يا حضرة فلا أدري وأما عندنا في البادية فما وجدت العين وامتدت اليه اليد ودار عليه الضرس وطابت له اللهاة وأما غه الحلق وانتفخ له البطن واستدارت عليه الحوايا واستغاثت

واستغاثت منه المعدة وتقوت منه الاضلاع والتوت منه المصارين ونشيت
 منه الموت (وقيل) للاح ماخذ الشبع قال حد السكر قيل فما حد السكر قال ان
 لا تعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض (وقيل) لادنى ماخذ الشبع
 فقال لا عهد لي به فأحده فكيف أصف ما لا أعرف (وقيل) لسمرقندي ما حد
 الشبع فقال اذا حطت عينك وبكم لسانك وثقلت حركتك وازجج بدنك
 وزال عقلك فأنت في أوائل الشبع قيل اذا كان هذا أوله فما آخره قال
 ان تنشق نصفين (قيل) لجمال ماخذ الشبع قال انى أو اصل فما أعرف الحمد
 ولو كنت أنتهى لوصفت الحال فيه أعنى ساعة أبجن الدقيق وساعة أمل الملة
 وساعة أثرد وساعة آكل وساعة أشرب ابن اللقاح فليس لي قرار فأدرى انى
 بلغت الشبع الا انى أعلم فى الجملة ان الجوع عذاب وان الاكل راحة وان الرجة
 كلما كانت أكثر كان العبد الى الله اقرب والله عن العبد أَرْضَى (قال) اسحق
 كنت يوما عند أحمد بن يوسف فدخل علينا أحمد بن أبي خالد فخرى ذكر الغناء
 فقال لا والله لا أجده شيئا مما أنتم فيه فهان على وخف فى عيني فقلت له
 كالستهزئ به جعلت فداك قصدت الى أرق شئ تخلقه الله وألمنه على القلب
 والاذن وأظهره للسرور والفرح وأنفاه لهم والحزن وما ليس للجوارح منه
 مؤنة اغما يقرع السمع وهو منه على مسافة فتطرب له النفس فذمته ولو لكانه
 كان يقال لا يجتمع فى كل رجل شهوة كل لذة وبعد فان شهوة كل رجل على قدر
 تركيبه ومزاجه قال أجل أما أنا فالطعام الرقيق أعجب الى من الغناء فقلت
 أى والله ولحم البقر والجواميس والتموس الجميلة بالباذنجان المبرأ ايضا تقدمه
 فقال الغناء مختلف فيه قد كرهه قوم قلت فالاختلاف فيه من أطلقه لنا حتى
 يجتمعوا على تحريمه أعلمت جعلت فداك ان الأوائل كانت تنول من سمع
 الغناء على حقيقة مات فقال اللهم لا تسمعنا على حقيقة اذن فنموت فاستظرفته
 فى هذه اللفظة وقدموا اليه الطعام فشغله عن ذم الغناء (نظر) بعضهم الى
 مائدة بخيل يوضع عليها دجاجة فلا تمس ثم ترد من الفد فلما مضت عليها أيام
 قال يا أنى هذه الدجاجة عمرها بعد موتها أطول من عمرها حال حياتها (واقى)
 رجل أبا الحرث جين وقد تعلق به غلام فقال يا أبا الحرث من هذا فقال غلام
 الفضل بن يحيى كنت عندهمولى هذا بالامس فقدم اليها مائدة عليها رغيفان

قد علمنا من نصف خشخاشه وثريدته في سكرجة وتحييص في مسعط فتنفست
الصعداء فدخل الخوان وما علق منه في أنفي فؤلاه يطالبني بالقيمة قال الرجل
أستمر الله مما تقول فأومى الى غلام كان معه فقال غلامي هذا حران لم يكن
ما قلته صحيا ولوان عصفور اوقع على بعض قشور ذلك الخشخاش الذي عمل منه
ذلك لما رضى مولى هذا حتى يؤتى بالعصفور مشويا بين رغيفين والرغيفان من
عند العصفور ثم قال وعليه المثنى الى بيت الله الحرام ان لم يكن اذا عطش
بالفرع اوجع الى دجلاء العوراء حتى يشرب منها صحيا ولوان مولى هذا كلف
في يوم قاتظ ان يصعد على سلم من رمل حتى يباغ كواكب بنات نعش فياقطها
كوكبا كوكبا لكان ذا أسهل عليه من أن يشم شام تلك الثريدة أو يذوق ذائق
تلك الخبيصة فقال الرجل عليك لعنة الله وعليه ان كان سمع بمثل هذا

(فصل في الطست والابريق والنخل والمحب والاشنان والمنشفة وآداب غسل
اليد وكيفية الاستعمال ولا بأس بغسل اليد في الطست وان ندب الى ذلك
فليقبل الكرامة ولا يردّها) قال) دفترخوان

والطست ان رام اليك المقصدا * فلا تخالف من يقول اغسل يدا
وصاحب المرش دعه ساكنا * ولا تقبل بساكتفت كاذبا
وعن ابن مسعود رضى الله عنه اجتمعوا على غسل الايدي في طست واحد
ولا تسنوا بسنة الاعاجم وقالوا غسل اليد في الطست في حالة واحدة ادخل
في التواضع ويقتضى ان يجتمع الماء فيها وقال قال صلى الله عليه وسلم اجعوا
وضوءكم جمع الله شمالكم وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بات وفي يده غنم لم يغسله فأصابه شيء فلا يلوم الا نفسه
وفي حديث آخر الوضوء قبل الطعام ينقي الفم وبعده ينقي اللحم واللحم من
الشيطان والطست الطس بلغة طي ابدل من أحد السيدين تاء للاستعمال
فاذا جمعت وصغرت ردت السيدين لانك فصلت بينهما بالتاء فقلت طساس
وطميدر وهراجمي معرب أصله طشت بالشين المعجمة فلما عرب قيل بالسين
المهمل (الابريق) عربي صحيح وهو افعيل من البريق وقال الحريري في
المقامات اياك واستدعاء المرجهين قبل استدعاء حلول البين أراد بالمرجفين
الطست والابريق لان الاتيان بهما يوزن بالقياس وفراغ الطعام وما أحسن

قول القاضي الفاضل في المقامة العسقلانية يصف الماشدة

وتناو بها الألوان * صنوان وغيره صنوان

وأبطل القوم بالمرجف بن فابر جفان ولا يوجد جفان

وأثينا بغاسول تحظى به الأفواه والأنوف ولا يوجد به بده بغم الصائم خلوف

(وقيل) ان كنية الاشنان أبو اياس وكنية الملع أبو عون وسمعت بعضهم يسميها

البداية والنهاية (ولهذا) حكى ان بوران بنت الحسن بن سهل لما تزوجها

المأمون وأراد أن يدخل بها جعل الناس يهدون لابسها الاشياء النفيسة وكان

بالقرب منهم رجل من الادباء فأهدى اليه مزودا فيه ملح مطيب ومزودا فيه

اشنان وكتب اليه معها اني كرهت ان تطوى صحيفة اهل البر ولاذ كرى

فيها فوجهت اليك بالمبدأ به ليمنه وبركته وبالمختوم به لطيبه ونظافته ومع ذلك

بضاعني تقصر عن همتي * وهمتي تقصر عن مالي

فالملع والاشنان ياسيدي * أحسن ما يهديه أمثالي

(وذكر) القاضي الرشيد بن الزهر في كتابه الجمانب والظرف ان سيد الوزراء

أبا محمد اليازوري وجد في موجوداته طستا وابريقا من البلور فأفرط في

استحسانه لهما ولعظيم قدرهما ان المستنصر وهبهما له ووجدا بضامدهن

ياقوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا أخذ من امر من السلطان في خزائنه حين

قبض عليه في سنة خمسين وأربعمائة ولما أخرج السلطان الذخائر المصرية

عند أيام فتنة ناصر الدولة وجد فيها أنخرج من دار ناصر الدولة تسعين طستا

وتسعين ابريقا من صافي البلور وجيده كبارا وصغارا (وقال) ابن معقل فيما

يكتب على سفرة الطست

لم أصحب الطست من شوق اليه ولا * جعلت خدي له أرضا وما شعرا

لولا وصولي به يوما الى ملك * يصيبني فضل ما ينفي به الغمرا

وغيرة ان يحس الترب مبه دلا * مامس كفيه من ماء اذا قطرا

(وقال) جلال الدين بن المكرم في الطست والابريق والمنشفة

ولي صاحب ينفي الاذى عن جوارحي * فيخرجني عنه نقيا مطهرا

وآخر يحويه فيجعل الذي * كان لي منه اليه مصرا

وثالثة غارت لعلها فلا * تزال تعني ما تجمي أثرا

(وقال) أبوطالب المأموني

منشفة خجلها تخال بها * قدفت كافورة على طبق
 كأنما أنبت خثالثها * ما ارتشفت من لائى العرق
 (الأشنان) عمل لهارون الرشيد يؤخذ من القرنفل والسليخة والقرنفلة والقاقلى
 والفليخة من كل واحد جزء ومن المصطكى والاذخر والسعد والمبعة اليابسة جزء
 ومن الموز جسوس ثلاثة أجزاء ومن الطين الأبيض المكي خمسة ومن الأشنان
 البارد ضعف ذلك أو ثلاثة أضعافه ومن الارز الأبيض المبلول المجفف المختول
 مثل الأشنان يدق كل واحد على حدة ويخاط (صفة) بنك محمص يؤخذ من
 البنك الأصفر الخمر وزن ثلاثين درهما ومن القرنفل عشرين درهما ومن
 الزعفران خمسة دراهم ومن الورد خمسة عشر درهما ومن السليخة المجراء الرقاق
 والسنبل من كل واحد ستة دراهم يدق الجميع بأمره ويطحن ويحمص بماء
 الورد ويخرب بالعود النمد والكاפור والزعفران بخير جيداً فإنه يجي غايية من
 الغايات (كيفية تناول الأشنان) أشنان الملوك والرؤساء هو طيب من جملة
 الطيوب وهو يجعل في أشنان دان له عطاء يحفظ رائحته ويكون له معلقة يتناول
 بها الغلام الأشنان ولا يمس باليد البتة ولا سيما يد الغاسل فإنه ان أدخل يده
 فيه زفرة فسد جميعه اسرعة قبول الطيب الفساد بدخول أدنى سبب من الرائحة
 الكريهة عليه للطف جوده (كن) بعض الظرفاء اذا قدم اليه الطعام تناول
 بعض الادهان العطرة الطيبة فمسح به يديه فلا يتمكن الزفر من مسامها ولا يعاق
 بهما طائل منه والذي يعاق به سهل زواله بأدنى غسل (وقالوا) كان كسرى
 في زمن السفرجل يتناول فقطعة سرجل وفي غير زمانه يتناول مرباه فبأكلها
 عندما يقدم اليه الطعام فينسد خلل ما بين أسنانه وعموده بالسفرجل فلا يعاق
 بهما من مضغ اللحم طائل وكان يستعمل على مائده بين كل لوئين معلقة رمان
 ليغسل فيه من الطعام الاول فيمذوق الطعام الثاني خالص الطعم من شوب
 الطعام الاول فيدرك فرق ما بين الطعامين ويلتذ بكل واحد بمفرده ومن
 آداب الملوك ان لا يغسل الانسان يديه في مجلس الملك أو بحضرة الرئيس
 ولا بحيث يراه الا باذنه وكذلك يصنع في الخلال فإنه من اسوأ أدب المجلس
 وان أذن الرئيس بجليسه في الغسل في مجلسه وأحب ان يتخلل فلا ينزل بحيث

لا يراه ولا يقع نظر الرئيس عليه (وحكى) ان اول غضب المعتصم على الافشين
وكان حفيبا عنده انه اكل عنده ثم دعا بالطست فغسل يده بحيث يراه المعتصم
فقال المعتصم هذا التيس الطويل اللحية يدعوا بالطست حيث اراه ثم من
آدابه لمن يؤذن له به ان يستقصي ازالة الزفر ولا يقصر في غسل يده (يحكى) ان
رجلا قصر في غسل يده في دعوة بعض الظرفاء فقال له رب الدعوة اتق يدك
والادنت منديلنا (وكان) عبد الله بن سليمان يبطئ في غسل يده ويقول من
حكم اليدين يكون زمان غسلها بجملة دار زمان أكلها (وسأل) المأمون اليزيدي
مه لم ولده العباس عن أخلاقه فأخبره انه لا يفلح ولا همة له قال كيف علمت
ذلك قال رأيت به قدنا وله الغلام اشنانا فاستكثر ما وقع في يده منه فردته في
الاشنان دان ولم ياقه في الطست فعلمت انه بخيل والبخيل لا يصلح للملك فكان
الامر كما قال وليحترز عنه يد غسل اليدين من الرش على من يلبسه أو يفض يديه
بالماء اذا فرغ أو التخنخ في الطست أو المخاط فيه (التخلال) روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال تخللوا فانه نظافة والنظافة من الايمان والايمان
مع صاحبه في الجنة وفي حديث عمر رضى الله عنه عليكم بالخشنتين يعني التخلال
والسواك وقال أبو هريرة رضى الله عنه السواك بعد الطعام يذهب وصر
الطعام وفي حديث آخر انه صلى الله عليه وسلم أمر بالتخلال ونهى عن ان يتخلل
بالرمان والقصب وقال انه ما يحرك عرق الا كفة وفي رواية يحرك عرق
الجمذام (وفي كتاب) طب أهل البيت عليهم السلام عنه صلى الله عليه وسلم
التخلل يجلب الرزق (وفيه) من يتخلل بالقصب لم تقض له حاجة سبعة ايام
وعن أبي أيوب الانصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حبذا المتخللون
قالوا يا رسول الله ما المتخللون قال التخلل من الطعام فانه ليس شئ أشد على الملك
الذى على العبدان يجد من أحدكم ريح الطعام (والتخلال) عمله من الصفصاف
وعيدان التخلال وطبع الصفصاف بارد يابس قليل الاضرار بالاسنان كثير
النفع لها وهو أجود ما استعمل وخللت به الاسنان من الزهومات مأمون عليها
(ومن مستطرف المعاني) وان لم يكن من غرض هذا الفصل لئلا تكون الحديث
شجون ما أنشدني من لفظه لنفسه ونقلته من خطه بالقاهرة المحروسة سيدنا
أقضى القضاة بدر الدين محمد الخزومي المالكي الشهير بالدمايني رحمه الله

أفديه من ظبي غزالي * بلاوا حظ تبقي قتالي

ورآه يضمير بالجفأ * في خاطر منه وبال

مال للعدول اذا أبحت لمحسنة روي ومالي

والجسم من عشق لذا لك الثغر أصبح كالمخلال

(رجع) الى ما كافيه والمخلال المأمون هو زهر قضيب نبت في الصحراء يقال انه الجوز البري وهو حار يابس بزره اذا استف ألقى الدود من الجوف وانما سمي المأمون لقلة أذاه للأسنان واللثة لئنه وهو خلل تستعملها العوام من الناس (الادب في المخلال) قال صاحب سرور النفس ورأيت في زماننا من يغلف في تناول المخلال فاني رأيت في بعض مجالس الوزراء من الطستدارية من يضع المخلال خلف أذنه ويقدم الطست ثم يناوله مخدومه من ذلك الموضع وهو موضع قدز لا يخلو غالباً من أذى ولو كان حاملة أنظف الناس وأظرفهم وأما تناوله فاني رأيت كثيراً بعد الفراغ من الغسل يسده وفيه ورفع الطست يتناول المخلال وذلك خطأ من وجهين أحدهما انه اذا تمخل وهو مغسول الفم خرج اللحم من عموره وأسنانة الى فيه فعماد الزفر وبطلت فائدة الغسل والاخرى انه يلقي ما خرج بالمخلال على البساط وحيث اتفق من مواضع مجالسه وتلك قدارة وان كانت محقرة المقدار فالتزهر عنها أشبه بذوى الاقدار (وآداب المناولة في المخلال) ان يكون مع الطستدار ملفوفاً في ورقة بيضاء فاذا أخرجه وضع إحدى رأسيه بين أصبعيه السبابة والوسطى ومد به يده للرئيس وهو قائم فيتناوله الرئيس وهو على الطست فيتخلل ويلقى ما يخرج بالمخلال في الطست أيضاً ويلقى المخلال في الطست ثم يغسل يده وفيه (وقال) ومن أقبح ما رأيت في أخذ المخلال أن بعض الرؤساء يتناول المخلال بيده وهي زفرة فيرشقه في شعر محبته ويغسل يديه ويتحدث طويلاً والمخلال مغرور في محبته وذلك أقبح ما يكون ورأيت هذا الرئيس الذي أشرت اليه يأخذ المخلال بعد غسل يده وتنظيفها ومسحها بالمنشفة فيستعمل المخلال ويضعه في شعر محبته تنظراً منه (قال) كاجم وأخذ المخلال من المروءة لتنظيف الاسنان وتنقيتها من زفر اللحم لان اللحم اذا بات في الاسنان أنتن لاسيما اذا كان فيه صلابة والخبز أيضاً اذا بات في الاسنان أنتن الفم وصفرا الاسنان (استشارت) امرأة امرأه في رجل تزوجه فقالت لا تفعل فانه

وككة تسكة يا كل خله ووككة وتسكة بمعنى واحد كر للبالغه وهو الذي يتسكل في الامور على غيره ولا يباشرها بنفسه والتاء في تسكة واو كما قالوا في ترات وهو من ورات والنخل ما يخرج من بين الاسنان عند التحلل قال أبو هلال العسكري وليس في اليوم شيء من الكلام أبلغ من هذا (ولبعضهم فيه)

وناواني من كفه شبهه خصره * وشبهه محب ذاب من طول هجره

وقال خد لى قلت كل حبيدة * سوى قتل صبح عار فيك بأسره

(وقال) الفقيه أبو الحسن بن عبد الكريم الانصارى

ونخلال صنع السقم به * من نحولى فى الهوى ما قد وجب

اذهب الجسم وأبقى رأسه * وكأن الرأس كالجسم ذهب

مغمم بالبيض يسى نحوها * لارتشاف الثغرا وورد الشنب

(فى الاحتياط) باعتبار الاسباب المتعلقة بفعل اليد المؤدية الى الهلاك ذكر جماعة من المصنفين وفى كتاب شائق وزنطاح الهنديين صفات مياة تنزع بماء القراح وتختفى فيه فن اغتسل بها أو تمضمض منها اتصل به بمسام جلده ولهواته داء مهلك ومنها ما تحم به الاسنان ومنها ما يقع فيه النخلال ومنها ما يجعل فى الثياب والمناشف والمناديل ومنها ما يسقى به موضع الفصد فيفعل ذلك وأوصوا واحترزوا واكثروا فى الاحتراز من ذلك لما يجب من حفظ مهج الملوك ومهيج مدبرى دولهم والذي يجب الاحتياط فيه أربعة الاشنان والماء والمنشفة والنخلال ولكل واحد منها نوع من الاحتياط يخصه أما الاشنان والماء فوجه الاحتياط فيهما هو ان الغلام اذا قدم الطست جثا على ركبتيه ثم قدم قدح الاشنان والنخلال أو البنك ففتحته ثم أخذ الملعقة فحرك بها الاشنان جميعه حتى يقلبه ظهر البطن ثم يتناول برأس الملعقة منه يسيرا قدر الدرهم أو ما يقارب به فيجعله فى كفه ثم يستغه ويعمد الى الابريق فيمسه كيه يده اليسرى ويبسط يده اليمنى ويحجمها قليلا ويصب فيها الماء من الابريق ويشربه على أثر شرب الاشنان ثم يوضع الابريق ويتناول الرئيس الاشنان بالمعقة ويسكب عليه الماء وأما المنشفة فانه يكون مع الغلام منشفتان احدهما يتناولها الرئيس عند ما يقدم الطست يضعها ميسوطة على حجره حتى ثيابه يرش الماء الزفر والاخرى تكون مطوية معالقة فى وسطه على طيها وهى التى يجفف

يدها فهذه اذا وضع الطست بين يدي الرئيس أو الملك وقبل ان يناوله الاثنان يقوم قائما ويأخذها ويجمعها في يده اليسرى ثم يجمع حواشيها باليمين الى آخرها ثم يقيها قائمة ويقبض عليها بيده اليسرى من تحت اليمين ويسلمتها بيده اليسرى سلمت اقويا ثم يسكها باليسرى من وسطها ويثنىها ويقبض عليها باليمين من تحت يده اليسرى وهي مثنية كما فعل باليسرى وهي غير مثنية ثم يسلمتها باليمين الى آخرها ثم يجمعها بين يديه ويفركها ثم يقبض عليها من حاشيتها الاخرى ويقبضها قائمة كما جعلها في المرة الاولى ويسلمتها بيده حتى يستوي تجعدها ثم يعلقها في وسطه وحينئذ يجثو لناولة الاثنان وأما الخلال فقد ذكرنا انه يجب ان يتقع ليلة اوليتين ويعود عند الخلال لثلاثين يوما بين الاسنان فيكون له قدح صغير من زجاج طول الاصبع بحيث تدخله الاصبع يجعل فيها ماء ورد أو ماء قراح وماء الورد أنفع لان فيه قبضا تدفع به الاسنان ويشد اللثة ثم يترك فيه الخلال قبل الحاجة اليه فاذا احتيج اليه أنخرج الغلام قدح الخلال مغطى بغطاء محكم مغلفا بـ لاف من أديم معدود له يعلقه الغلام في وسطه فيعده الى ماء الورد أو الماء الذي يكون فيه الخلال واليسير منه يجري فيصبه في راحته ويشربه جميعه ثم يناول الرئيس حينئذ الخلال على الصورة السابقة في مناولته ثم ذلك (وفي ربيع الابرار للزمخشري) أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام وابعض الادباء في رئيس بيده صابونة

صابونة في راحتي ماجد * قدأضحت السحب لها حسدا
تلاطم البحران من حولها * فأصبح المرج بها مزبدا

* (الباب الثاني والثلاثون في الماء وما جراه) *

قالوا وينبغي ان لا يشرب الماء على المائدة ولا بهدالا كل الى أن يجف أعالي البطن الائمة دار ما يسكن بعض العطش ولا يروى منه ربا واسعا حتى اذا جف البطن وانحدر الطعام استوفى منه ومن المشروب وفي آداب شرب الماء أحاديث نبوية ومنها أدبية حص عليها العلماء في مراعاتها أما الشرعية فلا يشرب قائما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم أحدكم ما في بطنه اذا شرب قائما لاستقى ومنها ان تمز الماء من اولا تعبها روى عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال الكياد من العب والكياداء الكيد ومنها ان لا يستوفي
الماء الى آخره ومنها ان يناول من على يمينه ومنها ان لا يشرب من ثلثة الاناء
هذه كلها من احياء علوم الدين ومن آداب الماء ان يجلس ويتناول الكوز
بيمينه ويمسك الله عز وجل ويظهر في الاناء قبل الشرب ويضع يده اليسرى من
تحت لهله يكون قد وضع على موضع يقطر منه على ثيابه قطرة غير نظيفة ثم يشرب
ثلاثة أنفاس ولا يتنفس في الكوز ويحمد الله تعالى بعد الشرب وان يسر
ان كان معه غيره (آداب شرب الماء) في مجالس الملوك اتفق أكابر العلماء
بالآداب ان اسعداء الكوز في مجالس الملك والرئيس وشرب الماء في مواجهة
من سوء الآداب وأما مجلس الملك خاصة فلا سبيل الى شرب الماء فيه البسة
(ذكر) في سيرة كافور الانشيدى حكاية يتتبع بسماعها من يلزم مجالس الملوك
قالوا كان أبو جعفر مسلم وأبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير عند كافور عشية
صيف ولم يكن عنده غيرهما فقال لهما قد اشتد الحر والثلج أيام ما جاءنا من
الشام وما كان كافور يذوق الثلج وإنما كانت الكيزان توضع عليه فيشرب منها
وبهذا سلم من ضرر الثلج فيستنهم كذلك اذا نهر بجيء الثلج فقال هاتوا
ثلاث كيزان فجاءوا بها فأخذ كافور كوزا فشربه وأخذ أبو الفضل كوزا وشربه
وأخذ أبو جعفر كوزا وقام فخرج من المجلس وشربه ثم عادوا كب على يد كافور
ثم قعد أبو جعفر ساعة وانصرف وأراد أبو الفضل ان ينصرف فشاغله كافور
ثم قال هاتوا أبا اليمن فجاء فقال زد في جزاء الشريف أبي جعفر ألف دينار في كل
عام وإنما أجلس أبا الفضل ليريه مكافأته لابي جعفر عن حسن أدبه معه في
شرب الماء (كتب) أبو الخطاب الصابي الى ابن عمه أبي اسحق الصابي مع كوز
مأبث به اليه شرط المودة أطال الله بقاءه يدي أن لا أنفرد دونه بلذه
ولا اختص قبله بعطيه اذ كان لافرق بين محبتي ومحبتة ولا فصل بين مبرتي
ومبرته وقد شربت الساعة في هذا الكوز فوجدته أعذب ارتشافا من الافواه
وأحلى مصاما من الشفاء وأصفى جرهما من فخر الدر وأنقى من الثنايا الغر
وأرق طبعاً من الهوى وأخف وزناً من الهبا وأعبق طيباً من نسيم العنبر
وأذكر رائحة من المسك الازفر

رقت حواشيه فحسب على الانامل والقلوب

فكأنه مستعمل * من طيب أنفاس الحبيب

يتم على القذا ولا يحول بين الماء والهوى يلفظ عن صفاء الزجاج ولا يخرج
السلام الى السلاج ان أفرغ شغف وان أترعرع فتساوى المياه فيه
عذوبه وتعب العيون قبل النفوس رؤيه

اشهى الى الابصار من * وجه الحبيب بلارقيب

تهدي لنا أنفاسه * ما فيك من كرم وطيب

حتى كأن طينته من طينتك وعذوبته مشتقة من عذوبتك وقد أنفدته مملو
الك لتعلم ان قاي مملوء من المحبة عليك والسلام (وقال) صالح بن يونس
في كوز و مرفع

أم الحيلة على سرير من نحاس * عريانة أبدا بغير لباس

هي في الممات لدى الوري معدودة * لكنها ضمنت حياة الناس

وأهدى رجل لرئيس كيزانا وكتب اليه

ما بعثت الكيزان الا احتيالا * جمعت مهجتي وروحي فداكا

منعتني الايام تقييل كفيك فارسلتها تقبل فاككا

ولا يسمى الكوز كوزا الا اذا كان له عروة والافه وكوب وعلى ذلك فسر

قوله عز وجل وأكواب وأباريق ولذلك نظائر في اللغة وهو ان المائدة

لا يقال لها مائدة الا اذا كان عليها الطعام والافه هي خوان كما تقدم ولا يسمى

الكاس كاسا الا وفيه شراب والافه وقح والى ذلك أشار العلامة

ذوالوزارتين وامام العروتين لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب وزير

صاحب الاندلس وكان سره في قوله لما وقف على كتاب ديوان الصبابة تأليف

الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة مخاطب الله على قوله في الكتاب المذكور

كتاب حوى أخبار من قتل الهوى * وسار بهم في كل شرق ومغرب

مقاطيعه مثل المواصيل لم تنزل * يشب فيها بالرباب وزينب

قوله هذه الايات

يا من ادار من الصبابة بيننا * قدما ينم المسك من رياه

وأني برميحان الحديث فكما * صبح التسميم براحة حياه

أنا لا أهيمن بذك من قتل الهوى * لكن أهيمن بذك من أحياء

(أنشدني)

(أنشدني) هذه الأبيات المرحوم نضر الدين بن مكانس وذكر أن شهاب الدين ابن أبي حجلة أنشدها بها وأنه تبجح بكونه مدح كتابه قال فقلت له يا شيخ شهاب الدين نعمتر عليك لسان الدين وذكر أن كتابك فارغ من المحاسن قال وكيفذا قلت لقوله

يا من أدار من الصباية بيننا * قد حاتم المسك من رياه
أما علمت أن الكأس لا يقال له كأس إلا إذا كان فيه شراب والاف هو قدح
فامتص له شهاب الدين وأخبرني أن لسان الدين عارضه بكتاب سماه روضة
التعريف بالحب الشريف في التصوف انتهى (رجع) إلى ما كافيه سأله
رجل الشيخ أبا الفرج بن الجوزي رحمه الله ما لنا نرى الكوز الجديد إذا صب فيه
الماء نش ونخرج منه صوت فسامعناه قال له يا ولدي ذلك صوت شكواه يشكو
إلى برد الماء ما بقيه من حر النار فقال السائل فما لنا نراه إذا ملاً ناه لا يبرد فإذا
نقص يرد فقل الشيخ حتى تعلموا أن الهوى لا يدخل الأعلى ناقص (وذكر)
الوداعي في تذكرته قال حدثني جماعة من أهل عانة وهيت بالعراق أنه إذا كان
أوان الأربعينيات ملئت فإذا انقضت رفعوها إلى زمان الصيف وشربوا فيها الماء
فإنها تبرده برداً كثيراً يقوم مقام الثلج انتهى (قلت) وذكر لي الوزير نضر الدين بن
مكانس رحمه الله أن ماء طوبا إذا شيل إلى الصيف وسكب منه في آنية الماء
برده إلى الغاية وإن ماء هذا الفصل لا يفسد إذا شيل بخلاف غيره من الفصول
(وما أحسن) قول ابن عبد الظاهر ملغزاً في شربة

وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

إذا استولى على حب * فقل ما شئت في الصب

(قال) وأهل مصر تقول للوزير المحب وإليه أشار المرحوم نضر الدين بن مكانس في
السبيل الذي أنشأه الوزير الملكي الشهير بالنشوب بجامع عمرو بن العاص رضي الله
عنهما آمين

أنشأ العظيم النشولما ارتقى * وزارة زادته في وزره

بالجامع العمري سبيلاً وقد * قالت لنا عنه بنومصره

هذا سبيل حاله فاسد * وزيره يرشح من قعره

(أنشدني) الشيخ شمس الدين الرئيس لنفسه وكتبها على الحوائج

ترفق أيتها الساقى * وزدنى اللطف بالصب
ودا القلب لى واعلم * بأنى منزل الحب

(فصل) فى المجرود من المياه قال ابن النفيس فى الموجز أفضل المياه مياه الأنهار
وخصوصا التجارية على تربة نقيية فيمتلص الماء من الشوائب أو على حجارة
فيكون أبعد عن قبول العفونة وخصوصا التجارية الى الشمال والمشرق
وخصوصا المنحدرة الى أسفل وخصوصا اذا بعد المنبع فان كان مع هذا خفيف
الوزن يخيل اشارة انه حلو ولا يحتمل الشراب منه الا قليلا فذلك هو البالغ وماء
النيل قد جمع أكثر هذه المحامد وماء العين لا يخلو من الغلط وأردأ منه ماء البئر
وماء التزأردأ وأما الشرب على الريق وعقيب الحركة وخصوصا الجماع وعلى
الفاكهة وخصوصا البطيخ فردى جدا سواء كان المشروب ماء أو شرابا فان لم
يكن بد قليل من كوز ضيق الرأس امتصاصا وكثيرا ما يكون عطش عن بلغم لزج
أو ما يح وكما روى بالشرب حركة فان صبر عليه انضجت الطبيعة المادة المعطشة
واذا ابتها فليسكن من ذاته وفى مثل هذا كثيرا ما يسكن بالاشياء الحارة كالعسل
(قلت) وعلى ذكر النيل فلا بأس بإيراد نبذة مما قيل فيه (قال) الشيخ شهاب
الدين بن أبى حجلة فى كتابه السكران ذكر المهدوى فى نفسه - يره عن عبد الله بن
عمر رضى الله عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر يجري على وجه الارض فى
المشرق والمغرب وذلا له فاذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن
يمده فاذا انتهى جريه الى ما قدره الله تعالى أمر كل نهر أن يرجع الى عنصره
ومصادق هذا الا ترى ان النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد
اذا نقصت وينقص اذا رادت لانها والله أعلم تده بمائها (وفى) أصل النيل
أقوال للناس حتى ذهب بعضهم الى أن مجراه من جبال الثلج وهى بجبل قاف
وانه يخرق البحر الاخضر بقدره الله تعالى ويعر على معادن الذهب والياقوت
والزمرد فسير ما شاء الله تعالى الى أن يأبى بحيرة الريح قال الحماكى لهذا القول
ولولا ذلك يعنى دخوله فى البحر الملح وما يختلط به منه لما كان استطاع أن
يشرب منه لشدة حلاوته وقال قوم مبدأه من جبل القمر وأنه ينبع من اثني
عشر عينا واختلاف فى سبب زيادته ونقصانه فقال قوم لا يعلم ذلك الا الله تعالى
وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب يشتري أن يعرف أصل هذا النيل فرسم أن

تشتري صيد صغار زنوج وماشا كلهم جالب لم يستعربوا وسلمهم لصيادي السمك
والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لا غير فاذا
مهرروا في ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها ويأتوه بخبر النيل وكان فرعون
يحيي خراج مصر في كل سنة ألف ألف دينار فبأخذ الربع من ذلك لنفسه وأهل
بيته وبيت ماله والربع الثاني لوزرائه وأمرائه وكتابه وجنده ويكنز الربع الثالث
ذخيرة ويصرف الربع الرابع في حفر الخللان وسد الترع وعمل الجسور ومصالح
الارض وكان في كل سنة اذا اكمل التحضير ينفذ مع قائدين من قواده أردبين قمح
فيذهب أحدهما الى أعلى مصر والاخر الى أسفلها فيتمأمل القائد كل ناحية
وأرض كل قرية فان وجد موضعا باثرا عطلا قد أغفل بذره كتب الى فرعون بذلك
وأعلمه اسم العامل وأخذ ماله وولده فرجما عادا القائدان ولم يجد أحدا منهما
موضعا البذر الا ردب لتكامل العجارة واستظهر الزرع وجباها عمرو بن العاص
اثني عشر ألف ألف دينار وكان ذلك أول دخوله اياها والكلام على ذلك طويل
(ومما) قالت الفضلاء في النيل المبارك فمن ذلك قول علاء الدين الوداعي

روى مصر وبسكانها * شوقي وجدد عهدى الخالى

وصفى الى القرط وشنف به * سمى وما العاطل كالحالى

واروانا يأسعد عن نياها * حديث صفوان بن عسال

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردي

ديار مصر هي الدنيا وساكنها * هم الانام فقسا بها بتقبيل

يا من يباهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدي

رايت في أرض مصر مذحلت بها * عجائب ما رآها الناس في جيل

تسود عيني في الدنيا فلم أرها * تبيض الا اذا ما كنت في النيل

(وقال) الشيخ جمال الدين ابن نباتة

زادت أصابع نيلنا * وطمت فأكدت الاعادى

وأنت بكل جيلة * مازى أصابع ذى أبادى

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي

لنيل مصر كمال في زيادته * وفضله غير مخفى ومكتم

اذابت لك من تيساره شيم * رأيت طاهرا لاوصاف والشيم

(وقال) الشيخ شمس الدين بن الصائغ رحمه الله

سما النيل اذ يحكى السما فى انبساطه * فله ما أحلى وأصدق حاكى

تسير به الافلاك شرقا ومغربا * وحافته أيضا تحف بأملاك

(وقال) الشيخ شهاب الدين بن أبى حجة

نشروا القلوع وبشروا بوفائه * الراية البيضاء عليه بالوفاء

(وقال) الشيخ بدر الدين بن الصاحب

لله يوم الوفا والخلق قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر أزاهره

والوفاء عمود من أصابعه * مخلق قنالا الدنيا بشائره

(وقال) الشيخ سديد الدين بن كاتب المرج

يا نيل يا ملك الانهار قد سقيت * منك البرايا شرابا طيبا رغذا

وقد دخلت القرى تبغى منافعها * فجها بعد فرط النفع منك أذى

فقال تذكرنى انى ملك * وتثنى ناسيا ان الملوك اذا

(وقال) ابراهيم المعمار

سمعت يوما دم صريق * النيل وافى زائدا عندى

فكان هذا خبر صادق * فرحت أرويه عن السدى

وفى هذه النبذة كفاية وعلى الجملة فمحاسن النيل مستكثرة ولو استوعبنا

ماللفضلاء فى ذلك من النظم والنثر لحفيت من تسطيرها الاقلام وضافت

صدور الاوراق وما أحق هذه المقاطيع ان تسمى مقاطيع النيل (رجع) الى

ما كافيه أنشدنى من لفظه لنفسه ونقلته من خطه الشيخ الفاضل زين الدين

ابن العجى رحمه الله مغزا سألتك أعزك الله عن سائل لاحظ له فى الصدقة

وان لم يكن متصل بالنسب بالاشراف كثير الرجفان من غير أن يخاف كم رذ

سائله نهرا وعفرو وجهه فاقدته بالتراب قمرا مذكر كثير الخيض لطيف

الانبساط سريع الغيض مطلق التصرف وعليه الحجر وطالما قبل العشا

أبدى لنا الفجر يتشعب ويتكسر ويتعوج ويتدور وله خسون عين

وأكثر يعمل القناطير المقنطره ويعجز عن حمل ابره سريع الاستحال

قل ما ثبت على حاله بعيد الغوص ليس له قرار يعاجل صفاه وراده بالأكدا

يسكن في تخوم الغبرا ويتم على أحوال أهل السما رقيق القلب على كل عديم
وكيف لا وهو الولي الحميم يجود بأفراح الحلى ولا يرد من نداءه مؤملا كم عمر سبيلا
وقطع طريقا وأخاف سبيلا كم طفاوا حريق وأظهرا الحقائق وهو كثير
الملك كم علا درجا وخط قدر الدقائق وقلع بأصابه عين كل مارق وكم طهر
أما من أرباسها وأماط عن أرض ردى أدناسها وكم درأ عن شيخ خبثا
ورفع كهلا وحدا صقيل يجلو الصدا ويظهر على شدة البرد تحلدا يبلغ فيه
بشي يسير مقاما لا ترقى إليه مهمة الملك الكبير كم أباح محرما للعباد واكثر
الفساد في البلاد وكم رأينا شمس تجري مستقرها فيه وتنج وتلوح في فلكه
وتسبح كم خاض في ذاته خائض مع كثرة سياحته ورعا وجد في الجبال
رايض قد جمع فيه الخوف والرجا والكدر والصفاء ومن العجائب انه
كافر وكم أعان على العبادة أهل الصلاح وأضاف نزيله بالميتة ولم يخش في ذلك
من جناح فسبحان من جمع فيه الاضداد وأرسله رجلة للعباد (وقال)
أبو الفضل أحمد بن محمد الخازن فيه

وخل صفا زرتة بعد هجره * فألفت شخصي في حشاه مصورا
وأودعته سرا فأفشاه للورى * فباحسن ما أفشى الغداة وأظهرا
أبوه حليف لا ثريا وأمه * به حامل في بطن من خفض الثرى
سطح له جسم بغير جوارح * يبارى الرياح البحاريات اذا جرى
تصافح كفى منه كفا رطبة * يخادع عيني كالخيال اذا سرى
تزرع عليه الريح ثوبا مفركا * ويكسوه شهب الليل ثوبا مدبرا

(وقال) أبو الحسين البانحزى ما غزا

لا حاجي في زمرة الفضلاء * غير خل خصته بأخائي
في شبيه البلور ردائي الماء * وقد كان قبل عين الماء
ينذر الحر بالهزيمة بردا * فهو المنذر من ماء السماء

(وأنشدني) المقر الاشرف المرحوم أبو عبد الله محمد بن الانصاري صاحب

ديوان الانشاء بالشام لنفسه حكاية حال

ضلوا عن الورد لما أنهم رحلوا * قومي فظالموا حيارى يلهثون ظمأ
والله أكرهني بالورد دونهم * فقلت يا ليت قوى يعلمون بما

(وعلى ذكر الماء) ذكرت ما أنشدنيهم من لفظه لنفسه شيخنا العلامة أفضى

القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد المخزومي المالكي الشهير بالداميني ملغزا

في قرية وكتب به إلى المرحوم الأمين صاحب ديوان الأتشاء على يد مسطرها

أ كاتب سر الملك والفاضل الذي * ثناء على الألفكار فرض مرتب

ومن فاه في فن البديع بمنطق * فأمنت غويصات المعاني تهذب

تحدثت عن سهل رواة كلامه * إذا ما أتاه اللغز برويه مصعب

فديتك مازات أطالعكم بها * ويبحث في الأسفار عنها ويطلب

تشددكم في الأرض قارامها * فصدق إذا ما قيل تلى وتكتب

وما هي في التحقيق رواية * لها خبر في الذوق يحلو ويغيب

مليحة تشكّل يالفا الحب صبا * زمانا وفي وقت لها يتجنب

ويبلغ منها للحياض حقيقة * ولكن رأينا قلبه وهو طيب

يزيد مريدوها إذا ما تصوّفت * ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا

لها أربع لكن بساق رأيتها * على السعي في الأحياء بالنقع تدأب

وترضع أحيانا وما حان وضعها * وكم من فتى في حجلها راح يرغب

وتحمل ما فيه الحياة لربها * فيا حبذا منها البسيط المركب

وترسله فأعجب له من مسلسل * غدا مرسل عنه الروية تعجب

وكم من خالص سمته إذا تعتقت * يدأبها الراح لهوا ويطرب

وما نال اثما في تعاطيه بعدما * رأينا من تلك العتيقة يشرب

وسمفها المفتوح كم راح سائلا * وما نطق حرافع القصد يعرب

وكم قد تعب دنا بتخريف لفظها * ولم أر بالتخريف من يتقرب

وتحيفها يا بهجة الدهر بلدة * حواها من الأقطار شرق ومغرب

وتوجد في الأفلاك عالية بها * ويألفها بعض الحواري ويحب

فيما من لرق الهضل أصبح مالكا * فإلى الأنحوعاياه مذهب

تألفت للغز نحو بابك قد أنى * وكل غدا من ظرفه يتعجب

(وقال) بعضهم ملغزا في قرية السباحة

و ذات فم يوما تسج ربها * ولم تكن تسب أجرا بتسبيحها قط

معانقة الصبيان مضجرة الهوى * كأن بقايا قوم لوط لها رط

(الباب الثالث والثلاثون في المشروب والحلواء)

قال أبو عبيد معمر العرب تقول كل طعام لا حلواء فيه فهو خداج أي ناقص غير تام وقال الزمخشري عن بعضهم أنه قال اللوزنج قاضي قضاة الحلواء والتجيبص خاتمة الخير وقيل لبعضهم التمر يسج في البطن فقال على هذا التقدير اللوزنج يصلح التراويج (دخل) الحمل البصري على قادم وعنده قوم بين أيديهم طباق حلواء ولا يعتدون أيديهم فقال لقد أذكرتموني ضيف إبراهيم وتلا الآية فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكروهم ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا (وكان) أبو هريرة يقول أكل ثمرة أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب الوصب والنصب (قيل) لا عرابي على مائدة بعض الملوك وهو يأكل الفالوزنج لم يشبع منه أحد الامات فأمسك وفكر ثم ضرب بالخنس وقال استوصوا بعياي خيرا (وكان) عبد الله بن جندب سيدا شريفا في قریش فوفد على كسرى وأكل عنده الفالوزنج فسأل عنه فقيل له الفالوزنج قيل وما هو قيل لباب البر يلبك مع العسل النحل فابتاع من عنده غلاما يصنعه وقدم به مكة فصنع بها الفالوزنج فوضع موثده بالابطح الى باب المسجد ثم نادى من أراد أن يأكل الفالوزنج فليحضر فكان ممن حضر أمية بن الصلت وكان يمدحه كثيرا (فقال)

لكل قبيصة رأس وهاد * وأنت الرأس تقدم كل هاد

له داع بمكة مشعل * وآخر فوق دارته ينادي

الى درج من الشيراملائي * لباب البر يلبك يا شهاد

(حدث) الحسن عن ابن خلدباسب سنده في كتاب الموائد ان الرشيد وأما جعفر اختلفا في الفالوزنج واللوزنج فحضر أبو يوسف القاضي فسأله الرشيد فقال اذا حضر الخصمان حكمت بينهما فقدمنا اليه فأكل منهما حتى انتهى فقال له الرشيد احكم فقال كلما أردت أن أقضي على أحدهما أدلى الآخر بحجته فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار وبلغ زبيدة فأمرت له بألف دينار الا واحدا (حدث) حماد بن سلمة قال دخلت على اياس بن معاوية وهو يأكل فالوزجا فقال

ادن فكل فان كان شيء يزيد في العقل فهذا (وأتى) اعرابي بفالودج فأكل منه
 فقيل له تعرف ما هذا فقال هذا ووجدك الصراط المستقيم (ومن نوادر الصوفية)
 انهم اذا أكلوا طعاما عند أحد فقالوا أكل طعامك الابرار وأفطر عندك
 الصائمون ولا يقولون وصلت عليك الملائكة الا بعد الحلواء (قيل) لابي الحارث
 جبين ما تقول في الفالودج قال ووددت انها وملاك الموت اختلجا في صدري والله
 لو ان موسى لقي فرعون بفالودج لامن وان كان لقيه بعصا (وقال) أنس يرفعه
 من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الموقف (اشترى) رجل اجالا
 من السكر وأمر باختيار مسجد من السكر ذي شرف ومحاريب وأعمدة منقوشة
 ثم دعا ألف قراء فهدموه ونهبوه ذك ذلك الزمخشري في ربيع الابرار (قدم)
 فالودج حار الى مائدة عليا أبو هفان وأبو العيناء فقال له أبو هفان هذا آخر
 مكانك من جهنم فقال أبو العيناء ان كانت حارة فبردها بشعر ك (وعن) أبي
 هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من لعق العسل ثلاثا
 في كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء أبدا (وعنه) صلى الله عليه وسلم انه قال شفاء
 أمي في ثلاث لعقة من عسل أو شرطة من حجام أو آية من كتاب الله (ونقلت)
 من خط القاضي العاضل واقعة غريبة اتفقت بالديار المصرية وهي انه لما
 أحرق شاور مصر أيام دخول الفرنج اليها كان بهار رجل صالح وله ابنة مليحة
 احترقت دكانه في جملة ما احترق فرحل الى البر الغربي وسكن في بعض القرى
 وجلس في حانوت سمان يرتقي به واتفق ان مقطوع القرية رأى ابنته فحسبها
 وجعل يروم افسادها فلم يتيسر له فخطبها من أبيها فإرضيه كفؤا لها
 فشرع في أذيتها وتسخيره وطرح عليه غرامة لا تلزمه وعزم على حبسه فسأل
 أمها المدة معينة فقال اكتب لي بها حجة علمانه انه فقير ومتى حلت الحجة
 أخذ ابنته بتلك الحجة فكتب وأسهب عليه فلما انقضت الحجة باشتاب
 واشترى منه عسلا فأخذه في جرة ومضى فسقطت منه صرة متدودة فأخذها
 الرجل وفتحها فوجد فيها عشرة دنانير فأخذها فلما جاءه المقطع طالبه ورقعه
 الى القاضي فقال له احضر الحجة فأحضرها ودفع اليه العشرة دنانير وأخذ الحجة
 وتخاص من الظالم فلما عاد الى حانوته جاء الشاب الذي اشترى منه العسل
 وسقط منه الذهب وقال اجعلني في محل وابي ذمتي فاني لما اشتريت منه عسلا

العسل ذلك اليوم وقعت مني صرة فيها عشرة دنائير فاتهمك بها وظننت انك
أخذتها فلما حضرت اليوم وجدت ثمار مية في طريق فتعجب الرجل من ذلك
وقال اشكر الله الذي رد عليك فأنت في حل من جهتي فلما كان ثاني يوم جاءه
الظالم وقال اجعاني في حل فاني رأيت البارحة هنا ما أزعجني بسبيك وأما الذهب
فانه وقع مني وذلك لاني قد أخذته حراما وقد تبنت الى الله تعالى مما جرى مني
فشكر الله تعالى وتفرقا (كتب) الشيخ شرف الدين عيسى العالقة الى سيدنا
ومولانا الشيخ بدر الدين محمد الدماميني ما غزا في عسل

يا أيها المولى الرئيس ومن له * ألفت مدحا كالجواهر نظمه
اسمع سمعت النخير لغزا محكما * يمضي على الاغار جميعا حكمه
قالوا من الاطيار حقا أصله * أكرم به أصلا بروقك طعمه
لكنه ما حاز منقارا ولا * ريشا وأجنحة ولست أذمه
والجسم منه ما حوى عظماء ولا * مجسا ويعجب من يراه جسمه
وبفرد عينكم بدا المعاني * لم يدرك ما هي من تباد فهمه
يا من له ذكر يفوح لناشقا * كالمسك حين يفيض عنه ختمه
قل للذي بيدي الدعاوى قل لنا * ما أصل هذا في الطيور وما اسمه
ان قال هذا واضح فهو الذي * قد غره فيما ادعاه وهمه
من أين يعرف اسم شيء ربما * أكلته في وقت المجاعة أمه
(فأجابه)

يا فاضلا بين المحاسن نظمه * ولعزه قد ذل عجزا خصمه
وطرزت حلال البديع بمنطق * منه علا بين الافاضل رسمه
شرف لا غراض البلاغة سابق * ومن الفضائل قد توفرسهمه
ألغزت في اسم طائل حليته * بنفيس در صبح ذمنا يثمه
فاذا أضفت القلب منه لاسمه * قلنا بهذا العمل قد وضع اسمه
راذلك من الاصل منه هو وان به * أعربت الحقا اين يجادل حكمه
هكذا كانت الاذهان من مخرجة * فحوت به شهد الذبذا طعمه
وروى ابن سكرة حلاوة نظمه * فتعني بتغطير المراتبة همه
ورأى بعين لغز الحلو انجني * هذب المذاق فوار فيه وهمه

وأعاده بحلى أمير التحمل اذ * أضحى عايات الفصاحة نظمها
 فاسلم وصنع حلى البيان لفهمنا * يامن تحلى بالنباهة فهمه
 واصفح بفضل عن جواب سافل * بأطالما فى خير أفق نجمه
 (ومن تذكرة الوداعى) قال الصاحب نحر الدين بن الشيرجى أهدى الأمير
 بدر الدين لولو المسمودى قصب سكر من الغور فأرسلت إليه مع الرسول أبلاوجة
 سكر مكر وكتب فيها رقعة فيها

كالبحر يطره السحاب وماله * فضل عليه لانه من مائه
 (أبو الحسين الجزار ملغزا)

أتعرف لى حبلى اذ امانت نفست * سرى لانوف القوم من طيها نشر
 ويرضع منها الندى ساعة جلاها * أبوها فيغدو وهى من وقتها بكر
 ترك جنينا وهو من غير جنسها * فوجد دانه حلو وفقه دانه مر
 عليه به ستر دقيق وانما * تجل اذ امدق من فوقها الستر
 اذا كسرت فى القوم تحير كسرها * فيحسن بعد الكسر من قلبها البحر
 تروق عيون الناظرين بدلالة * اذا جلست يوما وموضعها الصدر
 (وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

بعثت قطائفا روى * حشاها قطرها الغامر
 فسكرها أبو ذر * ومرسل صحنها جابر

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة يستهدى قطرا

نجد قاضى القضاة أشكو * عجزى عن الحلو فى صياحى
 والقطر ارجو ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

(وقال) الشيخ العلامة أبو محمد بن جابر الاندلسى نزىل حباب

وقعت للوادع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب
 مسحت بالبنان دمهى وحلو * سكب دمهى على أصابع زينب

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة ملغزا

أحاجيك ما حلوا اللسان وانه * لا بكم اذ تهزى اليه المعارف
 يرى جالسافى الصدر ما كان كاملا * فان نقصوه فهو فى الخلق طائف

(وله) يستهدى قطرا

مولاي عندي للبقا قصائد * تريك رياض اللفظ باسم الزهر
وتشتاق من احسانك المحلور معها * ولا عجب شوق الرياض الى القطر
(ابن نباتة)

أقول وقد جاء الغلام بكنهه * عقيب طعام الفطر يا غاية المنى
بعيشك قل لي جاء صحن قطائف * وبيع باسم من أهوى ودعني من السكنى
(الصالح الصفدي)

أتاني صحن من قطائفك التي * غدت وهي روض قد تنبت بالقطر
ولا غروا ان صدقت حلوحديتها * وسكرها يرويه لي عن أبي ذر
وما أحسن قول القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في منزلة القطيفة
هذي القطيفة التي * لا تشتهي عقلا ونقلا
حشيت ببرد يابس * فلاجل ذاك الحشوي على
(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي وكتب بها الى القاضي نور الدين بن حجر
والسيدنا القاضي شهاب الدين رحمه الله

مولاي نور الدين ضيفك لم يزل * يروي مكارمك المحببة عن عطا
صدقت قطائفك البكار حلاوة * بغمي وليس بمنكر صدق القطا
(وأنشدني) القاضي بدر الدين بن الدماميني قال أنشدني شرف الدين عيسى
ابن حجاج العالية لنفسه

تهن بنصف كم به من حلاوة * وجد لي بفضل لا يضيع ثوابه
فان لساني صارم وفي له * قراب وارجو أن يحل قرابه
(وأنشدني) من لفظه لنفسه شيخنا زين الدين بن العجي أحد فضلاء الديار المصرية
وقد أهدى له حلواء سكب

لفضلك يا قاضي القضاة مزية * على السحب لا تخفى على من له لب
فأول جود الغيث قطر مبدد * وغيث نذاك الجهم أوله سكب
(ابن المنشد)

وقطائف مثل البدور * أتت لما من غير وعاء
فحسبتها لما بدت * في صحنها اقراص شهد

(السراج) الوراق

(٨٤)

قطائفك التي رقت جسوما * لما صنعها كما كتفت قلوبا
كغيم رق لكن فيه قطر * غدا المرعى الجدد يب به خصيبا

(وقال) أبو الحسين الجزار يستهري قطرا

أبا علم الدين الذي جود كفه * براحة قد أنجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكفاة انى * لا أرجوها من محب راحتك القطرا

(وله)

سقى الله أكاف الكفاة بالقطر * وجاد عليها سكر دائم الدر

وتبى لاوقات الخلل أنها * تمر بلا نفع وتحسب من عمري

ولي زوجة ان تشهى قاهرة * أقول لها ما القاهرة في مصر

(المعلم المرصص)

وحق لك ما أوليت من قطائف * الذواحلى من وصال القطائف

وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة * ألم ترها ما فوفية كالصائف

(ابن نباتة)

رعى الله نعماءك التي من أقلاها * قطائف من قطر النبات لها قطر

أمد لها كفى فأهتر فرحة * كما انتفض العصفور بالله القطر

(وله)

شكرا لبرك يا غيث العفاة ولا * زالت مدائحك العلياء تتخب

قد جدت بالقطر حتى زدت في طمع * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

(سعد الدين بن عربي)

قال القطائف للكفاة ما * بالي أراك رقيقة الجسد

أنا بالقلوب حلاوتى حشيت * فتقطعي من كثرة الجسد

(ولآخر) في أفرصة البسندود

أفرصة هشة مدورة * كأنها في النقا كافور

كأنها في الحفاف مطبقة * دراهم فوقها دنانير

(كتاب) سيدنا القاضي صدر الدين بن الادعي الى سيدنا وولانا أفضى القضاة

بنو آل زين محمد بن له ما بيني ما نرا في لوزج بقبل الارض وينهى انه أصدرها عن

صدره محرور وفاب لا نغطاه عن الباب الكريم مكسور فاسئل عليها من

فضلك ستور واعذر فانها نعمة مصدور

يا من له في عروض الشعرا يد * فاق الخليل بها فضلا وكم كينا
ما اسم دوائره في نظمه اثقلت * والتم في صدرها مستعمل حينما
أجزؤه من زحاف الخشوق دسات * هذا ويقطع مطويا ومخبونا
تخفيف معكوسه لفظ يرادفه * يا فرد يا رحمة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من خاله فرجا * لآزال سعدك بالاقبال مقرونا
وقد جهزها التنوب عنه في تقبيل البذل الكريمة وتستطر من سحائب جوابه
الصيب ديمه (فكتب) اليه الجواب يقبل الارض وينسى ورود المشرفة التي
عذب معناها وشهد أهل الذوق بحلاوة مجناها وحاول العبد حل لغزها
المسير فأذن دون شهده ابن النحل وقرنه بالغاز المتأدبين فاذا هو مخلص
النبات بشوال القطر واذا تلك مطروقة المحل بالمحل وكادت مرارة الفقيير
تنفطر لجزه عن هذه الحلاوة وجرى على عادته في الاسف المكر حيث فقد هذا
الرونق وتلك الطلاوة لكنه عقد الفضيحة على نفسه بعد ان استقال وتجاوز
بعد الخوف على نظم الجواب فقال

يا مرسل من شهى النظم لي كما * منها ابن سكرة قدراح مغبونا
لله درك صدر من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
جليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يا فاني رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأيت في دوائره * لا كف قبضات يزيد العغل تكمينا
وليس اضماره مستحسن أقدم * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هادي صوب الصواب ودم * فينا أمينا وشيخا الرأي مأمونا
والله تعالى يحل أفواه ذا كرية بما هو أشهى من اللوزنج وأحلى وأعناق
المتأدبين من كله بما هو أنفس من الدر وأغلى وبكأثره في الإقامة والارتحال
ويبقى عيشه كل مز وبخفة على كل حال (وقال) الشيخ برهان الدين
القراطي ملغزا

هذان لغزان قد حلا بياك يا * قاضي البرية ما دنان خصمان
اعمان كل خماسي ادا كسيف * معروفه ودعها الاشك نمدنان
تبا في الوري شكا اذا نظرا * وصورة وهما في الاصل مثلان

يرى بكانون اصلاحا لشأنهما * كما لاصلهما تقع بنسبتيان
 في مصر والشام منسوب لاصلهما * يضاف ياخير بستان لبستان
 لكن الى الصين منسوب مقرهما * ان احضرا في مكان بين اخوان
 لذا كما وهو بين الناس ليس له * من كنية ما تنحى في ذاك اثنان
 في البر يلقى وان فتشت عنه تجد * في حجة البحر يلقى خمسة الثاني
 نبت أرى النار قد أبدت له ورقا * فاجب له ورقا ينمو بنيران
 يحيى اذا ما سقاء القطر وابله * وجاده بسحاب منه هتان
 كبيعة هو لكن لا يشم ولا * يضاف يوما الى ازهار بستان
 ذو رقة فاذا صفته ظهرت * كافة منه فاستره بكتمان
 وكم له من بدور كل طاعت * في سائر الشهر لم تحقق بنقصان
 فقدما خيط فجر أبيض عجـل * بالبرق يسطو عليها سطوة الجاني
 والغزالي خراسم ذات السنة * لم يبد منها لنا بالنطق حرفان
 باحسنا السنا أضحت حلاوتها * يحاول المدح لها من كل ملسان
 تطوى على الخشوا حشاء وليس لها * في الاشعرية من رام بنكران
 بالطى والنشر في حال قد اتصفت * والطى والنشر فيما قيل ضدان
 كم سكرت ففتحنا للدخول بها * ابوابها فتلقنا باحسان
 حسناء أجمع أهل الحل أجـهم * والعقد مناعا عليها بعد عرفان
 وصالحا حل بالاجماع في زمن * فيه الوصال حرام بعد اعيان
 ثلثا ثلاثة أخماس لها وجدا * شيئا يجي بايضاح وتبيان
 وما ذكرت من الاخماس كم نطقت * صدقا بذكر اسمها من غير بهتان
 ونجسها جبل لكن بقيتها * في مكة ترتجى فوزا بغفران
 تقلى ولكن لها قلب تقربه * ممن قلاها من الاقوام عينان
 مامل ذامن القالى أماليه * عنها وما خطر القالى لها شانى
 في الجوف منها قلوب جـهـت * ولا يكون لجوف الشخص قلبان
 كم ظل بطرحها من ليس ذا شرف * جهرا ويوصف مع هذا باتقان
 جميلة الوصف طابت عنصرا وزكت * أصلا وما سلمت من طعن طعان
 بالحل أنعم سقى القطر المواطئ من * اقـدام سعيك في ارواء طمان

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة الى بعض أصحابه وقد أرسل اليه قطرا رديشا وينتهي ان الذي أرسل اليه مولانا الوصول وأحال عليه بالبر المحصول أرسل قطرا وليكن بزيادة حرفين فاذا هو قطران وبكسر أوله فاذا هو لسد الأمل الواحد قطران عندما شئ المملوك أنكره وعندما عاينه استغرب كدره حتى حلف بالسجدة ما هو إلا دخان وقالت عينه المنتظرة خير من هذا القطر قطرا لا جفان وقال الف كرماء هذه الأفعالة الواسطة التي فعلها وهو من الظالمين وهمته التي بهتها وهو من الأثمين ورد المملوك ذلك المرسل بالعب لوقته وعجبت من الأيادي كيف نقض عليها سواد بخته وعلى كرم مولانا تديره هذه القضية والله تعالى لا يخل الأمل من وجود سنته الشمسية بمنه وكرمه (وكتب) الى الجنب العالى العلائى بن القلانسى وقد أرسل اليه سكر يقبل الأرض وينهى وصول البر الذي حلت مواقعه وجاءت صنائعه وحلت عن أبيه وأبهر من بدر التمام مطالعه وابتضت به أيادي الكرم وشب شخصه الجميل وان كان أشبه شئ بالهرم فضة المملوك كنهه الحبيب وقبله أحلى وأزهر من الثغر الشبيب وابتهج به نظرا وفكرا ونقطه بدمع السرور حتى عاد السكر بالتنقيط شكرا وكرمه حديثه فقال هكذا يكون المكرر وهكذا يبعث قطعة من صحابه المسخر وهذا والله البر الذي لا يستبطن لديه القصد من نجحنا والفضل الذي هو أحق بقول الأول لنا الجفونات الغريلمعنى فى الضحى أمتع الله العماة بيمين مولانا التي أعادت من العيش حلواء وعتب الدهر خلواء وشكر عوارفه التي ما فتحت على مثاها الطالب جفنه وأياديه التي حسنت المدح حتى نسي الناس ما قال حسان فى أهل جفنه

(فصل فى الاشربة) عن ابن عباس رضى الله عنهما سئل النبي صلى الله عليه وسلم أى الشراب أفضل فقال الحلو البارد قالوا أراد العسل وقال صلى الله عليه وسلم سيد شراب أهل الدنيا والآخرة الماء وقيل لبعضهم أى الشراب أحب اليك فقال أعز مفقود وأهون موجود وكان المؤمن يقول شرب الماء بالثلج أدعى الى اخلاص المجد (قال) الحسن لفرقد بلغنى انك لا تأكل الخبيص قال اى لا أقوم بشكره قال وهل تقوم بشكر الماء البارد (صفة شراب) ينفع من العطش والخمار وللب المعدة يؤخذ من ماء الرمان ومن ماء حمض الا تخرج من كل واحد

نصف رطل ومن ماء الاجاص وماء ثقب العنبر هندی من كل واحد رطل يطبخ بنار
لينة حتى يغلي ويصير في قوام الاشربة ويسقى منه أوقيتين بماء بارد وتلج
وبماء ورد وماء خلّاف (الفقاع) يتخذ من أصناف من الحلاوات يتخذ من السكر
البياض النقي بأن يخل بالماء والماء ورد ويطيب بالمسك ويوعى ويبرد بالتلج
ويستعمل ويتخذ من العسل ويتخذ من ماء الزبيب الحلو السمين ويتخذ من
الدبس وغير ذلك ومن الناس من يطيبه بالزنجبيل أو الغلغل أو القرنفل مع المسك
والماء ورد وهذا يضر المحرورين ومن الناس من يخل شراب التفاح ويصبه في
كيزان الفقاع ويبرده ويستعمله وجميع أنواع الفقاع شربها الواجب النافع
أن يكون قبل الطعام ويصبر عليها حتى ينحدر فاما بعده فلا فائدة فيه غير تحشيات
يسيرة يلتذ الانسان بخروجها (فقاع) ينفع المحرورين يؤخذ من الخبز الخواري
مثل ما يؤخذ من الشعير ويصنع منه فقاع ويضاف كرفس ونعنع وماء الرمان
المر ويحلى بسكر بياض ويستعمل (وأهل دمشق) يأخذون الفقاع الخرجي
ويعمونه المسدب لانه يعمل في كيزان محشوة بالسداب البري فينفذونه في
الاولاني النظيفة ويرمون فيه قطعة سكر بياض ويعصرون عليه ليمونا أخضر
قدر ما يطيب لهم حمضه ويحرقونه بعبدان نعنع بحيث يظهر راحمه فيه ظهورا
يسيرا ثم يبردونه بالتلج ويرش عليه الماء ورد وماء الخلّاف ويستعملونه وهذه
الصفة تنفع أصحاب الخمار وتشهي وتطيب النفس وتصرف واعلم ان جميع
أنواع الفقاع تطيب بالاشياء المناسبة لمزاج شاربها ان كان المزاج حارا كانت
المطيبات باردة وان كان المزاج باردا كانت المطيبات حارة (أنشدني) من لفظه
لنفسه الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين يوسف الزعيراني رحمه الله
وكيزان من الفقاع جاف * زكت طعما على الشهد المذاب
هذا يا من أحببتنا ولاكن * كما قالوا على ورق السداب
(صفة أقسامه لوكية) يؤخذ سكر أبيض يعقد جلابا رقيقا أرق ما يكون ويؤخذ
دقيق أبيض مثل طنج مثل العصيدة القوية بنعنع ملح ويبرد ويجعل في طست
وتشرب باليد ويقام عليها الجلاب مفرقة بعد منرف وكما زدت صر بها باليد
زادت روعها في أن يغيرها قوام الحريرة الشديدة المنعقة ثم يقا * بها فقاع
سري في روعه روعه الفقاع أفعمها فإذا زادت روعه أحياه في روعه نظيف

و يكون فيه أثر ديس أو أثر غسل واجهه لعل معها قبضة سداب مربوطة وقبضة
 نعنن كذلك وأظرف طيب مثل القرنفل والياسل والزنجبيل وجوز الطيب
 وماء ورد ومسك ويكثر فيها من أظرف الطيب ويجعل في مكان داف ويغطي
 بغطاء كبير فاتتها بقي جميعها كالرغوة ثم انها تطلع فاذا طلعت خذ لها اناء زجاج
 أو حقايقيا أو مخز به بالعنبر واجعله فيها واستعمله وعند استعماله انفض عليها
 فقا طارحيا فهذا النوع من الأقسم وهو أطيب من المشروبات (صفة)
 تقوع مشمس يؤخذ المشمس اللوزي أو غيره يغسل من التراب والغبار غسله
 مستقصى ثم يصب عليه ماء اللينوفر وماء لسان الثور وماء ورد ويصر عليه
 ماء رمان طري حامض ويرمي فيه طاقات نعنن ثم يحلى بسكر بياض ويترك حتى
 ينتقع المشمس في هذه المياه المذكورة نعنن معتدلا لا يبلغ أن يتهرى في اناء
 مخز بالعنبر فإنه يحترق في غاية الطيبة واللذة (ومن) أراد أن يتنقل بالمشمس
 اليابس الطيب فيأخذ ماء ورد ومسكا يحلان في سكر فائق وقليل ماء ثم ينقع
 المشمس فيه بعد غسله بحيث لا يتهرى في نقع بل يكون فيه قوة ظاهرة ثم يخرج
 المشمس من الماء المنقوع فيه ويحفظ تحفيقا معتدلا في مكان نظيف ثم يتنقل به
 فإنه يكون في غاية الطيبة (ومن) الادعية المستعملة بين الناس قولهم هنيئا
 مر يشا فالهنيء الطعام الذي لا يحصل عقيب أكله أو هضمه ضرر والمرئ
 السر يع الهضم

* (الباب الرابع والثلاثون في بيت الخلاء المطلوب) *

قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله الخلاء بالماء في الأصل هو المكان
 الخالي كأنوا يقصدونه لقضاء الحاجة ثم كثر حتى تجوز به عن غير ذلك قال أنس
 ابن مالك رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال اللهم اني
 أعوذ بك من الخبث والخبائث بضم الخاء والباء جمع خبيث والخبائث جمع
 خبيثة استعاذ من ذكور الشياطين وأناسهم قال بعضهم إذا كمل للانسان
 في داره حسن ثلاثة مواضع لم يبال فيما فاتته منها وهي مجلس السكن والذهاب
 والكنيف (وفيه يقول المأموني)

بيت اذا مازاره زائر * فقد قضى أعظم أوطاره

يدخله المولى ببركاً * يدخله العبد باطماره
وهو اذا ما كان مستظفاً * مرقاة الانسان في داره

(وكان) جعفر الصادق يقول من سعادة المرء سعة داره وحسن مجلسه ونظافته
متوضاه (حكى) عن بعض الحكماء انه استدان سبعمائة درهم وأنفقها على كنيف
داره فبلغ ذلك بعض أصحابه الظرفاء فقال ليت شعري ما الذي يريد بخري فيه
(وحكى) أبو الفرج الاصبهاني في أخبار العرجي عن الأصمعي قال مرت بكأس
يكس كنيفاً وهو يغنى

أضاعوني وأى فنى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر
فقلت أما سداد الكنيف فعلى يوم وأما سداد الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه
وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عني ملياً ثم أقبل على وأنشد
وأكرم نفسي انى ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدى
فقلت له والله ما أكرمتها وما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فبأى شئ
أكرمتها فقال بلى والله ان من الهوان لشراً مما أنا فيه فقلت وما هو قال الحاجة
إليك وإلى أمثالك فأنصرفت وأنا أنزى الناس (ومن) أداب المضيف انه يرى
المضيف بيت الخلاء (قال) ملك الهند اذا أضافك أحد فأره الكنيف فاني قد
ابتليت فوضعت في قلنسوتي (نادرة) قيل ان رجلاً حكى قال كنت بائناً في بيت
بين جماعة وكنت ضيفاً فتحركت بطني في انشاء الليل فقممت فلم أجده موضعاً
فطفت في البيت فاذا أنا بهد فيه طقل فأخذت الطفل في حجرى ثم حررت في
المهد ثم رجعت لارد الطفل في المهد فاذا به قد نحرى في حجرى أضعاف ما نحررت
في مهده فاجرى على كاتبه أعظم منها (قالت) الطبيعة مكافئة (ومثلها) حكى
ان دعبيل بن علي الخراساني دعا أبا هفان فأطعمه ألواناً كثيرة المحبوب وسقاه نبيذاً
حلواً ونمزاً فجوارى ان لا يدلوه على بيت الخلاء ثم تركه وتام فلما أجهده الامر
قال لبعض الجوارى أين الخلاء فقالت لها الاخرى ما يقول سيدي قالت يقول
غنوني فغننت

نحلا من آل عالية الديار * فتنوى أهلها منها قفار
فغننت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداً وسقوه فقال قد أحسنتم
وجددتم غير انكم لم تأتوا على ما في نفسي وسكت فلما أجهده الامر قال لعل التجارية

بغدادية لم تفهم ما قالت لها ثم التفت الى اخرى وقال لها فداك أبوك أين المستراح
فقلت الاخرى ما يقول سيدي قالت يقول غنوني فغنت

واستريح الى ليلى فاذا كرها * كما استراح عليل من شكبه

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقدا حاقا وسقوه فقال أحسنتم
وجدوتم غير انكم لم تأتوا على ما في غرضي ثم قال لعلها ما فهمت ثم قال لاحدا هن
فداك أبوك أين الحش فقلت الاخرى ما يقول سيدي قالت يقول غنوني فغنت
وحاشاك ان أدعوك وانما * أردت بهذا القول ان تقبلي عذري
فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقدا حاقا فقال أحسنتم وجدوتم
غير انكم لم تأتوني على مقصودي ثم أجهدوا لامر فقال لعلها كوفية ثم قال
للاخرى فداك أبوك أين الكنيف فقلت الاخرى ما يقول سيدي قالت يقول
غنوني

تكنفني الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحدا كفاني
فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقدا حاقا ثم قال حتى وثب
وحل سراويله وذرقي في وجوههن فتصارحن فانتبه دعبل فقال ما شأنك يا أبا
هفان (فقال)

تكنفني السلاح فأضجروني * على ما بي بذيات الزواني
فلما قل عن حالي اصطباري * رميت به على وجه الغواني
(فقام دعبل) فدله على الخلاء فدخل واغتسل وخلع عليه بعد ان ضحك منه
ضحكا عظيما (وما أظرف) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة
أعط بالدوا ثياب الاذى * وطب في الرواح به والغدو
وكرر حديث بيت الخلاء * ولا كن على رغم أنف العدو
(ولبعضهم يستحث)

يا قاء..دا متفكرا * لما لولاية بالعراق

أرحم فديتك مدنفا * قد لف ساقا فوق ساق

(نادرة) قال رجل لا آخر مدحه أنت من بيت الطهارة فقال الرجل دعني من
هذا المدح فقال صدقت الشكر في الوجه ذم ولا كن أنا أذكرك في الخلاء
(حكى) ان بعض الكتاب كان يلقب ببعض فلقبه بعض حرفائه فقال له

أوحشتني يا جميعين وأين كنت فأنشده

وحيث ما كنت من بلاد * فلي الى وجهك التفت

(قلت) وضمن هذا الشيخ بدر الدين بن الصاحب (فقال)

يا كعبة الله ان رحلنا * وطال ما بيننا الشتات

فحيث ما كنت من بلاد * فلي الى وجهك التفت

(رجع) كان لبعض المغفلين دار فقال له الساكن ان الكنيف قد انفتح

فقال له صاحب الدار نظرت اليه من أيام وأردت ان أتخدي به قبل ان يتعشى

بي فسبقني (قلت) الشيء يذكرك بلوازمه (نقلت) من خط الفاضل المؤرخ

الناظم النثر الرحال صاحب المؤلفات المبدعة نور الدين علي بن سعيد من كتابه

الذي سماه بالمغرب في أجلاء المغرب قال في ترجمة أبي العباس أحمد بن القاسم

وهو الذي يقول فيه ابن تقي في موشحته المشهورة التي منها أماري أحمد في

مجدد العالي لا يلحق أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق وجرت له معي حكايات

أكرمها حكايته وقد وفد عليه مرة فوجدته قد عرج عن الارتياح وأقلع

عن شرب الراح وكانت له عادة باحضاره المجلس راحته عند ما يصل فخطب

ذلك منه فأعلمه بتوابعه وتكلف له مجلسا فيه أصحابه ومن يشرب من أقاربه

وحضره وفيه عازما على المؤانسة دون المشاركة في شراب فقال ابن تقي موشحته

المشهورة

ندمنا قد طأ * ب غن له وأنشد

وأردد عليه الكأ * س عساه يرتد

فارتد عن توابعه وشرب كأسه من نوابعه وأتى من المطاوعة والطرب ما قر به عين

الطرف والادب ولما أخذ ذلك السكر من ابن تقي قام الى المستراح وفي وسطه كيس

فيه هجلة من الذهب الذي جرت عادة أبي العباس أن يصله به في كل سفرة وما

اجتمع له من غنيره فخله وخطه في كوة المستراح حتى يقضى شغله ثم فرغ ومضى

ونسى الكيس لما كان فيه من السكر ونام فلما أصبح وصحيا قاب وسطه ليطلب

الكيس فلم يجد شيئا ونظر اليه أبو العباس فقال له مالك فأخبره فقال أنا أخذته

منك البارحة لألا يضيع منك وإذا احتجت اليه دفعت لك واستفهمه عن عدد

ما فيه فأخبره فلما دخل الى منزله جعل في كيس من عنده ذلك العدد ودفعه

اليه وابن تقي لا يشك انه ذهبه ثم ودعه وانصرف ولما اجتاز عليه في سفرة ثانية
حضر في ذلك المجلس ليلة على مثل تلك الحالة فلما سكر قام الى المستراح ثم تفكر
في حالة السكر انه كان قد حل هناك سراويله ووضع الكيس في الكوة فد
يده الى الكوة فوجد كيسه بعينه فأخذه وجعله في وسطه ثم عاد يشربه والمجلس
خاص محتفل بالاعيان فبكي ابن تقي وكاد المجلس فطن أبو العباس انه جرى
عليه ما أوجب ذلك فقال له ما بك هل نأبك أمراً كشفه عنك فقال والله
ما أبكى الا حسرة على العالم انه لا يخلد مثلك فيه وحكى الحكاية فقال أبو
العباس ما كان يدعى في ذلك الوقت الا ما فعلته لاني خفت أن يكون ضائع لك
فتتهم به أحد ثم ما لي ويشيع ذلك ولا بد من غرمه لك لثلاثين صرف خائباً فكان
الاولى غرمه دون ان يفتضح أحد من أصحابه فقبل الارض ودعى له وهو - ذه
احدى مكارمه جدد الله عليه الرحمة وجازاه بما هو أهله في جنة الفردوس
من النعمة آمين آمين (سألني بعض المخاديم) ان أنظم له أبياتاً تكتب على
الخريشت الذي جرده بعد حريقه وانهدامه في الواقعة المشهورة الخواجا بدر
الدين محمد بن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلق أدام الله سعادتهما باب البريد
بجامع الاموى وكان والده قديسه

يا بقعة لقضا الخوايج أسست * لازال سعادتك دائماً يتزايد
لمحتك من بدر وشمس نظرة * فعدا قرانا سعادتك برصد
جسدت فعل الخير يا بن مزلق * لازال فعل الخير منك يجدد
عشرون بيتاً قد قصدت رويها * يا خير من بروى ومن يتقصد
كانت مسودة وقد يرضها * فالنساء لا يبيات منها ينشد
واذا نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد
ولمؤلف الكتاب رحمه الله

(الباب الخامس والثلاثون في نبلاء الاطباء)

قال الحكيم الفاضل الفيلسوف العارف ابقراط ينبغي ان يكون الطبيب حراً
في جنسه جيداً في طبعه حديث السن معتدلاً في القامة متناسب الاعضاء
جيد الفهم حسن الحديث صحيح الرأي عند المشورة عفيفاً شجاعاً غير محب

للفضة ماله كالنفسه عند الغضب ولا يكون تاركه في الغاية ولا يكون بلدا
 وينبغي ان يكون مشاركا للعامل مشفعا عليه حافظا للاسرار لان كثير من
 المرضى يوقفونا على امراضهم لا يحبون ان يقف عليهم غيرهم وينبغي ان
 يكون محتملا للشبهة لان قوما من المبرسين وأصحاب الوسواس السوداوى
 يقابلونا بذلك وينبغي لنا ان نتحملهم عليه ونعلم انه ليس منهم ذلك وان سببه
 المرض الخارج عن الطبيعة وينبغي ان يكون حلق رأسه معتدلا مستويا
 لا يحلقه ولا يدعه كالجمجمة ولا يستقصى قص أطراف يديه ولا يتركها تعمل على
 أطراف أصابعه وينبغي ان تكون ثيابه نظيفة بيضاء نقيية لينة ولا يكون
 في مشيه مستجلا لان ذلك دليل الطيش ولا معتباطا لانه يدل على فتور النفس
 واذا دعى الى المرض فليقم مترجعا ويختبر منه حاله يسكون وتأتى لبقاق
 واضطراب فان هذا الشكل والزي والترتيب عندى أفضل من غيره وبقراط
 هذا أول من برهن كيف يكون المرض والصحة في جميع الحيوان وفي النبات
 وهو الذى استنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وكانت له العناية
 في نفع المرضى ومداواتهم ويقال انه أول من جدد البيمارستان واختاره
 وأوجده وذلك انه عمل بالقرب من داره موضعا من بستان له مفردا للمرضى
 وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم وسماه أخشندوكين أى مجمع المرضى
 ولذلك أيضا يقع لفظه البيمارستان وهو فارسي وذلك ان البيمار بالفارسي
 هو المرضى وستان هو الموضع أى موضع المرضى ولم يكن له دأب في مدة حياته
 وطول بقائه الا النظر في صناعة الطب واتخاذ قوانينها ومداواة المرضى واتصال
 الراحة اليهم وانه اذ هم من علاهم ولم يكن لا بقراط رغبة في خدمة أحد من
 الملوك لطلب الغنى ولا في زيادة مال وكان ابقراط في زمن بهمن بن اسفنديار
 ابن بستانب وظهر ابقراط سنة ست وتسعين لمختصر وهى سنة أربع عشرة
 مائة من وأما تفسير اسمه فان معناه ضابط الخيل وقيل معناه ماسك الارواح
 وقيل ماسك الصحة وأصل اسمه باليونانية ابقوقراطيس ويقال هو بقرطيس
 وانما العرب عادت بها ان تخفف الاسماء تخفف هذا الاسم فقالوا ابقراط
 وبقراط أيضا وقد جرى ذلك كثيرا في الشعر ويقال أيضا بالتاء ابقرات
 وبقرات ومات مفلوجا ومن ألفاظه المحكية ونوادره المفردة في الطب قال

الطب قياس وتجربة وقال العادة اذا قدمت صارت طبيعة ثانية والزجر والغال
 حس نفساني وقال كل مرض معروف السبب موجود الشفاء وقال لا تأكل
 حتى تجوع وقال يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى عادتها
 وقيل له لم يكون الـ بدن أثور ما يكون اذا شرب الانسان الدواء قال لان أشد
 ما يكون البيت غبارا اذا كدس وقال مثل المني في الظهر كمثل الماء في البئر ان
 تزفته فار وان تركته غار وقال ان المجامع يقتلع من ماء الحياة وسئل في كم ينبغي
 للانسان ان يجامع قال في كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال في كل شهر مرة قيل
 فان لم يقدر قال في كل أسبوع مرة قيل له فان لم يقدر قال هي روحه أى وقت
 شاء يخرجها وقال العافية في ذلك خفي لا يعرف قدرها الا من عدها وقيل له
 أى العيش خير فقال الامن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف ودخل على عليل
 فقال له أنا وانت والعلة ثلاثة فان اعنتني عليها بالقبول لما تسمع مني صرنا
 اثنين وانفردت العلة فقويةا عليها والاثنان اذا اجتماعا على واحد غلباه وقال
 للقلب آفتان وهما الغم والههم فالغم يعرض منه النوم والههم يعرض منه السهر
 وذلك ان الههم فيه فكر في الخوف بما سيكون فنه يكون السهر والغم لا فكر
 فيه لانه انما يكون بما قدمضى وانقضى (ومن) كلامه في العشق العشق
 طمع يتولد في القلب وتجتمع فيه مواد من المحرص وكلما قوى ازداد صاحبه
 في الاهتياج واللباج وشدة القلق وكثرة السهر وعند ذلك يكون احتراق
 الدم واستحالة الى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها الى السوداء ومن طغيان
 السوداء فساد الفكر ومع فساد الفكر تكون الندامة ونقصان العقل ورجاء
 ما لم يكن وتمنى ما لم يتم حتى يؤدي ذلك الى الجنون فينثذ ر بما قتل العاشق
 نفسه وربما مات غما وربما وصل الى معشوقه فيموت فرحا وأسفا وربما
 شق شهقة فتختفي فيها روحه أربعين ساعة فيظن انه قد مات فيقبر
 وهو حي وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تأمور قلبه فيمنضم عليها القلب
 فلا تنفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق للانتظار ورأى من يحب فيموت فجأة دفعة
 واحدة وأنت ترى العاشق اذا سمع يذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل
 لونه وزوال ذلك عن هذه حاله بلطف رب العالمين لا يتدبير من
 الاكدميين وذلك ان المـ كروه العارض من سبب قائم بمفرده بنفسه يتهى التلطف

في ازالته بازالتسبيه فاذا وقع السبيان وكل واحد منهما علة لصاحبه لم يكن الى
 زوال واحد منهما سبيل كما اذا كانت السوداء سبباً لاتصال الفكر وكان اتصال
 الفكر سبباً لاحتراق الدم والصفراء وميلهما الى السوداء فالسوداء كلما قويت
 قويت قوة الفكر والفكر كلما قوى قويت السوداء فهذا الداء العياء الذي
 تجزعن معالجته الاطباء (ومن) كلامه الاقلال من الضار خير من الاكثار من
 النافع وقال أما العقلاء فيجب ان يسقوا الخمر وأما المجنأ فيجب ان يسقوا
 الخمر وقال ليس معي من فضيلة العلم الا على أني لست بعالم وقال المسالك
 للشيء هو المسلط عليه فمن أحب أن يكون حراً فلا يهوى ما ليس له وليهرب منه
 والا صار له عبداً وقال لتبذله ان أحبت ان لا تموتك شهوة فاشته ما يمكنك
 وقال الدنيا غير باقية فاذا أمكن الخير فاصطنعوه واذا عدمتم ذلك فتحمّدوا
 واتخذ من الذكر أحسنه انتهى ما خصته من ترجمة ابقرات من طبقات الاطباء
 للعلامة موفق الدين ابي العباس أحمد بن أبي القاسم الخزرجي المعروف بابن
 أبي أصيبعة رحمه الله (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة في شرح العيون
 ومن ظرائف حكايات ابقرات ان ولداً أحداً للملك عشق جارية من حظايا أبيه
 فنحل بدنه واشتدت علاته وهو كاتم خبره فأحضر ابقرات فحس نبضه ونظر الى
 بشرته فلم ير علة فذاكره حديث العشق فرآه يهزل ذلك ويضطرب فاستنبر
 الحمال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل خرج من الدار فقالت لا فقال
 لا يبه مر رئيس الخصيان بطاعتي فأمره فقال اخرج على النساء فخرجن وابقرات
 أصبعه على نبض الصبي فلما خرجت الجارية اضطرب عرقه وحار طبعه فعلم
 ابقرات انها المعينة فصارت الى الملك فقال ان ابن الملك عاشق لمن الوصول اليها
 صعب قال الملك من هي قال زوجتي فقال انزل عنها ولك عنها بدل فتمنع ابقرات
 وقال هل رأيت أحداً كاف أحداً الى طلاق زوجته ولا سيما الملك في عدله
 ونصفته يأمرني بفارقة زوجتي وهي عديلة روجي فقال الملك اني أوثر عليك
 وأعوض لك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد والسيوف فقال ان
 الملك لا يسمى عادلاً حتى ينصف من نفسه رأيت لو كانت العشيقة حظية الملك
 ففهم الملك المراد وقال يا ابقرات عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه
 وشفى الفتى (فيثاغورس) قال القاضى صاعد في طبقات الامم ان فيثاغورس

كان بعد بندقليس بزمان وأخذ الحكماء عن أصحاب سليمان بن داود عليهم
 السلام بمصر حين دخلوا اليهم من بلاد الشام (ومن) كلامه وآدابه وحكمه
 قال كما ان بدأ وجودنا وخلقتنا من الله سبحانه هكذا ينبغي ان تكون نفوسنا
 منصرفة الى الله تعالى وقال الفكرة لله خاصة فمحبتهم متصلة بحجة الله ومن
 أحب الله سبحانه وتعالى عمل بحجابه ومن عمل بحجابه قرب منه ومن قرب منه نجا
 وقال الاقوال الكثيرة في الله تعالى علامة تقصير الانسان عن معرفته وقال
 ما لا ينبغي ان تفعله احذر ان تخطره بهالك وقال الاشكال المزخرفة والامور
 الممودة في أقصر الزمان تبهرج وقال الاخلاق بالانسان ان يفعل ما ينبغي
 لا ما يشتهي وقال الدنيا دول مرة لك وأخرى عليك فان توليت فاحسن وان
 تولوك فأان وكان يقول ان أكثر الآفات انما تعرض للحيوانات من عدمها
 الكلام وتعرض للانسان من قبل الكلام وكان يقول من استطاع ان يمنع
 نفسه من أربعة أشياء فهو خالق ان لا ينزل به مكروه كما ينزل بغيره العجالة
 والحاجة والحب والتواني فثمرة العجالة الندامة وثمره الحاجة الحيرة وثمره
 الحب البغضاء وثمره التواني الزلة ونظر الى رجل عليه ثياب فانحوتتكم
 فيلحن في كلامه فقال له اما ان تتكلم بكلام يشبه ثيابك أو تلبس لباسا يشبه
 كلامك وقال استعمل الفكر قبل العمل وقال كثرة العدو تقل الهدى وحضرت
 امرأته الوفاة في أرض غريبة فجعل أصحابه يتحرقون على موتها في أرض الغربة فقال
 يا معشر الاخوان ايس بين الموت في الغربة والوطن فرق وذلك ان الطريق الى
 الآخرة واحدة من جميع النواحي وقيل ما أحلى الأشياء فقال الذي يشتهي
 الانسان وقال انه كي لعدوك ان لا تريه انك تتخذ عدوا انتهى كلامه
 (سقراط) كان من تلاميذ فيثاغورس واقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية
 واعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها وأعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الاصنام
 وقابل رؤساءهم بالحجاج والادلة فتوروا العامة عليه واضطروا ملوكهم الى
 قتله فأودعه الملك الحبس تحمدا اليهم ثم سقاه السم تفسادا من شره مع
 مناسطرات جرت له مع الملك محفوظة وله وصايا شريفة وآداب فاضلة وحكم
 مشهور ومعنى سقراطيس باليونانية المعتصم بالعدل وبلغ من تعظيم الحكمة
 مبلغا أضرب عن بعده من محي الحكمة لانه كان من رأيه ان لا يستودع الحكمة

الحنف ولا القراطيس تنزيها لها عن ذلك ويقول ان الحكمة طاهرة مقدسة
 فلا ينبغي ان تستودعها الا الانفس الحسية وتنزهها عن الجلود الميتة ولم يصنف
 كتابا ولا أملى على أحد من تلاميذه ما أثبتته في قراطس وانما كان يلقنهم عليه
 تلقينا لا غير وتعلم ذلك من أستاذه طيمساوس فانه قال في صباه لا تدعني أدون
 ما أسمع منك من الحكمة فقال له ما أثبتك بجلود البهايم الميتة وأزهدك
 في الخواطر الحسية هب انسانا لقيك في طريق فسألك عن شيء من العلم هل كان
 يحسن ان يحيله على الرجوع الى منزلك والنظر في كتبك فان كان لا يحسن
 فألزم الحفظ فلهزمه سقراط (ومن) آداب سقراط وحكمه ونواذره ما ذكره الامير
 الميشر بن فائق في كتابه قال سقراط عجبا لمن عرف فناء الدنيا كيف تاهيه
 عما ليس له فناء وقال النفس جامعة لكل شيء فمن عرف نفسه عرف كل شيء
 وقال ما ضاع من عرف نفسه وما أضيع من جهل نفسه وقال ستة لا تفارقهم
 الكتابة المحمود والحسود وحديث عهد بغنى وغنى يخاف الفقر وطالب رتبة
 يقصر قدره عنها وجالس أهل الادب وليس منهم وقال خير من الخير وشرا
 من الشر من عمل به وقال اتغوا مات به غصنه قلوبكم وقال من اهتم بالدنيا ضيع
 نفسه ومن اهتم بنفسه زهد في الدنيا وقال طالب الدنيا ان نال ما أمل تركه
 لغيره وان لم ينل ما أمل مات بغصة وقال من أحب ان لا تفوته شهوة فليشته
 ما يمكنه وقال له رجل شريف الجنس وضيع الخلاق اما تأنف نفسك يا سقراط
 من حساسة جنسك فأجاب جنسك عندك انتهى وجنسى منى ابتدئ وقال
 لا يكون الحكيم حكيما حتى يغلب شهوات الجسم وكان يقول القيمة مخدومة
 ومن خدم غيرة فليس بحر وقال انما جعل للانسان اسنان واحد واذنان
 ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به وقال أنفع ما اقتناه الانسان الصديق
 المخلص وقال الصامت ينسب الى العي والمتكلم ينسب الى الفضول ويندم
 وقال اذا ضاق صدرك بسر فكفص يدريك به أضيق وقال من أراد النجاة
 من مكائد الشيطان فلا يطيعن امرأة فان النساء سلم من صوب ليس للشيطان حيلة
 الا بالصعود عليه وقال لتلميذه يا بني ان كان لا بد لك من النساء فاجعل لقاءك
 لهن ككل الميتة ولا تأكلها الا عند الضرورة فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرمي فان
 أخذت أخذتها فوق الحاجة أسقمته وقتلته وقيل له ما تقول في النساء فقال

هن لشجر الدفلى له رونق وبهاء فاذا أكله الغرقة له وقال من قل همه على
 مافاته استراحت نفسه وصفه ذهنه وقال أفضل السيرة طيب المكسب وتقدير
 الانفاق وقال من يجرب يزدد علما ومن يؤمن يزدد يقينا ومن يستيقن يعمل
 جاهدا ومن يحرص على العمل يزدد قوة ومن يكسل يزدد فترة وقال القينة
 ينبوع الاخوان فلا تقنوا الاخوان وقال لولا ان في قولي انى لأعلم اخبارا
 انى أءلم لقلت انى لأعلم (افلاطون) فيلسوف يونانى طي عالم بالهندسة
 وطبائع الاعداد ومعنى اسمه العجم الواسع لزم سقراط وسمع منه خمس سنين
 ثم مات سقراط فبلغه ان بمصر قوم من اصحاب فيثاغورس فسار اليهم حتى أخذ
 عنهم وبلغ من العمر احدى وثمانين سنة وكان حسن الاخلاق كريم الافعال
 كثيرا لاسان الى كل احد غريبا وقرىبا مبتدأ حكيما صبورا (ومن) كلامه
 ومواعظه العسادة على كل شئ سلطان وقال من لم يواس الاخوان عند دولته
 خذلوه عند فاقته وقبل له لم لا تجتمع الحكمة والملك فقال لعزال كمال وقال اذا
 أردت ان تدوم لك الالة فلا تستوفى الملتدأ بابل دع فيه فضلة تدوم لك الالة
 وقال غاية الادب ان يستحي المرء من نفسه وقال ما ألت نفسي الا من ثلاث
 من غنى افتقر وعز يزذل وحكيم تلاءمت به الجهاال وقال لا تطلب سرعة
 العمل وا تطلب تجويده فان الناس ليس يسألون فى كم فرغ من هذا العمل
 وانما يسألون عن جودة صنعة وقال اطلب فى الحياة العلم والمال تحز الرئاسة
 على الناس لانهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بما تحسن والعامه تفضلك
 بما تملك وقال عين المحب عمية عن عيب المحبوب وقال الحلم لا ينسب الا الى
 من قدر على السطوة والزهد لا ينسب الا الى من ترك بعدا المقدره وقال الحسن
 الخفاق من صبر على السيئ الخلق وقال أشرف الناس من شرفته الغضائل
 لا من يشرف بالغضائل وذلك ان من كانت الغضائل فيه جوهرية فهى تشرفه
 ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم تشرفه وقال الحياء اذا توسط وقف
 الانسان عما حابه واذا أفرطه وقفه عما يحتاج اليه واذا قصر خاع عنه ثوب
 التجميل فى كثير من احواله وقال لا تحب الذمير فان طبعك يسرق من طبعه
 ثم وانت لا تدري وقال من مدحك بما ليس فيك من الجليل وهو راض عنك
 ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك وقال رب مغبوط بنعمة

هي بلاؤه ورب محسود على حال هي دواءه وقال الامل خداع النفس
لا تستكثر من عشرة جملة عيوب الناس فانهم بيلة قطون ما غفلت عنه
ويقلونه الى غيرك كما ينقلون عنهم اليك وقال الافراط في النصيحة يوهنهم
بصاحبها كثير من المظنة وقال ليس ينبغي للرجل ان يشغل قلبه بما ذهب
منه ولو كان يعتني بحفظ ما بقي عليه وسئل عنده موته عن الدنيا فقال خرجت
اليها مضطرا وعشت فيها متحيرا وها أنا أخرج منها كارها ولم أعلم فيها انني لا أعلم
(ارسطاطاليس) وتفسيره تام الفضيحة قال سليمان بن حسان المعروف بان
حلجل في كتابه عن ارسطاطاليس انه كان فيلسوف اليونان وعالمها ونحيرها
ونخطيبها وطبيبها وكان أوحدا في الطب وغلب عليه علم الفلسفة قال المسعودي
وكان افلاطون يجلس فيستدعي من الكلام فيقول حتى يحضر الناس وربما
قال حتى يحضر العقل فاذا حضر قال تكلم وافقد حضر العقل (ومن) كلامه
وحكمه رغبته فيمن زهد فيك ذل نفس وزهدك فيمن يرغب فيك قصر همة
وقال الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره وقال الحاجة تفتح أبواب
الحيلة وانظر الى حديث يتهاون بالعلم فقال له انك لم تصبر على تعب العلم وصبرت
على شقاء الجهل وقال كفى بالتجارب تأديا وبالايام عظة وقال خير الاشياء
أجدها الا المودات وقال كلام البهجة موكل به الزلل وأعاد على تلميذه مسألة
فقال له أفهمت فقال التلميذ نعم فقال لا أرى آثار الفهم عليك قال وكيف
ذلك قال لا أراك مسرورا والدليل على الفهم السرور (جالينوس) وكان مولده
من بعد زمان المسيح بتسعة وخمسين سنة على ما أرخه اسحق بن حنين وأما قول من
زعم انه كان معاصره وانه توجه ليراه ويؤمن به فغير صحيح وقد أورد جالينوس في
مواضع متفرقة من كتبه ذكر موسى وعيسى وتبين من قوله انه كان من بعد
المسيح بهذه المدة التي تقدم ذكرها (ومن) ألفاظ جالينوس وحكمه ونواذره
ما ذكره حنين بن اسحق في كتاب نواذر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين
القدماء قال اللهم فناء القلب والغم مرض القلب ثم بين ذلك فقال الغم بما كان
والهم بما يكون وفي مواضع أخر الغم بمسافات والهم بمساوآت (ومن) كلامه
في العشق قال العشق استحيان ينضاف اليه طمع وقال لن واحكم تبدل تنزل
ولا تكن معجبا فتمتهن وقال الحياء مخوف المستحي من نقص يقع به عند من هو

أفضل منه وقال يتهيؤ للإنسان أن يصلح أخلاقه إذا عرف نفسه فان معرفة الإنسان هي الحكمة العظمى وذلك أن الإنسان لا فراط محبته لنفسه بالطبع يظن بها من الجليل ما ليست عليه حتى أن قوما يظنون بأنفسهم أنهم شجعان وكرماء ولا يسوا كذلك وأما العقل فيكاد أن يكون الناس كلهم يظنون بأنفسهم التقدم فيه وأقرب الناس إلى الذي يظن ذلك بنفسه أقلهم عقلا ورأى رجلا تعظمه الملوك لشدة جسه فسأل عن أعظم ما فعله فقالوا إنه حمل ثورا مذبوحا من وسط الهيكل حتى أخرجه خارجا فقال لهم فقد كانت نفس الثور تحمله ولم يكن لها في حمله فضيلة وقال إن العليل يتروح بنسيم أرضه كما تتروح الأرض الجردية ببيل القطر وقيل له متى ينبغي للإنسان أن يموت قال إذا جهل ما يضره مما ينفعه ومن كلامه أنه سئل عن الاختلاط الأربعة فقيل له ما قولك في الدموى فقال عبد ملوك وربما قتل العبد مولاه قيل له فما قولك في الصفراء قال كلب عقور في حديقة قيل له فما قولك في الباغم قال ذلك الملك الرئيس كلما أغلقت عليه بابا فتح لنفسه بابا قيل له فما قولك في السوداء قال هي بات تلك الأرض إذا تحركت تحرك ما عليها (ومن) ذلك قال أنا مثل لك مثلا في الاختلاط الأربعة فأقول إن مثال الصفراء وهي المرأة الحمراء كمثل امرأة سليطة صالحة تقيّة فهي تؤذي بطول لسانها وسرعة غضبها إلا أنها ترجع سريعاً بلا غائلة ومثل الدموى كمثل الكلب الكلب فإذا دخل دارك فعاجله أما ما أخرجه أوقته ومثل الباغم في البدن إذا تحرك مثل ملك دخل بيتك وأنت تخاف ظله وجوهره وليس يمكن أن تحرق به وتؤذيه بل يجب أن ترفق به وتخرجه ومثل السوداء في الجسد مثل الإنسان المحقر الذي لا يتوهم فيه بما في نفسه ثم يثب وثبة فلا يبقى مكرها إلا يفعله ولا يرجع إلا بعد الجهد الجهد (ومن) تمثيلاته الظريفة قال الطبيعة كالمُدعي والعلة كالمُخَصم والعلامات كالشهود والقسارورة والنُبض كالهيئة ويوم البحران كفصل القضاء والفضل والمرض كالمُتَوَكِّل والطبيب كالمُقاضي (ابن كلدان الثقفى) لما وفد على كسرى أنوشروا وأذن له بالدخول فلما وقف بين يديه منتصباً قال له من أنت قال أنا الحرث بن كلدان قال فما صناعتك قال الطب قال أعرابى أنت قال نعم من صميمها وبحبوحة دارها قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء أغذيتها قال أيها الملك إنه

اذا كانت هذه صفتها كانت احوج الى ما يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس
 ابدانها ويعدل أمشاجها فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ويميز موضع داءه
 ويحتز عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه قال كسرى فكيف تعرف
 ما تورده عليها ولو عرفت الحكم لم تنسب الى الجهل قال الطفل يناغي فيداوى
 والحمة ترقى فتهاوى ثم قال أيها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده
 كقسمته الرزق فيهم فكل من قسمته أصاب ونخص بها قوم وزاد قنهم ثم مثر
 ومعدوم وجاهل وعالم وعاجز وحازم ذلك تقدير العزيز العليم (قال) كسرى
 فما الداء الدوى قال ادغال الطعام على الطعام وهو الذي يغنى البرية ويهلك
 السباع في البرية قال أصبت قال فما العلة التي تظلم منها الادواء قال هي
 الخمة ان بقيت في الجوف قتلت وان تخللت أسقمت قال صدقت قال فما
 تقول في الخجامة قال في نقصان الهلال في صحولا غيم فيه والنفس طيبة والعروق
 ساكنة لسرور يفاجئك وهم يباعدك قال فما تقول في الخجامة قال لا تدخله
 شبعانا ولا تغش أهلك سكرانا ولا تقم بالليل عريانا ولا تقعد على الطعام غضبانا
 وارفق بنفسك تكن رخي البال وقلل من طعامك يكن أهني النومك قال فما
 تقول في الدواء قال ما لزمك الصحة فاجتنبه فان هاج داء فاحسه بما يردعه
 قبل استحكامه فان البدن بمنزلة الارض ان أصلحتها عمرت وان تركتها خربت
 قال فما تقول في الشراب قال أطيبه أهناؤه وأرقه أمراه وأعذبه أشهائه تشربه
 صرفا فيورثك صداعا ويشير عليك من الادواء أنواعا قال فاي اللحم ان أفضل
 قال الضأن الغني والمجدي الرضيع والقديد المسالخ مهلك لال كل واجتنب لحم
 الجذور والبقر قال فما تقول في الفواكه قال كلها في اقبالها وحين أوانها
 واتركها اذا أدبرت وانقضى زمانها وأفضل الفواكه الرمان والاترج وأفضل
 الرياحين الورد والبنفسج وأفضل البقول الهندباء والخس قال فما تقول
 في شرب الماء قال هو حياة البدن وبه قوامه ينفع ما شرب منه بقدر وشربه
 بعد النوم ضرر وأفضله أمراه وأرقه أصغاه قال فاخبرني عن اصل الانسان
 ما هو قال أصله من حيث شرب الماء يعني رأسه قال فما هذا النور الذي في
 العينين قال مركب من ثلاثة أشياء فالبياض شحمة والسواد ماء والناظر ريح
 قال فعلى كم شئ جبل وطبع هذا البدن قال على أربع طبائع المرة السوداء

وهي باردة يابسة والدم حار رطب والبالغم بارد رطب والصفراء حارة يابسة
 قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب
 ولم يمرض ولم يهلك قال فمن طبيعتين لو كان اقتصر عليهما ما قال لم يجز لانهما
 ضدان مختلفان يقتتلان قال فمن ثلاثة قال لم يصلح موافقان ومخالف فالاربعة
 هو الاعتدال والقيام قال فاجل لي الحار والبارد في أحرف جامعة قال كل حار
 حار وكل حار مض بارد وكل حريف حار وكل مرمة متدل وفي المرتحار وبارد
 قال فما أفضل ما عوجج به المرة الصفراء قال كل بارد ابيض قال فالمرة السوداء
 قال كل حار ابيض قال فالبالغم قال كل حار يابس قال فالدم قال انوجه اذا زاد
 (الشيء بالشيء يذكر) كنت أنشدت سيدي القاضي صدر الدين علي بن القاضي
 أمين محمد بن الادمي قول بعض الفضلاء وهو

أصبحت تخرجني بغير جريسة * من دار كرام لدار هوان
 كدم الفصاد يراق ارضل موضع * أبدا ويخرج من أعز مكان
 (فأنشدني) لنفسه بعد أيام

قد كنت مثل دمي صدقت أجله * وأعزّه لابان عن جثمانى
 لما فسدت وزدت لم آمن على * روحى فصارت عليك بالهجران
 (رجع) قال فالرياح قال بالمحقن اللينة والادهان الحارة اللينة قال أفتأمر
 بالمحقنة قال نعم قرأت في بعض الكتب للحكماء ان المحقنة تنقى الجوف وتكسح
 الادواء عنه والعجب ممن احتنن كيف يهرم أو يعدم الولد وان الجاهل كل الجاهل
 من يأكل ما عرف مضرته ويؤثر شهوته على راحة بدنه قال فما الجمية قال
 الاقتصاد في كل شيء فان الاكل فوق المقدار يضيق على الروح مساحتها ويسد
 مسامها قال فما تقول في النساء واتبائهن قال كثرة غشيانهن رديئة واتبائهن
 واتبان المرأة المسنة فانها كالشن البالى تجذب قوتك وتقم بدنك وماؤها سقم
 قاتل ونفسها موت عاجل تأخذ منك الكل ولا تعطيك البعض وانشابة
 ماؤها عذب زلال وعناقها غنج ودلال فوها بارد ورطبها طيب وهنها ضيق
 تزيدك قوة الى قوتك ونشاطا الى نشاطك قال فايهن القلب اليها أميل والعين
 برؤيتها أسر قال اذا أصببتا المديدة القامه العظيمة الهامه واسعة الجبين
 قناة العين كحلاء لعساء صافية اتخذ عريضة الصدر مريحة النحر في خدوها

رقة وفي شفتيها لحم مقرونة الحاجبين ناهدة اللدين لطيفة الخصر والقدمين
 بيضاء فرعاء جمدة غضة بضعة تحالها في الظلمة بدر ازاهرا تبسم عن أقحوان وعن
 ميسم كالارجوان كأنها بيضاء مكنونة البين من الزبد وأحلى من الشهد
 وأزهى من الفردوس والخلد وأذكر ريحان الباسمين والورد تفرح بقربها
 وتسرك المخلوة بها قال فضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه قال ففي أي
 الاوقات اتبناها أفضل قال عند اذار الليل يكون الجوف أخلى والنفس
 اهـدى والقلب أشهى والرحم أدنى فان أردت الاستمتاع بها نهارا التمرح
 عينيك في جمال وجهها ويحتنى فوك من ثمرات حسناتها ويحى سمعك من حلاوة
 لفظها وتسكن الجوارح كلها اليها فتجنب الشبع ووقت القبلولة وهيجان
 الدم قال كسرى لله درك من اعرابي لقد أعطيت علما ونخصت فطمة
 وفيها وأحسن صلتها وأمر بتدوين ما نطق به (تياذوق) كان في دولة
 بني أمية وصاحب الحاج بن يوسف الثقفي وخدمه بصناعة الطب ومن وصيته
 له لا تأكل حتى تجوع ولا تذكرهن على الجماع ولا تحبس البول وتحذرن
 الحمام قبل ان يأخذ منك وقال له أربعة تهدم العمرور بما قتلن دخول
 الحمام على البطننة والجماعة على الامتلاء واكل القديد الجاف وشرب الماء
 البارد على الريق وجماعة الجحوز ببعيد منهن وقيل ان بعض الملوك لما رأى
 تياذوق شاخ وكبر خشى ان يموت ولا يعتاض عنه لانه كان أحذق الامة في وقته
 بالطب فقال له صف لي ما أعتمد عليه فأسوس به نفسي وأعمل به أيام حياتي
 فليست آمن من أن يحدث عليك حادث الموت ولا أجهد مثلك فقال تياذوق أيها
 الملك أقول لك عشرة أبواب ان عملت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك وهي لا تأكل
 طعاما وفي معدتك طعام ولا تأكل ما تضعف أسنانك عن مضغه فتضعف معدتك
 عن هضمه ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين فان أصل الداء التخممة
 وأصل التخممة الماء على الطعام وعليك بدخول الحمام في كل يوم مرة واحدة فانه
 يخرج من جسمك ما لا يصل اليه الدواء وأكثر الدم في بدنك تحرس به نفسك
 وعليك في كل فصل بقميئة ومسهلة ولا تحبس البول وان كنت راكبا وأعرض
 نفسك للخلاء قبل نومك ولا تكثر الجماع فانه يقتبس منك ماء الحياة فلتكثر وتقل
 ولا تجامع الجحوز فانه يورث موت الفجأة فلما سمع ذلك أمر كاتبه ان يكتب هذه

لألفاظ بالذهب الأحمر ويضعه في صندوق من ذهب مرصع بالجواهر وبقي يتظر
 إليه في كل يوم ويعمل به فلم يعتل مدة حياته حتى جاء الموت الذي لا بد منه
 لا يحصى عنه (بختيشوع) طبيب الرشيد من كلامه أربعة تهمدم العمرادخال
 لطعام على الطعام والشرب على الريق ونكاح الجوز والتمتع في الحمام
 (يوحنا) بن ماسويه ومن كلامه وقد سئل عن الخير الذي لا شرمه فقال شرب
 التليل من الشراب الصافي ثم سئل عن الشر الذي لا خير معه فقال نكاح الجوز
 (يعقوب) بن اسحاق الكندي فيلسوف العرب ومن كلامه ما أوصى به لولده أبي
 العباس قال الكندي يا بني الابرب والاخ فغ والعم غم والنخال
 وبال والولد كد والاقارب عقارب وقول لا تصرف البلاء وقول نعم تزيل
 النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف
 فيفتقر فيبغتم فيقتل فيموت والدينار محموم فان صرفته مات والدرهم محبوب
 فان أنجزته فر والناس سحرة تخذ شيثهم واحفظ شيثك ولا تقبل ممن قال ان
 اليمين الغابرة تدع الديار بلاقع (أوح-د الزمان هبة الله أبو البركات) ابن علي
 كان يهوديا وأسلم ومن حذقه أن مر يضا كان ببغداد قد عرضت له علة الماء
 ليخوابه وكان يعتقد أن على رأسه دنا وانه لا يفارقه أبدا فكان كلما مشى يتخايل
 أن المواضع سقوفها قصيرة ويمشي برفق ولا يترك أحدا يدايدنومه حتى لا يعيل
 الدين عن رأسه أو يقع وبقي هذا المرض مدة وهو في شدة منه وعالج به جماعة من
 الأطباء ولم يحصل من معالجاتهم ثم تأثير ينتفع به وأنهى أمره إلى أوح-د الزمان
 ففكر أنه ما بقي شيء يمكن أن يبرأ به إلا بالأمور الوهمية فقال لاهله إذا كنت في
 الدار فأتوني به ثم ان أوح-د الزمان أمر أحد غلمانه بأن ذلك المريض اذا دخل
 إليه وشرع في الكلام معه وأشار إلى الغلام بعلامة بينهما ان يصرع بخشبة
 كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدين الذي
 يزعم انه على رأسه وأوصى غلاما آخر وكان قد أدمعه دنا في أعلى السطح أنه
 متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأسه أن يرمي الدين الذي عنده بسرعة إلى
 الأرض ولما كان أوح-د الزمان في بيته وأتاه المريض فأقبل إليه وقال له والله
 لا بد لي أن اكسر الدين وأريحك منه ثم أدار تلك الخشبة التي معه وضرب بها فوق
 رأسه بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام الآخرة الدين من أعلى السطح فكانت له

وحجة عظيمة وتكسر قطعا كبيرة فلما طاب المريض ما فعل به ورأى الدن المتكسر تأوه لكسرهم اياه ولم يشك فيه انه الذي كان على رأسه بزعمه وأثر فيه الوهم أثرا أبرأعته من تلك وهذا باب عظيم في المداوة (العنترى صاحب النور المجتبى) كان طبيبا مرسما مشهورا وعالمنا مذكورا وافر الفضل فيلسوفيا متبصر في علم الادب ومن كلامه الجاهل عبد لا يعتق رقه الا بالمعرفة وقال الحكمة سراج النفس فتى عدمتها عيت النفس عن الحق وقال الادب أزين للثمن من نسبه وأولى للرم من حسبه وأدفع عن عرضه من ماله وأرفع لذكره من جاله وقال من أحب ان ينوه باسمه فليكثر من العناية بعلمه وقال الجاهل يطلب المال والعالم يطلب السكال وقال الغم ليل القلب والسرور نهاره وشرب السم أهون من معاناة الهم (ومن شعره)

لو كنت تعلم كل ما علم الورى * جمال كنت صديق كل العالم
 لكن جهات فصرت تحسب كل من * يهوى خلاف هواك ليس بعالم
 (يحيى بن اسحق) كان طبيبا ذكيا وعالمنا بصيرا بالعلاج صانعا بيده وكان في دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره ونقل عنه من حدقه انه أتى اليه بدوى على جاره وهو يصيح على باب داره أدركوني وكلوا الوزير بخبري فلما خرج اليه قال ما بالك فقال له ورم في احليلي منعني النوم منذ أيام كثيرة وأنا في الموت فقال له اكشف عنه فاذا هو ورم فقال لرجل كان قد أقبل مع العليل أطلب لي حجرا أماس فطابه فوجده فقال ضعه على كفك وضع عليه الاحليل فلما مكن احليل الرجل على الحجر جرح الوزير يده وضرب على الاحليل ضربة غشى الرجل منها ثم اندفع الصيد يدبحرى فلما استوفى الرجل صديد الورم فتح عينيه ثم بال البول في أثر ذلك فقال له اذهب فقد برئت علك وأنت رجل عايت واقعت بهيمة في دبرها فصادت شهيرة من علقها في عين الاحليل فورم لها وقد خرجت في الصيد ففعلت هذا وأقر بذلك وهذا يدل على حدس صحيح وقريحة صادقة (ابن جميع الاسرائيلي) من اطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي في أيامه وكان رفيع المنزلة نافذا في الامر ونقل عنه من حدقه انه كان جالسا في مكانه وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح يا اهل الميت وذكريهم

ان صاحبهم لم يمت وانهم ان دفعوه فانما يدفنونه حيا فصاروا ناظرين اليه
 كالمتجهمين من قوله ولم يصدقوه فيما قال ثم انهم قال بعضهم هذا الذي يقوله
 ما يضرنا اتانا تخنه فان كان حيا فهو الذي نريده وان لم يكن حيا فاي تغير علينا
 شيء فاستدعوه اليهم وقالوا بين الذي قلت لنا فامرهم بالمسير الى البيت وان
 يتزرعوا عنده كفاؤه وقال لهم املوا الى الحمام وسكب عليه الماء الخارفا حتى
 بدنه ونطاله اطولا وغطاه فرأى فيه أدنى حس وتحرك حركة خفية فقال ابشروا
 بعافيتيه ثم تم علاجه الى ان افاق وصلى فكان ذلك مبدءا لاشتهاره بجودة
 الصنعة والعلم وظهرت عنه ثم انه سئل بعد ذلك من أين علمت حال ذلك الميت وهو
 محمول وعليه الاكفان ان فيه روحا فقال اني نظرت الى قدميه فوجدتهما
 قائمتين وأقدام الذين قد ماتوا تكون منبسطة ففدست اني حي وكان حديسي
 صائبا والله أعلم (الحكيم صدقة السامري) هو الفاضل صدقة بن منجا
 ابن صدقة ويعرف بابن الشاعر من الاكابر في صناعة الطب والمتميزين من أهلها
 والامثال من أربابها خدم الملك الاشرف موسى بن العادل بن أيوب الى أن توفي في
 خدمته وكان يحترمه غاية الاحترام ويكرمه غاية الكرام وخلف من الكتب
 عشرة آلاف مجلدة غير كراريس وأوراق مفردة تفدي ألف مجلد (ومن
 كلامه) انظر الموت بعين عقلك تراه قريبا ولا تراه بعين أملك تلحظه بعيدا وقال
 العلم شجرة في القلب تزرع ومن السنة ان تظهر ثمارها وقال أنت بنفسك قريب
 من موجدك ومكونك وبشهوأتك وعصيانك أنت بعيد من ربك (ومن نظمه)
 يا ابن قسيم أصبحت تنحل النحل... وودعواك فيه منحو له
 أمك ما بالها قل وأجب * مرفوعة الساق وهي مفعولة
 فاعلمها الاير وهو منتصب * مسائل قد أتتك مجهولة
 والعين عطل وعين عصعصها * بنقطة الخصيتين مشكولة

(وله)

شيخ لنا من عظمه داهيه * مامله في الامم الخاليه
 مهندس في طول أيامه * مع قصره يبتاع الساقيه
 مثلث بدعته قائم * لانه منفرج الزاويه
 (نقلت) من خط المرحوم نضر الدين بن مكانس كتيب صاحبنا نضر الدين

عبد الوهاب كاتب الدرجة الشريفة - رحمه الله الى ابن صغير الم طبيب وقد دعاه
في مرضه ودخل الى الطهارة فعر في طست الحقنة فاخذت رجله رقعة يداعبه
بها اولها * الشيء بالشيء يذكر * توجه سيدي بالامس مخضب القدم من هيولاه
ذاماً من محله المعه ورأسه منه تولاه وما كان من حقه في أمسه تكدير نفسه
ولكل شيء أفة من جنسه هذه مسئلة عركها أكبر منه بجبين واشتغل بها
اشتغال ذي النحيين وأظنه قبل قدمه فخرج على تلك الصورة أو بعض
أجزائه خلع صورة ولبس صورة (مفرد)

فتي غير محبوب الندي عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
على انه أكثر محافظة وودا وأرعى ذمة وهذا كم أحرقته نار وجد الى أو طانه
وازعجته من مكانه وهو لا يظهر الاحبا ولا يطلب منه الاقربا
لا شك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحدة

وبالجملة فانا أسأل الله ان يكفيه سوء هذه المحنة كما كفى شمائله الطيفة
شرا لابنه انه مجيب الداء ولي المنه (حكى) ان بعض الاطباء كان في بعض
خدمة الملوك في غزوة ولم يكن معه وقت النصره كاتب يرسل فتقدم الى
الطبيب ان يكتب الى الوزير يعلمه بذلك فكتب الطبيب أما بعد فانا كأمع
العدو في حادثة كدائرة البيمارستان حتى لورميت مبضع الم يكن الاعلى في فعال
فلم يكن الا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو وبحران عظيم فهلك الجميع
بسعادتك يا معتدل المزاج (قلت) ما رأيت أحسن من هذا ولا أوجز (ووجدت)
بخط طبيب على بعض الكتب طالعت هذه النسخة فوجدتها تأن سقما
فما تجتمها بالمقابلة الى ان تمسايات للصحة ولبعضهم يهجو طبيباً يهودياً
قالوا اليهودي أخو حكمة * لازالت الامراض في كائنه
لو كان ذا النخس أخا حكمة * أزال دا الصفراء من رأسه

(وما أطف قول الشيخ زين الدين بن لوردي مضمناً)

يا من يطيب قوما ثم يهملهم * يوما بماذا عداك الشر تعتذر
اذ كر فلان الذي أسهله سحرا * ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا

(ولا آخر) (مفرد)

حكيم لطيف من لطافة وصفه * يود المعافي السقم حتى يعود

(كتب) المرحوم الوزير فخر الدين بن مكانس الى ابن صغير في بعض مرضاته
يسرع المولى عند الوقوف اليها نقل الخطوه ولا يتأخر فان القوة على الضعيف
ضعف في القوة فجاء في على عادته

تعدوا المايا فاستنفل واقفة * حتى تراه على عزم فتتبعه
فحين رأني من الهريرة كالرديد وشاهد ما بي من البرد قال ما أراك إلا جليد
فقلت له معالجة أم محاجة ومناجحة أم مجازجة ومطايبة أم مداعبة
واستوصفته فخرى على المعهود منه في الجهل بما يقول وعدم التمييز بين
المعقول والمنقول ولكن الظالم على نفسي والمشكك في حسي فاني أعهد له
ليرذل مميت الأحياء ومقفر الأحياء فكم له بالديار المصرية من قتلى وأوراقه
للرضى أشتر من أوراق الدفلى كم شاب عاججه فأكسبه الصرع الفالج
ولان يسمى مصارعا ليق به من معالج ثلاثة تدخل في دفعه طلعتة والنش
والغاسل لكنه مع ذلك ممن يجمع بين الاقران ويعمل المحرم في رمضان قد ملك
قياد القيادة على الغنين وطالت فيها مدته فاستحق ان يدعى بذى القرنين
فاستعذت بالله من الشيطان وسرحته باحسان (كتب) القاضي الفاضل
في السكك الذين يباكرني كل عبري العناصر يعريني بالرجمة على بخت ناصر
كانه غاسل يدخل الى انسان العين بخرطة من كحله الملعون ويدرجه في كف
من الخرق السوداء التي يلبسها سواد العيون مردودة عصية ولديها عصي المعصية
بنقل العين الى بيض الثغور ويساها الى قد انتهت الى فوق ما ضرب به
المثل اذ قيل يسرق السكك من العين وهذا يسرق العين من السكك فهذا
وأمثاله اص من اللصوص وسماوا كحالين وهم صاغة لما يصوغون ويركبون
فوق العون من الفصوص بل دباغون يدبغون الجفن أيضا وما بعدوهم مهك
الدباغ بل صباغون يصبغون الاسود ابيض وليس ذلك الصباغ قد اودعوا
حزن يعقوب في كحلهم - م مكحلهم - فن كحل به ابيضت عيناه ومجدوا معجز
القميص اليوسفي فلومرتوا به على ناظر ما انفجرت جفناه واذا رفعوا أميالهم - م
فانما هي لنمس العيون مزولة واذا أوج أحد - م الميل في المكحلة فهو أولى
بالرحم من أوج الميل في المكحلة وما يؤم أهل الكتاب في التبدل بواحد
ولاخطاهم طريق الى الغي غير راشد فيوما محروا آية النبي صلى الله عليه وسلم

من التواريق وهي مسفرة ويومضوا آية النور من الابصار وهي مسفرة ولاخير
فيهم عاربوا فمضوا بالامس المخطوط من الاوراق واستداموا الى اليوم فمضوا
المخطوط من الاحداق (كتب) الحكيم شمس الدين بن دانيال الى السراج
الوراق قطعة كحل اصفهاني

قل لعين الامائل الاعيان * ومحل الانسان للانسان
نخذه كحل مثل السيوف جلاء * وصق الاروق في الاجفان
حجر كسره أجل من الاكسير * فعلا في العين أوفى العيان
ألفاء ين تقيها حبة منه * قياسا يصح بالبرهان
ان تعظم مثاله في حجاز * فلهذا التعظيم في اصبهان

* (الباب الثالث والثلاثون في الحساب والوزراء) *

اعلم ان الوزير مشتق اسمه من جعل الوزير عن خدمه وجعل الوزير لا يكون
الا بسلامة من الوزير في خلقة وخلقه أما في خلقة فانه يكون تام الصورة
حسن الهيئة متناسب الاعضاء صحيح الخواس وأما في خلقة فهو ان يكون
بعيد الهمة سامي الرأي ذكي الذهن جيد الخدس صادق الفراسة رحب
الصدر كامل المروءة عارفا بوارد الامور ومصادرها فاذا كان كذلك كان
أفضل عدد المملكة لانه يصون الملك عن التبذل ويرفعه عن الدناءة ويغوص
له على الفكرة ومنزلة منزلة الآلة يتوصل بها الى نيل بغيته ومنزلة الذي يحرز
المدينة من دخول الآفة ومنزلة التجارح الذي يصيد لطعمة صاحبه وليس كل
أحد وان صلح له هذه المنزلة يصلح لكل سلطان ما لم يكن معروفا بالاخلاص لمن
خدمه والمحبة لمن استنصحه والا يثار من قربه وقال الثعالبي في يواقيت
المواقيت الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروءة وهي تلوا الملك والامارة
والرتب العليا والدرجة الكبرى بعدهما قال منصور النخري يمدح يحيى
البرمكي

ولو علمت فرق الوزارة رتبة * تنال عجب في الحياة انالها
والانبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن الوزراء فكيف الملوك والامراء وقد نطق
القرآن بوزارة هرون موسى عليهم السلام في قوله تعالى رب اشرح لي صدري

ويسرني أمرى واحال مقدمة من اساني بفقها و اقولي واجعل لي وزيراً من أهلي
هرون أخى اشد ديه أزرى وأشركه في أمرى ثم قال في نظام الآية السريعة
وعلى نسق الكلام قد أوتيت سؤالك يا موسى فدل على انه جعل له وزيره
وصاحب سره وشريكه وافصح من حسن موقع الوزارة وجلالته ووقوع الحاجة
اليها وكان آصف بن برخيا وزير سليمان بن داود عليهما السلام والمستولى
على أموره وكان نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول ان لي وزيرين من أهل
السماء ووزيرين من أهل الارض فأما اللذان من أهل السماء فخيريل
وميكائيل عليهما السلام وأما اللذان من أهل الارض فأيوبكر وعمررضي الله
عنهما وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بملك خيراً قيص له وزيراً صالحاً
ان نسي ذكره وان نوى خيراً أعانه أو أراد شراً كفه وكان أنوشروان يقول
لا يستغنى أعلم الملوك عن الوزير ولا أجود السيوف عن المصقال ولا أكرم
الدواب عن السوط ولا أعقل النساء عن الزوج

(فصل فيما ينبغى للوزير ان يأتيه) اعلم ان الملوك لا يشبهون الا تميمين الا بالصور
فأما بالطباع والاخلاق والهمم فلا لانهم لا يشاء كلونهم ولا يشابهونهم والملك
وان كان كريماً سخياً بعيد الهمة كثيراً المحاسن فانه لا يخلو قط من أربع خصال
الحسد والحقد والملا والحرص على المال فينبغى ان يكون الوزير أعقل
الناس وأخزمهم وأدهاهم وأبعد غوراً فيجب عليه ان يدارى أخلاق الملك
كما يدارى السباح الماء المغرق والوالدان أولادهم الصغار والمحاوى الحية
ويتحفظ من غائلته كما يتحفظ من السبع والنار القوية والمجنون الذي بيده
السيوف المسلول ويجب أن لا يملك ما يصلح للملك من الاعلاق النفيسة الا ما في
نفسه ان يهديه اليه ويخدمه به وينبغى له ان يظهر ويشيع جميع ما يملكه
وتحويه يده للملك وانه انما يملكه ويحفظه من اجله ويجب عليه ان لا يصرف
في الاهداء ولا يتخرق في بذل ما في يده وكما لا يشيع النار من الخطب لا يشيع
الملك من الاموال ولا بد للوزير من الاستظهار بالذخائر الخفية وقد قال الحكيم
لوزير كان يستكثر من اعتقال الضياع ويغالي به عليه كبحفظ الدنانير التي
تشتري بهار وروحك من الملك فربما فعل ألف دينار ما لا تفعله ضياع ومستهغل
بماتى ألف (ومن نكت هذا الباب) ان الملك يريد كل حسن وطيب لنفسه

ويستأثر به على والده وولده ولذلك يقال من ملك استأثر وكان معاوية يقول
وددت لو ان الدنيا في بيضة نيم رشت فأحسوها حسوة واحدة لا يشركني فيها
أحد (ودعا) الفضل بن مروان المعتصم الى داره واحتفل واحتشد في احسان
الدعوة فلما حضر المعتصم ورأى مروته وتجمله عمل فيه الحمد عمله فانقبض
ورؤى في عينه ولم ينشط لطعام ولا شراب وزعم انه يشتكى بطنه ففطن الفضل
لمسادهاه وأراد أن يوهبهم ان تلك الآلات مستعارة من دار أمير المؤمنين ليطلق
فأرحس به فقدم اليه وقال يا أمير المؤمنين انما استعرت أكثر هذه الاشياء من
دار أمير المؤمنين وقد أرهاقني الخزانون والفراشون باسترجاعها فان رأى
أمير المؤمنين أن يأمر بامهالي في ردها فقلت فضحك المعتصم وقال قل لهم
لا يسترجعونها اليوم ثم نشط للطعام والشراب (ومما ورد في تحنيها) قال المأمون
لا جد بن أبي خالد لك في ان أستوزرك فقال دعني يا أمير المؤمنين يكون بيني
وبين الغاية درجة يرجوها الصديق ويخافها العدو فليست أريد بلوغ النهاية
لئلا يقول عدوي قد بلغها وليس الا الانحطاط وكان ابراهيم بن المدبر اذا
أعرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابي

يلوم عني ترك الغنى بأهلية * طوى الدهر عنا كل طرف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن كالدماء * مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك ان قد نلت مانال جعفر * من الملك أومانال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصني * بغصتها بالمرهفات البوارد
ذريني تحببيني منيتي مطمئنة * ولم اتجشم هول تلك الموارد
وان عايات الامور مشوبة * بمستودعات في بطون الاساود

(فصل) في لطائف كلام الوزراء أبو سلمة الخلال وزير السفاح كان يقول خاطر
من ركب البحر وأشد منه مخاطرة من داخل الملوك (أبو عبد الله) وزير المهدي
يقول الرجال تحت السنة الاقلام خير الكاذم مادل وقل (يحيى بن خالد) وزير
الرشيد ما رأيت با كيا أحسن تبسم من القلم ما رأى أحد في ولده ما يحب الارأى
في نفسه ما يكره (الفضل بن يحيى) وزيره أيضا جرى بين يديه يوم مدح الناس أباه
بجوده فقال وما قدر الدنيا حتى يمدح من يجوده كلها فضلا عن بعضها
ولما عزل بأخيه جعفر قال ما انتقلت عنى نعمته صارت الى أخى ولا عزبت

هي رتبة طلعت عليه (جعفر بن يحيى) وزيره أيضا شتر المال مالزمك انتم مكسبه
 وحرم الاجرى انفاقه (الفضل بن الربيع) وزير الرشيد والامين كما يقول
 ما اظن النعمة الامسحوظا عليها امانتونها ابداء عند غير اهلها (الفضل بن سهل)
 وزير المأمون من توقيعاته الامور بتمامها والاعمال بخواتيمها والصنائع
 باستدامتها (اخوه الحسن بن سهل) وزير المأمون أيضا * عجبت لمن يرجو من فوقه
 كيف يحرم من دونه وقيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ومن
 كلامه لا يصلح للتصدير الا واسع الصدر (أحمد بن أبي خالد) وزيره أيضا بالاقلام
 تناس الاقاليم وكتب الى صديق له يستدعيه يوم الالتقاء قصير فأعن عليه
 بالبكور وكتب الى المأمون مع هدية بعثت الى أمير المؤمنين قليلا من كتبه
 (محمد بن يزيد) وزيره أيضا ليس في الحب مشورة ولا في الشهوات خصومة ومن
 توقيعاته أبواب الملوك معادن الحاجات وليس لاستنجاحها الا الصبر والملازمة
 (الفضل بن مروان) وزير المعتصم الكاتب كالدولاب اذا تعطل تكمر * ما رأيت
 أقرب رضى من سخط ولا أسرع ما بين قرب وبعد من الملوك (محمد بن الفضل
 الجرجاني) وزير المتوكل عاتبه المتوكل يوما على اشتغاله بالملاهى فقال يا أمير المؤمنين
 ان مقاساة هموم الدنيا لا تنأى الا باستجلاب شئ من السرور (سليمان بن وهب)
 وزير المهدي * انى اغار على اصدقائى كما اغار على حرمى ونظر يوما فى المرأة فرأى
 شيئا كثيرا فقال عيبا لا عد مناه (الحسن بن محمد) وزير المعتد كان يقول
 أعوذ بالله من نحس الاربعاء وخذ الواحد وكان يقول أمرا مثل النسيان فى جملة
 ويذهب جملة فلم لا يتجمل الذات قبل فوتها ويتمتع بصفه والزمان قبل كدره
 (صاعد بن محمد) وزير المعتد الموفق * النفس اسل لا عوض عنه والمال فرع
 يعود اذا شرب عما قليل المنع الجميل أحسن من المظل الطويل (أبو الحسن بن
 الفرات) وزير المقتدر * ما أريد الوزارة الا لصديق أنفعه أولعد وأوقعه وكان
 يقول انى لا ألف كل شئ حتى الطريق ومن كلامه ما رأيت أحدا على بابى وفى
 دارى ليس لى عنده احسان الاستحييت منه وصرفت غاياني الى ارفاقه
 وتحصيل مراده ولولا حب المروعة ما رغبت فى الرياسة والوزارة (أبو علي بن مقالة)
 وزير المقتدر والقاهر والرضى كان يقول اذا أحببت تهالكى واذا أبغضت
 أهلكى واذا أرضيت أثرت واذا غضبت تأثرت وكان يقول أنا فى وزارى

أقدم على العظام كلها الاعلى اثنتين ازالة النعم وهتك المحرم (أبو جعفر
 أحمد بن سیرزاد) وزير المستكفي * الأصاغر يهفون والا كابر يعفون اياك
 والا فراط الممل والتفريط المخل (أبو عبد الله الجبائي) الكبير وزيره أيضا
 كان يقول جمال المرء في لسانه وجمال المرأة في عقلها ومن كلامه حسن الذكر
 ثمرة العمر (أبو الفضل بن العميد) وزير ركن الدولة * خير القول ما أغناك بذه
 وألهاك هزله العاقل من أفصح من كل أمر خائمه وعلم من بدء كل شيء عاقبته
 (الصاحب) أبو القاسم بن عباد وزير فخر الدولة وعد الكرم الزم من دين الغريم
 قد يبلغ الكلام حيث يقصر السهام الا مال ممدوده والانفاس معدوده
 ومن كلامه يا أسفى على رداء من الايام رقيق ما لبسناه حتى خلعناه وروض من
 الزمان مريع ما حللناه حتى فارقناه (قلت) لم أسمع في رقة العيش أطف من قول
 الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى رحمه الله تعالى

لست انسى رقة العيش الذى * زادنى الرقة حتى انقطعا

(رجع) أبو نصر بن أبي يزيد الراضى قال فى امتهابه لبعض الاعداء ما عسى ان
 يبلغ عض النملة وأسع النحلة ووقع البقرة على النحلة ومن كلامه الهدية ترد
 بلاء الدنيا والصدقة ترد بلاء الاخرة (أبو اسحق) ابراهيم بن حمزة وزير ابي على
 السمجورى قال ينبغي للأصاغر أن يتقدموا على الاكابر فى ثلاثة مواطن
 اذا ساروا ليلا واذا خاضوا سبلا اولقوا خيلا (أبو الحسن الاهوازى) العدل
 أقوى جيش والامن أهنى عيش الا نحن حصدا لمحن (عبد الله بن يحيى بن
 خاقان) كان يقول اذا دهانا أمر تمثلنا فى أصعب حالاته فانقص منه كان سرورا
 بتجمله (نقلت) من تاريخ الصاحب كمال الدين بن العديم وهو نار يخه الكبير
 المسمى بغيبة الطاب فى تاريخ مدينة حلب بسنده الى يحيى بن خاقان قال
 حضرت الحسن بن سهل وقد جاءه رجل يستشفع به فى حاجة فقضاها فأقبل
 الرجل يشكره فقال له الحسن بن سهل على م تشكرنا ونحن نرى ان للجهاز كاة
 كما أن للسالز كاة ثم أنشأ يقول

فرضت على زكاة ماملكت يدي * وزكاة جاهى أن أعين وأنفعا

فاذا ماملكت فدفان لم تـتـطـع * فاجهد بفضلك كاه ان تشفعا

(الصاحب) عون الدين يحيى بن هبيرة وزير المستنجد صاحب كتاب الافصاح حكي

عنه انه لما أدركته الوفاة أغنى عليه ثم أفاق فوجد أهله يبكون فقال ما شأنكم فقالوا بكينا لكونك خدمت الملوك والخلفاء فقال منذ دخلت في عمل السلطان الى يومى هذا ما نجات أحدا من خلق الله وأرجو من كرم الله تعالى انه لا ينجل هذه الشبهة

(فصل في لطائف هذا الباب قال بعض الفضلاء

غزال قد غزا قلبي * بأحماظ واحد اداق
له المثلثان من قلبي * وثلاثا ثلثه الباقي
وثلاثا ثلث ما يبقى * وثلاث الثلث للساقي
وتبقى أسهم ست * تقسم بين عشاق

هذا الشاعر قسم قلبه الى أحد وثمانين سهما جعل المحبوبة منها الثلثين وذلك أربع وخمسون سهما يبقى الثلث وهو سبع وعشرون زاده ثلثيه وذلك ثمانية عشر فله اثنان وسبعون يبقى ثلث الثلث وهو تسعة زاده منها ثلثي ثلثها وهو اثنان بقی من الثلث واحد أعطاها للساقي بقی من التسعة ستة قسمها بين العشاق فحصل المحبوبة أربعة وسبعون سهما وللساقي سهم وللعشاق ستة الجميع أحد وثلاثون (وقال) ابو عبد الله محمد بن جابر المغربي نزيل حلب المحروسة قسم القلب في الغرام بالمحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه هذه في هواه يا قوم حالى * ضاع قلبي ما بين ضرب وقسمه (وقال) شيخنا عز الدين الموصلى

نسبة قلبي للهوى قسمت * فكرى وكم للعين من ضربه
ضاع حسابي ولقيت الاسى * بالضرب والقسم والنسبة

(وقال) الصلاح الصفدى

علمت مع الزمان حساب بعدى * وسقت الاصل من يوم الفراق
وكنت أظننى غلفت قسطى * فقد طاعت على له يواقي

(وأنشدنى) نضر الدين بن مكانس انفسه مضمنا

عمات مالى ارتفاع مسته غلط * الحاصل راح في مضمونه مالى
وكما نلت من عزم ومن تكدد * من غفاتي وبوالى سوء أعمالى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه فى زكبة حصلت له وأجاد

(١١٦)

وماتعلقت في السرياق متكسا * بجرمة أوجبت تعذيب ناسوتي
لكنتي مذنبت السحر من كلي * عذبت تعذيب هاروت وماروت
(وقال) المعاري

ولي رفيق جهول * خالي من الآداب
أقول لما أراه * في جملة الكتاب
سبحان رازق هذا * رزقا بغير حساب

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

لغلا في الديوان صورة حاضر * وكأني من جملة الغياب
لم يدبر ما تخرومه وجريده * سبحان رازقه بغير حساب
(وأشدني) الشيخ المحدث لفصيح البارع الرحال غرس الدين خليل الافتعسي
لابن حربي المغربي

يا ناصبا علم الحساب جمالة * لئن اصابني ساحر الالجاب
ان كنت ترزق بالحساب وصاله * فالله يرزقنا بغير حساب
وما أطرف قول حسام الدين الحاجري

صح حساب السحر من طرفه * اذ كان في جفنيه جمع الكسور
(وقال) ابراهيم المعمار واطف

ومليح قال صفني * لازداد سرورا
كم حوى جفني معني * قات ألفا وكسورا

(وقال) التقي السروجي

خدمت بذاك الوجه للثغر ناظرا * لعلني أمسي واليا من ولاته
وأصل حسابي ضبط حاصل وصله * وتقبيله مستخرج من جهاته
(وقال) برهان الدين القيراطي

خدمت بالأغرا لآبوابه * لما تبدي حسنه الباهر
ولي من الدمع على خدمتي * جارية أطلقها الناظر

(وقال) ابراهيم المعمار

مولانا الوزير ندى بأس * واحسان به سمعت حياتي
فيرضينا بالفساد وكذب * محالات على كل الجهات

(وظرف) ابن الوردى فى قوله

وكنـت اذا رايت ولو بحوزـا * تـادر بالقيام على الحراره
فأضـحى لا يقوم لبـدر تمـ * كأن النـحس قد أعطى الوزاره

* (الباب السابع والثلاثون فى كتاب الانشاء وهو فصلان) *

(الفصل الاول) فيما يحتاج اليه كاتب الانشاء من الاخلاق والادوات والآلات
(الفصل الثانى) فى اعيان كتاب الانشاء قديما وحديثا ونبذة مما لهم من المسكاتبات
(الفصل الاول) قال أبو حيان التوحيدي يجب على الكاتب ان يكون
حافظا لكتاب الله تعالى لينتزع من آياته وأن يعرف كثيرا من السنة والاخبار
والسير حافظا لكثير من الرسائل والكتب وان يكون متناسبا الالفاظ
متشبا كل المعانى متشابه الخط ذكيا عارفا بما يحتاج اليه خيرا بالحقى والشيآت
مضططعا لعب الكتابة له يد فى السواد وعمل فى الحساب وان يكون له يد فى عمل
الشعر تطيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام لقيق الدواة حاد
السكين صقيل الكاغد صلب الاقلام متوددا الى الناس مخاطبهم غير
متكبر عليهم ولا منقبض منهم دمث الاخلاق رقيق الحواشى ترف الاطراف
عذب المجابا حسن المحاضرة ملبج النادرة غير قنف ولا متعجرف ولا متكاف
للالفاظ الغريبة ولا متعسف اللغة الغويصة انتهى كلام أبي حيان (وقال)
أبو المحسين محمد بن أحمد أظنه قدامة منزلة الكاتب التى يستحق بها أن يكون كاتباً
فى قوله وفيه له ومحاورته وفطنته وججاجه وأن يكون مطبوعاً على المعرفة
محنكاً بالتجربة عالماً بحلال الكتاب والسنة وحرامها ومتشابهها وناسخها
ومنسوخها وبالازمنة والادوار فى اختلافها وتعاقبها وبالمملك فى سيرها
واقدارها وبالمخطوط وانسابها واقلامها فى تصاريقها وجهاتها وبوادي
الكلام ومقاطيعه فى فوائح الوصف وخواتم الوقف وفصول التمام ورسوم
الكتب واقدار الرجال وتأليف الاوصاف ومشاكل الاستعارة واثبات
المعنى بشككه من القول والعلم بالنظائر والاشباه والنسب بالشواهد والامثال
حتى ينصب البيان أشخاصاً ماثلة ويقم للقول صرراً ناطقة تنبئ عن احواله
وتدل على منازلها مع التخلق باخلاق الدين والتعلى بحلمة الكرم واثبات محاسن

الامور والاجال في الصبر والطلاقة ولبسة اللب والوفاء واجتناب الدنانا
والنقائص في الشره والارثشاء والقلق والضجر والمخفة والسفه (وقال) محمد
ابن ايوب بن سليمان عميد الرؤساء وابوطالب وزير للقائم حال كونه اولى عهد
كان مترشلا يبلغامة فنما صنف كتابا في الخارج وهو القائل الكتاب سبعة اولهم
الكامل الذي ينشئ ويعمل ويكتب الثاني الاعزل وهو الذي ينشئ ويعمل
ونخطه ردى الثالث المبهم الذي يكتب خطا مباحا ولا يدل في الانشاء
الرابع الرقاعي يجيد درعة يكتبها ولا حظ له في التطويل الخامس المختل
وهو الذي له حفظ ورواية ويجوز عن الانشاء فهذان ديم السادس المختلط
وهو الذي يأتي بالدارة والبعرة ويقرن بينهما السابع السكيت شبه المتأخر
في الجملة فرجما جهده نفسه وأتى بمعنى توفي سنة ثمان واربعين وستمائة
(وقال) الشيخ الامام سيد كتاب الانشاء شهاب الدين ابو العباس احمد بن
فضل الله العمري في كتابه الذي سماه سالك الا بصار في سالك الامصار ان
كتابة الانشاء كانت في المشرق خلافة في بني العباس منوطة بالقدماء وربما
انفرد بها رجل وذكر ابن عبدوس في مواضع من كتابه من ديوان السر وديوان
الترسل ثم كانت آخر وقت افردت واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة
وكان في المشرق يسمى كاتب الانشاء ثم لما كثر عددهم سمي رئيسهم رئيس ديوان
الانشاء ثم بقي يطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة كاتب السروهي
الى الاحب وعند ابنه وعند الناس اذل وكان في دول السلاجقة وملوك
الشرق يسمى ديوان الطغراوية وبه سمي مؤيد الدين الطغراي والطغراء هي
الطرة وهي التي تكتب فوق البعثة بالقلم الغليظ تتضمن القساب الملك وهي
لهظة أعجمية وكانت تقوم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب
ويستغنى بذلك عن أن يكون للسلطان علامة بخطه لكثرة وثوق الناس بصاحب
هذه الرتبة وأهل المغرب يسمون رئيس ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى
وأهل هذه الرتبة لم يزل لهم الاختصاص والقرب أكثر من كل عام وخاص تحتاج
الامراء الى مداراتهم وتقصر الوزراء مع علو الرتبة في الوزارة عن مداراتهم يجتمعون
بالملك اذا أرادوا على عدد الانفاس وهم معنى الدولة وعليهم عولة كل الناس
وما كانت الملوك تكتب الخلفاء بغير اذن الاعلى هذا الديوان أعني ديوان

الانشاء وكانت تسميه الديوان العزيز وله هذا كانت كتبهم تستفتح بأدام الله
 أيام الديوان العزيز اشارة الى ديوان الانشاء وعليه كان يطلق هذا الاسم وله
 بهذا من الشرف ماله ومن الفخر ما يجز على السماء اذ ياله انتهى كلام القاضي
 شهاب الدين (وذكر النعماني) في كتابه لطائف المعارف ان ادريس عليه السلام
 أول من خط بالقلم وكان يوسف عليه السلام يكتب لعزير مصر وكان هرون
 ويوشع يكتبان لموسى عليهما السلام وكان سليمان يكتب لاييه داود عليهما
 السلام وكان آصف يكتب لسليمان عليه السلام (وروى) ان النبي صلى الله
 عليه استكتب عبد الله بن الارقم وكان يحيب عنه للملوك واستكتب أيضا
 زيد بن ثابت وكان يكتب الوحي ويكتب الملوك وكان اذا غاب عبد الله بن
 الارقم وزيد بن ثابت واحتاج ان يكتب الى أمراء الاجناد والملوك أو يكتب
 لانسان بقطيعة أمر من حضر أن يكتب وكتب له عمر وعثمان وعلي والمغيرة بن
 شعبة ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وعبد الله بن سعيد بن
 أبي مرزوح وحنظلة بن الربيع (آداب الكتابة) روى عن الشعبي انه قال كتب
 النبي صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك الله ونزلت سورة هود وفيها
 بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بني اسرائيل وفيها
 قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل
 وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل
 الخطاب الذي أعطى داود أما بعد وروى ان أزل من قالها كعب بن لؤي وهو
 أول من سمى يوم الجمعة وكان زيد بن ثابت يكره أن يكتب بسم الله ليس له أسن
 وكان اذ أراها بغير سن محاسنها وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب
 عمرو بن العاص لما كتب اليه بغير سن وقيل له فيما ضربك فقال ضربني
 في سن وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب
 أحدكم فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وروى عنه عليه الصلاة
 والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فاترب احدهما ولم يترب الآخر فأسلت
 القرية التي أترب كتابها وقال الحسن بن وهب كاتب رئيسك بما يستحق ومن
 دونك بما يستوجب وكاتب صديقك كما كاتب حبيبك فان غزل المودة
 أرق من غزل الصباية قال الوداعي في تذكرة ان القاضي تاج الدين بن بنت

الاعزرجه الله كان اذا كتب كتابا بدأ في ترميله باليسمى له لتعم بركتها ساثر الكتاب
 وانه يخزن ذلك الرمل ويحتفظ به ولا يرميه في الارض وقال بزرجمهر من لم يختم
 كتابه فقد استخاف صاحبه واذا كتبت فاعدا النظر فيه فانما تختم على عقلك
 وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى انى ألقى الى كتاب كريم
 قال محتوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه ومعنى الفض فى اللغة التفريق
 والكسر ومنه لا يفضض الله فاك (العنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان
 ويقال علوان وعينان وعنيان وجمع عنوان عناوين وجمع علوان علوانين
 والعنوان الاثر وهو اثر الكتاب ممن هو والى من هو صكوا باسمط عنوان
 السجود به والقلم لا يقال له قلم الا اذا برى والا فهو وأنبوبة (ومن أحسن ما قيل فيه)
 قول السيد الفاضل شمس الدين بن صاحب موفق الدين على بن الأمدى نقلته
 كذا من خط الوداعى

قوله صكوا الخ
 هـ كذا فى
 الاصل

تمشى البراعة والمداد وراها * ظل على شمس الطروس ينوع
 عوض المعانى لويلوح لمسلم * هذا المعانى راح وهو صريع
 لولم تكن الفاظه خطية * مراح سرب اللفظ وهو منيع
 الفاظه رقت بوجنه طرسه * فكأنهن وقد جرين دموع
 قلم مسيجى الخطاب لنطقه * فى المهدهن يمناه وهو رضيع
 وغدا كليميا وقد ضاهى العصا * فغدا يروق بفعله ويروع
 باللفظ حاكته الشمس وبالضياء * حاكته فى حال المداد شعوع
 قد لازم القرطاس وهو منور * والطل يهوى الروض وهو مربع
 نور ونور حظه وكلامه * هذا يضى به وذلك بضوع
 (وله أيضا رجه الله تعالى)

ليمناه ذو طرف كحيل اذا بكى * تبسم تغرا الخط من دمه عجبيا
 وقد راح مشقوق اللسان متى جرى * بتغرا الدوى اللبس أبدى الماعذبا
 واونه فى سـنه سم أرقم * اذا ماثنى فى الرقم من جوده جنبيا
 فطورا خطيب والسواد شعاره * اذا ما علا عواد كف جـلا خطبا
 ويحقر فعل الخط بين كائب * تلاقت اذا ما خط فى يدك الكيبا
 حكى السـم قد احدث للـضـم

(وقال) الشيخ الامام محمد الدين الروذراورى عبد المجيد بن أبى الفرج الهمداني
 الفقيه الشاعر المقتن مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة وتوفي بدمشق سنة
 سبع وستين وستمائة من نظامه في وصف القلم من قصيدة مدح بها الوزير القمي
 مؤيد الدين وزير الدولة بن الناصر والمستنصر كذا نقلته من خط محي الدين
 ابن عبد الظاهر من كتابه المسمى بالنجوم الدرية في الشعراء العصريه

لك من نبات الماء أصفر للعدا * من رأسه المسود موت أحر
 نجى القنم من فعله حتى غدا * مثل النساء يرى عليه الحجر
 يصفونه ورد العلاء وورده * أبدا كعيش الخاسدين مكدر
 ظلمات نفس خاضها بروية * من ماء الحياة كانه الاسكندر
 متقيد بعدد وينطق ساكنا * متحكم في الدهر وهو مخمر
 يرا كعالم السواد وساجدا * يتلو بنى العباس وهو مزتر
 قد حر رأسك واللسان أبشه * سر العلاء وأسود منك المنظر
 هب ان جملك من جوالك نحوله * أو أن لونك للخافة أصفر
 مركوبك البحر الجواد وماله * من كعبوة تافى لما ذاعثر
 أنشدني من لفظه لنفسه سيدي وأخي تقي الدين بن حجة المحوى

له براع سعيد في قلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير
 محبر وبتحرير العلوم اذا * جرى يرى منه تحرير وتحرير
 غصن عليه طيور العلم عاكفة * وجانس النور من أوراقه النور
 واشقريده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تيسر
 بل اسمر عينه السوداء تلحظنا * وهذب أجفانها تلك التشاير
 أوسهم علم باطراف السطور غدا * مريشا وله في الفضل تأثير
 كذا محابه سود العينون فان * دانت أياديه قلنا الاعين المحور

(ومن وقف) على رسالة السيف والقلم للشيخ جمال الدين بن نباتة رأى من هذه
 المعاني الجاثب ولولا اطاعتها لاثبتها في هذا الباب ولقد ظرف الى الغاية
 شمس الدين الواسطي حيث قال

ما زال بقلبه لهيب النار * اذ صير جسمه خيالا ساري
 الله بقلبه فما يعلم ما * قاساه الواسطي الا الباري

وقد فتحت فاهافقاالت وقصرت * فأما استقالت فهي في ذلك تعذر
 فلازاتم أهل الكمال وجبركم * لذي النقص مثلي منه حظ موفر
 بمدحكم الاقلام يضحك منها * بحق وأفواه الدوى تعطر
 (قال) بعض الفضلاء إذا أردت أن تضمن كتابا سرا تخذلنا حبايا واكتب به
 في القرطاس فاذا أراد قراءته المكتوب اليه فليذر عليه رماد القراطيس مخنأ
 فانه يظهر ما كتب وان شئت كتبت بماء الزاج الابيض فاذا وصل الى المـ كاتب
 فليمر عليه شيأ من ماء العفص وان شئت بالعكس وان طقت أن يقرأ اليلاولا يقرأ
 نهارا فاكتبه بمرارة السلفاء (قال) الشيخ شهاب الدين بن العطار فيما يكتب
 على الدواة

انادواة يضحك الجود من بكاء * يراعى جـل من قد يراه
 دلوا على جودى من شفاه * دا من الفـقر فاني دواه
 (وانشدنى) شمس الدين الجراحي لنفسه

انا دواة كبحر جود * فى الفضل قل للسخرى منى
 فلو غدا كره سخايا * عند العطا يستمدنى

(وقال) ضياء الدين المناوى يصف حبرا

وعندى حبرودت العين لونه * سوادا وترضاه الحسان خضابا
 غدا سائلا من فرط سقم ورقة * وأصبح للهمم الرقاق رضابا
 كائن لما بات أشكو صبـابى * الى الليل بالاشواق رقيقا ذابا

(وكتب) الشيخ برهان الدين القيراطى صحبة حبرا هداة

ابراءكم أهديت انسان النظر * وشباب طرس شاب من فرط الكبر
 أرسلته عبدا دعوه عنـبرا * اذا فاح طيب نـشره بين البشر
 أقلامه أخذته حال كتابة * سبحا وألقتـه على طرس درر
 ويود مرسله الى أبوابكم * لو زاد فيه سواد قلب أو بصر
 ليل وان أبدى لنا ألفاظكم * فى صبح طرس أبيض قالوا سحر

(وانشدنى) المرحوم فخر الدين بن مكاس

لداود الرئيس المحبر فضل * وأنس عم ابنة الوجود
 أنا نأمنه حـبر فابترانا * وقلنا نعم أحبار اليهود

(١٢٥)

(وقال) ابن الوردي فيمن انقلب حبر على ثوبه
انقلب الحبر على * ثوبك فأبشرت بالارب
فحبر كل كاتب * ربح اذا هو انقلب
(وأنشدني) القاضي أمين الدين محمد الانصاري صاحب ديوان الانشاء بالشام
لنفسه في لوح الموقعين المرصد للاصاق الاوصال على لسانه
قطعوني وكت منبر مجمع * طال ما في الرياض أسبغت ظلا
فبكسرى جبرت بين الموالى * وبقطعي جعلت لاوصل أهلا
(وفيها له أيضا)

طرحوها كأنهم * ليس يدرون فضاها
وهي من أصل دوحه * أسبغ الله ظلها
(ابن نباتة) وكتبها على مرمله

عمات لمن جودا قلامه * ربيع ومنطقه بارع
اذا طلع الخط رملته * فياحبذا الرمل والطالع
(وقال) السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الامدي
مجاوبا لمن كاتبه في ورقة رزقا

أرسات زهر الروضة الغناء * في مثلها من رقعة رزقاء
فكأنها من أديم سما ثنا * قدمت وفيها أنجم الخوزاء
رزق جلادرا القريض بحسنه * كالوسم يحلو ميسم الميا
أو مثل منعطف الخليج وقد صفا * فتمثلت أزهاره في الماء

(وله)

أنت أرسات بالكتاب سما * تبرز الشهب قبل وقت الزوال
فيه كل نقطة مثل نجم * وبه كل جزمه ككهلان

(وله)

كلمات لضحكها قد بكى الدرة * هيل منه كركب كاليتيم
حسد المسك نفسه فغدا * اسود ذا دفره بخد لطيم

(وله)

وذى مقول يخفى الكلام فان رقى * الى اذن قرطاس ففها يحدث

عقود بلاسك يحرق طروسه * ولاعة قد في سحره وهو ينقث
(وقال)

جادت رياض الطرس محب براءه * لما صدرن من النهى عن البحر
فكست غصون طروسه ورقابها * اكمام لفظ بالمعاني مثر
(وقال) أبو الفتح محمد بن قادوس الدمياني

مداده في الطرس لم ابدا * قبله الطرس ومر يزهد

كأنما قد حل فيه الماء * وذاب فيه الحجر الأسود

* (الفصل الثاني) * في أعيان كتاب الانشاء قديما وحديثا ونبذة مما لهم من
المكتبات * (عبد الحميد بن يحيى) * كان يقول لو كان الوحي ينزل على أحد بعد
الانبياء لنزل على باغساء الكتاب وذو البلاغة فقال هي ما رضيت له الخاصة
وفهمته العامة (اسماعيل بن صبيح) كاتب الرشيد لم يسمع في الجمع بين الشكر
والاستزارة أحسن وأجزم ما كتب به إلى يحيى بن خالد في شكر ما تقدم من
احسانك شاغل عن استبطاء ما نأخونه (عمرو بن مسعدة) كاتب المأمون وكان
يقول قليل دائم خير من كثير منقطع وكتب إلى المأمون كتابي هذا وفي قبلي من
أجناد أمير المؤمنين وقواده في الطاعة والانتقاد على أحسن ما يكون عليه طاعة
جند تأخرت أرزاقهم وأختلت أحوالهم فقال المأمون لا جد بن يوسف لله در
عمرو ما أبلغه الا ترى إلى ادماجه المسألة في الاجناد واعفائه سلاطنه من الاكثار
(ابراهيم بن العباس الصولي) كاتب المستعصم والواثق والمتوكل كان يقول
المتصفح للكتاب أبصر بواقع الخلال فيه من منشئه (الحسن بن وهب) سئل عن
مديته فقال سريت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح
نمت ولم أستيقظ الا بلبسي قيص الشمس ومدح صديقاله فقال خالق كما يشتهي
اخوانه ووصف مغنيا فقال كأنه خالق من كل قلب فهو يعني بكل ما يشتهر
* (احمد بن سليمان) * أحسن الكلام ما لا تمجحه الاذان ولا تتعب فيه الاذهان
* (بديع الزمان الهمداني) * من انشائه الحمد لله الذي بيض القاروس ماء الوقار
وعسى الله ان يغسل الفؤاد كما يغسل السواد (وله) قد يوحش اللفظ وكلاه ود
ويكره الشئ وليس منه بد هذه العرب تقول لا بالالك ولا يقصدون الذم وويل
أمة لا مراذاهم وسبيل أولى الا لباب في هذا الباب ان يهتدي في القول إلى

قائله فان كان وليا فله والمولى وان كان خشن وان كان عدوا فله والمولى وان
حسن (من انشاء أبي القاسم) علي بن الحسين المعروف بالمعري * ووصلت
الرقعة فاستجيبتم التوسيم العذب بالاضافة الى لطافتها واستتقات محل عقود
الؤلؤ بالقياس الى خفة موقعها (وله) وكتب هذه الاحرف وقد اطلت الى لاد
ثلج ذكري قول الصنوبري ورد الريح موردي بيض ولورد في كانون ابيض
الا انه انتقل الى ضد طباعه معي واستأنس الى عكس خلقه فانه مع برده أحدث
لي شوقا الى سيدنا ألب جواني وصباية نحوه أضربت جوارحي حتى عاد يياضه
في عيني - واد التذكرة وسقياها ظمأ برحا قلبي بتصوره على ان قاي مزحوم
من جهته مما يزدحم فيه من كتابة جفائه وصباية بعده ونائه (وله) وعرفت في
هواجس الفكر ووسواس الذكر حتى نسيتكم من شدة المذكر واقية - كم
من حدة التصور وحتى عدت كائنني أجدي في عبق من تقبيل ذلك الوجه الناضر
وفي عيني لمع من سناء ذلك الجمال الباهر والله تعالى اسأل ان يسقط بيننا
في تشاكي ألم العراق اسناد القلم بمشافه الفم للقم (القاسم) الحريري قال الشيخ
صلاح الدين الصفدي في كتابه نصره الثائر على المثل السائر سمعت الشيخ
شهاب الدين محمد بن قرات المقامات عليه يحكي عن القاضي الفاضل انه أراد
معارضتها ووضع ثلاث عشرة مقامة عارض كل فصل فيها بمثله حتى جاء الى قوله
أعني الحريري في المقامة الثانية عشرة علما ما آل الامم وثمان الالام - ل
اني من سر روات القبائل وسريات الغنائل لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر
ويسبرون القلب ويمشطون الطهر ويولون اليد فلما أوردى الدهر الاعضاء وفتح
بالتجوارح الالكاد وانقلب ظهر البطن نبأ الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين
وفقدت الراحة وصار الزند ووهنت اليدين وضاع اليسار وبانت المرافق ولم يبق
لناثية ولا ناب فذا غبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى
الابيض وابيض فؤادى الاسود حتى رثى الى العدو الارزق فبذل الموت الاحمر
فقال القاضي الفاضل من أين يأتي الانسان بفصل يعارضه هذا ثم قطع
مأمله من المقامات ولم يظهرها أو كما قال ونابه بك بمن يمول مثل القاضي الفاضل
في حقه مثل هذا ويعترف له بالعجز واما أنا فكما قرأت هذا الفصل أجده
نشوة ولا نشوة الراح وبهجة ولا بهجة الساري بضوء الصباح (أبو الحسن بن

بسام) عارض اذا سمع استوسات البحار ونجم اذا طلع تضالت الشمس والاقار
وسائق لا يسمع وجهه الا بهياد الغيوم وصارم لا يحلى غمده الا بافراد النجوم
(القاضي السعيد) هبة الله بن سنا الملك وان للشوق بحرا وقلبه والله الغريق
بأمواجه وجرا وصدره المظلم بسراجيه وأقل يد اللهم عنده انما حلت في
عنقوان الشباب بحلية الاشيب وجعلته سادجا من الشعر الاسود وان كان
في وسط العمر المذهب كما قال أبو عبادة ذهبية الصبوات من اعوامه (وله)
فالا سلام من طلقاته والكفر مجاهد ولكن باتقائه وسيوفه تحسن في الاجسام
اليسطوف في الارواح القبض ورماحه تكاد لظولها تمسك السماء ان تقع على
الارض (وله) لا جمع الله عليك المصيبةين فراق الاحباب وفراق الثواب
ورزقك من الاغانة على ما تمنى به ما يفضل عنك الى ان تخلعه على وترمله الى
(وله) وازهد في دنيا تنبت المحام وتخصد الاجسام وتقصف أغصان الاشباح
وتقطف ازهار الارواح واذهل عن الذهول وأحسن ضيافة النصيح بالقبول
واذا رأيت جنازة محمولة * فاعلم بأنك بعدها محمول

وكيف لا يحمل المملوك تلك الاشواق وهي تقربه من المولى بالتخيل اذا أبعدته
الايام ويمثل له المقام الكريم فيقابه كل ساعة بالسجود ويشافقه بالسلام
ويرفع ناظره فلولا نظرة اليه لكانت عينه مطرقة وستور أهديه مسيلة
وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بمطالعة طلعتته لالتهمت من دموعها عيماه
محرقه فهو منها في نار ورجنه مغلول بغله مطوق بمنه (وله) ولقد أنساه فراق
المولى حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذي كفر بالبلادة
فأسقط عليه من سمائه كسفا شوقا ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على
بصر الا ومرت بالبصر ولسان لا ينطق من الدعاء على يوم الفراق ومن دعاء على
ظالمه فقد اتته صريحا الدين بن الانير مجزى ودولته هي الضاحكة وان كان
نسبها الى العباس وهي خير دولة أخرجت للدهر ورعاياها خير برأمة أخرجت
للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الاتفاؤلا بأنها لا تهزم وانها لا تزال
محبوذة من أبكار السعادة بالوصل الذي لا يضرم (وله) يصف بناء مرتفع اذا
أضرم برأسه قيس ظنه المتأمل نجما واذا استدار عليه قوس السماء كان
في كبده سهما (وله) في القلم فهو الملقب بالجواد النضر واذا أخذت السوابق

في احضارها بالغ الغاية وما أحضر وله لون يحقق فيه القول النبوي لوجعت
 الخيل في صعيد واحد لسبقها أشقر فان الاشواق عن الحمام خليفه واذا
 كانت حركة الفلك شوقية فما الظن بالقلوب الضعيفة (القاضي) يحيى الدين بن
 عبد الظاهر يصف بطيخا حلييا أهدي اليه فشاهداه به وكأنا جع من زهر
 الاقاح وكأن كل واحد منه قنديل وعروقه فتيلة الاصباح وكأن كبراه
 بطن خيص كم له من مجموع اللب حنين وكأن صغراه رأس كم منها ان فصلت جبين
 يقسم كل رأس منه رئيس من الاناسى وقصر أيمانها في الاستحسان عليه
 فما يقول الا وحق راسي (ومن انشائه) نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها
 من أطراف الممران واستنطق الاسلام عبارتها من السنة الخرصان ذلك بفتح
 حصن الا كراد الذي كان في خالق البلاد الشامية عضه لم تسمع بميساه السيوف
 المجردة وشجن صددورها لم تقاومه أدوية العزائم المفردة طالمأ كسب
 البلاد رعاورها وطالمأ استماری من أخلاق الامصار حلييا (ومن انشائه)
 بكتاب بأمر فيه بإبطال الخشيش بعد النحر يعلم ان المنكرات التي أمرنا أن نغلا
 الخائف بأجرها ونفرغ الخفاف وان لا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف
 قد بلغنا الآن انها اختضرت وان كلمة الشيطان بالتعويض عنها قد نصرت وان
 أم الخبائث ما عمقت والجماعة التي كانت ترضع ثدي الكأس قد أرتعت بعد
 ما فطمت وانها في النشأة ما حبت ابليس مسعاها وانها لما أخرج المنع عنها
 ماءها من النحر أخرج لها من الخشيش مرعاها وانها استراحت من النجار واستغنت
 بما تشتره بدرهم عما كانت تتباعه من النجر بدينار وان ذلك فشا في كثير
 من الناس وعرف في عيونهم ما يعرف من الاجرار في الكأس وصاروا كأنهم
 خشب مسندة سكرى واذا مشوا يقدمون لفساد أذهانهم رجلا ويؤخرون أخرى
 ونحن نأمر أن تحت أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع
 وتطهر منها المساجد والجوامع ويشتهر مستعملها في المحافل والجماع حتى تنبته
 العميون من هذا الوسن وحتى لا تشتهى بعددها خضرا ولا خضراء الدمن
 (ومن انشائه) من كتاب الى الفرنج وقد أخذت سواني السلطان وحيوانهم
 الركب ومراكبنا الخيول وفرق من يجريها كالبهار وبين من يقف به في
 الوحول وبين من يتصيد بالصقور من الخيل العرب وبين من اذا افتخر قال

تصيدت بغراب فائن أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة
وقد قال الملك وقلنا والله أعلم ان قولنا هو الصحيح وانك لنا واتك كل وأين من
توكل على الله وسيفه عن اتك كل على الريح (وله) وأما فلان فانه شعر الذيل
وامتطى هرباً أشهب الصباح وأجر الشفق وأصفر الاصيل وأدهم الليل (وله)
فكم شاهدنا من قتلاهم كل مهيب الهامة حسن الوسامة قد دفن الرمح فاه
فقرع السن على الحقيقة نداه (وله) من منشور كتبه للامير جمال الدين
المجدي عند اخراجه من الاعتقال أوله الحمد لله الذي أظهر جمال الدين
المجدي (وله) من منشور كتبه لبيدري عن السلطان المنصور وجريته في
الاحسان اليه على القياس وان كان من أكابر أصحاب الظاهر (ومن انشائه)
يقبل اليد التي لو تجسدت القبل فيها لتنظمت سبحا ولو أثرت فيها كآثير الوضوء
كانت حجولا ووضحا ولا برحت القبل التي قبلتها ساجده والافواه الى مسرعتها
وأوده حتى يقال والمباسم يقبلها أحباب في حياض أم زهر في رياض وبيروق
في غمام أم درر في بحر طام (ومن) انشاء قوام الدين بن زيادة يهني الوزير البليدي
* وأفاض عليه من صنوف تشریفاته خلعا خلع بها قلوب الامادي من أعماق
الصدور وطاع فيها من آفاق البدور كأنما أنشئت من عيون عين الصريم
وغرلانه أو غشيت بعصر الشباب وريعانه فألبسها من حلاه سربال الجلال
وجرتها على المجرة أذيال الانتيال وقلده سيف فاعة دالنصر بلوائه وتعلم
المضامن آرائه أهدي في قلوب العدي من الاوجال لا ينصل نصله من
خضاب القرباب ولا ينمد الا في قرباب الرقاب وأمضاه صهوة صافن أمرع
من تأدية الاسماع الى الافهام وأوحى من مضاحكة البرق خلال سحجف الغمام
يسبق مطارح نظره بمواقع حافره ويهدي ظلال ظله بأهله أثره بشكل رأيه
فيه اذا تدرع في شوطه واشتد أمارف رديه أم طرف يرتد كأن بركة سهم وسنبكة
وهم أويحف بقوادم شهاب أو عنده علم من الكتاب ولا طفه بدواه وهي دوام
العدم وأداة النعم ومنبع الكرم ومرتع أرزاق الام يستشف لآي الاداء
من قرارها ويصفق أمواج الحكمة والبلاغة من أقطار ثنائها تكشف براعا
يردع كل روع ويتبع أمره كل متبوع قد جمل من اعباء الخلافة عظيما
وحى الاسد رضى عا والملك فطيما يصوب بكرم الغيوث الغواصي ويصول

بقرم الليوث العوادي

يحمو ويثبت أرزاق العباد بها * فإلما المقادير الاما محاوردا
(من انشاء) الصدر عز الدين بن سيدنا من بشارة لاديوان العزيز بكسر عساكر
الفرنج من عكا عن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة اثنين
وأربعين وستمائة * فلاروضه الادرع ولا جدول الاحسام ولا غمامة
الانقع ولا وبل الاسهام ولا مدامه الادما ولا انغم الاصيل ولا معربد الا
قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستبحال بلور الحصباء
عقيقا وازدحت الجناث في الفضا فجعلته مضيقا وضرب النقع في السماء
طريقا وطاد الفارس بالدماء عريقا

وضاقت الارض حتى كاد ربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا
(ومن انشاء القاضي تاج الدين بن الاثير) * والمنجنيقات تفوق اليهم سهام قسيها
وتخيل اليهم انها ساعة اليهم بحبالها وعصيا وهي في الحصون من الدالخصوم
واذا امت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى امترى خالق في آلات
الفتوح لم يكن فيها أحد من الممتريين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح
المنذرين تدعى الى الوغى فتسكلم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان
ذلك الحصن من يسجد ويسلم (ومن انشاء) سيد كتاب الانشاء وامام البلغاء القاضي
الفاضل عبد الرحيم بن علي البيهقي * فقم عنا به - هذه الفريضة وطر في تلك
المضار ورفه قوادنا المهيمه وأدرو علينا ان نشرب وقل وعلينا ان نطرب
وانفرد بالحرب وعلينا النظاره وأعطنا السلب وبأشر أنت الغاره وأنفد علينا
كل يوم من أقصة يوسف قيصا وليكن قيص البشاره (وله) من شفاعته وعلى
المذكور ديون كثيرة والدين عشرة الصراط والقبر على المطلوب سم الخياط
فان رأى مولانا ان ينظر اليه بما يفك أسرهم ويغني فقره فهناك الاطلاق
بالحقيقة أو الاسر والغنى بعد العرض على الله أو الفقر فهذا عرفتم يا أهل
المعروف من آل أيوب وكذا كان يوسف - كم رجه الله يقضى كل حاجة في نفس
يعقوب (وله) وانجو يتنفس عن صدره مجبور كصدر المهجور والحمر
وصاليه في نحو هذه الطرق جار ومجور والمهامه قدسرفها ملا السراب
وزخر فها بحر ماء ولد غير رشده وعلى غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث

الرمي ونحن في أكثر من جوع صفيح إلا أننا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه
العيون وهو كما المحابر يغترف منه المجرم مثل عمله وبرسائه سهما فلا يخطئ
تفرقة مقتله وهو مع هذا قليل كأنه جادت به الآفاق في ساحات النفاق لا في
ساعات الفراق فباله من ماء لا تميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض
التيمم كما لا يرتفع بالشراب ولا يعد وما وصف به أهل الجحيم في قوله وإن يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول
المريض يعلمون عليه لا يرد الجواب بل ينسحبون ميتا قد حال بينهم وبينه
التراب مجهز للدفن ونعشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف
المعتاد وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع على أنه لو كان دمه الماسيل
الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان وإن امرؤ روحه في جلد غيره وهو
المراد وخصمه من غير جنسه وهو النار التي في غير الزناد لجدير أن يغري به
اغراؤه وإن يلام على مفارقة الأحبة ويقال هذا جزاؤه (وله) إلى أن ترد
كتب العسكر وأعلامها من مدات ألفاته ورؤس العدى قطعات همزاته
والأيام التي لأشاهد فيها الوجه لأحسبها من العمر والأيام التي لا يصل فيها
ركابه لأحسبها من الدهر ولا يختصر على على عمري ولا يغالطني في حساب
دهري (وله) وقد أحسنت الحضرة في بشرى بكتابة في كتابها فقد طالع طيفا
للحبيب الزوار ونجى ما الفجر ولا أقول الفرار وعليه أبقاه الله سلام أنور عما
بعد الفجر وأشرق مما تحت النجار وأجاب للسروور مما قبل النجار (وله)
ذكر الله ذلك العهد بخير ما ذكرته العهود وأعن الله الفرج المحتدين وقتل
أصحاب الأخدود فقد قطعوا طرق المسار وأطالوا عمار الأبرار وسبكت
نار مقاماتهم الدينار فجهل الله أعلام الكافرين من عقي الدار (وله) وظننا
أنابه بل بدعائه قد دخلنا الجنة لما نلناه من خيرها الذي هو لذة للشاربين وانا
خالطنا أهلها فأشخص المعاني من الحروف على سرر متقابلين ووثقنا بأن لنا منه
الدعوى الذي نأوى منه إلى كثر عبيد والرأى الذي أنزله الله هو والحد يد فيهما
بأس شديد (وله) رب اني لا أملك إلا نفي وهاهي في سبيلك مبذولة وأخي
وقد هاجر إليك هجرة ترجوها مقبولة وولدي وقد بذلت له دولك صفحات
وجوههم وها أنا على محبوك مكروه فمرهم ومكروههم ونقف عندهم هذا الحد

والله الامر من قبل ومن بعد فيا عصابة محمد عليه السلام اخلفه على أمته بما
 تطمئن منه مضاجعه ووفه الحق فينا فانا والمسلمون عندك ودائعه (وله)
 ودعا المسلمون برؤس عدوهم في رؤس القنا وقد اجتنوا ثمراتها ورواحهم في
 صدور الأطباء قد أطفؤا بها جراتها فأنبئت سنابك الخيل سماء من الهياج
 نجومها الاسنة وطارت اليهم عقبان من الخيول قوادمها القواثم ومخالبها الا عنه
 وتصوبت عيون السمر الى قلوبهم كأنما تطالب سوادها وقصدت انهار
 السيوف اكبادهم فكأنما أرادت أن تروى جياها ونصبت للالك خيمة جراء
 كأنما وضع على الشرك عمادها وتولت حفظ اطنا بها الرجال فكأنهم أوتادها
 (وله) وقد كان يقال ان الذهب الابريز لا يدخل عليه آفه وان يد الدهر البخيل
 عنه كآفه وانتم يا بني أيوب أيديكم آفة نفائس الاموال كما أن سيوفكم آفة
 نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لا متطيتم اياها اذاهم وقادتم ايامه صوارم
 ووهبتهم شمسو ويدوره دنابر ودرهم وأيام دولكم أعراس وكان ماتم فيها
 على الاموال ماتم والجود في أيديكم حاتم ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم (وله) وما
 أحسب الاقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها سميت خرساء الا قبل
 ان نفت سيدنا في روعها رائحة هذا الصواب ولا أنها اضطجعت في دويها الا
 ليعتثما ما ينفع فيه من روحه من مرقدتها ولا سودت رؤسها الا أنها اعلام عباسية
 تناولتها الحضرة بيدها لاجرم أنها تحمي الحى وتسفك دما وتحقق دما وتوشح
 بهايده عنانا ويرسلها فيعلم الفرسان ان في الكتاب فرسانا وتقوم الخطباء بما
 كتبت تعلم الاسنة أن في الايدي كما في الافواه لسانا واقد عجبت من هذه الاقلام
 تخر السنن تاشق فتتطق فصيحته وتجدع أنوفها بريافتخرج صيحته وتعدى
 ملاحية وما هي الا آية في يد سيدنا البيضاء موسومه ومامادتها في العصاة
 الاعلوية ولولا الغلوالقال علويه (وله) ففضه عن فضة مسها ذهب وفاوضه
 عن نازد كاهل لم يمازجه ماء الطبع لمب منه أي لمب وخدله كل متلهب
 القريحة وقصرت يده فان نواه قيل له تبت يدا أبي لب وأغاربه على الغلوب
 فرجع وهي بالاشواق محتوية الفضل مأخوذة السلب فكم ذميه من فقره قيل
 لها يا أخت خيراخ يا بنت خيراخ (وله) وأما الملوچ التي وصفها ذلك اليمان
 فأحها بل أهداها الى الصدور فألجها فقدمت البلاد وكأنما نشر علمها

المولى غرضه ومضى أن يرد ذلك الفضاء فضة فأراني النجوم في هذه السنة وقد
 ناصحت في خصمها فنزات بأنفسها وبرزت ظاهرة في النهار بجوارها وخصمها
 وأجدر بها أن تكون سنة يغسل وضرا لكفر بصابون ثلجها وتثير العزيمة
 الناصرية من هذه الرغبة صريع فلجها (وله) وبيننا أنا من الخول في مهبط
 رمس اذ رفعتي التمويه الى مطلع شمس وبيننا أنا نذب أفعال بني الاصفري
 عـ قلان وجفوة أبيهم يعني الدينارلى في مصر فإيراني الا وكان عليه من
 سكتة عوذاتهامنى يعتصم وكأنا يصفر خوفانى وهو الى الغير يتسم اذ صرت
 أنفضه من بنان أبي الطيب من دنابر شمس وربما أثقله بعد الضرب الى النقي
 لا الى اعتقال الكيس وحيدته (وله) وان ادعى سحر البيان أنه يقضى أيسر حقه
 ويثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه لكنت أفصح باطل سحره وأذيقه
 وبال أمره وأصاب الخواطر السحارة على جـ ذوع الاقلام واعتدأ السننها
 كما تعتد السحرة الالهـ نة عن الكلام (وله) وأشكو بعد قلى جسمى فقد
 ضعفت قوته وقوى ضعفه ونسجت عليه همومى ثوبادون الثياب وشعارا
 دون الشعار من الحرب الذى عاد يبنى ويده وأسـ قم يدي من جسمى واستخدمها
 تحرت أرضه فان لم يكن لاضه

* (الباب الثامن والثلاثون فى الهدايا والتحف النفيسة الاثمان) *

ذكر ابن بدرون فى شرحه لقصـ يد ابن عبدون عند ذكر كسرى وبنائه للسور
 المذكور فى الباب السادس من هـ ذا الكتاب ولما بنى كسرى هـ ذا السور
 هادته الملوك ورأسلته * فتمـ ملك الصين كتب اليه من يعقوب ملك الصين
 صاحب قصر الدر والجوهر الذى فى قصره نهران يسـ قيان العود والكافور
 والذى توجد رائحة قصره على فرسخين والذى تخدمه بنات ألف ملك والذى
 فى مربوطه ألف فيل أبيض الى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى اليه فارسا من
 درمنضد عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من الزمرد منضد
 بالجوهرى وثوباً حريصينيا وفيه صورة الملك على ايوانه وعليه حلته وتاجه
 وعلى رأسه الخدام بأيديهم المذاب المصورة من ذهب تحمله جارية تغيب
 فى شعرها يتلا لآجالها وغير ذلك مما تهديه الملوك الى أمثالها (وكتب) اليه

ملك الهند من ملك الهند وعظيم ملوك الشرق وصاحب قصر الذهب وايران
الياقوت والدر الى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية
وأهدى اليه ألف من من عود يذوب في النار كما يذوب الشمع ويختم عليه كما يختم
على الشمع وجامان الياقوت الاحمر فتح شهر ملوه من در وعشرة أمان كافور
كالقستق وأكبر من ذلك وجارية طواها سبعة أذرع تضرب أشجار عينيها الى
وجنتيها كأن بين أجفانها المعان البرق مع اتقان شكلها مقرونة الحاجبين
لهما ضفائر شعر تجرها وفراشها من جلود الخيانت ألين من الحرير وأحسن من
الوشى وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر
وهذا الشجر يذون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذلون
حسن وريح طيبة تتكاثر فيه ملوك الصين والهند (وكتب) اليه ملك التبت
من ملك تبتان ومشارك الارض المشاخبة للصين والهند الى أخيه المجرود السيرة
والقدر ملك الاملاكة المتوسطة الاقاليم السبعة كسرى أنوشروان وأهدى اليه
انواعا تحمل من عجائب أرض تبت منها مائة جوشن ومائة ترس مذهبة
وأربعة آلاف من المسك في نوافج غزلانه (وأهدى) يعقوب بن الليث الصفار
صاحب خراسان الى المعتمد هدية في بعض السنين من جملتها عشر برادة منها بازي
أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على بغال عشرة فيهم ظرائف
الصين وغرائبهم ومسجد فضة برواقين يصل فيهم خمسة عشر انسانا ومائة من
مسك ومائة من عود هندي وأربعة آلاف درهم (وأهدت) ملكة فرنجية
الى الملك في بالله في سنة ثلاث وتسعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا
 وخمسين فرسا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقليا حسنا
وعشرة كلاب كبار لا تطيقها السباع وست بازات وسبعة صقور ومضرب حديد
يجمع ثلاثة وعشرين ثوبا معمولا من صوف يكون في صدق يخرج من البحر
يتلون بجميع الالوان كقوس قزح يتلون كل ساعة لونا وثلاثة أطيار تكون
في أرض افرنجية اذا نظرت الى الطعام المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت
بأجنحتها ليعلم ذلك من حالها وخرزا يجذب النصول فتخرج من غير ألم وقدم
الرسول بكتابها وهديتها وكان في فصل من كتابها وعرفت ان يدنك وبين ملك
قسطنة طينية صلة وأنا أوسع منه سلطانا وأكثر جندا وأشد سطوة وملكى على

أربعة وعشرين مملكة لسانها لا يشبه الآخر وفي مملكتي وطاعتني رومية الكبرى
(ومن ظرائف الهدايا) ما أهدته شجرة الدر جارية المتوكل وكان يعيل اليها ميلا
كثيرا ويفضلها على سائر حظاياها فلما كان يوم المهرجان أهدى اليه حظاياها
هدايا نفيسة واحتفلان في ذلك فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالا تربية عليهن
عشرون سراجا صدينا على كل غزال خرج صغير مشبك حرير فيه المسك والعنبر
والغالية وأصناف الطيب ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفي يدها قضيب
ذهب في رأسه جوهرة فقال المتوكل لحظاياها وقد مررت بالهدية ما فيمكن من تحسن
مثل هذا وتقدير عليه فحسدنها وعلمان على قتلها بشئ سقيمها فماتت
(عبد الملك) ابن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطالب أبو عبد الرحمن
الأمير ولي المدينة للرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للأمين ووجهه إلى الرشيد فأكفه
في أطباق خيزران وكتب إليه أسعد الله أمير المؤمنين وأسس عديده دخلت إلى
بستان أفادنيه كرمك وغمرته لي نعمك قد أئنت أشجاره وتهذات ثماره
فوجهت إلى أمير المؤمنين من كل شئ شيئا على القدرة والامكان في أطباق
القضبان ليصل إلى من بركة دعائه مثل ما وصل إلى من بركة عطائه فقال
رجل يا أمير المؤمنين لم أسمع بأطباق القضبان فقال يا أبله كفى عن الخيزران
بالقضبان إذ كان اسمها لا ثمنا (أنشدني) في المجدي فضل الله بن مكاس وقدر
أهدى له والده تحفا جليلة

تناهيت في برى إلى أن هديتني * وقد كنت قبل اليوم في الغي ساريا
وأهديت لي ما حير الفكر حسنه * فلا زلت في الخيالين للعبد هاديا
(التحفة) النفيسة الاثنان ذكر الأصمعي قال حدثت أن برمك جديحي بن خالد
كان زوارا للملك وكان يتطيب فحدث أنه صار إلى ملك الهند فأكرمه وآانس به
وأحضر له طعامه قال فأكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت لا والله أيها الملك
ما أقدر على أن أزداد شيئا فقال يا غلام هات القضيب قال فوهمت وظننت أني
لأخطأت فلم يلبث أن جاءه بقضيب فأخذ الملك وأمره على صدرى فكأنني لم أكل
شيئا قط ثم أكلت أكل كثيرا حتى انتهيت فقال كل فقلت ما أقدر على ذلك
فأخذ القضيب وفعل مثل ما فعل فكأنني لم أكل شيئا قط ثم أكلت حتى انتهيت
فقال لي كل فقلت ما أقدر على ذلك فأراد أن يمرر القضيب فقلت أيها الملك

ان الذي دخل يحتاج الى أن يخرج فقال صدقت وأمسك عني فسأله عن
 القضيبي فقال تحفة من تحف الملوك ثم خرجت من عنده فأتيت الاصبه
 فقربني وأكرمني وكان جالسا في مجلس على البحر وفي يده خاتم ياقوت أحمر
 يغلب نوره نور الشمس قد أضاء المجلس منه فلم أزل أنظر إليه فلما رأي أني أفعل ذلك
 نزعته من يده ورعى به في البحر فوردت على أعظم مصيبة وقد رت أني قد جنيت
 جناية ووجهت فلما رأي قال مالك قلت أحسب أنك أنكرت نظري الى الخاتم
 فألقيته في البحر قال لا وضحك ودعا بسفط فأخرج منه سمكة من فضة في رقبتها
 مسلة طويلة فألقاها في البحر فغاصت ثم ظهرت بالخاتم في فيها فجذبها وأخذ
 الخاتم وردة الى أصبه فورد على ما حبرني ولم أعرف سببه ثم خرجت وأتيت
 الشام ولقيت هشام بن عبد الملك فأكرمني ورحب بي وسألني عن خبري
 فأخبرته فأمرني أن أتخذ له انتجات أرادها (قال) الشيخ الانتجات هي الخلط
 تربت في العسل مثل الاترج والاهليلج ونحوها (رجع) فتشألت بعمائها
 فبينما أنا في بعض الايام في منزلي قد نزع ثيابي وأخذت في اصلاح حالي وما
 أمرني به اذ ابغماؤه قد هجموا على وقالوا أمير المؤمنين يطلبك فأردت أن أغتسل
 وألبس ثيابي فقالوا كما أنت فأخذت بصورتي واحضرت في مجلسه فلما دخلت
 من الباب قال اتركوه اذهب اذهب لا تقربني معك سم الله وأخرجوه فأخرجت
 وعدت الى منزلي وأنا على حال حيرة من انزعاجه فاغتسلت وتنظفت ولبست ثيابي
 ثم رحت اليه دخلت الى حضرته وسأله عما كان منه فقال لي كان معك سم
 أو عبت بشئ من السموم فقلت لا والله الا اني كنت أعمل تلك الانتجات التي أمر
 أمير المؤمنين بها ولم تدعني الغلمان الى أن أغتسل وكان من جلته الافيون وهو سم
 قال ما أشك في ذلك قلت فكيف علم أمير المؤمنين ذلك قال في عضدي كبشان
 من الياقوت اذا لقيني انسان معه سم أو قدم الى ما فيه سم انتطحما فلما وقعت
 عيني عليك انتطح الكبشان فعلمت أن في يدك شيئا من السم فقلت هذه
 الحكاية من مجموع بخط سيدنا وشيخنا شمس الدين محمد بن الكتيبي الشهير
 بالتركيبكي رحمه الله (قال) صاحب كتاب المباحج مما وجد في خزائن الملوك والخلفاء
 والوزراء من الجوهر النفيس الدرة اليتيمة وصحبت بذلك لانها لم يوجد لها نظير
 جمها الى الرشيد مسلم بن عبد الله العراقي فباعها عليه بتسعين ألف دينار

وكان للتوكل فص يا قوت أجر وزنه ستة قراريط اشتراه ستة آلاف دينار
(وكانت) له سبعة فيها مائة حبة من جوهر وزن كل حبة مثقال اشترت كل حبة
منها ألف دينار (وأهدى) بعض ملوك الهند إلى الرشيد قضيب زمرذا طول
من ذراع وعلى رأسه تمثال طائر يا قوت أجر لا قدر له نفاسة قوم هذا الطائر على
حذته بمائة ألف دينار (ودفع) مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل إلى مولاه
زياد فصا من الياقوت الأحمر وقال له بخ هذا وكانت قيمته ألف ألف درهم
وسقط من يد الرشيد في أرض كان يتصيد فيها فأغتم لفقدته فذكر له فص ابتاعه
صالح صاحب المصلى بعشرين ألف دينار فأحضره ليكون عوضا عما سقط منه
فلم يره عوضا عنه ووهب المأمون للحسن بن سهل عقدا قيمته ألف ألف درهم
وقوم الجواهر الذي سلم من النهب عند فتنة المأمون بألف ألف الف ومائة ألف
وسنة عشر ألف درهم ووجد في تركة السيدة بنت المعز العبيدي طست وابريق
من البلور ومدهن يا قوت أجر وزنه تسعة وعشرون مثقالا وكان الناس
يستعظمون الطست والابريق إلى أن قبض على أبي محمد البازوري وزير
المستنصر العبيدي فوجد عنده تسعون طستا بأباريقها من صافي البلور وجيده
كبارا وصغارا فهان عليهم ما استعظموه وكان لمجود بن سبكتكين صاحب
غزنة كنصاب المرأة من الياقوت الأحمر أركب قبض عليه بيمينه فتبين طرفاه
من جانبي يده بحيث ينظر إليهما الناس ووجد في خزانة مروان بن محمد مائدة
جذع أرضها بيضاء فيها خطوط سود وجرسعتها ثلاثة أشبار وأرجلها ذهب
فيقال أنها صنعت على شكل المشتري من أكل منها لا يشبع (ووجد) أيضا
في خزانته جام من زجاج فرعوني غلظ أصبع وفتحه شبر ونصف في وسطه
صورة أسد ثابت وأمامه رجل قد برك على ركبتيه وقد أغرق السهم في القوس
وكان فيما أخذ من خزانة قصر العاصم العبيدي بعد وفاته الحبيل الياقوتي
وكان وزنه سبعة عشر درهما أو سبعة عشر مثقالا ولما انهزم أبو الفوارس بن
بهاء الدولة البويهى من أخيه سلطان الدولة قصديين الدولة مجود بن
سبكتكين فباع مجودانه باع جوهرتين كانتا على جهة فرسه فاشتراهما
نصير الدولة صاحب ديار بكر بعشرة آلاف دينار فمقال من غلظكم ترككم
على جهة الفرس مثل هذا وقيمتها ستون ألف دينار (وأهدى) صاحب قلعة

اصطخر الى السلطان الملك العادل البرسلان السلجوقي قدح فيروزج فيه
منوامسك مكتوب عليه جم شاد احم ملك القرس الاول (واخذ) يوسف بن
ناشفين من عبيد بن المكين الصنهاجي وكان ملك افر يقية لما قبض عليه سبعة
فيها اربع مائة حبة جوهر كل حبة قوت بمائة دينار ووجد في ذخائر العبيدين
لما اخذ الملك منهم عشرة آلاف قطعة بلور محكم تماوتت قيمتها من ألف دينار الى
عشرة دنانير ووجد فيها قطعة بلخس وزنها ثلاثة وعشرون قيراطا (ووجد) فيها
أفاء الله على السلطان محمود بن سبكتكين لما فتح الهند قطعة يا قوت أجز زنتها
أربع مائة وخمسون مثقالا (وكان) فيما أخذ ما ويدا الملك بن نظام الملك من الجواهر
قطعة بلخس وزنها احدى اربعون مثقالا (وحكى) الواقدي في فتوح السند أن
عبيد الله العبيدي عامل معاوية على السند غزا بلدا القيفال فأصاب منه مغنم
كثيرة وان ملك القيفال بعث اليه بطاب الفداء وجل اليه هدايا كان فيها
قطعة مرآة يذكروا أهل العلم ان الله تعالى أنزلها على آدم لما كثر ولده وانتشروا
في الارض فكان ينظر فيها فيرى من بعده منهم على الحالة التي هو عليها من خير
وشر فحملها عبد الله الى معاوية فبقيت في ذخائر بني أمية الى ان انتقل الملك
منهم الى بني العباس فصارت عندهم في الذخائر (بدنة عبدة) ذكر أصحاب
التواريخ أن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان مات وخلف عاتكة بنت
يزيد وكانت تحت عبد الملك بن مروان فلما ماتت عاتكة أوصت بأن يفرق
مالها على أولاد أخيها فقام عبد الملك تركها بين عشامة وعبدة فتروج
عبد الملك عشامة وتزوج هشام عبدة فرآها يوما هشام وقد ألفت حلها
واذا في نحرها خال فبكى وقال لا أنت هي فقامت وما معنى هذا القول فقال
انا نروى ان امرأة خليفة قوافية خليفة في جدها خال تدبج كما تدبج الشاة فقالت
لا يجزئك الله ان كان الامر محببا فلا حيلة لي في دفع القضاء وان لم يكن
فلا معنى لتجميل الهـم فلما قتل عبد الله بن علي بن أمية واستباح أموالهم
أخذ بدنة عبدة وبعث بجواهر الى السفاح فعرضها على امرأته أم سلمة بنت
يعقوب الخزومية فقالت مالي لا يرى بدنة عبدة فكتب اليه بذلك وأمره بانفاذ
بدنة عبدة فأنفذ اليه بدنة وزعم أنها هي فعرضها على امرأته فقالت ليست هي
هذه بدنة الرائقة جارية هشام وحنة واحدة من بدنة عبدة أفضل من هذه كلها

وعلاقتها ان في ظهرها وصدورها خطين من كبار ايساقوت الاجر فكتب
 أبو العباس الى عبد الله يعزم عليه في البعث ببدنة عبدة فكتب اليه أنه
 لا يعرفها فقالت أم سلمة لابي العباس مره يبعث لنا بعبدة فهي تعرف أين بدنتها
 فكتب اليه بذلك فكره أن يبعث بعبدة لثلاث قرع عليه ولم يجد بدا فبعث بها
 ودرس بعض أجناده وقال اذا صرت بموضع كذا فاقتلوا فلما صارت بموضع
 من طريق الشام يعرف اليوم بحب عبدة وأرادوا قتلها قالت له -م ان كنتم
 عزمتم على هذا فاتركوني حتى أصلي وأستتر فتركوها فصارت وشدت أزارها على
 يديها ورجليها وأبرزت لهم نحرها فذبحوها وكتب عبد الله الى السفاح اني
 انتفعت بعبدة فقتلها بعض الاعراب بالطريق فلما أوقع أبو مسلم الخراساني
 بعبد الله وهرب منه وأخذ ماله وانفذه الى المنصور أخذ البدنة فكانت في
 خزائن بني العباس الى ان صارت الى زبيدة بنت جعفر ثم بعث بها ذلك المتوكل
 الى ابنة عبد الله بن طاهر التي زوجها من المعتز ولده (وذكر) القاضي الرشيد
 ابن الزبير في كتابه الجوائب والظرف كان المعتز بالله قد ألتبس من أمه قتيحة
 خمسين ألف دينار ينفقها في الجند فذكرت أنها لا تملك حبة واحدة فظهر لها
 بعد قتل ابنها في سنة خمس وخمسين ومائتين وكانت قتيحة قد استخفت فوجد
 لها خزانة فيها ألف ألف دينار وثلاثة أسفاط في أحدهم زمر ذلم ير مثله قط وفي
 الآخر نصف مكوك حب كبار أولؤ وفي الآخر كاتجة فصوص يا قوت أجر فقوم
 ذلك فكانت قيمته ألفي ألف دينار وكانت غلاتها في كل سنة عشرة آلاف
 ألف دينار والله أعلم

* (الباب التاسع والثلاثون في خواص الاحجار وكيانها في المعادن) *

قال الفاضل أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف التيشاء * في الجواهر اسم عام
 يطلق على الكبير والصغير منه فما كان كبيرا فهو الدر وما كان صغيرا فهو
 اللؤلؤ المسمى حبا ويسمى أيضا اللؤلؤ الدق ولؤلؤ النظم وحيوان الجواهر الذي
 يتكون فيه كبيره وصغيره يسمى باليونانية اسطور وس يعلونهم ذلك الحيوان
 صدفه ان ملازمان مجسمه والذي يلي الصدفتين من مجه اسود ولهذا الحيوان
 فم وأذنان وشحم يلي الفم من داخلهما الى غاية الصدفتين والباقي رغو

وصدفة وماء (وذكر) ارسطاطاليس في كتابه أن من الحيوان غير المناطق
السرطان يشتهي أكل لحم هذه الدابة فلما حال دونه ودون شهوته شيء بمنزلة
الحماجر بينه وبين ذلك اللحم الرخص الذي في الصدقات احتال عليه فلا يزال
السرطان راصدا له حتى يراه قد فتح جادة الصدفة فيأخذ حجرا صغيرا فيرمي به
في جوف الصدفة فلا تقدر عند ذلك على انضمامها كما كانت لأنها لا تلتصق بمنع
الحجر من انطباقها فيدخل السرطان قرنيه إلى ذلك اللحم الرخص فيستخرجه
ويأكله لا لتذاهبه * ويذكر من أكله من الغواصين أنه شبيه بطعم قوائم الطير
(وذكر) ارسطاطاليس في كتاب الاحجار أن البحر المحيط بالعالم هو الذي في ظلمات
مقيمة يلحق آخره أول البحر المسلك وان الرياح تصفق هذا البحر المحيط المسمى
أوقيانوس في أوقات فصل الشتاء فيهب هيبانا شديدا فيطلبه الصدف الذي
يكون فيه الدر في وقت ربيع الشمال فاذا هاجت الرياح والامواج من ذلك البحر
المحيط كان لامواجه رشاش فيلتقم الصدف الكائن في البحر الذي يسلكه
الناس كما يلتقم الرحم المني فتصير تلك النطفة من ذلك الماء في اللحم المركب
في الصدف فلا يزال الصدف يعمد إلى ذلك الموضع الساكن من ماء البحر
فيفتح فيه ويستقبل بذلك الماء الذي هو مثل النطفة رياح الهواء وحرا الشمس
عند طلوعها وغروبها ولا يعرض لها في وسط النهار لشدة حرا الشمس وهيجان
البخارات التي تهب من العالم والغبار الذي تهيج به الرياح فاذا انعمت الدرة
ولو كانت الدرة منها نهاية في الكبر فلا يكون لها طائل ثم اذ ليس فيها شيء
من أصناف الدر النفيس والله أعلم (جيده ورديته) الجوهرة الكاملة
خواصها ما في الكمية في العظم وكثر الماء واما في الكيفية في شدة البياض
وكرة الاشراق واستواء اللون واستواء استدارته واكتنازه وشكله وما لم يكن
كذلك فالآفات أفسدته وهما أنه ربما وجد بعض الدرة لم تتم تربيتها وربما
لصق بها قشر من لحم الحمازون صار كالصدا والوسخ فأفسد لونها وربما كانت
كدرة أو كان فيها ماء أو كانت فيها دودة أو كانت مجوفة غير مصمتة وكل هذه
آفات دخلت على الدرة من مقر التربية وأما فساد شكلها فن قبل ان الحبسة
تقع في موضع من اللحم الذي في الصدف غير مستوي فتتجسد الدرة على صورة
الموضع الذي ضمها فجيد الجواهر على الجملة المدرج القار الصافي الشفاف

الكبير الجرم الكبير الوزن الضيق الثقب فوجد اللؤلؤ النقي من الوسخ (ذكر)
خواصه ومثاقفه * من خواص الجواهر أنه يتكون قشورا قافا طبقة على طبقة
وما لم يكن كذلك فليس بجوهر مخلوق والجوهر بالجملة الدر الذي هو كبار اللؤلؤ
وحبه الذي لا يمكن ثقبه لصغره كل ذلك معتدل في الحار والبرد واليبس والرطوبة
لطيف يجفف الرطوبة في العين وينزل كثرة وسخها ولا سيما العتيق منه الذي
يوجد في التراب وقد جفت رطوباته فانه أصح في ذلك ولذلك يخلطه السكخالون
في أحوالهم لنفعه وتشديد أعصاب العين وخاصيته مع ذلك الخفقان القلب
ومن الخوف والجزع الذي يعرض في المرة السوداء وباطن الدم الذي يغلب في
الفؤاد ولهذا أيضا يخلطه المتطبيعون في أدوية القلب ويحبس نزف الدم
ويجلبوا الأسنان جلاء صائحا وإذا سحق وسقى مع * من يقرن رفع من السموم (وذكر)
أرسطاطاليس أن ماء البحر الذي يتكون منه اللؤلؤ على ما قدمناه إذا قطر منه في
الكف أو غمس فيه بعض أعضاء البدن ألبس ذلك العضو صبغا كالفضة المذابة
(وذكر) أيضا أنه من وقف على جبل الدر من بكاره أو صغاره حتى يصير ما رجاها
ثم طلى به البياض الذي يكون في الأبدان من البرص أذهب من أول طليته يطاها
وان سقط بذلك الماء من به صداع من قبل انتشار أعصاب العيون أذهب عنه
وكان شفاؤه في أول تسعيطه (قال) التفاشى مما جربته واختبرته ووقفت
عليه بالعمل أن حاض الأترج يحل الجواهر إلا أنه يحله خائرا مثل المنى لا يعاق
بالاجسام إذا طلى عليها والمياه الحمادة الطاهرة القوية الحريفة تحله رجاها
يعاق بالاجسام على ما يوجب به القياس في حل الحماض له وقد جربته فصيح
(عيوبه) التصديف وعدم الاستقرار والصفرة والانبساط وهو قبيح البياض
ونخصيه وعدم رونقه وسعة الثقب وصغره الجرم وقلة الوزن (الأشياء التي
تضر بالجواهر) الأدهان جميعها والمجوضات بأسرها لا سيما ماء الليمون ووجه
النار والعرق والذفر والاحتكاك بالأشياء الخشنة والله أعلم الذي يجاوه
ويذهب ومنه ماء حاض الأترج إلا أنه إذا لمح عليه به قشره ونقص وزنه وهو
يحله أيضا خائرا كما ذكر قبل (محاسن) تليق بهذا المكان (قال) القاضى
السعيد بن سناء الملك من قصيدة فاضلية أولها

نعم هي سعاد وهي لي قمر سعد * وصال ولا صدوق رب ولا بعد

يعانقها من دوني العقد وحده * فيا عجبتا يا قوم لم يعاق العقد
هي البدر إلا أنها كاه سنا * هي الغصن إلا أنه كاه ورد
ولو أبصر النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه أنه الجوهر الفرد
(وقال) من قصيدة أخرى فاضامة أيضا أولها

بانت معانقتي ولكن في الكرى * أترى درى ذاك الرقيب بما جرى
ونعم درى لما رأي في بردني * ردعا وشم من اثياب العنبرا
بابي وأمي من حلت بذكرها * لما انتبهت ومذرقدت تفسرا
ومن العجائب أن ماء رضاها * حلوا ويخرج حين تدهم جوهرها
(وله) من مرثية أولها

كجسمك جسمي أصبح اليوم باليا * ولكن ما بي عاد للناس باديا
يخيل لي أني دعيت إلى الردى * وإنك عني قد أجبت المناديا
فيا أسفي إذ كنت قبل ماضيا * وبانجلي إذ صرت بعدك باقيا
وغاص فؤادي في بحور هوم * فألقى إلى جفني الدموع لآليا
(وقال) ابن المحلاوي جوابا عن رقعة من أبيات

فإن كان زهرا فهو صنع سخابة * وإن كان دريا فهو من بحجة البحر

(وقال) صفي الدين الحلي من قصيدة أولها

الست ترى ما بالعيون من السقم * لقد نحل المعنى المدقق من جسمي
واشفاف ما بي بالخصوص من الضنا * على أنها من ظلمها غصبت فمي
وما ذاك إلا أن يوم وداعنا * وقد غفلت عين الرقيب على زعي
ضممت ضنا جسمي إلى ضعف خصرها * لجنسية كانت لها علة الضم
فيا من أقامتني خطيبا لوصفها * أرصع فيه صنعة المنر والنظم
نحذي الدر من لفظي وإن شئت نظم * وإن عزت سالك نظام فها جسمي
(وقال) ابن سناء الملائك من قصيدة أشرفية أولها

جسمي كما حكم الغرام وحسبها * إن الغرام يزورني ويغيبها
عاقبت ظيئته وعيشي أخضر * فرعته ظننا أن عيشي عشبها
(ومنها في المدح)

وأرى العقد وحسن ما قد سطرت * ينسا حتى أصغر من ناهيها

(ومما ينظم في هذا السلك) قول شيخنا العلامة بدر الدين الدماميني من قصيدة أولها

رضيت فيه بقتل النفس مذسخطا * مهفهف سل سيف الجفن وانخرطا
(ومنها في المديح)

ونظمه الدر حسنا قد علا وغلا * بينا سواه رأينا نظمته سقطا
(قال) ابن منير وأجاد

لا تخدعنك وجنة محمرة * رقت في الياقوت طبع الجمد

(وقال) النور الاسعدي

قد كنت أحرق نعله يوم النوى * بتنفسى لولم يكن ياقوتا
وما أحسن قول أبي الحسن علي بن عبد العزيز المحلبي المعروف بالفكيك مخاطب
بعض التجار

أبا جعفر انقذت اطلاب عمه * أفاق عليها الدر رونق حسنه
سكر قرة دين البابلي ولونها * كطاجنه المبيض في طول قرنه
فأنفذتها بالضد في لون عرضة * وهمة قصرا وفي سلك ذهنه
وفصا من الياقوت أجري ناصعا * كاخوته بردا وفي ثقل ابنه
فأنفذت لي فصا كخفة عقلاه * وسحنة عين قلبت تحت جفنه
قصدت خلافي في جميع ما ربي * فأنشرت ميت السخط من بعد دفنه
فلو قلت قبل رأسه وبنانه * خريت اعتماد الخلف في جوف ذقنه
(الياقوت) قال بليغ بن العلاء في تكون حجارة الياقوت هي ان الشمس لما طاعت
على الارض سخنتها بقوتها فسخن من الارض ما لم يحجب منها واشتدت
سخونة المكان بظهور الشمس عليه وغيرت الشمس رطوبة المكان الذي
اشتدت جاراتها عليه فلما اشتد يسه لقله رطوبته اجتذبت قوته من الشمس
وقوتها حرا ويدها فانقلب عن طباعه ولونه وطعمه على قدر الرطوبة التي كانت
فيه من كثرتها وقلتها فلما حاشت الرطوبة واقامت عليه اجتذب الماء ما كان
في ذلك المكان من حرا الشمس ويدها وطاعت عليه الشمس وسخنته فحجبت
الرطوبة عن ذلك اليبس الذي فيها ببحر الشمس فتسخن الماء ببحرها فتلطف
بقوى على تحليل اليبس الذي قبلته الارض من يده الشمس المتصل بها في الماء

وانحل به واشتدت عليه السخونة حتى ظهرت قوة اليبس المفرطة فيه فكان منه
الحجر المسمى بالياقوت ولشدة يسه ضاقت مسامه لقبض اليبس له ولشدة
انحلاله وشدة لطافته رجع منعقد اولشدة اليبس تكاثفت أجزاؤه بعضها في
بعض وتداخلت (الياقوت الاصفر) * فنه الرقيق وهو قليل الصفرة كثير الماء
ساطع الشعاع والخالق وهو أشبع صفرة من الرقيق والجلناري وهو أشبع
من الخلق وأشد هاشعا وأكثرا ماء وهو أجوده * والاسمانجوني فنه الازرق
واللازوردى والسحلي وهو أشبع من النيل ويسمى الزيتي * وأما الابيض
فنه المهاي وهو أشد بياضا وأكثرا ماء وأقواها شعاعا ومنه الذي كرهوا ثقل
من المهاي وأقل شعاعا وأصلب حجرا وهو أدونها وثمنه أرخص ثمان الياقوت
(ذكر خالص الياقوت ومعيبه) أجود الياقوت الاحمر البهرمانى والرماني
والوردى النير المشرق واللون الشفاف الذي ينفذه البصر بسرعة السالم من
العيوب (عيوبه) الشعرة والسوس فالشعرة شبه تشقيق يرى فيه والسوس
خروق توجده في باطنه يعلوها شئ من ترابية المعدن وربما وجد في تلك الثقبه
دود حتى يتحرك اذا خرجت الدودة منها الى الهواء ماتت ورأينا من رأى ذلك من
الثقات (عيوب) ألوانه أردى الألوان الاحمر الوردى الذي يضرب الى البياض
والسماقي الذي يضرب الى السواد وأردى منه الازرق الذي يضرب الى لون
الرماد ويسمى السنور وكذلك الذي يسمى الزيتي وأردى ألوان الياقوت الاصفر
ما نقص لونه وضرب الى البياض وأردى صفات جميعه في الجملة قبح الشكل والذي
قدمناه (ذكر خواصه ومنافعه) قوة الياقوت على قدر معادنه المتكون
فيها وعلى قدر أصبغته وألوانه فالاحمر منه حار يابس والاصفر أقر بها الى الاحمر
وفيه فضل حر وكذلك الاصفر والاسمانجوني أبرد وأيبس والابيض أبرد
الياقوت وأرطبها (خواصه) في نفسه * من خواص الياقوت انه يقطع كل الحجارة
شديدا يقطع الماس ولبس يقطعه شئ غير الماس وانما يشق بالماس وذلك بان
تركب منه قطعة في طرف مثقاب حديد ثم يشق به كما يشق الخشب ومن
خواصه انه لا ينحك على الخشب الذي يحك عليه كل شئ اما الياقوت فانه
لا يحك على شئ الا على صفيحة نحاس يكسر الجرح اليماني ويحرق حتى يصير
كالنورة ثم يمحى بالماء حتى يصير كانه الغراء ثم يحك به على وجه الصفيحة

النحاس حجر الياقوت فينجلى حتى يصير أشد الجواهر صقالة * ومن خواص
الياقوت الشعاع فانه ليس لشيء من المشقة شعاع مثله ومن خواص الياقوت
الثقل فانه أثقل الاحجار المساوية لمقداره في العظم ومن خواصه صبره على
النار فانه لا يتكلس كما يتكلس غيره من الاحجار الممتنة كالزمرذوقه غيره ومن
خواصه انه يقبل البرودة بسرعة اذا أخرج من النار بخلاف غيره من سائر الاحجار
وليس من ألوانه ما يثبت على النار غير الاحر فقط * وقد ذكر ارسطاطاليس في
كتاب الاحجار أن الياقوت الاحر اذا نفخ عليه في النار ازداد حسنا وجمرة واذا كانت
فيه نكتة شديدة الجمرة ونفخ عليها في النار انبسطت في انحر فسقطت من تلك الجمرة
وحسنته وان كان فيه نكتة سوداء نقص سوادها وهو جبريزداد حسنا وصفاء
عند النفخ عليه في النار واذا كان الحجر أحمر ونفخ عليه فزالته جمرته فليس
بياقوت بل أحد الاشياء أو مصنوع مدلس وقد رأيت بسوق القاهرة جواهر
تباع على أنها ياقوت أزرق وأصفر وهي مصنوعة مدلسة كان أصلها ياقوت
أبيض ومن خواصه انه لا تعمل فيه المبارد والحديد ولا ياصق شيء في جسمه
من جميع ألوانه أحمره وأصفره وسماويه ومن خواصه قطع الاحجار المشقة غير
الماس والاجر في جميع هذه الخواص زائد على جميع ألوانه في القوة * خواصه
في منافع من خواصه ذكر ارسطاطاليس أنه من تغلذ هذا الحجر أو تختم به من
أنواع البواقيت التي وصفنا وكان في بلد قد وقع الطاعون فيه منعه أن يصيبه
ما أصاب أهل ذلك البلد من الطاعون ونبل في أعين الناس وسهل عليه قضاء
الحوائج وتيسر له من أرباب المعاش أمور صعبة ومن خواصه تقوية قاب
الابسه وتشجيعه والهيبة له في قلوب الناس واجلاله ومن خواصه أن يقع من
حرقان القلب والوسواس في التعليق له ومن خواصه أن الصاعقه لا تقع على
من تختم به أو علاقه عليه ومن خواصه أنه لم ير في أصبع غريق قط ومن
خواصه انه يقطع العطش اذا وضع في الفم وتحت اللسان ومن خواصه انه
يمنع جود الدم اذا علق ومن خواصه انه يقطع نزف الدم اذا علق ومن
خواصه ما أخبرني به شريف جوهرى معروف بالخبرة والذكاء في هذا ودخل
الى الهند ومارس كثيرا من علم الاحجار أن الهندي يقولون ان من كان معه حجر
ياقوت جذب قوسا قويا من طبقة وقوته اذا لم يكن معه ذلك الحجر على شرط ان

لا يفعل ذلك على سبيل الخبرة والامتحان بل يكون ذلك بغیر قصد له ولا تعمده
 (ومحنة) أشياء الياقوت باجمعها أن يحك بالياقوت الاحرقانه يخرجها كلها
 ولا يخرجها وليس شئ منها يقوم على النار كما قد مناه هذه عادة تكون الياقوت
 (وأما اختلاف ألوانه) فانه بنسبة بقاع الارض اذا وقع عليها الماء فدام عليها
 فيتغير الماء بما النحل فيه من يابس الارض وتسخين الشمس له فيجسم الماء على
 قدر الحرارة فينعد أحر وربما انعدا صفر لقله الحرارة فيه وربما اعتدل
 الحمر عليه في اللبس والانحلال فانه قد أبيض صافيا وربما اشتدت بيوسه
 فعرض فيه البرد لشدة اليبس وتباعدا الحر عنه فعرض فيه السواد وظهر على
 أعلاه لبطون الحرة في باطنه وربما طرحت الحرة نورها الى خارج مع ظهور
 السواد في ظاهره فقام بينهما لون أسود اسما نجوني وذلك أن صفرة الرطوبة اذا
 التحمت مع سواد اليبس قام من بينهما اللون الاسما نجوني * قال بليزوس
 والياقوت حجر ذهبي وجميع الحجارة غير الاجساد الذائبة انما انعدت وابتدأت
 لتكون ياقوتا فأقعدتها عن الياقوتية كثرة الرطوبة وقلتها وكثرة اليبس وقلته
 فلم تكن ياقوتا وصارت حجارة حمراء وبيضا وخضرا وصفرا وغمير ذلك من
 الألوان التي لا تدوب في النار ويقع عليها الحديد فيصيرها وفيها ما لا يسجد له
 الحديد ووضعت عليه اسماء كثيرة خالاف الياقوت (ذكر معدنه) الذي
 يتكون فيه الياقوت يؤتى به من معدن يقال له سحبران من خربة تخلف
 سرنديب بنحو من أربعين فرسخا والجزيرة تكون نحو من ستين فرسخا في
 مثلها وفيها جبل عظيم يقال له جبل الراهون تنحدر منه الرياح والسيول الياقوت
 فيلقط وهو حجر من أرض ذلك الموضع وحصى باؤه وما تجرس يوله من جبل
 الراهون ويقال ان الشمس اذا اشرقت على ذلك الجبل أنبت فيه شعاعات
 كثيرة لوقوع شعاع الشمس على حصى الياقوت فيسمى ذلك برق الراهون وهذا
 الجبل هو الذي أهبط عليه آدم عليه السلام من الجنة ومنه خرج الى الارض فاذا
 أصيب ذلك الحصى أصيب وظاهره مظلم يميل أكثره الى السواد والخبرة كالخصى
 الموجود في هذه الألوان عندنا فاذا استشف في الشمس أشف لونه أحر كان أو أصفر
 أو سماويا أو غير ذلك من ألوان الياقوت * قال التيفاشي أخبرني من دخل جزيرة
 سرنديب من التجار أن أهل ذلك الموضع اذا لم تنحدر السيول والرياح لهم من

حصباء الياقوت في بعض السنين ما جرت به العادة احتالوا لتحصيله بالحيلة التي
 ذكرها وذلك ان الجبل الذي فيه الياقوت جبل شاهق صعب المسالك لا يمكن
 الوصول الى أعلاه وفي أعلاه نسور كثيرة تعشش فيه وتتخذ مساكنها به لخلوته
 فيه مد أهل ذلك الموضع الى حيوان فيذببحونه ويسلمون جلده ثم يقطعونه
 قطعاً كباراً ويتركونه في سفح الجبل المذكور ويعدون عنه وهم يرقبونه فتأتي
 النسور وترفع ذلك اللحم وتنزل به عند أوكارها فاذا وضعت على الارض علق به
 من حصى الياقوت واصق فيه ثم تأتي نسور أخرى فتجتمع على اللحم لتخطفه
 فيأخذ بعضها وتطير من الجبل فيسقط منه الياقوت لثقله فيلقطه الذين
 يرقبونه من الموضع الذي يسقط فيه ويذكر أن في سفح هذا الجبل غياضاً عظيمة
 وتخاذق عميقة وأشجاراً شاهقة ويسكن بها حيوات عظام تبتلع الحية منها الانسان
 ورأس البقر وغيره صحياً فاذا ابتلعت عمداً الى أصل شجرة قالت عليها
 واشتدت فيتم كسر في بطنها ما تبتلعه وتندق عظامه فيضم بها ولا جل ذلك أيضاً
 لا يستطيع سلوك هذا الجبل ولا الوصول اليه والى ما فيه من عجائب الاحجار
 (ذكر أصنافه) أصول الياقوت أربعة أصناف أحمر وأصفر واسمها نجوني وأبيض
 فالأحمر منه ينقسم الى أربعة أقسام الوردي وهو يتفاضل في شدة الصبغ الى
 الوردية لا يجاوز ذلك ويقل صبغه الى أن يقرب من البياض ثم المجري وهو مشوب
 بقرقرية كالون ورد الخيري وأظهر قرقرية وهو يتفاضل في قوة الصبغ وضعفه
 الى أن يقرب من البياض ثم الأحمر وهو بلون العصفرا الشديد الحرة الناصعها في
 القوة والى القرب من الوردية في الضعف ثم البهرمانى وهو أجرنقى الحرة لا يشوبها
 شائبة وهو يتفاضل في قوة الصبغ وضعفه حتى ينتهى الى لون العصفرا الشديد
 الحرة الناصعها في القوة والى قريب من لون الورس في الضعف وأثنى الياقوت
 الذى فى لون الحرة البهرمانى وأثنى كل واحد من بقية أصنافه أشدها مستشفاً
 وأشدها شامعاً وأسلمها من العيوب التي تذكر فيما بعد (وأما الزمرد) قال بليمنوس
 ان الزمرد هو الياقوت لانه انما ابتدأ لينعقد ياقوتاً في جميع أجزائه وكان لونه
 أحمر فلشدة كثافة الحرة بعضها على بعض مرض له السواد فصارت اسمها نجونيا
 ولثقل اليبس وغلظة بطن الاسمانجوني وارتفع ما صفي على الحرة على أعلاه
 فاصفر ولما كان باطنه اسمانجوني واشتدت عليه الحرارة بطبخها فزجت

اللونين جميعا لون ظاهره بلون باطنه فتولدت الخضرة بينهما فصار لونه أخضر
فسمى زمرذا وانما كان أصله ياقوتا لان الياقوت هو حجر ذهبي وهو أصل التجارة
كما أن الذهب رأس الاجساد المذابة (ذكر معدنه) الذي يتكون فيه موضع
الزمرذ الذي يؤتى به منه في التحوم بين بلاد مصر والسودان خلف اسوان يوجد
في جبل هناك كالجسر فيه معادن تحتفر فيخرج منها الزمرذ قطعاً صغاراً
كالحمى منبثة في تراب المعدن وربما أصيب العرق منه متصلاً فيقطع وهو
جيده * وأما صغيره فانه يصاب في التراب بالفخل وذلك أنهم يتخلون التراب ثم
يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة فيوجد فيه الحجر بعد الحجر ويوجد
بعضه عليه أتربة كالكيحل الشديد السواد وهو أشد خضرة وأكثر ما يوجد
من الزمرذ في التراب فهو الفص وما قطع منه من العروق فهو القضيبي في
اصطلاح الجوهريين وهو أعتقه وأخلصه (ذكر جوده ودرجته) أصنافه
أربعة الذبابي والريحاني والسليقي والصابوني فأعلاه وأغلاه وأفضله في سائر
الخواص الموجودة في الزمرذ هو الذبابي وهو أخضر مغلوق اللون جيد لا يشوبه
في خضرته شيء آخر من الألوان حسن الصبغ جيد الماشية وانما سمي ذبابياً
لشبه لونه بالخضرة التي تكون في البكار من الذباب الربيحي لا في صغاره الموجودة
في البيوت وهو أحسن ما يكون من الخضرة بصيصاً وذلك اللون غير موجود في
ذباب البيوت وأما بقية الاصناف المذكورة من الزمرذ غير الذبابي فانها نازلة
مقصرة عن جميع الخواص الموجودة في الذبابي ولهذا الغيتها (عيوب الزمرذ)
من أكبر عيوب الزمرذ الذبابي اختلاف الصبغ حتى لا يكون موضع منه بلون
مخالف للون موضع آخر ومن عيوبه عدم الاستواء في الشكل وهذا عام له
ولياقوت والكل حجر مستشف ثمين أو غير ثمين ومن عيوبه التشعب وهو من
لوازمه لا يكاد يخلو منه وهو شبه شقوق خفية تظهر فيه (خواص الزمرذ) الذبابي
في نفسه خواصه الكبرى في نفسه وهي التي انفرد بها عن سائر الاحجار وبها
يمتحن الخالص منه من غيره أن الافاعي اذا نظرت اليه ووقع بصرها عليه
انفقت عيونها على المكان قال أجد التيفاشي وقد كنت أقف على هذه
الخاصة في الزمرذ في كتب الحكماء ثم جرت بها بنفسى فوجدتها صحيحة وذلك
أنه كان وقع لي فص زمرذ ذبابي خالص أردت امتحانه على عيون الافاعي

فاستأجرت خادماً على صيد أفعى وجعلتها في طست وأخذت قطعة شمع فألصقتها
 في رأس سهم ثم ألصقت فيها الفص وقربته من عين الأفعى فكانت تثب أولاً
 نحو السهم وكانت لها حركة قوية تروم بها الخروج من الطست فلما قربت
 الزمرد من عينها سمعت قرعة خفية كمن يقتل صبانة على ظفره ثم رأيت عيني
 الأفعى وقد برزت على وجهها برزاً ظاهراً وبقيت حائرة في الطست تدور فيه
 لتقصده مخرجا ولا تدري حيث تتوجه وسكنت أكثر حركتها وانقطع وثوبها
 بالجملة * ومن خواصه الرخاوة وتخلل الأجزاء ومن خواصه خفة الوزن ومن
 خواصه شدة الملاسة والصقال والنعومة ومن خواصه زيادة الخضرة والماء
 إذا ركب على البطانة وأخص صفاته به الخفة (خواصه) في منفعته من خواصه
 أنه من نظرائه أذهب عن بصره الكلال ومن خواصه أنه من تقلد بخاتم منه
 دفع عنه داء الصرع إذا كان ليس له قبل حدوث الداء ومن أجل هذا كانت
 الحكماء تأمر الملوك بعلقه على أولادهم عند ولادتهم ليدفع عنهم داء الصرع
 ومن خواصه أنه من سحل منه وزن ثمان شعيرات وسقاه شارب السم قبل أن يعمل
 السم فيه نخلص نفسه من الموت ولم ينقطع شعره ولم ينسلخ جلده وكان شفاؤه
 ومن خواصه أنه ينفع من نفث الدم واسهاله إذا علق على من به ذلك ومن
 خواصه النفع من وجع المعدة إذا علق عليها من خارج ومن خواصه أنه
 ينافي الحيات المسمومة ولا تقرب حامله ومن خواصه أن شرب حكا كته ينفع
 من الجذام ومن خواصه أن جميع أصنافه كلها تصلح أن تعلق على العضد
 وعلى الرقبة للتعويذ وعلى الفخذ لتسريع الولادة بحرب (ومن معانيه الشعرية)
 قول القاضي محي الدين بن عبد الظاهر

ذباب السيف من لحظ إليه * لا خضر صدغه بعد انتساب

فلا عجب إذا ما قبل هذا * له صدغ زمردة ذبابي

(البخش) معدنه الذي يتكون فيه * يؤتى به من البخشان والجهم تقول بذخشان
 بذال معجمة وهي من مدن الترفيع يتأخم الصين وأخبرني من وصل إلى معدنه
 من التجار أنه وجد في المدين جرافاً باطنه مالم يكمل طبعه وانعقاده بعد والحجر
 مجتمع عليه (جيده ورديشه) هو ثلاثة أنواع أحمر معقرب وأخضر زبرجدي
 وأصفر وأجوده الأحمر وليس بجمعه شيء من الخواص التي للباقيات ومنفعته

وانما فضيلته شبهه والمائية والشعاع الاجر لم يذكر فيه شيء من الخواص البتة
 (الماس) قال بليمنوس الماس حجر ذهبي وهو أشبه الاجار بالاجساد المذابة
 لانه ليس من الاجار شيء يسخنه كما تسحق الاجار بعضها بعضها فلذلك شبهته
 بالاجساد ولم يفسده شيء من الاجار غير الابار فلذلك قلت انه حجر ذهبي وأقول
 ان الماس انما كان في معدنه وابتداء خلقته ليكون ذهباً وذلك ان الماء في
 معدنه فلما سخنته الحرارة يابس الماء من الحر الذي سخنته جدا فصار حجرا
 فلما كثرت عليه الحرارة وعرض في الماء غلظ فصارت فيه لزوجة لغلظه وصار
 أشبه شيء بالزبيقي وتولد فيه رطوبة المعدن ويبدسه بلطافة الطباع وملح وشيء الماء
 والريح فغلظ واشتدت عليه الحرارة فقوى الملح على نفس الحر واليبس واشتدت
 بيموسته فظهرت على وجه الماء اللزج الذي هو يشبه الزبيقي فانه قد حجرا بافراط
 اليبس عليه وانما انعه قد يكون ذهباً فأقعدته عن الذهبية انعه قاده باليبس
 والملوحة فلوانعه قد باللين ولم يفرط عليه اليبس وبالمخلوطة مكان الملوحة لكان
 ذهباً فلما انعه قد وكان فيه ملوحة وشدة يابس نقص عن كيان الذهب فصار حجرا
 صلباً يا كل الاجار كلها بملوحة طبيعته وشدة يبدسه وانما صار يتكسر للملوحة
 فبقيت الملوحة واليبس في جسده وانما صار لا يفسده شيء غير الابار لانه ذهبي
 كما ان الابار يفسد الذهب ويسخنه وانما يسحق الابار الماس لكثرة يبدسه
 وذلك لاجتماع الكبريت الذي في الابار مع ملوحة الماس لان الملح الذي
 في الماس اذا احس برائحة الكبريت تفتت وانسحق وانما صار لون الماس
 أبيض لانه قاده بالرطوبة ودفع رطوبة الموضع عنه وهج النار فصار لذلك أبيض
 فهذه علته تكون الماس (معدنه) الذي يتكون فيه يوجد في معدن الباقوت
 ويتكون فيه ويخرج منه كما يخرج الباقوت فهو حصاء معدن الباقوت اذا
 أخرجته الرياح والسيول من معدنه حسبما يبداه فيما سلف (جيده ورديته) الماس
 نوعان الزيتي والبلوري والزيتي أجوده ما والبلوري أبيض شديد البياض
 كالبلوري والزيتي يخالط بياضه صفرة كلون انزجاج الفرعوني (خواصه) في
 ذاته من خواصه ان جميعه دوز وابقائة ست زوايا وثمان زوايا وأكثر
 من ذلك وأقل يحيط بزواياه سطوح قائمة مثلثة الشكل اذا كسر فلا يتكسر
 الا مثلثاً ومن خواصه انه يقطع كل حجر يمر عليه وهو في نفسه غير الانكسار

وان وضع على سندان حديد ودق بمطرقة لم ينكسر ودخل في وجه السندان
 ووجه المطرقة وكسرها وانما ينكسر بأن يصير في شئ من الشمع ثم يدخل في
 أنبوب قصب ويتقر بمطرقة غير هابرق ومداواة بحيث لا يشرجه الحديد
 حتى ينكسر أو يصير في أسربة ويفعل به ذلك (ومن خواصه) ان الانسان اذا
 ابتلع منه قطعة ولو كانت أصغر مما يكون حرقته امعاءه فقتلته على الفور ومن
 خواصه ما ذكره ارسطاطاليس من أن يذوب بين الذهب محبة ينشرب به حيث
 كان حتى يخالط منه المحبة الخفيفة يعرف ذلك صياغ الذهب فانهم اذا بردوه
 وقعت تلك المحبة تحت مباردهم فأكلت المبارد وأفسدتها ومن خواصه
 انه يثقب الدر والياقوت والزمرد وغيرهما من جميع ما لا يعمل فيه الحديد من
 الاجار كما يثقب الخشب وذلك بأن تترك في رأس مثقاب حديد منه قطعة
 بقدر ما يراد من سمعة الثقب وضيقه ثم يثقب به فيثقب بمرعة وأما طبعه فانه
 بارد يابس في الدرجة الرابعة (خواصه) في منفعته منها ما ذكره ارسطاطاليس
 انه من كانت به الحصاة الحادثة في المثانة من مجرى البول ثم أخذ محبة من هذا
 الحجر وألصقها في مروج نخاس أو فضة بمصطكا الصاقا محكما ثم أدخل ذلك
 المروج الى الحصاة فتتها قال أحمد بن أبي خالد المعروف بابن الجزار في كتابه في
 الاجار وبهذا الفعل عالج أنا وصيغنا الخادم من حصاة عظيمة كانت به وامتنع
 من القمع عليها بالحديد فلما فعلنا به هذا الفعل انسلخت الحصاة حتى صغرت
 وسهل عليه خروجه ما بقي منها في البول ومن خواصه انه ينفع من المغص
 الشديد ومن فساد المعدة اذا علق على البطن من خارج (عين الهر) معدنه
 الذي يتكون فيه هذا الحجر يوجد في معدن الياقوت مع الماس فهو حصاة
 معدن الياقوت كما ذكرناه عن الماس فيما سلف (جيده ورديته) هذا الحجر
 غريب الشكل وذلك ان الغالب على لونه البياض بأشراق عظيم ومائية رقيقة
 شغافة الا انه يرى في باطنه نكتة على قدر عين الهر أعنى الناظر الحامل للنور
 المتحرك في فص مقلته وعلى ذلك اللون سواء تلك النكتة مع ذلك متحركة على
 الدوام اذا حرك الفص تحركت بخلاف جهة حركته بحيث ان أميل الى جهة
 اليسار مالت النكتة متحركة الى جهة اليمين وذلك في الاعلى والاسفل فهي
 كذاظر الهر حقيقة ولذلك سمي به فان كسر أو قطع على أقل الاخر اظهرت تلك

النكتة في كل جزء من أجزائه وأجوده ما اشتد بياض أبيضه وشفيفه واشتدت كثرة
مائية تلك النكتة التي فيه وسرعة حركتها وإشراقها وحسن الشكل وكبر
الحرم زائدان في جودته كسائر الأجار (خواصه ومنافعه) هو أنه يحفظ حامله
من عين السوء والآنفس الخبيثة ومما أنقله فيه عن ثقات الجواهر بين من
دخل الهند ومارس هذا الفن ومهر فيه أنه يجمع خواص الباقوت البهرمانى
في منافعه ويزيد عليه بمنفعتين أحدهما أنه لا ينقص مال محمله ولا تعثر به فيه
الآفات والنكبات والآخرى أنه إذا كان في بدرجى أو معدى وحضر مصاف
حرب ثم هزم حربه فألقى نفسه بين القتلى يراه كل من يمر عليه من أعدائه كأنه
مقتول متشخط في دمه فتتفر عنه النفوس حتى لا يقربه بشرة منهم وأخبرني
بعض من دخل الهند من الجواهر بين أنه رأى هذا الجواهر يعبد في المعبر كما
تعبد الأصنام قال وثمنه عندهم أغلام ثمنه ببلاد العرب وهو مبه أغبط وهو
عندهم أعز وزكر أنه وقف على حجر بيع في المعبر بمائة وخمسين ديناراً ولعله
يساوى في الهند عشر هذا الثمن وذلك لعلمهم بخواصه ووقوفهم عليها بالتجربة
(البازهر) الموجود من هذا الحجر الآن بأيدي الناس نوعان أحدهما
حيوانى والآخر معدنى فأما المعدنى فمنه ما يقال أنه ينفع من لدغة العقرب فقط
وهو مقصر عن جميع ما يذكروا في الكتب عن البازهر الحيوانى ويذكر أنه يجلب
من الصين وهو حجر خفيف هش أصفر وأغبر منقط نقطة خفيفة توجد طبقات
رقاق في أصل تكونه طبقة فوق طبقة لا توجد إلا كذلك وينحك سريعاً إذا حك
ومحكه يميل للبياض وأعظم ما يوجد منه من منقال إلى ثلاثة ما قيل يؤتى به من
بلاد فارس من تخوم الصين والحيوان الذى يوجد فيه هو الأيل الذى يكون
بتلك الجهات ويذكر أن الأيل الذى يوجد فيه البازهر يشتهى أكل الحيات
لأسمان صغرى من أولادها وهو معظم غذائه يبحث عنها ويستخرجها من حيث
كانت فبأكلها وقد اختلف الناس في أى موضع من الحيوان يتسكن البازهر
على ثلاثة أقوال الأول أنه يتسكن في عينيه قالوا ذلك أنه إذا أكل من أكله
لفراخ الحيات اهترته حكمة في سائر جسده من سمها فيعمد إلى بركة ماء فيغوص
فيها رافعاً رأسه عن الماء إلى أن يغيب كله في الماء حتى لا يظهر منه إلا حدقتاه
فيرتفع حينئذ من سائر جسده بخار رطب إلى عينيه ثم يخرج من مآقيه اللذين

يلبان أنفه بمنة ويسرة ويستحيل ماء فاذا ضرب به الهواء جدد وجسده جبراً وبقى
 معلقاً بشعرنا حتى أنفه ثم يعرض له مثل ذلك العارض فيفعل مثل هذا الفعل
 فيخرج بخاراً آخر ويستحيل ماء ويسيل من ذلك الموضع بعينه على الحجر المتكئون
 قبل فيجمد اذا باشره الهواء فوق الحجر الاول كما جدد الذي قبله ولا يزال كذلك
 حتى يشغل الحجر فيسقط من ذاته أو يحكه الحيوان اذا ثقل عليه الى حجر أو أصل
 شجرة فيسقط فتتبع مظانه حتى يوجده فيؤخذ منها وأخبرني من لا أشك في
 صدقه وثقة نقله أن يتخوم الشام فيما بينها وبين بلاد الروم بموضع يسمى
 مرعش وما يتصل به ايل يأكل فراخ الحيات ويعرض له من أكلها ما ذكرناه
 ويفعل الوصف الذي وصفناه وان البازهر يتكئون في عيونيه على حسب
 ما ذكرناه القول الثاني ان هذا الحجر يتكئون في قلب هذا الحيوان وانه
 يصاد لاجله ويذبح ويستخرج الحجر من قلبه وهذا القول رأيت بعض أطباء
 مصر حسان نوره عنه فيما بهدوه وهو غير صحيح القول الثالث أن هذا الحجر
 يتكئون في مرارة هذا الحيوان كما يتكئون كثير من الاجار في كثير من الحيوان
 ويذبح فيخرج البازهر من مرارته ومن يقول ذلك يستدل على صحة قوله بأن هذا
 الحجر اذا ذيق ظاهره باللسان وجد طعم المرارة عليه ظاهره وأكثرت ذاق
 الجوهريين وأرباب الخبرة منهم على هذا القول وهذا عندي هو الصحيح وأخبرني
 بعضهم أنه شاهد جحراً منه ان كسر فوجد فيه حشيشة اشتغل عليها الحجر في أصل
 تكونه (جيده ورديته) الخالص الجيد الموجود منه في هذا التاريخ هذا
 الحيوان في المذكور قبل وهو الاصغر الخفيف الهش المنقط ذو الطبقات الابيض
 المحك المر المذاق (خواصه) في نفسه منها أنه اذا مر على حة العقرب أبطل لسمها
 وان لسمت لم يؤذ سمها ومنها أنه ان حك على أفواه الافاعي والحيات خنقها
 وماتت وهذا الذي قبله مما يختبر به البازهر الحيوان الخالص من المغشوش
 ومنها انه اذا جعل مع أجسام خشنه مباشرة لجسمه حكة معه غيرت صورته
 وخشنه وغيرت لونه وجميع صفاته حتى لا يكاد يعرف وقد كان عندي حجر بازهر
 حيواني خالص فجعلته في كيس فيه دنانير ذهباً ثم سافرت من موضع الى موضع
 آخر فلما استقرت فتحت الكيس واستخرجت الحجر البازهر فلم أعرفه حتى

فزاد تشكيكي ولم يكن معي من أنهمه فنجبت من ذلك وبقيت متحيرة في أمره ثم جعلته
 في حق صغير بعد أن لففته بابر يسم وغفلت عنه مدة ثم أخرجته فوجدته الحجر
 الذي كنت أعرفه أولاً قد زالت عنه الهيئة الرديئة التي اكتسبها من احتكاكه
 بخشونة الذهب الآن وزنه نقص بما انحك منه في السكس ولما كان بعد
 ذلك جرى ذكر البازهر بيني وبين حذاق الجواهر بين فعر فني أن من خاصيته أن
 احتكاكه بالأجسام الخشنة يغيره فعرفته بما شاهدته في ذلك بالتجربة
 تصديقاً لقوله (خواصه) في منافعه أخص منافعه النفع من السم أي سم كان
 قاتله أو غير قاتله من سموم الحيوان والنبات من السموم الحارة والباردة ومن
 عض الهوام واللدغ والنهش إذا شرب منه من ثلاث شعيرات إلى اثني عشرة شعيرة
 مسحوقه أو مسحوقه بالمبرد أو محكوكه على المسن بزيت الزيتون أو الماء فإنه
 يخرج السم بالعرق من جسد السموم ويخلص نفسه من الموت ويفعل ذلك بجملة
 جواهره والخاصية المودعة فيه أنه هو حجر شريف نفيس ليس له في جميع الأحجار
 ما يقوم مقامه في دفع السموم ومن خواصه أنه إذا سحق ونثر على موضع
 النهش وغيره جذب السم إلى خارجه وإبطال فعله ومن خواصه ما ذكره ابن جميع
 في كتابه الملقب بالارشاد إلى مصالح الأنفس والأجساد قال والحيوان من
 البازهر وهو الموجود في قلوب الأيائل أفضل في جميع الأوصاف المذكورة في
 البازهر حتى أنه إذا حك بالماء على مسن وسقى منه كل يوم وزن نصف دانق
 للصبي على طريق الاستعداد والتقدم بالمحولة قادم السموم القادمة وحسم من
 مضارها ولم يحش غائلة ولا إثارة خلط حام كما يخشى من المتروك يطوش ولا يضر
 المحرورين ولا النخيفين لأنه إنما يفعل ذلك بخاصية جواهره ومن خواصه
 أنه من تختم منه بوزن اثني عشرة شعيرة في فص خاتم ثم وضع ذلك الفص على
 موضع اللدغ من العنق والهورم الطيارات وعير الطيارات ذوات السموم
 وأجناس الزناير والدراريج نهج منها نفعاً يدياً ومن خواصه أنه إذا سحق ثم نثر
 على موضع اللدغ من الهوام الأرضية حين اللدغ اجتذب السم وأرشمه وإن
 عفر الموضع قبل أن يبادر إليه بالدواء ثم شرع عليه من هذا الحجر مسحوقاً براه ومن
 خواصه ما ذكره بعض الحكماء من الأوائل أنه إذا صنع خاتم من ذهب ويكون
 فسه بازهر ونعش عليه صورة العقرب حين يكون القمر في العقرب ويكون

العقرب وتدا من أوتاد الطالع ثم يطبع بهذا الخاتم طوابع من كندر مضوخ
معمول منه قرص والقمر في العقرب أيضا ويرفع فمن لدغته العقرب وشرب
قرصا من هذه الأقراص المختومة به هذا الفص البازهر لم تضره اللسعة وبرأ
منها وقد جرب هذا فوجد صحيحا وختم به على غير الكندر لثلاث كون الخاصية
للكندر ففعل كما يفعل إذا ختم به على الكندر انتهى (الفيروزج) حجر نحاس
يتكون من أبحرة النحاس الصاعدة من معدنه على ما ندكره بعد في تكون
غيره من الأبحار النحاسية (معدنه) الذي يتكون فيه الفيروزج يجلب من
معدن جبل النيسابور ومنه يحمل إلى سائر البلاد ومنه نوع يوجد في نساور الآن
النيسابوري خير منه (جيده ورديته) الفيروزج نومان سبحاني وقبحاني والنخالص
منه العتيق وهو السبحاني والاجود منه الأزرق الصافي اللون المشرق الصفا
الشديد اللعان المستوي الصبغ وأكثر ما يكون فصوصا وذكر الكندي أنه
رأى جرازته أوقية ونصف * خواصه في نفسه منها أنه حجر يصفو لونه في صفاء
البحر ويكدر مع كدورته وذو كراس طاطا ليس أن كل حجر يستحيل عن لونه فهو
ردىء للأبسة ومنها أنه إذا أصابه شيء من الدهن أفسد حسنه وغير لونه
وكذلك العرق يفسد ويطفئ لونه بالكلية وكذلك المسك إذا باشره أبطل لونه
وأذهب حسنه (خواصه) ومنافعه منها أنه يجلو البصر بالنظر إليه ومنها أنه ينفع
العيون إذا سحق في الأكحال ومنها أنه إذا سحق وشرب نفع من لدغ العقارب
وطبيعته البرد واليبوسة (العتيق) حار يابس وفيه ثلاث خصال من الخواص
الاولى أنه من تقلد بالاجر منه الشديد الحرة سكنت روعته عند الخصام الثانية
أنه من تختم بالنوع الثاني منه وهو الذي لونه لون ماء اللحم إذا ألقى فيه الملح وفيه
خطوط بيض قطع عن حامله نزع الدم من أي موضع كان من الجسم ولا سيما
النساء اللواتي يدوم طمهن الثالثة أنه إذا استيك به من أي أنواعه اتفق
أذهب عن الأسنان صدها وبيضها وأذهب الحفر ومنع الأسنان أن يخرج من
أصولها الدم (ظرائف) تليق به هذا المكان قال بعض الفضلاء ممن يعتمد على
قوله من تذهب للشافعي وقرأ الأبي عمر وليس البياض وتختتم بالعتيق وحفظ
قصيدة ابن رزيق البغدادي فقد استكمل الظرف ومما سمع عنه قيل إن
خاتمه ما وجد في أصبع قتيل

(وقيل) وما أحسن استخدام فيه * عجب بالعقيق فدعى بحكيمه
(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

لا تسلم من حديث دمي لما * طعن الركب واستقل الفريق
لوتته وأطرت دموعي * جرى منها الوادي وسال العقيق
(وقال) صدر الدين بن عبد الحق

اذكرها الغضا ولذيعيش * تقضى بالعقيق دوين سلع
فقلت ما الغضا فأجبت قاي * وقالت ما العقيق فقلت دمي
(وأنشدني) الشيخ تقي الدين بن حجة من قصيدة نبوية أولها

شدت بكم العشاق لما ترغوا * ففتوا وقد طاب المقام وزم
وضاع شذاكم بين سلع وحابر * فكان دليل الظاعنين اليكم
وبزتم بوادي الجزع فاحضروا التوى * على نعه بالنبت صدغ ممت
ولما روى أخبار نشر ثغورك * أراك الحى جاء الهوى يتنسم
(ومنها) في المدح الشريف

فيا ساكني واد العقيق بأحد * نحو اتم خير قد انت فتحنموا
(وهذه) القصيدة كلها غرر فمع الله في وجود قائلها وأنا لنافعة مدوحها
صلى الله عليه وسلم وكيف لا تكون غرة وهو القائل فيها

نبي غدا في جبهة الدهر غرة * بنسبته البيضاء والشرك أدهم
وروضة حسن في ربيع لنا بدت * ومنبتها البيت العتيق المحرم
له النسب الاعلا في مادح الوري * اذا كان مدح فالنسب المقدم
ويا من غدا في حب زينب هاتما * وكان له عند الرباب ترنم
بحب ابن عبد الله أولى فانه * به يبدأ الذكرا الجليل ويختتم
تأمل ما أحسن هذا التضمين (اليشم واليشب) حبران فضيان وكانهما قريب
بعضه من بعض ويتكونا من أبحرة مقصرة عن كان الفضة على ما تقدم
القول فيما سلف معدنه الذي يتكون فيه كاشغر ومنه يجلب الى البلاد
وكاشغر بين الصين وغزنة مسيرة ثيف وعشرين يوما من غزنة الى جهة الشمال
لسانهم تركي (جيده ورديشه) اليشم نوعان أحدهما أبيض والآخر أصفر كالون
العاج العتيق ويقال ان هذا هو الخالص (خواصه ومنافعه) من خامه

نفسه اذا الفت عليه شعرة من شعر الانسان ثم وضع في النار لم يحترق الشعر وكثير من المحرفين في بلاد الجحيم يحملونه ويفعلون به ذلك ويدعون أنه من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فيوهمون العوام بذلك وبهذه الخاصية يختبر الخالص من هذا الحجر من سواء ومن خواصه ومنافعه أن الصاعقة لا تقع عليه وعلى من حمله ألبتة وقد أخبرني ثقات من الجحيم أنهم شاهدوا ذلك ببلاد الجحيم حيث تنبع الصواعق كثيرا فبنوا في القلعة منارة وعلاوا فيها هذا الحجر فترى الصواعق نازلة من السماء تنحيد عن موضع الحجر إلى سائر الجهات البعيدة عنه ويقال إن من تختم به قطع عنه كثرة الاحتلام ومن خواصه ما ذكره جالينوس في الادوية المهردة أنه ينفع من وجع المعدة بالتعليق عليها من خارج (الببور) معدنه الذي يتكون فيه ما يوجد بتربة العرب بأشجار الشريفة على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وهو أجوده ومنه ما يؤتى به من الصين وهودون العربي ومنه ما يكون ببلاد أفرنجية وهو جيد أيضا ومنه معادن بناحية أرمينية يميل إلى الصفرة الزاجية كأنه مطبوخ بالنار وقد ظهر منه بهذا التاريخ معدن بالمغرب الأقصى بمقربة من مراکش حاضرة المغرب نفي اللون إلا أن فيه تشعيرا وهو كثير عندهم حتى فرش منه ملك المغرب مجلسا كبيرا أرضا وحيطانا (جيد وورديته) أجوده أنقاه وأصفاه وأشغاه وأبيضه وأسلمه من التشعير فان كان مع ذلك كبيرا الجرمانية كان أو غيرا نية كان الغاية في نوعه قال التيفاشي أخبرني أن تاجر من تجار الأفرنجية أتاه إلى ملك من ملوك المغرب قبعة من البلور قطعتين يجلس فيها أربعة نفر ورأيت منه صورة ديك مخروطا اذا صب فيه الشراب ظهر لونه في أظفار الديك ورؤس أجنته صنعة بلاد الأفرنجية ويصنع منه كل عجيب من الاواني وقال الكندي إن في البلور قطعا يخرج في القطعة منها من المعدن أكثر من مائة من قال التيفاشي وأخبرني غير واحد من أهل غزنة بنقل متفق على صحته أن بالقرب منها بينها وبين كاشغر مسيرة ثلاثة عشر يوما واديا بين جبلي ذلك الوادي طريق موصل إلى كاشغر والجبلان اللذان على الوادي من جهته بلور خالص يقطع في الليل لأن أشعته اذا طلعت عليه الشمس تمتع العمل فيه بالنهار ويصنع منه خواب للساء في كاشغر وغزنة وأخبرني من كان متصلا بشهاب الدين الغوري ملك غزنة أنه رأى في قصره أربعة خواب للساء كل خاية تحمل

ثلاث روايات من روايات البحال جميعها على محامل يصعد منها اليها من بلور كل واحد من مجل ثلاث قناطر الى أربعة (خواصه في نفسه) انه يذوب كما يذوب الزجاج ويقبل الصبغ ومنها انه يستقبل به الشمس ثم ينظر الى موضع الشعاع الذي قد خرج من الحجر فيستقبل به خرقة سوداء فتحترق وتوجد فيها النار (خاصيته) في منفعته من علق عليه لم ير منام سوء ثم ذلك (ذكر القاضي شهاب الدين) بن فضل الله العمري في تاريخه الذي سماه سالك الا بصار ان شخصا من بعض التجار في أصناف الجواهر يجهز كل سنة مائة اليه وجأعة الى المغاص ليغوصوا على الاؤلؤ في الوقت المعتاد وهو في شهر ربيع في السنة فاتفق انه انه منذ جميع ما يملكه في ذلك ولم يحصل على طائل ولم يطلع له شيء وافقر ولم يبق له ما يجهز به الى المغاص فطالب من امراته معضدة كانت في عضدها ذهبا فقالت له يا هذا تعمل لك بهذه المعضدة خرقة غير ما أنت فيه من الاؤلؤ فقال ما أرجع عن صنفى ومتجربى وتجهز هو بنفسه في جأعة الى المغاص فغاصوا له في الوقت المعتاد الى اليوم التاسع والخمسين ولم يطلع له شيء الى آخر النهار طلعت درة مالها قيمة فأحضروها اليه وقالوا له هذه غصني على اسم ايليس وقد رد الله عليك جميع ما أنفقته فاستدعى بحجرين ووضعها بينهما الى ان عدهما وكسرها ثم رمى بها في البحر فلامه الحاضرون رفقاءه التجار على ما فعل وقالوا قطعة مثل هذه تقع لك وما عندك مثلها تعدهما فقال هذه القطعة ما أنتفع بها ولا أجدها بركة ويحى كل من يأتي بهدى يقتدى بفعلى ويغوصون له على اسم ايليس ويبقى على تأثم ذلك الى يوم القيامة اذهبوا وغوصوا على اسم الله عز وجل فأصبحوا تمام الستين يوما غاصوا له على اسم الله فطلعت اهم الدرة اليتيمة فوجه بها الى الخليفة ببغداد وهو اذ ذاك المقتدر فابتاها عليه بثلاثمائة ألف درهم وحسن حاله ببركة اسم الله عز وجل انتهى ذلك والله أعلم

(الباب الاربعون في خراش السلاح والكائن)*

سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معدى كرب عن السلاح فقال ما تقول في الرمح قال أنحوك وربما خاك فانقص قال فما تقول في الترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبيل قال منسا يا تخطى وتصيب قال

فما تقول في الدرع قال مقشلة لأرجل مشذلة للفارس وانها الحصن حصين قال
فما تقول في السيف قال هنالك لأم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال
له تقول لأم لك قال انجى أصر عتني (القاضي) الفاضل من قصيدة
تمد إلى الأعداء مناهم عصما * فترجع من ماء السكلى بأساور

(وله)

ولرب هاتفة دعتهم للوغى * جعلوا صليل المرفقات صداهما
هي في بحار يديه أمواج ترى * نفوس من قتلته من غرقاها

(العمري)

كأن على أفرنده موج نجمة * تعاصر في حافاته وتجول
كأن عيون الذر كمرن حوله * عيون جراد بينهن دخول
حسام غداة الروح حتى كاشه * من الله في قبض النفوس رسول

(أبو) العلاء المعري

ودبت فوقه جرام النسايا * ولاكن بعدما مسحت نبالا
غراداه لسانا مشر في * يقول غرائب الموت ارتجالا
يذيب الرعب منه كل غضب * فلول الغم مدبمكه لبالا

(النامي)

ذي مدمع من غير ما مستعبر * وتبسم من ثغره متوالى
وبريك في لآله متواقدا * حنق المنون به على الآجال
(وقال) أعلم الرؤساء ابن الصير في أبو القاسم على بن منجب من ثغره على طريق
اللفز يباليغ في شكره إذا أفسد ويرح ويقبل في تركيته شهادة الجرح
(ابن قلاقس)

أسرتهم وشهرتها في موعدهم * مذا حوت في راحتك حرام
وكلاهما جفن منعت غراره * لكن ذاعضب وذاك منام

(ابن سناء الملك)

له منصل لا ينقضى فرض حجه * فبالضرب أبي وهو بالسل محرما
تذك الأسلام لما رأيت به * يحل له في الشرع أن يشرب الدما
فكم سل لاسل من بطن غمده * لسان دم من ضربة خلقت فما

(وقال) وجهه الدين بن الدروي
فتقت بأجساد الاسود لواظنا * رنت للنسايا عن عيون الثعالب
وانطقت أفواها على قم العدى * بالسنة البيض الرقاق المضارب
بحيث الوغى روض تغنى ذبابه * وسال على نور الطلى كالمذاب
وقد نشقت ورد الكاوم صغاده * وما شربت الادماء الترائب
(وله)

سكران من شربه خمر الدما فان * حياه نور الطلى غنى لها هزجا
(ذوالوزارتين) لسان الدين بن الخطيب الاندلسي
وخليج هند راق حسن صفائه * حتى يكاد يعوم فيه الصبيقل
غرقت بصفحة النمل وأوشكت * تبغى النجاة فأوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منه ممرود والشط منه مهذل
(وقال) مجير الدين بن تميم

لما اقتنيت من الصوارم أعوجا * يجري القضاء بنهره الملقوج
جبت القفار وما جلت اداوة * للماء من ثقتى بنهر الاعوج
(ابن نباتة)

وصارم كعباب الموج ملتطم * يكاد يغرق رابية ويحترق
لما غدا جدولا تسقى المنون به * أخشى يشف على طافاته العلق
(الشريف البياضى)

وانا اذا الارواح ذابت مخافة * فتحنا باشـطان الرماح ركابها
متى ما أردنا أن يذاق حديدنا * نخلعنا بحدا المشرفية أفواها
(ومن كلام تقي الدين بن حجة) فى معنى سكون الحرب
واعقل الرمح بسجين السلم بعد أن كان على رأسه لواء الحرب معقود
وهجعت مقل السيوف فى أجفانها لما علمت أن الزيادة فى التحذير نقص فى المجهود
(ولشيخ برهان الدين القيراطى)

قوم مناديلهم بيض فكم مسحت * رقاب أعدائهم تلك المناديل
(العزيز وأجاد)

وقد ساب الطعن الاسنة لونها * فعصفر فى اللبات ما كان أزرقا

وأسيافنا في السابغات كأنها * جداول تجري بين زهر تفتقا
(ابن خفاجة)

موسد تحت ظل السيف تحسبه * مستلقيا فوق شاطئ جدول غلا
(الرمح) ذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه الجوائب والظرف أنه كان
في خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون
ألف جوشن ومائة ألف رمح (ومنه) قال الفضل بن الربيع لما ولي محمد الأمير
الخليفة في سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني أن أحصى ما في الخزان من الكسوة
والفرش والآنية والآلة ذكرت الفرش والكسوة في بابها من هذا الكتاب
وأما الآلة ف عشرة آلاف سيف محلاة بالذهب وخمسون ألفا للشاكرية
والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع خاصة محلاة
وألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف
 وخمسون ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة خاصة وثلاثون ألف سرج
عامة (القاضي الفاضل)

يقتل حيات الحقود من العدا * بحيات سمر بالاسنة نهشا
وينصبها أن يرتقوا المحب سلا * ويرساها أن ينزلوا القلب كالرنا
(وله)

أمنصل الرمح الطويل بكوكب * من ذا يطاعن والممالك سمان
(ابن سناء الملك)

ملوك يحوزون الممالك عنوة * بسمر العوالي أوبديض القواضب
رماح بأيديهم طولاً كأنها * أرادوا بها تثقيب در السكواكب
(ابن قلائس)

وقد كالت بأميال العوالي * أساء الحرب أحداق الدروع
وشب البأس نيران المواضي * وأسبل غيث أمواه الدموع
فلفرسان من محل ووحل * حديث عن مصيف أوربيع
(وله)

ومصرف الرمح الطويل سنانه * فتحناله فلما هناك محرفا
حيث الحاجة فوق لامة الظبي * تثنى على الأصباح أيلام غدا

(١٦٣)

فترك طرف الجؤ منها أكلا * ومن الطوال السهرية أوطفا
(ابن النبيه)

والنيل في خال العجاج كأنه * وأبل تتابع في خلال صحائب
لعبت أسنته على أعلامها * فكأنها شهب ذوات ذوائب
(الذروي)

وراء هاتيك الخيام أهلة * هامت أبت الوشج الأعوج
ارتحت حولهم لزرق أسنة * حتى كأنك في رياض بنفسج
(ابن المنشد) ملغزافيه

أى شئ يكون ما لا وذخرا * راق حسنا عند اللقاء ومخبر
أسمر القذ أزرق السن وصفا * انما قلبه بلاشك أحر
(الفاضل)

فيما عجبا لئلك قرقاره * بمختلفات من قتال الشواجر
طواعن أسرار القلوب نواظر * كأنك قد نصلتها بنواظر
(لسان الدين) محمد بن الخطيب

وبكل أزرق ان شكت أخطاه * من العيون فبالعجاجة مكمل
متأود أعطافه من نشوة * مما يعمل من الدماء وينهل
عجباله ان النجيع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل
(السيد الفاضل) شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الأمدى
غصون بها طير الفوس تنافرت * وعهدى أن الغصن للطير مألّف
ولا ورق الأمن التبر حولها * ولا زهر إلا من النصر يعطف
(وقال) فخر القضاة نصر الله بن بصاقة كتب للناصر دوا بن عيسى ووزله
وجاس معه في صدر الأيوان (ومن نظمهم ملغزا)

مهى ثقيل ان أطيل عنانه * مطيع خفيف الكل حين يقصر
ترى منه أميا الى الخط ينقى * ومغزى بغزو الروم وهو مزر
عجبت له من صامت وهو أجوف * ومن مستطيل الشكل وهو مدور
ومن طاعن في السن ليس بمنحنى * ومن أرعن ما عاش وهو موقر
(ابن نباتة السعدي)

وولوا عليها يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
 خلقت بأطراف القنا الظهورهم * عيونها وقع السيوف حواجب
 (ذكرنا تعالى) في لطائف المعارف أن أول من عمل له سنان من حديد ذو نرن
 المجري واليه نسبت الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصي البقر
 (قلت) قد كان رسم مجاعة من الفضلاء بالملكة الشامية أن ينظموا أبياتا
 تكتب على أسنة الرماح وأن تكون البيوت أربعة وذلك برسم المقر العالي
 الطينغا الجوباني كافل الشام المحروس رحمه الله تعالى فنظم سيدنا المقر
 المرحوم الشهير بابن الشهيد فتح الدين رحمه الله تعالى

إذا الغبار علا في الجوعشيره * فأظلم الجوّ ما للشمس أنوار
 هذا سنانى نجم يستضاهيه * كأنه علم في رأسه نار
 والسيف ان نام ملء الجفن في غاق * فأنى بارز للحرب خطار
 ان الرماح لا غصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار
 (وأنشدنى) القاضى المرحوم أمين الدين محمد الانصارى لنفسه وهو اذ ذاك
 كاتب السر بمحصر المحروسة

عروس سنانى حين يجلى على العدا * وتظهر تبدي ما لهم من بواطن
 وقد صيغ من هم فبين صدورهم * مجال له رجب فسح المواطن
 سيلقون يوم الجمع غبنا الموتهم * بطعنى ويوم الجمع يوم التغابن
 وان شهدوا بالمجور فى وعدلوا * فاني قد بينت فيهم مطاعنى
 (ونظم) سيدنا القاضى صدر الدين على بن الحنفى الاذى رحمه الله وأنشدنيها
 من لفظه وهى من مبادئ نظم

النصر مقرون بضرب أسنة * لمعانها كوميض برق يشرق
 سبكت لتسبك كل خصم مارد * وتطرقت لمعانها يتطرق
 زرق تفوق البيض فى الهيجاء * يحمر من دمه العدو والازرق
 ينسجن يوم الحرب كل كتية * تحت الغبار فنصره من محقق
 (ونظم) الشيخ شمس الدين محمد بن بركة الرئيس وأنشدنيها من لفظه لنفسه
 رحمه الله تعالى

أنا أسمر والراية البيضاء لى * لا لالسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لي عيش العداة لاني * نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تغامت الحكمة بجفل * كلتهم فيه بكل لسان
فتخاهاهم غمات ساق الى الردى * قهر المعظم سطوة الجويان
(لوقال) كبت كلامهم بلسان * لكان أحسن (الشي) يذكروا وزمه نقلت
من مجموعة بخط بعض الافاضل أن بعض الامراء بالاندلس وأظنه المنصور بن
ناصر وجه الله كان اذا قصد غزوة عقد لواءه بجامع قرطبة ويجعل مسيره الى
الغزوة من الجامع فاتفق أنه في بعض حركاته للغزوات توجه الى الجامع لعقد اللواء
واجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء الراء فصادف
ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد عليها الزيت فتطير
الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقام رجل وقال أبشر يا أمير المؤمنين
بغزوة هينة وغنيمة سارة قد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة
فاستحسن ذلك المنصور واستبشر وكانت تلك الوجهة من أبرك غزواته
(وما أظرف) والطف قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل متغزلا
كم قال معاطي حكمتها الا نسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
فالا ن أو امرى عليهم حكمت * البيض تحذ والقنا تعقل

(ابن تميم)

لو كنت تشهدني وقد حى الوغى * في موقف ما الموت عنه بمزل
لترى أنا ييب القناسة على يدي * تجري دما من تحت ظل القسطل

(ابن شرف القيرواني)

وقد وخطت ارماحهم مفرق الدجى * فبات بأطراف الاسنة شائبا
(القوس) حدث العتي عن بعض أشيانه قال كنت عند المهاجرين عبد الله
والى اليمامة فأقنى بأعرابي كان معروفا بالشرف فقال له أخبرني عن بعض
عجائبك قال عجائبي كثيرة ومن أعجبها أنه كان لي بعير لا يسبق وكان لي خيل
لا تلحق فكنت أخرج محاربا فخرجت فاحترشت ضيما فعلقته على قبسي
ثم لا أرجع خائبا فررت بنجبا ليس فيه الا عجوز وليس معها غيرها فقلت يجب
ان تكون اها رائحة من غنم وابل فلما أصبحت اذا أنا بابل مائة فيها شيخ عظيم
البطن شثن الكفين ومعه عبد أسود فلما رأني رحب بي ثم قام الى ناقه فخلعها

وناولني العليسة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته
 ثم حاب تسع أنيق فشرب البسان ثم تخر حوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضاء
 ثم جثى على كومة من بطحاء وتوسدها ثم غط غطيظ البكر فقلت والله هذه
 الغنمة الباردة ثم قتت الى فحل ابله فطمته ثم قرنته به به يرى وصحت به
 فأتبعني واتبعتة الابل أربا كأنها في قطار فصارت تخافى كأنها حبل ممدود
 فضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للسرع فلم أزل أضرب به به يرى مرة
 بيدي ومرة برجلي حتى طلع الفجر فأبصرت اثنية فاذا عليهما شيء أسود فلما دنوت
 اذا الشيخ قاعد وقوسه في حجره فقال أضيفنا قلت نعم قال أتستخوين نفسك
 عن هذه الابل قلت لا فأخرج سهمي كأنما نصله لسان كلب ثم قال أبصره
 بين اذني الظبي المعلق متى القيت به فرماه فصعد عظمه من دماغه ثم قال ما تقول
 قلت أنا على رأي الاول ثم قال أبصر هذا السهم الثاني في قفارة ظهره الوسطى
 ثم رمى ف. كأنما غرسها فيه ثم قال ما رأيك قلت أحب أن أستتبت قال انظر
 هذا السهم الثالث في علوة ذنبه والرابع والله في بطنك ثم رماه فلم يخطئ
 العكوة قلت آتزل آتزل نعم ثم دفعت اليه خطام فله وقلت هذه ابلك
 لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى ترميني بسهم تصديه قاي فلما تباعدت قال
 أقبل فأقبأت والله فرقا من شره لا طمعه في خيره فقال أحسبك ما جئت الليلة
 الا من حاجة قلت أجل والله قال فاقرن من هذه الابل بعيرين واهض لطيتك
 فقلت لن والله حتى أخبرك عن نفسك فلا والله ما رأيت أعرا ييا قط أشد ضررا
 ولا أعدى رجلا ولا أرمي يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك قال
 فاستحي وترك الابل جميعها (قلت) ذكر هذه الحكاية الشيخ جمال الدين بن نباتة
 في سرح العيون بخلاف هذه الالفاظ وان الشيخ المذکور زيد الخيل واسمه
 مهامل * عزم الملك المعظم على الصيد فقال له بعض الجماعة يا مولانا القهر في
 العقب والسفر فيه مذموم والمصلحة الصبر الى ان ينزل القهر القوس فعزم على
 الصبر فبينما هو مفكر اذ دخل ملوك كان له من أحسن الناس وجها يقال له
 ايد غدي فوقف قدامه وقد توشح بقوس فقال لبعض الحاضرين يا مولانا
 اركب الساعة فهذا القهر في القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا
 فلم ير أطيب من تلك السفارة ولا أكثر من صيدها (الشهاب الاعزازي) ملغزا

فيها وفي الشباب

ما عجز كبيرة بلغت عـرا وتقيها الرجال
قد علا جميعها صفار ولم تشك سقاما ولا عراها هزال
واها في البنين سهم وقسم * وبنوها بكار قدر نبال
وأراها لم يشتهوها في الأم * أعوجاج وفي البنين اعتدال

(الحلى) ما غزا

وما سم تراه في البروج وانما * يحمل به المريح دون الكواكب
إذا قدر الباري عليه مصيبة * عدته وحلات في صدور الكتاب
(بدر الدين) بن صاحب ما غزا

لله عـلوك اذا * ما قام في الشغل اعترض
لكنه في لحظة * محصل لك الغرض

(أبدمر يرفي سهم الانكسر)

باسهم هاج رداك لي بلبالا * وأطار نومي والهجوم أطلالا
مذنبت ما راع الحجام حمامه * يوما ولا علق المنون غزالا
ولطال ماشوش من سرب المها * الفاوم من سطر الكراكي دالا
قد كنت أعجب للقيس سقيمة * صفرا تشن كأنهن نكالا
فاذا بهاعلم بيومك في الردي * كانت عليك تكابد الاهوالا
عجبا من الآجال كيف تقسمت * فيه وكان يقسم الآجالا

(وقال) الامام كمال الدين اسمعيل بن جمال الدين عبد الرزاق الاصفهاني
رحمه الله ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكاله في
الارض وآتيناه من كل شيء سبيافا تتبع سبيا حكيم جبيل على السداد يهدي
الى سبل الرشاد آثار بأسه مشهورة على ذرى الاعواد بطشه شديد ومرماه
بعيد أيد في مغزاه بالتعقيب يأخذ في التشريق بعد التغريب فشد بكل
شديد الاغارة أسره ووسد الى كل مشيوح الذراعين نصره فأفذر سله تترى
شفعا ووترا فطير برده الى الاطراف بنوع من الاستعطاف وأثبت ما في
خميته في القوطاس اظهارا للباس وانذارا للناس وأغرق قوس عزائم في
الركض وحرم على جنبه القرار في الارض فأعين بقوة جمع بها بين اليدين

ثم قبض في البين عند ملتقى الحدين وكان من دعائه في انحنائه رب اشرح لي
صدرى واشدد أزرى واحال عقدة من لساني يفقهوا قولي وأنى أفصح مني
لسانا فارسله معي واشركه في أمري نعم ويسألونك عن الأهله صفرا من غير اهله
حنانة حنت ولا تهنت حية اذا انطلقت ارجنت مرنان لا عن مرض يشهب
الى غرض هـ لال يطلع بحاول الاجل المضروب استهلاله دليل الوقائع
والمحروب بحرة تنقض منها نجوم الرجوم برج ذو جسد ين يطلع بالطائر الميشوم
ثابت يقارن السيارات واقع ينهض من وكرة الطيارات ذات الحبك
لا تراجع كواكبها برج معوج الضلوع تغور في أسرع زمان غواربها
معنى أحكمت مبانیه ورفعت بحانيه حائطه مائل وعماده زائل لا يقوم
مناده ولم ينقص وكاده نبأ نبأ بساكنه فترحل منه ويدت أزعج نازله فتحوّل
عنه رباط موقوف على المساره لا تلبث فيه السياره بيت منزح ينفرد عنه
الطبع السليم ويفر عنه النبع المستقيم محل النزاع ينظر فيه عند المجادله
متحرف للقتال يولى الظهور عند المقاتله سورة محكمه ذكر فيها القتال
يتمسك به أصحاب الجدال شديد القوي ذو مره يواتر بين رساله من غير فتره
من بذات الجنب يقلقه انبعاث مرته لا يسكن الا اذا دسع بحربته شيطان تطلع
شمس النصره من قرنيه مارد لا يسكن الا بتعريك أذنيه صورة مركبة ليس
لها من تركيب النظم الا ما حلت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم اضلاع
على الوتر تطوى أكباد تحن الى القسطنطين الطوى مستأشردت الى العقب
أذقانه يضيق صدره ولا ينطق لسانه بطل شد حيازيمه للموت ويحزح
من خوف الفوت بأعلى الصوت مقدام من بنى الا صفر قدم في دار الحرب
وشد عليه الوثاق حتى شكاضيق الخناق وجرى عليه سهم الاسترقاق فصار
ملك اليمين باستحقاق ولا غرو أن مال الى أصحاب الشمال فهو فرع أصله
ضال متكبر يأبى السجود للبشر في صلبه مثل صياصي البقر مغشى عليه
جمع الى الا صفر انحولوا وحنينا فقبض وكان في التزع حيننا مطية تتخالف
سائر الانعام قيامها باليد وقيامهن بالاقدام وكلما كانت أثبت على المقام
كان راكبها أقرب الى بلوغ المرام مضيرة ينطيرها الاكب اذا كانت معقوله
وينزل عنها اذا أرسلت محلوله أعوجي يشتد في مرا كض السباق أجمي

يلقى الاشداق شاكية تودع شغرا لا تعود عقيلة تحن الى زوج من هودعاتكة
 شبق شديدة العرامه أعجب بها احدا بامه مديدة القامه عنقاء ترف افراخ النسر
 تزيد في مرتها الدهور سلس القياد صعب الى ذى مره غير مستوى مقبوض
 جمع الباري عظامه فصوره وأحسن نظامه فقامت عليه القبة ألف ونون
 جعل التشبيه لا يرميه أهل القياس بالخطئة بل بالف قارون نون مشددة فاذا
 حركته أن واذا تركته اطمأن حرف اذا رفع نصب للجر ولا يستعمل جرما
 بعد ما دخله الكسر وحرف آخر مطوف عليه ومجرور بالاضافة اليه حرف
 أدغم فيه غيره يتسكين وجعل منه تشديد وتون هيتته شبه علامة اذا عطلت
 وتشا كل الياء اذا استعملت ذونيرب مشاء بنميم عتل على الجفاء مقيم مغرق
 يتنكب على موارد الماء معرق عندها النسب والانتفاء وأخوه دعى به
 لاحق عيص ألف ونبيه مطورة ينحى اذا اتصل الدعى اللاصق مقيد يحمل
 عليه المطلق طويل العنق من جبل عاتقه معلق خفيف الرأس يميل الى كل
 طياش عارى المنساكب في جبالته ذوات الرياش نحيف يرى أثر المساجم
 يظهره يتم لفصد غيره أجش يرفع صوته بين الرماه بارز يفت في أعضاد
 الكاه لامرأته أدرك الرقاء ونكب عن مرأته شك الرماه كان شظيته من
 فرع ايك تسخها النسر والطاويات أعجوبة جعت بين أضدادها تنعاف في خضوع
 واباء في خشوع وتعطف في قساوه وصلابة في رخاوه اشباه أعناق الجمال
 طابها زمامها أضلاع انضاء توسطها سنامها كأن قرنيه صل انسلخ من اهابه
 نخلع عليه بعض ثيابه مضمار جمع بين الانمي والوحشى عاقل يرفل في اللباس
 موشى وثنوى يغشى النار ولا يحشى العار وتورن شرأذنيه لدرك النار موتر
 أنخذ في الر كوع وهو قائم نخيص البطن يتلع ذراعا وهو صائم محدوب بلغ
 قاب قوسين في الارتياض متعشف ابلى طمريه في التذلل والانخفاض منقبض
 جمع للانزواء أطرافه مرابط به عند اللقاء أعطافه متخرج بعض على ناجذ
 التصبر في الشدة والرخاوه من صاحبه طرفه عين مشى على الهواء فقل في
 نون التقم مرسلافنبذه بالعراء راكم اقواه يشكو وزره الذى أنقض ظهره
 مطوف على من مد اليه يد الاجتذاب قؤول ولو أن السيف جواب مجرم أزم
 طائرته في عنقه وعرض على النار اسوء خلقه وسوف يؤخذ بالنواصي والاقدام

ويجزى بحمله من الاوزار والمخاطم ويستنطق جلوده قسرا وقهرا فينطق
 بما يخفيه جهرا وأنى له التناوش من مكان بعيد وقد تمكن من خرقته
 من هو أقرب اليه من جبل الوريد ناحل الصق بطنه بظهره حتى بدت للناظرين
 ذات صدره وغارت كلاله في خصره لاستيلاء قوته الدافعة الهالكه على قوته
 الجاذبة والمساكه وانقطاع جبل وريده عن شربانه وتجا في جنبه عن مصرانه
 تعبان اذا أنشط من عقاله أمن الناس عادية أفعاله جوح بعثر بالراكب
 معرق بحمله المناكب خرس شرس يقطي ويتأوب لتمدد أعضائه
 متجرد يستظهر ويدل بأولاده وأعقابيه ظرف مظروفه يخالف الظرف هذا
 لا يقبل العدل وذال لا يقبل الصرف هيفاء متنهاج جدول وفرعها مفتول
 خصرها دقيق وقد هار شيق قوية العليا محطوطة المطاء ناشرة كادها
 قب الكلى يضعها صاحبها الى الصدر فتتككب منه وتزور مزاج مطلق
 يودع صاحبها عند الاعتناق مكلف خالق في كبده طموح لا يذعن الا لمن عنده
 مد يد مقبوض يقارب السريع ويفارقه عند التقطيع صحيح معاول مدود
 في العرض مقصور في الطول قرناء أحصنت فرجها وأبعدت من نفسها زوجها
 محب ذواناة تعود وأراد البنات غيورا ذالاقى بناته الاتراب زوى حاجبه
 للاضراب فيمسكه على هون أم يدسه في التراب عرق من عروق الشريان
 اذا جسسته البنان يذبض وله ضربان قوسه حين دائرة السوء يحيط بالاعداء
 متعصب ينشط للنازعة بعد الاغراء دهرى ألقى عليه قرن بعد قرن فانحنى مطام
 لا ينتصب الا على اليد متكاه وينشد اذا فتح فاه

سلبت عظامي لحمها وترككتها * مجردة تحظى لك وتخضر
 خذي بيدي ثم اكشفي الثوب تناري * ضنا جسدك لكنني أنسى
 عظامي اذا انتصب عصابي اذا انتصب مكاشح أولع بضرب غيره وربما رد
 كبده في نحره منحذب يظهر الخنو ويضم السوء من عصبته هي بالقوة بنو
 ميالة الاعطاف تسند العود الى صدرها وتمكنه بين سحرها ونحرها وتدني
 من الامعاء أو نارها فيضربها فتفتنى أسرارها قرنان بسمع بأزواجه
 على الاعداء ويقذف بنات صابه بالسكراء غليظ الكبد يخفوا فلاذ كبده
 ويشتمن من تحمل أعباء ولده فينفيه عن حجره ثم يحن على أنود فويل له يا هذا

أسواق وشوقا أجمعاً

حذت إلى ربا ونفسك باعدت * مزارك من ربا وشعبا كما دعا
 فما حسن أن تأني الأمر طائعا * وتجنزع أن داعي الصباية أسعيا
 وأذكر أيام النجى ثم أنثى * على كبدى من خشية أن تصدعا
 مشاجر مشجر النصب يطاوع من يمدد إليه بسبب غدق يثمر الشوك دون
 الرطب منحنى الظهر حله الخطب وثيقة جامعة لأسباب الزوم والاحكام
 عرية عن النواقص مطوية على النفوذ والانبرام يتشبث بها عند الخطام
 ممتد كلما قيد الاستسلام بأسبابه نكص وارتد على أعقابيه أمين غير مأمون
 على الودائع وكلما استودعته فهو ضائع ظلم يقبل الأمانة بجهله ويؤدى
 ما قبل إلى غير أهله فاذن الأمر ليس بعادل ثانی عطفه ليبادل مكبود يعالج
 بالكي مطالب يدافع بالي مستد غير شديد جمع بين المد والتشديد قاتل
 له في سهم الفرائض نصيب يأخذ ما يأخذ بالتعصيب معشش أفراخ العقاب
 صرت عليه رجل الغراب متجادلا يضاعف لرب الدهر ولورعى بقاصمة الظهر
 يساهمني في مكابدة الشدائد ويسعدني التحنن على الأولاد والولائد
 لنا كل يوم رنة خافت ذاهب * ومستهلك بين النوى والنواثب
 وقاعة اخوان كأننا وراءهم * نرامق أعجاز النجوم الغوارب
 منحنى الظهر يتوكأ على العصا فيلقها فاذا هي حية تسعى مجاهد يرجى دهره
 بين شدة وراحه وكذا واستراحه ولين ووقاحه وقبض وسماحه وهو بين
 ولي ظاهر وعد ومجاهر جذوب يميل إلى من يجذب بضبعه وينازع من
 خالفه بطبعه وان نحت من نبعه مفتت اذا أتاه ابن السبيل فاغرافاه أطعمه
 من عنده ثم ضرب قفاه وأبعده ونفاه جانية مخنضيه سليطة دربه عارية
 كأنها أفعى جارية رقيق فيه شدة بليد فيه حدة فأتك تأبط سرا ملاعب
 الأسنة يقتل صبرا متلف مخلف وهاب لا يمكك منحنى بمالك لدى الدين
 بذول كأنما عناءه من يقول يعطى ويمنع لا يخل ولا كرما محاكم يعاضد
 ذا الدين على صاحب الرقبه مسترسل لا يبالى باقتحام العقبة حاجب غمرات
 الحماظه كالعين تدخل القبر مبذر يدمع ملولة إلى عنقه للحجر كوماه
 معقوله هو جاء معلوله حاجب مقرون لا يوجد مثله في القرون كالحيمة

الرقشاء مسها لين وخطبها غير هين نائم العين بصره حديد كالجلج الانف
 ينقاد اذا قيد صاحب محقوق سائق لا يستوقف بطل شد الموت حيازيمه
 وشهد للقاء العدو غرار العزيمه طائفة تنبؤ عن سرعة الاصحاب كلما تضجبت
 جلودهم بدلائهم جلودا غير هاليدوقوا العذاب (ومن آخر رسالة القوس) للشيخ
 كمال الدين الاصفهاني شيخنا زين الدين بن العجبي محاجيا في لامة

يا سيد الحجاب * سر المحاجة يكشف
 ما مثل قول المحاجي * للنهي والامر بالكف

(ومن انشاء القاضي محي الدين) بن عبد الظاهر ومن الجحواشن حسنه التمامي
 والتسامت لا يرى في خلق سمائهم ان تفاوت قد رفع بعضها فوق بعض
 درجات وبنيت أسوارا تحفظ الهجمات قد زينت سماؤها بزينة الكواكب
 وفاق غمامها المتراكم وراق موجهها المتراكب كم أحسنت دفاع البؤس عن
 النفوس عدة وقوع وكم حنت حين حنيت أضالعهما على الضلوع كم دخت
 بيعة جنتها بسلام وكم بدت كاثماطلع تضيد ولا عجب فانها ذوات الاكام
 (كتب) الى الجنب المجدي فيما يتقش على طير

لئن نحت طورا كالهلال شكله * فلي من غبار النقع يا صاحبي سما
 فان نحت مثل البرق في ساعة الوغي * فعمما قليل بعده تظفر الدما
 (وله فيه)

ألا انظر الى شكله واتقان صنعته * وروح عن بديع الحسن عن مخبرا
 طلعت هلالا في سما النقع نيرا * بتقصير أعمار البغاة مبشرا

* (الباب المحادي والاربعون في الكتب ووجهها وفضل اتخاذها ونفعها) *

قال ابن الحجاب ما غزا فيها

وذى أوجه لـكنه غير باج * بسر وذو الوجهين لـسر يظهر
 يناجيك بالامر اسرار وجهه * فتعدها مادمت بالعين تنظر

(وقال أبو زيد الدبوسي)

اذا ما خلا الناس في دورهم * بزهر الندامى وعز الحجاب
 وأكل الطعام وشرب المدام * وتم السرور بخود كعاب

(١٧٢)

نحلت وصحي كتب العلوم * فكان الانيس لقلبي كتابي
ودرس العلوم شراب العقول * فطوفوا على بذالك الشراب
ومن كان في دهـره جامعا * سوى العلم جمعه للذهاب
(أبو النصر الفارابي)

لم أر أيت الزمان تنكسا * وليس في العجبة انتفاع
كل رئيس به ملال * وكل رأس به صداع
لزم بيتي وصنت عرضا * به من العز اقتناع
أشرب من اقتنيت راحا * لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامي * ومن قراقيرها سماع
وأجتنى من حديث قوم * قد أقفرت منهم البقاع
(غيره)

وما شغني بالكتب الا لانها * تسامرنى من غيرى ولا بغير
وأحسن من ذانها في صحابي * تخفف تسكيني وتقنع بالنظر
(ابن نباتة)

لله مجموع له رونق * كرونق الحببات في عقدتها
كادت مجاميع الورى عنده * تموت بالهيبه في جلدها
(قال) اجماع الكتاب وطاملى علما وحشى ظرفا وأنا شهن مزاحا ويدا
ان شئت كان أعى من باقل وان شئت كان أبلغ من صعبان بن وائل وان شئت
ضحكت من نوادره وان شئت أشجبتك مواعظه والكتاب نعم الظاهر والعمده
والكنز والعقده ونعم الذخر والعمده ونعم التزهة والنشره ونعم الشغل
والحرفه ونعم الانيس ساعة الوحده ونعم المعرفة ببلاد الغربه ونعم القرين
في الرحيل ونعم الوزير والنزيل والكتاب هو المجلس الذى لا يطريك
والصديق الذى لا يغريك والرفيق الذى لا يملك والمستمع الذى سماعته
لا تستزيدك وهو يعطيك بالليل طاعته وبالنهار يطلب العطاء ويفيد فى السفر
كفادته فى الحضر (ثم قال) ففى رأيت بستانا يحمل فى ردن وروضة تقلب
فى حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الاحياء ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر
وبناسك فاتك وبساصكت ناطق وحار بارد ومن لك بطبيب أعراي

وبروحي هندي (قال) وسمعت حسن اللؤلؤي يقول غمرت أربعين عاماً ولايت
ولا انكأنت الا والكتاب موضوع على صدرى وكان يقال اتفاق الغضة على
كتب الآداب بخلف عليك ذهاب الالباب (وقرأ) أبو الحسن بن طباطبا
في بعض الكتب الكتب حصون العقلاء اليها يلجأون وبساعتهم فيها
يتزهون (وقال) بديع الزمان الهمداني ما رأيت جارا أبر ولا رفيقا أطوع
ولا معلما أخضع ولا صاحباً أظهر كفاة ولا أقل خبائثه ولا أزهدي مال
ولا أكف عن قتال من كتاب (وقال) الزمخشري ما رأيت قريناً أحسن موافاة
ولا أجمل مكافاة ولا أخص معرفة ولا أخف مؤنة ولا أطول عمراً ولا أجمع
أمراً ولا أطيب ثمراً ولا أقرب محبتي من كتاب (وكتب) ابن نباتة الى بعض
الاجلاء يستعيد كتاباً في عاريته ويسأل ارسال الكتاب الذي أشرقت بمولانا
حروفه وأينعت في الاوراق قطوفه واصبح لفظه الباسم كما قال العباس
يكون أجا جادونكم فادا انتهى وقد هزم المملوك على السفر حيث يجلي صدأ
الغياب ويتسلم الغرب وديعة الشرق من در الكواكب ويسحب ذيل
العجرا المجرور ويتلو لسانه على الافق سورة النور والله تعالى الخليفة على محمد
مولانا الغريب وفضله الغريب وشخصه الذي لولاه في هذا البلد لم يلف بها
غريب (وكتب) لشخص أهدى كتاباً في فضائل الاعمال يقبل البساطة
لا زالت بادية الاجال وافية الكرم على ما في الآمال هادية هدية بما أولته
من فضائل الاقوال وفضائل الاعمال وينهى ورود كتابيه اللذين ملا بأكر
يديه وبالنور قلبه وعينه ونعماء نظرا ومهما وأرباب القمرين في وقت معاً
فله مكاتبته التي جنت سماتها السحريه وغازلت عيون فضائلها السحريه
وتضوعت حتى أرخصت الغوالي بنفحاتها الشجريه تركت والحسن يأخذه
ينتهي منه وينتخب ولله كتابه الذي جمع الاعجاز والاعجاب وجام المملوك
فكانته المعنى بقول أبي الطيب وخير جليس في الانام كتاب ما بهج عقوده
المتسقه وما أحسن ما تدخل النواظره مذبا من أبوابه المتفرقه وما أجمع فصوله
محسن واحسان وما أطيب أحاديثه عن جنان الحمد اذ طابت الاحاديث عن
جنان لقا دأضاء حتى حسبه مشارق الانوار وتأمله فاذا انحائب الحسن من
نفسه وطرسه في ليل ونهار وغنى فهو لا طرف معنى ونلمح من فنون أفنائه

المجنة صورة ومعنى فهذه الاسطر المبدعة أشجارها وهذه الالفاظ المتنوعة
أزهارها وهذه الثمرات المرتفعة اطيبارها وهذه الطريق المترقرة بين السطور
أنهارها وما كان المملوك قبله يحسب ان جنة تهدي في أوراق ولا أن حديقة
تسير على البعد فتعرض على أحداق فشكر الله لولانا هذه المن الباهرة
وتقع بهداياه التي تجمع الاوليا بين خيري الدنيا والآخرة (استعار) الصنعاني
بكتاب سفينة من صاحب له فبكتب اليه لما ردها على معيرها رأيت السفينة
مشحونة علوما وصاحبها الخبير بحرا وكان من الرأي ردي اليه سفينة فهدى
بالبحر احرى (وعلى ذكر المجموع) فما أحسن قول الحكميم موفق الدين
المعروف بالورن

لله أيا مننا والشمس منتظم * نظم به خاطر التفريق ماشعرا
وألف نفسي على عيش ظفرت به * قطعت مجموعته المختار محتضرا
(ابن الوردي) في شخص أخذ له كتابا ولم يرد

إذا لم يرد فلان الكتاب * ودافعني عنه بالباطل
ندبت له قاضيا فاضلا * وخلصت حتى بالفاضل

(ابن نباتة) مع كتاب أهده

أرسلته نعم المجلس * اذا تغيرت البشر
يبقى على سني الوفا * أبدا ويتقنع بالنظر

وخير مجلس في الآم كتاب هو النديم الكريم والتخذن الامين البري من
الذنوب الساييم من العيوب الذي اأدنيته لم يباعذك وان أقصيته لم يعاودك
وان واصلته جدته وان هاجرت أمتته وان استقطقت أسمعتك وان استكفيتها
أقنعتك وان استكففتك كف وان استقامه خف وان دعوته لباك وان
استعفيتها أعفك لا يعصى لك أمرا ولا يجهلك اصرا عرضك معه وافر
وهو لمرك غير ناشر أنيق المنظر طيب الخبر جليل الشاهد كثير الخمار
يملا العيون قره والنفوس مسره يضحك الحزين الالهف ويلهي الغضبان
الاسف يجتلب السرور ويشرح الصدور يطرد الهموم والاحزان ويتقي
بواعث الاشجان مجاورته أحسن مجاوره ومسامرته أعلى مسامره ومجالسته
أنفع مجالسه ومؤانسته أمتع مؤانسته فيه مدعاة الى الطرب ومسلاة من

الوصف وتعلمه لذى الغرام وتلهية لقلب المستهام وأنس للمستوحش وورى
للمتعطش وعمارة للجالس وحلية للواثق تلى القلوب محبتها عليه وتقبل
النفوس بكلماتها اليه ليس بينه وبين حبسات القلوب حجاب ولا يغلقي بينه
وبين سويدا وانها باب (كتب) شيخنا زين الدين بن العجمي على مناسك قاضي
القضاء بن جماعة

ألفت يا أركى الورى مناسكا * فقت بها من قبلكا
قد وضعت لكل سار بهجة * ولم تدع للناس دين مدركا
وقد تلت أحكامها على الورى * لكل أمة جعلنا منسكا

(الديوان) الاصل الذى يرجع اليه ويعمل بما فيه قال ابن عباس اذا سألتونى
عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب أى أصله
ويقال دوان هذا أى أثبتته وأجعله أصلا وزعم بعضهم أن أصله أجمى
وذكره سيديويه فى كتابه وقال ان أصله دوان (الدفر) عربى لا يعلم له اشتقاق
وحكى دفر بالكسر ويقال أيضا دفر وأما الكراسة فعناها الكتب المضمومة
بعضها الى بعض والورق الذى الصق بعضه الى بعض مشتق من قواه - مرسوم
مكرسى اذا ألصقت الريح التراب به كما قال الجحاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم وأعرفه عباسا
ابليس فخير ولم تكن له حجة وقال الخليل بن أحمد الكراسة من الكتب مأخوذة
من أكراس الغنم وهى أن تبول فى الموضع شيئا بعد شئ فيقبله (شمس الدين
العفيف) كان عنده مجموع فطلبه منه بعض الرؤساء فأرسل اليه وكتب معه
يا أيها الصدر الذى وجهه العلا * منه بزان بمنظر مطبوع
لأنه قد قلبى بحبك وحده * ها قد بعثت لسيدى مجموعى

(اجتمع) لسيف الدولة بن حمدان ما لم يجتمع لغيره من الملوك كان خطيبه بن نبانة
الفارق ومعلمه ابن خالويه ومطربه الفارابى وطباخه كشاجم وخزان كتبه
الخالدبان والصنوبرى ومداحه المتنبي والسلاوى والأواء الدمشقى والسفاه
والنামী وابن نبانة السعدى والصنوبرى وغير ذلك (قال مجير الدين بن تميم)
فيما يكتب على خزانه كتب

انظر الى ترى فى صورتي عجبا * شئنا حوى العلم فى صدر من الخشب

وفيه من كل فن غير أنه * وجد اعيل به شوقا الى الادب
(وله)

يا حسنها نسخة ياهو مطالعها * وطالما قد حوت من رائق الحكم
صحت وقد لطف في جمعها فكت * لطف النسيم وحاشاها من السقم
(ولبعضهم)

ان مجموعي البديع نحلي * قد تنقبت دره المختارا
واذا لم أعرفه ليس عجيب * شغل النحلي أهله أن يعارا
(قلت) ولا بأس بإيراد نبذة من التورية بأسماء الكذب فن ذلك قول
بعضهم

ياسائل من بعدهم عن جاني * ترك الجواب جواب هذي المسئلة
حالي اذا حدثت لالمعاولا * جلالا يضاحي لها من تكلمه
عبد حوى بدرا الفصيح منكدا * فترك مفصله ودونك مجله
القلب ليس من الصراح فيرتجي * اصلاحه والعين محبوب مثله
(ومنه) للشيخ أبي عبد الله بن جابر المغربي تزيل دمشق المحروسة
عرانس مدحى كم أثين لغيره * فلما رآه قلن هذا من الاكفا
نوادر آدابی ذخيرة ماجد * شمائل كم فبين من نكت تافى
مطالعها من المشارق لالعلى * فلا تدق دراق جواهرها رصفا
رسالة مدحى فيك واضحةولى * مسالك تهذيب لتنبيهه من أغفى
فيما منتهى سؤلى ومحصول غايى * لانت أمرين حاصل الوجد مستصفى
وقد اشتملت هذه الابيات النخبة على التورية بعشرين كتابا وهى العرائس
للشعالي والنوادر لآبى على القالى وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل
للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره
والمشارق للقاضى عياض وغيره والقلل لابن خاقان وغيره ورصف
المباني فى حروف المعانى للاستاذ ابن عبد النور كتاب لم يصنف مثله فى فنه
والرسالة لابن أبى زيد وغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكرى وغيره
والجواهر لابن شاش وغيره والتهذيب فى اختصار المدونة وغيره والتنبيه
لابى اسحق وغيره ومنتهى السؤال لابن الحاجب والمحصل للإمام والغاية

للنورى وغيره والمحصل مختصر المحصول والمستصفي للغزالي وغيره ثم ذلالت
(ذوالوزارتين) لسان الدين بن الخطيب

ولم أرأت عزمي حثيثا على السرى * وقد را بها صبرى على موقف البين
أنت بصحاح الجوهري عيونها * فعارضت من دمعي بمختصر العين
(ولما أنشدتهما) لشيخنا العلامة أفضى القضاة بدر الدين الدمايني أسبغ الله
ظلاله أنشدنى ولم يسم قائله

فى نصف الاستذكار أعطيته * مختصر العين فأرضاه

(قات) هما لابن شعيب المغربى والاول منهما

وبائع للكتب يتاعها * بأرخص السعرو أغلاها

(مأمون) بن مأمون عوارزم سمع يقول همى كتاب أنظر فيه وحبيب أنظر
اليه وكرهم أنظر اليه (نادرة) مر العليم بن الصاحب بن شكر المعروف
بالاجوبة على بعض الاكابر من المصريين ومعه كتاب مجلد فقال له يا شيخ العالم
أرني أنظر فى كتابك هذا فقال لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب (استعمار)
الصمد رتاج الدين أحمد بن سعيد بن الاثير الكاتب مجموعا من مجاهد الدين
ابن شقير وأطال مطله فاتفق أن حضر يوما الى ديوان الكتبات فقال ابن
الاثير كيف أنت يا مجاهد الدين والله قلبى عندك وخاطرى عليك فقال وأنا
والله مجموعى عندك فطرب لها الحاضرون (قال الفاضل) كل كراسة لا يحزم
أنفها ولا يكون الجاد دفها عرضة للضياع وما كانها من الخزانة الامسترق
الوداع (الصفدى)

ملككت كتابا أنقذ الدهر جلده * وما أحدى دهر مجلده

اذا نظرت كتبى الجديدة جاده * يقولون لا تهلك أسى وتجاد

(كتب) سبى وأخى القاضى شهاب الدين بن حجر سامحه الله على جزأى
قد كرتى التى سميتها ثمرات الاوراق

نظرت لما سطرته من مجامع * لها الفضل اذا راقحت محاسنها تعزى

وقد لذ منها ما كتبت بخاطرى * ولم يكف طر فى منه جزء ولا أجزا

(ابن نباتة)

رب ملج رأى كتابا * فقال ما هذا الملمع عندك

فقلت في الحال يا كافي * غيب والاسلخت جلدك

(ووجدت) على ظهر كتاب هذا البيت

وما السكتب الا كالضيوف وحقها * بأن تتأقي بالقبول وان تقرى

(ابن الوردي) وكتبها على كتاب الشماثل للترمذي

يا أشرف مرسل كريم * ما ألطف هذه الشماثل

من يسمع لفظها تراء * كالغصن مع النسيم مائل

* (الباب الثاني والاربعون في الخيل والدواب ونفعها) *

قيل أول من اتخذ الخيل وركبها اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وكان داود
وسليمان عليهما السلام يحبان الخيل وورث سليمان عن أبيه ألف فرس وكان
للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال له السكب (نادرة) كانت مغنمية عند
رجل فلما أرادت الانصراف قال اسرجوا لها الاشهب فقالت لا أريده هو عشي
الى خلف قال اها فغوى ذنبه الى ناحية بيتكم (القول في طبائع الفرس)
وانما بدأت به لانه قريب من الاعتماد الخالص وأحسن ذوات الاربع
صورة وأفضل من سائرهما وأشبهها بالانسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف
النفس وعلو الهمة وتزعم العرب أنه كان وحشياً وأول من ذلل صعبه
وركبه اسمعيل عليه السلام وهو جنسان عتيق وهو المسمى فرسا وهجين وهو
المسمى برذونا والفرق بينهما أن عظم البرذون أحسن من عظم الفرس وعظم
الفرس أصعب وأثقل من عظم البرذون والبرذون أجمل من الفرس والفرس
أسرع من البرذون والعتيقي بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة ولكل واحد
منهما نفس تليق به وآلات مناسبة له وفي طبائع الفرس الزهو والخيلاء والعجب
والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ومن أخلاقه الدالة على كرمه شرف نفسه
ومن شرفها أنه لا يأكل بقية عليق غيره وعلو همة كما حكى المؤرخون أن أشقر
مروان كان سائسه لا يدخل عليه الا باذن يحرك له المخلاة فان جمعهم دخل
وان دخل ولم يجمعهم شدة عليه وناهيك به هذا الخلق في علو الهمة والانثى من
الخيل ذات شبق شديد واشدة شبقها تطيع الفحل من غير نوعها ويقال انه متى
اشتد شبقها وقص من عرفها سكن عنها والذكر يشتد به الشبق ويزيد حتى

يؤثر أن يأتي لفرط شهوته وقصور آلتيه عن الوفاء بتسكين ما يجردور بما اقتتل
 الفحلان بسبب الانثى حتى تكون لمن يغلب منهما ويقال ان الاناث تمثلي في
 اوان السفاد ربحا واذا اصابته هذه الافة ركض بهار كضاد يدامت ابعها
 ولا يؤخذ ذنبها الى الشرق ولا الى الغرب بل الى الشمال والجنوب حتى يخرج من
 ارجاءها بشئ كما يخرج من دولادتها وهي في زمان السفاد تطاطي برؤسها
 وتحرك اذناها ويسيل من قبلها شئ يشبه المنى غير انه رقيق واذا تودقت الرمكة
 فأفرطت وكان بها هزال أو ضعف من علة ولم يمكن أن تبرا علتها لك أنزى عاها
 بغل لانه لا يلحقها وهو يبالغ أقصى شفاها وخاية شهوتها بالذي معه من الطول
 والغاظ فيسكن ذلك عنها والذكر يكون مع ثلاث أناث وأكثر واذا نادى كرا آخر
 من الانثى التي اختارها قاتله وطرده والطمث يعرض للاناث لكنه أقل من
 طمث النساء والذكر ينزو اذا تمت له سنتان وكذلك الاناث والاناث تحمل
 أحد عشر شهرا وتضع في الثاني عشر وهي تضع ولدا واحدا وربحا وضعت في
 النادر اثنين والذكر ينزو الى تمام أربعين سنة وربحا عمر الى تسعين سنة
 والانثى تأنف من نزولها بحمارها فاذا أريد ذلك منها أخذت بعرفها فتذل
 وتستكين وكذلك الفحل يأنف أن ينزو على أخته وعلى أمه ولقد حكى أنه
 أريد أن يحمل على رمكة ولدا لها يريدون بذلك العتق فأنف فلما سترت بثوب
 نزاعها فلما رفع الثوب ورآها من محضر ألقى نفسه في بعض الاودية فهلك
 والنخل قد ترى الاحلام وتحتلم كبنى آدم وذلك لفرط الشهوة فيها ومتى ضلت
 الانثى أوهاكت وكان لها فلول أرضعتها الاناث وربحا واذا لم يكن فيها ما يرضع
 عطف عليه العواقر وتعاودنه ولا كنه يهلك اذ ليس فيها لبن وربحا ضل الفلوعن
 أمه فوضع من غيرها فاذا فعل ذلك ماتت أمه ويعتري الفرس داعشيه
 بالكلب وعلامته اسه ترخا اذنيه الى ناحية عرقه وامتناعه من العلف وليس
 لهذا الداء علاج الا السكين وفي طبع الفرس أنه لا يشرب الماء الا كدرا حتى
 أنه يرد الماء وهو صاف فيضرب بيده حتى يكدره ويبين مكره وربحا ورد الماء
 الصافي وهو عطشان فيرى فيه خيالا له واغيره فيتحاماه ويأباه وذلك لفرعه مما
 يراه ويوصف بحدة البصر حتى أن بعض المغالين فيه يقول لو أجرى فرس من شوط
 بعيد في يوم ضباب واعترضت بين يديه شعرة لتوقف عندها ولم يتعهدا وفي

طبعه أنه اذا وطئ على أثر الذئب حذرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك وخرج
الدخان من جاده واذا وطئته الحامل منها ازلفت

* (فصل) والعلامات الجامعة للنجابة في الفرس ما ذكره أيوب بن الفريه
وقد سأله النجاشي عن صفة الجواد من الخيل فقال القصير الثلاث الصافي
الثلاث الطويل الثلاث الرقيب الثلاث فقال صفهن فقال أما الثلاث الصافية
فالعينان والاديم والمحواف وأما الثلاث القصار فالعيب والساق والظهر
وأما الثلاث الطوال فالأنف والعنق والذراع وأما الثلاث الرحبة فالجوف
والمنخر والجهة (ومما قيل) فيه قول عبد الجبار بن جديس الصقلي

ومجرر في الأرض ذيل عسيبه * جل الزبرجد منه جسم عقيق
يجرى فلع البرق في آثاره * من كثرة الكبوات غير مفق
ويكاد يجري سرعة من ظله * لو كان يرغب في فراق رفيق

(القول في طبائع البغل) قال أصحاب الكلام البغل حيوان مركب من الفرس
والحمار ومتولد من فساد منيهما ولما كان مترجيا بينهما صار له صلاية الحمار
وعظم آلات الخيل وكذا سمجه مولد بين نهيقي الحمار وصهيل الفرس وقال
المجاط البغل يخرج بين حيوانين بلدان مثلهما و يعيش تتاجهما ويبقى
بقاهما وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقرة
وهو أطول عمرا من أبيه وأصبر على الأفعال من طرفيه كابن المذكرة من
النساء والمؤنث من الرجال فانه يكون نتاجهما الخبث من البغل وأفسد اعراقا
من السبع وأكثر عيوباً من الثعبان وشر الطباع ما تتجاذبته الاعراق
المتضادة والاختلاق المتعادية والعناصر المتباعدة ويقال ان أول من
أنجبها قارون وقيل أفريدون ومن أخلاقه الالف لكل دابة ويذكر
بالهداية في كل طريق يسلكه مرة واحدة ويقول أصحاب الكلام في الطبائع
أن أبوال أنثى البغال تنقي أجسادها كما تنقي النساء بدم الطمث * محائل
النجابة في هذا النوع * قال بعضهم اذا شترت بغلة فاشترها طويلا العنق
تجده في نجابتها مشرقة الهادي تجده في طباعها مجفرة الجوف تجده في صدرها
والاحسن في مدحها قول عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب
جوابا لصفوان بن عمرو بن الهم وقد أنكر عليه ركوب البغل قال تطأ طأت

من خيل الخيل وارتفعت عن ذلة العير ونحير الامور واسطها ويقال كم في
السواجج من اصبح الخدين شهر الخدين شؤمه شؤم العناق ويومه شهر لذوات
العناق را كبه مركب ابد او طيا ونحسبه وهو يترعرع السحاب طيا والانات
منها اجد اثر اول ذلك قيل * عليك بالبعلة دون البغل * فانها جامعة للشمل
* مركب قاض وامام عدل * وعالم وسيد وكهل * تصلح للرجل وغير الرجل
(وساير) عبد الحميد مروان بن محمد النجدي على بعلة فقال له طالت صحبة
هذه الدابة لك فقال يا امير المؤمنين من بركة الدواب طول صحبتها فقال صفها
فقال همها امامها وسوطها زمامها وما ضربت قط الا ظمنا (القول في
طبايع الخمار الاهلي) قال المتكلمون في طبائع الحيوان ليس في الحيوان شئ ينزو
في غير نوعه ويلقح ويلقى في فيه شبهه الا الخمار وهو ينزو اذا مضى له ثلاثون شهرا
ولا يولد له قبل ان يتم ثلاث سنين ونصف قالوا وهـ هذا النوع صنفان صنف
عاس حاس وهو يصلح لجمال الاتقال والاخر ولدن دمت احر وايدس من نفس
الفرس فتراه كثيرا الشغب والحركة بمنزلة النار المتوقدة التي لا يهدأ اضطرابها
فهذا يصلح ان يرفه لركوب في قضاء الاوطار والحاجات واجود الخمار المصرية
واهلها يعتنون بتربيتها والقيام عليها ما يجودونه من الفراشة وسرعة المحصر
والنجابة ويبالغون في اثمتانها بحسب فرائضها حتى يبيع منها في بعض السنين
خمار بمائة دينار وعشرة دنانير كان صاحبه يسمع اذان المغرب بالقاهرة
فيركب ويسوقه فيلحقها بمصر ويدينها ثلاث اعيال ومن عادة الخمار انه اذا شم
رائحة الاسد رمى بنفسه عليه من شدة خوفه له يريد بذلك الفرار منه قال حبيب
ابن اوس الطائي في ابيات يخاطب بها عبد الحميد بن المعدل وقد هجى حيث
يقول

أقدمت ويلاتك من هجوى على خطر * كالعير يقدم من خوف على الاسد
ويوصف بالهداية لانه لا يضل عن طريق سلكه ولو مرة واحدة ولا يخطئه فان
ضل را كبه هداه الى طريق وجهه على المحجة ويرى غاب عن الموضع الذي كان
فيه السنين العديدة فاذا امر بالزقاق الذي فيه الموضع دخله ويرى سارق فتكون
معرفة للموضع عونا لصاحبه على معرفة من سرقه ويوصف بحدة حاسة السمع
بحيث انه ينذر را كبه بما يتوقع خوفه فيحذر منه وان بعد مشواه وهـ هذا

الحيوان يحس بالبرد ويؤذيه أكثر من غيره وهذا لا يوجد في بلاد موغلة في
 الشمال وبلاد الصقالية ويعتريه داء الدماغ كالزكام يعرض له البرد في
 دماغه ويسيل من منخره بلغم كثير حار فان انحط الى الرئتين والطريرق
 العجيب انه اذا نهق اضر بالسكب حتى يقال ان أهون نهيقه يحدث بالسكب مغسا
 فلذلك يطول نباحه (طريقتان) رأيت أن لا أتركهما لانهما أعجوبتان احدهما
 أني ركبت جارا من مصر الى القاهرة فلما كنت في أثناء الطريق حادي عن السكة
 فوجدت أن أردفه فلم أطق حتى انتهى الى جدارستان فوقف وبال وعاد الى الطريق
 وكذا جرى لي مع جارين آخرين والآخرى انه كان عندنا رجل بمصر يضرب حلقة
 على جارقدهله وكان يجمع له عدة مناديل من المتفرجين عليه ويلقيها على ظهره
 ويأمره بان يعطى كل منديل لصاحبه فيدور في الحلقة ولا يقف الا على من له
 في ظهره منديل فان أخذه ذهب عنه وان أخذ غيره لا يذهب ولو ضرب به مائة
 ضربة وبأخذ الخاتم من أصبع الرجل ويسأله عن وزنه ويقول له كم وزن الخاتم
 فان كان وزنه درهما مشى خطوة واحدة وان كان درهما ونصف مشى خطوة
 ونصف وان كان أكثر من ذلك فبحسابه ويبتاعه واقفا اذا قال له شخص الوالى
 يسخر المحير فأتى كلامه الا وقد ألقى بنفسه على الارض ونفخ بطنه وقطع
 نفسه كانه ميت منذ زمان ثم قال له بعد ذلك ما بقيت سخرة فنهض قائما ذكر
 ذلك صاحب المباحج (ما قيل فيه من الاوصاف) قال أبو العيناء لبعض سماسرة
 الجيراش- ترى جارا لا يطويل اللاحق ولا بالقصير الا لصق ان خلا الطريق
 تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم بي السوارى ولا يدخل بي تحت
 البوارى ان أكثر عافه شكر وان أقلته صبر ان ركبته هام وان ركبته غيرى نام
 فقال له ان مسح الله بعض قضائنا جارا أصبت حاجتك والا فليست موجودة
 (وقال) شيب بن شبة لقيت خالد بن صفوان على جمار فقلت له يا صفوان أين
 أنت عن الخيل فقال تلك للطلب والمرب ولست طالبا ولا هاربا قلت فأين أنت
 عن البغال فقال تلك للانزال والانتقال ولست ذانزل ولا ثقل قلت فأين
 أنت عن البراذين قال تلك للعددين والمسرعين ولست معدا ولا مسرعا قلت
 فما تصنع بممارك قال أدب عليه ديبا وأقرب عليه تقريبا وأزور اذا شئت
 عليه حبيبا ثم لقيته بعد ذلك على فرس فقلت له يا صفوان ما فعلت بالممار

قال يثس الدابة ان أرسلته ولي وان استوقفته أدلى قليل القوة كثير
 الروح بطي عن الغارة سريع الى الغرارة لا ينكح به النساء ولا ترقى به الدماء
 (وبروي) ان سليمان بن علي رآه على جارف فقال له أين الخيل يا أبا صفوان فقال
 الخيل للجمال والبغال لا ثقال والابل للجمال والخيل للامهال (وقال)
 جبر بن عبد الحميد لا تركب الحمير فانه ان كان حديدا أنتعب بدتك وان كان
 بليدا أنتعب رجلحك ومما قيل فيه قول أحمد بن أبي طاهر

شبه كأن الشمس فيها أشرقت * وأضاء فيها البدر عند تمامه
 وكأنه من تحت راكبه اذا * ملاح برق لاح تحت غمامه
 ظهر كجري الماء لين ركوبه * في حالي اتعابه وجامه
 سفهت يداه على الثرى فتلاعبت * في حزنه وسهوله واكامه
 عن حافر كالحجر الا انه * أقوى وأصلب منه في استحكامه
 ما الخيزران اذا انتنت أعطافه * في لين معطفه ولين عظامه
 فسكاته بالريح منتقل وما * جرت الرياح كجريه ودوامه
 أخذ الحاسن آمن من عيبه * وحوى الكمال مبرأ من ذامه

(الحجزار) يصفه بالبلادة والعجز

هذا جاري في الحمير جار * في كل خطو كبوة وعشار

قنطارته في حشا شعيرة * وشعيرة في ظهره قنطار

(القول) في طبائع الابل وهذا النوع ثلاثة أصناف عراقي ويمني ونجيب
 فاليمني هو النجيب ويتزل منها منزلة العتيق من الخيل والعراقي كالبرذون
 والنجيب كالبعغل ويقال النجيب ضأن الابل وهي متولدة من فاسدة مني العراقي
 فقط فان مني النجيب منجب فكأنه حصل له نصف البغل فأما النجيب فزعم
 من حكى عن الجاحظ قوله ان في الابل ما هو وحشي وانه يسكن أرض وبار وهي
 غير مسكونة وقالوا ربما بدا الجمل في الهياج فيحمله ما يعرض له على ان يأتي
 أرض عمان فيضرب في أذني ما هجمه من الابل فالمهرية من ذلك التماج وتسمى
 الابل الوحشية الخموس ويقولون انها بقايا ابل عاد وثمود ومن أهل مكة الله
 تعالى من العرب العاربة والمهرية منسوبة الى مهرة قبيلة باليمن وهي لا يعبد لها
 شيء في سرعة عدوها يعرفونها باسمك يصاد في بحر عمان يصاد ويقتد وأما

النجب فمنها ما يرهون مثل البراذن ومنها ما يجهز جزا ويرقل ارقالا والنجزي
 الابل كالنجب في التحميل (وحكى) أبو هلال العسكري في كتاب الاوائل ان اول
 من رخصت له الابل على الحجر أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور
 لما حجت (وقال) الجاحظ اذا ضربت الفوايح في العرب جاءت بالجوامر والنجب
 الكريمة وفي البخت ماله سنامان في ظهره كالسرج ولبعضها سنامان في عرض
 ظهرها احدهما في ذات اليمين والاخر في ذات الشمال وتسمى النخر سانية وقد
 يشق من سنام البعير ويكشط جلده ثم يبحث من أصله ويعاد على موضعه الجراد
 فيأخذه عليه ويؤخذ السنام فيؤكل كما يفعل بعض الناس ذلك بالكباش اذا
 عظمت اليها وبجرت عن النهوض فيقطعونها ويقول أصحاب السبى اطباء
 الحيوان انه ليس اشئ من الفحول مثل ما للجمل عند الهياج من الارباب وسوء
 الخلق وهجران المرعى وترك الماء حتى ينضم ابطاء ويتم رأسه ويكون كذلك
 الايام الكثيرة وهو في هذا الوقت لا يدع انسانا ولا بهيمة تؤمنه ولو جل على
 ظهره حينئذ مع امتناعه شهر من الطعام ثلاثة اضعاف حمله وهو لا ينزول الا مرة
 واحدة يقيم فيها النهار اجمع ينزل فيها مرارا كثيرة يجي منها ولد واحد ويخلو في
 البرارى حالة النزول ولا يدنو منه غيره راعيه الملازم وذكره صاب جدا لانه من
 مصب والانى تحمل اثنى عشر شهرا وتلقح اذا مضى عليها ثلاث سنين وكذلك
 الذكر ينزوي هذه المدة ولا ينزو عليها الا بعد ان تضع بسنة وفيه من كرم
 الطباع انه لا ينزوي على امهاته ولا اخوته ومتى حمل على أن يفعل حقه على من
 ألزمه ذلك الى ان يقتله (وحكى) ان جلا احتيل عليه بتغيير صورة امه حتى نزا عليها
 ثم عرفها عند فراغه فألقى نفسه من شاهق حتى مات وليس في الحيوان من يحقد
 حقه وانه يتصد من حقه عليه الفرصة والخلوة لينتقم منه فاذا اصاب ذلك لم
 يبق عليه وفي طبعه الاهتداء الى الطريق التي اعتاد سلكها الا يضل فيها ابلا
 ولا نهارا والعرب تضرب به المثل في ذلك فيقولون أهـدى من جمل والغبرة
 والصولة والصـبر على الحمل الثقيل وعن الماء الزمن الطويل النخبة ايام والستة
 والعشرة اذا كان الزمان ربيعا والعرب تسمى الايام التي ترد فيها الابل الخمس
 والسادس والسبع والثمن والتسع والعشر وكلاهما بالكسر ويقال ان البعير اذا
 صعب وخافته رعايته استعانوا عليه فتركوه وعقلوه حتى يلومه فخل آخر فاذا فعل

به ذلك ذل والابل تميل الى شرب الماء الكدر الغليظ وهو الماء النير فهي أبدا
 اذا وردت مياه الانهار حركتها بأرجلها حتى تتكدر وهي عشاق الشمس فلهذا
 ترى أبدا تصوب اليها في أى جهة كانت من المشرق أو المغرب (ومن) عجيب
 ما ذهبت اليه العرب في الابل اذا كثرت فبلغت الالف فقتلوا عين الفحل فان
 زادت على الالف فقتلوا عينه الاخرى ويريمون أن ذلك يطرد العين عنها (ومما)
 قيل فيها قول بعضهم لم تخلق نعم خبير من الابل ان حبات أثقلت وان سارت
 أبعدت وان حلت أروت وان نحرت أشبعت (الشيخ) عز الدين الموصلي في
 حادى

حادنا كالسادن الريد * لمظته بالمنظر المريب
 فقال في السكره عند نومه * يارب سلمها من الديب
 (وعلى ذكر) الحادى قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ أحسن ما سمعته من
 الحداة يحدون به جمالهم في طريق الحجاز قواهم
 يا خود ان طال المدى تدينى * ينسى الذى ينساك نوم العين
 (وآخر قول)

كم ايلة سهرتها لم أر قد * الارقادا كرقادا الارمد
 (القاضى) العاضل في وصف الخيل
 جذئب في بحر الجحاج سفائن * فان حركت للركض فهي جنائبه
 وقد خفت رايته فكأنها * أنا مل في عم رالع دوتحاسيه
 (وله) من قصيدة

لها غرر يستخك النصر وجهها * فتفهم منها العين معنى البشائر
 (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم بطرنها كنز وظهورها حزر وأصحابها معونون
 عايم (صفة جياذ الخيل) سأل معوية بن صعصعة بن صوحان أى الخيل أفضل
 فقال الطويل الثلاث القصير الثلاث العريض الثلاث الصافي الثلاث فقال
 فمرانا قال أما الطويل الثلاث فالاذن والعنق والحزام وأما القصير الثلاث
 فالصالب والعسيب والقضيب وأما العريض الثلاث فالجبهة والمنحر والورك وأما
 الصافي الثلاث فالأديم والعين والخافر (كان محمد) بن السائب السكبي يحدث
 ان الصافيات الجياد المعروفة على سليمان بن داود كانت ألف فرس ورثها

عن أبيه فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب
فعرقهم بالافرس لم تعرض عليه فوفد عليه قوم من الازد وكانوا أصهاره فلما
فرغوا من حوائجهم قالوا يا نبي الله ان أرضنا شاسعة فزودنا زاداً يا نبي الله فاعطاهم
فرسا من تلك الخيل وقال فاذا انزلتم منزلاً فاجلوا عليه غلاماً واحتطبوا فانكم
لاترون ناركم حتى يأتىكم بطعام فصاروا بالفرس فكانوا لا ينزلون منزلاً الا ركبته
أحدهم للقنص ولا يقات شيئاً تقع عينه عليه من ظبي أو بقرة أو جارة الى أن قدموا
بأدهم فقالوا ما لفرسنا هذا اسم الا زاد الراكب فسموه زاد الراكب فأصل قول
العرب من نتاجه (وطالب البحرى الشاعر) من سعيد بن جندب الكاتب فرسا
فوصف له انواعاً من الخيل في شعره (فقال)

لا كفن العيس أبعدهم * يجرى اليها غائب أو مرتجى
والى سراة بنى جندبهم * أمسوا كواكباً شرفت في مدج
والبيت لولا أن فيه فضيلة * تعلو البيوت بفضلها لم يجمع
فأعن على غزو العدو بمنطو * أحشاؤى الرشا المتدرج
أما باشفر ساطع أغشى الوغى * منه بمنى الكوكب المأجج
متسر بل شية طالت أعطافه * بدم فساتلغاه غير مضرج
أوادهم صافى الاديم كأنه * نحت الكمي مطوياً بالبرج
صرم يبيع السوط من شؤبوه * هيج الجباب من حريق العرفج
تحفت مواطئ وقعه فكانونه * يجرى بره لة عاج لم يرمج
أواشهب ينقى ينقى وراءه * متن كمن اللجة المترجرج
ينقى الحبول ولو بلعن إبلانة * فى أبيض من القى كالدملج
أوفى بعرف أسرد متعرف * فيما يابه وحافر فيروزج
أواباق يعلو العيون أديدا * من كل لون معجب بنمذج
جدلان تحسده الجياد إذا مشى * عنقاً بأحسن حيلة لم تنسج
وعريض أعلا المتن لوعليته * بالزيق المنهال لم تدرج
خاضت قوائم القويم بتأوها * أمواج يجنبد بهن مدرج
ولانت أبعد فى السماحة همة * من ان يرضى بلجم اردرج
(نادرة) ذكرها أبوحيان التوحيدى فى الامتناع والموانسة قال الاصمعى مر

اعرابي على قوم وهم على ما علم فقال من رأى رجلاً أحر بعنقه علاط وفي أنفه
خزامة يتبعه بكرتان سمران عهدا لما هديه عندا البئر فجعل القوم يقولون حفظ
الله علينا وجمع عليك لا والله ما أحسننا وجوب ربة على حوض لها تدر وهي تقول
لا جمع الله عليك يا فاسق فقالوا ماتريد من الرجل قالت اغنايتك وسوتك
قال فتبعته فقلت له يا هذا ما نشد قال أرى وخصيتي (نادرة) اشترى رجل من
رجل برذونا فقال له المشتري سألتك بالله هل فيه عيب قال لا إلا أن فيه قليل
مشش كأنه سفرجله وقليل جرد كأنه قثايه وقليل دبر كأنه بطيخه فقال له
المشتري يا ابن الفاعلة جشنا نشترى منك برذونا أو بستانا (قال) المداثني كان
ابن أبي هبيرة يساير سنان بن مكمل النخيري فتقدمت بغلة النخيري ابن هبيرة
فقال غص من بغلتك فالتفت إليه النخيري وقال أصلح الله الأمير انها مكتوبة
وانما أراد ابن هبيرة قول الشاعر

فغص الطرف انك من غير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد النخيري قول سالم بن دارة من بني فزارة

لائم بن فزار يا خلوت به * على قلوصلك وأكتبها بأسبار

(وكتب) الوهراني على لسان بغلته إلى الأمير عز الدين موسى المملوك ربحانة
بغلة الوهراني يقبل الأرض بين يدي الأمير عز الدين حسام أمير المؤمنين نجاه الله
من حر السعير وعطربذ كره قوافل العير ورزقه من القرظ والتبن والشعير
وسق مائة ألف بهير واستجاب فيه صالح أدعية الجهم الغفير من الخيل والبغال
والحمير (ونهي) إليه ما نقيسه من مواصلة الصيام وسوء القيام والتعب في الليل
والناس نيام قد أشرفت مملوكته على التلف وصاحبها لا يحتمل الكلف
ولا يوافي بالخاف ولا يقول بالعاف لانه في بيته مثل المسك والعنبر والاطرير فل
الأكبر أقل من الأمانة في الاقباط والعقل في رأس قاضي سنباط فشعيرة
أبعد من الشعري العيور ولا وصول إليه ولا عبور وقرطه أعز من قرط ماريه
لا يخرج صدقة ولا هبة ولا عارية والتبن أحب إليه من الابن والجلبان أعز
من دهن البان والقصيم بمنزلة الدر العظيم والقضه أجل من سبائك الفضة
وأما القول فمن دونه ألف باب مقبول فهايمون عليه ان يهلف الدواب إلا
بعمور الآداب والحقه اللباب والسؤال والجواب وما عند الله من الثواب

ومعلوم بأسبدي ان البهايم لا توصف بالعلوم ولا تعيش بسماع العلوم
ولا تطرب الى شعر أبي تمام ولا تعرف الحرف بن همام ولا سيما البغال التي
تشتغل في جميع الاشغال شبكة من القصصيل أحب اليها من كتاب التخصيل
وقفه من الدريس أشهى اليها من فقه ابن ادريس لو أكل البغل كتاب
المقامات مات وان لم يجدا الا كتاب الرضاع ضاع وان قيل له انت هالك
ان لم تأكل موطأ مالك ما قبل ذلك وكذلك الجمل لا يتغذى بشرح أبيات
الجمل وخزعة من الكلاء أحب اليه من شعر أبي العلاء وليس عنده طيب
شعر أبي الطيب وأما الخيل فلا تطرب الا لسماع الكيل واذا اكلت كتاب
الذيل ماتت في التمار قبل الليل والويل لها ثم اويل ولا تستغنى الا كاديش
عن المحشيش وكل ما في الحجاسة من شعر أبي الحريش واذا أطعمت الحمار شعر
ابن همار حله الدمار وأصبح منقوفا كالطبل على باب الاصطبل وبعد
هذا كله فقد راح صاحبها الى العلاف وعرض عليه مسائل الخلاف فطلب
من تبينه خمس قفاف فقام اليه بالخفاف يخاطبه بالشعر وفمر عليه آية
التعبير وطلب منه وية شعر فحمل على عباله ألف بعر فانصرف الشيخ
منكسر القلب معتازا من اللاب وهو أنحس مر ابن بنت الكاب فالتفت
الى المسكينه وقد سلبه الغيث ثوب السكينه وقال اها ان شئت ان تكدي
فكدي لا ذقت شعيرا مادمت عندي فبقيت المملوكه حائرة لا قائمة
ولا نائرة فقال لها العلاف لا تجزعي من خباله ولا تلتفتي على سباله ولا
تنظري الى نفقته ولا يكون عندك أخس من عنقته هذا الا بهر عز الدين
سيف أمير المؤمنين عز الجاهدين أندي من الغمام وأمضى من الحسام
وأبهى من البدر ليلة التمام برقي للحروب وبفرج عن المكروب وهو
من بني أيوب ولا يرد قائل ولا يخيب سائل فلما سمعت المملوكه هذا
الكلام جذبت الزمام ورفعت الغلام وقطعت اللجام وشقت الزحام
حتى طرحت خدها على الاقدام ورأيت العالي والسلام (ذكر القاضي)
الرشيد بن الزبير في كتابه الجوائب والظرف انه لما مات أحمد بن طولون ترك في
بيت ماله عينا عشرة آلاف دينار وفي حاصله ألفي ألف وسبع مائة ألف درهم
سوى ما كان مودعا عنده من جيد الطويل وهو ألف دينار سوى ما حمل الى المعقد

في أربع سنين أو اهن سنة اثنين وستين ومائتين ما نفدت به السفائح لم يظهر
 بعضه وهو ألفا ألف ومائتا ألف دينار وكان له أربعة وعشرون ألف غلام
 مملوكا وخمسة وعشرون ألف أسود وتطبق جريدته على سبعة آلاف حرم ترزق
 وخلف من الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس وثلاثمائة وثلاثين رأسا ومن
 البغال ستمائة بغل ومن الجمال ألفين ومائة جمل ومائة مركب حربية ومن
 الدواب المركوب مائة ألف وثلاثين دابة وكان خراج مصر في السنة التي مات فيها
 أربعة آلاف ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار مع ما يضاف اليها من ضياع
 الامراء بالخدمة وانفق على الجامع مائة وعشرين ألف دينار وعلى البيمارستان
 ومستغله ستين ألف دينار واشتافى سنة تسع وخمسين ومائتين وحبس عليه
 سوق الرقيق وغيره ولم يكن قبل بمصر بيمارستان وكان قد شرط ان لا يعالج فيه
 جندي ولا مملوك وكان يباشره ويشارفه بنفسه ويركب اليه في كل اسبوع
 مرة وانفق على عين المصنع ببركة الجيش مائة وأربعمائة ألف دينار
 وعلى شرراجزيرة ثمانين ألف دينار ولم يغمه وعلى الميدان مائة ألف دينار
 وخمسين ألفا وكانت صدقته في كل شهر ثلاثة آلاف دينار ورسم مطبخه في
 كل يوم مائة وعشرون دينار ومات في سنة سبعين ومائتين وخلف سبعة عشر ولدا
 ذكرا ومن الاناث سبعة عشر انثى (فائدة جارية) قال ابن عباس رضي الله عنهما
 من هرب من عدو أو خاف فكتب بسوطه بين اذنيه دابة لا تخاف دركا
 ولا تخشى أمنه الله من خوفه وحال بينه وبين عدوه (قال) الشيخ صلاح الدين
 الصفدي في كتابه غيث الادب ويحكى ان بعض الرؤساء قال لشهاب الدين
 القوصي أنت عندنا مثل الاب وسدد الباء فقال لا جرم انكم تأكلوني واقول
 لا يخفى ما في هذا التنذير من الاهف لان الاب مشدد الباء هو المرعى قال بعضهم
 هو لادواب بمنزلة الاله الذي للاناسي ومن يشدد الباء من الاب الذي هو الوالد
 ما يكون الادابة (قال) الشيخ بدر الدين الدماميني رحمه الله تعالى راداعليه قصد
 الصفدي بهذا الكلام الرد على من شدد باء الاب المراد به الوالد وفيه دليل على
 قصوره فان الامام جمال الدين بن مالك نص في التمهيل على ذلك قال في أوائله
 وقد تشددت في باب وخاخ وسيكى في انمرح عن الازهرى أن ذلك لغة
 كوفية ويقال استأببت فلانا ببيان أى اتخذته أباً وإذا كان كذلك فلا وجه

لأنكار على الرئيس الذي شدد الباء من أب (قلت) ولو قال القومى في جوابه
 لأجرم أنكم ترعونى لكان اللفظ في التنذير وأحسن من موقعا مما قاله والله أعلم
 انتهى كلام أفضى القضاة بدر الدين المخزومى (الشيخ جمال الدين الزملى كانى)
 وفى حلبة الخدم من أدمى * خيول تجول ولا تركب
 فسبق الكميت بها بين * وإن كن تقدمه الأشهب
 (وعلى ذكر البغال) ذكرت قول شمس الدين الصفدع الخياط فى وقعة القاضى
 شهاب الدين محمد بن المجدد عبد الله الأربلى الدمشقى الشافعى الذى مات فيها
 بغلة قاضينا اذا زلزلت * كانت له من فوقها الواقعة
 تكثر ألهامه من عجبته * حتى غدا ملقى على القارعة
 وأظهرت زوجته عندها * ضابطة بالرجة الواسعة
 (أبو الحسين الجزار) وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت جاره
 كم من جهول رآنى * أمشى لأطابى رزقا
 وقال لى صرت تمشى * وكل ماش ملقى
 فمات مات جارى * تعيش أنت وتبقى

(المعمار)

ان ابن الاطروش حوى رتبة * باع بها الجنة بالنار
 تنصرت بغلته تحتته * وأصبحت تمشى بز نار

(ابن دانيال مضمنا)

ولقد ركبت من الجير مكدا * مكرابطيا للحران مصاحبا
 رجلاى فى جنبيه منذركته * لن يغتراف غدوت أمشى راكبا

(ابن نباتة)

أصبحت ياسيدى وباسندى * أقص فى أمر بغلانى القصصا
 بالامس كانت لغرط سرعتها * طيرا وفى اليوم أصبحت قفصا

(الحلى مضمنا)

رأى فرسى اصطبيل عيسى فقال لى * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
 به لم أذق طعم الشعر كأتنى * بسقط اللوى بين الدخول فومل
 تقعع من برد الشتاء أضالى * لما نهجتها من جنوب وشمال

إذا سمع السواس صوت شجيمى * يقولون لا تهاك أسى وتجهل
أعول في وقت العلو ق طليم * وهل عند رسم دارس من معول
(حكى) أن العماد الكاتب قال للقاضى الفاضل سرفلا بك بك الفرس فقال له
دام علا العماد (ولبعض أهل عصره) أعنى الحسين الجزار

مات جارا لاديب قلت لهم * مضى وقد فات منه ما فاتا
من مات في عزه استراح ومن * خلف مثل الاديب ما ماتا
(وقال) شرف الدين البوصيرى ناظم البردة فيه

فلا تباسن ايها الاديب * عليه فلاموت ما بولد
إذا عشت أنت لنا بعد * كفانا وجودك ما نفقد

(قال) الشيخ فتح الدين بن سيد الناس كان للشيخ شرف الدين البوصيرى حجارة
استعارها منه ناظر الشرقية فاجبته فأخذها وسير له ثمنها مائتي درهم فسكتب
على اسمها الى الناظر المذكور المملوك حجارة البوصيرى

يا ايها المولى الذى أثبت * أخلاقه بانه الفاضل
ما كان ظنى ان يبيعونى * فطولكن صاحبي جاهل
لو حرصوه على من سفه * لقلت غيظا عليه يستاهل
أقصى مرادى لو كنت في بلدى * أرى بها في جانب الساحل
وبعد هذا فما يحل لكم * لاني من سيدي حامل
فردها الناظر ولم يأخذ الدراهم منه (لناصر الدين بن النقيب)

نفقت لي رأسا من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابتلى الله في المشاعر أخرى * بشقاق لها عن المشى مانع
فاذا قيل كم بقي لك رأس * قلت رأس بغير كوارع
ولشيخ جمال الدين بن نباتة وأخفش في السرقة في فرس له ثمن الاربعة
يقول لي صاحب وفي * والخيل تحت الوري تسارع
كم لك في ذا الزمان رأس * فقلت رأس بلا كوارع
(ابن دانيال)

قد كل الله برذوني بمنقصة * وشانه بعد ما أعماه بالمرج
أسير مثل أسير وهو يرج بي * كأنه ماشيا ينحط من درج

فان رمانى على ما فيه من عرج * فاعليه اذامات من حرج
 (صلاح الدين الصفدى) فيمن وعده ببغل
 طلبت البغل منك فقلت انى * أسيره وما كذب الكلام
 نعم أنعبته ركضا ولما * ألقى الاسطبل سيره الغلام
 قال الشيخ صلاح الدين الصفدى أنشدنى لنفسه المولى جمال الدين محمد بن
 نبأته بدمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبع مائة
 ورد من العرب منسوب ولا قطعت * أيدى الحوادث من انشائه شجره
 اذا امتطى ظهره رامي السهام مضى * والسهم حذوا فلولاً سبقه عقره
 عجبت كيف يسمى سابحا وله * وثب لواء البحر أمسى دونه ظفره
 كأنه فى هضاب الحسن صاعرة * أولا فصاعة فى الحسن منحدرة
 لما ترفع عن ندى يسابقه * أخفى يساقى فى مبداه نظره
 (قال) صلاح الدين وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن
 سليمان بن أبى الحسن الصوفى بدمشق فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين
 وسبع مائة وهو

وأدهم اللون فات البرق وانتظره * فغارت الريح حتى غابت اثره
 فواضع رجلاه حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره
 شهم تراه يحاكي السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف خبره
 يعرف الوحش فى البيداء فارسه * وينتفى وادعا ذى ستر غبره
 (شرف الدين أحمد الحلوى وأجاد)

جاء غلامى وشكا * أمر كيتى وبكى
 وقال لى لاشك بر * ذونك قد تشكى
 قد سقته اليوم فنا * مشى ولا تحزكا
 فقلت من غيظى له * مجاوب الما حكى
 ابن الحلوى أنا * فلا تكن معاك
 لو أنه مسير * لما غدا مشبكا

ابن نبأته

وأدهم اللون حنسى * فى جريه لاورى عجائب

(١٩٤)

يقصر على الرياح عنه * فكاه الخلفه جنائب
ابن سعيد المغربي في فرس أغرا صفر
وعندي اللون أعدته * لساعة تظلم أنوارها
كأنه في رهب شجرة * مصفرة غريبة نارها
(وله في أدهم أغر)

وقد اغتدى والليل قد سل صبحه * بإيل بجباب الصباح ما نسا
وأحسبه خال الثريا لجسامه * فصيرها ديه الى الأفق سما
(ولابن خفاجة في أشقر أغر)

وأشقر يضر منه الوغى * بشعلة من شعل الباس
وتطلع الغيرة في شجرة * حباية تفحك عن كاس
(النامي)

ومصغية كأن الحوب تلقى * الى آذانها بشرى الجلود
تري آذانها ألفات سطر * قياما في صحائف من بنود
(الارتجاني)

وحرف يحوب القاع والوهيد والربي * تحرف عديم الرفع والجرو والنصب
نجائب يقدر من المحصى كل ليلة * كأن بأيديها مصابيح للركب
(ابن سعيد في فرس لونا نيا أغرا كحل الحيلة)

وأجود تبرى أثرت به الثرى * وللغجر في خصر الظلام وشاح
عجبت له وهو الاصيل بعرفه * ظلام و بين الناظرين صباح
(ابن نباتة السعدي في فرس محجل بغرة)

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه نفاض في أحشائه
(الشيء بالشئ يذ ك قال ابن مجاج في النجون)

غضبت صباح وقد راتني قابضا * ابرى ذقلت لها مقالة فاجر
بالله الا ما ظمت جبينه * حتى يصدق فيك قول الشاعر
(أشار الى البيت المتقدم الاديب الفاضل الكاظم الرحال ابراهيم الساعلي)
المنبوذ بطويجن مولده بعرفة ووفاته بعد سنة تسع وثلاثين وسبعمائة من
قصيدة

ذهبوا الى الهيجا بكل طمعة * من نسل أعوج أو بنات الابحر
 من كل مخضوب الشوى قبل القرى * عارى النواهي مستدير المنجر
 ألوى بقادمي جائجي أفتح * ولوى بسالفتي خزال أعفر
 وأدار جفنا أشوسيا مبصرا * ظل الفوارس في الظلام المعكر
 من أجر كالورد أو من أصفر * كالورس أو من أشهب كالعنبر
 وبكل صهوة أجرد متقطب * الا اذا ضحك السنان السمهري
 (لسان الدين بن الخطيب)

قال جوادى عندما * همزت همزا أعجزه

الى ممتى تهمنى * ويل لكل همزه

(أحمد بن سعيد بن غازي البستي يصف ناقه)

حرف كمثل الصاد الا انها * بعد السرى جاءت كحرف النون

كالبدر قدرة الاله منازل * في الافق حتى صار كالعرحون

(وما احسن قول الشريف العقيلي) وان لم يكن مما نحن فيه

وأدهم من خيول الجوواني * فتأر من الضباب له غبار

اذا أبدى صهيل الرعد منه * لوحش المحل داخله زفار

أشبهه ولمع البرق فيه * بحراق تمشت فيه نار

(نادرة) ذكرها العلامة شهاب الدين أحمد بن فضل الله في كتابه مسالك الامصار

في ترجمة موفق الدين عبد الله المعروف بالوزن الواعظ الكمال المتطبيب أنه كان

بالقاع والى من اهل الادب يعرف بابن درباس واسمه على وكان يتظم الشعر

ويتوالى والوزير بدمشق اذ ذاك بدر الدين جعفر بن الآمدي وكان يتوالى

ايضا فاتفق أنه ولي عنه بالقاع كاتب سامن سلم من التميميين ديوان المطابع

وكان من حديث هؤلاء أنهم سرقوا قندا كثيرا كان قد جعل من غزير المراك

ليطبخ بدمشق لاسلطان فبلغ ذلك الملك الظاهر بيبرس فأمر بهم فسمروا وطيف

بهم على المجال الا هذا الكاتب فانه شفع فيه فأطلق بعد أن قدم له الجمل ليسمر

فما استخدمه ابن الآمدي بالبقاع ضيق على ابن درباس فأقام به حل قريحته

فما يكتبه الى ابن الآمدي فلم يأت بشئ فسأل الوزن في ذلك (فكتب)

شكيفة يا وزير العصر يرفعها * ما كان يأمل هذا من ولاة على

لم يبق في الأرض مختار فتبعته * الأفتى من بقايا وقعة الجمل
فقدك ابن الأمدى وهزله ومن انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحاي وينهى
وصول ما أنعم به من الخيل التي وجد الخير في نواصيها واعتد حصنها حصونا يعتصم
من الوغى بصياصيها (فن) أشهب غطاء النهار بجلائه وأوطاء الليل عن أهاته
يتوج أديمه ربا ويتأرج ربا ويقول من استقبله في حلي لجانه هذا الفجر قد
أطلع الثريا أن التفت للضايق أنساب أنساب الأئيم وإن انفجرت المسالك
ترمرور الغيم كم أبصر فارسه يوما أبيض بطلعته وكم عاب طرف السنان مقاتل
العدا في ظلام النقع بنور أشعته لا يسير داحس في مضماره ولا تطلع الغبراء في
شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق مداه مراعى طرفه
ويدرك شوارد البروق ثانيا عطفه ومن أدهم حالك الأديم حالي الشكيم له
مقلة غانية وسالفة ريم قد ألبسه الليل برده وأطلع بين عينيه سعدة
يظن من نظر إلى سواد طرته ويبساض حجوله وغرته أنه توهم النهار نهار الخاضه
والقي بين عينيه من رشاش تلك المخاضه ومن أشقرو شاه البرق بلهيه وغشاه
الأصـيل بذهبه يتوجس مالد به برقيقتين وينفض وفرنيه عن عقبتين
ويتزل عذار لجانه من سالفتيه على شفيقين له من الراح لونها ومن الريح أينما
ان جرى فبرق خفي وإن أسرج فهو لال على شفق ومن كبت نهـد كأن
راكبه في مهد عندى الأهاب ثم إلى الذهاب ينزل الغلام الخف عن سهواته
وكان نغم الفريض ومعبدي لهواته فسبح الخطأ قصير المطا إن ركب أصيد
قيـد الأوابد وأعجل عن الوثوب الوحوش الأوابد ومن حبشي أصفر يروق
العين ويشوق القلب بمشابهة العين كأن الشمس ألفت عليه من أشعتها جللا
وكانه نغم من الدجى فاعبـق منه عرفا واعتاق حبالا ذوكفـل زين سرجه
وذيل يستأذير تدمنه فرجه قد أطلعتـه الرياضة على مراد را كبه وفارسه
وأغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلانده وتوشيع ملابسه له من البرق
خفه وطية وخطفه ومن النسيم طروقه واطنه يطير بالغمز ويدرك بالرياضة
مواضع الرمز وبعد كالف الوصول في استغناء ماها عن الهـمز ومن
أنحضر حكاية من الروض تفويغه ومن الوشي تقسيمه وتأليفه قد كساه
النهار والليل سائى وقاروسنا واجتمع فيه من البياض والسواد ضدان لما

استجمعنا حسنا ومنحه الباري حلية وشبهه ونحائنه الرياح ونعماتها قوة
ركضه وخفة مشيه ومن أبقى ظهره نرم وجريه ضرم ان قصد غاية فوجود
القضاء بينه وبينهما عدم وان صرف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان
وفعله ما يريد الكف والقدم قد طابق الحسن البديع بين ضدي لونه في
جنسه عن الاوصاف وعدل بالرياح عن مباراته سلو كهان الاعتراف له
بعبادة الانصاف وترقى المملوك الى رتب العزم من ظهورها وأعداه الخطبة
الحسان اذا تجياد عليهما من أنفس مهورها وكلف بركوها فلما أكله عاد وكلما
أمله سره فلو أنه زيد الخيل لما زاد ورأى من آدابها مدل على انها من أكرم
الاصائل وعلم انها اليومى حربه وسلمه جنه الصائد وجننه الصائل وقابل
احسان مهديا بثنائه ودعائه وأعداه في الجهاد لمارعة أعداء الله وأعدائه
والله تعالى يشكر بره الذي أفردته الندى بمذاهبه وجعل الصافات الجياد
من بعض مواهبه بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى (ومن انشاء) الشيخ محي الدين
ابن عبد الظاهر وسير من الخيول الرهاوين كلما هو على الحسن مشتمل ومع
سرعه يمشى الهوينى كشي الشارب الثمل من كل أشقر كأنه النجم السريع
لا البطى وكل أحر كالشفق وغرته ما يتخلل الشفق من النور المضي وكل
أشهب كالنار وما فى هـ ذامن السواد ما بذلك من أوانر الليل وأرائل العشى
وكل أصفر حبشى يحسن أن يكون ركب المقر خادما وكيف لا وهو الخصى
الحبشى ومن البغال كل فارغة الوثبة كارهة أن لا تكون دون رتبة الجياد
فى حلبه كم قامت بذراعها شقة أرض فعلت طواها من عرضها وكم لحقت
بمشيتها الملحقة الجياد بركضها كم حسب راكبها أنه من وطئ ظهرها على فرش
مرفوعه وكم يبيع لها بالخلافة عن البحر المطهر مة على انها مخلوعة يشهد
بتمام حسن العقل ويصدق على ذلك منها صحة النقل ماضرتها هجنة أمها
مع أصالة أبيها وأمهاه هجينة وما نأنها ذلك والله تعالى ساوى بينهما ما بقوله
تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزيننه تسبق الطرف والطرف
وأما خالها وما هى حرف (ومن انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة) وأما الخيل
المسيرة فقد وجد المملوك لذة أنسها وأرجب على نفسه فروض جسمها
واسقة نهض لشكر محاسنها براعتة فسعت ولاكن على رأسها واستنزات له

الآمال من صياصيا وحلات منه محل الخير المعقود في نواصيا وأمدته
 بالأسعاف مددها وقبلها عوض أنامله الشريفة لانهاء مددها وماهى
 الأزهرات أنبتتها سحب كفه الكريم وعقود من طوق بها جيد العبد فسبح مدايح
 نعمها العجيبه ومنابر قام عليها خطيبا مجاسنه التي من كتها فـ كائنات كتم من
 المسك نظيره فن أشهب كأنه طلعة منج أوقطة صبح أو غرة فالتغرب باشعته
 أبدار جنح قد تزيت منه الاوضاع وانه قطعت دون غايته الاطماع
 واعتذرت له الريح فصبوب أذنيه للسمع وأصبح لصاحبه نعم العون في
 يوم السبق والغوث في يوم القراع وكاد يكون من الملائكة فـ كم له من غبار
 السبق أجنحة مثنى وثلاث ورباع ما خفيت مصلحة الاقبضا ولا اداهمت
 محاسبة تقع الاقام بنفسه ويبيضا وما حدث عن حسن الاراء ولا امتطاء
 عازم الاجد عند صباح لونه سراه تقرب الطالب سفارة عزائم المفره ويختال
 في الخيل كالنهار فلا جرم ان آيته مبصره كم ثنى عنانه كبراعن مسابقة الرياح
 وأعرض وكم تعب عليه عازم حتى فاز منه بالعيش الا انه الابيض يتلوه أشقر
 كلمة برق أو غزالة شرق فسبح اللبان رقيق مجرى العنان يروق
 الابصار ويدنى الاوطان والاطوار ويسمع بوقع جوافره صم الاحجار يضعف
 البصر عن اقتفاء ماله من السنن ويجزعن بلوغ غايته السيل اذا هجم والغيث
 اذا هتن وتقهصر عن شأوه الرياح فمن عذرا اذا حثت في وجهها التراب للعزن
 فكائنات صعد لا شعة النجوم فكسبها أوراهن البرق على حلتها فادبها وسابها
 قرنت حركاته بحسن الاتفاق وحكته في تضاعفها الشمس عند الانراق
 وامتدت كب الثريا تمسح وجهه من غبار السباق يتبعه كيت يسر الناظر
 ويشرق الحاطر كأنه جذوة نار أو كأس عقار أحلى من الضرب له من نفسه
 طرب كم خدمه من النصر اعوان وأسكره اسمه فأختال تحت راكبه كالنشوان
 وزاد لونه حتى كائنات هوى بهرام وأجله عن أن أقول بهرمان أمرع الاشياء
 شوطه وأضيع ما في عدته سوطه يجتمع لرا كبه ما بين الطرب والنجالة
 وتحتجب الشمس اذا تصدى لصيد خوي من تسميتها بالغزاة كم أرعد صهياه
 وأبرق وكم انفى منه الموت الاجر العدو والازرق قصرت عن معانيه اهمم
 واسود ذنبه ودرفه فكائنات الذوب نار جسمهم توسع أهل الجورا ويعتد

بختجرت عليه أديم الأرض - يراية فوه أص - فريست النظر ويسوعلى النظر
 ويشوق البصائر وربما شقى سعيه على الإبصار ويخفق وراءه حتى قلب البرق
 اذا ذكره - ما السبق في مضمار كم أوسع وقعه - في ليل السرى من سر وم
 نقش نعله ظهر جبل فجاء كما قيل نقش في حجر يطالع بسماء الطلب أهله هو
 عيدها واذا امتطاه عازم رأى الأرض تطوى له ويدنو بعيدها كم حسن خبرا
 وخبرا وتأثير وأثرا وكم عشا الى نار سنا بكه طارق فأجل له من قص - دة القرى
 كأنما خلع عليه الدهر رحلة ذهب وهبته - صفرة لونها الراح حين تجلى بالحجب
 لو أمكن أول فجر لما سمى في زمنه - بالسرحان ولو كتب اسمه على مقدمة طليعة
 قرنها اليمن واليمان يحبه أدهم كأنما التحف سبجا أو دخل تحت ذيل الدجى
 تخضع عواصى الذرى لعزته وينشق الصبح - باح غيظا من تحجيلة وغرته كأنما
 لطمته يد الفجر فخاض في أحشائه وورد نهر الهجرة فطارت لجهته - نقطة من
 مائه فسيح المنتشق متدرع ملابس حب القلوب والمخدق كم عنت شوايح الجبال
 بجلاله وقصرت عنه الخيل حتى لم تسابق الا ظل ادياره واقباله وخاف سطوته
 الليل فحياه بمثل أنجمه وأنعله بهلاله يسر الموالى ويسوء المناسب ويأتى من
 صباح تحجيلة وليل تكوينه بالعجائب وتكب والريح دون شأوه فكاهام من خافه
 جنائب ولا برح سيدنا يجبد في القول ويجود في العمل ويتطول من نحى كرمه
 ومفيد كله بما لا ترقى اليه همة أمل ان شاء الله تعالى ثم ذلك (وقال) مجير
 الدين بن تميم مضمنا

بعثت عندي جواد الاحزان به * يكاد من همزه بالركض ينخرم
 فلا ينزك منه سنة غلظا * ان الجواد على علاته هم

(ابن النديه) من قصيدة

فهى مثل القسي شكا ولا كن * هى فى السبق أسهم لا محاله
 تركتها الحداة فى الخفض والرفع حروفا فى جرهما عماله

(علاء الدين) ابن أيبك من قصيدة

له خطبة الخيل العناق كأنها * نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
 عرائس أغنتها الحبول عن الحلى * فلم تبغ خلخال ولا التمس وقفا
 فن يلقى كالطرس تحسب انه * وان جردوه فى - لاته التفلا

وأبقى أعلى الليل نصف أهابه * ونار عايه الصبح فاحبس النصفها
 وورد تغشى جلده شفق الدجى * فذخازه دلى له الذيل والعرفا
 وأشقر مرج الراح صرف أديمه * وأصف لم يسمع بها جلده صرفا
 وأشهب فضى الأمام مدثر * عليه خطوط غير مفهومة حرقا
 كما خطر الزاهى بهرق ككاتب * فخر عايه ذيله وهو ما جفا
 تهب على الأعداء منها عواصف * لتدسف أرض المشركين بها نسفا
 سرى كل طرف كالغزال فتتمرى * أطيبا ترى تحت الحجاجة أم طروا
 وقد كان في اليداء ألف مربة * فربنته مهر وتحتسبه خشفها
 تناوله لفظ الجواد لاه * متى ما أردت الجرى اعطاكه ضففا

(ابن خفاجة)

ولم أر الاغرة فوق شجرة * فقلت حباب يستدير على خمر
 (نادرة) وقف اعرابى على أبى عبيدة فقال له ما يعنى الشاعر بقوله
 ولقد علوت بمشرف يا فونحه * يأتى المجسة ماؤه يتفصد
 مزج يسيل من المزاج لعابه * فيمكاد جلداها به يتقصد
 حتى علوت به مشق ثنية * طورا أعور به وطورا أجد
 (فقال) يصف فرسا فقال الاعرابى جلك الله عليه (برهان الدين) القيراطى
 فى جاره

تراه أولا فى الاكل سبهقا * وعند السير يأتى فى الاحير
 وكم وضعوا سكرجة بفيه * فسامنته عن سخن الشعر
 (عرض) شريح ناقة ليبيعهها فجاء اليه رجل من قر يش فقال له يا أبا أمية كيف
 لي بها فقال احاب فى أى انا شئت قال فكيف الوطأ قال افرش ونم قال فكيف
 قوتها قال اجل على الحائط ماشئت فاشترها فلم يجد شيئا مما وصف فرجع اليه
 فقال له لم أر شيئا مما وصفته به قال ما كذبتك (كتب) الصابى عن بختيار الى
 أبى تغلب فى وصف فرس أهده له أما الفرس الذى سألت أيتارك به فقد
 تقدمنا نقوده اليك والله يبارك لك فيه ويجعل الخير معقودا بناصيته والاقبال
 غرة وجهه وادراك المطالب تحجيه ونيل الامانى طلق شأوه وفتح الفتوح
 غاية شدة وسلامة العواقب مشى عنانه (ابن جديس الصقلى)

(٢٠١)

وكانها نون تخط وعينها * ميم اطول نحوها بالفد فد
تحت جفون الليل منها بالسرى * وتلمحت منه بلون الاثمد
فلجسمها والصبح يتبع نوره * من جفن ليلتها انسلال المرو
باليتها كانت سفينة زاجر * فتخوض بي مذل العباب المريد
فأرى ابن جمدان ونور جبينه * يحلوسناه قذى جفون الارمد

(وله فيهن)

قلاص حباهن المزال كانها * حنيات نبع في أكف جوادب
اذا وردت من زرقاة الماء أعينا * وقفن على أرجائها كالمواجب
(ومما جاء) في رقية الدابة عن سعيد بن نوفل قال كان عرض المصاحف عند عبد
الله فجاءت جارية اعرابية الى رجل من القوم فقالت اطلب راقيا فان فلانا قد
لفع فرسك بعينه فتركه يدور كانه فذلك فقال عبد الله لا تطلب راقيا اذهب
فانفت في منخره الايمن اربع اوفى الايسر ثلاثا ثم قل بسم الله لا بأس اذهب
الباأس رب الناس وأشف أنت الشافي لا يذهب الضر الا أنت قال فذهب
الرجل ثم رجع فقال فعلت الذي أمرتني فأكل وبال وراث وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اذا استعصبت دابة أحدكم أو كانت شمس أفلية رأ هذه الآية في
أذنها أفغير دين الله يبعون وله أسلم من في السموات والارض طرعا وكرها
واليه ترجعون (نادرة) قال أبو العباس دخل اعرابي السوق ليبيع ناقه له
فقال له بعض المجان تبديها يا اعرابي باير بغل فقال الاعرابي اقعد على عطيتك
فان زادونا والا انت أحق بها (الاسعد ابن عساق)

أصبح بغلي مثلا * يضرب وهو سائر

(ناصر الدين بن النقيب)

لي بغلة من ضعفها * خزامها يثقلها
كانها رجلى كفا * تحماني أحملها

(بدر الدين) يوسف بن اوثو الذي

ترحات عن ناديك لاعن ملالة * وقد لفتني بالهجير البساس
على بغلة أمطيتنيها قصيرة * كائن بلاشك على لارض جالس
وتحسبني من فوقها الناس راجلا * ولا كنى فيما ترى العين فارس

(٢٠٢)

(البهازي في بغلة شهاب الدين القوصي)

لا يا صديقي بغلة * ليست تساوي خردله
تمشي فتسببها العيون على الطريق مشكاه
وتخال مدبرة اذا * ما اقبلت مستجعله
مقدار خطوتها الطويله حين تسرع انزله
تهتز وهي مكانها * فكأنما هي زلزله
أشبهتها بل أشبهت بك كأن يدركك صله
تحكي خصالك في الثغاة * له والمهانة والبله

(القيراطي)

لي بغلة قد أتعبت راحتي * والرجل من تغذي الى كعبي
طباهها خارجة كلها * وقط لا تمشي غلى الضرب

(الجزار) يرفي حجارة

ما كل حين تنجع الاسفار * نفق الحمار وبارت الاشعار
خرجي على كتفي وهما نادائر * بين البيوت كأنني عطار
ماذا على جري لاجل فراقه * وجرت دموع العين وهي غزار
لم أنس حدة نفسه وكأنه * من أن تسابقه الرياح بغار
وتخاله في القفر جنا انما * ما كل جن مثله طيار
واذا أنى للحوض لم يخاع له * في الماء من قبل الورود عذار
وتراه يحرس رجله من زلة * برشاشها يتجنب الحظار
ويلين في وقت المضيق فيلتوى * فكأنما بيديك منه سوار
ويسير في وقت الزحام برأسه * حتى يجبد أمامك الحضار
لم أدر عيبا فيه الا انه * مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ولقد تحامته الكلاب وأجمت * عنه وفيه كلما تختار
راعت اصاحبه عهدا قدمضت * لما علمن بأنه بخار

(ومن انشاء المنير الفتحى بن الشهيد) تسمده الله برحمته من رسالة كتبها عن
حضورا كدش أدهم وينهى وصول الجواد المنعم به على المملوك ، أذنافه
الى ما في يده من الصدقات العجيبة يقدّر قدرها ويضاعف بالخدمة والخدمة

شكرها وفرح المملوك أنه ما خص بالفرس الا وقد ثبت عند سيده أنه غلام
وما أجزأه من ديوان الخاص بالتمييز قد رده على العوام ووصل هذا الجواد
أدهم من الخيل كأنما ألبسه الليل حلة سابعة السكم والذيل وفهم المملوك من
بعثه حالك السواد ان الامر العالى اقتضى ان المملوك يكتم هذا الاحسان
فى سواد الفؤاد ويسمى به عن الحساد كما ستر الليل عن الرقاب اجتماع أهل الوداد
فتسليم المملوك كما تسلمت الجفون طيف الحبيب وأسر السرور به لما علم انه من
صدقة السر التي أخفتها اليد الكريمة ولا يعزب عن الله مثقال ذرة فيها ولا
يغيب واتخذ المملوك ظهر هذا الجواد حرزا لانه من الهياكل وتصيد بعنانه
غزلان الاعنة فكانت تصيد العزج بائل وجعله ذخيرة وعزا لانه أدهم
لا يندم صاحبه ان نابت النواشب أو غالت الغوائل (ومنها) وصل الظهر
قد أعوز والسفر قد أحفر وحلت دهمته الغمة وجاءت باليد البيضاء
فكذبت القسائين لا خير فى الظلم فرأيت منه العطايا فى سواد المطالب
وركبت من مرجه المحلى بالذهب فاجرت فى ايل اها به الا هتديت من تلك
المحلى بانوار الكواكب وقرت به عيني كأنما حل من سوادى واستوطأت
ظهره فى السرى فمتم لمسا طرق كأنه يريد رقادى (أدب حسن) قبل لعرابى
له ابل كثيرة ان هذه الابل فقال لله فى يدي وقيل لعرابى أنت راعى هذه
الابل فقال الله راعيا وأنا مراعيا (فائدة جليلة) قال الامير علاء الدين
الدوادارى فى بعض مجاميعه بخط القاضى شمس الدين بن خلدون كان للأغل يكتب
على حافر الفرس الايسر بقلم حديد وكل حرف من هذه الكلمات على حذته
وهى النيل والفرات ودجلة وأودية وقال لى شخص انه جربه وجده نافعا والله
تعالى أعلم (ذوالوزارتين) لسان الدين بن الخطيب من قصيدة

صبيحتهم غررا الجياد كأنما * عند الثنية طارض متها
من كل منجرد أغر محجل * برعى الجياد به أغر محجل
زجل الجناح اذا أجد الغاية * واذا تغنى بالصهيل قبل
جيد كما التفت الظالم وفوقه * أذن ممسقة وطرف أكل
وكأنما هو هوة فى هيكل * من لطفه وكأنما هو هيكل
(ومن كلام سيدى المقر المجدى) حسبما اقترحه السادة المخاديم بالقاهرة المحروسة

البلاغة جعل الله تعالى كف موالينا للقبول والمؤمل ككرايم الخيل ظهورها
 عزا وبطونها كنزا وآيات كرمه اذا تلقت تهزأ عطاف كل جواد هزا ويتبعه
 في مجاراتها كزا تعالى الهـم وتغلى القـيم ويجوز صاحبها قصب السبق
 بالقلم غير أنها تلجئه في اقتراح الاخوان الى ركوب الاهوال وتمطيه في اتباع
 أوامرهم سهوة الخطر اذا كان لا خيل عنده يهديها ولا مال فانهم أبقاهم الله
 تعالى رموا العبد من اقتراحهم بما لا يطاق ودفعوه من أوصاف الخيل الى
 حلبة سبق إليها جماعة فكيف للمملوك بهـدمهم بالحقاق نعم كيف له بلحاق
 تلك الفحول واني يمكنه مجاراتهم في هذه الليالي العواطل وقد كانت أيامهم
 لها غرر معلومة وجول فاستقلت من هذا الامتحان واعتذرت اني است في
 أمر الخيل من الفرسان فقالوا بل أمطينا الطرف راكبه وأعطينا المال واهبه
 فانك ربيب متونها وهـذب شامسها وحرونها فجالت في ميدان الفكر
 وجذبت أعنة الحفظ والذكر الى ان أنتجالي ما لو أرقفت أسرته ولو تركت
 لتركته فابتدأت بوصف أخضر مليح الشيات كامل الادوات يحمل الراكب
 ويزين المواكب ويرضى الشهم الشديد ويسبق السهم السديد لا يخرج
 عن طوع فارسه ولا يعدو اختيار فارسه كأن أرمه ثم يعد من نور خلاف
 أولف من جنات أنفاس وكيت أصم اللون ملبح الكون بعيد الصفات
 سريع الالتفات تثني على همته الركان وبطنه تحت العجاجة نار علاما
 دخان فسبح الخطوه شديد القوه سبب الاديم معظم لدى الكرام
 ولا عجب اذا عظم الجواد كريم كأنما صبح بعقار أو أبس جل نار وقيركاون
 الحرباء وخيال أزاهر على صفحة الماء ووجنة حب تكالت بعرق ونهر
 صاف طفا بوجهه علق وبهجة حباب على كؤس مدامه وأشعة شمس
 تألفت في طوق جامه لاتثت العين معرفته ولا يوفي البليغ وان أطنب
 صفته ولا يدركه الطير اذا طار ولا يلحقه الريح اذا اشتدت غير الغبار لا يعمل
 السباق ولا يزعم راكبه اذا قام على قدم وساق وأبلى كريم الاصل محمود
 الخصل مجتمع من ظلمة الهجر وضياء الوصل يرى الناظر من لونه بياض العطايا
 في سواد المطالب وتحقق للتعجب من تضادهـما أن في الليل والنهار عجائب
 لا يحياه البصر اذا سار ولا ينجم من راكبه عدو وكيف ينجم من خلفه الليل

والنهار تقدر في جنسه وكاد يدرك المعقولات بضياء حسه عظم خبره وخبره
 واشتهر بين الانام قدره وعز على من رآه وطال وكيف لا وهو الا يلق الفرد
 الذي شاع ذكره وأدهم بهى المنظر جميل المخبر تخاله خال على وجنة الزمان
 وتظنه بين جفنى السماء والارض انسان أسرع من السهم وأنفذ من الوهم
 يطوى شقة الفلايين ويحتذب سويدات القلوب الى حبه وشبه الشئ منجذب
 اليه تنبشك بالظفر مخائله ولا ينش ذلك لونه الا باقى الابليل من تواصله وبالجلة
 فكأنما حلفت على اقتراح الرياضه واختيار الانفس المرتاضه فكاهها
 حسن وكل منها جاء من الصفات الغريبة بقى يأتي من المشى بالممكن في
 حساب ويتلو انسان السرعة على مستعظم أشكاه وترى الجبال تحسبها جامدة
 وهى تمرر السحاب فالله تعالى يبقى الخدوم ما انتخب القرايح وسيرت الخيول
 بين غاد ورايح ويكفيه ما تسعى من أجله ويجعل باب جهنة لا واماؤه اذا زحف
 عليهم الدهر بخيله ورجله بمحمد وآله (المولى الفاضل) شمس الدين بن
 الصاحب موفق الدين على بن الامدى

وكيت يلقى الخور اذا اشتد تجريا بأربع من حديد
 رق جلد او اجر حتى حسبنا * انه اختال فى رداه الخدود
 (وله فى فرس أدهم أغر محجل)

وأدهم نخص بأوضاحه * اعلاه بالغة أو أسفله
 كالبل فى أوله آخره أو يوم وفى آخره أوله

(وله)

بكل جواد سر حتى كأنما * له السيف حد والسنان له أذن
 (ولبعضهم)

قم بنا نركب طرف اللاموس سيقال لدام
 واثن يا صاح عنانى * لك ميت ونجم

(ولا آخر)

ويوم كسته الشمس غرة مهجة * كما ذهبته بالعشى تخيل
 ركضت به فى حلبة الله وسابقا * فبالا من يوم أغر محجل
 (ابن المعتز) فى وصف مطلق الواحدة محجل الثلاث

ومجمل غير اليمين كأنه * متبخر يثى بكم مسبل

(نفر الدين بن مكأنس)

بأعصية الجود الذي يرضيهم * فرسى العتيق ومهرى السباق

أما العتيق فلانترجرا تملأه * واليكم هذا الحديث يساق

(وضمن) هذا في الغزل شيخنا عز الدين الموصلی

لحديث نبت العارضين طرادة * وطلاوة هامت بها العشاق

فاذا نهاني المرد قلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

(قلت) وفي مقطوع الشيخ نفر الدين زيادة حسنة على الشيخ عز الدين وهو قوله

يساق واستعمل الشيخ عز الدين لفظة حديث في عدة أماكن من مقاطيعه ولعمري

أجاد في جميعها (فنها قوله)

حديث عذارا الحب يادوساته * له أوجه تبتدى لقلبي اشتياقه

درى اننا اشتاق لطف حديثه * فأبدي لنا ذلك الحديث وساقه

(وقوله)

حديث عذارا الحب في خذه جرى * كسك على الورد الجنى تسطرا

فقبلته حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جوا

(ولغيره) وايس مما تقدم لا كن ذكرناه موافقة المعنى

ولما اجتمعنا والساو جليسا * على اننا نسوا الهوى ونغفل

ونحيل غرام قد أتنا ما خيرة * فلم ندر الا والساو قتيلا

(ومنه)

وحياة من أمست لدى حياته * أشهى الى من اتصال حياتي

ما سافرت لمخاطات طرفي نحوكم * الا على خيل من العبرات

(ومنه قول عز الدين الموصلی) شعرا

يسقطر دال الشوق خيل الدمع سابقة * ففضل السحب فضل العرب للجحيم

(وما ألفت) قول بدر الدين بن الصاحب

بالله يا بذر زرنى * وعد محببا سقيما

واكتم محبك واركب * من الظلام بهيما

(وأشدني شيخنا زين الدين بن العجي) لنفسه

(٢٠٧)

لظلمات اليلالى * أشكو شجوني الاليه
وكيف تفهم معني * شكواي وهي بهيمه

(نفر الدين بن مكانس)

لله أشكو ما جرى * وهو بشكواي عليم
ان بهيما كان لي * فضاع في الليل البهيم

(واؤلف الكتاب)

ولرب ليل طال من تذكرهم * أرى الدجى فيه وليس ببارح
قرح الجفون السهد في ظلماته * فلذلك يدعى بالبهيم القارح
(وعلى ذكر البهيم) فما أحسن ما أنشدني لنفسه مجد الدين بن مكانس

لله عصبه عشق * طيب الكرى حرموه

عذولهم كحمار * لا بدع ان صرموه

(وأنشدني صدر الدين بن الأدي) لنفسه

قلت وليلى لونه حالك * وجنته في ليله كالسقيم

(الصفدي) في أدهم بنرة

واعجب الصبح من أشقر * ما آن أن يلحق ليل البهيم

(غيره)

تردى أديم الليل تها بنفسه * وأطمع حتى في منال الكواكب

وأبدى لرائيه بغرة وجهه * بياض العطايا في سواد المطالب

(وأنشدني نفر الدين بن مكانس)

لنا فرس نلاق منه رفقا * كرفق الوالدين اذا ثملنا

ترانا حين تركبه سكارى * نميل على جوانبه كأننا

(حدث) أحمد بن أبي خالد قال خرج الفيض بن أبي صالح وأحمد بن الجنييد وجاعة

من وجوه الكتاب يومان دار المأمون منصرفين الى منازلهم وكان يوماً مطيراً

فتقدم الفيض بن أبي صالح وتلاه أحمد بن الجنييد فنضخت دابة الفيض على

ثياب أحمد بن الجنييد برجله من ماء المطر فتأفف أحمد بن الجنييد وقال للفيض

هذه والله مسيرة بغیضة وما أدري حقاً أوجب لك التقدم علينا فأمسك

الفيض حتى صار الى منزله ثم دعا وكيلاً فأمربا حضاراً ثلثت في كل تحت

قص وسر وابل ومبطنة وخماسة وطيلسان ففعل ذلك وقال اجل هذه التخت
على مائة جمال وسرهم الى دار أحمد بن الجنيدي وقل له اوجب لنا التقدم عليك
أن لنا مثل هـ ذاهديه اليك اذا أفسدنا ثيابك فان أهديت لنا مثلها قدمناك
علينا (قال مؤلف الكتاب رحمه الله تعالى) ضمنا بحسب أنس بزرية قيمون
بمنزل المرحوم فخر الدين بن مكاس وكان فيه اذذاك جماعة من أعيان متأدي
الديار المصرية فأطلقنا عنان المذاكره وتجاريينا في ميدان المحاضره الى ان
استطردنا الى ذكر الخيول وما قيل فيها من منظوم أزهى من المنشور المطلق
فقال المرحوم فخر الدين سدوا عنا المقاطيع واطربونا بالمواصيل اشارة الى ذكر
ما قيل فيها من الرسائل التي أشرت بزهر الخائل فذكر بعض المحاضر من رسالة
القاضي محي الدين بن عبد الظاهر التي أولها وسير من الخيول الرهاوين كلساهو
على الحس مشتمل وذكر المرحوم فخر الدين رسالة الشيخ شهاب الدين محمود التي
أولها وينهى وصول ما أنعم به من الخيل التي وجد الخبير في نواصيا وذكر المملوك
رسالة الشيخ جمال الدين بن نباتة التي أولها وأما الخيل المسيرة وذكر الشيخ بدر
الدين البشتكي رسالة العلامة لسان الدين بن الخطيب التي أولها وذكر
القاضي محمد الدين بن مكاس حسب سؤال الجماعة رسالته التي أولها البلاغة
جعل الله أ كف مولانا كراثم الخيل ظهورها عزوا بطونها كثرنا فسامن
الجماعة الامن استحسنها وبالغ في شكرها فقال المرحوم فخر الدين ينبغي أن تجمع
هذه المقاطيع والرسائل في كتاب يس ويسمى بمجري السوابق انتهى

كذا يفاض
بصل

(الباب الثالث والاربعون في مصائد الملوك وما فيها من نظم السلوك)

ولبعضهم في الفهد

وأهرت الشدق في فيه وفي يده * ما في الصوارم والعسالة الذبل
تنافس الليل فيه والنهار معا * فقمصاه بجلباب من المقل
والشمس بذلقبوها بالغزالة لم * تطلع على وجهه الا على وجل
(ابن المعتز فيه)

وما يس الوجه لا لقادحة * تحسبه من قبائل الترك
تخال أنواه مصدلة * نقطها الغنائات بالمسك

(الارجاني فيه)

وأمرت آدم بدت كاسمها * به الدهر آدم لنا يؤتد
 من الترخيط على جسمه * أديم تعين لآعن حلم
 به عاقت شرر لو حتمه من نار خدله يضطرم
 ففي كل عضوله أعين * تراصد ان هو بالصيدهم
 تراه رديفا وراء الغلام * وبالشمس الوجه منه التثم
 شبيه سبية جيش غدت * تذيب الكرى مقالة لم تنم
 جرى الدمع بالكحل من عينها * فتمنم جلبابها اذ سحيم
 وقد كاد يخرج من جلده * وراء الطريدة لما اقتم
 فقد شمر الجلود خوفا عليه أول ما الخلق منه استتم

(ابن الاثير الجزري في الفهود) نخرجنا والشمس قد نقص مشرقها عن مغربها
 وأمنت حمة حرها وان صارت الى برج عقربها بكل فهد قد حيك اها به من
 ضدين بياض وسواد وصور على اشكال العيون فتطلعت الى انتزاع الارواح
 من الاجساد يبلغ الامد الاقصى في أدنى وثباته ويسبق الفريسة ولا يقصها
 الا عن التفاته (القول في طابعه) زعم ارسطو أنه متولد بين أسد وغريرة أو بين
 لبوة وغرور في طبعه مشابهة لطبع الكلب في أدواته وذواته والنوم الذي يعتريه
 ويقال ان الفهد إذا اجالت وثقل جالها حتى عليها كل ذكر يراها من الفهود
 ويواسيها من صيده فاذا أرادت الولادة هربت الى موضع أعدته حتى اذا علمت
 اولادها الصبيدتر كثرها وبهذا الحيوان يضرب المثل في شدة النوم فيقال أنوم
 من فهد (قال الشاعر) وقد عبره بكثرة النوم

رقدت مقلتي وقلبي يقظان يحس الامور حسا شديدا

يحمد النوم في الجواد كمالا * يمنع الفهد نومه أن يصيدا

وليس شيء في جرم الفهد من الحيوان الا والفهد أثقل منه وأحطم لظهر الدابة
 والانات أصعب أخلاقا وأكثر جراءة واقدا ما وفي أخلاقه الحياء وذلك أن الرجل
 يمر بيده على سائر جسده فيسكن لذلك حتى تصيب يده مكان التفرقة فيقلق حينئذ
 ويغضب ومن خلقه الغضب وذلك أنه اذا وثب على طريدة لا يتنفس حتى ينالها
 فيحس ذلك وتمتلى رثته من الهواء الذي حبسه وسبيله أن يراح ريثما يخرج

النفس وتبرد تلك الغلة ويشق عن قلب الطريدة ويشم اياه ثم يطعمه منه
 ويسقي رى ماء ان كان الزمان قيظا ودون الرى ان كان الزمان بردا وان لم يروح
 لم يفلح بعد ذلك واذا أخطأ صيده رجع مغضبا ورعجا قتل سائسه ومن أخلاقه انه
 يأنس لمن يحسن اليه ويقال انه لص من لصوص السباع وهو وان كان وحشيا
 فانه يقبل الادب الا ان كبارها أقبل وان تقادمت في التوحش وأناثها أصيد من
 ذكورها ومن طبعه انه يحب الصوت الحسن ويصغى اليه ويرعجا كان سببا
 لصيده ويمار كب فيه ان ما يحجز عن التكسب منها الهرم يجتمع على فهد يصيد
 لهافي كل يوم شبعها وقال ارسطو والسباع تستنشق رائحة الفهد وتستدل بها
 على مكانه وتجب بلحمه أشد التجب فهو يتغيب عنها ذلك ويرعجا قرب بعضها
 من بعض فيطعم في نفسه فاذا أحس السبع منه ذلك وثب عليه فأكله وهو
 ألطف شعا لا رايح السباع القوية من ثم السباع لرائحته الشهية ولا يكاد
 يكون على علاوة الريح أبدا وهو يستخفي في الشجر فاذا مر به ايل ففاجأه وثب
 عليه وانشب مخالبه في اكافه ومص دمه حتى يضعف الابل ويسقط فتجتمع
 عليه الفهود فتأكله فان اجتاز به أسد نهض وترك الفرسية له تقربا اليه
 والفهد يعثر به داهي يسمى خنافة الفهود وقد ألهم اياه اذا اعتراه ذلك يأكل العذرة
 فيبرأ وينبغي اذا صيد أن يغطي رأسه ويدخل في جوالق ويجعل في بيت قد وضع
 فيه سراج ويلزمه سائسه ليلال ونهارا ولا يدخل عليه غيره فاذا آنس أركبه
 ظهر دابة ويطعمه على يده وأول من صاد به كليب بن وائل ويقال همام بن
 وبرة وكان صاحب لهو وطرب وأول من جلاها على الخيل يزيد بن معاوية
 وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراساني وأول من استسن الخنافة في
 الصيد وأولع بها كثير المعتضد والمواضع التي يوجد فيها هذا الحيوان مما يلي
 بلاد الحجاز الى اليمن وما يليها الى بلاد العراق ومما يلي بلاد الهند الى تبت والله
 تعالى أعلم (القول في طبائع الكلاب) قال المتكلمون في طبائع الحيوان الكلاب
 لا سبع تام ولا بهيمة تامة حتى كأنه من الخلق المركب لانه لو تم له طبائع السبعية
 ما ألف الناس واستوحش من البراري وجانب القفار ولو تم له معنى البهيمية في
 الطبع ما أكل لحم الحيوان وكاب على الناس وانما جعلناه بهيمة الفهد وهذه
 حالته لمشاركتة له في حرفة الصيد واعتناء الناس بتربته وتعليمه كما اعتنوا

بالفهد في ذلك وهو نوعان أهلي وسلوقي ومما يختص به الكلب السلوقي من
الطباع وسبب نتاج السلوقي كما حكاه أهل الكلام في الكايزة أن الكلاب
تسجد الذآب في أرض سلوقة من أرض اليمن فيتولد بينهما السلوقي وقال
آخرون الثعالب والكلب السلوقي له نفس متولدة بتناول ما يرسل عليه
ويطلبه بالأحضر خافه حتى يدركه فيأخذه لهم لأن حرصه على الصيد وغضبه
ليس من أجل نفسه كما يغضب الفهد لأن الجوارح تعمل لأنفسها إلا الكلاب
فأنهات كتسبب لأصحابها وهي إذا كثرت عليها الآثار واختلطت تنكب
لذلك وتذهب في كل جهة حتى تستثبت الآثار وتحقق جهته وذلك من حرصها على
مطاعة ربها واستعدادها للكتابة أعدائه ومساومتها التحصيل غرضه الذي
أرسلها بسببه ومن أعجب الأحوال فيه أنه إذا عاين الأطباء قرية منه كانت
أوبعية عرف المقبل منها والمديرو عرف العنز من التيس وإذا أبصر القطيع
لم يقصد غير التيس لعله أنه إذا عدا شوطين لم يشطع البول مع شدة المحصر ورفع
القوائم فينقص مدى خطاه ويعتريه الهير فيلحقه الكلب والعنز إذا اعتراها
البول في العدا ولم تمككه وقذفت به لسة السبيل فلاجل ذلك لا يطلبها ومن
عجيب أمره أنه يعرف الميت من المتماوت حتى يقال إن الروم لا تدفن ميتا حتى
يعرضونه على الكلاب فتظهر من شمه أياه علامة يستدلون بها على حياته أو موته
ويقال إن هذا الخدق لم يوجد إلا في كلب يسمى القاطي وهو صغير الجرم قصير
القوائم جدا ويسمى الصبني وهو مع هذا لا يبلغ رتبة الذئب في الشم
والاسترواح وإناث الكلاب السلوقية أسرع تعلم من الذكور والفهد بالعكس
وهذا النوع يعيش عشرين سنة على ما زعم أرسطو وربما لم يبلغ الإناث هذا
العمر (دلائل النجابة والفراهة في الكلاب السلوقية) أما في الخلقة فطول
ما بين الرجلين واليدين وقصر الظهر وصغر الرأس وطول العنق وغضف
الاذنين وبعدهما بينهما وسعة العينين وبعدهما بينهما وزرقة العين وتواء الجبهة
وعرضها وقصر اليدين وأما الألوان فيقال السود أقل صبرا على الحر والبرد
والبيض أفره إذا كنت سودا العيون وقد قال قوم إن السود أصبر على البرد
وأقوى وكذلك السود من الحيوان (الفراهة في الجرو) إذ ولدت الكلبة واحدا
كان أفره من أبويه وإن ولدت ذكرا أو أنثى كان الذكر أفره وإن ولدت ثلاثة

فيها انثى في شبه الام كانت أفرد من أبويه الثلاثة وان كان في الثلاثة ذكر واحد
فهو أفرد لها (قال ابن خفاجة)

ومورس السربال يخاع قده * عن نجم رجم في سما غبار
يستن في سطر الطريق وقد عفا * قدما فيقرا أخوف الآثار
عطف الضمور سر به فكأنه * والنعم بحبيب هلال سرار
يفتر عن مثل النصاب وانما * يمشى على مثل القنا الخطار

(الارجاني)

وعصف يسابق عصف الريا * ح فيسبقة نحصرها ان تسم
رياح مجشمة للعيو * ن مقادة في طلاه ارم
لهن من البيض مصقولة * تسيل وتغمد من كل قم
فن أبيض مثل لون الدمة — س ومن أصفر أملس كالزلم
وأبر ذى لمع في السوا * دحكي لونها نفخة في فم
يقترط مخلب — اذنه * ويسبق ناظره حيث أم
(القول في العقاب) وهذا الصنف يؤث ولا يذ كرو يسمى العنقاء على ما ذهب
اليه أهل اللغة وبهذا القول فسر قول أبي العلاء المعري

أرى العنقاء تكثر أن تصادا * فعاند من تطيق له عنادا

ولا خلاف عند أهل اللغة في ذلك وهو ينقسم الى صنفين عقاب وريح فأما العقاب
فنها في اللون السود والخوخية والصقع والسقع والبيض والشقر ومنها ما يأوى
الجبال ومنها ما يأوى الصحارى ومنها ما يأوى البياض ومنها ما يأوى حول
المدن ويقال ان ذكورها من طير آخر اطياف مجرم لا يساوى شيأ والعقاب يبيض
في الغالب ثلاث بيضات ويحضنها ثلاثين يوما وماء عداها من الجوارح يبيض
بيضتين في كل سنة ويحضن عشرين يوما وفي طبع الذكور انه يمتحن انشاء هل
هي محافضة له أو موافقة لغيره من جنسه بأن يصوب بصرف رعيه الى شعاع
الشمس فان ثبت عليه تحقق أنهم أفرخاه وان لم يصبر عليه ونبا عنه ضرب الانثى
كما يضرب الرجل المرأة الزانية وطرد هان وكره ورمى بالفرخين وهي تربي
فراخها الى ان تقوى على الطيران فتخرجها وتنقيها عن جميع مواضعها ومن
حقوقها افراخها انها لا تحمل على نفسها في الكسب عاينها ومتى كان الذكر

والانثى

والانثى في مكانين مجتمعين لا بدعان غيرهما من جنسهما بأوى قربا منه ولا يصيد فيه وهي اذا صادت شيئا لا تحمله على الفور الى مكانها بل تنقله من موضع الى موضع ولا تجلس الا على الاماكن المرتفعة لانها لا تستقل من الارض الا ببطا وعسر واذا صادت الارنب تبدأ بصيد الصغار ثم تصيد الكبار وهي أشد جراءة من سائر الجوارح وأقواها حركة الى الغضب وأسرعها اقداما وأيبسها مزاجا ولذلك هي أحدها وهي خفيفة الجناح سريعة الطيران فهي ان شئت كانت فوق كل شيء وان شئت كانت بقرب كل شيء تتغذى بالعراق وتتغشى باليمن وريشها الذي عليها فروتها في الشتاء وحيدتها في الصيف وربما صادت حجر الوحش وذلك انها اذا نظرت الحمار رمت نفسها في الماء حتى تبتل جناحها ثم تترغ في التراب ثم تطير حتى تقع على هامة الحمار ثم تصفق على عينيها بأجنحتها فتتلاطم ما تراه فلا يبصر حيث يذهب فيؤخذ وهي مولعة بصيد الحيات ولوعها بها ككلوع الحيات بالفار وفي طبعها قبل ان تدرب ان لا تراوغ صيدا ولا تعنى في طلبه ولا تزال موفية على شرف عال فاذا رأت سباع الدبر قد صادت شيئا انقضت عليه فيه تركله وينجوب بنفسه ومتى جاءت لم تمتنع عليها الذئب وهي شديدة الخوف من الانسان تنظر اليه بقرب منها ويقال انها اذا شاخت وهرمت وثقل جناحها وأظلم بصرها التمس غديرا فاذا وجدته حلقط طائفة في الهواء ثم تقع في ذلك الغدير وتغمس فيه مرارا فيصح جسمها ويقوى بصرها ويعود ريشها ناشأ الى حالته الاولى ومتى ثقلت عن النهوض وعميت سماتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان الى مكان لطلب الصيد وتعولها الى ان تموت ومن عجيب ما الله به من انما اذا اشتكت كبدها من رفع الارانب والنعالب في الهواء أكلت أكبادها فتبرأ وهي تأكل الحيات الارؤسها والطير الاقلوبها ويدل على هذا قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير طباويا بسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي
ومنقارها الاعلى يعظم ويتعقف حتى يكون سبب هلاكها لانها لا تنال به الطعام
حينئذ وأول من صاد بها أهل المغرب وانما رغبتهم فيमारأوا من شدة شرها
وعظم سلاحتها وصفة الحمود منها وثاقفة الخلق وثبوت الاركان وحجرة الملون
وغرور الجمالتي وان تكون صفة عجزا وهي التي تكون على علوتها بياض

واجودها ما خلب من شرب وجبال المغرب (ابن نباتة)
 أثبت اليها وهو كالفرخ راقد * فيساجلي لسان ثون واقبل الى
 فقلت امرسيه بالاصابع فالتقى * لدى وكرها العناب والمحشف البالي
 (القول في طبائع البازي) وتتقدم الى شجرة أصناف البازي والزرق والباشق
 والعفص والبيدق والبازي أحترها من اجل انه قليل الصبر على العطش ومأواه
 مساقط الشجر العارية المتعفة والظل القليل ومطر الدماء وهو لا يتخذ وكرا
 الا في شجرة لها شوك مختلفة المنحون يطاب بذلك السكن ولا يقع في شتاء ولا
 صيف على أغصانها ولا أطرافها وإذا أراد أن يفرخ بني لنفسه بيتا وسقفه
 تسقيفالا يصل اليه منه مطر ولا تلج اشفاقا على نفسه من البرد والحر ولهذا اذا
 أخطأ صائده وكان في بريبة لا شجر فيها طارئة من حاجتي يلج كهفا من جبل أو جدار
 من الارض ليسكن فيه ولذلك عاق عليه الجرس كما يدل على موضعه ان
 تحفي وهو لا يطيق البرد ولا الحر لرقته جوائمه فسيبيله في البرد أن تقرب منه النار
 ليدفأ ويجعل تحت كفيه في الشتاء وبر الثعالب واللبود وسبيله في الحر أن يجعل
 في كثر كنين من السموم بارد التسميم ويفرش له الریحمان والخلاف وهو خفيف
 الجناح سريع الطيران يلف طيرانه كالتفاف الفاختة ويسهل عليه ان يزوج
 نفسه صاعدا وهابطا ويقلب على ظهره حتى يلتقم فريسته وسبيله ان يضرا
 على صيد الدراج والنجم ان كان طويل المنسر وإذا كان قصيرا المنسر فسيبيله
 ان يضرا على طير الماء والخبرج والانات من هذا الصنف أجرا على عظام
 الصبيد مر ذكورها قال أصحاب البيزرة في الكلام على الانات من البراة اذا
 كان وقت سفادها وهي اجها يغشاها جميع أجناس الحيوان الضواري كلها
 الزرق والشاهين والصقور وانما تبيض من كل طير يغشاها ولهذا تجي بمختلفة
 الاخلاق من الحسن والجرأة والخبت والغدر والذكاء والقوة والضعف
 والحسن والقبح والشراسة ولهذا البازي لا يترك ما بين العصفور الى
 الدراج والكرابي وصفة الفاتحة انه أن يكون قليل الريش أجرا العينين حادهما
 وان يكونا مقلبتين على منسره وجؤجؤهما ماطلان عليهما لا يكون وضعهما
 في جنبي رأسه كوضع عين الحمام والاورق دون الاجر العين والاصفر دونهما
 وسعة الاشدق دليل على قوة الاوتراس (ومن صفاته المحودة) ان يكون طويلا

هو يرض الصـدر بعيد ما بين المنكبين شديد الانحراف الى ذنبه وان تكون
 نخذه طويـلتين مسـرولين برش وقرا عاه قصـيرتين غليظتين وأشاجـع كفيه
 عارية وأصابه متفرقة لا تكون مجتمعة ككف الغراب ومخالبه اسود ومنسره
 اسود رقيقا وأنفـر الالوان البيض ثم الشهب وهـم اللونان يدلان على الفـراة
 والكرم وأما الاسود الظهر المنقش الصـدر بالسواد والبياض فهو يدل على
 الشدة والصـلابة فان اتفق ان يكون أحمر العينين وكثيرا ما يتفق كالنهاية
 وهذا اللون في البراة كالكميت من الخيل لانه يدل على الشدة والاحـرم
 هذا الصنف أحسن البراة لانه فيها كالسوسى من الخيل بعيد من الصلاح وأول
 من صادهـذا الجارح لزرق أحد ملوك الروم الاول وذلك انه رأى بازيا اذا علا
 كنف واذا أسفل أنفق واذا أراد أن يسمو ذرق فاتبعه حتى افتحم ثم شجرة
 ملتفة كثرة الدغل فأعجبته صورته فقال هذا طائر له سلاح تزين بمثله الملوك
 فأمر بجمع عدة من البراة فجمعت وحصلت في مجلسه فعرض لبعضها ان تم فوثب
 عليه فقتله فقال ملك يغضب كما تغضب الملوك ثم أمر به فنصب على كندرة بين
 يديه وكان هناك ثعلب فربه مجتازا فوثب عليه هاأفلت منه الا جريحا فقال
 هذا جبار يمنع حماه ثم أمر به فضرى على الصيد واتخذته الملوك بعد (ابن الاثير
 في البراة) وأطلقت لك البراة بعد أن ذكر اسم الله على اطلاقها وتعلقت بها
 فوقها من الطيور حتى كأنها هي أطواق في أعناقها (ومن رسالة لابي اسحق)
 ابراهيم بن خفاجة يصف بازيا طائرا يستدل بظاهر صفاته على كرم ذاته طوراً ينظر
 نظرا الخيل في عطفه كأنما ينزهي به جبار وتارة يرمى نحو السماء بطرفه كأنما
 له هناك اعتبار وأخلق به أن ينقض على قنينة شهابا ويلوى ذهابا ويحرقه
 موافقا لتهابا جيد العين والاثـر حديد الـمع والبصر يكاد يحس ما يجري
 بهال ويسرى في خيال قد جمع بين عزة ملك وطاعة مملوك فهو بما
 يشتمل عليه من علا والهمه ويرجع اليه بمقتضى الخدمه مؤهل لا يبراز
 ما تقتضيه شمائله واجباب ما تعديه مخائله وخائق بمحكم تأديبه وجودة تركيبه
 ان لو مثل له النجم قنصا أوجرى للبرق فصفا لا تحتطفه أسرع من الخطه
 وأطوع من لفظه وانتشبه أمضى من سهم وأجرى من وهم وقد أقسم بشرف
 جوهـره وكرم عنـصره لا بوجه مسـفرا الا وعاد قنينة معفرا وآب الى يد

من أرسله مظفرا مورد الخشب والمنقار كأنما اختضب نخباً أو كرع في عفار
(وصفاته المحودة) أن يكون صغيراً في المنظر ثقيل في الميزان طويل الساقين
قصير الفخذين عظيم السلاح بالنسبة إلى جسمه (القول على الصقر) وهو من
الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لأنه أصبر على الشدة وأجل لغلظ الغداء
وأحسن الفأ وأشد أقداماً على جملة الطير من الكراكي والجوارح ومزاجه
أبرد من سائر ما تقدم وأرطب وذلك معروف من ركوده وقلة حركته وعدم
التفات ريشه وبهذا السبب يضرب على الغزال والأرنب ولا يضرب على الطير
لأنها تفوته وفعله في صيده الاتقراض والصرم وهو غير صاف بجناحه ولا
خافق به ومتى خفق بجناحه كانت حركته بطيئة بخلاف البازي وتقول أصحاب
البصرة أنه أهدى نفساً من البازي وأسرع أنساً بالناس وأكثرها رضا وقناعة
وهو يعتدي بلحوم ذوات الأربع وأبرد مزاجه لا يقرب المياه ويعافها ولم
يحمدها الدهر ما أرادها ولا جعل ذلك يوصف بالبخر وتتن الفم وفي طبعه أنه
لا يركب الشجر ولا شواخ الجبال ولا يأوى إلا المقابر والكهوف وصدوع
الجبال وفيه جبن ونفسه دون سديته ولذلك يضرب الغزال والأرنب ويهرب
منه ولا يكاد يعلق بفريسة فإذا فارقها عاد إليها لمنقضا فيضربها ويرقى هارباً
وكلماته قد دمز كره ينقي بالماء ويقتسل وهو ينقي بالتمك في الرمل (وصفاته
المحودة) أن يكون أحر اللون عظيم الهامة واسع العينين تام المنسر طويل
العنق والجناحين رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين
قصير الساقين والذنب قريب الفقرة سبط الكف غليظ الأصابع
غير وزجها أسود اللسان وأول من صاد به وضراء الحرث بن معاوية بن ثور بن
كنده فانه وقف يوماً على صياد قد نصب للعصافير شبكة فانقض صقر على
عصفور قد علق منها فجعل يأكله والحرث يعجب فأمر فأتى به وقد اندق جناحه
فرمى به في كسر بيت وركل به من بطعمه قدرته حتى صار إذا أتى إليه باللحم
ودعاه أجاب ثم صار يطعمه على اليد ثم صار يحمله لانه به فبينما هو يوماً
يحمله إذ رأى جماعة فطار عن يده إليها فأخذها وأكلها فأمر الحرث باتخاذها
والصيد بها فبينما هو يوماً يسير إذ لاحت له أرنب فطار الصقر إليها وأخذها
فلما رآه أقبل بين الطيور وبين الأرنب ازداد الحرث فيه محبة واغتنباطاً

واتخذته العرب بعده (وقال) كشاجم فيه

عدونا وطرف النجم وسنان غائر * وقد نزل الاصباح والليل سائر
 بأجل من جر الصقور مؤدب * وأكرم ما قربت منه الاحامر
 جرى على قتل الطيباء وانى * ليعجبني أن يكسر الوحش طائر
 قصير الذباني والقدامى كأنها * قوادم نسراوس يوف بواتر
 ونقش منه جوجؤف كأنه * أعارته أعجام الحروف الدفاتر
 فما زلت بالاضمار حتى صبغته * وليس يحوز السبق الاضوامر
 وتحمله مناسك كريمة * كما زهيت بالخاطبين المناسير
 وعن لنامن جانب السفع ررب * على سنن تستن منه الجحائر
 فلي وحلت عقدة السير فانتحي * لاؤلها اذا أمكته الاواخر
 بحث جناحيه على حروجه * كما فصلت فوق الخدود المعاجر
 وما تم رجوع الطرف حتى رأيتها * مصرعة تهوى اليها الخناجر
 (القول على الشاهين) تقول أصحاب البيرزة الشاهين من جنس الصقور الا انه
 أبرد منه وأيدس ولاجل ذلك تكون حركته من العلو الى السفلى شديدة وايدس
 يخلق في طلب الصيد على خط مستقيم وانما يحول الثقل جناحه حتى اذا سامت
 فريسته انقض على فريسته هاويا من علوا الى سفلى فضربها وقاربها يطلب
 الصعود وان سقطت على الارض أخذها وان لم تسقط عاد وضربها التسقط
 وذلك دليل على جبنه وفتور نفسه وبرد مزاج قلبه وعلى كل حال فالشاهين
 أسرعها وأخفها وأشدّها ضراوة على الصيد الا أنهم عاجوه بالاباق وربما يعثره
 من الحرص حتى انه ربما ضرب بنفسه الارض فحات ويقولون ان عظامه
 أصلب من عظام سائر الجوارح ولذلك هو يضرب بصدرة ويعلق بكفه وقال
 بعض حذاق هذا الفن الشاهين كاسمه يعني الميزان لانه يحمل أدنى حال من
 الشبع ولا يسرح حال من الجوع (والحمود من صفاته) أن يكون عظيم المسامة
 واسع العينين حادهما تام المنصر طويل العنق رحب الصدر ممتلئ الزور
 عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب الفقر من الظهر قليل
 الريش لينه تام الخوا في رقيق الذنب اذا صلبت عليه جناحاه لم يفضل عنهما
 شيء منه فان كان كذلك فهو يقتل الكراكي ولا يفوته صيد كبير وزعم أهل

الاسكندر ان السوومتها هي المجرودة وان المواد اصل لونها وانما قلبته القربة
فقال ويكون فيها الملع ويقال ان اول من صاد بها قسطنطين ملك عمورية حتى
انه خرج يوما يصيد بالزارة حتى انتهى الى خليج القسطنطينية وهو المسمى بحر
بنطس فعبر الى مرج بين الخليج والبحر فنظر الى شاهين ينكفي على طير الماء
فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته والمخاض على الصيد فأمر له أن ينصب له
حتى صيد فأخذه وضربه ثم رصت له بعد ذلك الشواهد وعلمت أن تحوم على
رأسه اذا ركب فتظلم من الشمس فكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى فاذا نزل
وقفت حوله (الوصف والتشبيه قال صلاح الدين الصفدي ملغزاني بجمع)

ما طائر في قلبه * يلوح للناس بحجب

منقاره كبطنه * والرأس منه في الذنب

(محي الدين) بن عبد الظاهر

بي من أمير شكار * هو يذيب الجوانح

لما حكى الظبي حسنا * حنت اليه الجوارح

(نقلت من كتاب المصائد والمطارد) لابي الفتح كشاجم قيل لمن كان مدمنا
للصيد من حكام الملوك انك قد أدمنت هذا وهو من خير الملاحى وفيه مشغلة
عن مهم الامور ومراعاة الملك فقال ان للملك في مداومة الصيد حظوظا كثيرة
أقلها تنبئه في أحصائه مواقع العماره من بلاده في النقصان والزيادة فارأى من
ذلك ما يسره بعثه الاغتباط به على الزيادة فيه وان رأى أمرا ينكره جرد عنايته
له ووفرها على تلافيه فلم يستتر عنه حال ورأس الملك العماره ولم يخرج ملك
للصيد فيرجع به غير فائدة أما حدائثه خبيله فيمترنها ويكف من عرب جاحها
وأما شهوته فيمنشها وأما فضول بدنه فيذيبها وأما راوده ومفاضلة فيداسها
وأما ان يكون قد طويت عنه حال مظلوم فيتمكرك من لقائه ويرجع اليه
ظلامته فيسلم من مائمه وأما أن ينكفي بصيد يتغالب بالظفر به الى خلال كثيرة
لا يجهل ما فيها من الربح ومنه من فضل العلم بالصيد والعادة ما حكاها لى أبى
عن أبى اسحق ابراهيم بن السدى عن عبد الملك بن صالح الهاشمي عن خالد بن
برمك أنه كان نازلا مع صاحب المعلى وغيره من رجال الدعة
وهو على سطح قريه نازل مع قحطبة حين فغلوا من خراسان وبينهم وبين عدتهم

هـ سيرة لبيال وأيام إلى أقاطيع ظباء مقبلة من البر حتى كادت تخالط العسكر
فقال لقمحطبة ناد في الناس بالأسراج والأنجم ونخذ الالهبة فتشوف قمحطبة
فلم ير شيأ يروعه فقال لخالد ما هذا الرأي فقال أما ترى هذه الوحوش قد أقبلت
ان وراءها جميعا يكشفها فأتاك الناس أن تأهبوا حتى رأوا طليعة ولولا علم
خالد بالصيد لكان الجيش قد اضملم * ووقف بعض الملوك بصومعة حكيم
من الزهيمان فاستجاب له فقال له ما اللذة قال كثرة اللذات أربع فمن أين
تسأل قال صفة هن لي قال هل تصيدت قط قال لا قال ألك حظ بالسماع
والشراب قال لا قال فهذه فانوت ففجرت أو كثرت فكثرت قط قال لا قال وما بقي
من اللذات (الجوارح أربعة) البازي والشاهين والصقروا العقاب وما يضاف
اليها فتصير على ذكر هذه الاربعة اذا كانت أركان الجوارح ومعتمدا الملوك
عليها فالبدء به منها البازي يقال باز وبزاة مثل قاض قضاة ويزان كغاز وغيزان
وبازي وبوازي (قال لبيد بن ربيعة)

لقيت لنا بوازي سائدت * وطيرك في مكانتها لبود

وأول من تهدي إلى الصيد به تقدم ذكره ولا يعرف كخرصه حصار ولا كجذبه
جدا وفي أخبار نصر بن سيار أن بعض كبراء الدهاقين غدا عليه بطبرستان
ومعه منديل فيه شيء ما غف فكشف عنه بين يديه فاذا فيه هيثة شلو باز ودراجة
مخترقين فقال نصر ما هذا فقال الرجل خرجت ومعى هذا البازي وثارت دراجة
فاضطرب عليها وأحسب به وقد كنت مررت بقصباء أفسدت أرضا لي فأمرت
بأحراقها فاضطربت فتحات الدراجة حتى اقتحمت النار هاربة واشتد قربه
اليها فلم تثنه النار عنها واقتحم في أثرها فأسمرت فيه ما فأدركتها النار
واحترفا فأحضرتهما إلى الأمير ليرى بهما ثمرة افراط الحرص وافراط الجبن وما
أحسن صورة اجتمع فيهما ثلاث بزاة على ظهر فرس في كف رجل واختلاف رأى
الملوك فيما مثلته في تيجانها ولباسها فكانت أمثلة تاج ملك جيلان ولباسه
صورة بزاة ف قيل له في ذلك فقال وجدت الانسان يحمله الفرس ووجدت
البازي يحمله الانسان ليئال عليه لذته وبغيته وطرده ووجدته أيضا ملك نوعه
واذا كنت أحمله جميعا في الحقيقة فلا عاب به فانا في تمثيله وحمله مثالا في لباسي
وحالي أعذر (ومن فضائله) ان الصيد فيه طبع لانه يؤخذ فرخا من وكره من

غير أن يكون حذق ولا تصيد مع أبويه فيه صيد ابتداء من غير تضرية ولا استجابة
وليس ذلك في الصقر والصقر بعكسه ومن ملح أخباره وأمثاله أن خالد بن برمك
قال بينا أبو أيوب الكاتب جالس في أمره ونهيه إذ أتاه رسول المنصور فامتقع لونه
فلما رجع تعجبنا من حاله فقال أنا أضرب لكم مثلاً زعموا أن البازي قال لذي
مافي الأرض حيوان أقل وفاء منك قال وكيف ذلك قال أخذك أهالك بيضة
فخضنوك ثم خرجت على أيديهم وأطعموك في أكفهم ونشأت بينهم حتى إذا
كبرت صرت لا يدنو إليك أحد الا طرت مرة كذا ومرة كذا وصوتت وحذرت
وانا مسوني من الجبال فعلموني والقوفي في الهواء فأتخذ صيدى فأجث به إلى صاحبي
فقال له الذيك انك لو رأيت من البراة في سفايدهم مثل الذي رأيت من الديوك
لكنت أنفرتي ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم ما تعجبتم من خوفي مع ما ترون من تمكن
حالي وأقول ان هذا المثل يتصل به معنى حسن لكفاة السلطان وأعوانه
وهو أنه ينبغي لتابع السلطان أن يجتهد في توفير الحظ واجتلاب المنافع إليه
حتى يكون كالبازي الذي دفع عن نفسه ما وقع الذيك فيه برغبة صاحبه في
كسبه ووده ولم يقنع له بالسلامة حتى اكرمه بالدستيان وأركبه يده وحلاه
الجلجل وأطعمه من خاص كسبه ومن غير كسبه وعجز الذيك عن هذه الفضائل
والملكاب واقتصر على شهوة السفاد والترف واللفظ فخل به ما حل (أمارات
الجرأة فيه) يمتحن ذلك بان ينصب في بيت مضى ثم يقطع عنه الضوء ويسد
ما يدخل إليه من النور فإذا أظلم البيت دنوت من البازي فلمسته مسرعاً فان وثب
على يدك وقبضها فهو جري بصيد عظام الطير وان تقبض وسكن فليس
كذلك ومن أمارات القوة أن يشتد في زاوية البيت وينظر أين يبلغ بزرقه
من الحائط فأرفعه أزرقاً أشدها قوة وتدل قوته على طيرانه وصيده (ومن ملح
ما ورد في التعريض باسمه) ما قاله بعض التميميين لرجل من غير ما أحسن صيد
البازي فقال له الغيري لاسيما إذا أرسل على القطا أراد التميمي
انا البازي المطل على غير * أتبع من السماء لها انصباباً
وأراد الغيري

تميم بطرق اللاؤم أهدي من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
(قات) وما أحسن جواب بعض الشعراء وقد حضر بين يدي أمير مدحه
فقال

فقال له الامير من الرجل فقال من بنى تميم فقال الذين يقول فيهم القائل
 * تميم بطرق الاثم اهدى من القطا * فقال بتلك الهداية بشتك ففعل
 الامير وسأله كتمانها بعد الاجازة (الافاق المجودة للصيد) يوم الغيم الذي
 لا مطر فيه ويوم المطر لا تصف ويوم الصحو للقاء الناس والملوك تغلس للطرد لان
 الطرائد في ذلك الوقت تكون رابضة فتستثار وفيها اثر النوم وأما يوم الصيد
 فالسبت (وقد قيل في ذلك)

لنعم اليوم يوم السبت حقا * لصيدان أردت بالامتراء
 والاختيار في باب النجوم فهو اختيار الحرب والوجه أن يكون صاحب السابح
 في الطالع فيكون المتبوع مأسورا ويكون القمر مناظر الاحد السعدين
 أو متصلا به في برج ذوات أربع قوائم قال أبوسهل الذوبحقي وصاحب الطالع
 فيه الزهرة والمشترى يسعد هابة نظره وهذا معدن من معادن علم النجوم
 (الشيخ جمال الدين بن نباتة) يقرض رسالة بندقية ومن يند فيسها الشرف
 الرفيع على كل قول والطرف البعيد على كل ذي صوغ من اللفظ وصول
 وصف فيها الرياض فكأنما وصف كلامه وذكر فيها الواجب فكأنما ذكر
 بحقوق هذه الصماعة قيامه فاقوس السماء بدا في مصباغات غلاله ورمى
 ببندق برده الجذب في مقاتله بأبهج من وصفه لتلك القسي المذبحة الجافية
 المتعطفة الجانية الا على الطير الممتنع الصائبة بيون أوتارها شمله المجتمع
 قسي قاسية الجوانح لينية الاعلى الجوارح طالعة أهله بفناء السواخ
 والبوارح مبتدلة مكرمه صامته الا انها لذوات الجوارح مكاهه قادرة على
 العطاء والعطب باهرة الفضائل التي لولا بدائع الصنع لما نبقت منها في عصب
 قد ألقت الرياض فابست بعض بردوها وطابت شأوا السماء فنثرت مثل
 عقودها تقوم بالواجب وتعين بعين وحاجب وتأخذ على الطير المطار
 وتذكر قيامها تحتها وهي غصن فتطالبه بأوتار كأن كل قوس منها حاجبان
 وقبضته البليج وكان ببندقها طالب ما فتح باب نجاح وجناح الاوحي ورج ومن
 غزالية غزليه براعية أسليه تقنص فيها شواردا الحكم وقيد أو أبدأ المعاني
 بجناح القرطاس ومخالب القلم ونصرف من تقرظ مواطن الصيد في باب
 المايا والمنايح وتلطف في الاقوال التي لو شاء لعطفت عليها الأطباء السواخ وأني

بقيون الدرراتى نظامت وفنون الحلال التى رقت لا بالجمزع الذى لم يشعب من
عيون الوحش ولا بمناديل أعراف الجباد التى غبرها المر والمش حتى عرف
البلاء أنها أقوى على دفع الخطب ومجبع الخطب وأن أقلامهم اذا شاركت
قلبه فى المعانى كان منه الصيد ومنه الخطب وان غزالا وصفه قدسرف على
الغزاله وزهى بما حشد من التقريظ وغزاله فلو استطاع الشكر منه كرما
لسطر مدحه فـ كان الخط دواة والقرن قلمـا على أن عدل قلبه لو شاء لم ترع
ظبية فى مداها ولم تخف من مناسم البراة حدمداها ولم تبلغ يدهم من ريم
مراما وله كانت عينه بل كل عين فى جسده من أعين الأطباء حراما (وله فيها)

اسعد بها يا قري برزة * سعيدة الطالع والغارب

صرعت طيرا وسكنت الحشى * فأتعتديت عن الواجب

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة من رسالة طردية) حاملي قسيما كالأهله لاجرم أنها
تقصير لذوات الجحاح عمرا متأبطين حرا وآت يقول الطير عن حوامها هذا
الذى تسميه العرب تأبط ثرا (ومن انشاء القاضي شهاب الدين محمود الحملي)
وبرزبا وشمس الاصـيل تجود بنفسها وتسير من الافق الغربى الى موضع رمسها
وتغازل عيون النور بمقلة أرمـد وتظر الى صفحات الورد نظر المر يض الى
وجوه العتود فـ كأنها كئيب أمسى من الفراق على فرق أو على بل تقصى بين
صحبته بقايا مدة الرقى وقد اخضت عيون النور لوداعها وهم التروض بخلع
حلتها الموهبة بذهب شعاعها

والطلـل فى أعـين النوار تحسبه * دمعان خير لم يرقى ولم يكف

كاؤاؤ ظل عطف الغصن متشجعا * بعقده وتندى منـه فى شنف

يضم من سندس الاوراق فى صرر * خضر ويحبنى من الازهار فى صدف

والشمس فى طهل الامساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفى

كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به الهوى فترآهم على شرف

الى ان رضا المغرب عن الافق ذهب قلائدها وعوضه عنها من النجوم بخدمها

وولائدها فلبثنا بعد آداء الفرض لبث الأهله ومنعنا جفوننا أن ترذ النوم

الانحله ونهضنا وبرد الليل موشع وعقده مرصع واكليه مجوهر وأديمه

معنبر وبدره فى خدر سمراره مستكن وفخره فى حشامطالعه مستجن كأى امتزاج

لونه بشفق الكواكب خلط مسك وصندل وكأن ثرياء لامعة دادهم عاقبة
بامراس كان الى صم جندل

ولاحت نجوم الليل زهرا كأنها * عقود على خود من الزنج تنظم
معلقة في الجوّ تحسب أنها * طيور على نهر المجرة حوم
اذا لاح بازي الصبح وات يؤمها * الى الغرب خوف منه بسر ومزيم
اي حداثق ملته وجد اول محققه اذا جش النسيم غصونها اعتنت عناق
الاحباب واذا فرك من المياه متونها انسابت في الجداول انسياب الحجاب
ورقصت في المناهل رقص الحجاب وان لثم تغور نورها حيته بأنفاس المعشوق
وان أيقظ نواصير ورقها غنته بأنحان المشوق فتسبحها وان وشيمها بعرف
الجنان عنوان ووردها من سهر نرجسها غيران وطلها في خدود الورد مهتد
وفي طراز الريحان حيران وطارها تزد وماؤها مطرد وغصنها تارة يعطفه
النسيم اليه فينعطف وتارة يعتدل تحت ورقائه فيظنها قوم همزة على ألف
مع ما في تلك الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب اذ كلما اعتل النسيم صح
فشر الروض وكلما نثر الماء شمع القضيبي

وكانت تلك الغصون وقد ننت * أعطافها رسل الصبا احباب
فلها اذا افترقت من استعطافها * صلح ومن سجع الحمام عتاب
وكانها حول العيون موايسا * شرب وهاتيك المياه شراب
فغديرها كأس وعذب نطاقتها * راح وأضواء النجوم حباب
تحيط بماق ماؤها صاف وظلال دوحها ضاف وحدها بصفا مائتها
نفس الامر اكد وفي رأى العين طاف اذا غدغدها النسيم العليل حسبت
ماءها بقال الظلال فيه يتبرح ويميل واذا اطردت عليه أنفاس نسيم الصبا
ظننت أفياء تلك النصوص هوى بئله في قلبه وكان النسيم أيضا كلف بها غار
من دنوها اليه قبلها عن قربه والسرو مثل مرائس لفت عليهن الماء شمرن فضل
الازرعن سوق خلاخلهن ماء والنهر كالآفة تبصر وجهها فيه السماء وكان
صواف الطير المبيضة بتلك الملق خيام أوقباب على الرقتين قيام وأباريق
فضه رؤسها المأفدام ومناقيرها المجرة أول ما أنسكب من المدام وكان رقايبها
رماح أسننها من ذهب أو شموع أسود رؤسها ما انطى وأجره ما التهب وكنا

كالطير الجليل عذو وكطراز العمر الاول جذو
 من كل أبلج كالنسيم لطافة * صف الضمير مذهب الانحلاق
 مثل البدور ملاحه وكعمرها * عدا ومثل الشمس في الاشراق
 ومعهم قسي كالغصون في لطافتها ولينها والاهلة في نخافتها وتكوينها
 والازهار في ترافتها وتلوينها بطونها مدبجه ومتونها مدرجه كأنها كوكب
 الشولة في انعطافها وأرواق الظباء في التفافها لا توارها عند القوم أو تثار
 ولينادقها في الخواصل أو كرا اذا انتصبت لطير ذهب من الحياة نصيبه واذا
 انتصت لرمي بدت لها أنه أحق بها أن تصيبه ولعل ذلك الصوت زجر ليندقها
 أن يبطئ في سيره أو يخطئ الغرض إلى غيره أو وحشة لفارقة أفلاذ كبدها
 واسف على خروج بنينها عن يدها على أنها طالمسانت بنينها بالعراء وشفعت
 لخصها التحذير بالاغراء

مثل العقارب أذنا بامعقدة * لمن تأملها أوحق النظرا
 أن مدها قرمنهم وعائنه * مسافر الطير فيها وانبرى سفرا
 فهو المسمى اختيارا الذوى سفرا * وقد رأى طالعافى العقرب القمر
 ومن البنادق كرات متفقه السرد متحدة العكس والطرر كأنها خطوط من
 المنديل الرطب أو عجنت من العنبر والورد تسرى كالشهب في الظلام وتسبق
 إلى مقاتل الطير مسددات السهام

مثل النجوم اذا ما سرن في افق * عن الاهلة لكان نونهارا
 من فائها من نجوم الليل ان رمقت * الاثبات يرى فيها وأضواء
 تسرى ولا يشعر الا بالبهيم بها * كأنها في جفون الليل اغفاء
 ويسمع الطير إذ تهفو قوادمه * خوفا في الدياجي وهي صماء
 تصونها جراؤه كأنها درج درر أو درج غرر أو كلمة ثمر أو كناية بل أو عمامة
 ويل حال كة الاديم كأنها رقت بالشفق حلة ليلها البهيم

كأنها في وضعها مشرق * تنبت منه في الدجا الانجم
 أو ديمة قد أطلعت قوسها * ملونا وانبعثت تسبح
 فاتخذ له كل مركزا وتقاضى من الاصابة وعدا منجزا وضمن له السعد أن يسبح
 لمراده محرزا

كأنهم في عين أفعالهم * في نظر المنصف والجاحد
قد ولدوا في طالع واحد * وأشر فؤاد من مطلع واحد
فسرت علينا من الطير عصابة أظلالنا من أجنحتها عصابة من كل طائر أقالع
برتاد مرتعا فوجدوا الكن مصرعا وآشف بيغي ماء جاما فوردوا الكن السم
منقعا وحلق في الفضاء بيغي ملعبا فبات هو وأشيائه للقيس سجودا ركعا فتهركا
بذلك الوجه الجميل وتداركا أوائل ذلك القليل فاستقبل أولنا ثم بدره وعظم
في نوعه قدره كأنه برق كرع في غسق أو صبح عطف على بقية الدجى عطف
النسق تحسبه في أسداف المني غرة نبح وتخلله تحت أذيال الدجى طرة صبح
عليه من البياض حلة وقار وله كرة من عنبر فوق منقار من فارله عنق ظايم
والنفقة تريم وسرى غيم بصرفه نسيم

كاون المشيب وعصر الشبا * بوقت الوصال ويوم الظفر
كاثن الدجى غار من لونه * فأمسك منقاره ثم فسر
فأرسل إليه عن الهلال نجما فأسقط منهما كبرياء سقط حجما فاستبشر
بنجاحه وكبره عند صباحه وحصله من وسط المساء بجناحه وتلاه كي تنق
اللباس مشتعل شيب الرأس كأنه في عراني يشبه لأوائله كبر اناس ان
أسف في طيرانه فغمم وان خفق بجناحه قطع له بيده الدسيم زمام ذوعيبة
كالمجرب ومنقار كالمجرب ولون تغرى الدجى كالنجم ويخمدع في الضحى
كالسراب ظاهر الهرم كأنما يخبر عن عاد ويحدث عن أرم

ان عام في زرق الغدير حبه * مبيض غيم في أديم سماء
أرطار في أفق السماء ظنته * في الجؤ شبحا عائنا في ماء
متناقض الاوصاف فيه خفة الجبال تحت رزانة العلماء
فثنى الثاني اليه عنان بندقه وتوخاه فيما بين أصل رأسه وعنقه فخر كمارد
انفض عليه نجم من أفقه فتلقاها الكبير بالتكبير واحتطفه قبل مصاحفته
من المساء وجه الغدير وقارنته أوزة حلتها دكا وحلبتها حسنا لها في الفضاء
مجال وعلى طيراتها خفة ذوات التبرج وخفرو بات المجال كأنما عبت في ذهب
لأوخاضت في لهب تحتال في مشيتها كالسكاب وتأنى في خطوها كاللاعب
وتعطو بجيدها كالطير البهر وتتدافع في سيرها مثنى القطاة الى الغدير

إذا أقبلت تمشي فطرة كاعب * رداح وانصاحت فصوله خادم
وان أقبلت قالت لها الريح ليت لي * خفاذي الخوافي أوقوى ذي القوادم
فأنعم بها في البعد زاد مسافر * وأكرم بها في القرب قهقهة قادم
فلوى الثالث جيده اليها وعطف بوجه قوسه عليها فلمحت في ترفعه هاممته ثم
نزات على حكمه مدعنه فأجملها عن استكائها الهبوط ورفعهها قبل استقرارها
السقوط واستولى عليها بعد استقرارها القنوط وطافتها الغلغة تحكي لون وشيها
وتصف حسن مشيها وترى عليها بغرتها وتنافسها في المجالس كضرتها
كأنها دامة قطبت بمائها أو غمامة سفت عن بعض نجوم سمائها

بغـــــــــــــــــرة بيضاء ميمونة * تشرق في الليل كبدرا التمام
وان تبتدت في الضحى خلقتها * في الحلة الدكا برق الغمام
فنهض الرابع لاستقبالها ورمها عن فلك سعدة بنجم وبأها فجذت في العلو
مدته وطارت امام بندقه ولولا اطراد الصمد لم تلك لذه وانقض عليها من يده
شهاب حتفها وأدركها الاجل نخوة طيرانها من خلفها فوقعت من الافق في
كفه وفرت من ثنايا واصفها عن صفة وأتت في اثرها أنيسة آنسه كأنها العذراء
العائسة أو الأرماء الكائسة وعامها خفرا الأبكاء وخفة ذوات الاوكار
وحلاوة المعاني التي تجلي على الافكار ولها أنس الريب واذلال الحبيب
وتلفت الزائر المريب من خوف الرقيب ذات عنق كالابريق أو الغصن
الوريق قد جمع صفرة النهار الى حمرة الشفق وصدر بهي الملبوس شهيق
الى النفوس كأنما رقم فيه النهار بالليل أو نقش العاج بالابنوس وجناح
ينجيه من العطب يحكي لونه المندل الرطب لولا أنه حطب مديحة الصمد
تفويغه أضاف الى الليل ضوء النهار لها عنق خاله له من رآه شقائق قد سحبت
بالهار فوثب الخماس منها الى الغنيمه ونظم في سلكه تلك الدرة اليتيمه
وحصل بتحصيها بين الرماة على الرتبة الجسيمه وأنى على صياحها جرج تسبق
همته جناحه ويناب خفق فؤاده صياحه مديح المطا كأنه خلع حلة منكبيه
على القطا بنظر من ذهب ويخطو على عود من لهاب

يزور الرياض ويحفو الحياض * ويشبه في اللون كدر الفطا
ويهوى الزروع ويلهو بها * فلا يبرد الماء الا خطا

فقد رده السادس قبل ارتفاعه وأعان قويسيه بامتداد باغيه فخر على آلائه
 كدستام بن قيس وانقض عليه رامييه فحمله بحدق وجهه بكيس وتعذر على
 السابع مرامه ونبأ به عن بلوغ الارب مقامه فصعد هو وترب له الى جبل
 وثبت في موقفه من لم يكن له بمرافقة قبل فعن له نسر بقوادم شدداد
 ومناسر حداد وخوافي مداد كأنه من نسور لقمن بن طاد تحسبه في السماء
 ثالث أخويه وتخاله في الغضاء قبته المنسوبة اليه قد حلق كالفقراء راسه
 وجعل مما قصر من الدلو الق الدكن لباسه واشتمل من الرياش العسلى ازارا
 واختار العزلة ولا تجدد له الا في قنن الجبال الشواهي مزارا قد شابت نواصي
 الليالى وهو لم يشب ومضت الدهور وهو من الحوادث في معقل أشب

ملك طيور الارض شرقا وغربا * وفي الفلك الاعلى له أخوان
 له خال فتاك وحليبة ناسك * واسراع أقدم وفرة وان
 قد نام من طاره وتونخى ببندقة عنقه فوقع في منقاره فكأنما قد هدمه من صخر
 وتونخى أو هدم به بناء مشجرا ونظر الى رفيقه مبشر له بما تنازبه من
 فريقه واذا به قد اظلمت عقاب كامر كأنما قد اظلمت صيدا قد أفلت من
 المناسر ان حطت فسمحاب انكشف وان أفامت فكان قلوب الطير رطبا
 وباسالدى وكرها العناب وانكشف بعيدة ما بين المناكب اذا أقطعت
 بحت في علو كأنما تحاول ناراً عند بعض الكواكب

تري الطير والوحش في كفها * ومنقارها ذاعظام مراله
 فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما نسعت غزاله
 فوثب اليها الثامن وثبة ليث وثق من حركاتها بنجاحها ورماها بأول بندقة
 فما أخطأ قادمة جناحها فأهوت كعود صرع أو طود صدع قد ذهب
 بأسها وتذهب بدمها لباسها وكذلك القدر تخادع الجوع عن عقابه ويستزل
 الأعصم من عقابه فحماها بجناحها المهيض ورفعها بعد الترفع في أوج جوها
 من الخضيب ونزلا الى الرفقة جزاين بريح الصفقة فوجد التساع قدمه
 كركى طويل السفر سريبع النغار شهى العراق كثير الاغتراب
 يشتوي صرويف بالعراق لقوادمه في الجوهفيف ولا ديمه لون سماء طرا
 عليهم ساغيم خفيف تحن الى صوته الجوارح وتجب من قوته الرياح البوارح

له شية جراه في رأسه كوميض جرت تحت رماذ أو بقية جرح تحت ضهاد أو فوس
 حقيق سفت عنه بقايا ضهاد ذو منقار كسنان وعنق كعنان كأنما بنوس
 على هود من ابنوس

إذا بدا في أفق مقلعا * والجو في الماء تغاويقه
 حسبه في لجة مركبا * وجلاه في الأفق محاذيقه

فصبر عليه حتى جازه مخليا وعطف عليه مصابيا نفرا مضربا بدمه وسقط
 مشرفا على دمه واطأ الماء أفلت لدى الكواسر من أظفار المنون وأصابه
 القدر بحبة من حياء مسنون فكثرات تكبير من أجله وجهه راميه من على
 وجهه الأرض برجله وحاذاه غرنوق حكا في زيه وقدره وامتاز عنه بسواد
 رأسه وصدره له ريشتان ممدودتان من رأسه إلى حلقه مفقودتان من
 أذنه إلى مكان سبقه له من الكراكي أو صافه سوى سواد الصدر والراس ان
 شال رجلا وانبرى قائما ألغيته هيئة برجاس فأصغى العاشر له منصتا ورماه
 ملتهقا فخر كأنه صريع الأشجان أو نزيف بنت النجان فأهوى إلى رجله بيده
 وأيده وانقض عليه انقضاض الكاسر على صيده وتبعه في المطار ضوغ كأنه
 من النصارى صبوغ تحسبه عاشقا قدمه صفحته أوبارقا قد بدت لغخته

طويله ترجله مسودة * كأنما منقاره خنجر

مثل عجوز رأسها شط * جاءت وفي رقبتهما حجر

فاستقبله الحمادي مشرووب ورماه حين حازاه من كشب فسقط كفارس
 تقنطر عن جواده أو وامي احتب حبة فؤاده فحمله بساقه وعدل به إلى
 زقاقه واقترن به مرزم له في السماء ممي معروف ذو منقار كصدغ معطوف
 كأن رياشه فلق اتصل بشفق أو ماء صاف علق بأطرافه علق له جسم من الثلج
 على رجلين من نار إذا أفلع ليل لاقات صبح في الدجى نار فانتحاء الثاني عشر مما
 ورماه مصمما فأصابه في زوره وحصله من فوره وحصل له من السرور ما خرج
 به عن طوره والتحق به شيطر كأن مدته مسطر ينحط كالسيل ويكر على
 الكواسر كالخيل ويجمع من لونه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل
 يتلو في منقاره الأيم كتلوى التنين في الغيم

تراه في الجؤمة دا وفي فقه * من الافاعي شجاع أرقم ذكر

كأنه قوس رام عنقه يدها * ورأسه رأسها وانحية الوتر

فصوب الثالث عشر إليه بندقه فقطع الحبة ودق عنقه فوقه كالصرح الممرد
أو الطرف الممدد وأتبعه عنان أصبح في اللون ضده وفي الشكل كنده كأنه
ليل ضم الصبح إلى صدره وانطوى على هالة بدوه

تراه في الجوع عند الصبح حين بدا * مسوداً جنة مبيض حير روم

كأسود حشيش عام في نهر * وضم في صدره طفلاً من الروم

فنهض تمام القوم إلى التمه وأسفرت عن نسيج الجماعة تلك اللذة المدهمة وغدا
ذلك الطير الواجب واجباً وكل العدد به قبل أن تطلع الشمس غيباً أو تبرز
بهاجياً فيألفها حشرت بأبها الصوايح في الفضاء المتسع ولقيت فيها الطير ما
طار من قبل على كل شمل مجتمع وأصبحت أشلائها على وجه الأرض كفراند
صانعها النظام أو مشرب كأن رقابهم من اللين لم يخلق لهق عظام وأصبحنا
مثنين على مقامنا منتئين إلى مستقرنا ومقامنا * كتب القاضي شهاب الدين بن
فضل الله العمري وهو بين يدي السلطان إلى نائب الشام المحروسة حجة طيور
أرسلها إليه من رأس قلعه ولا زالت مواهبنا تنحصره بالمزيد وتحفه بما يريد وتجعل
له من الجوارح ما تفرق له السهام بأنفسها بغير جناحيه لا تصيب ولا تصيد
صدرت هذه المكاتبة إلى الجنب العالی بسلام جبل الافتتاح وثناء بطير إليه
وكيف لا يطير قادمه بجناح ونعلمه أن مكاتبة المتقدمة الورد تضمنت التذكار
من الجوارح بما بقي من رسمه وجرت عادة صدقاتنا الشريفة أن تحسب في قسمة
وقد جهزنا له الآن منها ثلاثة طيور لا يمد دعاءها مطار ولا يوقد للقرى في غبر
بحال يقها جذوة نار ولا تؤم صيدا الا وترش الأرض بدمه فلا يلحق لها بغير
وهي طائر كم لها من فتك أخذ الطير من مناسمه وساب ما تنحلي به من رياش
الريش ثم تزياباً حسنه ونهاشاهين كم قيل له عن عزيز من الطير فقال شاهين
قد أبدعت قوادمه في رسمها ورسمت في أجنتها ما عانى النصر فبكت عيون
الوحش دماء على رسمها فالجنائب يتسليمها من الواصل بها ويتوصل إلى الطيور
المحاقة في السماء بسببها واشكرنا نعمنا التي اقترت النعم لديه وبسطت في الأرض
بالتمكن بين يديه ونوعت له من كرمنا من الخير ونحواته فيما تفلدنا من الملك
من سامعان حتى تفقد الطير والله تعالى مجدد مودعه في شطوره الصبور تقرا

وجوده بها يقري وعهوده في البطش تارة ترش سهمها وتارة تجرد صقرا ان شاء الله تعالى * نظر رجل الى رام قصير اليد في صنعته فقعده في موضع الهدف فقال له ما هذا فقال له لم أر منك مكانا للمال الا هذا * نخرج الحبص بيص الشاعر ليلة من دار الوزير الشريف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزبني فتبجع عليه جرو كاب وكان متقلدا سيف فافوكزه بعقب السيف ففات وكان هبة الله بن الفضل القطان بينه وبين الحبص بيص وقائع فكتب رقعة وعلقها في عنق كابية لها جرو ورتب معها من طردها وأولادها الى باب الوزير كالاستنيئة به فأخذت الورقة وقرئت على الوزير فاذا فيها مكتوب

يا أهل بغداد ان الحبص بيص أتى * بفعله اكسبته الخزي في البلد
هو الجبان الذي أبدى تشاجعه * على جرو ضعيف البطش والجناد
وليس في يده مال يديه به * ولم يكن اسواء عنه في القود
فأنشدت بعدة من بعد ما احتسببت دم الا يباق عند الواحد الصمد
تقول للنفس يأسى وتعزية * احدى يدي اصابتنى ولم تك
كلام - ما خلف من بعد صاحبه * هذا أخي حين أدعوه وذاولدي

(قلت) ومن ملح المداعبات ما كتب به الشيخ جمال الدين بن نباتة الى الشيخ بدر الدين حسن الغزي الشهير بالزغاري صورة اجازة أما بعد حمد الله الذي جعلنا من كرم من البشر والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاسئ من فجر وعلى آله وصحبه ما نبج الكاب ضوء القمر فقد قرأ على لالزال صائدا للحمد من مكمنه صائلا على القرن من مأمنه نازل منازل العواء في أحسن افق وأحصنه هذه الفلذة من شعري قراءة ابتغ بها الاحسان أثرا ودل على جودة القراءة وطالما دل على جود القري ووجدته قد فاق جرو ولا خطابا وافتخر على الكابي وابنه نسبا وآدابا وبلغت مفاخر قومه على زعم القائل فلا عرا بلغت ولا كلاما ولا ذروة لوسامها ابن كلاب لما قرعها بل ولونبجها كوكب الكاب المقدم لما بلغها صوته ولا سمعها والتقى صوت الآداب منه غاد ورايح وامترج عليها بجوارحه فبذا ما لم من الجوارح وسعى على ظفر سعيه السريع المديد ونام على الجماراة قرناؤه منام أهل الكهف وكابهم باسط ذراعيه بالوصيد وعلمت أن مكاسب آدابه عظام وأكثر فوائده لباب اذا اختلعت فرائد أهل اليسار

والنظام وان جل ملابسـه من جده وكل عزائه زئدة عن طوقه وجهـه
 وكل رافع طوع طلبـه وكل خير صحبه من عنده لوقارب كلاب بن ربيعة
 لسـلم اليه زمام المـكارم ولو حاور جبر المـسا قال لا تخطل هجوت كما اذا آل
 دارم ولودعي الوحش بلفظه لعطف عليه ذووالنفرار ولوسابق البرق لما حق
 من بديته الغبار ولو فخر الدرر وحاكمها الى البحور لا قامتـه وأقعد بها عن
 الفخار ولو ميز حال أضـداده لكان الكاب خيرا منها عند ذوى البصائر
 والابصار تكاد المجاثم تقول أين ضعف سجعنا من قوة هذا النطق الضاري
 والتبر في غبار معدنه ينادى أين جواره هذه الطرق من جوار غاري فأجرت له
 رواية هذه الايات وحمايتها وحفظها ورعايتها اتباعا لآثاره وإعجابا بما
 امتاز به على اشباهه من زى النطق وإشارته وتمـكينا بوفاء بيته الجميلة انسابه
 المغشية أنديته حتى ما نثر كلابـه عالما بأنه المغتشى على خبايا الفضائل المحامى
 لمعى القول حتى ما يذكرا المحى وكليب وائل المتسرع فى تصيد شوارب الآداب
 الناهض بنصرتها وقد قطع به الدهر لديه أذنان الكلاب السابق حين يفتر
 سواه ويلايث المتحمل لا عبائـها كالفريقين الذى ان تحمل عليه يلهث أو تتركـه
 يلهث وذلك عند سفره المخافز وبكوز عزمه الذى هو عن استيفاء القول حاجر
 وحركته فى أوقات الشتاء الجمادى ورحلته فى ليلة من جمادى لا ينبج الكلاب
 فيها غير واحدـه والله تعالى يجمع له بين الغنيمة والاياب ويفيض على القلوب
 ثياب مودته الثابت فضلها على كثير من لبث الثياب * ذكر أديسم بن ابراهيم
 صاحب ادريجان قال كنت مجتازا على قنطرة اليرى فى عسكرى فلما صرت
 فى وسط القنطرة رأيت امرأة تشى وقد جات طفلا لها فى قاطـه فصدمها بغل
 محمل فطرحته نفسها فرعا ووقع الطفل من يدها فى الماء فلما وصل الى الماء
 غاض زمانا لمعـدما بين القنطرة والماء ثم طفا وسـلم من الحجارة والماء يجرى به
 وأجواف النهر بعيدة عن الماء وفيها أوكار عقبان فحين طفا الطفل رأته عقاب
 هنالك فأنقضت عايـه ومسكت بمخالبها فى قاطـه ونجست الى الحراء فأمرت جماعة
 أن يركضوا خلف العقاب ففعلوا ومشيت أنا فاذا بالعقاب قد وصلت الى
 الارض واشتغلت بخرق القمـاط فأدركه القوم وركضوا خلفها حتى شغلوها عن
 خرق القمـاط فطارت وتركت الطفل على الارض فاذا هو سالم يركى فرددناه الى

أمه من إنشاء المجيد يد أي علي بن أبي التيجان العسقلاني رسالة طردية نقاتها
 من خط الوداعي من أصبحت نعمه سوارح واستعبدت منته القلوب
 والجوارح فأصبح لها المجد مقرا وغرائب السودد والثناء مقرا مثل حضرة
 مولاي أطال الله بقاء تطابت له الانفس الثار ونصت له الملاذ والمسار وما
 ينظر فيه العبد مولاه أسنى الله قدره وأعلاه انه خرج يوما مع أناس قد وصلوا
 بهم بآيناس كل منهم يترلا كرومه ويأوي الى شرف الارومه على خيل
 مسومه مثقفة مقومه من بين جون أدهم أذكي من فارسه وأفهم أغرمجل
 وعدة مجهل كان اسوداد اهابه اذا ضاهى به ليل رمت البلاد شهبه شهبه
 لعين والارض شهبه اذا زاع عن سنان أو تعطف اعنان ظننته صدعن
 مواصله وانفصل عن مفاصله واشقر كالطراف عبل الاطراف نهد كريم له
 سالفه كريم كأنما خرط من عقيق أو تردي برداء من شقيق يحري كهوج
 ويعلو كوج وينزل كوابل ارقعت عرفه سابق طرفه وان أوردته
 الاطراد أوردك المراد وكيت كالطود ذى وظيف كذراع العود ياطم الارض
 بزبر ويتزل من السما بخبر وهملاج أشهب ان زجرت الهب أديمه روضة
 يمار به ظر من ليل في نهار ينساب انسياب الايم ويمرور الغيم لا ينبيه النائم
 لوعبر به ولا يحرك الهواء في مسربه أخفى وطأ من طيف واوطى ظهرا من
 مهاد ضيف فلم يزل به المسير وكل في طاعة صاحبه أسير الى أن صادفنا واديا
 كان لعيوننا باديا فسا قطعناه عرضا حتى آتينا أرضا كأنما فرش قمارها
 بزبر جسد وصيغت نوارها من لجن وعسجد قدر قرت فيها المحاب دمهها
 وأحسن قيعانها جمعها نسيمها سقيم وظلها مقيم وماؤها جوري وتربها
 شعري فهي تهدي للناسق أنفاس المعشوق الى العاشق كأن غدرانها
 في اخضرار رباضها وجد اولها في اسوداد يابضها بدور سماء كلت وبروق
 في متون غمام تسلسات طائرهما كسالم وظباؤها ارسال ذات قرون معقفة
 كأذ ناب العقارب وبطون مبيضة كالنهار السارب منهجة الاجساد
 بخليط صندل وجساد قد اكتست أطيارها فأغربت وتغنت بلغاتها
 فأطربت كأن الاماني فتحت لها أبوابا والرباض خلعت عليها أنوابا اذ
 شجبت لليكاه وأعلنت بالملكاه أبت الطباع على نغمات الموصلى في نغمات

البابلي ومجت الاسماع شدوا الفريض بمرقق القريض فعند ذلك يمينا
ظل شجرة هنالك ذات جدول متكمر في مسالك متيسر وكان أعلاه بطن جان
وقرارته مساقط در و مرجان فلما وردنا عليها وانضمنا اليها حنت علينا
أغصانها حنو والوالد وألحفنا أوراقها بطل خالد وألحفنا من ثمارها بطارف
وتالد فأصبتنا من ثمرها قليلا ونقعنا بماء جدولها غليلا ثم نهضنا نطلب
الاولاد نستشير كوامنها والاولاد وقد يسرنا معاود الكلاب وشركا في
البحث والطلاب كل كلب منها غلوب ولارواح الطرائد سلوب ذو خطم
مخطوف ومخالب كصدغ معطوف بقوائم كالذوايل ومتن كالغصن الذابل
غائب النخصر حاضر النصر كأنما الملت هامته من فهر وخط مادون عينيه
يجهر له طاعة تهذيب وإخلاص ذيب وتلفت مريب وحداقة تذريب
له من الطرف أوراكه ومن الطرف أدراكه ومن الاسد صولة وعراكه
إذا طلب فهو منون وإذا انطوى فهو نون وإذا استرسل فهو خط على الارض
مظنون فسبح لاحدها غزال والمقود عنه مزال فاسترسل عليها وهرب وجذ
في طابه فانسرب فأنبر في أسلوب ما بين سالب ومسلوب إذا مرق الاقل
كالهم تبعه الثاني كالوهم فللظبي حدة على جناح وحل وللسكاب انبساط
أمل في سرعة أجل الى أن جمعه وبنفسه فجعه داعي الجروح بادي القروح
مستسلب الساب الروح فعاجلها بالذكاة وأيقنا بحلول البركات ثم انتهى
بعضنا بفهد ذي صدر رطب نهد كأن قرار ثمرته في اختلاط بياضه بهمرته
ثوب مصمت معتق مطلق قد فرشت فوقه أقراص عنبر صفتها يد صانع خبير
فنبهه ففج فجيج ثعبان وأطلقه على ظبية تدب ديب عقران فلما أدركه ناظر
الصيده ومرت مرور عيبه فأت أبصارنا بنفرتة وسبق أوكارنا بظفرتة
واطمها عند الادراك من الكنف الى فرجة الاوراك فشقها شق المزد
ضاقت أفواهها عن خروج المراد وضرعها يضر طرب كأن قوائمها تجرب
فبادرنا مهلايين وذكيها محلايين ثم ملنا الى الطيور وجوارحنا مطلقا
السيور فقال رجل من أصحابنا أتبعنا عند أصحابنا ذلك الغدير فيه طير يستدير
ينظر من نواياه ويحتال في بروز خبيرة فاستدلنا عليه بالبراهين الى أن
ارتكض قوم من الشواهد أطلقه حامله واقترحت عن شباقة أنامله ففر

في الهواء يتصرف في الهواء يذكي جذا واعمالا ويطعن يمينا وشمالا
 كأنما أضل فريقا أوجه - لطريقا حتى اذا داني أفق السماء مسامتة السماء
 كأنه يمسح الفلك أو يطاب شيئا هلك طرن من خوفه فالتحدر وهو يسابق
 القدر كأنه صخرة من جنين أو حجر ارسل من رأس يبق له دوى كدوى الرعد
 نطق عن الغيث بوعده فاتحى احدا من وقد قرن مدا من فتنعها يسراه
 وقد أضحت من يسراه وشيعها يميناه وقد باع منها مناه فدحاها كأنها كره
 طوحت بها ضربة من كره فذ كيناها تحلبلا وأذقناه منها تعليلا ثم ملنا الى
 قسي البنادق من كل ناطقة بالوعد الصادق يعطيك المراد لكرم اعرافها
 ويمنعك القياد من استغراقها ذات بطن كالخاجب المقرون وظهرة دائرت
 فيه الجنادب القرون قد تعصفرا علاها فرحا باستعلائه وأحد لرداها
 أسفا على استيلائه ترق عند الرشق رنين مصابها ويتشبهكي اليم أو صابها بل
 يسبح لانبض سجع الحمام وينظر عند النقص نظر زرقاء اليمامة ألوان
 أوعيتها مختلفة وأكوان تسيرها مؤنفة كأنها مجاري أنهار بين طرائق
 أزهار فمرنا صقفا فوافينا الطيور رفوفا فلما قطعت في عراضنا وصارت
 منا كأعراضنا قلبت نحوها القسي أبصارا واتخذت من البندق رسلا وأنصارا
 فرشقناها بمسكين وأصرع أكثرها مؤملين فحرت تنهافت وأجنحتها
 تنقبض وتنكفت كأنما أسبقت الى أقواتها واستنزاتها الفراخ بحسن
 أصواتها فبادرناهم كبرين ولنعم الله عليهم أكثرين وواجبناها غصص المنايا
 بمدى معوجة كالحنايا وأصليناها نارنا تطفى تشقى بحميمها وتحظى كأنها
 عبدة أو ثمان أو متخذة لهائنان فسبحان من أحل سفك دماؤها وأحل للبشر
 سبك دماها والسلام (السيد الفاضل شمس الدين بن صاحب موفق الدين
 ابن الامدى) في الفهد

اذا طلب الغزلان فهو منون * وان دار في طرس القلاة فنون
 وكيف يضل الوحش عنه وجلده * بمسود ذلك النقط فيه عيون
 (وله) في الصقور

وكأنما فوق الأكف فوارس * في الخفافين يجلبن بين خوافي
 أكثرن ليس السابغات أما ترى الصدا الحديدان فوق عوائق

(من الكلام الفاضل) اني رغبته الى مولانا لازالت المرغبات اليه مرفوعة
وثمراتها كثرات الجنة لامقموعة ولا ممنوعة في الاحسان بشاهين يجعل
وكيل مطبني لكثرة ما يجلب اليه من الخير واستنبيهه عن صاحب صالح
فهو قد ارا الطير لا يعتمد منه بغير فجها ولا تلوزا الحمامة بعوسجها قد رقت
يد القدرة على جوجوه ديباج أسطره وعرفت أقلامها نون منسره فكأنما
عقد لي حسب ما صاد المرسله ويوفيه حساب عمله وكأنه منجل أرسل على الطير
بمصاد أجله تأتي بالرزق رغداً وتتخذ عند كل فم يدا ان عاش فأجنحته
للطيور كالقيود وان ثوى ورت السهام ريشه فهو ولى عهده في الصيرد وما
أجدر الطير بأن تقول لا تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومن لا يقنع
برزقه في الأرض - حتى يطالب به في السما * طردية الشيخ جال الدين بن نباتة التي
سماها فرائد السلوك في مصائد الملوك * أثني شدي الروض على فضل السحب
واشتملت بالوشى أرداف الكتب ما بين نورم - فرائد اللثام وزهر يضحك في
الأكام ان كانت الأرض لها ذخائر فهي لعمري هذه الأزاهر قد بسطتها
راحة الغمامم بسط الدنانير على الدراهم احسن بوجه الزمن الوسيم تعرف
فيه نضرة النعيم وحيد الوادي حياة الرب حيث زهى العيش به والعشب
أرض السنا واليهام والمرح والامن واليمن ورايات الفرح ذات النواعير
سقات الترب وأمهات عصفه والاب تعلمت نوح النجم الهتف أيام كانت
ذات فرع أهيف فكاهام من الحنين قلب وكيف لا والماء فيها صب لله ذاك
السفع والوادي الغرد والماء معسول الرضاب مطرد يصوبها الراثي فكيف
السامع ويحمد العاصي فكيف الطائع اذا نظرت للرب والنهر فاروعن
الربيع أو عن جعفر محاسن تلهي العيون والفكر ربيع روضات
وشحر ورصفر امام كل منزل بستان وبين كل قرية ميدان أمارات الورق
في الاوراق جاذبة القلوب بالاطواق فبادر الالذة يا فلان واغنم متى أمكرك
الزمان ولا تغل مشتي ولا مصيف فكل أوقات الهناشريف كل زمان ينقضي
بالمجدل زمان عيش كيف ما دار اعتدل أحسن ما أذكرك من أوقاته وخير
ما انت من لذاته مرورنا بالصيف والقنص وحوزنا من مزه أحلى الفرص
وأخذنا الوحش من المسارب وفعلنا في الطير فوق الواجب لما دنا زمان رمي

البندق سرنا على وجه السرور المشرق في عصابة عادلة في الحكم وغلبة مثل
بدور الهم من كل مبعوث الى الاطيار تظلمه غمامة الغبار وكل معسول الرضاب
أغيد منه طف عطف القضيبي الاماد قد جد القوم به عقي السفر عند
اقتران القوس منه بالقمر لولا حذار القوس من يديه لغنت الورق على كفيه
في كفه محبنة الاوصال قاطعة الاعمار كالللال زهراء خضراء الالهاب محببه
مما توث بين الرياض المشبه فاغرة الافواه للاطيار طالبة لمن بالاونار
كانها حول المياه نون أوحاجب بماتشاء مقرون لهاينات بالمنى مغدوقه
من طينة واحدة مخلوقه سامعة لما تشيرا لام مع انها مثل النجار صم كأنها والاطر
منها هارب خلف الشياطين شهاب ثاقب وأما الهاشيب كرات تخطف شاهدة
بالعزم وهي تقذف حتى نزلنا بكان مؤثق اخوان صدق أحدهم بالمق
فياله في الحسن من محل مراد جد و مراد هزل للطير في أملاقه مواقع كأنها
لما نه فواقع فلم تزل في منزل كريم تروى حديث الرمي عن قديم حتى طوى
الافق رداء الورس والتقم المغرب قرص الشمس وابته در القوم عن المراصد
من سامرا ليل التمام شاهد كالليث يسطو وكفه بأرقم والبدر يرمي في الدجى
بألم بينا الطيور في مداها سائره اذا هم من عينه بالساهره وأقبلت مواكب
الطيور على طروس البحر كالسطور فخبذا السطور في المهارق مسقوطة
الاحرف بالبندق من كل حق ان يعي ضياؤه للشرق بدرا الهم تخاله من تحت
عنق قدس بجاطرة صبح تحت أذيال الدجى وكل تم حسن الوسامه تخاله في أفقه
غمامه كي يتبعه اوزة دكا من دونها الغلغة غرا يقدمها انيسة ملونه تابعة من
كل وصف أحسنه وربما مر عليها حبرج كأنه على نضار يدرج وانقض من
بعض الجبال نسر له بأبراج النجوم وكر مضرب الخلق شديد الايد يبنى على
الكسرحروف الصيد يحث مسراه عقاب كاسبه خافضه لحظ الطيور نا صبه
اذا مضت جلتها المعترضه توصلت خيوطها المقترضه بكل كركى عجيب
السير كأنه طيف خيال الطير يحس غر فواقه في المجتلا مقدما على الغرائق
العللا وأبيض الغيم يسمى مرزما كم بات مثل نوه منسجما يحفه شيطر
قوى معجزه في الطير وسوى كم حاش نعبانا وحدهم حواه كأنه في يده عصاه
هذا وكم من طائر ممتاز ينعت في الواجب بالعمار اسود اللمعة في الصدر كأنها

نور الهدى في الكفر فلم تنزل قسينا الضواري تصيبها بأعين الاوتار حتى
غدت دامية النحور ساقطة منا على الخبير كأنما وهي لدينا وقع لدى محارب
القيس ركع وأصبحت أطيافنا قد حصلت ولم تسئل بأي ذنب قتلت مستتبعا
وجهه العشي وجهه السحر وكل وجه منهما وجه أغر يالك من صيد مقر العين
مرضى الحساب وهو ذو وجهين لم يرض ما وفي من الامان حتى شقنا به وجهه
ثان صيد الملوك الصيد بالكواسر والخيل في وجهه الصباح السافر ذاك
الذي تصبوه البحارح فهي الى طلابه طوامح واثقة بالرزق حيث كانا تغدو
نحنا صاوتجئ بطانا سرنا على اسم الله والمسابح نعوم في الاقطار بالسوايح
نخيل تحاذي الصيد حيث مالا كأنها أضحت له ظلالا تسمى بها قوائم لا تتبع
وكيف لا وهي الرياح الاربعة تحفنا من فوقها غلمان كأنهم من فوقها أغصان
ترك تريك في سماء الملابس كواكب طالع في الاطلس منظومة الاوساط بالسلاح
من كل شهم زجل الجناح وكل غضب درب المقاطع يحرف الهام عن المواضع
على يد السائر منهم مزاذه من كل بازق رم فؤاده قد كتبت في صدره حروف
تقرى بما تقرى به الضيوف وكل شاهين شهى المرتضى بكارق طار و صوب قد
همى بينا تراه ذاهبا بصيده معتصما بأيده وكيدته حتى تراه عاثدا من افقه
ملتزم اطرافه في عنقه أفلح من كان على يسراه حتى غدت حاسدة يعمناه وكل
صقر مسبل الجناح موصل الغدق والروح ذو مقلة لها ضرام واقد تكاد
تشوى ما يصيبها الصائد كأنما الخلب منه منجل لمحصيد أعمار الطيور مرسل
يا حيا طيور جت و لعب تهري الى الارض وللأفق تثب من سنقر طالى المدا
والشان معظم الاخبار والعيان يصعد خلف الرزق ليس يمهله كأنه من
السماء يستجمله ومن عقاب بأسها مروع كأنها لا طير حين تصرع كم جلوت
لطاثر من وهن فكم وكم قد أهدكت من قرن وحبذا كواسر الاواهي عديعة
الانظار والاشياء مخصوصة بالطرده القويم حدياء ظهر الذنب الرقيم ذاك
لعمري جندب للرائي تعدل ملك القلعة الحدياء هذاف قد تجهزت اعداد
يجمعها الكلاب والفهاد من كل فهد عنترى النجله اذ راى شخص مهاة عبله
مبارك الاقبال والاعراض مستقبل الحال بناب ماض كأنه من حدة اكتسابه
قد أنقذ الانجم في اهايه له على مسائل الجفون خط كخط الالفات الجون

ما بهر الباصر خطامته وكيف لا والخط لا ينمقه وكل منسوب الى سائق
 أهرت وثاب الخطامشوق طاوى الفؤاد ناشر الاظافر يا عجباً منه لطاوناشر
 بعض بالبيض ويخطو بالقنا ويسبق الوهم لا دراك المني كالقوس الا أنه
 كالسهم والغيم يحلو من شهاب رجـم اذا رأى بقر الوحش اندفع كأنه
 المريح في الثور طالع فاصرة عن يده عيناه مشروطة برجله اذناه يشفعه من
 كل عور عارى مغالب الصيد على الاوکار وأهالها من أكل طوارد معربة
 عن مضمر المصائد قد بالغت من طمع في كسبها ففتشت عن أنفس لم تحبها
 حتى اذا أتت بها الامور حفت بنال صيدها الطيور ما بين روضات سعدنا نحوها
 وحول آفاق ملـكاجوها واستقبلت أطيارها البراء معلمة كأنها غزاه فلم
 تزل تسطو سطا الحجاج على الكراكي الى الدراج حتى غدت تلك السراة
 صرعى مجموعة على التراب جمعا على الربى من دمه الخلق كأن كل نيتها شقيق
 ثم عطفنا للوحوش السانحة فاستقبلت تلك الضواري الطامحة كلاب صيد
 بينها سناقر يفعل في الوحش بها الفواقر يخشى بها العفر على نفوسها فالطير
 لاشك على رؤسها وللكلاب حولها مغار يكاد أن يتدح منها النار من نهم
 لسانه يلوب يقول هذا كوسج مخضوب يعانق الظبي عناق الوامق ما كان
 أغنى الطير عن معانق والفهد يشتد على الآجال شدوصى السوء في الآمال
 لا يهمل القصد ولا يخون كأن كل جسم عيمون وللزغاريات خلف الارنب
 حقائق تبطل كيد الثعلب كم مرحت بالهارب الممدود وطوحت بصاحب
 الاخدود وربما مرت ظباء ومهسى للنبيل أكل في حشاها مشتهى قد
 تسجبت ملاءمة من عنبر تخاط من فروتها بالابر فابتدرت أجنحة السهام صائبة
 الاعراض والمرامي تجرح كل سانح نفور كأنه بعض شهود الزور كأن أقطار
 العلاء مجربرة أو روضة من الدماء مزهرة كأن صرعى وحشها كفار الموت
 عقيب أمرها والنار للراء فيها منظر أحبه بلاء من شحم وحم قلبه لله ذاك
 المنظر المهنأ أى معاد عن ذراه سعدنا قدمائت من ظفر أيدينا وقد شكرنا
 فضل ما حمينا نسير حول الملك المنصر كالشهب حول القمر المنير من كلام
 القاضي زين الدين بن الوردى رحمه الله وينهى وصول الصفرين فسر العبد
 بهذين الجزئين اللذين تحن الجوارح اليهما من وجهين ويعز على ابن المعتز أن

يدكر له - ما في تشبيهاته شبيهين فوق الصقران من المملوك بموقع يفوق الذئب
وتأمل نحوهما فاذا هما من صربان لبناء ما ارتفع وانخفض من الصيد على الكسر
مثلهما جركسيوفه وأجنحتهما مسيلة كغمام ثم يره على رعاياه وضيوفه مخالفه
كالمناجل لمصاد أعمار أعدائه وأعمار الطير ومناقيرهما كالاهلة المبشرة له
ولا وإياته بكل خير فإسان حال كل منهما يقول لمرسله تفرقوا فبكسي أجمعكم
أجمعكم ويخطف لهم الخطفة و يعود بسرعة فيمنأية نظرون بغيبته قالوا طائر كم
معكم فإحسن ما يعود يرجع كل واحد منهما من أفقه وقد التزم طائره
في عنقه كم للافي الطير من حرون وكما له - كفا في الوحش من قرون فإحق
هذا الخبر بمقابلة الثناء عليه وان تعد المملوك لها بين اليدين كتابا يديه ومن
كرامات مولانا أنه أصبح جابرا بكاسرين فخر جابرسوله الذي ان قدم رسول بأيمن
طائر فقد قدم هو بأيمن طائرين والسلام * منقول من كتاب الفوائد الجلية في
الفوائد الناصرية وهو ما جمعه الملك الامجد من شعر والده الملك الناصر صلاح
الدين داود بن مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدين أبي المظفر عيسى بن
السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن الملك الافضل نجم الدين أيوب رحمه الله
تعالى

وظباء كأمثال العذارى سنخ * تأوى الى حزن اللوى وسهوبه
فأجابهنا وهن رواتع * ما بين واديه وبين كنيبه
والروض كهل قد تضح نبتة * فشبابه متلفع بمشيبه
بيكى تداويه الغمام رحمة * والبرق يضحك رحمة بقشيبه
مستسبق صعب الجلال أجل * يرتاح رائيه الى تقليبه
تغنى شمائله وحسن صفاته * عن نعت مطربه وعن تجريبه
ومحصر الخصر اغتدى في عدوه * ترفا فحتم ضيائه بوثوبه
عاناه في تهذيبه ذوفطنة * وبصارة فأجاد في تهذيبه
فقنصت منها طيبة كانت الى * قاي الزمن المدام وطيبه
أوقبه له بمن أبرنى صده * خالستهم منه برغم رقيبته

هجرة لا قلى منى ولا كن * رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجرة الظاميات المسامى * تيقنت المناسيا فى الورد
تدوب نفوسها ظمأ وتخشى * هلا كافهى تنظر من بعيد

انتهى من المناهج

(القول) فى الحجر الوحشى ويسمى العبر والفراء وهو لا ينزوالا اذا بلغ ثلاثين شهرا ويوصف بشدة الغيرة فهو يحمى غابته الدهركاه ويضرب فيها كضربه لو أصاب اناثا من غيرها ويقال ان الانثى اذا ولدت جحشا كره الذكرا لاناث تصيبها فالاناث تعمل الحيلة فى الهرب منه حتى تسلم وهكذا حتى لا يكون فى الغابة غيره ذكر (وحكى) الجاحظ ان ابا الانخضر ذكر عن فحل الغابة انه يستهم الانثى ويحملها وان الولد لم يحى منه عن طلب ولكن النطفة البريمة من الاسقام انتجت وذكرا أن تزوه على قدر ما يحضره من الشبق لانه لا يلبثت الى دبر من قبل ولا الى ما يلفح مما ينتج فهو لا يريد الولد ولا يعزل ويقال ان الحجر الوحشى بعمر مائتى سنة وأكثر وكلما بلغ مائتى سنة كانت له مبولة ثانية وشوهد منها ماله ثلاث مبال وأربع وهو كشكل الحصير المحشوبين المبول والمبول حتى كان بينهما حزام سدودا ومعادنه بلاد النوبة ويوجد منه مائة كرون سنة مغمدة ببياض وسواد يستطيلان فيما استطال ان عصى به ويستديران فيما استدار بأصح قسمة وأحسن ترتيب ومن الحجر الوحشية صنف يقال له الانخدرى وهو أطول الحجر عمرا ويقال انه نتاج الانخدرى وهو فرس كان لازدشير بن بابك أفلات من خيله فصار وحشيا فخمى عدة غابات فضرب فيها فـ كان أولاده منها أعظم من سائر الحجر وأحسن وخرجت أعمارها من أعمار الخيل وفى هذه الحكاية نظر لذوى الفكر لانه لا يتولد من نوعين مختلفين من الحيوان حيوان يشبه احدهما وانما يكون ممتزجا كالبعول بين الحجر والفرس والضبع والذئب وحكى القولين أبو الحسن على بن ريشق فى كتاب العمدة (ومن رسالة كتبها أبو الفرج البغيا) يصف فيها أنانا مغمدة ببياض وسواد كان لصاحب اليمن كخيار وأما الانان الناطقة فى كمال الصنعة بأفصح اسرار فان الزمان لطف مولانا أيده الله منها بأنفس مدحور وأحسن منظور وأعجب مرأى وأغرب موسى وأنقر مركوب وأشرف محبوب وأهزم وجود وأبهى محدود وكانا وسماها

الكمال بنهايته أو لحظها الفلك بعنايته فصاغها من ليله ونهاره وحلاها
بمجوده واضماره ونقشها ببدائع آثاره ورمقها بنواظر سعوته وجعلها لأجل
حدوده ذات اهاب منير وقرى محير وذنوب مشجر وسوى مسور ووجه
مزيج ورأس متوج يكتنفه اذنان كأنهما زجان سحابة الاتصاف بلورية
الاطراف جامعة شهابا لربيب بين زمن الشبيبة والمشيب فهي قيد الابصار
وأمد الافكار ونهاية الاعتبار غنى عن الحلى عطفها مزرية بالزهر حلالها
واحدة جنسها وعالم نقشها صنعة المثنى الحكيم وتقدير العزيز العليم
(القول) في طباع الظباء من المباحج وهي ألوان تختلف بحسب مواضعها
فصنف منها يسمى الاروام وألوانها بيض ومساكنها الرمل وهي أشد حصرا
وصنف يسمى العفر وألوانها حر وصنف يسمى الادم وهي تسكن الجبال وفي
هذا اللون من أسرار الطبيعة انه ما رأى ذاروح الا ويعلم ما يريد منه من خير
وشر واذا فقد الماء استنشق النسيم فاعتاض به واذا طالب لم يجهد نفسه في
حصره من أزل وهلة واذا رأى طالبا قد قرب منه زاد في الحصر حتى يفوت
الطالب وهو يشم الخنظل حتى يرى ماؤه يسيل من شذقيه ويرد البحر في شرب
من الماء الاجاج كما تغرس الشاة تحميمها في الماء العذب تطلب النوى المنقع
فيه وهو لا يدخل كاسه الا مستديرا يستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وله
نومتان في مكمنين مخفى ومكنس العشاء واذا أسن الظبي وبقيت
لقرونه شعب تنخ واذا هزل ابيض وهو شبح النساء لا يسمو بالمشى فاذا أراد العدو
فانما هو الغر والثوب ورفع القوائم معا كما يفعل الغراب فهو أبدا يحجل كما
يحجل المقيد وليس له حصر في الجبال ويصاد بنار توقده فيمذهل لها سمي
اذا اضيف الى ذلك تحريك اجراس فانه ينخزل ويرقد ويصاد بالعطش
الشديد بأن يحولوا بينه وبين الماء فينخزل ولا يبقى به حراك ألبته وبين الظباء
والجمل الفة ومحببة والحدائق في الصياد صيدونها ببعضها البعض ويوصف
بحدة البصر ويسمى باليونانية اسماء المظارة والمبصرة ويلحق بهذا النوع
غزال المسك وهو أسود ولونه أسود ويشبه ما تقدم في القد ودقة القوائم واقتراق
الاطلاف وانتصاب القرون وانعطافها غير أن لكل واحد منهما نابين خفيفين
أيضين خارجين من فيه في فكه الاسفل قائمين في وجهه كإني الخنزير كل واحد

منهمادون القتر على هيئة ناب الفيل ويكون بالتبنت والهند ويقال ان الغزال
يسافر من التبنت الى الهند بعد ان يرى من حشيش التبنت وهو غير طيب
فيلقى ذلك المسك بالهند فيكون رديثا ثم يرى حشيش الهند الطيب ويعقد منه
مسكا ويأتي بلاد التبنت فيلقيه فيكون جيدا والمسك فضل دموى يجمع من
جسدها الى سررها في وقت من السنة معروف بمنزلة المواد التي تنصب الى
الاعضاء وهذه السرر جعلها الله مع دنا المسك فهي ثمره بمنزلة الشجرة التي
تؤتى أكلها كل حين فاذا حصل هذا الدم في السرر ورمت وعظمت فتمرض
لها الأطباء وتألم حتى تتكامل فاذا بالغ وتناسى حكمته بأظلافها وتمزقت في
التراب فتسقطه في تلك المفاوز والبراري فيخرج الجلابون ويأخذونه ويقال
ان أهل التبنت يضربون لها أوتادا في البرية تحتك بها اذا ألما السرر فتمتقطع
وتسقط فاذا سقطت عن الطي كان في ذلك افاقته وصحته فانتشر حينئذ في المرعى
ورود الماء

(الوصف) قد ينبغي ان يعلم ان هذا قليل جدا لان الشعراء نقلوا محاسن الغزال
الى الغزل وشرحوا بها حال من جذبه الحب وهزل والصفة التي يصفون بها
الطي وصفوا بها البحارية والاعلام وصرفوا الحقيقة الى المجاز فيما أرادوه من
الكلام (قال بعضهم)

فما منزل تعطو بجيد كانه * يمان بأيدى الناظرين صقيل
هضم الحشام مضوضه الطرف عالها * بذات الاراك مربع ومقييل
اذا نظرت من نحوه أوتفرست * دحاها احسم المقلتين كحيل
بأحسن منها حين قالت صرمتنا * وانت صروم للخيال وصول
وقال آخر

وصالية بالحمى والجيد عاقل * ومكحول العينين لم يكفل قط
على رأسها من قرنها الجمعد وفرة * وفي خدها من صدغها شاهد يسط
يخلها من غيرة الجلود وفرة * ويجمعها من بيض آباطها مرط
وقد أدبجت بالشحم حتى كأنها * ملائمتها من فرط ما اندبجت قط
(خواص الايل ومنافعه) من المصائد والمطاردة فنه ان ذكره من عصب اللحم فيه
وان دم كل حيوان يجمد بالدمه ونجه غليظ مائل الى كوسة السواد وليس

للأنثى قرن وإذا بخر بقرنه مع كبريت أجز ذهب الحيات وكذلك دمه بطحين
الكرسنة وقرنه تبخر به الحامل فتيسر ولادتها

(خواص حمار الوحش) الجحش البري أجدها لحمها وحم الهرم يولد دماراً يشاوم من
داوم على أكله لم يكديبراً وسرته أطيب ما فيه وكثير من الناس يأكلون الحمار
مسهوطاً ويستطيبون جلده مشوياً ويجدون فيه طعم لحم الدراج وشحمه نافع
من الكلف في الوجه إذا طلى به ومن وجع الظهر والكلب العارض من البلغم
وإذا أحرق حافره وسحق في الكحل نفع من الغشاوة ودفع وجع العين وزيله
إذا خلط بمخ وطلى به الجنبين قطع الرعاف ويقال إن الخاتم إذا خوط من حافره
وعلق على من يعتريه الصرع نفع منه ودماغه يضاف بماء الكرفس والعسل
ويغلى ويسقى من به السل في الحمام بماء حار على الريق فيبرأ

(خواص بقرا الوحش) لحمها غليظ يولد دماراً يشاقر يبا من السواد وبطنها أطيب
ما فيها ودمها أسرع إلى الجود من دم سائر الحيوانات ويطبخ لحمها بخل فاذا غلى جدد
نحل آخر واثنتا الماهما والعين والنعاج وأولادهما البراعز والواحد برعز
والجاء ذر جمع جؤذر والذرعان جمع ذرع والبجاز جمع بجزج والفرافر
جمع فرفر والفرائر جمع فرير وهو ساعة يولد طلاء وأفاطيعها الأجل والزنب
والسرب والصوار

(خواص الظبي) والظبي أول ما يولد طلاء ثم خشف ثم شادن إذا طالع قرنه فاذا
تمت قوته فهو شمر ثم جدد ثم ثنى ولا يزال كذلك إلى أن يموت لا يزيد على هذا
وسأل جعفر بن محمد النعمان بن ثابت أبا حنيفة فقال له ما على محرم كسر رباعية
ظبي فقال يا ابن رسول الله ما أعلم ما فيه فقال له أنت تتداهى ولا تعلم أن الظبي
لا يكون له رباعية هو ثنى أبداً ولحمه يولد دماراً يبا إلى السواد وهو أقل ضرراً
من لحم البقر وطبخه بالماء والمخ أجدها والقديد منه أكثر ضرراً وأكثر
لتحريك السوداء لأنه يزداد يبسا ويجود فعله ويقوى وأطيب ما يؤكل فيه كبده
مشوية وشحوم الظباء تغذو غذاء كثير وزعمت الحكماء أن دم التيس منها عن
شكل ما عزم السموم وأنه إذا صب حاراً على الحجر الذي يضرب عليه النحاس
فتته وإذا خلط مع الزنجفر صبغ البياض ويخلط معه وهو يابس قرطاس محرق
ويجفن بشيرج ويضمده البواسير فتتفتح ومرارته تنفع من الغشاء في العين

وكبدته اذا شويت واكتحل بها وكبد جميع الماعز نفعت واذا دهن الرجل
مذا كبره بشحم خصى التيس مع شئ من عسل عند الجماع وجد له لذة ويحسن
بعر التيس بخلي ودقيق شعير ويضمه به الطحال فينفع واذا حرق ومحق بالخل
نفع داء الثعلب وان شرب مع الخل نفع من لدغ الهوام ويخاط دمه يابس بلاذن
ويدهن به الشعر فيغله ويطوله

(القول على طبائع الارانب من المباح) تقول أصحاب الكلام ان قضيب
الذ كرم هذا النوع كذا كرا الثعلب احدث طرية عظم والاخر عصب وربما
ركبت الانثى الذ كرمين السفاد لما فيها من الشبق وتسفد وهي حبل وهي قليلة
الدرور على ولدها ويرجعون انه يكون شهرين ذ كرا وشهرين أنثى وكنت استبعد
هذا واقول انه من الخرافات حتى وقفت عند مطالعتي للكتاب الذي وضعه
ابن الاثير في التاريخ وسماه الكامل على حكاية اوقفتني على الاعتراف بعد
الانكار * ذكر في حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة فقال وفيها اصطاد
صديق لدارنبافراه وله اثنيان وذ كرا وفرج أنثى ولما شقوا بطنه رأوا فيه
حريقين فان كان كما زعموا من أن يكون تارة ذ كرا وتارة أنثى فيكون كذلك
والا فيكون في الارانب كالحثي في بني آدم يكون لاحدهما فرج الرجل وفرج
الانثى ثم أعقب هذه بما هو أعجب منه فقال كنت بالجزيرة ولما جازله بنت
اسمها صفية فبقيت لذلك نحو خمس عشرة سنة فاذا قد طلع لها ذ كرا رجل ونبتت
لها حبة فكان لها فرج امرأة وذ كرا رجل والارانب تنام مفتوحة العين
وربما جاء القناص اليها حتى يأخذها من جهة وجهها وهي لا تبصر وسبب ذلك
ان حاجي عينيها لا يلتقيان فهما مفتوحتان في النوم واليقظة (قلت) ما أحسن
ما أنشدني الشيخ بدر الدين البشتكي أحد شعراء العصر بالديار المصرية للشيخ
العلامة شهاب الدين بن أبي حجلة مضمنا قول المتنبي

وقوم بالحشيشة ذاب منهم * فؤاد ما يسليه الملام

أرانب غيبر أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام

(قلت) هذا التضمين ما سمع مثله لشاعر فانه ضمن بحز البيت الاول والبيت
الثاني بكامله ولم يكن للشيخ شهاب الدين فيها غير صدد البيت الاول فأماله
ويقال ان الارانب اذا رأت البحر ماتت ولذلك لا توجد بالساحل وتزعم العرب

ان الجن شرب منها الموضع حياضها قالوا هي كالمرأة وتأكل اللحم وغيره وتجتر
وتعروف باطن أشداقها شعرو كذلك تحت رجلها وليس شيء قصير اليدين أسرع
منها حصرا ولقصرهما يخف عليهما الصعود والرقول وهي تطأ في الأرض على
زعمائها وهي مؤخر قوائمها مخالطة للطالب حتى لا يعرف أثرها إلا أن الكلب
الفار والقاتل الحاذق لا يخفى عليهما ذلك لأنها لا تفعل ذلك إلا في السهل
الذي يثبت فيه الأثر وربما مشت في الثلج فيقتفي أثرها بكثرة التردد فيه
واذا قربت إلى الموضع الذي تريد أن تجتم فيه وثبت إليه
(خواصه) من المصائد مجها أطيب ما يؤثر كل بنار لأن النار يضعفها هواء الزمان
ومجها من أخف اللعوم وله خاصية في الماء ليخوليا والصراع وان طلي بدمها
الكلف أذهب وإن طبخ أو شوي في جوف قرن نفع من القرحة في الأمعاء
ويحرق رأسها فيكون سنا جيدا للجلاء ووبرها يشد به الثريان إذا انقطع
وتعلق الأعراب كعبها على الصبيان للعين وأنفحتها تدفع السم إذا شربت بماء
الساق وسداب وإذا أخذتها المرأة حلت ومجها ودماغها يمنع الشر
المتوف من النبات وبعرها يدق بالخل للقوباء ومرارتها تطرح في الشراب
فتنوم (الوصف) لبعض الأنداسيين من المباحج أفراد حران كأنهم أولاد غزلان
بين رواع ينطفئ عطف البره ووثاب يجتمع اجتماع الكره حال العصب
أزاره وصاغ التبرطوقه وسواره قد غلغل بالعنبر بطنه وحلل بالكافور ممتنه
كأنما نضح بعير وتافع في حبر يناسم بعيني ساهر ويفوت بجناحي طائر قصير
اليدين طويل الساقين هاما في الصعود تجده وبابك عند الوثوب
تؤيده

(القول في النعامة) من المباحج وانما ذكرناه مع ذوات الأربع من الوحوش
وان كان ذا جناح لأنه عند المتكلمين في طبائع الحيوان ليس بطائر وان كان
يقنص وله جناح وریش ويعدون الخفاش طائرا وان كان يحبل ويأدوله
اذنان بارزان وليس له ريش لوجود الطير ان فيه ومراعاة لقوله تعالى واذا
تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وهم يسمون
الدجاجة طيرا وان كانت لا تطير والنعامة تسمى بالعارسية استرموك وتاويل
استبرجل وموك طائر فكأنهم قالوا جعل طائر ولما وجد هذا الاسم ظن

الناس أنها تتاج ما بين الابل والطير وبهذا أجرى عليها المثل في قولهم قيل
لظليم اجل قال أنا طائر قيل فطرق قال أنا جل وربما أكد عندهم القول
بالتوايد أنهم رأوا فيه من اجل الميسم والوظيف والعنق والكرش والخف
والجرامة ومن الطير الريش والجناح والمنقار والبيضة ويشبهه النعام بالابل
فتسمى الانثى منها قلو صا وفي طبعها انها تحضن أربعين بيضة وثلاثين ومن
أعاجيبها انها تضع بيضها طولا حتى لو مد عليها خيط لما وجد لشيء منها خروج عن
الآن ثم تعطى كل بيضة منها نصيبها من الحضن اذا كان بدنها لا يشتمل على عدد
بيضها وهي تخرج لطلب الطعام فتربى بيض نعامه أخرى فتحضنه وتدسى ببيضها
ولعلها تصاد ولا ترجع اليه فتهلك وهذا توصف بالمرق والمحق ويضرب بها
المثل في ذلك وعلى هذا ينشد قول ابن هرمة

فاني وتركي ندى الا كرم بين وقد حابكفي زندا شجبا

كناكة بيضها بالعر * وتلقه بيض أخرى جناحا

ويقال انها تقسم ببيضها ثلاثا ثمانية ما تحضنه ومنه ما تجعل صفاره غذاء ومنه
ما تقعه وتتركه للهواء حتى يفن ويتولد من عفته دواب فتغدى بها فراخها اذا
خرجت وهو من الحيوان الذي يزاوج ويعاقب الذكر في الحضن وهو لا يأنس
بالابل ولا بالطير مع مشاركته لهما وكل ذي رجلين اذا انكسرت له احداهما
استعان بالآخرى ما خلا النعام فانها تبقى في مكانها جائمة حتى تهلك جوعا
ويقال ان الحيوان الوحشي ما لم يعرف الانسان لا يفر منه اذا رآه ما خلا النعام
فانه شارد أبدا وبه يضرب المثل في الشرود وعظامه وان كانت عظيمة وشديد
العدو بها لا مخ فيها ولا يجري لها وترزعم العرب ان الظالم أصلح وانه لما كان
كذلك عوض عن السمع بالشم فانه يعرف بأنفه ما لا يحتاج معه الى السمع وربما
كان على بعد فشم رائحة القناص على اكثر من غلوه والعرب تضرب به المثل في
حاسة الشم وفسر بعض المعتنين بتفسير أمثال العرب (قوله أحمق من نعامه) أن
من حقه اذا أدركها القناص أدخلت رأسه في الرمل تقدر انها قد استخفت
منه وهو قوي الصبر عن الماء شديد العدو وأشد ما يكون عدوا اذا استقبل
الريح وكلما كان أشد دغضوفها كان أشد حصرا وهو في عدوه يضع عنقه على
ظهوره ثم يخرق الريح وهو يبتلع العظم الصلب والمجر والدر والحديد فيمضيه بجر
قائسته

قاصته حتى يصير كالساو ويتناع البحر حتى ينغده الى جوفه فيكون جوفه هو
العامل على اطفائه ويكون البحر هو العامل على احراقه وفي ذلك أعجوبة
احدهما التغذى بما لا يغذو والاخرى الاستمرار والهضم وهذا غير منكر لان
العنديل وهو كازعم بعضهم دابة توجد ببلاد الهند وبلاد الهند دون الشعب
خلقية اللون جراء العين ذات ذنب طويل ينبج من وبرها مناديل اذا تسخت
أقيمت في النار المتأججة فيزول منها الزهم ولا تحترق وبلاد الترك جردان تسليخ
جلودها ويتخذ من وبرها مناديل اذا تسخت غسلت بالنار بان تلقى فيها ولا تحترق
وزعم آخرون أن العنديل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ وفيه من الخاصية أنه
يدخل النار ويخرج منها ولا يحترق ريشه ويعمل من جلده مناديل الغمر فكما
ان خاصية هذا الحيوان في ظاهره كانت خاصية النعام في باطنه والباطن في
الحيوان كانه أنعم من الظاهر وقد حكى أبو عبيد البكري في كتاب المسالك والممالك
لما ذكر قابس أن بعض البادية دخل على أميرها بطائر على قدر الحمامة ذكر
أصحابه أنهم لم يروه قبل وماعه دوه وكان فيه من كل لون وهو أجرام المنقار فأمر
بقص جناحيه وأن يرسل في قصره فلما كان الليل أوقد بين يدي الامير مشعل
فلما رآه الطائر قصده وأراد الصعود اليه فلم يستطع النهوض فلم ينزل بجهد نفسه
حتى صعد اليه وجلس في وسطه وجعل يتفلى فيه كما يتفلى الطائر في الشمس فلما
قضى وطره منه نزل والنعام تصاد بالنار كما تصاد سائر الوحوش فانه اذا رآها
دهش لها واعتراه فكريها فيقف وقوف حيرة فيتمكن منه الصائد (خواصه)
من المصائد لم يذكرونها شيئاً (الوصف) أبو اسحق ابراهيم بن خفاجة

ولرب طيار خفيف قد جرى * مثل لا يحار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا محتالة * مشى الفتاة تجر فضل ازار
مخضوبة المنقار تحسب أنها * كمرت على ظمأ بكأس عقار
لا يستقر بها الا داحي خشية * من ليل ويل أونها بوار

(قال الزمخشري)

يا سائل اني أصبحت في بلاد * لا عطله ترجى لي ولا عـ لـ
ولا غريب ولا لي فيه من أحد * مثل النعام لا طير ولا جل
(الطاوس) قال أصحاب البحث عن طبائع الحيوان ان الطاوس في الطير

كالفرس في الدواب هزا وحسنا غير أن الناس لا يتبركون به ويكرهون كونه في دورهم وفي طبعه العفة وحب الزهوية نفسه والخيلاء والاعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق لاسيما إذا كانت الانثى ناظرة اليه والانثى تبيض بعد أن يمضي لها من العمر ثلاث سنين وكذلك لا يحصل التلوين في ريش الذكر إلا بعد هذه المدة وهي نهاية البلوغ والانثى تبيض مرة واحدة في السنة اثنتي عشرة بيضة وأقل وأكثر ولا تبيض متتابعاً ويسعد في زمن الربيع وبلقي ريشه في زمن الخريف كما تاتي الشجر ورقها وهي كثيرة العبث بالانثى إذا حضنت وربما كسر البيض والهـذا يبيض بيضه تحت الدجاج والدجاجة لا تقوى على حضن أكثر من بيضتين منها وينبغي أن يتعامد الدجاجة بجميع ما تحتاج اليه مخافة أن تقوم عنه فيفسده الهواء والفرخ يخرج من البيضة كاسيا كما يخرج الفروخ والطاوس من الطير الذي يبيض بيض الريح ويقال ان عبث الطاوس بآنتاه وان حضنها غيره منه أن يخرج من البيض ما يشبهه في حسن ريشه وبهاء خلقه وزعم ارسطو أن الطاوس يعيش خمسا وعشرين سنة وهذا منه حكم لا يعينه الاستقراء (الوصف) أبو الصلت أمية بن العزيز الاندلسي

أهـ لابه لما بدى في مشيه * مختال في حال من الخيلاء
فالروضة الغناء اشرق فوقه * ذنب له كالروضة الغناء
ناديته لو كان يفهم منطقي * أو يستطيع اجابة لندائي
بارافعا فوق السماء ولا يسا * للحسن روض الحزن غبـسماء
أيقنت أنك في الطيور مما كا * لما رأيتك منه تحت لواء

(وله)

أبدى لنا الطاوس عن منظر * لم تر عيني مثله منظر
متوج الفرق ان لا يكن * كسرى بن ساسان يكن قيصرا
في كل عضو ذهب مفرغ * في سندس من ريشه أخضرا
نزهة من أبصر في طيرها * هبة من فكر واستبصرا
تبارك الخالق في كلها * أبدعه منه وما صورها

* (الباب الخامس والاربعون في الاسد النبل والزرافة والفيل) *

وانما يدأناه أولا لانه اشرف في هذا النوع لان منزلته فيه منزلة الملك المهيّب لقوّته وشجاعته وقساوته وجهامة خلقه وشراسة خلقه قال اصحاب الكلام في طبائع الحيوان ان اللبوة لا تضع الاجروا واحدا وتضعه بضعة لحم ليس فيها حس ولا حركة فتحرسه من غير حضان ثلاثة ايام ثم يأتي أبوه بعد ذلك فينفخ في تلك البضعة المرة بعد المرة حتى يتحرك ويتنفس ويتفرج الاعضاء ويتشكل الصورة ثم تأتي أمه فترضعه ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة ايام من تخليقه وهي مادامت ترضع لا يقر بها الذكور البتة فاذا مضت على الجرو ستة أشهر كاف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب وطارذ الذكور الانثى فان كانت صارفة أمكنته من نفسها وان لم تكن دفعتة ومنعته ونفته مع شبها باقية الحول وستة أشهر من الثاني حينئذ تألف الذكور وعكته من نفسها وللأسد من بعد الوثبة واللصوق بالارض والاسراع في المحصر اذا هرب والصبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ليس لغيره من السباع وربما سار في طلب القوت ثلاثين فرسخا ولا يأكل فريسة غيره من السباع وهو اذا شبع من فريسة تركها ولم يعد اليها ولو جهده الجوع ولا يأكلها واذا كل يقيم يومين وليلتين بلا طعام لكثرة امتلائه ويلقى بعد ذلك شيئا باسم مثل جعر الكلب واذا بال رفع احدى رجليه كالكلب واذا فقدأ كاه صعب خلقه واذا امتلأ بالطعام فهو وادع وأكل الخفيف أحب اليه من اللحم العريض الغض وهو لا يثب على الانسان للعداوة ولكن لا طعم فانه لو مر به وهو شعبان لم يتعرض له وهو مع ذلك حريص بهم واسع النحر ينهش ولا يعض قليل الريق ولهذا يوصف بالبحر ولحم الكلب أحب للحموم اليه ويقال انما ذلك لحنقه عليه فانه اذا أراد التطواف في جنبات الحي الخ الكلب بالنباح عليه والانداز به فيرجع خائبا نهوض الناس عليه فاذا أراد ذلك بدأ بالكلب حتى يأمن اندازه ومن شأنه اذا أكثر من حسوالدم وأكل اللحم وحلت نفسه منها طلب الملح ويجعله كالحضة بعد الحلة فيطلبه ولو كان بينه وبينه خسون فرسخا وهو يوصف بالبحر والجراقة فن جبنه أنه يذعر لصوت الديك ومن نقر الطست وضرب الطنور والحمل الى الاسود والديك

الايض والسنور والفأرة وقد تكون النار من أسباب اغتراره واغتياله لانه
يبتريه ما يبتري الطيابة والوحوش عند رؤيته النار من الخيرة والحبب بها وادمان
التفرا اليها والفكر فيها حتى يشغله عن التحفظ والتيقظ ومن حرارته انه
يقدم على المعتب الكبير والجمع الكثير ويقابل ولا يرجع من الضرب
والجراح ولا يذله ما يصيبه من ذلك بل يقابل بعضه حتى يموت وهو اذا كثر
لا يفر الا فرأ خفيفا مخالسا والاسودا كثر جراءة وجهالة ويقال ان الانثى
أجرامن الذكر والمجاذب لا يهجمه هذا القول ويقول انما هي أشرف ومن
عادته انه اذا عاين أحدا لا يفرع ولا ينهزم فان أجمأ الى ذلك وأحس بالصيادين
قولى وهو يمشى رفيقا وهو مع ذلك يتلفت ويضمر الخوف ويظهر عدم الاكتراث
وان تمكن منه الخوف هرب مجالا حتى يبلغ مكانا يأمن فيه فاذا علم انه آمن مشى
مارا وان كان فى سهل وأجمأ الى الهرب جرى جريا شديدا كالكلب وان رماه
أحد ولم يصبه شدة عليه فان أخذه لم يضربه وانما يأخذ شدة ثم يخليه كأنه من عليه
بعد الاظفر به واذا شتم رائحة الصيادين غفى أثره بذنبه وفيه من شدة البطش
ما انه يأبى الجمل المسايح البازل فيضربه بيده فيثنى الجمل عنقه اليه كأنه يريد
عضه فيضرب يدساره الى مشفره فيجذبه جذبة يفصل بها بين ذوات عنقه وان
ألفاه قائما وثب عليه فاذا هو فى ذروة سنامه فعند ذلك يضربه كيف شاء
ويتلعب به كيف أحب ومن عجب أمره أنه لا يألف شيأ من السباع لانه لا يرى
فيها ما هو كقول له فيعصبه ولا يطأ على أثره شي منها ومتى وضع جلده مع سائر
جلودها اتساقت شعورها ولا يدنو من المرأة الطامث ومتى مس قوائمه لمحا
شجرا بلوط حذر ولم يتحرك من مكانه واذا غمره الماء جاء الصبي حتى يركب
على ظهره ويقبض على أذنه ولا تفارقه الحمى ولذلك الاطباء يسمون الحمى داء
الاسد وعظامه عارية جدا واذا طاب نار ذلك عظامه بعضها ببعض فيخرج
منها كما يخرج من الحجارة ولذلك فى جلده من القوة والصلابة ما لا يعمل فيه
السلح الامن مراق بطنه وقد يطول مشوى الواحد منها مع الناس حتى يهرم
وهو فى جميع حالاته صعب شديد الغرام لا يؤمن شروده اذا انفرد من سؤاسه
وأبصر غيضة بين يديها صحراء ويبلغ من العمر كثيرا وعلامة ذلك انه يصاد
فيوجد متهتوم الاسنان وليس ذلك الا من السكر

(خواصه) يقال ان خصيته اذا ملحت بنورق أحر ومصطكى وجفت وقلت
يزئبق نفعت من البواسير والزحير ووجع الارحام ويقال ان من يمسح بشحم
كلبته يؤمن من أكل السباع ومرارته يعسل تنقع الخنزير ودمه يطلى به
السرطان وصيده بأنواع من التحمل فنهان تصنع له العرب الزباء وهي حفاثر
في نشر من الارض وتغطي وفي وسطها جروكاب فيأبى الاسد ان يأخذ انجرو فيسقط
فيها وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه بلغ الماء الزباء أى أعظمها

(الوصف والتشبيه) وصفه أبو زيد الطائي في حكاية حكاها العثمان بن عفان
رضى الله عنه وقد اعنه فقال أقبل يتضالع من بغيه واصدروه نحيط وأبلاغيه
عظيظ ولطرفه وميض ولا سارغه نفيض كأنما ينحيط هشيما أو بطأ
صريعا ذاهامة كالحنق ونخذ كالمن وعينان سحران كأنهما
سراجان وقصره رمله وهرمه وهله وساعد مجدول وعضده مقتول
وكف شبيه البراشن ومخالب كالحاجن فم أشدق كالغار الاحرق يفترعن
معاول مصقوله غيره غلوله فهججه عينا به فرور وبربر ثم زار فجر ثم لمحظ
نخلات البرق يتطاير من جفونه عن شماله ويمينه فأرغشت الايدي
واصطكت الارجل وجحظت العيون وساءت الظنون واصتت الظهور
بالبطون وأنشد عبوس شعوس مثل جذم كابر جرى على الاقدام للقرن قاهر
برائنه شش وعيناه في الدجي * كجمر الغضا في وجهه الشرطائر
يدل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر
(وقال أبو الطيب يصفه من أبيات)

وردا اذا ورد البحيرة وارد * وردا لفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس * في غياله من لب دتبه غيلا
في وحدة الرهبان الا انه * لا يعرف التحريم والتحليلا
ما قوبلت عيناه الا ظننا * تحت الدجي نارا الفريق حلولا
يطأ الثرى مترفعا من تبهه * فكأنه أس يحس عليلا
ويرد عقربه الى يافوخه * حتى يصير لرأسه اكليلا
ويظنه مما يزجج رفسه * عنها الشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما * ركب الكمي جواده مسلولا

ثم خرج الى ذكر المدوح الحسين بن عبد الله بن طنج أمير مصر كان قد خرج
متصيدا فرأى أسدا على فريسته فهاجه فوثب الاسد على كفل فرسه فأعجبه
عن استلال السيف فضر به بالسوط فألقاه عن كفل الفرس فقال المنذري
القصيدا التي أولها

في التخذان عزم الخياط رحبلا * مطر يزديه التخذود محولا
(وجاء منها)

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * إن ادخرت الصارم المساولا
(وقال عبد الجبار بن جديس الصقلي)

وليث مقيم في غياض منبوعة * أمير على الوحش المقيمة في القفر
يوسد شجابه نجوم فوارس * ويقطع كالص السبيل على السفر
هزبره في فيه نار وشقرة * فإستوى لحم القتل على البحر
سراجاه عيناه إذا أظلم الدجى * فان بات يسرى باتت الوحش لا تسرى
له جهة مثل الجبن ومغطس * كأن على أرجائه صبغة الحبر
يصل رعد من عظيم زثيره * ويلع برق من جالقه الحجر
له ذنب مستنبط منه سوطه * ترى الارض منه وهي مضروبة الظهور
ويضرب جنبه به فكأنما * له فيهما طبل محيص على الكثر
ويخفك في التعيس فكيف عن مدى * بنوب صلاب ليس يهتم بالفهر
يصول بكف عرض شبرين عرضها * خناجرها أمضى من القضب البتر
يجرد منها كل ظفر كأنه * هلال بدا للعين في أول الشهر
(وأحسن ما ورد في قتل الاسد) قول بشر بن عوانة الثقفي يصف ملاقاته
للأسد وما اتفق له معه وحكايته أنه تزوج ابنة عمه فخرج بهن مهرها فلما كان
ببعض الطرق عارضه أسد فكر بهمه عليه فتقاعس ولم يقدم عليه فنزل
عنه وأقبل نحو الاسد مصاتا سيفه فقتله وقال

أفاطم لو شهدت ببطن خبت * وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
إذا رأيت ليثا رام ليثا * هزبرا أغابا يني هزبرا
تأس اذ تقاعس عنه مهري * محاذرة فقلت عقرت مهرا
أبل قدمي ظهر الارض اني * وجدت الارض أنبت منك ظهرا

وقالت له وقد أبدى نصالا * مذبذبة ووجهها مكفهرا
 يدل بمخاب وبجدة ناب * وبالعظاات تحسبهن جرا
 وفي عنساى ماضى المحدثا لى * لمضربه غداة الروع أثرا
 ألم يبلغك ما فعلت ظباها * بكاطمة غداة لقيت عمرا
 وقابى مثل قلبك لست أخشى * مخاذرة ولست أخاف ذمرا
 وأنت تروم للأشبال قوتا * وأبغى لابنة الاعمام مهرا
 ففيم تروم مثلى ان يولى * ويترك في يديك النفس قسرا
 نهكتك فالتمس باليث غبرى * طاماما ان تجى كان مزا
 وما ظن ان الغش نهشى * وخالفنى كأنى قلت هجرا
 دنا ودنوت من أسدين راما * مراما كان اذ طلباه ذمرا
 يكف كف غيلة احدى يديه * ويده طاه الوثوب على أخرى
 هزرت له الحسام فقلت أنى * هزرت له لدى الظلماء فجرا
 حساما لو رميت به المنسابا * لجاءت نحوه تعطيه عذرا
 وجدت له بخافة رآها * كن لديمه مامنه قدرا
 بضربة فيصل تركته شغفا * وكان كأه الجلود وترا
 فخره مضر جابدم كأنى * هدمت به بناء مشمخرا
 وقالت له يعز على أنى * قتلت مناسى جادا وقهرا
 ولكن رمت شيئا لم يرمه * سواك فلم أطق باليث صبرا
 فحاول ان تعلمنى فرارا * لعمر أبى اقد حاولت نكرا
 فلا تبعد فقه دلا قال حر * يحاذران يعاب فت بهجرا
 (نادرة) قيل تعرض أسد لقافلة وصال على رجل منها فبادر واحتى حالوا
 بينهم وقالوا للرجل كيف حالك قال صالحة ولكن الاسد قد نوى فى سراويلي
 (ولمؤلفه رحمه الله)

سألتك يا جميل السـتر سـترا * أغيب به عن الخصم الظلوم
 وذاك السـتر سـتر معنوى * يرانى منه كالاسد العظيم
 (القول فى طبائع الفيل) وهم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان ان الفيلة مائة
 الطباع بالجماموسية والتخزيرية التى فيها وبعضها يسكن الماء وبعضها لا يسكنه

وزعم آخرون ان الفيلة ضربان فيل ورنديل وهما كالبحيت والغراب والبقر
والجواميس والبراذين والخيول والفار والجردان والنمل والذر وبعضهم
يقول الفيل المذكور الرنديل الانثى وهذا النوع لا يتلاقح الا في بلاده ومعادنه
ومغارس أمراقه وان صار أهليا وهي تتوالد بأرض الهند والهندوهي
أعظمها خلقا ويحزيرة سرنديب وينتهي في عظم الخلق الى أن يبلغ في
الارتفاع عشرة أذرع وفي ألوانها الاسود والابيض والازرق والاباق وهو
اذا اغتم أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى ينضم أبطاه ويتورم رأسه ولم يكن
لسوائه غير الحرب منه وربما صار وحشا وجهل جهلا شديدا والفيل ينزوي
اذا مضى له من العمر خمس سنين واذا حلت لا يقربها الذكور ولا يمسها ولا ينزوي
الذكور عاها اذا وضعت الا بعد ثلاث سنين ولا ينزوي الا على فيلة واحدة وله
عليها غيرة شديدة واذا تم جاهها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها في
الماء لانها تلد قائمة اذ لا فواصل لغوائها فتبرك والذكر بعد ذلك يحرسها
ولدها من الحيات وذلك لعداوة أصليته بينهما ووضع ذكر الفيل شبيه
بالفرس لكنه صغير عنه جثة وهو في الفرس العتيق صغير أيضا وأنثى الفيل
داخل ذنبه قريب من كليتيه ولذلك يسفد سريرا كالطير لان كونهما داخل
قريبا من القلب ينضج المني بسرعة ويقال ان الفيل يحقد كما يحقد الجمل
ويحفظ الشئ الذي يكرهه القيم عليه حتى يقابله عندئذ يكره منه وربما قتله
وزعم أهل الهند ان لسان الفيل مقلوب ولولا ذلك لآكلهم وهو صغير جدا
ويجعلون أن قرنيه هما ناباه يخرجان مشتطين حتى يخرقا المخك وعلم ذلك من
تسريحه ويوجد فيه الأعقف والمستقيم قال المسعودي وربما بلغ الناب منه
مائة وخمسين منساوا أكثر من ذلك والفيل يحمل بهما على الجرد الوثيق
البنيان فيقلبه على الأرض وقد فتح به مجودين سبكتكين مدينة الطاق
وهي من أعظم الحصون التي ببلاد سجستان فانه جعل ناييه تحت بابها فأقلعه
وهو من أسرع الحيوان الوحشي أنسابا للناس وسرعة الانس دليل على
حسن الطباع ودماثة الاخلاق ونظره من غطروف أنفه وهو يده التي
يوصل بها الطعام الى فيه ويقا تل بها ويأصيح وليس صياحه على مقدار جثته
لانه كصياح الديك ويتنزل منه منزلة عنقه وله فيه من القوة بحيث يقلع به

الشجرة من منابتها وفي طبعه انه اذا سمع صوت الخنزير ارتاع ونفر واء-تراه
الفرع والنجزع واذا ورد الغدران والانهار للشرب وكان الماء صافيا فهو أبدا
يشربه ويكذره كالحيل لانها ترى صورها على سطح الماء فتتوهم انه غير ما فتتفر
منه وهو قليل الاحتمال لاشتاء والبرد ويقوم ويسير في الماء منعسا ماء-دا
خرطومه لانه منه يتنفس ولا يقدر على السباحة لثقل جثته وفيه من الفهم
ما به يقبل التأديب ويفعل ما يأمر به سائسه من السجود للولك وغ-ير ذلك من
الخبر والشرف في حالي السلم والحرب وفيه من الاخلاق انه يقاتل بعضه بعضا
قتالا شديدا والمقهور منها يخضع ويتعبد للقاهر ويخاف سطوته ويقال انه
يصاد بالهرو والطرب والالعاب والزينة وريح الطيب والنساء يصيدونه بذلك
وربما احتيل على صيده بأن يترقب حال س-كونه وه-دوه وذلك انه لا ينام
الا معتمدا على ساق شجرة اذ لا يمكنه الاضطجاع لكون قوائمه لا فواصل لها
لكنها كالاساطين المصمتة والسواري الوثيقة والصيادون يأتون الشجرة
التي غالب أوقاته يعتمد عليها فيضعفون أصلاها فاذا أتى على عادته اليها يعتمد
عليها انكسرت فسقط وبقى عاجزا لا يقدر ان نفسه بشئ فيصيدونه كيف شاؤوا
والهند تعظم الفيل وتشرفه لما اجتمع فيه من الخصال المحودة من علوسمكه
وعظم صورته وديع منظره وطول خرطومه وسعة أذنه وطول عموده وثقل جماله
وخفة وطئه فانه ربما مرت بالانسان وهو لا يشعر به لحسن خطوته واستقامته
وللهند طيب يحمله من جباه الفيلة ورؤسها فانه اذا اغتمت عرفت هذه
الاماكن عرقا كانه المسك ويستعملونه لظهور الشبق في الرجال والنساء
ويزعمون انه يشجع القلب ويقوى النفس ويبعثها على الاقدام والفيل
يشب الى تمام ستين سنة ويعمرمائتي سنة واكثر (وحكى ارسطو) أن فيلا
ظهر عمره اربع مائة سنة (وحكى) بعض المؤرخين ان فيلا سجد لابرويزن ثم سجد
للعنصر وبيدتهما زمان ذكره ارسطو واعتبر ذلك بالوسم وهذا الحيوان يعتريه من
الامراض وجع المفاصل لطول قيامه وثقل جثته لانه لا يضطجع
(الوصف والتشبيه قال عبد الكريم البهشلي)

وأضخم هندی النجادة هذه * ملوك بني ساسان ان نابها دهر
يجي كطود جائل فوق اربع * مصيره باب ككما يلب الصخر

له نَفَذَان كالشَّيْنِ لِبَد * وصدر كما أوفى من الهضبة الصذر
 ووجه به أنف كراو ورق خرة * ينال به ما يدرك الأغمل العشر
 وجنبان لا يروى القلب صداهما * ولو أنه بالبائع منه رب حفر
 وأذن كنصف الرذ يسمعه النداء * خفيا وطرف يتقص الغب مزور
 ونابان شقا لا يريد سواهما * قيامين سمرأين لمهما تبر
 له لون ما بين الصباح وليله * اذا نطق العصفور وأصوت الصقر
 (صلاح الدين الصفدي رحمه الله مغزا)

أما اسم تركيبيه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
 حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه برعاء
 فيك تحييفه وليكن اذا ما * رمت عكسا يكون في ثلثاه
 قد جعل الله في طبع الفيل الهرب والوحشة من النور واذا احتملت المرأة
 من نجوها مع العسل لم تحبل أبدا وكذلك اذا علق على شجرة لم تحمل تلك
 السنة

(القول على طبائع الكركدن) وتسميه الهند النوسان ويسمى أيضا الحمار
 الهندي وهو عدو الزبرقان والفيل ومعادنه بلاد الهند والنوبة والحبشة
 وهودون الجماموس ويقال انه متولد بين الفرس والغيلة وله ظلف واحد
 غير مشقوق وقرن واحد عظيم على أنفه بارز ولا يستطيع لثقله أن يرفع رأسه
 وهذا القرن مصمت قوي الاصل حاذي الرأس مرفعه يقاتل به الفيل فلا يفيد
 معه نأباه ويقال انه اذا نشر رؤى في داخله صورة بياض في سواد صفة انسان
 ودابة وممكة وما يشاء كل ذلك وأهل الصين يتخذون منه المناطق ويغالون
 في ثمنه ويقال ان حمل الانثى من هذا النوع كأيام حمل الانثى من الغيلة والانثى
 تأكل ولدها ولا يسلم منها الا القليل والولد يخرج قويا ثابت الاسنان والقرن
 قوي الحافر وقد زعم انه اذا كان في بطن أمه وقارب الوضع يخرج رأسه من
 فرجها ويرعى من أطراف الاشجار ما يقوته ثم يرجع به وقد أنكر الجاحظ هذا
 القول وقد جعل له ضربا من الخرافات وتزعم الهند انه اذا كان في ناحية من
 البلاد لا يقربها حيوان أصلا ويكون بينها وبينه من البعد مائة فرسخ من
 أربع جهاته هيبة له وهربا منه وايس كذي القرن مشقوق الظلف وهو

يحتر كما يحتر البقر والغنم والابل ويا كل الخشيش والهندتا كل نجه وكذلك
 في بلادها من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس ويقال انه شديدا لعداوة
 للانسان حتى انه اذا شم رائحته أو سمع صوته جث في طلبه فاذا أدركه قتله وان
 لم ينتفع به لانه لا يأكل اللحم وهذا الحيوان لا يبرك ولا ينام اذ ليس له مفصل
 في ركبتيه ولا في يديه بل هو من طائفة الى ابطه قطعة واحدة
 (القول في الزرافة) والزرافة في كلام العرب الجماعة لانها اجتمع فيها صفات
 كثيرة من الحيوان وهي عنق الجميل وجالد النمر وقرن الظبي وأسنان البقر
 ورأس الابل ولهذا زعم بعض المتكلمين في طبائع الحيوان انها متولدة من
 حيوانات وقال ان السبب في ذلك اجتماع الوحوش في جماعة القنيط على
 شرائع المياه فتتسافد فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فربما سجد الانثى
 من الحيوان ذكور كثيرة فتختلط مياهها فيجس خلق مختلف الصور والالوان
 والاشكال والفرس تسمى الزرافة استركا ويليك فتأويل استر بعروكا و
 بقرة ويليك الصبيغ وهذا كما رأيت موافق لكلام العرب من كونها مركبة
 المخلق من حيوانات شتى والجماخظ لا يعجبه هذا القول ويقرل انه جهل شديد
 لا يصدر عن من لديه تحصيل لان الله يخلق ما يشاء وهو نوع من الحيوان قائم
 بنفسه كقيام الخيل والمجبر ومما يحقق ذلك انه يلد مثله وقد شوهد وهي
 طويلة اليدين والعنق جدا حتى يكون في مجموعها عشرة أذرع وأكثر قصيرة
 الرجلين جدا وايس لها ركب وانما الركب ليديها كسائر البهائم واذا
 أكلت مما على الارض تفجعت انقص رعنقها عن بدنها ومن عاداتها ان تقدم
 عند المشي اليدين والرجل اليسرى بخلاف ذوات الاربع فانها كلها تقدم
 اليدين والرجل اليمنى وفي طبعها التألم والتودد والتأنس وهي تحتر وتبهر
 (الوصف) ابن جديس

ونوية في الخلق منها خلائق * هي ما يرق العين فيها سهل
 اذا ما سمعها ألقاه في السمع زاجر * رأى الطرف ما عني عنه بمقول
 لها فذا قرم وأظلاف قهره * وناظرنا ريم وهامة أيل
 كان الخطوط البيض والصفراء شبهت * على جسمها ترصيع عاج مصنل
 ودائمة الإقواء في أصل خلفها * اذا قابلت اديارها غريم قبل

تلفت أحبانا بعين كريمة * وجيد على طول اللواء المطال
وتنفض رأساً في الزمام كأنما * تريك له هاد على السحب مقتل
وعرف رقيق الشعر تحسب بته * اذ الريح هزته ذوائب سنبيل
وتحسب بها من نفسها ان تبحرت * تزف الى بعيل عروسا وتجلى
فكم من شد قول امرئ القيس عندها * أفاطم مهلا بعض هذا التذلل
(ومن أبيات الفقيه عمارة المعنى)

وبها زرافات كأن رقابها * في الطول ألوية تؤم العسكرا
نوبية المنشا تريك من الها * زرقا ومن بزل المهاري مشغرا
جبات على الاقعام من اعجابها * فتخالها للتيه تمشى القهقرا

* (الباب السادس والاربعون في الحمام وما في وصفها من بديع النظام) *

قد سرت عادة الكبراء والعظماء باتخاذ الحمام في منازلهم ولا سيما في أيام الخلفاء
فأكثر ذلك في أيام الناصر لدين الله أحمد بن الامام المستضي فانه اهتم بأمرها
وبأمر انشائها وما زالت الخلفاء والملوك يطيطون الحمام ويسابقون به ولا يختص
بذلك بنو العباس قال صاحب روض الازهار كان الوزير أبو الفرج يعقوب
وزير المعز أجال الخلفاء المصريين وأنفجهمهم وكان له حمام يسابق به فاتفق انه
سابق بها طيور الخليفة العزيز فسبق حمامه فعظم ذلك على الخليفة ووجد أعداء
الوزير الطعن عليه من أن هذا الوزير يختار الجيد لنفسه من كل شيء ويختار
للخليفة الأدنى فبلغ ذلك الوزير فكتب الى الخليفة

قل لأمير المؤمنين الذي * له العلا والكوكب الثاقب

طائر ك السابق لكنه * جاء وفي خدمته حاجب

فسكن غيظ الخليفة عنه ولما مات هذا الوزير خلف أربعة آلاف مملوك وحارة
الوزيرية في القاهرة وتعرف به وبساتين الوزير بالقرب من بركة الجيش ولما
مات نزل الخليفة وألحده في قبره وبلغ كعنه وما يدخل فيه عشرة آلاف دينار
(قال الجاحظ) وقد تباع الحمامة بخمسة دنانير ولم يبلغ ذلك شيء من الطير ومن
دخل بغداد والبصرة عرف ذلك وتباع البيضة بخمسة دنانير والفرخ
بعشرين دينارا روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه أشتكى الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال اتخذها ما تؤنسك وتصيب من
فرائدها وتوقظك للصلاة بتغريدها وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمام فانها تلهي الجن عن صبيانهم
روى جابر أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحببه النظر الى الحمام والابراج
وكان في منزله صلى الله عليه وسلم حمام أجراسه ورذان وكان ابراهيم بن بشار
محببا للحمام وكان اذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن النظر وكرم الخبر
تكفيك مؤنتها فهي للطارق عذة وللستوطن لذة تطعم في الصحراء وتعود
اليك في السراء يأنس الوحيد بدجركاتها وتغنيه عن الاوتار بنغماتها
وتعبرها من الطير يستجهم وهي ناطقة وتنقر عنك وهي داجنة وفي طبعها
السكون الى الناس والاستئناس بهم وهي طير عفيف يبقى الذكر بعد الانثى
منفردا والانثى مثل ذلك مع شدة اتفاقهما على المحبة ان طار اطارهما وان
وقعا وقعاهما بسرعة طيران لا تكاد سباع الطير تصيدها الا بحيلة ولم تزل
العرب تستحسن صبح الحمام وتغريد الببل والورشان واعراب وادي القرى
اذا ظفروا بشرب الطائف اتوا حواطم النخل عند استواء الظهيرة اذا صارت
الوراش والفواخت الى ذلك الظلال فيشربون ويأنسون بتغريدهن ويقمن
أصواتهن مقام المزامير والاورتار وفي ذلك يقول بعضهم

أحن الى حواطم ذات عرق * لتغريد الفواخت والحمام

ألم بها وكل فتى كريم * من الفتيان مخلاوع الزمام

(وقد ألف) القاضي محي الدين بن عبد الظاهر كتابا سماه تمشايم الحمام وذكروا
فيه أنسابها وأنواعها وغبر ذلك ومنه قول القاضي العاضل لازالت أجنحتها
تحمل من البطائق أجنحة وتجهز جيوش المقاصد والاقلام أسلحه وتحمل من
الاحبار ما تحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت الجناح الطائر وكادت
تكون ملائكة لانها رسل اذا نبطت بالرقاع طارت أولى أجنحة مثني وثلاث
ورباع وقد باعد الله بين أسفارها وقربها وقرها وجهها لطيف البقعة الذي
صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهدا اداء الامانة في رقابها أطواقا
وأفنها من أذنانها أوراقا فصارت خوافي وراء الخوافي وغطت سرها بكتمان
سحبت عليه ذيل ريشها الصوافي ترغم النوى بتقريب العهود وتكاد

العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السمود وهي أنبياء الطير لكثرة ما تأتي به من
الانباء وخطباؤها لانها تقوم على منابر الاغصان قياس الخطباء وسمائها
القاصي القاضى فى مكان آخر ملائكة الملوك فرجه الله ما كان أقدره على
الكلام وما أحسن ما وصف الحمام وتسميته اباها أنبياء الطير قال الشيخ تاج
الدين بن الاثير من فصل طالمساجرتها الرياح فأصبحت مخلفة وراءها تكي على
المحجب وصدق من سمائها أنبياء الطير لانها رسالة بالكتب وقال الشيخ
السديد علم الرؤساء من رسالة فى تقديمه بالبشائر يكون المعنى بقولهم أيمن طائر
ولا غروأب فارق رسل الارض وفاتهم وهو مرسل والعيان عيانه والجو مبدانه
والجناح مركبه والرياح موكبه وابتداء الغاية شوطه والتشوق الى أهله
(وقال الاسعد بن عمالي) من صدر رسالة

أعوامل بالفلات مما يدلنا * على ان معنى الغاب من عادة القلب
ومن لم يجد شخصاً من الانس كاملاً * ثبت له الشكوى تشاغل بالعب
بلغنى أن الحضرة قد أطاعت سلطان نفسها واسترجعت شيطان أمسها
وعزمت على انفاق كيس الايام بالاشتغال بالحمام (وللشيخ شهاب الدين بن أبى
حجلة) وفرضه أعزك الله ان ذلك الواشى فى كلامه مصيب فالملوك أولى
بالتقاط فوائدهم ولا نالنى ابن أبى حجلة وللطير فى دار الكرام نصيب (صلاح
الدين الصفدى) وكتبها الى بعض أصحابه

هذى بطاقة قادم * قد جاء يلهج بالمدح

جلتها قلبى الذى * قد طارت نحوك بالفرح

(قات) ما ألفت قول الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة

شكرت اقتراحى فى المديح فملتني * وقبلى أناس كان يشكر ما اقترح

ولو كان من شعري المحجل ريشة * لكل بنى الآداب طارت من الفرع

القاضى العاضل

لهنك طائر الفتح المبين * وما أدى من الخبر اليقين

وأشرق فى الخيام على رياض * ونخط من الرماح على الغصون

وأطرب بالكتاب وزاد حتى * ظننا به يغنى باللحون

وسرك باليقين بغرور عد * ترجيه اظنون بقدر وس

بما أسهرت جفن السيف حتى * جعلت السيف غدا للجفون
(وله تغمده الله برحمته)
وقد ألف التخليق ريش جناحها * فجاءت اليناس في رداء العرائس
وما خلقت بالزعفران وانما * تضخن دما من أكل قتلى الفوارس
ملائكة الرحمن تزجي كتابها * اليهم يمشراهم بقتلى الالباس
(وله رحمه الله)

بشائر يأتي الطير حامل كتبها * فيأتي سرور لم يدعه ونفسه
غدوت ولا سيف يقرب غمده * وبت ولا طير يقرب عشه
(ذكر ابن مسدي في معجمه) قال سمعت أبا الحسن محمد بن نصر الله بن عذين يقول
كنت بخراسان بمجلس الفخر الرازي اذ أقبلت جماعة يتبعها جارج فسقطت
في حجر الفخر الرازي وعادت به على منبره فقامت وأنشدت بديها
يا ابن الكرام المطمئن اذا اشتوا * في كل مسغبة وثلج خاسف
والعاصمين اذا النفوس تطايرت * بين الصوارم والوشح الراجف
من نبأ الورقاء أن محاسنكم * حرم وأنت ملجأ للخائف
وافت اليك وقد تداني حلقها * فجبرتها به فائها المستأنف
ولوانها تحي بمال لا تثبت * من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان جامعة * والموت يلعب مرجناحي خاطف
نفاع عليه جبهه كنت عليه وكان هذا سببا لاقبال السعود عليه (من انشاء الشيخ
زين الدين بن الوردى) فبينما ابا زسكران بمساجد من البان واذا بحمامة قد
وقعت أمامه وقالت كم تفخر وأنت عظم نحر أنت من آلة اللعب والصيد
وأنا من آلة الجذوال كبد أنا مع الطوق والخضاب من جملة جملة الكتاب
ومع خوفي من شرك الشرك وحذري من فح الآفك حملت الامانة التي آبت
الجمال عن جملها وامتثلت مرسوم الله يا أمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها
فلما أوصات المحقوق أمنت العقوق وتزينت بالبشائر والخلق ومما أعجب
العلماء أننى منحضوبة البنان ولي عين أقول للملك دع الاهتمام ولا تحزن
فاني أنا النجم مهم ما حدث عليك من البعد من أخاء امك أنا آتيك به قبل
أن تقوم من مقامك كتمت عن الناس سرى وأبهمت في الغناء والنوح أمرى

روى خضاني وطوقى * فاستنكفوا من بكائي
ثم ادعوا أن نوحى * مناسب لغنائي
فقلت كفوا فدمعي * باد بهير اختفاء
الخضب من فيض دمعي * والصبر عقد ولائي
(قال القاضي علاء الدين الوداعي) كان القاضي الفاضل يسمى الحمام ملائكة
الملوك فسميت انا البريدية شياطين السلاطين

(الباب السابع والاربعون في الحصون والقصور والآثار)
(وما قيل فيها من رائق الاشعار)

ما أحسن قول القاضي الفاضل ووردنا حصين كوكب وهرنج - في سحاب
وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأتملة اذا خضبت الاصيل كان
الهلل لما قلامه (وقال الشيخ شهاب الدين محمود) حصن قد تفرط بالنجوم
وتقرطق بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسي أصله الى التخوم تخال الشمس
اذاعات أنها تنقل في أبراجه ويظن من سها الى السها أنها ذبالة في سراجها
لا يعلم من معنى الطير غرير نسر السماء وزمامه ولا يرمق من برجات بروجها
غير عين الشمس والمقل التي تطرف من أنجمه وحوله كل شامخ تهيب عقاب
الجو قطع عقابه وتقف الريح حمرى اذا توقلت في مضابه تخفق العيون
اذا رمت سملوك مادونه من المهاجر ويحيى الفكر صورة الترقى اليه لا يبلغها
حتى تبلغ الغيوب الخناجر وحوله من الأودية خنادق لا تعلم منها الشهور
الابانصافها ولا تعرف فيها الالهة الا بأوصافها (وقال الشيخ جمال الدين بن
نباتة) من باب محرم الخاطر واداهى سماء يتقاعس الفكر عن محاولة شهبها
وحسناء كلما رمت أن تنظر وجهها الحسن فكان قرص الشمس مرآة وجهها
تראה من بروجها السماء بالمناكب وتضيء اضائة نجومها الثواقب وتلقى
اذا عطشت كوكب الدلو بأرشية البروق في قلب السحاب لا تسامى
ولا تسام ولا يحصل منها قادم - فرا لا على معانة العوالي ومصافحة السهام
(وقال علاء الدين بن غانم) ذات أودية ومجايل تراها العيون لبعدها
الاشعرا ولا ينظر ساكنها العمد الكبر الانزرا ولا يظن ناظرها الا أنها

طالعة بين النجوم من الهامن الابراج واهامن الفرات خندق يحفظها كالبحر الا
 ان هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ولها واد لا يقي لفحة الرمضاء ولا حر الهواجر
 وقد توهرت مسالكه فلا يداس فيه الاعلى المحاجر وتفاوت ما بين مرات العلا
 وقراره العميق ويقطم راكبه الهول في هبوطه فكانت اخر من السماء
 فتخطفه الطير وأتوهى به الريح في مكان سحيق (وقال سيدي الاخ العزيز
 الفاضل تقي الدين أبو بكر بن حجة النجوى) سلمه الله تعالى في وصف قلعة دمشق
 عندما حوصرت في الوقعة المشهورة ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد
 قامت قيامة حربيها حتى قلنا أزفة الازفة وقد ستر وابروجهامن الطارق وهم
 يتلون ليس لها من دون الله كاشفه واستجليت عروس الطارمة عند زفتها
 وقد تجهزت للحرب ولم ترض بغير الارواح مهر وقد أعقدت على رأسها تلك
 العصائب وقد توشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الابيض سوارا انهر
 وغازلت بحواجب قسيها ورمت القلوب من عيون مراميه بالنبال وأهدت
 الى العيون من مكاحل نارهأ كحالا كانت السهام لها أميال وطابها كل من
 الحاضرين وقد غلادست الحرب وشمع وهو على فرسه بنفسه الغالية وراموا
 كشفها وهم في رقعة الارض كأنهم لم يعلموا بأن الطارمة عالية وتالله لقد
 حست يقوم لم يتدرعوا بغير آية المحرس في الاسحار وقد استيقظوا لجمال قسيهم
 ولم تنم أعينهم عن الاوتار فأعبدوا رواسيها التي كالجبال الشامخة بمن أسس
 المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج (قات) ويحسن ذكر المنجنيق
 في هذا الموطن نقلت من خط القاضي صلاح الدين الصفدي قال نقلت من خط
 السراج الوراق لنفسه يصف حجارة المنجنيق

ترقى بمكر المنجنيق الى السها * وتعود تطلب مركزا رباها

وجت بها الاسوار ثم تكامت * لم لا وقد فتحت بها أفواها

وتولت السمر الطوال سواكها * وتغورها لا تتجلى بسواها

(وقال ابن النديم) من قصيدة مدح بها الاشرف و يصف دارا بناها بقلعة أخلط

سقى الله من أعلام أخلط قلعة * يحوم بها نسر السماء على وكر

ودار على خد الطوالع أسست * فمن حل فيها في أمان من الدهر

تجلى مدي الابصار لمع بياضها * فأحسبها قد ألبست بهجة الدر

وقد أثبتت أركانها من نقوشها * تمائيل روض لم يزل يائع الزهر
 تكاد تشم المسك من نسماتها * و يقطر من أرجائها ورق التبر
 تمر وتلهي ساكنيها بحسنها * فان شئت أغنت عن غناء وعن خبر
 اذا فتحت أبواب مستبشر بها * جلت لك نور البحر والوحش في البر
 فان شئت للآخرى فخراب ناسك * وان شئت للدنيا فريضة العمر
 وان جمعاً فله ما زال جامعاً * شئت العلاء لشرف بن أبي بكر
 (ولشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة) في مدرسة القاضي بدر الدين بن الجزولي بمصر
 تأمل ففضل سار في البر والبحر * ولي خبر في مصر يغني عن الخبر
 يقابلني المقياس يوم وفاته * بوجه فتاه لاح من خيال الستر
 فشباك برنوا لي بأعين * جلبن الهوام من حيث أدري وما أدري
 أهيم بها في مصر حتى كأنها * عيون المها بين الرصافة والبحر
 فلا عذري عندى للنسيم اذا سرى * وكفى الهوى العذري للصب من عذر
 تداوى بشرب الماء عندى جاعة * كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
 عما في من عـين الحيوة لانه * من الروض يأتي على قدم الخضر
 وبسطى روضى والقناديل زهرها * وتغر حباب الماء يبسم عن در
 فلا تعجباً من زائري ان توقدت * عايه مصابيح الطلاقة والبشر
 تشاهد منى العين في مصر روضة * ترى زهرها في الماء كالانجم الزهر
 وكمرودة أبدى دهاى حسنها * يبيت بها قلب المحسود على البحر
 (وله فيها)

داري صان المجار في أرجائها * ويذل فيها صين الاموال
 نسيت بها الاهرام لما ان غدت * بضياءها هولا من الاهوال
 (الشيخ شمس الدين بن القريه السكندري) فيمن له غلام اسمه ريحان
 ان الامير حياه رب العرش احسانا ومنه
 هو والغلام وداره * روح وريحان وجهه
 (حكى) عن سمارة انه كان رجلاً طاقاً بالبنيان فأمره النعمان بن امرئ
 القيس بن عمرو بن امرئ القيس اللخمي ان يبنى له حصناً بظاهر الجزيرة وهو
 الذي يقال له الخورنق فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه واتقان عمله فقال

له لؤوفه يتوفى أخرى لبنيته بنساء يدور مع الشمس كي فما دارت فقال النعمان
أقدرت على أحسن منه ولم تفعل فأمر بقتله من أعلاه وقيل انما قتله لانه لما
فرغ من بنائه خلابة وقال له ان هذا البنيان كله مردود الى هذا الحجر فاحتفظ
به فانه ان تزع سقط البناء كله فقتله لئلا يطالع على ذلك غيره فضربت به العرب
المثل وأكثرت فيه فقالوا جزاه الله جزاء ستمار (وقال الشاعر) أنشده ابن
مالك

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يحزى ستمار
(وقال عبد العزيز ابن امرئ القيس)

جزاني جزاء الله شر جزائه * جزاء ستمار وما كان ذا ذنب
(قال ابن النجيري) يقال رجل ستمار اذا كان حسن الوجه أبيضه ويقال للقمير
ستمار (ولما أراد المنصور) أن يبني بغداد في سنة أربعين ومائة سأل راهبا
كان في صومعة في مكان بغداد عندما أراد أن يختطها أريد أن يبني هنا مدينة
فقال له الراهب انما ينبغي مالك يقال له الدواني فضحك المنصور وقال أنا هو
وشرع في بنائها سنة أربعين ومائة ونزلها سنة ست وأربعين وفي سنة ست
وأربعين تم بناؤها وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على دجلة وهي
بين الهرات ودجلة كما جاء في الحديث لا بغداد الثانية وهي الجديدة التي في
الجانب الشرقي وفيها دور الخلاء وبغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر منها
محلة إلى غيرها على شاطئ دجلة فالذي في الجانب الشرقي الرصافة بناها
المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة (قلت) إحدى وخمسين
وهي مدينة مسورة والثانية مشهد أبي حنيفة مسورة والثالثة جامع السلطان
غير مسورة والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة
وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن
جعفر مسورة والسادسة الكرخ مسورة والسابعة دار المقر مسورة (قلت)
مكتوب على ظاهر المدرسة التي أنشأها الشيخ الامام العالم أوحى القراء أبو عبد
الله شمس الدين محمد بن الجزري تغمده الله برحمته بعقبة الكتاب عمرها الله
ببركته وأطمن أنها من نظمه

يادار عـلم لما أثر تعصد * وبصدرها تدرى العلوم وتسند

خلعت عليك الكائنات جالها * فلذلك سعدك دائما يتجدد
 أصبحت للراجلين قبلة قاصد * لكألهما تمنوا لوجوه وتوجد
 نظرتك شمس للعلوم منيرة * منها الطلاب الفضائل منجد
 يا ذا لال غير مذم * حاشاك من ذم وأنت مجد
 كم قلد الناس اجتهادك منه * فمدت مجتهدا وأنت مقلد
 طربت بذال معنى العقول فياله * من دار قرآن وفيه معبد
 بالامس كان على الطريق قامة * واليوم فهو على الحقيقة مسجد
 ما إن تراه مشاهدا مجاله * الا وتعجب من سناه فتشدد
 واذا نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد
 (وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب) في عمارة السلطان الملك الظاهر برقوق
 التي بناها بين القصرين عمرها بحياته عمارة الظاهر قد أصبحت أركانها شاهقة
 كالعلم وبشرت أحجارها بالبقاء وأنه يبلغ سن الهرم (وله) في رباط المعشوق
 الذي بمصر المحروسة المشرف بالآثار الشريفة

لنارباط وبالمعشوق شهرته * أثار خير الورى فيه بتحقيق
 يصبو فؤادي لمراه ولا يحجب * ان هام قلبي في أثار معشوق

(غيره)

أتيت الى المعشوق من بعد فرقة * وهجر وقلبي بالنوى يتضرّم
 فقبابتي والثرى بالزهر باسم * وما أحسن المعشوق للصّب يبسم
 (قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الفاضل اللغوى جلال الدين أبو
 المعالى بن خطيب داريا

يا عين ان بعدا تحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
 فاقدر حظيت من الزمان لطائل * ان لم تريبه فهو — هذه آثاره

(صلاح الدين الصفدى رحمه الله)

أكرم يا آثارا لنبى محمد * من زارها استوفى السعد ومراره
 يا عين ويحك فانظري وتمنى * ان لم تريبه فهو — هذه آثار
 (وقال الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى) موريا به وبغيره من سارة مدمر
 المحروسة

ولاية مرت بنا حلوة * ان رمت تشييد الهاء عتبرها
لا يبلغ الواصف في وصفه * حدا ولا يلقى لها منتهى
بت مع المعشوق في خلوة * ونلت من خروطه المشتبهى

(وقرات) في شرح قصيدة بنى الافطس التي شرحها الكاتب أبو القاسم عبد
الملك ابن عبد الله بن بدرون الحضرمي السلي رحمه الله عند ذكر كسرى هو
كسرى أنوشروان بن ساسان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة وقيل سبعا
وأربعين سنة وثمانية أشهر وهو الذي بنى سور الباب والايوان وجعل هذا السور
من جوف البحر مقدار ميل وبناه على الزقاق بابين الحديد والرصاص وكلما ارتفع
البناء نزلت الى ان استقرت في قرار البحر وارتفع السور على الماء فغاصت الرجال
بالمخناجر والسكاكين الى ذلك الزقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الارض في
قاع البحر وذكر المسعودي أن هذا السور كان باقيا سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة
ويسمى هذا السور الذي في البحر القيد وصعد هذا السور في أكر على جبل
المفتح أربعين فرسخا حتى انتهى الى طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من
هذا السور بابا من الحديد وأسكن من داخله أمة من الناس تراعى ذلك الباب
وما يليها من السور وذلك لدفع الاعم المتصلة بذلك الجبل وهم أنواع من الاعم
منهم اللان والجرز والترك والبرغز وغيرهم وذكر في كتابه هذا عند ذكر
المأمون ومن تسمى باسمه فتم يحيى بن ذى النون صاحب طابطة يحكى أنه بنى
قصر طابطة وتأنيق في بنائه وأنفق فيه أموالا كثيرة وصنع فيه بحيرة وبنى في
وسطها قبة وسبق الماء الى رأس القبة حوالها محيطا بها متصلا ببعضه ببعض
فكانت القبة في غلالة من ماء تسكب ولا تفتقر والمأمون بن ذى النون قاعد
فيها لا يمسه فيها شيء ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفع فيمنعها هو نائم فيها إذ سمع
منشدا ينشد

أبدي بنى بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لوعقات قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كان يوما يقتضيه رحيل
فما لبث بعده هذا الا يسيرا حتى قضى نحبه (أنشدني الشيخ شمس الدين
البحراني) من لفظه لنفسه وقد أمره القاضي فتح الدين بن الشهيد أن ينظم شيئا
يكنبه على طراز في صدر ايوانه

أيا من بطرز الدرا كما هم سمعت * قفوا وانظروا دارا الطرافة على خصري
وصدري لاسرار الممالك حائط * من الفضة البيضاء والذهب المصري
فن ذابضاهني افتقارا وقد غدت * خزائن اسرار الممالك في صدري
(نقلت) من خط الشيخ بهاء الدين الموصلی والد شيخنا العلامة عز الدين أبي الخير
الموصلی من مقامه وسمها بساوة الغريب وخلوة الحبيب منها في وصف
القصر الابقى بدمشق وقصرها الابقى ليس بالعقوق من شاهد يدع
معانيه لنهي عن العاشق والمعشوق قد شام في غمده مشهور عمدان واسل على
ايوان كسرى ستر النسيان بهر الناطر حسن معناه ولا يقدر على وصف محاسنه
من براه الماء مرفوع في اقطاره ونواحيه منتصب في فوار بركة لتميز تناظره
يتكسر جمعه على شاذر وانياته مجرورا باضا فته الى بحاريه فقد اجتمع لقاطنه
اضافة المعنى والحسن الباهر ولم يكمل ذلك اليها الا بكلال جمال الظاهر
أعين شبائيكه الى ميدانه الانحضر ناظرة قد جمع الصادح والباغم واللاقط
والطاغم به الظباء الاوانس والمهاالكوانس أقطاره عريضة طويلة
لا ترجع الابصار من السفر في زمنه الا كليله أنجلت خائله الايك والغصن
ولا ذالقائب بالسلوان عن اقتناء أثر السلوك في معانيه التي كلها عيون وقف
الاباق حين جرى الى منتهاه وأدركه الاعياء فسكن بأقصاه وشاهد الشقراء
تخرج في ميدان واديها فأراد الوصول اليه فعاوده الاضطراب فقطعت عليه
الانهار الطريق وضرب بينهم ما بسور له باب (الايوان) من بعده دمه بته
كسرى أبرر في نيف وعشرين سنة ومائة ذراع في عرض خمسين في مائة مائه
من الاجر البكار والجس وثخن الجدار الازج خمس اجرات وطول الشرف
خمس عشرة ذراعا وما بنى المنصور غدا حب ان ينقضه ويبنى به فاستشار خالد
ابن برمك فنهاء وقال هو آية الاسلام ومن علم أن هذابناؤه لا ينزل أمره
الاتي وهو مصلی على بن أبي طالب رضي الله عنه والمؤنة في نقضه أكثر من
الارتفاق به فقال أنت الاثم لاعم من العجم نهدت ثلثه منه فبلغت الفقه
عليها مالا كثيرا فأمسك فقال خالد أنا لأشير به دمه لئلا يتحدث بعجزك عنه
فلم يفعل وعلى ذكر الايوان فما أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه أجارة شيخنا
العلامة عز الدين أبو الخير الموصلی محاجيا

يا من له الطول في العالى * وبالعانى لنا يبصر
انى كما قلت فى سؤالى * مامثل قولى نعم مقصر
(القاضى فتح الدين بن الشهيد) على لسان مجلس داره وقد بنى لبعض الاجلاء
فى داره مجلس عال

يا من ينزه فى حسنى نواظره * اسمع صفات بها قد فقت أمثالى
انى مقام مقر عز جانبى * ودون قد وجناب المجلس العالى
(أنشدنى من لفظه لنفسه الأديب الفاضل الكامل شمس الدين أبو عبد الله
الجرائى) فى مجلس بناء سيدنا ومولانا قاضى القضاة وشيخ الشيوخ عظيم
الخطباء أبو الحسن علاء الدين بن أبي البقاء السبكى الشافعى تغمده الله برحمته
ومجلس قد قال لى منشى * مامثله فى الفضل قاضى القضاة
قد أسس البنيان منى على * تقوى من الله وأرضى الاله
فصرت كالكعبة من أجله * تسبى الى نحوى الخفاة العراه
فأسبى نحوى أخو شدة * الا ومن ربي لاقى رضاه
فلا سم منى فى الهيجا معرب * وانما للمدح قصدا بنائه
نخص بخفض العيش من أمانى * ورفعته يبنى بفصدا الخاه
قاض قضاى بالحق لكانه * جار على مامله كته يداه
فما اشتكى الفقر اليه امرئ * الا ونادى المال كنى رضاه

(وأنشدنى لنفسه) فسمع الله فى أجله فى نزل القاضى (فتح الدين بن الشهيد)
يا منزلا بالبهاء والحمد من ناظر من * طرزا للملك طرازي لست من طرزي
والناس دون محل الغيرة تصدنى * من القبول لاس السر فى حوزى
(ومن المباني العظيمة المذكورة فى القرآن العظيم ارم ذات العماد) قال أصحاب
الآثار ورواة الاخبار لما سمع شذا بن عاد بن أرم وصف الجنة سؤلت له
نفسه أن يبنى مثلها فبنى مدينة بين حضرموت وصنعاء طولها اثني عشر فرسخا
وعرضها مثل ذلك وأحاط بها سور ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشى خارجها
فضة مموهة بالذهب وبنى داخلها مائة مائة ألف قصر بعد دروساء أهل مملكته
بابن الذهب والفضة وكذلك جذوع ستوفها وأساطينها وأجوى فى وسطها نهر

صنع أرضه بالذهب وجعل على حافته أنواع الجواهر واليواقيت بدلا من
الحصباء وألقى فيه المسك والعنبر عوضا عن الحماة وفتح عنه جـدا واول الى تلك
القصور والمنازل وغرس على شطوطها من الاشجار ما كان لزهرة عرف ورائحته
ذكية وزعموا انه أقام في بنائها ثلاثمائة سنة فلما تم بناؤها زاد في طغيانه ولم
يعبأ بربه فبعث الله هردا عليه السلام يدعو به الى الله تعالى ويحذره سـطوته
ويخوفه نقمته فلم يجبه الى مادعاء اليه ونرج من حضرموت الى ذات العـماد
ليبلغ نفسه منها ما يستـكـاها فلما أشرف عليها جاءتته صحيفة من السماء فأهلكته
وجنوده وأفاته أمه ومقصوده (ويروي) أن عبد الله بن قلابه خرج في طلب
ابل نذت له فوق عليا فخـجل ما قدر عليه مما تم ذباغ خـبره عاوية فاستحضره
فقص عليه خبره فبعث الى كعب فقال هي ارم ذات العمداد وسيد خاها رجل من
المسلمين في زمانك أحرأشقر قصير على حاجبه خال وفي عنقه خال يخرج في طلب
ابل نذت له ثم التفت فـ رأى ابن قلابه فقال هـذا والله ذلك الرجل وزعم
الاحباريون أنه كان بها أربعمائة ألف وأربعمائة ألف عمود وله ذات
العماد (ومن المباني العظيمة سدذي القرنين) الذي بناه على يأجوج ومأجوج
وصفته على ما حكاه ابن جرود أنه أن مكانه جبل أمليس مقطوع بواد عرضه مائة
ونجسون ذراعا وفي جانبي الوادي عضادتان مبيتان عرض كل عضادة خمسة
وعشرون ذراعا كل ذلك مبني بابل الحديد مغيب في نحاس في سـمك خمسين ذراعا
وعلى العضادتين دروند حـديد طرفاه في العصاتين طوله مائة وعشرون ذراعا
وفوق الدروند بناء بتلك الابن الحديد المغيبة في النحاس الى رأس الجبل
وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرافات من حديد في طرف كل شرافة قران
يبني كل واحد منهما الى صاحبه وبين العضادتين باب من حـديد بصراعين
وبين كل مصراع خمسون ذراعا في خمسة أذرع وعلى الباب قفل طوله سـبعون
أذرع في غلط باع في الاستدارة وارتفاع العقول من الارض خمسة وعشرون
ذراعا وعتبة الباب عشرة أذرع بسـط مائة ذراع سوى ما كان تحت العضادتين
ويقال ان آلة البناء التي بنى بها هذا السد وجودة بمحسون بناها ذو القرنين
ورتب فيها حراسا يحرسون هذا السد وهي مغارف وبقيّة لبس كل ذلك من حديد
وان كل لينة ذراع ونصف في مثل ذلك في سـمك شـهر قد ألصق الصـدء بعضها

ببعض (ومن المباني المشهورة قصر غمدان وكان بصنعاء) قال الجاحظ أحبت العرب أن تشارك الفرس في البناء وتنفر بالشعر فبنوا غمدان وكعبة ببحران وحصين مارد والابلق ويزعم بعض الاخباريين أن بانيه حام بن نوح ويزعم آخرون أن يوراسف بناه على اسم الزهر (وذ كرابن هشام) أن الذي أسسه قحطان بن يعرب وأكمله بعده وأصله وائل بن حجر بن سبأ بن يعرب وخربه عثمان بن عفان رضي الله عنه وكانت صفة على ما نقلته من الكتب المدونة في الجحائب مربعاً أحداً ركانه مبني بالرخام الأبيض والثاني بالرخام الأصفر والثالث بالرخام الأخضر والرابع بالرخام الأحمر فيه سبع سقوف طباقاً ما بين السقف والأخر خمسة أذراعاً وجعل على كل ركن تمثال أسد من النحاس إذا هبت الريح دخلت من دبره وخرجت من فيه فيسمع له صوت كزهر الاسد وقال ابن الكابي كان على ركن من أركان غمدان مكتوب بالحجرية اسم غمدان معاديك مقتول بسيف العمدان وذ كرابن الجاحظ في كتاب الامصار أن قصر غمدان كان أربعة عشر غرفة بعضها فوق بعض ويزعم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا يستقيم أمر العرب مادام فيها غمدانها وهذا القول الذي حرض عثمان على هدمه وأثره باق على تل عال مطلق على البلد قريب الجامع (ومن المباني) التي تلي الزمان ولا تبلى وتندرس معالمه وأخبارها لا تندرس ولا تبلى الأهرام التي بأعمال مصر وهي أهرام كثيرة أعظمها الهرمان اللذان بجزيرة مصر غربي النيل يقال أن بانيهما شوندير بن سبأ وهوب بن شريق قبل الطوفان ويقال أن هرمس المثلث بالحكمة وهو الذي تسميه العبرانيون أخنوخ وهو أدريس عليه السلام أسندل من أحوال السكوا كب على كون الطوفان فأمر ببناء الأهرام وايداعها الأموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه من الذهب والدنور وكل هرم منها ربع القاع مائة مخروط الشكل ارتفاع عموده سبعة عشر ذراعاً يحيط به أربع سطوح متساويات الاضلاع كل ضلع منها أربع مائة ذراع وستون ذراعاً ويرتفع إلى أن يكون سطحه ستة أذرع في مثلها ويقال أنه كان على أعلاه حجر شبه المكعبة فرمته الرياح العواصف وهو مع هذا العظيم من الصنعة واتمان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يثأثر إلى الآن بعصف الرياح وهطل المطر وزعزعة الزلازل وهذا البناء ليس بين جاراته

ملاط ولا يتخال بينهما الشعر وطول الحجر منه خمسة أذرع في سمك ذراعين
ويقال ان بانيها جعل لها ابوابا على ازاج مبنية بالحجارة في الارض طول كل أزج
عشرون ذراعا كل باب من حجر واحد يدور بلولب اذا طبق لم يعلم انه باب
والازج الشرقي في ناحية الجنوب والازج الغربي في ناحية المغرب يدخل من
كل باب منها الى سبعة بيوت كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب
السبعة وكلها مقفلة بأقفال وحذاء كل بيت صنم من ذهب يحرق احدى يديه
على فيه وفي جبهته كتابة بالقلم المسند اذا قرئت انفتح ذر فيوجد فيه مفتاح ذلك
القفل فيفتح به والقبط تزعم انها والحرم الصغير المأون قبور فالهرم الشرقي
فيه سوندير الملك والهرم الغربي فيه أخوه هر جيب والهرم المأون قبر صاب
ابن هرمس واليه ينسبون على قول من زعم ذلك وهم يحبون انهم ساريد مجنون
عندها الديكة وينزعون أنهم يعرفون عند اضطرار ابياء عند الذبح ما يريدون به من
الامور المغيبة ولم تنزل هم الملك قاصره ان انما في كتاب ابن ابراهيم الى ان
ولي المأمون وورد مصر أمر بفتح واحد منها فخرج به دعاء ساريل واتفق بسعادته
المعينة له على تحصيل غرضه الى ان فتح كما اسالك من ه الى الارض المطلوب
وهو زلافة ضيقة من الحجارة الصوان الساع الذي لا يذمها الحديد بين حاجبين
ملتصقين في الحائط قد تفرقا في الزلافة لا تنزلي وتفرق الزلافة بتر شاة تبعيه
القعر ويقال ان أسفل البئر ايوانا يدخل منه الى مواضع كثيرة يرتد فادع
وعجائب وانتهى بهم الطريق الى مواضع مربعة في وسطها حوض من رخام
مغطى فلما أزال عنه عطاؤه لم يوجد فيه الاية تاليد قد أتت عليه الصد
الخالية فأمر المأمون بالكف عما سواها (رسم من زلافة من ذلك) فلهذا الهرام
فقال كل بناء أخاف عليه من الدهر الا هذا البناء واثبات على الهرام
(وهما قيل فيه من الشمس) عون النقي عمار الى

خليلي ما تحت السماء أبية
بناه يناف الدهر منه وكلما
وبالغرب من الأهرام على عمود وجه الإنسان
ويقال إن اسمه بالغبطية بآونة
أشلا بنجاب على أرضه الحزر

الطين الابيض (ومن العجايب منارة اسكندرية) وهي مبنية بحجارة مهندسة
مضوية بالاصاص على قناطر من زجاج والقناطر على ظهر سرطان من نحاس فيها
نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى سائر البيوت من داخلها والبيوت
طاقات ينظر منها الى البحر وبين أهل التار يخ خلاف فيمن بناها فزعم قوم أنها
من بناء الاسكندر بن فيلبس المقدوني وزعم آخرون أنها من بناء دلو كاه ملكة
مصر و يقال انه كان على جانبه الشرقي كتابة وأنها انقلت فوجدت بنت هذه
المنظرة قرناء بنت مرسوس اليونانية لترصد الكواكب ويقال ان طولها
كان ألف ذراع وفي أعلاها ثمانين من نحاس منها تمثال قد أشار بسبابته
الى نفي نحو الشمس أيما كانت من الفلك يدور معها حيث دارت ومنها تمثال
وجهه الى البحر متى صار العدو منهم على نحو من ليلة سمع له صوت هائل
تعلم به أهل المدينة طروق العدو ومنها تمثال كلام مضى من الليل ساعة
صوت صرنا مطربا و يقال انه كان أعلاها امرأة يرى منها قسطنطينية
وبينهما عرض البحر وكلما جهز الروم جيشا روى فيها (وحكى المسعودي) ان
هذه المنارة كانت في وسط الاسكندرية وانها أعظم من بياض العالم العجيب
بناها بعض البطالمة من ملوك اليونان بعد الاسكندر بقليل كان بينهم وبين
الروم من الحروب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة حرقبا وجعلوا في أعلاها امرأة
من الاجبار المشقة فكشف نهبها كعب العدو اذا أقبلت من رومية على مسافة
تجزي الابصار واكتفى بها ملوك الروم لما سمعوا بها الملوك في مثل ذلك
الى الوليد بن عبد الملك بأن أنشئ نحوها صورة مما جاءته الى بعض ثغور الشام على
أنه راغب في الاسلام وأخرج كموزاود فائن كانت في الشام ما جعله على أن
صنعه أن تحت المنارة أمرا وأسلمه فتمها الاسكندر فنهزمه جماعة الى
الاسكندرية فهدم ذلك المنارة وأزال الرأفة ثم ظن الناس انها مكيدة منه
واستشعر ذلك فهر في مركب كانت له معدة ثم بنى ما سدم بالجص والاجر ثم
قال المسعودي وطرل هذه المنارة اليوم في هذا الوقت الذي وضع فيه هذا
الكتاب وهو سنة ثلاث وثلثين رابعة وثلثون ذراعا وكان طولها قد عاينحو
من أربع مائة ذراع وبنائها في عصر ثلاثة أشكال فقرر بب من التات مربع
مبنى بحجارة بهض ثم بعد ذلك من الشكل بنى بالاجر والجص نحو ثمانين

ذراطا وأعلامها مدور الشكل وكان أجد بن طولون قد بنى في أعلامها قبعة من
الخشب ثم هدمت وبني مكانها مسجدا في أيام الملك الكامل صاحب مصر ثم
ان وجهها البحرى تداعى وكاد أن ينقض فرمم وأصلح وكذلك الرصيف وذلك
في أيام الملك الظاهر بيبرس رحمه الله (قلت) ذكرت هنا ما أنشدني من لفظه
لنفسه ومن خطه نقلت المرحوم الوزير فخر الدين بن مكائس في صاحب السنج
سراج الدين القوصى السكندري يداعبه

يا ذا السراج اشترى يرى فأنت به * أولى وذلك للامر الذى وجبا
سكندري وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ما قام منتصبا
(وأنشدني) من لفظه لنفسه سيدنا ومولانا المقر الجدى فضل الله ولد المرحوم
المشار اليه أولا دام الله نعمته محاجيا وكتب بها الى سيدنا ومولانا أوحده
المتكلمين نادرة الدهر المقر الاشرف الامينى كاتب الاسرار الشريف بدمشق
المحروسة أسبغ الله ظلاله

يا من سمى قدره نحو النجوم علا * فأوقع الضم قدسرافى مهالكه
ما بادة ان تحاجى فى اسمها فطنا * مصحفا قلت يشكو مكرماله
(فكتب) اليه الجواب المجناب المشار اليه

أحجية بدية أن صحفوا * نجسة أجزاء لها على قدر
وعكسوا باقيها وقدموا * فانما هى طفلة كقمر
(قلت) هذه الطريقة غريبة جدا ووجه الخلل فيها أن يأتى بالمرادف ثم يحذفه
فيكون المقصود ومثاله فى قول المقر الجدى يشكو مكرماله كه فان مرادف
يشكو يث و مرادف مكر كيد و مرادف مال كه ربه فيصير مجموع ذلك يث كيد
ربه فاذا صحفت هذه الكلمات تجد هاسكندرية وهى البادة المعنى بها فافهمه
وأما الثانية فقوله فانما هى طفلة كقمر فالمراد أن مرادف طفلة بنت ومرادف كقمر
كيد فيحصل من ذلك بنت كيد ثم تضيف الى ذلك معكوس هى وهويه فاذا
صحفت ذلك جميعه وجدته سكندرية وهذا من المعنى الغريب ولم يحلها أحد
من متأدبى دمشق والقاهرة غير سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين الخزومى
المالكى الشهير بابن الدمامينى أعز الله أحكامه وذلك بتاريخ سنة ست وتسعين
وسبعمائة وأنا بالقاهرة المحروسة (رجعنا) الى ما كنا بصددده وهما قبل فى البارة

من الشعر قول الوجيه الدروى

وشامية الارباع تهدي أظا السرى * ضياء اذا ما حندس الليل أظلم
 ليست بها بردا من الانس صافيا * فكان بتند كار الاحبة معلما
 وقد طلبتني من ذراها بقية * ألاحظ فيها من صحناني أنجبها
 تخيلات أن البحر تحت غمامة * واني قد خيمت في كبد السماء
 (وللقاضى الفاضل) لوصفه لبناء بيت المقدس من الرخام الذى يطرد ماؤه
 ولا ينطرد لآؤه قد لطف الحديد فى تجريعه وتفنن فى توسيعه الى أن صار
 الحديد الذى فيه بأس شديد كالذهب الذى فيه نعيم عتيق فساترى
 الامعاء كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمد كالاشجار لها من
 النبت أوراق (وقال أبو عبادة البحرى) يصف قصر ابناه المتوكل بسمر من
 رأى وسماه الكامل

غرف من مياذن فيه دنيا * يوجب الله فيه أجر الامام
 شوقنا الى الجنان فزدنا * فى اجتناب الذنوب والآثام
 (وله) يصف قصر آخر بناه المتوكل وسماه الجعفرى

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن * ليتم الا بالخليفة جعفر
 ملك تبوأ خير دار است * فى خير يد وللإمام ومحضر
 فى خير مشرفة حصاها أولو * مبيضة والليل ليس بمقهر
 رفعت بمنخرق الرياح وجاوزت * ظل الغمام الصيب المستعبر
 وهذان القصران من جملة قصور بناها المتوكل وهى بركوانا والعروس
 والبركة والجوسق والمختار والغريب والبديع والصبيح والمليح
 والقصر والبرج والمتوكلية والقلايا (حكى المؤرخون) أنه أنفق فى بنائها
 مائتى ألف ألف وأربعة وسبعين ألف درهم ومنها ذهب بصرف الوقت مع
 ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف وخمسة مائة ألف وخمسة وعشرون ألف دينار
 وكان البرج من أحسنها وكانت فيه صور عظيمة من الذهب والفضة وبركة عظيمة
 غشى ظاهرها وباطنها بصفايح الفضة وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر
 بصوت ويصفر سماء طوبى بلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وستمائة
 ألف دينار (ومن المباني العظيمة) جامع دمشق ذكر الشيخ عماد الدين بن

كثير في تاريخه البداية والنهاية وفي سنة ست وتسعين من الهجرة تكامل
ببناء الجامع الاموي بدمشق المحروسة على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد
المالك بن مروان بخواه الله عن المسلمين خيرا وكان أصل موضع الجامع قديما
معبد ابنته اليونان والكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق وهم وضعوها
أول ما بنيت وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيزة وكانت أبواب دمشق
سبعة وهي القمر الذي في سماء الدنيا وعطار في السماء الثنية والزهرة في
الثامنة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في
السابعة وكانوا قد صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكل الكوكب من
هذه الكواكب السبعة وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها اقصادا لذلك
وكان لهم عند كل باب عيكة في السنة وهؤلاء هم الذين وضعوا الارصاد
وتكاملوا على حركات الكواكب واتصالاتها ومفارقاتها وبنوا دمشق
واختاروا لها هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين وسرفوه
انهارا تجري الى الاماكن المربعة والمنخفضة وسلموا الماء اليها في اذنية
الدور وبنوا هذا المعبد وكانوا يصلون الى القطب الذي في الشمال فكانت سماريته
تجاه الشمال وبابه يفتح الى جهة الشماله خلف الحراب اليوم كما شاهدنا ذلك عيانا
وهو باب حرس من اشجاره اخوة من بني ربيعة المالكين في ايام بني امية
وكان غربي المعبد قصر منيف جدا له هذه الالهة التي بناها الربيع بن قيس
عصر حيزون داران يكونان ثلث دمشق قديما وهما راسكاريهم امدد ثلاث
دور عظيمة يحيط بها سور واحد وهي راسكاريهم راسكاريهم راسكاريهم
تكون مكان الحصر التي بناها ابيهم اثنان الحادط بن ساسان بن ساسان بن ساسان
كتب بعض الاوائل انهم مكثوا يحدسون الطالع بيا هذه الالهة كما كان
عشرة سنة فوجدوا حفروا أساس احد راسكاريهم لودت الالهة فيه
الكوكبان اللذان اراد ان يأتيا المسجد فاحسبوا انهم قد وجدوا
كعب الاحبار وان هذه الدار دابة لحياتهم لئلا يكونوا في الحيرة
والسلطنة قال الشيخ اما المعبد فابن حيزون بن ابي حيزون بن ابي حيزون
ولا يخلو حتى تقوم الساعة وانهم صودوا البرنات اسير راسكاريهم هذه الالهة
فكرنا هذه نقي مدادها طرأ اليه تنبيه على ان هذه الالهة قد بنيت في ارضهم

بنى جدران هذا الجامع الاربعه هود عليه السلام وقد كان هود قبل ابراهيم
 الخليل بمدة طويلة وقد ورد ابراهيم عليه السلام شمالي دمشق عند برزة وقتل
 قوما من أعدائه فظفر بهم وكان مقامه لما قاتلتهم عند برزة وهذا المكان المنسوب
 اليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة وكانت دمشق اذذاك عامرة أهله
 بن فيها من اليونان وهم خصماء الخليل وقد ناطرهم الخليل في غير موضع في
 بلادهم الكواكب كما قررنا ذلك في التفسير وفي قصة ابراهيم الخليل عليه
 السلام والمعصودان اليونان لم يراوا بهرون دمشق ويبنون فيها وفي
 معاملاتهم من سوران وغيرها البنائات الغربية الجبية حتى كان بعد المسيح
 عليه السلام بمدة نحو من ثمانمائة سنة فتصرفت أهل الشام على يد قنيطين بن
 قسطنطين الذي بنى المدينة المشهورة في بلاد الروم وهو الذي وضع لهم القرايين
 روضته بباركة النصراني يمانية اخترعها مركبا من أصل دين النصرانية ممزوجة
 بشي من عبادة الاوثان وصلوا الى المشرق وزادوا في الصيام وأحلوا الخنزير
 وعلموا أولادهم الامانة الكبيرة في ما ينعمون به في الجمعية خبثانة كبيرة
 وقد نكحوا على ذلك فيهم ألف وبيئاهم بنى لهم هذا الملك الذي تنسب اليه
 الطائفة الماكية منهم كنائس كثيرة بدمشق وغيرها حتى يقال انه بنى في زمانه اثني
 عشر ألف كنيسة من ذلك كنيسة بنت نجم ومن ذلك خاتمه بذهبا مئة هيلالة
 الهندقانية والمعصود أنهم حثروا به انما الله الذي يريد دمشق معصوما عند
 اليرمان فجاءوا كنيسة بنوا له الانامح في مرقية وسمرقانة كنيسة مرتحبا ومنهم
 من يقول كنيسة يوحنا وبنا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مئة أنفة واستمروا
 النصراني على بنيتهم في ابد دمشق وغيرها نحو من ثمانمائة حتى بعث الله محمدا
 صلى الله عليه وسلم كان من شأنه لو ان الله عليه ساذ كراية في كتاب السيرة
 رقبته صلوات الله عليه الى ملك الروم في زمانه وهو في عصر ذلك الوقت واسمه
 هرقل يدعى الى الله متزوج من فيسكان من راجع تهريما بية النبي فيمان صخر
 ابن حرب ارتد ثم بعث الى الامراء الثلاثة ريبين حارثه وجمفر بن أبي
 والمال بن دابة بن رواح بن الحارث بن العباس بن روم اليهم جيشا كثيرا
 فقتلوه فلاحه الالهة وبنوا سمرقانة وسمرقانة والاسلام على قتال
 الروم وخرل الله لهم النصر فيهم في حروبهم والاسلام في ذلك السنة فخر

وضعف الحال وضيقه على الناس ثم لما توفي صلى الله عليه وسلم بعث الصديق
 الجيوش قبل الشام والى العراق كما تقدم في كتابنا هذا والله الحمد والمنة ففتح
 الله على المسلمين الشام بكاملها ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها كتب أمير
 الجيوش اذذاك وهو أبو عبيدة وقيل خالد بن الوليد لهم كتاب أمان وأقروا أيدي
 النصارى على أربع عشرة كنيسة كما ذكرنا وأخذوا منهم نصف هذه
 الكنيسة التي كانوا يسمونها كنيسة مرتجيا بحكم ان البلد فتحه خالد من الباب
 الشرقي بالسيف وأخذت النصارى الامان من أبو عبيدة وهو على باب الحجابية
 بالصلح فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف المسجد صلحا ونصفه الآخر عنوة
 فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقية فجعله أبو عبيدة مسجدا وكان قد صارت
 له اخرة الشام فكان أول من صلى في هذا المسجد أبو عبيدة رضى الله عنه ثم
 الصحابة بعده في البقعة التي يقال لها محراب الصحابة ولا يكن لم يكن الجدار مفتوحا
 بمحراب محن وانما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة والظاهر ان الوليد
 هو الذي فتح المحارب في الجدار القبلي وكان المسلمون والنصارى يدخلون من
 باب واحد وهو باب المعبد الاعلى الذي كان من جهة القبلة مكان المحراب
 الكبير اليوم فتصرف النصارى الى جهة المغرب الى كنيسة تهم ويأخذون
 المسلمون يمينه الى مسجدهم ولا يستطيع النصارى ان يجهروا بقراءة كتابهم
 ولا يضربوا بناقوسهم اجلالا للصحابة ومهابة وخوفا وقد بنى معاوية رضى الله
 عنه في أيامه على الشام دارا للامارة قبلي المسجد الذي كان للصحابة وبنى فيها قبة
 خضراء فعرفت الدار بكما لها بهاء فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا ثم لم يزل
 الامر كما ذكرنا من سنة أربع عشرة الى سنة ست وثمانين في ذي القعدة منها وقد
 صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك في شوال منها فنهزم على أخذ بقية
 الكنيسة وضافتها الى ما بأيدي المسلمين منها وجعل الجميع مسجدا واحدا وذلك
 لتأذى بعض المسلمين بسماع قراءة النصارى الانجيل ورفع أصواتهم في صلواتهم
 فأحب ان يبعدهم عن المسلمين ويضعف ذلك المكان الى هذا المسجد الجامع
 فطلب النصارى وسأل منهم ان يخرجوا له عن هذا المكان ويعرضهم منه
 اقطاعات كثيرة عرضها عليهم وان يقر لهم أربع كنائس لم تدخل في العهد
 وهي كنيسة مريم وكنيسة المصليّة داخل بابة شرقية وكنيسة تل الحنين وكنيسة

حميد بن درة التي بدرب الصيقل فأبوا ذلك أشد الإباء فقال اثنونا بهدكم الذي
 بأيديكم فأتوا بهدمهم الذي بأيديهم في زمن الصحابة فمقرئ بحضرة الوليد فادا
 كنيسة توما التي خارج باب توما عند النهر لم تدخل في الهدمة وكانت فيما يقال
 اكبر من كنيسة مرتجيا فقال أنا هدمها وأجعلها مسجدا فقالوا بل يتركها أمير
 المؤمنين وماذا كرم الكنائس ونحن نرضى بأخذ بقية هذه الكنيسة فأقرهم
 على تلك الكنائس وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة ويقال غير ذلك والله أعلم
 ثم أمر أمير المؤمنين بأحضار الآلات للهدم واجتمع اليه الأمراء والكبراء من
 رؤس الناس وجاءت أساقفة النصارى وقساقسهم فقالوا يا أمير المؤمنين أنا نجد
 في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يجب أن أحب أن أجن في الله والله
 لا يهدم فيها أحدا قبلي ثم صعد المنارة الشرقية ذات الاضالع المعروفة بالساعات
 وكانت صومعة فاذا فيها راهب فأمره بالنزول منها فأكبر الراهب ذلك قال فأخذ
 الوليد بقفاه ولم يزل يدفعه حتى أهدره منها ثم صعد الوليد على أعلا مكان في
 الكنيسة فوق المذبح الأكبر منها الشاهد وأخذ بالقبائه وكان لونه أصفر
 سقر جليا فغرزها في المنطقة ثم أخذ فأسا في يده فضرب في أعلاه حجرا فألقاه
 وتباعد الأمراء إلى الهدم وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات وصرخت النصارى
 بالعويل على درج جبرون وقد اجتمعوا هنالك فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو
 نائل رباح الغساني أن يضربهم حتى يذهبوا من هنالك ففعل ذلك وأمر نائبه
 على الخراج يزيد بن تميم بن حجر السلي بأحضار اليهود ليساعدوا في هدم
 الكنيسة فجاءوا فكانوا كالفيلة ذكروا الحافظ بن عساكر في ترجمة يزيد بن
 تميم هذافهدم المسلمون واليهود والوليد جميع ما جددته النصارى في تزيين
 هذا المكان من المذابح والابنية والمخنايا حتى بقي صرحه مرتبة ثم شرع في
 بنائه بفكرة جيدة على الصفة المحسنة التي تبقته التي لم يشهر مثلها قبلها على
 ما سئذ كره ونشيرا إليه وقد استعمل الوليد في بناء هذا المعبد خلقا كثيرا من
 الصناع والمهندسين والفيلة وكان المستحث على عمارته أخوه بعده وولي عهده
 من بعده سليمان بن عبد الملك ويقال ان الوليد بعث إلى ملك الروم يطلب منه
 صناعات الرخام وغير ذلك ليعمر واهذا المسجد على ما يريد وأرسل يتوعد لئن
 لم يفعل ليعزوت بلاده بالجيوش وليخرب كل كنيسة في بلاده حتى كنيسة

القدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم فبعث الملك صناعا كثيرة جدا وكتب اليه يقول له ان كان أبوه فهم هذا الذي تصنعه وتركه فانه لوصمة عليك وان لم يكن فهمه وفهمته أنت فانه لوصمة عليك فلما وصل ذلك الى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك واجتمع الناس عنده وكان فيهم المرزوق الشاعر فقال أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله قال وما هو ويحك قال قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جوابا للملك الروم ولما أراد الوليد بناء القبة التي في وسط الروقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها حفرها لآركانها حتى وصلوا الى الماء وشربوا منه عذبا ولا اثم انهم وضعوا فيه جوارا لكرم وبنوا فوقه بالمحجارة فلما ارتفعت الاركان بنوا عليها القبة فسقطت فقال الوليد لبعض المهندسين آمر لك أن تبني لي هذه القبة فقال علي ان تعطيني عهد الله وميثاقه أن لا يبنوها أحد غيري ففعل فبنى الاركان ثم غلفها بالبراري وغاب سنة كاملة لا يدرى الوليد أين ذهب فلما كان بعد السنة حضر فهم الوليد به فأخذوه معه رؤس الناس فكشف البراري عن الاركان فاذا هي قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الارض فقال له من هذا أبيت ثم بشاها فانهقدت وقال بعضهم أراد الوليد ان يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له المعمار انك لا تقدر على ذلك فضربه خمسين صوتا وقال ويلك أنا أعجز عن ذلك قال نعم قال فبيدنا ذلك فأمر فأحضر من الذهب ما سبك منه لبننة فاذا هي قد دخلها ألوف من الذهب فقال يا أمير المؤمنين أنا أرى يد من هذا كذا وكذا ألف لبننة فان كان عندك ما يكفي ذلك عملناه فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق له خمسين ديناراً ولما سقف الوليد الجامع جعل لسقفه جلوداً وباطنها مسطح مقرنص بالذهب فقال له بعض أهله أتعبت الناس بعدك في تطيين هذا المسجد كل عام فأمر الوليد أن يجمع ما في بلاده من الرصاص ليحعل عوض الطين ويكون أخف على السقف فجاء من كل ناحية من الشام وغيره من الاقاليم فعازوا فاذا عند امرأة منه قنطرة مقطرة فساوموها فيه فأبت ان تبيعه الا بوزنه فضة فكتبوا الى أمير المؤمنين بذلك فقال اشتروه منها ولو بوزنه فلما بدا لها ذلك قالت أما اذقتم ذلك فهو صدقة لله تعالى يكون في سقف هذا المسجد فكتبوا على الواحها بطابع لله ويقال انها كانت

اسرائيلية وانه كتب على الالواح التي أخذت منها الذي أعطاهم -م الاسرائيلية
وقال محمد بن عائد سمعت المشايخ يقولون ماتم المسجد بدمشق الابداء الامانة لقد
كان يفضل عنه -د الرجل من القرمة يعنون العملة الفلاس ورأس المسماة فيجي
حتى يضعه في الخزانة وقال بعض المشايخ بدمشق ليس بالجامع من الرخام
شي الا الرخامتان اللتان في المقام من عرش بلقيس والباقي مرمر وقال بعضهم
اشترى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين العامودين الاخضرين اللذين تحت
الدر من حرب بن خالد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار وقال دحيم عن الوليد
ابن مسلم لم حدثنا مروان بن جناح عن أبيه قال كان في مسجد دمشق اثنا عشر
ألف مرخم وقال أبو قصى عن دحيم عن الوليد بن مسلم عن عمرو بن مهاجر
الانصارى أنهم سبوا ما أنفق على الكرمات التي في قبلة المسجد فاذا هو
سبعون ألف دينار وقال أبو قصى أنفق في مسجد دمشق أربع مائة صندوق
في كل صندوق أربع مائة الف دينار قلت وذلك خمسة آلاف ألف
دينار وستة الف دينار وفي رواية في كل صندوق ثمانية وعشرون
ألف دينار (قلت) فعلى هذا يكون المصروف في عمارة الجامع الاموى
أحد عشر ألف ألف دينار ومئتي ألف دينار والله اعلم قال أبو قصى وأنى
الحرس الى الوليد بن عبد الملك فقالوا يا أمير المؤمنين ان الناس يقولون
أنفق الوليد أموال بيت المال في غير حقها فنودى في الناس الصلوة جامعة
فصعد المنبر وقال انه باغى عنكم كذا وكذا ثم قال عمرو بن مهاجر قم فأحضر
أموال بيت المال فحملت على البغال وبسطت على الانطاع تحت القبة وفتح
عليها المال ذهباً وفضة حتى كان الرجل لا يرى الا تحريم الجباب الاخر
وجى بالقبايين وقبنت فاذا هي تكفى الناس ثلاث سنين مستقبلة وفي رواية
ستة عشر سنة مستقبلة ولم يدخل للناس فيه شيء بالكافية ففرح الناس وكبروا
وجدوا الله عز وجل على ذلك ثم قال الخليفة يا أهل دمشق انكم تفتخرون على
الناس بأربع بهواتكم ومائتكم وفا كتهكم وجساماتكم فأحببت ان أزيدكم
خامسة وهى هذا الجامع فحمدوا الله وانصرفوا شاكرين وذكروا أن أرضه
كانت مفضة كلها والرخام في جدرانها الى قامات وفوق ذلك كرمة عظيمة من
ذهب وفوقها الفصوص المذهبة والخضر والحمر والزرق والبيض قد صوّرها

منابر البلدان المشهورة السكينة فوق المحراب وسائر الاقاليم عنسة وبسرة وماني
البلدان من الاشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك وسقفه مقرنص بالذهب
والسلاسل المعلقة فيه من ذهب وفضة وأنوار الشمع في أماكن متفرقة قالوا
وكان في محراب الحماية منه حجر من بلور ويقال حجر من جوهر وهي الدرة
وكانت تسمى القليلة وكان اذا طفت القناديل تضيء لمن هنالك بنورها فلما كان
زمن الامين بن الرشيد وكان يحب البلور بعث الى سليمان والى شرطة دمشق ان
يبعث بها اليه فسرقتها وسيرها الى الامين فلما ولي المأمون أرسل بها الى دمشق
ليشنع بذلك على الامين قال المحافظ بن عساكر ثم ذهبت بعد ذلك فجعل
مكانها بناية من زجاج وقد رأيت تلك البناية ثم انه كسرت بعد ذلك فلم يجعل
مكانها شيئا وكانت الابواب الشارعة من الداخل الى الحن ليس عليها أغلاق
وانما عليها الستور مرخاة وكذلك الستور على سائر جدرانها الى حد الكرامة التي
فوقها الفصوص المذهبة ورؤس الاعمدة مطلية بالذهب الكثير وعملوا له
شرفات تحيط به وبني الوليد المنارة الشمالية فيه التي يقال لها مأذنة العروس
فأما الشرقية والغربية فكانتا قبل ذلك بدهور متطاولة وقد كان في كل
زاوية من هذا المعبود صومعة شاهقة جدا بنتها اليونان للرصد فسقطت وبقيت
القبليتان الى الآن وقد احترق بعض الشرقية بعد الاربعين وسبع مائة
ونقضت وجرى بناؤها من أموال النصارى حيث اتهموا بحريقها فقامت على
أحسن الاشكال بيضاء بذاتها والله أعلم الشرقية التي ينزل عليها عيسى بن مريم
في آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت في صحيح مسلم عن النوايس بن سمعان
والمقصود أن الجامع الاموي لما اكتمل بناؤه لم يكن على وجه الارض أحسن
بناء منه ولا أبهى ولا أجل منه بحيث اذا نظر الناظر في أى جهة منه أو الى بقعة
أو الى مكان منه تحير فيما ينظر اليه لحسنه جميعه وكانت فيه طلسمات من
أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيء من الحشرات بالكاية لا من الحيات
ولا من العقارب ولا الخنافس ولا العناكب ويقال ولا العصافير أيضا تعشش
فيه ولا الحمام ولا شيء مما يأذى به الناس واكثر هذه الطلسمات أكلها
كانت مودعة في سقف الجامع مما يلي السبع فاحترقت لما وقع فيه الحريق
وكان ذلك ليلة النصف من شعبان بعد العصر من سنة احدى وستين

وأربع مائة وما زال سليمان بن عبد الملك في تكميله وزيادة مدة ولايته وحدثت له فيه المقصورة رجع الله فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يحرد ما فيه من الذهب ويقاع السلاسل والرخام والسقوف ويرد ذلك كله إلى بيت المال ويطين ذلك كله فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرافهم إليه وقال خالد بن عبد الله القشيري أنا أكله لكم فلما اجتمعوا قال خالد يا أمير المؤمنين بلغنا أنك تريد أنك تصنع كذا وكذا قال نعم قال خالد ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين قال ولم يا ابن الكافرة وكانت أمه نصرانية رومية فقال يا أمير المؤمنين إن كانت كافرة فتدولدت رجلا مؤمنا قال صدقت واستحيي عمر قال فلم قلت ذلك قال يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام انما جعله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم وليس هو من بيت المال فأطرق عمر رجع الله قالوا واتفق في ذلك الزمان قدوم جماعة من الروم رسالة من عندهم لهم فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا إلى الباب الكبير الذي تحت النسر فلما رأوا ذلك النور الباهر والزخرفه التي لم يسمع بمثلهما صعد كبيرهم مغشيا عليه فحملوه إلى منزلهم فبقي أياما مدنا فلما تمائل آلوه عما عرض له فقال ما كنت أظن أن تبني المسلمون مثل هذا البناء وكنت أعتقد أن مدتهم تكون أقصر من هذا فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال وإن هذا ليغيظ الكفار دعوه والمقصود أن الجامع الأموي كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا نظير في حسنه وبهيجته قال الفرزدق أهل دمشق في بلادهم قصر من قصور الجنة يعني به الجامع الأموي وقال أحمد بن أبي الخوارى عن الوليد بن أبي مسلم عن أبي ثوبان ما ينبغي أن يكون أحد أشد تشوقا إلى الجنة من أهل دمشق لما يرون من حسن مسجدنا ولما دخل المهدي أمير المؤمنين العباسي دمشق يريد زيارة بيت المقدس فنظر إلى جامع دمشق قال لكاتبه أبي عبد الله الأشعري سبب قنابنة وأمية بثلاثة بهذا المسجد لأعلم على ظهر الأرض مثله وبذيل الموالى وبعمر بن عبد العزيز لا يكون فينا والله مثله أبدا ثم لما أتى بيت المقدس فنظر إلى الصخرة وكان الوليد بن عبد الملك بناها فقال لكاتبه وهذه أربعة أيضا ولما دخل المأمون دمشق نظر إلى جامعها وكان معه أخوه المعتصم وقاضيه يحيى بن أكتم قال ما أعجب ما فيه فقال أخوه هذه الأدهان التي فيه وقال بن أكتم الرخام وهذه العقد فقال المأمون

انما أعجب من بنيانه على غير مثال متقدم وقال المأمون لقاسم التمار أخبرني
اسمها حسنا أسمى به جاريته هذه فقال سمعها مسجد دمشق فانه أحسن من كل شيء
وقال عبد الرحمن بن الحكم عن الشافعي عجائب الدنيا خمسة أحدها منارتكم
هذه يعني منارة ذي القرنين التي باسكندرية والثانية أصحاب الرقيم وهي بالروم
اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا والثالثة مرآة بيباب الاندلس على باب
مدينتها يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبها من مسافة مائة فرسخ والرابع
مسجد دمشق وما يوصف من الاتقان عليه والخامس من الرخام والفسيفساء
فانه لا يدري له موضع ويقال ان الرخام معجون والدليل على ذلك أنه
مذوب على النار قال الحافظ بن عساكر وذكر ابراهيم بن أبي الليث الكاتب
وكان قدم دمشق سنة اثنين وثلاثين واربعمائة في رسالة قال أمرنا بالانتقال الى
البلد فانتقلت منه الى بلد تمت محاسنه ووافق ظاهره باطنه أزقه أرجه
وشوارعه فرجه فحينما مشيت شممت طيبا وأين سميت رأيت منظر أعجيبا
وأفضيت الى جامع فشاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه
ولا الرائي أن يعرفه وجماله انه بكر الدهر ونادرة الوقت وأعجوبة الزمان
وغريب الاوقات ولقد أيقنت به ذكر ايدرس وجلت به أمرا لا يخفى
ولا يدرس

(ومما قيل في الساعات) قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زين انما سمي باب
الجامع القبلي باب الساعات لانه كان عمل هناك بالكار الساعات يعلم بها كل
ساعة تمضي من النهار عليها عصفير من نحاس وحية من نحاس وغراب فاذا
تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصفير وصاح الغراب وسقطت حصاة
في الطست (قلت) هذا الكلام يدل على أحد شيئين أما ان الساعات
كانت في الباب القبلي من الجامع وهو باب يسمى بيباب الزيادة ايرم ولكن قد
قبل انه محدث بعد الجامع وهو لا يخفى ان الساعات كانت عنده في زمن القاضي
ابن زبر وأما انه قد كان في الجانب الشرقي من الجامع في حائطه القبلي في باب
آخر في محاذ باب الزيادة وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كما الى باب
الوراقين اليوم وهو باب الجامع من الشرق والله اعلم وأما القبة التي في وسط
الجامع التي فيها المصباح المجاري ويقال لها قبة أبي نواس فكان بناؤها في سنة

تسع وستين ومائة أرتفع المحافظ بن عساكر عن خط بعض الدماشقة * وأما
القبعة الغريبة التي في وسط الجامع التي يقال لها قبعة عائشة فسميت شيخنا أبا
عبد الله الذهبي يقول أنها بنيت في حدود سنة ستين ومائة في أيام المهدي بن
المنصور العباسي وجعلوها الحواصل الجامع وكتب أوقافه * وأما القبعة الشرقية
التي على باب مشهد فقال بنيت على زمن الخواصم العبيدي في حدود سنة
أربع مائة * وأما الفؤارة التي تحت درج جبرون عملها الشريف نفرد الدولة
أبو يعلى حزة بن الحسين العباسي الحسيني وكأنه كان ناظرا لجامع وجر إليها
قطعة من حجر كبير من قصر حجاج وأجرى فيها الماء ليلة الجمعة لسبع خلون من
ربيع الأول سنة سبعة عشر وأربع مائة وعمل حواها قناطر وعقد عليها قبعة ثم
سقطت القبعة بسبب جمال احتكت فيها وذلك في صفر من سنة سبع وخمسين
وأربع مائة فأعيدت ثم سقطت عمدها وماء عليها في حريق اللبادين ودارا تجارة في
شوال سنة اثنين وستين وذلك كله المحافظ بن عساكر (قلت) وأما القصعة
التي كانت في الفؤارة فما زالت في وسطها وقد أدركتها كذلك ثم رفعت بعد
ذلك وكان بطهارة جبرون قصعة أخرى مثلها فلم تزل بها ثم لما تهدمت اللبادين
بسبب حريق النصاري في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة استوثق ببناء الطهارة
على أحسن مما كانت وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر وعمل الشاذروان
الذي هو شرق الفؤارة بعد النجسمائة أظنه سنة أربع عشرة وخمسمائة
(فصل) وكان ابتداء عمارته في أواخر عام سنة ست وثمانين وهدمت الكنيسة
في ذي القعدة منها فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء وتكامل في عشرين
فكان في هذه السنة أعني سنة ست وتسعين ووضع العمودان اللذان في
صحن الجامع لاجل التنوير في ليالي الجمع في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين
وأربع مائة بأمر قاضي البلاد أبي محمد فيما ذكره بنو عساكر في بعض تواريخهم
نقلت هذه الترجمة في بناء جامع دمشق من تاريخ المحافظ عماد الدين بن كثير
الذي سماه البداية والنهاية (ومن المستحسن مما قيل فيه) قول الشيخ جمال
الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

يا حسن ترخيم بجامع جلق * متناسب التركيب والتقسيم
بزيادة التحسين خالف قول من * قد قال ان النقص في الترخيم

(غيره)

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفي صدره معنى الملاحه مشروح
فان يتغالى في الزيادة معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح
(وقال بعضهم)

دمشق لها منظر رائق * وكل الى حسناتها تائق
وكيف يتماس بها بادة * أبي الله والمسجد الفارق
(قلت) أحسن منه قول من قال

انى أدلى على دمشق وطيبها * من حسن وصفي بالدليل القاطع
جعت جميع محاسن في غيرها * وانفارق بينهما بنفس الجامع
(وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي)

دمشق في الحسن لها منصب * عال وقد في الوري شائع
فمن قاس بها غـيرها * وقل له ذا الجامع المانع

(ذكر أبو الفرج الأصفهاني) قال حدثني بذلك جماعة منهم أبو عثمان يحيى بن
عمر قال قرأت في بعض الدواوين ان المتوكل أنفق على أبيته وقصوره والمسجد
الجامع ومنتهاته في حـلاوته يسر من رأى وأعمالها من الاموال ما لا يعلم أن
أحد أنفق على بناء مثله ومبلغ ذلك من العين مائة ألف وخمسين ألف دينار
ومن الدراهم مائتي ألف ألف وثلاثة وتسعون ألف ألف وخمسين ألف درهم
من ذلك القلايا مائة ألف وخمسون ألف دينار العروس ثلاثون ألف درهم
الشاة عشرون ألف درهم البرج ثلاثون ألف ألف درهم البركة ألف ألف
درهم الجوسق الابراهيمى ألف ألف المختار خمسة آلاف ألف الجمعة فرى
ثلاثة وعشرون ألف ألف البديع عشرة آلاف ألف المبيع خمسة آلاف
ألف الصبيح خمسة آلاف ألف التل خمسة آلاف ألف الجوسق في
الميدان خمسة مائة ألف بركوا زاء عشرون ألف ألف المسجد الجامع خمسة
عشر ألف ألف الغراء بدجلة ألف ألف القصر بالمكة وكاية خمسة عشر ألف
ألف أولوة خمسة آلاف ألف النهر بالمكة وكاية خمسون ألف ألف وبني
المعتر بعد ذلك البيت المعروف بالـكامل ولم أعرف مبلغ النفقة عليه وبني
المعتمد المعشوق والبيتين المعروفين بالغنج والبهج (كتب الشيخ جمال الدين

ابن نباتة) الى الجناب انقطي بن شيخ السلامة يصف * يقبل الارض ويسال الله
تعالى أن يديم أيام مولانا التي غفرت ذنوب الأيام والليالي وعمرت الوجرد بما
سمع عن أهل العصور الخوالي وينهى أنه سطر هذه الخدمة وقد تراءت عليه
معاني الشكر فلم يدري ما يذكره ولا ما يحصى به ويحصره الى أن ألقى السراح
وغض الجراح وأنشد

تعالى عن المداح قدرك رتبة * فاقصارهم عن مدحه غاية المدح
هذا على أنه الآن في نشو وسكره وذهول فكره باستجلاء هذه المنازل كل
شمال فيها شمول لابل الرياح الأربع على أرجائها قبول فهي الجنة وثناه
مولانا مسكها الأرج والهالة وأوصافه بدورها المبتلج والدينا إلا أنها المحسوبة
من العيش النضر ومحملة موسى وكل غصن من أغصانها الخضر ما شئت من
صدحات مهبوءه وبيوت معززه وسقف مرفوعة وثمرات كثرات الجنة
غير مقطوعة ولا ممنوعة وعقود على أجياد القضب من الازاهير وسوق
أشجار على نهر كأنه صرح عمرد من قوارير وكل دوحه تنحفر كما تنحفر العذراء
ومرجة هي نفس اللذة بدليل أن النفس خضراء وجد اول تتلوى في الروض
تلقى الراقم في الصعيد وأبكار وورد كما أشارت شفاء الملاح بالبعقل من بعيد
راواوين كأنما طارت الى الأفق بأجنحتها وشبابيك كأنما أصابت القلوب
من فتكات الهم بحديد أسلحتها وشرافات دلت على همة الامن ببيانها
وعلت حتى كأن الثريا عقدت على تراقيها وتجري ما ترق بمحواتها القلوب
النجافية ولا عيب فيها إلا الذبيم الواشي والعين الصافية قد مرج الله
تعالى بهما البحر ين يلتقيان وأخرج منهن ما في أعطاف الغصون اللواؤ
والمرجان ولواخذ المملوك في وصف المحاسن المبدعة والاصول المتفرعة
لكابر غصونها بأفلامه وأزهارها بثماره ونظامه ولا بلغ معشارها ولا حدث
بأخبارها ولكن ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كمال فجعلها الله أول
منازل نعيم مولانا المستقر وعمره بقائه أرجاها التي ينعم الامل ويعمر بمنه وكرمه
(صلاح الدين الصفدي) مضمنا

تقول دمشق اذ تغادر غيرها * بجامعها الزاهي البديع المشيد
جري لالتهماني حسنه كل جامع * وما قصبات السبق الالعبد

ابن سناء الملك من قصيدة صلاحية

كل القلاع تروم السحب في سعد * الا العواصم تبغي السحب في صيب
لوراءها النجم لم يظفر ببغيته * ولورماها بقوس الافق لم يصب
ملق اذ اعطشت والبرق ارسية * كواكب الدلو في بئر من السحب
جالسة النجم في أعلا مراتبه * وطالما غاب عنها وهي لم تغب
(شهاب الدين بن حجر)

أهوى الجالس بقعد الصدق الذي * فرشت به بسط الزهور وزخرفا
حفت به أيدي السعد و أبصرت * عيني به طير المسرة رفرفا
ذكر أبو عبد الله بكر بن عباس كاتب المنصور أبي يوسف يعقوب قال كان لابي
بكر محمد بن مجير وفادة على المنصور في كل سنة فصادف المنصور في إحدى وفاداته
فراغه من أحداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره في حضرة
مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتخفض لدخوله
وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا
أنشدوها أياه في ذلك فلم يزيدوا على شكره وتبجيله الخير فيما جاز من معالم
الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى الى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجير
فأنشد قصيدته التي أولها

أعلمني القى عصا السيار * في بلدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألمت به كرام المقصورة فقال يصفها

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكأنها سورا من الاسوار
وتكون طوراعنهم مخيئة * فكأنها ستر من الاستار
وكأنما علمت مقادير الوري * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالامام بزورها * في قومة قامت الى الزوار
بيد وفتبدو ثم تخفي بعده * كتهكون الهالات بالاقار

فطرب المنصور لسماها وارتاح لاختراعها والتفت الى الجراوى وكان
يعلم قلة تسليها لابي بكر وكثرة غضبه منه فقال سلم له الجرح ثم أنشده اذا لم تستطع
شيئا فدعه قال أبو عبد الله بن عباس نخرج أبو بكر بن مجير والشعراء يومئذ
يلومونه ان لم تكن أول من شدد حتى لا تخفى أشعارهم وتستر أعوارهم (السيد

الفاضل شمس الدين) ابن صاحب موفق الدين على الآمدني

وحصين قد أناف برأس هضب * منيف ذاهب في الجؤ سامي
تنفس في مرآة الافق حتى * كسافولادها صدأ الغمام
(محي الدين بن عبد الظاهر) يصف الجامع الاموي في ليلة نصف شعبان وايقاده
حيث لا تلح الاعين مصباحا وتود أنها لا ترى لتلك الليل الى صباحا اذ تنطقت
أركانها من الذهب بمناطق الذهب وبدت أشعتها في صفائه كأيدي
في الكأس وحاشاء الحجب لاسيما في ليلة النصف التي كم رفرف عليها
النسيم وكم خدمها الامن النسيم

كم للناس فيها لاح بدر * يروق العين منقاره الوسيم
بداوبدا الوقود فقلت بدر * تخدمته ترجلت النجوم
كم أضاه بوجهه ديجور وكم انعكست أشعة تلك الاضواء على وجهه المنير فكانت
نورا على نور

في خدوده لوري ربيع * ونصف شعبان في فؤادي

أو كمال قال الآخر

وحلت مناطق خصره فكأنه * شعبان كل حلاوة في نصفه
من كلام الاخ المحيب أبي بكر بن حجة وأوميت بعد ذلك الى الجامع الاموي فاذا
هولاً شتمات المحاسن حامع وأتيته طالبا للبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة
والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمكنت باذيال حسنه لما نشفت تلك
النفحات الشحرية وتشوقت الى المنظم والنثر لما نظرت تلك الشذور الذهبية
وآنت من جانب طوره نارا فرجع الى ضياء حسي واندشت لذلك الملك
السلاماني وقد زهى بالبساط والكرسي وقالت هذا ملك فاز من وقف في خدمته
خاشعا وشفى من لم يدس بساطه ويأتيه طائعا ومن الكلام الفاضل قلعة
تحمس العيون ان تتقضاها ويتوعد الامل أن يترقاها قد ضربت فوق الخيل
جرائها وابست لفة النجوم ويحق فانها ما برحت جيرانها وتطلعت للناظرين
محيية الا أنها عزت أن تكون السماء عنانها

*(الباب الثامن والاربعون في الحنين الى الاوطان
وتذكر من بهامن القطان)*

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع صوتا فارتاع فقبل له في ذلك فقال ظننت
أن ساكنا زعج من منزله وجاء أيضا حب الوطن من الايمان وقال ابن عباس
رضي الله عنهما لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى أحد الرزق
وكانت العرب اذا سافرت أخذت معها من تربة بلادها تستنشق ريحها وتطرحه
في الماء اذا شربته وهكذا كان المتفلسف من البرامكة اذا سافر أخذ معه من
تربة مولده في جراب يتداوى به ولما غزا اسفنديار بلاد الخزر اقبل بها فقبل
له ما تشتهي قال شربة من دجلة وشهيم من تراب اصفخر فأتى بعد أيام بماء
وقبضة من تراب وقبل له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم
بالوهم فنقه من علته (القاضي الفاضل)

بالله قل للنيل عني اني * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لي شاهد * ان كان طرفي بالبكاء بخيلا

(قال الاصمعي)

يا قلب كم خلقت ثم يئس * وأظن صبرك أن تكون جيلا
دعوات البادية فنزلت على بعض الاعراب فقلت أفدني فقال اذا نلت ان
تعرف وفاء الرجل وحسن عهده وكرم أخلاقه وطهارة مولده فانظر الى حنينه
الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه (ولما أشرف
الاسكندر على الموت) أوصى أن يحمل في تابوت ذهب الى بلاد الروم حيا في
وطنه ولما أدركت يوسف عليه السلام الوفاة أوصى أن يحمل الى مقابر آبائه
فمنع أهل مصر أوليائه فلما بعث الله موسى عليه السلام وأهلك فرعون حمله
الى مقابرهم فقبروا عليه السلام بأرض المقدس وروى أن أبان قدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم المدينة فقال له يا أبان كيف تركت مكة قال تركتهم
وقد حيدوا وتركوا الأذى وقد أغدق وتركت الثمام وقد خاص فاغرو وركت
عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لأعرابي أتشتاق الى وطنك قال
كيف لا أشتاق الى رهالة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها

(٢٩٣)

وكنا ألفناها ولم تك مألفا * وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالمحسن
كما تؤلف الأرض التي لم يطيب بها * هواء ولأماء وأكفها وطن
(آخر)

طيب الهواء بيغداد يورقني * شوقا إليها وان عاقت مقادير
فكيف أصبر عنها اليوم أذجعت * طيب الهواء بين ممدود ومقصود
ذكرت بهذين البيتين ما أنشدني من لفظه لنفسه الوزير العلامة فخر الدين
ابن مكانس وهو من مخترعائه

ان الهوائين يامعشوق قد عبثا * بالروح والجسم في سر وفي عان
فالروح تكفيك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصود فيك فني
(وقال الشيخ بدر الدين الدماميني)

أقول لمهتني كم ذا ألقى * من البلوى بظي فيك قاسي
أذكره بأشجاني فينسي * فأفديه غزالا في كاس
(أعرابي)

وتشكو إلى الدار فرقة أهلها * وبمثل ما بالدار من فرقة الأهل
(سليمان المحاربي)

إذا لم تكن ليلى بنجد تغيرت * بشاشة دنيا أهل فخر وطيبها
(آخر)

فما أحسن الدنيا وفي الدار خالد * وأقبحها لما تبجها — زغازيا
(ذوالرمة)

وقفت على ربع ليلة ناقتي * فازلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبته * تكلمني أجاره وملاعبه
(بشار)

وقفت بها صبي تطلب عرامها * بدمعي وأنفاسي براح وقطر
(آخر)

منازل لم تنظر بها العين نظرة * فتقلع الأعن دموع سوا كب
(البحترى)

أرى بين ملتف الأركان منازل * موائل لو كانت مهاها موائل

فكن معدا فيهن ان كنت عاذرا * وسرم معدا عنهن ان كنت عاذلا
(الواثلي وهو احسن ما قيل فيه)

سقيت ربوع الظاعنين فانه * غنى لك عن ما المعيون المواطيل
(واؤلفه)

وقفنا بربيع الحب والحب راحل * فحسول رجعا لينا ونحسول
وألقت دموع العين فيه سائلا * له من عبارات الغرام دلائل
اذا نفحة الاحباب منها تقسمت * تطيب بها أسفارنا والاصائل
تسير غرامى ساجعات غصونها * فنه على الخالين هاجت بلايل
مراتع الافى مرابع لذى * مطالع اقمارى بها والمنازل
(قال ابن جديس الصقلی)

ذكرت صقلية والاسى * يهيج للقلب تذكارها
فان كنت أخرجت من جنة * فاني أحدث أخبارها
ولولا لوحة ماء البكا * حسبت دموعى أنهارها
(الكفيلك) لمسافرق بغداد

لحقى على بغداد من بلدة * كئت من الاسقام الى جنة
كأنتى عند فراقى لها * آدم لمسافرق الجنة
(القاضى عبدالوهاب المالكي)

سلام على بغداد فى تحية * وحق لها منى السلام المضاعف
لعمرك ما فارقتها قاليا لها * واني بشط جانبيها العارف
ولكنها ضاقت على ترحبها * ولم تكن الاقدار من يساعف
فكانت تكحل كنت أهوى دنوه * وتأتى به أخلاقه فيخالف

(والعلامه) ذوالوزار بن لسان الدين بن الخطيب عند فراقه لانداس فى
واقعة المشهورة

أموطنى الذى أزججت عنه * ولم أرزى به مال ولادم
لئن أزججت عنك بغير قصد قصد * فقبلى فارق الفردوس آدم
(وقال ابن الرومى)

بلد صبحت بها الشيبية والصبي * وليست ثوب العيش وهو جديد

فاذا تمثّل في الضمير رؤيته * وعليه أغصان الشباب تميد
(قال علي بن عبد الكريم الصبي) تأني ابن الرومي بقصيدته التي مدح بها
سليمان بن عبد الله بن ظاهر وقال انصتغني وقل الحق أيمناً أحسن قولي في
الوطن

ولي وطن آليت أن لا يبعه * وان لا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة * كنعمة قوم أصبحوا في ظلالها
وحبيب أوطان الرجال اليهم * ما قرب قضاها الشباب هنالك
اذاذكروا أوطانهم ذكروهم * عهدوا لصبا فيها فحنوا لذلها
(أم قول الاعرابي)

أحب بلاد الله ما بين مدعج * الى توسلي ان يصوب غمامها
بلادها عشق الشباب تماثي * وأول أرض مس جادى ركامها
فقلت بل قولك لانه ذكر الموطن ومحبه وأنت ذكرت العلة في ذلك (وللشيخ
شهاب الدين بن أبي حجلة) من رسالة كتبها الى السيد زين الدين عمر الجعفي
خطيب جامع التوبة بدمشق وينتهي بهذه الذي أضر به من شوقه الشهابي
تاره وأخلى من زكائه مجلية طاره وتركه ملقى في الصهر يج كأنه في غيابة
الجب يلتقطه بعض السياره فلا بد والحالة هذه من آه على دمشق التي هي
جنة من تاه وباهى وحيران جيرونها التي اغار داء لسان الحب سماها
فما قلت ايه بعد هذا المسامر * من الناس الا قال قلبي آها
(غيره)

فيا وطني ان فاتني بك سالف * من الدهر فلي نعم لسا كنك البال
أى والله طامس المملوك اليها وأنشدود معه كالطر سلام الله يامطر عليها
مطر من العبرات خدتي أرضه * حتى الصبا ومقلتي سماؤه
(وقال الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا) فسمع الله في أجله ونقلتها من
خطه

خالي ان وافيقا الشام ضحوة * وعائنتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرا عني سـ الاما كنبته * بدمعي على مقري ولا تنس باسطرا
يكتب أبياتي الراحمة

يا صاحبي اذا التنايا اشرقت * ولحقتا منها نفور ازاهير
اشتتشتا ذاك النسيم فانه * مما تحمل من شمال هاجر
(وقال الشيخ شرف الدين بن عنين)

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة * وظالك يامة - رى على ظليل
وهل أريني بعدما شطت النوى * ولى فى ذرى روض هناك مقبل
دمشق فى شوق اليها مبرح * وان لمج واش أوالج - ذول
بلادها المحص - باه در وتر بها * عير وأنفاس الشمال شعول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصبح نسيم الروض وهو عليل
(ولما خرج الرشيد) الى أخذ أخته عاية معه فلما صارت بالمرج عمت شعرا
وصاغت فيه كحنا من الرمل وكنت الأبيات ليل - لعل بعض الفساطيط فى
طريق الرشيد فلما دخل الى مضرب المحرم بصربه فقرأه فاذا هو
ومغترب بالمرج يشكو شجوه * وقد غاب عنه الم - عدون على الحب
اذا ما أتاه الركب من نحر أرضه * تنشق تنشق فى براءة القرب
فلما قرأه - لم انه من فعل عاية وانها قد اشتاقت الى العراق والى أهلها فأمر
بردّها (الوليد بن زيدون) يتشوق الى مكان يدعى بالزهراء وكان اجتماعه
وولادة محبوبته

انى ذكرتك بالزهراء مش - تاقا * والافق طلق و مرأى الروض قد راقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله * ككأنه رقى لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفصى مبتسم * كما - لالت عن اللبات أطواقا
لا سكن الله قلبا عن تذكاركم * فلم يطر بجناح الشوق نفاقا
لو شاء حلى نسيم الريح حين سرى * وانا كم بفتى أضناه ما لاقا
فالا آج - دما كنا به - دكم * س - لولتم وبقينا نحن عشا
(وقال الشيخ مهذب الدين أبو الفرج عبد الله بن أسعد الموصلى الشافعى
الدهان) رجه الله يتشوق الى دمشق المحروسة

سقى دمشق وأياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديرها
من كل أدهم صهال له شمية * صفراء يسترها طوراً ويبدىها
ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى أحشاء أرضها

فما قضى حبه قاي لسريها * ولا قضى نخبه ودي لواديه
 ولا تسليت عن سلسال ربوتها * ولا نسيت بيتي جار جاريها
 كأن أنهارها ماضى ظباح شيت * خناجرا من نجين في حواشيه
 واهالها حين حلى الغيث عا طلها * مكالوا كتسي الاوراق عاريها
 وحالك في الارض صوب المزن مخله * ينيرها بغواديه ويسديها
 ديباجه لم تدع حسنا موقها * الا آتاه وما أبقى مواشيه
 ترنو اليك بعين النور ضاحكة * اذبات عين من الوسمي تيكها
 والدوح رب الهاريا قد اكملت * شبابها حين ماشا بت نواصيها
 نشوى تغنى لها ورق النجم على * أوراقها ويدا الانواء تسقيها
 صفالها الشرب فاخضرت أسافلها * حتى صفال الظل قابضت أعاليها
 وصفق النهر والاعصان قدر قصت * فنقطته بدر من تراقبها
 كأنما رقصها أوهى قلائدها * وخانها النظم فانتالت لآلها
 وأعين الماء قد أجرت سواقبها * والاعين النحل قد جارت سواقبها
 وقابل الغصن غصن مثله وشدت * أقمارها فأجابتها قاريها
 فلهما ظوللا سمع ما اقترحت * من وجه شادنهما أوصوت شاديها
 اذا العزيمة عن فرط الغرام ثدت * قلبا ثثنى له غصن فيثنيها
 ريم اذا جلبت حسنا لواحظه * للنفس حتى بخديه فيحييها
 جناية طرفه المحور جانبها * وآس عارضه المخضر آسها
 تقبل الكأس نخلي كلما شرعت * في ماء فيه فقاسته بما فيها
 اشتاق عيشي بها قدما فتذكرني * أيامي السود بيضا في لياليها
 ونحن في جنة لا ذاق ساكنها * يؤسا ولا عرفت بأسام غانيها
 سماء دوح ترذ الشمس صاغرة * هنا وتبدي نجوم من نواحيها
 ترى النجوم بها من كل ناحية * ممدودة كنجوم الزهر أيدىها
 اذا الغصون هز زناها النيل جنى * صارت كواكبها حصبا أراضيه
 من كل صفراء مثل الماء بانهة * كأنها جسر نار في تلظيها
 شهية الطعم تحلوا عندأكلها * بهية اللون تجلي عند رائيها
 ياليت شعري على بعداء ذا كرتي * مصابة لست طول الدهر ناسيها

عندي أحاديث وجد بعد بعدهم * أطل أجدها والعين ترويهما
 كم لي بها صاحب عندي له نعم * كثيرة واياها لا أؤدبها
 فارقته غير مختار فصاحبني * صباية منه تخفيني وأخفيها
 رضيت بالكتب بعد القرب فأنقطعت * حتى رضيت سلاما في حواشيها
 ان يعانى غير ذى فضل فلا يحب * يسمى على سابقات الخيل هانها
 والماء يعالوه أقداؤها رجل * أخفى الكواكب نورا وهو عالها
 لو كان جدد بحد ما تقدمنى * عصاية قصرت عن مسامعها
 مافي نخولي من عار على أدبي * بل ذاك عار على الدنيا وما فيها
 (الاديب الفاضل الكامل صفوان بن ادريس المريسي) يتشوق الى مرسية
 وطنه

لعل رسول البرق ينعم الاجرا * فينثره عني ماء عبرته نثرا
 معاملة أربوبها غير مذهب * فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا
 ليسقي من تدمير قط را حبيبا * يقر بعين القطران يشرب القطرا
 وتقرضه دون اللجج بين وانما * توفيه عيني من مدامعها تبرا
 وما ذاك تقصيره غير أنه * سحابة ماء البحر أن يروى الزهرا
 خليلي قوما فاحبس اطرق الصبا * مخافة ان يحصى بزفرتي الحجرا
 فان الصبار يح على كريمة * بآية ما يجري من الجنة السعري
 خليلي أعني أرض مرسية المنى * ولولا توخي الصدق سميت الكبري
 ووكرى الذي منه درجت فليتني * فجئت بريش العزم كى ألزم الوكرا
 وماروضة الخضراء قد منات بها * محترتها نهرا وأنجبها زهرا
 بأريج منها والخليج مجرة * وقد فطحت أزهار ساحتها الزهرا
 هنالك بين الغصن والقطر والصبأ * وزهر الربى ولدت آرابي العرا
 اذا نظم النصف الحيا فالخاطري * لم نظام الثمران ههنا شمر
 وان نثر ريح الصبا زهر الربى * تعلمت حل الشعر تسكبها نثر
 فواثد أشجار هناك اقتبس منها * ولم أر روضا غيره ينرقو البحر
 كأن هزير الريح يمدح روضها * فلا تأها من أراها به در
 أبارتعات الحسن هل فيك نظرة * من الجرف الاثنى الى الساكن العرا

فانظر من هذى لذلك كأتى * أغبر اذا غارتها أختها الانرى
هى الكاعب الحسنة تم حسنها * وقدت اها أوراقها حلالا خضرا
اذا خطبت أعطت دراهم زهرها * وما عادة الحسنة ان تنقد المهر
وقامت بعرس الانس قينة أيكها * أغار يدها تسترقص الغصن النضرا
وقل فى خاليج بلبس الخوت درعه * ولكنه لا يستطيع بها نصرا
اذا ما بدا فيها الهلال رأته * كصفحة سيف وسعها نبعة صفرا
وان لاح فيها البدر شبهت متته * بسطر بحين ضم من ذهب عشرا
وفى جرفى روض هناك تجافيا * لنه رتود الافق لو زاره فجر
كأنهم انحلا ن صفياما وقد * بكيا من رقعة ذلك الهرا
وكم بأبيات الحديد عشية * من الانس ما فيه سوى انه مر
عيانا كأن الدهر عرض بحينها * فاحات بساط البرق أفراسها الثغرا
عليهن أجري خيل دمي بوجتى * اذا ركبت جراء يدينها الصفرا
أعهدى بالفرش المنعم دوحه * سقتك دموعى انها مزنة شكري
فكم فيك من يوم أغر محجل * نقضت أمانيه فليتها ذكرا
هلى مذب كالبحر من فرط حسنه * تود الشريا أن تكون لها نحر
سقت أدمى والقطرا يهما انبرى * بقا الرملة البيضاء فالنهر فالبحر
واخوان صدق لو قصدت حقوقهم * لما فارقت عيني وجوههم الزهرا
ولو كنت أقضى حق نفسي ولم اكن * لما بت استجلى فراقهم المر
وما اخترت هذا البعد الا ضرورة * وهل تسجرا العين أن تفقد السفر
قضى الله ان تنأى بي الدار عنهم * أراد بذلك الله ان أعتب الدهر
والله لو نلت المنى ما جدتها * وما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أيانس بالذات قلبي ودونهم * حرام بحد الركب فى طيها شهرا
فديتهم بانوا وضنوا بكتبهم * ولا تحبهم منى اقيت ولا خبرا
ولولا عـلاهماتهم لعنيتهم * ولا كن عراب تخيل لا تحمل الزجرا
ضربت غبار اليد فى مهرق السرى * بحيث جعلت الليل فى ضربه حجرا
وحققت ذاك الضرب جع او عذة * وطرحا وتجميلا فأخرج لي صفرا
كأن زمانى حاسب متعسف * يطارحنى كسرا أما يحسن الجبرا

واستوان طاشت سهامى يائس * فان مع العسر الذى لم يبق يسرا

(واؤلفه عفا الله عنه)

تذكرت أوطانى وباحبذا الذى * لتلك القصور البيض والربوة الخضرا
وأشجار وادىها وبهجة جنكها * وقد نقر الشجر ور فى دفه تقرا
وتجعب ذلك الماوميل غصونه * فهذا به كسر وهذا به سكرى
وما أحسن الميعاد من تحبه * بمقعة الاسنى وإيمته القمرى
إذا الناس فى هرج ومرج بالهولهم * وقلبي بمن أهواه فى بلدة أخرى
ترى كل حزب لاهيا بسروره * وكل له شغل به قد غدا مغرى
إذا أصبحوا هزوا الشمايل بالندا * فينظر منه فوق أعطافهم درا
كرام إذا ولوا وطارنداهم * وللبائس المسكين يبغي به الاجرا
فآه على تلك العشايا وطيبها * وآه على حلو الزمان الذى مرّا
فيما طشق المعشوق لا تبذلوه * عن المزة الفيحاء والجمهة الغرا
إذا زرع اللوان واخضر أرضه * فلا تذكروا مصر ولا تذكروا الاهرا
ويا من يجارى أوبضاهاى بغيرها * تأمل فذا الميدان دونك والشقرا
نحليلى أحياء من ذكرت ومنزلى * بعيشيكما قولاً قفانبك من ذكرى
(واؤلفه أيضا) يرثى دمشق المظلومة ويصف ما حل بها من التبار فى سنة ثلاث
وثمانمائة

أجريت جسر الدمع من أجفانى * حزنا على الشـقراء والميدان
وتلاعبت أهـدا بها بـداهى * لعب السكاة بأرؤس الفرسان
وتوقدت نيران حزنى إذ رأت * تلك الربوع مواقدا النيران
لهفى على تلك البروج وحسـنها * حفت بهن طوارق الحدثان
لهفى على وادى دمشق ولطفـه * وتبدل الغـزلان بالشـيران
تزلوا ظلال الدوح فلا تسـل * ما حل بالأغصان والكتبان
سقطت غصون البان من قامتها * لما سمعن نواحق الغربان
وشكا المحريق فؤادها المـارات * نور المنازل أبدلت بدخان
جناتها فى الماء منها أضـرت * ففجبت للجنات فى النيران
كانت معاصم نهرها فضـية * والآن صرن كذائب العقيان

ماذا الاتركهم ومجتبها * فتخضبت منها بأجر قان
 كرهت جدا ولما حواقر خيلهم * فتسابق هربا كخيل رهان
 خافت حدود الارض من أفعالهم * فتلقت بعوارض الرمحان
 أذ كبت نار الصدر يا ورقاؤها * وتأثرت بلواعج الاشجبان
 تسكى على غصن وأندب قامته * فجـمـعنا نبيكى على الاغصان
 واحسرتاه على دمشق وقولها * سبحان من بالمغل قد أبلان
 طادنى الدهر الخثون بمغله * والجـمـم منه وقبلهم غازانى
 فمسالك تأخذ نارها من مغاهم * بالمحل ثالث سبعة وثمان
 لو طابت عينك جامع تنكر * والبركتين بحسنتها الفتان
 وتعطش المرحين من أورادها * وتهدم المحراب والايوان
 لا تتجفونك بالدموع مـلـونا * دمعاً حكى اللؤلؤ على المـرجـان
 قطرات جفن ترجعت عن حرقى * فكأنهن قـلـائد العـقـيان
 أبى أمية أين عين وليدكم * والمغل تقتل فى ذرى الاركان
 شربوا الخمر بـحـمـه حتى انتشوا * ألقوا عرابدهم على النسوان
 لم يرجوا مـفـلا بكى فقلوبهم * فى الفتك صخر لا أبوسـفـيان
 قصوا جناح النسر بعد نهوضه * ياليتـه لو فاز بالطـيران
 ألواحـه أجرت دموعى أسـطـرا * كتبت على اللوحين من أجفانى
 ان أنـكروا يوم الحساب فعالمهم * فشهدنا عثمان ذو القرآن
 له فى كتب العلوم ودرسهـا * صارت معانيها بغـير بيان
 أعروـسـنالك أسـوة بحـماتنا * فى ذا المصاب فأنتمأ أختان
 ضابت بدور المحسن عن هالاتها * فاستبدلت من غرها بهوان
 ناحت نواعب الرياض لفقدهم * فكأنها الافلاك فى الدوران
 شتتهم أيدى سـبـايا دهرنا * وتلوت آى الجمع بالفرقان
 خزنى على الشهباء قبل جاتنا * هو أول وهى المحل الثانى
 لاتدع الاخران يا شـعـراءنا * السبق للشهباء فى الاحزان
 رنعت كلاب المغل فى غزلانها * وتحكمت فى الخمر والولدان
 له فى تلك الشعور وطولها * جرت بها الاعناق كالارسان

لهفي عليك محاسنا لهفي عليه * لك عرائسا لهفي عليك مغساني
 لهفي عليك منازلنا ومنازها * ومقام فردوس وباب جنان
 ان قال تحظى قال سيفي ضارب * او قال طرفي قال حدسنان
 ادمشقي آهاتي عليك كثيرة * كالدمع في جفن الكئيب العاني
 حسراتها لاتنقضي من خاطري * هي شغل أفكارى ونصب عياني
 لي أنه لي حرقعة لي لهفة * لي حسرة لي لوعة وكفاني
 أمنازل الاحباب كيف تبدلت * تلك الربي بمقاتل الفرسان
 ان لم أسل ماء العيون بحاريا * ماء الغمام يهاقنا أجفاني
 لاتنه جفن الصب في جريانه * دعني وشأنك يا غمام وشاني
 العين والانسان قدفقدنا معا * أبكيك يا عيني ويا انساني
 لم أدر من أبكى وأندب حسرة * للقصر للشرفين ثلبيدان
 للجهنم الغراء أم خلخالها * للزرة الفيحاء أم اللوان
 لا يحجر المشفق عن تذكارها * يا حجري بالظلم والعدوان
 شوق بها قاي أقول لك منشدنا * لك ان تشوقني الى الاوطان
 واذا أتيت بما جرى فربعهما * فعملي أن أبكى بدمع قاني
 ما كان أهني العيش في ساحاتها * والدار دارى والزمان زمانى
 أسفى على أيامها لاتنقضي * ما كان أهناها وما أهنافى
 أيام لاماء السرور وكدر * أرعى نضير العيش بل يرعاني
 ولقد وقفت على ربوع حباتي * فنسدبتهن فوادب الاحزان
 ولقد وقفت على الديار مناديا * بلسان مغسب ترب وعبر عاني
 يا دار ابن حباتي فأجابني * عنها المحريق بالسن النيران
 حكم القضاء فيهم ونفذ حكمه * فتشتتوا فرقا بكل مكان
 يارب لم شتاتهم بمحمد * سر الوجود وبهجة لا كوان
 ان لم نلذ في أمرنا بجنابه * فبمن يلوذ ويستجير الجاني
 أترى الاله مؤيدا سلطاننا * حتى أقول وعشت بالسلطان
 يارب فعل الذنب أصل بلائنا * فاصفح وجد الذنب بالغفران
 واغسل بماء الامن وجهه وجاثنا * واصرف بفضلك حاصر الطغيان

(٣٠٤)

واجه على جسمائنا أرواحها * يا جامع الأرواح بالجهنم
(تقى الدين السروجي يقول)
وإني رضيع التبت من ذاك الحى * نجيبات دور على الربى كاساته
سفع سفعت عليه دمي في ثرى * كالمسك ضاع من الفتاة فتاته
وفي المنزل حب الوطن تخرب بلاد السوء الكريم يحن إلى جنابه كما يحن الأسد
إلى غابه (وما أرق قول مزار بن هباش الطائي)
سقى الله أطلالا بالية الحى * وإن كن قد أبدين للناس ما يبى
منازل لو مرت بهن جنازتي * لقال صداما حاملا أنزلابيا
(لسان الدين بن الخطيب)

يا جنة فارقت من غرفاتها * دار القرار بما اقتضته ذنوبي
أسفى على ما ضاع من حظى بها * لانتقضى زفراته ونحيبي
إن أشرق شمس شرقت بعرقى * وتفيض في وقت الغروب غروب
حتى لقد علمت ساجدة الضحى * شجوى وجائحة الأصيل شجوى
وشهادة الإخلاص توجب رجعتى * لنعيمها من غير مس لغوب

(وله)

سلام على تلك المعاهدانها * مراتع الأوفى وعهد صحابي
وبأأنسة العهد أنعمى فإطالما * سكبت على مثواك ماء شبابي
(أنشدني صاحبنا الأعز الشيخ محمد الأندلسي الخياط) رحمه الله تعالى قال
أنشدني الشيخ شمس الدين أبو عبد الله المشرق رحمه الله
اشتاق للغرب وأصبر إلى * معاهد فيها وعصر الصبا
يا صاحبي تحوأي والليل قد * أرخى جلايب الدجى وأختبا
لا تعجبا من ناظر ساهد * بات براعى أنجبها غيبا
القلب في آثارها طائر * لما رآها تفقد المغربيا
(ورد على من سبى وأخى الجنب الشهابي ابن حجر) أعزه الله تعالى كتاب
من مكة المشرفة إلى دمشق المحروسة وفي أثنائها من متجدداته
أمر غرامى من عز ولوحاسد * فاعلان صبرى لا يشابه أسرارى
بليت بمن لم يدر مقل دار صبرى * فوالله في بعد الرحيل على الدارى

(نقائ) من كتاب فوائد الوفيات تأليف صلاح الدين السكيتي في ترجمة طراد بن علي بن عبد العزيز أبي فراس السلمي الدمشقي الكاتب المعروف بالبديع مات متولى مصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة

يا نسيم هب مسكاً عبقاً * هذه أنفاس ريا جلقاً
كف عني والهوى ما زادني * برد أنفاسك الا حرقاً
ليت شعري نقضوا أحبابنا * يا حبيب النفس ذاك الموثقاً
يا رياح الشوق سوق نحوهم * عارضاً من محب عيني غداً
وانثري عقد دموعي طامساً * كان منظوماً بأيام الاقلام

واشتهرت هذه الابيات وغني بها المغنون (قال بعضهم) مررت يوماً بشوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة جولة تفتاح من الشام فعبقت رواج تلك المحول فاكثرت التلفت وكانت أمامي امرأة سائرة ففطنت لما داخلني من الإعجاب الى تلك الرائحة فأومأت الى وقالت هذه أنفاس ريا جلقاً (ونقائ) من مجموع بخط العلامة المورخ قاضي القضاة شمس الدين بن خلدون كان تغمد الله بريحته قال النبي صلى الله عليه وسلم لا صيل الخنزاعي يا أصيل كيف تركت مكة قال تركتها وقد أيجن ثمامها وأثمر سلمها وأغدق اذخرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم دع القلوب في أما كنها (تفسير ما فيه من الالفاظ الغريبة) أيجن الثمام اذا خرجت جنته وهي خوصه والتمام نبت ضعيف له خوص وأثمر السلم اذا خرج والسلم شجر من الغضا الواحدة سلمة وأغدق الاذخر اذا ظهرت ثمرته والاذخر نبت (ونقائ من خط المحافظ اليعقوبي) كانت الامتعة الثمينة والذخائر النفيسة تأتي الى مصر وتباع ولا ينظر اليها يوسف عليه السلام واذا جاءت أجمال صوف من كنعان لا تحمل الا بين يديه (مرض عمار بن عباد) حين ولي الرقة فما كاد ينجح فيه دواء فقال له طبيبه سيده الهراء فبعث الى بغداد فحمل الهراء في جرب فكان يفتح كل يوم في وجهه جراب الى أن برئ

*(الباب التاسع والاربعون في دار سكنت كثيرة الحشرات

قليلة الخير عديدة النبات)*

(وابلغ ما سمع فيها قول كمال الدين بن الاعمى)

دارسكنت بها أقل صفاتها * أن تكثر الحشرات من حشراتنا
 الخبير منها نازح متباعد * والشردان من جميع جهاتها
 من بعض ما فيها البعوض عدته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها
 وبنات تسعدن براغيث متى * غنت لها رقصت على نعماتها
 رقص بتنقيط ولكن فاقه * قد قدمت فيه على أنحواتها
 وبها ذباب كالضباب يسد — بين الشمس ما طربى سوى غناها
 أين الصوارم والقنار من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها
 وبها من الخطاف ما هو معجز * أبصارنا عن حصر كيفياتها
 تغشى العيون بمرها ومجبتها * ويصم سمع الخلد من أصواتها
 وبها خفافيس تطير نهارها * مع ليلها ليست على عادتها
 شبهتها ببقنا فذم طيونا * نزع الطهارة نهجها شوكانها
 شوكانها فقت على سم القنا * في لونها وتسامها وثباتها
 وبها من الجردان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد في جلاتها
 وترى أباغ زوان منها هاربا * وأبا الحصين يروغ عن طرقاتها
 وبها خفافيس كالطنافس أفرشت * في أرضها وعلات على شرفاتها
 لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أرى الحكمة الصيد عن صهواتها
 وبنات وراذان واشكالها * مما يفرت العين كنه ذواتها
 متراحم متراكب متحارب * متراكم في الأرض مثل نباتها
 وبها قراد لا اندمال بجرحها * لا يفعل المشرط مثل أدتها
 أبدانهم دما لنا فكأنها * حجارة لبدت على كائناتها
 وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
 لا يدخلون مساكن بل يحطمو * نجلودنا فالهجوم سطواتها
 مارا عنى شئ سوى وزقاتها * فنعوذ بالرجن من نزعاتها
 مجعت على أوكارها فتظنها * ورق الحمام سجع في شجراتها
 وبها زنا بمرتظن عقاربها * بالابر للمسموم من لدغاتها
 وبها عقارب كالقارب مرثما * فينا حسانا لله لدغ جاراتها
 فكأننا حيطانها كغرابيل * أظن أروهم من طاقاتها

كيف السبيل الى النجاة ولا نجاة * ولا حياة لمن رأى حياتها
 السهم في نقشاتها والمكر في * لفتاتها والموت في لفتاتها
 منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت بزاقاتنا
 ولقد رأينا في الشتاء سماءها * والصيف لا ينفك عن صعقاتها
 فضحيجها كالرعد في جناتها * وترايبها كالويل من خشياتها
 واليوم ما كفة على أرجائها * والاليل يلح في ثرى عرصاتها
 والنار جزؤ من تلهب حرها * وجهه ثم تعزى الى لفتاتها
 قد رمت من قبل ان يلقي لآدم أمنا حواء في عرفتاتها
 شاهدت مكتوبا على أرجائها * ورأيت مسطورا على عتباتها
 لا تقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بأيديكم الى هلكاتها
 أبدا يقول الداعلون فناءها * يارب نج الناس من آفاتنا
 قالوا اذ اندب الغراب منازلا * تتفرق السكان من ساحاتها
 ويدارنا الفساغراب ناعق * كذب الرواة فأين صدق روايتها
 صبرا لعل الله يعقب راحته * للنفس اذ غلبت على شهواتها
 دارت بيت النجس تحرس نفسها * فيها وتنذر باختلاف لغاتها
 كم بيت فيها مفردا والعين شو * قال الصباح تسخ من عبراتنا
 وأقول يارب السموات العلا * بارازقا للوحش في فلواتها
 أسكنتني بجهنم الدنيا في * أنراى هب لي الخلد في خباتها
 واجمع بمن أهواه شمل عاجلا * يا جامع الارواح بعد شتاتها
 (حكى الزمخشري) في ربيع الابرار أن رجلا من أهل الشام اطلع على جرد أخرج
 من حجره دنانير كثيرة فتركها وأخذ يلعب بها ثم أدناها مكانها فقام الرجل وأخذ
 الدنانير فأقبل الجرد يثب ويضرب بنفسه الارض حتى مات (وحكى
 الشريشي) في شرح المقامات عن أبي محمد الحسن بن اسمعيل الضراب قال
 كنت قاعدا انسخ في ضوء الصراج وبين يدي قدح فيه ماء وظرف فيه كعك
 وزبيب ولوز فجاءت فأرة وأخذت لوزة ومضت ثم عادت أخرى فمذت الماء الذي
 في القدح فمذت الفأرة فكبت القدح عليها واشتغلت بشغلي ساعة فاذا قد
 جاءت فأرة أخرى فدارت حول القدح فسفسفت وبقيت ساعة على ذلك
 والمارة

والفأرة الأخرى تسف من داخل فلم تجد حيلة في خلاصها فقت وأنت
بدينار فوضعتهم ووقفت فلم أرفع القدح ففعلت ذلك إلى أن أتت بسبع دنانير
ووقفت ساعة فلم أدخل عن الفأرة فقت وأنت بقرطاس فارغ فعلت أنه لم يبق
عندها شيء فخلت عنها (قال الغندجيسي) رويت هذه الحكاية عن أشياخ
ثقة قيل إن الخصى من كل شيء أضعف من الفعل إلا الجردان فإن الخصى
يحدث فيه شجاعة وجرأة ولا بدع في ذلك فإن الجردان الكبار لا تدع الهر
وبنات عرس الاقتلتها فينبغي لمن في منزله شيء منه أنه يصطاد منه ذكرا
ويخصيه ويتركه في البيت فإنه يأتي على بقية الجردان بأسرها (وذكر
الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة) قال أخبرني الشيخ شمس الدين بن خضر
الدمشقي أحد كتاب المنسوب بدمشق سنة اثنين وخمسين وستمائة قال
حلت ثقال ذهب لأجل الكتابة به فاتفق أني نزلت من البيت وتركت في
الدواة بغير غطاء ثم رجعت إلى البيت ونظرت فلم أرى شيئا من الذهب في الدواة
فتعجبت غاية العجب فنظرت فإذا فار في جانب البيت وعلى خرطوميه أثر
الذهب يلعب فعلت أنه شربه فنصبت المصيدة ونزلت من البيت فالبث أن
وقع فيها فأخذت طاسة وجعلت فيها ماء وأمسكت بذنبه وجعلته يعوم في
الطاسة وكلما أراد الخروج رددته بذنبه إلى أن شرب ماء كثيرا وكاد يموت
فقبضت بذنبه ودليت رأسه إلى أسفل فجعل يستقي من حلقه الذهب محتالطا
بالماء الذي شربه إلى أن لم يبق منه شيء فغسلت الذهب مرة ثانية ووزنته فلم
ينقص غير قيراطين هكذا أخبرني أوكما قال (وحكى الكواشي) في تفسيره أن
أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما ألقى في النار جعل كل حيوان يطفئ عنه النار
إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار * وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتل
الوزغ وقال كان ينفخ على إبراهيم (وذكر الزمخشري) عن ابن عباس أنه قال
الوزغ يريد الشيطان يرسله ليفسد على الناس ملهم ومن العجب أن الأفعى
لا ترد الماء ولا تريده وإذا وجدت الخمر شربت منه حتى تسكر وكنية الأفعوان أبو
حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة وأرض حص لا تعيش فيها العقارب وإذا
طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لساعتها سمع غلام رجلا يقول أنا مثل العقرب
أضر ولا أنفع فقال ما أقل علمك بل لعمرى إنها لا تنفع إذا شق بطنها ثم شئت على

موضع اللسعة وتجعل في جوف اناه فخار ويسد رأسه ويطين جانبه ويوضع في التنور
فاذا صار رمادا يشفى به من به الحصاة مقدار نصف دانق فتفتت الحصاة وتلسع
الافى فيموت (حكى) أن عقربا لست مفلو جا فذهب عنه الفالج * وشتم رجل
الارضة فقال له بكر بن عبد الله المزني مه فهى التى أكلت الصحيفة التى تعاقد
المشركون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها تيقنت الجن أن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين وقيل لها لاى شئ تأكلين كتيب
المشتغلين فقالت ما آكل الا كتب الذين لا يشتغلون وقال لقمان لابنه
لا تكن الذرة كىس منك تجمع فى صيفها الشتاها الثلجة تغلق الحب أنصافا
لئلا تنبت فتفسد والكزبرة تغلقها أرباعا لانها من بين الحب ينبت نصفها اذا
قربت العقرب من الولادة أكلت أولادها جلدوها وخرقوه حتى يخرج وقد ماتت
الام وقال الشاعر فى ذلك

وحاملة لا يكمل الدهر جالها * تموت وبخوجها حين تعطب
اعاب الجراد سم لا يقع على شئ الا حرقه خطب المأمون يوما فوق الذباب على
عينيه فطرده فعاد مرارا حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى الظهر أحضر أبا الهذيل
فقال له لم خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة فقال صدقت وأجازه بمال
وقال الجاحظ فى منافع الذباب انه يحرق ويخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة
كانت عينها أحسن ما يكرن ولذا ترى المواشط تستعمله وتأمرون به العرائس وما
أحسن قول عنزة

وخلى الذباب بها فليس ينافع * عزدا كغسل السارب المترنم
هزجا بحبل ذراع بذراعها * قدح الكعب على لنناد الا جدم
قيل هذا من تشبيهات العقم وقال الجاحظ وجدنا المعانى نقات وتؤخذ
بعضها من بعض الا قول عنزة وخلى الذباب البذين وزعموا أن رجلا من ولد
حليمة ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن أصم بدخاى الله وأخذتهم
بالتدوير بالغ من حذقه أنه ربي ذبا يطا ديه الظباء والته مال وسرق منه
فبيع اليه ثلاثين درهما ورمى أسدا حتى صار أهليا وأصطاد به البحر
وأقر به نظام الوش من مرمى الزنا يرحى اصطاد به الذباب قال الجاحظ من
من علم المعصية أن وراء جلد الجاموس داء وأن لك الدم غدا وقد ما أنهما

طعنت في ذلك الجراد الغليظ الصلب فقد خرطوها مع ضعفه على غير معاناة ولو
 أنك طعنت بمسلة شديدة المتين لا انكسرت (وقال التيفاشي) ونما جرت به الناس
 كافة لاجل البقي الصابون فانه اذا طلى به الموضع التي بها البقي أي موضع كان
 من جدار أو سرير قتله ولم يعد اليه مادام أثر الصابون فيه قال صاحب الفلاحة
 البنطية اعلم أن القطران من أعظم شيء يكرهه النمل فتي أردت أن لا يقرب النمل
 شيئاً فخط حول ذلك خطاً من القطران مدوراً فان النمل لا يقربه وان طليت به
 حول حجرة النمل هربن صدق المحزون اذا أحرق حتى يصير كلساً أبيض وذرع على
 بيوت النمل هربن فان أقن به متن جميعاً وقال صاحب الفلاحة البنطية أيضاً
 حجر المغناطيس الجاذب للحديد اذا وضع على باب حجرة النمل لم يخرج من هربن
 الى تخزم الارض قال وأهل بلادنا يجعلون في وسط الكدس من الخنطة
 وغيرها من المحبوب من حجر المغناطيس وغيرها لئلا يدنونه النمل قال واذا
 غطيت اناء فيه غسل أو غيره بصوف أبيض من كبش ولا يكن منفوشاً لم يقربه النمل
 وكذلك اذا درت الصوف حول الاناء من أسفله لم يقربه النمل القمع المسوس
 اذا وضع في بيت فيه بقى فان السوس يأتي عليه بمجموعه ولا يدع منه بقعة واحدة
 وهذا صحيح مجرب والبنفستج اذا قطع قطعاً صغيراً وجعل عليه قليل عجين فان
 الهأرياً كله ولا تستطيع معدته أن تهضمه فيموت عن آخره وهذا ما جرب وصح
 عندهم عاشر الناس كافة (قال الشيخ شهاب الدين بن فضل الله)

وناموس له قـ رص أليم * نضوج له ومنه لنا نضوج

ومن عجب تراه العين أنا * مع الناموس يرتفع الضحيج

(وقال الشيخ ابراهيم المعمار في البراغيث)

ان البراغيث اللثام * قسوا على فقالت مالى

الاخجور لا خمرت * وقرصوني قلت أبالي

(ومن العجائب) ما ذكره ابن بدرون في شرح قيصدة بنى الافطس عنده ذكر

الواثق وجلالاته وهيبته فانه يحكى من هيبته انه لما ثقل في علته التي مات فيها

خيل اليهم في بعض الاوقات وقد أعمى عليه انه قضى فداناً منه تركي يقال له

ابتاخ ليعلم هل مات أم لا فلما دنا منه فتح عينيه ونظر الى ابتاخ فرجع القهقري

فانتشب طرف سيفه بالباب فاندق وسقط ابتاخ على قدامه فظروا هيبته له

ورعباد اخذه من نظره اليه فن الجاثب انه لم تمر ساعة من نظره الى ايتاخ الاوقه
 مات فأخذ وجعل في بيت فسا أقام به الا يسيرا فوجد قد أخرجت الفأرة عيذه
 فسبحان من لا يزول ملكه المنفرد بالبقاء لا اله الا هو العلي العظيم وعلى ذكر
 ابن بدرون فسا أحسن قول صاحب جمال الدين بن مطروح
 لك يا بدرون وجه * صار عنوان السعادة
 لا تخف نقصا ومحقا * أنت بدر وزياده

(وقريب) من هذه الواقعة ما ذكره الثعالبي في لطائف المعارف انه لما جىء
 برأس مروان بن محمد الى عبد الله بن علي أمر بعزله فجاءت هرة قلمت لسانه
 وجعلت تمضغه فقال عبد الله أو غيره لولم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان
 في هذه لكفانا وكان مروان قد عرض بظهر الحيرة سبعين ألف عربي على سبعين
 ألف عربي ثم قال اذا انقطعت المدة لم تنفع العدة (نقلت) من الطالع السعيد
 في فضلاء الصعيد تأليف العلامة المحدث البارع كمال الدين جعفر الادفوي
 في ترجمة تاج الدين الدسناوي محتد القوصي مولد اودار او وفام محبة الدهر وفريدة
 العصر فقيه عالم فاضل محدث أديب شاعر كريم الانحلالق طيب الاصول
 والاعراق فن نظامه مغزافي غزلة

يا من اذا ما قاصد أم له * تم له من من له الذي أم له
 ومن حوى الفضل في فضل الندي * وفضل ل ع ل لم للهدى حص له
 ما هم رشيق القصد حلوا لجنى * ذو فطنة ممزوجة باله
 ألمى دقيق الخصر قد زانه * ردق له يتر ما أثقله
 أو انتمى يعزى لو ادغدا * وارده مسددا تعذبا منه له
 حل به أسنى ملوك الوري * ومن غدا بالفضل والعدل له
 ان قلت صف لي حسنه واقتصد * قلت مجيبالك ما أج له
 أو قلت صف لي ملكه واقتصر * قلت أجل جل الذي ك له
 أو قلت هل من استرفد * قلت وللسكين والارم له
 تصيف ما ألغزته مودع * في النظم فافتح بالذكاء مق له
 وعكسه أيضا بلغت المنى * مسدود فيه فإل المسألة
 (القول) في طبائع الحيات وانما سميت حية لانها تحوت أي اجتمعت ويطلق على

الذكر والانثى يقال حية ذكر وحية أنثى وهي أصناف كثيرة لا تحصى كما لا تحصى
أصناف السمك (ذكرت) بقوله حية وهو ما أنشدني لنفسه من لفظه المقر
المجدي فضل الله بن مكانس عفا الله عنه

عاذاني بعد أن توفيت * في النوم أبصرتها الشقية
تأسى مني بالسلام فيكم * كأنها في الوجود حية

(رجع) وشرها الأفاعى ومسكنها الرمال والجبال ويضرب المثل بها بأفاعى
محبستان ومن التهويل في أمرها ما حكاه ابن شرملة أن أفعى منها نهشت غلاما في
رجله فأنصدمت جبهة ويحكى أن شبيب بن شبة دخل على المنصور فقال
يا شبيب أدخلت محبستان فانه بلغنى أنها محوأة أى كثيرة الحيات قال نعم يا أمير
المؤمنين قد دخلتها قال فصف لى أفاعيها فقال هى دقاق الأعناق صغار الأذناب
مقاطعة الرأس رقص برش كأنما كتب بين أعلام الحبرات كبارهن ختوف
وصغارهن سيوف قال أرسطو وليست الأفعى من الحيوان الذى يلد حيوانا
مثله وإن خرج من بطنها اولاد وانما ذلك لتكسر البيض فتلويها وتجمعها فى
بطنها فيتوهم من رأى ذلك أنها تلد وليس الامر كذلك ومن الأفاعى ما يتسافد
بأفواهها إذا أعطى الذكر الانثى وقع كالغشى عليه فتعمد الانثى الى موضع
مذا كبره فتقطعها نهشاً فيموت من ساعته فاذا باغ بعضها لم يكن له مخرج لضيق
مكان الولادة فيبقى فى بطنها حتى يجرح فيشق ويخرجن وتموت الام من ساعتها
فيكون ملجأها للولدها لا مكانها وذكراها يسمى الأفعوان يأتها أيام الصراف
فيصوت بها فتأنيبه وبعض الحيات مستطيل كدر اللون واخضر واسود
وابيض وأرقط وفى بعضها غش وتخرج كل بيضة تعبسانا على لونها ولم يعرف
السبب فى اختلاف ذلك وأما داخله فثى أسمع من الصديد واقدروها فى جوفها
منضدطولا على خط واحد وليس للحيات سفاد معروف تنتهى الى علمه وليس
عند الناس فى ذلك الا الذى ترون من ملاقات الحيات والتواكل واحدة منهما
على صاحبه حتى كأنهما لو ورح خيزران مغلوذ والحية مشقوقه اللسان ولذلك
يظن بعض الناس ان لها السانين وهى واسعة النحر ولها عظم وكذلك يفعل
نابها ولو كان لرأس الحية عظم لكان أشد لعضها ولو كان جلدنا نطبق على
عظم من مستطيلين وتوصف بالنهم والشره لانها تبتلع الفراخ من غير مضغ

كما يفعل الاسود ومن شأنها انهما متى ابتلعت شيئا فيه عظم اتت شجرة أو حجرا
شاحصا فتنتطري عليه انطوا وشديدا فتخطم ذلك العظم حتى تصير رفاتا ومن
عاداتها اذا نهشت انقلبت فيتوههم انها فعلت ذلك لتفترغ سمها وليس الامر
كذلك وانما في نابها عضل فاذا عضت استغرق ادخال الناب كله وهو احن
يشبه بالبيض فاذا انقلبت كان أسهل لخروجه وأساس لنزعه وفي طبعها انها اذا
لم تجد طعاما تعيش بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهد من الجوع
ولأن كل اللحم الشئ الحي وربما بقيت أربعة أشهر في الشتاء صابرة على
الجوع لا تعتدي بشئ البتة وهي اذا هزمت استقرت في يديها وأقنعها النسيم ولم
تشته الطعام ومن عجيب أمرها انها لا تطلب الماء ولا تريد لغاية الارضية عليها
ولهذا تصبر عن الغذاء المدة الطويلة لان حرارتها لا تسرع بتحويل مادتها القالة
الحرارة وغاز المادة وهي لا تضبط نفسها على الشرب اذا شتمته لمسا في طبعها من
الشوق اليه فهي اذا وجده شربت منه حتى تسكر وربما كان السكر سبب
حتمها لانها اذا سكرت خدرت والذكري من الحيات لا يفهم في الموضع الواحد
وربما تقسم الانثى على بيضها بقدر ما تخرج فراخها وتقرى على المكسب ثم
تخرج سائرة فتى وجدهت حجرا دخلته واثقة بان ذلك الساكن فيه بين أمرين اما
ان يقيم فيه فيصير طعاما لها واما أن يهرب فيصير الحجرا لها واهذا يضرب المثل بها في
الظلم فيقال أظلم من الحية وعين الحية لا تدور في رأسها وكذلك عين الجراد كأنها
معها مضروب وعينها ما تنطبق وان قلعت عادت وكذلك نابها ان قلع عاد بعد
ثلاثة أيام وكذلك ذنبها ان قطع عاد وفي طبعها أنها تهرب من الرجل العربيان
وتفرح بالمار ونظاها ونعجب بها وبالابن ومضى ضربت بالقصب الفارسي ما تن
وان ضربت بسوط قدمه عرق الخيل ماتت وهي لا يبار الدماء والذماء بطو
خروج الروح بعد ذلك ودلك انها تذبح حتى يهرى أربابها نبنى أباد لا تموت
ويقال انها لا تموت حنف أنفها الا ان تعبدل أو تنقاد ربي في حزن ثمواتين
تدلكها لا يدي وتكره على الطبع في غير أرضها لي ان يربى له السمبول
في السنة انا زهر يرفقوت اذا ضررت والحمة تسليخ في كل عام في سراسر جلدتها
في أول الربيع والخريف وينبذ يدى بالسليخ من عذراء ثم يربى سمها في
يوم رابع واهاهت وكحرت عن الحمة أن حاد سمها يارب ربي في صنف

ضيق حتى ينسلخ ثم تأتي إلى عين ماء فتغمس فيه فيشتد بذلك مجها ويعود إلى قوته
وشدته وليس في الأرض شيء مثل جسم الحية إلا والحية أقوى منه بدنا ضعافا
ومن قوتها أنها إذا دخلت صدرها في حجر أو صدع لم يستطع أقوى الناس وقد
قبض على ذنبها بكأى يديه أن يخرجها الشدة أعمادها وتعاون أجزائها وليست
بذات قوائم لها أظفار ومخالب أو أظلاف تتشبث بها وتعتمد عليها وربما انقطعت
في يد المجاذب لها وانما الشدة فقر ظهرها فانها ثلاثين ضلعا وذلك مشاهد
في صعودها وسعيها خاف الرجل الشديد الحصر وعند هربها منه وهي مبرية
وتعيش في البر بعد أن يطول مكثها في الماء وصارت مائية وأصنافها كثيرة
جدا وهذا القدر كاف في وصفها (القول على طبائع الفأر) يقولون جميع
ما يقع عليه اسم الفأر فأروهي أنواع فأر البيت والربات والخلد واليربوع وفأرة
البئس وفأرة المسك فاما فأرة البيت فصنفان جرذان وفأروهما كالجواميس
والبقر والبخت والعراب والفأر من الحيوان الذي جمع حاستي الشم والبصر
وليس في الحيوان أفسد منه ليس يبقى على شيء جليل ولا حقير إلا أهله وألقفه
ولا يقصر فعله عما فعلته ريح عادو يكفيه ما يحكي عن سد مأرب ومن تدبيره
في الشيء يأكله ويحسوه وهو واقف يأتي القارورة الضيقة الرأس فيحتال حتى يدخل
طرف ذنبه في عنقها وكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتنعه حتى لا يدع في القارورة
شيئا ولقد حكى أن رجلا كان عنده جرة زيت فغاب عنها مدة ثم افتقدها
فوجدتها ملوثة بحجارة وليس فيها من الزيت شيء فأدار فكره في ذلك إلى أن الفيران
كشفوها وشربوها منها إلى أن لم يبق أن تصل أفواهها إلى الشراب فذات أذنانها
حتى لم تصل إلى الزيت فألقوا الحجارة شيئا بعد شيء فكان الحجر إذا وقع في الحق
طفا الزيت حتى فنى ولقد أراني بعض الأصحاب ظرفا من زجاج كان فيه فستق
مقشور قد تقبضه وأكل ما فيه وكل الزور تأكل قلوبها وترك قشورها وما
أعجب من شيء كهجي من نوى الخروب التي لا تقدر الاضراس على كسره وهي
تنقبه وتأكل قلبه وكذلك تفعل بالقرطم مع ملاسته وفي طبعه النسيان وربما
صيد مرات فيمفلت ويعردوبه يضرب المثل في السرقة والنسيان والتحذرو ويبلغ
الفأر من تحرزه واحتياطه أن يسكن السقوف وربما جاء السنور وهو يريد
أن يعبر إلى بيته والسنور في الأرض وهو في السقف ولو شاء أن يدخل بيته لم يكن

للسور عليه سبيل ويشير اليه السور في الارض يدساره كالقائل له ارجع فاذا
 رجع اومى اليه بيمنه كالقائل له عد فيعود وانما يطالب بذلك أن يعي أوزير لق
 ولا يفعل به ذلك ثلاثة مرات الا يسقط فيثب عليه (وحكى الجاحظ) ان ناسا
 أنكروا أن يخلق الفأر في أرحام اناثهم من أصلاب ذكورها ولكن من بعض
 الارض كطينة الفاطول فان أهلها يزعمون أنهم مرأوا الفأر لم يتم خلقه بعد وان
 عينيه فصان ثم ينتثان حتى يتم خلقها وتشتهر حركتها ذكر الجاحظ ذلك على
 طريق الاستبعاد (قال صاحب المنهاج) وانما رأيت ذلك عيانا اتفق أنى سافرت
 من الفيوم فمرت بقرية تسمى صفت واذا بغيران قد نرجوا من شقوق الارض
 كجراد منتشر كل واحد منهما نصفه حيوان ونصفه الاخر طين لم تكمل خلقته
 وكذلك يتولد بمصر اذا انكشف ماء النيل عنها (القول في طبائع العقرب)
 وهذا الحيوان أصناف منه الجرداء والطيارة وماله ذنب كالحربة وماله ذنب
 معقف وفيها السود والمخضر والمجر والصفرو والكمرد وماله لون الرماد وماله لون
 الذهب وماله جتان وأصحاب الكلام في طبائع الحيوان يقولون العقرب مائة
 الطباع ومن ذوات الذر وكثرة الولد تشبه السمك والضب وعامة هذا النوع اذا
 جاءت الانثى منه يكون حثفها في ولادتها لان أولادها اذا استوى خلقها أكلت
 بطنها ونجست فتموت والجاحظ لا يجيبه هذا القول ويقول أخبرني من أتق به
 انه رأى العقرب تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهي قدر الحمل
 كثير العدو والعقرب شر ما يكون اذا كانت حبل واهاتمانية أرجل واهاتلاف
 مثل أظلاف الثور عيناها في ظهرها وهي من الحيوان الذي لا تسبح ومن عجيب
 أمرها انها لا تسع الميت ولا المغشى عليه ولا القائم الا أن يتحرك شئ من بدنه فانها
 عند ذلك تضربه وضربها له انما هو خوفا فهي تدفع به فتضربها وهي تأوى
 الى الخنافس وتسالمها وتصادق من الحيات كل اسود سائح ورع السعت الا فهي
 فتوت وفيها من يلسع بعضه بعضا فيموت الملسوع ومن شأنها اذا السعت الانسان
 فرت فرار مسمى بخفاف العقاب (وقال الجاحظ) والعقارب تستخرج من موتها
 بالجراد لأنها حريصة على أكله تمسك الجرداء في عود ثم تدخل بها في مكانها فاذا
 عاينتها العقرب تعلقت بها ومتى أدخل الكراث اليها وأخرج تبعته ومامعها من
 جنسها ونوعها وهي اذا خرجت من بيخشاها في طاب المطعم يكون لها نشاط وعزم

تضرب كلها لقيته من حيوان أو نبات أو جادور بما ضربت الطست والقمقم
فتخرقه وتسيل مادة وورعما نشبت فيه ابرتها وهذه الابرمة منعوتة فيها السم
والعقارب القتالة تكون في موضعين بشهر زور وعسكره كرم وهي جارات
وهذه العقارب تلسع فتقتل وورعما يتناثر اللحم من لسعته أو تعفن مجه واسترخی
ولا يدنو منه أحد الا وهو يمسك أنفه بخافة أعدائه وهي في غاية الصغر فان
أكبر ما يوجد منها يكون قدر زنته دانقا واحد والذي يوجد منها كبير يكون
زنته ثلاث حبات وقد وزنت بشعيرة فرجت الشعيرة عنها ذكره هذا صاحب
كتاب النوار ومن ظرائف أمرها انها مع صغرها وقتها ونزارتها تقتل القيل والبعر
باسعها وبنصيبين عقارب قتالة يقال ان أصاها من شهر زور وان بعض الملوك
حاصرها فأتى بالعقارب من شهر زور ورمى بها في كيزان بالمجانبي الى البلاد
فأعطوا القوم بأيديهم وما أظرف قول من قال وقد واعد امرأة ليا أنها فلما خرج
من عندها ضربته عقرب في طريقه (فقال)

ولقد سريت مع الظلام لم وعد * حصلت من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد علمت أوان ذهاني
لأبارك الرحمن فيها عقربا * دبابسة دبت الى دباب
وسمع خبره صاحب الدار فقال

ودار وأيام سكاها * تقيم الحدود بها العقرب
إذا غفل الناس عن ذنبهم * فان عقاربنا تضرب

(القول في طبائع النمل) ذهب ابن أبي الاسعث انه لا يتزوج ولا يتوالد ولا يتلاقح
وانما يسقط منه شيء حقيق في الارض فينموي فيصير بيضا ثم يتكون فيه وهو من
الحيو ان المحتال يتفرق في طاب المعاش فاذا وجد شيئا أنذر الباقي فيجب
ويحمان وكل واحد يجتهد في اصلاح العامة غير مختلس شيء من الرزق دون
صحبته ويقال انما يفعل ذلك رؤساؤها ومن تحيله في الرزق انه ربحا وضع بينه
و بين ما يخاف عليه منه ما يحجزه عنه من ماء أو شعر فيتساق في الحائط ويمشي
على جذع من السقف مسامتا لما حفظ ثم ياتي نفسه عليه وفي طبعه انه يحتكر
زمن الصيف لزمن الشتاء وله في الاحتكار من الحيل ما انه اذا احتكر ما يخاف
نباته قسمه نصفين ما خلا الكسفرة فانه يقسمها أربعا الماء لهم ان كل نصف

منها يثبت وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض ونشره وأكثرت
ما يفعل ذلك في القمرو يقال إن حياته ليست من قبل ما كله ولا قوامه وذلك
أنه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام ولكنه مقطوع نصفين وإنما قوته إذا قطع
الحب من استنشاق ريحه لا غير وذلك يغذوه ويكفيه وهو يشم ما ليس له ريح مما
لو وضعه الإنسان على أنفه لما وجد له ريحا والكلام عليها طويلا وهذا القدر
كاف (لبعض الشعراء) في البراغيث والبق والبعض

نومي على ظهر الفراش منعص * والليل فيه زيادة لا تنقص
من عادات كالذئاب تدايت * وسرت على بحمل فلا تتر بص
جعلت دمي خمر اتداوم شربها * مسترخصات منه ما لا يرتخص
فترى البعوض مغيا يرباة * والبق يشرب والبراغيث ترقص
(أبو عامر بن شهيد) يصفه أسود زنجي وأهلي وحشي ليس بوان ولا رميل
وكأنه جن لا يتحري من ليل وشويرة أو نبتة أغرره نقطة مداد أو سويداء قلب
قراد شربه غيب ومشيمه وثيب يسرى ليله ويكمن فيها ره ولا يمنعه ستر
يدرك بطعن مؤلم ويستحل دم كل مسلم مشاور لا ساوده يحجز لاله على الجبابره
يتكفن بأرفع الثياب ويهتك ستر كل حجاب ولا يحفل ببواب برد مناهل
العيش المذبه ويصل الأجراح الرطبه ولا يمنع منه أمير وهو أحق من كل
حقير سره مشوث وعهده من كوث (نقلت من كتاب الامتناع والمؤانسه
لابي حبان التوحيدى) ان نبات عرس انما تلقح من أفراها وتلد من آذانها ومن
عادة هذا الجنس انه يسرق ما وجد من حلى الذهب والفضة ويخبئها في جحره
وان وجد أيضا في البيت حبوا يخلط بعضها ببعض (النمل) عمر لمواطبة فاذا
جمع الحب قطعه كيلا يثبت اذا أصابه الندى والبلال ويخرجه ويسطه عند قدم
الحجر حتى اذا يبس أدخله فن جرب طبايع النمل أدرك علم زمان المطر والحدود ومن
أراد ان يهلك النمل فليدق الكبريت والحريق وايذره في جحره ولا يولد من
تزاوج لكنه يخرج منه شيء صغير فيقع في الأرض فيصير بيضا ثم تصور من
البيض بالهيئة التي ترى (الخنافس) اذا شممت ريح الورد ماتت وأجنحتها
مدحجة لاصقة بها (البق والبعض) لاتأكله ما وإنما تستحيل من عين الماء
ووضعه وتثنه ومن أخذ غصن العنب ووضعه تحت سريره لم يقربه بق ولا بعرض

ومن أراد أن لا يتأذى بالبراغيث فليحفر وسط البيت حفرة ويعلها بدم نيس
فإن البراغيث تجتمع هناك وإن وضع في الحفرة ورق دقلى ماتت البراغيث ثم
ما ذكره أبو حيان في الامتناع ومنه قيل لذؤيب أتزعم أنك مفلس لا تقدر على
قرض ولا جمع ولا خفالة ويبتك عامر بالفأر فقال علي بن أبي عتيق الطلاق
الثلاث أبتة إن كان يمنعهم من التحول عنا إلا أنهم يهرقون أطعمة الناس
وإن كانوا في بيتي لا تمنعهم فيه لأنه لا هزم هناك (وعلى ذكر الفأر) فما أحسن
قول الشيخ أحمد الموال الشهير بالفأر أنشدنيها المرحوم الفخري بن مكانس
قلبي صبا نحو بطيحي رأيت ورق * لما رأى القاعد أخاه وعلمها دق
ومذ قطعها الصبي شقات قلت الحق * يا فار نلت المنى اعبر لهذا الشق
يتأذى بمن يذهب بهذا اللقب فاتفق حضورهما عند الأمير قسطنطين نائب السلطنة
الشريفة سليمان عليه حين قدم من سفره فأحضر له مامشروبا على العادة
فسكت فخر الدين الأناة وقال ذكروا أن شراب الليمون في الاسفار يسكن الدم
إذا فار فاحتد منه الفأر وقال كذبت عن من نقلت هذا فقال عن الفأر أبي
فكان الشاهد أنكي من الزائد (نقلت من تذكرة العلامة عز الدين الموصلي
شيخنا) رجه الله وفقا يوضع لفقد الذباب من البيت الذي يكون فيه وصورته أن
يوضع يوم الخميس المعروف بخميس البيض قبل طلوع الشمس بعد صلاة الفجر
ويكون واضعه قد صام أربعة أيام لا يفطر فيها على زفر ولا زهومة ثم يصعه
على هذه الهيئة ويكون الوضع في ورق لونه رصاصي تربيعا بالمسطرة محتررا وهو
هذا الوفق المبارك إن شاء الله تعالى

هالك	الذباب	بازن الملك	القاهر القدير
٨٧٨	٦٧٢	٨٦٢	٨٧٣
٦٧١	٨٧٣	٧٢٨	٨٧
٨٣٧	٨٨	٦٧	٨٧٣

(ناصر الدين بن النقيب)

ودار خراب بها قد نزلت ولكن نزات الى السابعة
فلا فرق بين أنى أكو * بين بها أو أكون على القارعة
فوالله ما نمت فى أرضها * ولا طلعت لى بها طالعها
ومفردت بالصافات القبا * ح وماهى الالهسا جامعها
تساورها هفوات النسيم فتصفى بلا أذن سامعها
إذا ما قرأت اذا زلزلت * بها خفت أن تقرى الواقعها
وأخشى بها أن أقيم الصلا * ة فتسجد حيطانها الركامها

(قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ) أنشدنى الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني
قال حضرت منزل الشيخ جمال الدين بن تباتة فرأيت فيه غملا كثيرا فقلت
مالي أرى منزل المولى الأديب به * غملا تجمع فى أرجائه زمرا
فقال لا تجعبن من غملا منزله * فالغملا من شأنها أن تتبع الشعرا
(وعلى ذكر الغملا) ذكرت ما نقلته من خط الوداعى ما صورته بـ شخص شاهد
عدل يقال له الغميلة فعمل فيه عز الدين بن راحة

عديت على غميلة فى التمدى * وجراءته على ما لا يحل
وقلت مقال انكار عليه * تدب على العدو ولوأنت عدل
فقال لقد عتبت على ظملا * وهل للغملا غير الدب شغل
(من المخرجات) اذا ظهر الغملا فى موضع أن يقرؤ عشر مرات فى نفس وأحدهم
الغداء والعشاء طويل فانه يرحل باذن الله (السيد الفاضل) شمس الدين بن
الصاحب موفق الدين على الأمدى فى الحمية

وتخاله فى القيظ سوطا باليا * ملقى وفى كانون دملج معصم
وقد استدارت مقاتله بحمرة * فيها نحاكى قطرتين من الدم
(وله فيه)

وهو جبل قل اذا ما امتد أو * مثل خيط النهر مهم اضطربا
سببا للـسوت وصلا به * وكذلك الجبل يدعى سببا
(من كتاب كتبه يحيى محيى الدين بن عبد الظاهر) الى القاضى كمال الدين بن
الطار كاتب الدرج السعيد * من منزله خربه المصوص من كل صا دتراجت

به مدارج السيول وغصت به خلوق الوحول وغدا شجائي صدور السهول
 قد جشت الاقطار وجوه صفاته وفتحت الايام والاليالى ماله من حسن
 صفاته وأصبح مغاثر في طرق الزروع كم حصل منه لها أذى ومحاجر كم أطرفت
 عيون الارض منه على قذى كأن أسوده على الارض كلب يؤذى الابصار
 وكم خذ به استدار منه له أوحش عذار كم تجهمت فلذة فـ كانت ظلمات بعضها
 فوق بعض وبنيت في الفضاء فأحسن بها من نهود تبه دوفي صدور الارض
 تروع المراعى في المراعى وتسمع بها قعاقع سهام المنيا يافتغ دواترا كيش
 للحيات والافاعي من كل أفعى تقترس اقتراس الضيعم وتملس املاس المجدول
 وتنكمش انكمش السهم تقزع رائبها في المنام واذا انقبضت صارت
 عروة واذا انبسطت فهي حزام كم جنات الترائب في أنيابها وكم لعبت
 بالارواح بلعابها ذات ألوان كلدنيا يدينات روق اذا هي نزوع ولين معاطف
 كالايام وكأنما استداربها اشراك المرقوع قد غدت للخيام أطنابا عوض
 الاطناب واذا شاهد الاطباء علاماتها وامتدادها قالوا هذا الذي يقال له
 الموت من العلامات والاسباب كم قد نضجت العيون منها بأسود سائح وكم
 أحرق سها مهربا في كوره لاهل جنة بار الموت وهوله نافع ومن عجب أنها تشي
 على بطنها ولاتأكل ما تقترس وتوقد في الليالى المدلجمة عيونها نارا لا يجرد
 عليها هدى طرق المقتبس (القاضى فتح الدين بن الشهيد)

أقول لنمل العذار التى * على الخد دبت قفى تحملى

جت عسل الربق الحماظه * الى ابن نمل فلا تسلى

(بدر الدين يوسف الذهبي)

يا جمال الكتاب بـلـيا * حميد الذكركمقاوم له العلياء
 لى بيت صعب مجاريه الفـكـر رومان تحـمـله البلغاء
 ظاهرا العيب لا عرض له * والضرب والقبض فى ذراه سواء
 لا أراه من الخفيف فلم ذا * جاز فيه التشعيب والاقواء
 لا براغيث فيه رقص ولابى * زمير وللـسـذاب غناء
 عامـل لا أراك فيه وهذا * لك دليل ان ليس فيه بناء
 (منقول من الموجز لابن نفيس) مما يطرد الهوام من البيت التبخير بأصلي

الريمان وقضبانه وأصل السوس والقنة والقرون والاطلاف والخوافر والشجر
 والمحليات وورق الغار وحبه ورماد الصنوبر وخصوصا مع القنة والشونيز
 والمركبات من هذه (الحيوانات التي تهرب منها الحشرات) اذا جعل في البيت
 لغلغ أو طاموس أو قنفذ أو ابن عرس فان الهوام تفرع منها وتهرب وان ظهرت
 قتلها وكذلك البيضيات والايائل (طرد النحبات) الكبريت والنوشادر
 بالخل يهربها والنخردل يقتلها واذا وضع على مسكنها هربت منه (طرد العقارب)
 الفجل المشدوخ وعصارتها اذا مسكت ورقة والبادروج وثقل الصائم
 والتبخير بالعقرب يهرب العقارب وكذلك الزرنج اذا وضع والفجل المقطع اذا
 وضع على حجرها لم يجسر على الخروج منه (طرد البراغيث) اذا رش البيت بطيخ
 المنظل أو نقره تماوتت البراغيث وتهاربت وكذلك العليق والخروب ودم
 التيس اذا جعل في حفرة آوت اليه البراغيث وكذلك يجمع على خشبة طايبت
 بلحم القنفذ وومخ الكبريت والدفل يهربها وطرد البق والبعض التدخين
 بنشارة خشب الصنوبر أو الفلقة قدس أو بالاشونيز أو بمجموعه ما هو أجود أو
 بالاسنياس أو بالكبريت أو باختاء البقرة أو بالنخردل أو بورق السرو أو جوزة
 ورش البيت بطيخ هذه أو بطيخ الترمس أو الداب (طرد ابن عرس) يطردها
 ريح السداب (طرد الفأر وقتلها) المرتك والخربق والبنج وأصل الفأر وهي
 قنبرة تدوى بالسباحة في الماء فان لم تجدها ماتت والتراب الهالك وخبث الحديد
 واذا سلخت الفأرة الذكور أو قطع ذنبها أو خصى ور بط يخطى هرب الفأر الباقي
 والسلخ أقوى (طرد النمل) دخان النمل نفسه يطرده ويهرب (طرد الذباب)
 يقتلها الزرنج وحده أو باللبن ودخانه ودخان الكندر وطبيخ الخربق الاسود
 (وطرد الزناير) بخار الكبريت والثوم (طرد الخنافس) دخان الداب وورقه
 (طرد الارضه) يطردها الهدهد اذا جعل في البيت والتدخين بأضائه
 ورشه (طرد السوس) الاقشين والفوتيج وقشور الاترج وماء المنظل الرطب
 (طرد سام أبرص) الزعفران اذا جعل منه في البيت هرب

* (الباب الخمسون في وصف الجنان وما فيها من حور وولدان) *

عن أبي سعيد الخدري يرفعه ان الله جل ذكراه لما حوط جائط الجنة لبنة من

ذهب ولبنه من فضة وخرس غرسها ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون
فقال تعالى طوبى لك منزل الملوكة وقال زيد بن أرقم قال رجل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون قال نعم والذي نفسي
بيده إن أحدهم لا يعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب قال فإن الذي يأكل
تكون له الحاجة والجنة طيب لا نخب فيها قال عرق يفيض من أحدهم كرشح
المسك فيضرب طنه (دخل داود عليه السلام) غارا من غير أن يبيت المقدس
فوجد خرقيلا يعبد ربه وقد يدس جلده على عظمه فسلم عليه فقال أسمع صوت
شبعان ناعم فمن أنت فقال داود قال الذي له كذا وكذا امرأة وكذا وكذا
أمة قال نعم وأنت في هذه الشدة قال ما أنا في شدة ولا أنت في نعمة حتى ندخل
الجنة (قال مالك بن دينار) جنات النعيم بين جنات الفردوس وفيها حور خالقن
من ورد الجنة قيل ومن يسكنها قال الذين هموا بالمعاصي فلماذا كروا عظمة الله
واقبوه (وقال بعض العلماء) في السادس الآخر من الليل تفتح أبواب الجنة
الأتري أن أرواح الرياحين تفوح في ذلك الوقت * جاء الإسلام ودار الندوة بيد
حكيم بن خزام فباعها من معاوية بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير
بعت مكرمة قريش فقال ذهبت المكارم إلا من التقوى يا ابن أخي اشتريت
بها دارا في الجنة أشهدك أني جعلتها في سبيل الله (ولو أله رجه الله)

إذا رأيتم قبر خير الوري * والمنبر الزاهي واجلاله

بشراكم الجنة هنيئتم * ومن يرى هذا فطوبى له

وأنا أتبل بلسان التضرع والخضوع وأسأل لخطات الاعتراف والخشوع
لمتصفح كناية هذا وأبوابه ومتأمل ألفاظه وأعرابه الصفيح عما يقفوا
عليه من عشرات العبارات والمعاني والتجاوز عما وقع فيه من التقصير والتواني
فالمعترف بذنبه كمن لا ذنب له ومن لا يقبل العذر فالذنب له

من رام أن يقبل الباري معاذره * فليقبلن مسرعا ممن له اعتذار

وليقتد بقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور
رحيم لاسيما مع استغراق زمان أنابته كده منوط وليل ونهار أنا فيه ما يطلب
القوت مربوط واغزافي بحجومة ظاهرة في البيان وبحجومة غالبة في اللسان
تتمنع عن ادراك حقائق المرادات والجمع بين دقائق المعاني وحسن العبارات

ولا كنتى مكره فى ذلك لا بطل

فان لم يكن نظم القصائد شينى * وايس جدودى يعرب واياذ
فقد تسجيع الورقاء وهى جملة * وقد تنطق الاوتار وهى جاد
ثم قل أن يخلص مصنف كتاب من الهفوة بل الهفوات وهيات ثم هيات ان
ينجو الناظر أو المؤلف من العثرة بل العثرات خصوصاً مع الممتحنين بل
المتعنتين والحاسدين المغتبيين ولاكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
طلب عشرة أخيه لم يتركه طلب الله عشرة فتهتك

لا تلمس من مساوى الناس ما ستروا * فبهتك الله سترا من مساويك
واذ كرم حاسن ما فيه من اذ كروا * ولا تعب أحدا منهم بما فىك
وأنا أقسم على جماعة متكففيه أن يتأملوه ويتظروا فيه بعين الرضا ويعبروا
عنه بلسان الصفا والوفا فان تجد فيه بعيدا قربه أو خطأ أصله وصوبه
فانزل طرفى أو يكافه وحلية * ينزل بها الطرف المطهر جاريا
فعمدوا جيلنا من خطاى فأننى * أقول كما قد قال من كان شاكا
وعين الرضا عن كل عين كايمة * كما أن عين المخطئ تبتدى المساويا
وبالله أستعين أولا وآخرا ظاهرا وباطنا والمحمد لله الذى هدانا لهذا وما
كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
الى يوم الدين

قد تم طبع كتاب الفاضل الاديب الارزعى الاربى ابى على البهائى الشهير
بالغزولى فى اليوم الرابع عشر من جادى الثانية سنة ألف وثلاثمائة من
الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأركى التحية وهو كتاب يشتمل
على وصف دار الملك وما يحتاج اليه من انشاء وشعر وطب ونعيم وعلم هيئته
ونديم ومجلس شراب وما يليق به من آنية الراح وما تقتضيه دار الملك من
خزائن السلاح والآنية والملابس وما يليق بها من الشعار كالغارق المصفوفه
والزراعى المبتوثة وما كان قد تداولت عليه الاعصار والقرون وعن
لعرائسه أن تتردى برداء المنون لما أنه لم يكن موجودا الا القليل من نسخته
ولم يسبق أحدا الى حوز فضله بطبعه بادرت مطبعة الوطن الى اقتناص ريعه

(٣٢٣)

لشارده ففازت بالرشف من أكوأب رحيقه المساسله وأن أن
تقول قد فاح مسك ختامه واستنار في دجى الليل بدر
ظلامه ولاح فجره وأسفر وروضه بحسن الختام
أزهر بمطبعة الوطن البهيه الكاظمة
بمصر المحميه مصححاً بالدقة على
قدرا الامكان والله
المستعان وعليه
التكلان
تم

* (فهرست الجزو الثاني من كتاب مطالع البدور في منازل السرور للشيخ الاديب
والفاضل الاريب علاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي) *

صفحة	
٢	الباب السادس والعشرون في الحمام وما غزى مغزاه
١٧	فصل فيما ورد في ذمها
١٨	الباب السابع والعشرون في النار والطباخ والقذور
٢٤	الباب الثامن والعشرون في الاسماك واللحوم والجزر
٢٧	فصل في اللحوم
٢٨	فصل كتب الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس الخ
٣٠	الباب التاسع والعشرون فيما يحتاج اليه الاطعمة من البقول في الوفرة
٣٧	الباب الثلاثون في الخوان والمائدة وما فيها من كلام مقبول
٤٣	الباب الحادي والثلاثون في الوكيرة والاطعمة المشتهية
٥٣	فصل في الاطعمة المشهورة ومضارها ومنافعها
٦٠	فصل فيما يشهى الماء كل
٦٤	فصل في الطست والابريق والخلال والمحب والاشنان والمنشمة وآداب غسل اليد وكيفية الاعمال
٧٠	الباب الثاني والثلاثون في الماء وما جرى مجراه
٧٤	فصل في الحمود من المياه
٧٩	الباب الثالث والثلاثون في الماء رطب والحلواء
٨٧	فصل في الاشربة
٨٩	الباب الرابع والثلاثون في بيت الحلاء المعالوب
٩٣	الباب الخامس والثلاثون في نه لاء الاطباء
٩١٠	الباب السادس والثلاثون في الحساب والوزراء
٩١١	فصل فيما ينبغي للوزير أن يأبىه
٩١٢	فصل في اطائمه كلام الوزراء

فصل في اطائف هذا الباب	١١٥
الباب السابع والثلاثون في كتاب الانشاء	١١٧
الباب الثامن والثلاثون في الهدايا والتحف النفيسة الاثمان	١٣٤
الباب التاسع والثلاثون في خواص الاحجار وكيانها في المعادن	١٤٠
الباب الاربعون في خزائن السلاح والكنائن	١٥٩
الباب الحادي والاربعون في الكتب وجمعها وفضل اتخاذها ونفعها	١٧٢
الباب الثاني والاربعون في الخيل والدواب ونفعهما	١٧٩
فصل في العلامة الجامعة للنجابة في الفرس	١٨١
الباب الثالث والاربعون في مصائد الملوك وما فيها من نظم السلوك	٢٠٨
الباب الرابع والاربعون في خطاير الوحوش الجارية له المقدار المتخذة لنزهة الابصار	٢٤٠
الباب الخامس والاربعون في الاسد النبل والزرافة والفيل	٢٥١
الباب السادس والاربعون في الحمام وما في وصفها من بديع النظام	٢٦٠
الباب السابع والاربعون في الحصون والقصور والآثار وما قيل فيها من رائق الاشعار	٢٦٤
الباب الثامن والاربعون في الخنزير الى الاوطان وتذكر من بها من القطان	٢٩٢
الباب التاسع والاربعون في دار سكنت كثيرة الحشرات قليلة الخير عديمة النبات	٣٠٤
الباب العاشر والاربعون في وصف الجنان وما فيها من حور وولدان	٣٢٠